

سُورَةُ الْفَاتِحَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ١

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٢

الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٣ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ٤

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ٥ أَهْدِنَا

الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ

عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ

وَلَا الضَّالِّينَ ٧

وَايَاتُهَا سَبْعٌ

١

● مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ:

تحقيق العبودية الخالصة لله تعالى.

● التفسير:

سُمِّيَتْ سُورَةُ الْفَاتِحَةِ لِفَتْحِهَا لِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، اللَّهُ بِهَا، وَتَسْمَى أُمُّ الْقُرْآنِ لِأَسْمَانِهَا عَلَى مَوْضُوعَاتِهِ: مِنْ تَوْحِيدِ اللَّهِ، وَعِبَادَةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَهِيَ أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ، وَهِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي.

١) بِاسْمِ اللَّهِ أَبَدًا قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ، مُسْتَعِينًا بِهِ تَعَالَى مُتَبَرِّكًا بِذِكْرِ اسْمِهِ، وَقَدْ تَضَمَّنَتْ الْبِسْمَةَ ثَلَاثَةً مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى، وَهِيَ: ١ - «اللَّهُ»؛ أَي: الْمَعْبُودُ بِحَقِّ، وَهُوَ أَخْصَى أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَا يُسَمَّى بِهِ غَيْرُهُ سُبْحَانَهُ. ٢ - «الرَّحْمَنُ»؛ أَي: ذُو الرَّحْمَةِ الْوَاسِعَةِ، فَهُوَ الرَّحْمَنُ بِذَاتِهِ. ٣ - «الرَّحِيمُ»؛ أَي: ذُو الرَّحْمَةِ الْوَاسِلَةِ، فَهُوَ يَرْحَمُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ وَمَنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ عِبَادِهِ. ٤) التَّوَّابُ الْكَامِلُ، وَجَمِيعُ أَنْوَاعِ الْمُحَامَدِ مِنْ صِفَاتِ الْجَلَالِ وَالْكَمَالِ هِيَ لِلَّهِ وَحْدَهُ دُونَ مَنْ سِوَاهُ، إِذْ هُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَخَالِقُهُ وَمُدَبِّرُهُ، وَالْعَالَمُونَ جَمْعُ عَالَمٍ، وَهُمْ كُلُّ مَا سِوَى اللَّهِ تَعَالَى.

٥) تَسَاءٌ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى بَعْدَ حَمْدِهِ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ.

٦) تَعَجِيدُ اللَّهِ تَعَالَى بِأَنَّهُ الْمَالِكُ لِكُلِّ مَا فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ، حَيْثُ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا، فَ«يَوْمَ الدِّينِ»: يَوْمُ الْجَزَاءِ وَالْحِسَابِ.

٧) نَخَصُّكَ وَحْدَكَ بِأَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ

وَالطَّاعَةِ، فَلَا نَشْرِكُ مَعَكَ غَيْرَكَ، وَمَنْكَ وَحْدَكَ نَطْلُبُ الْعَوْنَ فِي كُلِّ شَأْنِنَا، فَيَبْدِكَ الْخَيْرُ كُلُّهُ، وَلَا مُعِينٌ سِوَاكَ.

٨) دُلَّنَا إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَاسْلُكْ بِنَا فِيهِ، وَثَبِّتْنَا عَلَيْهِ، وَزِدْنَا هُدًى. وَ«الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ» هُوَ الطَّرِيقُ الْوَاضِحُ الَّذِي لَا اعْوَجَاجَ فِيهِ، وَهُوَ الْإِسْلَامُ الَّذِي أَرْسَلَ اللَّهُ بِهِ مُحَمَّدًا ﷺ.

٩) طَرِيقَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنْ عِبَادِكَ يَهْدِيهِمْ؛ كَالنَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا، غَيْرَ طَرِيقِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ الَّذِينَ عَرَفُوا الْحَقَّ وَلَمْ يَتَّبِعُوهُ كَالْيَهُودِ، وَغَيْرِ طَرِيقِ الضَّالِّينَ عَنِ الْحَقِّ الَّذِينَ لَمْ يَهْتَدُوا إِلَيْهِ لَتَقْرِيطُهُمْ فِي طَلَبِ الْحَقِّ وَالْإِهْتِدَاءِ إِلَيْهِ كَالنَّصَارَى.

● مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

● افْتَتَحَ اللَّهُ تَعَالَى كِتَابَهُ بِالْبِسْمَةِ؛ لِيُرْشِدَ عِبَادَهُ أَنْ يَبْدُؤُوا أَعْمَالَهُمْ وَأَقْوَالَهُمْ بِهَا طَلِبًا لِعَوْنِهِ وَتَوْفِيقِهِ.

● مِنْ هَدْيِ عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ فِي الدُّعَاءِ الْبَدءَ بِتَعَجِيدِ اللَّهِ وَالتَّوَّابِ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ، ثُمَّ الشُّرُوعَ فِي الطَّلَبِ.

● تَحْذِيرُ الْمُسْلِمِينَ مِنَ التَّقْصِيرِ فِي طَلَبِ الْحَقِّ كَالنَّصَارَى الضَّالِّينَ، أَوْ عَدَمِ الْعَمَلِ بِالْحَقِّ الَّذِي عَرَفُوهُ كَالْيَهُودِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ.

● دُلَّتِ السُّورَةُ عَلَى أَنَّ كَمَالَ الْإِيمَانِ يَكُونُ بِإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ تَعَالَى وَطَلَبِ الْعَوْنِ مِنْهُ وَحْدَهُ دُونَ سِوَاهِ.



● مِنْ مَقَاصِدِ الشُّرُوعِ:

الأمر بتحقيق الخلافة في الأرض بإقامة الإسلام، والاستسلام لله، والتحذير من حال بني إسرائيل.

● التَّفْسِيرُ:

سُمِّيَتْ سُورَةُ الْبَقَرَةِ بهذا الاسم لورود قصة بقرة بني إسرائيل فيها، وفيها إشارة إلى وجوب المسارعة إلى تطبيق شرع الله، وعدم التلذذ فيه كما حصل من يهود.

● ﴿الر﴾ هذه من الحروف التي اقتضت بها بعض سور القرآن، وهي حروف هجائية لا معنى لها في نفسها إذا جاءت مفردة هكذا (أ، ب، ت، إلخ)، ولها حكمة ومغزى: حيث لا يوجد في القرآن ما لا حكمة له، ومن أهم حكماها: الإشارة إلى التحدي بالقرآن الذي يتكوّن من الحروف نفسها التي يعرفونها ويتكلمون بها؛ لذا يأتي غالبا بعدها ذكر القرآن الكريم، كما في هذه السورة.

● ذلك القرآن العظيم لا شك فيه، لا من جهة تنزيله، ولا من حيث لفظه ومعناه، فهو كلام الله، يهدي المتقين إلى الطريق الموصل إليه.

● ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَهُوَ﴾ كل ما لا يدرك بالحواس وغاب عنا، مما أخبر الله عنه أو أخبر عنه رسوله، كالיום الآخر، وهم الذين يقيمون الصلاة بأدائها وفق ما شرع الله من شروطها، وأركانها، وواجباتها، وسننها، وهم الذين ينفقون مما

رزقهم الله، بإخراج الواجب كالزكاة، أو غير الواجب كصدقة التطوع؛ رجاء ثواب الله، وهم الذين يؤمنون بالوحي الذي أنزل الله عليك - أيها النبي - والذي أنزل على سائر الأنبياء ﷺ من قبلك دون تقريظ. وهم الذين يؤمنون إيماناً جازماً بالآخرة وما فيها من الثواب والعقاب.

● هؤلاء الْمُتَصِفُونَ بهذه الصفات على تَمَكُّنٍ من طريق الهداية، وهم الفائزون في الدنيا والآخرة بئيلهم ما يرجون ونجاتهم مما يخافون.

● مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

● الثقة المطلقة في نفي الرّيب دليل على أنّه من عند الله: إذ لا يمكن لمخلوق أن يدعي ذلك في كلامه.

● لا ينتفع بما في القرآن الكريم من الهدايات العظيمة إلا المتقون لله تعالى المعظمون له.

● من أعظم مراتب الإيمان الإيمان بالغيب: لأنه يتضمن التسليم لله تعالى في كل ما تصدر بعلمه من الغيب، ولرسوله بما أخبر عنه سبحانه.

● كثيراً ما يقرن الله تعالى بين الصلاة والزكاة؛ لأنّ الصلاة إخلاص للمعبود، والزكاة إحسان للعبيد، وهما عنوان السعادة والنجاة.

● الإيمان بالله تعالى وعمل الصالحات يورثان الهداية والتوفيق في الدنيا، والفوز والفلاح في الآخرة.

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْم ١ ذَلِكِ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى

لِّلْمُتَّقِينَ ٢ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ

وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ٣ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ

إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ٤

أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ

هُمْ الْمَصْلِحُونَ ٥

وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَائِهِمْ يَتَخَذُونَ



إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ٦ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٧ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيهِمُ الْآخِرُ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ٨ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ٩ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ١٠ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ١١ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ١٢ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ١٣ وَإِذَا قُلُوبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَءُونَ ١٤ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ١٥ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ١٦

ولما بين الله صفات المؤمنين المتقين الذين صلح ظاهرهم وباطنهم، ذكر صفات طائفة من الكافرين الذين فسد ظاهرهم وباطنهم، فقال:

٦ إن الذين خفت عليهم كلمة الله بعدم الإيمان مستمرون على ضلالهم وعنادهم، فإنذارك لهم وعندهم سواء. ٧ لأن الله طبع على قلوبهم فأغلقها على ما فيها من باطل، وطبع على سمعهم فلا يسمعون الحق سماع قبول وانقياد، وجعل على أبصارهم غطاء فلا يبصرون الحق مع وضوحه، ولهم في الآخرة عذاب عظيم.

ولما بين الله صفات الكافرين الذين فسد ظاهرهم وباطنهم: بين صفات المنافقين الذين فسد باطنهم وصلح ظاهرهم فيما يبدو للناس، فقال:

٨ ومن الناس طائفة يزعمون أنهم مؤمنون، يقولون ذلك بالسنتهم خوفاً على دمائهم وأموالهم، وهم في الباطن كافرون.

٩ يعتقدون بجهلهم أنهم يخدعون الله والمؤمنين بإظهار الإيمان وباطن الكفر، ولكنهم لا يشعرون بذلك؛ لأن الله تعالى يعلم السر وأخفى، وقد أطلع المؤمنين على صفاتهم وأحوالهم.

١٠ والسبب أن في قلوبهم شكا، فزادهم الله شكا إلى شكهم، والجزاء من جنس العمل، ولهم عذاب أليم في الدرك الأسفل من النار، بسبب كذبهم على الله وعلى الناس، وتكذيبهم بما جاء به محمد ﷺ.

١١ وإذا نهوا عن الإفساد في الأرض بالكفر والذنوب وغيرها، أنكروا وزعموا أنهم هم أصحاب الإصلاح والإصلاح.

١٢ والحقيقة أنهم هم أصحاب الإفساد، ولكنهم لا يشعرون بذلك، ولا يشعرون أن فعلهم عين الفساد. وإذا أمروا بالإيمان كما آمن أصحاب محمد ﷺ، أجابوا على سبيل الاستنكار والاستهزاء بقولهم: أنؤمن كإيمان خفاف العقول؟ والحق أنهم هم السفهاء، ولكنهم يجهلون ذلك.

١٣ وإذا اتقوا المؤمنين قالوا: صدقنا بما تؤمنون به؛ يقولون ذلك خوفاً من المؤمنين، وإذا انصرفوا عن المؤمنين إلى رؤسائهم متفردين بهم، قالوا مؤكدين ثباتهم على متابعتهم لهم: إنا معكم على طريقتكم، ولكننا نوافق المؤمنين ظاهراً سخريه بهم واستهزاء. ١٤ الله يستهزئ بهم في مقابلة استهزائهم بالمؤمنين، جزاء لهم من جنس عملهم، ولهذا أجرى لهم أحكام المسلمين في الدنيا، وأما في الآخرة فيجازيهم على كفرهم ونفاقهم، وكذلك يمهلهم ليتعادوا في ضلالهم وطغيانهم، فيبقوا حاثرين مترددين. ١٥ أولئك المنافقون الموصوفون بتلك الصفات هم الذين استبدلوا الكفر بالإيمان، فما ربحت تجارتهم؛ لخسارتهم الإيمان بالله، وما كانوا مهتدين إلى الحق.

١٦ من قوايد الآيات،

- أن من طبع الله على قلوبهم بسبب عنادهم وتكذيبهم لا تنفع معهم الآيات وإن عظمت.
- أن إمهال الله تعالى للظالمين المكذبين لم يكن عن غفلة أو عجز عنهم، بل ليزدادوا إثماً، فتكون عقوبتهم أعظم.



﴿١٧﴾ ضرب الله لهؤلاء المنافقين مثلين: مثلاً نارياً، ومثلاً مائئياً، فأما مثلهم الناري: فهم كمثل من أوقد ناراً ليستضيء بها، فلما سطع نورها ووطن أنه ينتفع بضوئها خدمت، فذهب ما فيها من إشراق، وبقي ما فيها من إحراق، فبقي أصحابها في ظلمات لا يرون شيئاً، ولا يهتدون سبيلاً.

﴿١٨﴾ فهم صمٌّ لا يسمعون الحق سماع قبول، بكم لا ينطقون به، عمي عن إبصاره، فلا يرجعون عن ضلالهم.

﴿١٩﴾ وأما مثلهم المائي: فهم كمثل مطر كثير، من سحب فيه ظلمات متراكمة ورعد وبرق، نزل على قوم فأصابهم دعر شديد، فجعلوا يسدون أذانهم بأطراف أصابعهم، من شدة صوت الصواعق خوفاً من الموت، والله محبط بالكافرين لا يعجزونه.

﴿٢٠﴾ يكاد البرق من شدة لمعانه وسلطوعه يأخذ أبصارهم، كلما ومض البرق لهم وأضاء تقدموا، وإذا لم يضيئ بقوا في الظلام، فلم يستطيعوا التحرك، ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم بقدرته الشاملة لكل شيء؛ فلا تعود إليهم؛ لإعراضهم عن الحق. فكان المطر مثلاً للقرآن، وصوت الصواعق مثلاً لما فيه من الزواجر، وضوء البرق مثلاً لظهور الحق لهم أحياناً، وجعل سد الأذان من شدة الصواعق، مثلاً لإعراضهم عن الحق وعدم الاستجابة له، ووجه الشبه بين المنافقين وأصحاب المثليين: هو عدم الاستفادة، ففي المثل الناري: لم يستفد مستوفدها غير الظلام والإحراق، وفي المثل المائي: لم يستفد أصحاب المطر إلا ما يروّعهم ويزعجهم من الرعد

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمُّ بَكْرٌ عُمَى فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْصِعَهُمْ فِيءَ إِذَا نِهْمٌ مِنَ الصَّوْعِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ يُحِيطُ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ الْبَرْقُ يُخْطَفُ أَبْصَرُهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشْوَافٍ إِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ إِنْ أَلَّهِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾

والبرق، وهكذا المنافقون لا يرون في الإسلام إلا الشدة والقسوة.

ولما ذكر الله أنواع الناس من مؤمنين وكافرين ومنافقين؛ ناداهم جميعاً داعياً إياهم إلى إفراده بالعبادة، فقال:

﴿٢١﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَحْدَهُ دُونَ سِوَاهُ؛ لِأَنَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَخَلَقَ الْأُمَمَ السَّابِقَةَ لَكُمْ، رَجَاءُ أَنْ تَجْعَلُوا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ عَذَابِهِ وَقَايةً؛ بِامْتِنَالِ أَمْرِهِ واجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ.

﴿٢٢﴾ فَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ سِجَاطًا مَهْدًا، وجعل السماء من فوقها مُحْكَمَةً الْبِنَانِ، وهو المنعم بإنزال المطر، فَأَنْبَتَ بِهِ مَخْتَلَفَ الثَّمَارِ مِنَ الْأَرْضِ، لتكون رِزْقًا لَكُمْ، فلا تجعلوا لله شركاء وأمثالاً وأنتم تعلمون أنه لا خالق إلا الله ﷻ.

﴿٢٣﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ - يَا أَيُّهَا النَّاسُ - فِي شَكٍّ مِنَ الْقُرْآنِ الْمُنْزَلِ عَلَى عَبْدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، فتتحداكم أن تعارضوه بالإتيان بسورة واحدة مماثلة له، ولو كانت أقصر سورة منه، ونادوا من استطاعتم من أنصاركم إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِيمَا تَدْعُونَهُ.

﴿٢٤﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا ذَلِكَ - وَلَنْ تَفْعَلُوا عَلَيْهِ أَبَدًا - فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي تُوقَدُ بِالنَّاسِ الْمُسْتَحْقِينَ لِلْعَذَابِ، وبأنواع الحجارة مما كانوا يعبدونه وغيرها، هذه النار قد أعدها الله وهيباً للكافرين.

﴿٢٥﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- أن الله تعالى يخذل المنافقين في أشد أحوالهم حاجة وأكثرها شدة؛ جزاء نفاقهم وإعراضهم عن الهدى.
- من أعظم الأدلة على وجوب إفراد الله بالعبادة أنه تعالى هو الذي خلق لنا ما في الكون وجعله مسجراً لنا.
- عجز الخلق عن الإتيان بمثل سورة من القرآن الكريم يدل على أنه تنزيل من حكيم عليم.



﴿٢٥﴾ وإذا كان الوعيد السابق للكافرين: فبشر - أيها النبي - المؤمنين بالله الذين يعملون الصالحات: بما يسرهم من جنات تجري الأنهار من تحت قصورها وأشجارها، كلما أطعموا من ثمارها الطيبة رزقا؛ قالوا من شدة الشبهة بثمار الدنيا: هذا مثل الثمار التي رزقنا من قبل، وقدمت لهم ثمار متشابهة في شكلها واسمها حتى يُقبِلُوا عليها بحكم المعرفة بها، ولكنها مختلفة في طعمها ومذاقها، ولهم في الجنة أزواج مبرأة من كل ما تنفر منه النفس، ويستقذّر طبقا مما يُتَصَوَّر في أهل الدنيا، وهم في نعيم دائم لا ينقطع، بخلاف نعيم الدنيا المنقطع. ﴿٢٦﴾ إن الله ﷻ لا يستحي من ضرب الأمثال بما شاء، فيضرب المثل بالبعوضة، فما فوقها في الكبر أو دونها في الصغر، والناس أمام هذا نوعان: مؤمنون وكافرون، فأما المؤمنون فيصدقون ويعلمون أن من وراء ضرب المثل بها حكمة، وأما الكافرون فيتساءلون على سبيل الاستهزاء عن سبب ضرب الله الأمثال بهذه المخلوقات الحاضرة: كالبعوض، والذباب، والعنكبوت، وغيرها، فيأتي الجواب من الله: إن في هذه الأمثال هدايات وتوجيهات واختيارا للناس، فمنهم من يضلهم الله بهذه الأمثال لإعراضهم عن تدبرها، وهم كثير، ومنهم من يهديهم بسبب اتعاظهم بها، وهم كثير، ولا يضل إلا من كان مستحقا للضلال، وهم الخارجون عن طاعته؛ كالمناققين. ﴿٢٧﴾ الذين ينقضون عهد الله الذي أخذهم عليهم بعبادته وحده واتباع رسوله الذي أخبرته به الرسل قبله،

وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رَزَقُوا قَالُوا هَذَا الَّذِي رَزَقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢٧﴾ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾

ويقطعون ما أمر الله بوصله كالأرحام، ويسعون لنشر الفساد في الأرض بالمعاصي، فهؤلاء هم الناقصة حظوظهم في الدنيا والآخرة. ﴿٢٩﴾ إن أمركم - أيها الكفار - لعجب! كيف تكفرون بالله، وأنتم تشهدون دلائل قدرته في أنفسكم، فقد كنتم عدما لا شيء، فأنشأكم وأحياكم، ثم هو يميتكم الموتة الثانية، ثم يحييكم الحياة الثانية، ثم يرجعكم إليه ليحاسبكم على ما قدمتم. ﴿٣٠﴾ والله وحده الذي خلق لكم جميع ما في الأرض من أنهار وأشجار وغير ذلك مما لا يحصى عدده، وأنتم تتنعمون به وتستمتعون بما سخره لكم، ثم قصد إلى خلق السماء فخلقهن سبع سموات مستويات، وهو الذي أحاط علمه بكل شيء.

﴿٣١﴾ مِنَ قَوَائِدِ الْآيَاتِ

- من كمال النعيم في الجنة أن ملذاتها لا يكدرها أي نوع من التفتيص، ولا يخالطها أي أذى.
- الأمثال التي يضربها الله تعالى لا ينتفع بها إلا المؤمنون؛ لأنهم هم الذين يريدون الهداية بصدق، ويطلبونها بحق.
- من أبرز صفات الفاسقين نقض عهودهم مع الله ومع الخلق، وقطعهم لما أمر الله بوصله، وسعيهم بالفساد في الأرض.
- الأصل في الأشياء الإباحة والطهارة؛ لأن الله تعالى امتن على عباده بأن خلق لهم كل ما في الأرض.



وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَتَادُمُ أَنْبِئْتَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَتَادُمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾

﴿٣٠﴾ يخبر الله تعالى أنه سبحانه قال للملائكة: إنه سيجعل في الأرض بشراً يخلف بعضهم بعضاً، لقيام بعمارته على طاعة الله، فسأل الملائكة ربه - سؤال استرشاد واستفهام - عن الحكمة من جعل بني آدم خلفاء في الأرض، وهم سيفسدون فيها، ويريقون الدماء ظلماً، قائلين: ونحن أهل طاعتك، نُتَزَّهُكَ حامدين لك، ومعظمين جلالك وكمالك، لا نفتر عن ذلك، فأجابهم الله عن سؤالهم: إني أعلم ما لا تعلمون من الحكم الباهرة في خلقهم، والمقاصد العظيمة من استخلافهم.

﴿٣١﴾ وليبين منزلة آدم ﷺ علمه الله تعالى أسماء الأشياء كلها من الحيوان والجماد وغير ذلك؛ ألفاظها ومعانيها، ثم عرض تلك المسميات على الملائكة قائلاً: أخبروني بأسمائها إن كنتم صادقين فيها تقولون: إنكم أكرم من هذا المخلوق وأفضل منه.

﴿٣٢﴾ قالوا - مُقْتَرِفِينَ بنقصهم مُرْجِعِينَ الفضل إلى الله -: نُتَزَّهُكَ ونعظمك يا ربنا عن الاعتراض عليك في حكمك وشرعك، فتحن لا نعلم شيئاً إلا ما رزقنا علمه، إنك أنت العليم الذي لا يخفى عليك شيء، الحكيم الذي تضع الأمور في مواضعها من قدرك وشرعك.

﴿٣٣﴾ وعندئذ قال الله تعالى لآدم: أخبرهم بأسماء تلك المسميات، فلما أخبرهم كما علمه ربه، قال الله للملائكة: ألم أقل لكم: إني أعلم ما خفي في السماوات وفي الأرض، وأعلم ما تظهرون من أحوالكم وما تحدثون به أنفسكم. ﴿٣٤﴾ يبين الله

تعالى أنه أمر الملائكة بالسجود لآدم سجود تقدير واحترام، فسجدوا مسارعين لامثال أمر الله، ألا ما كان من إبليس الذي كان من الجن. فامتنع اعتراضاً على أمر الله له بالسجود وتكبُّراً على آدم، فصار بذلك من الكافرين بالله تعالى. ﴿٣٥﴾ قلنا: يا آدم اسكن أنت وزوجك - حواء - الجنة، وكلا منها أكلاً هنيئاً واسعاً لا منقُص فيه، في أي مكان من الجنة، وإياكما أن تقربا هذه الشجرة التي نهيتكما عن الأكل منها، فتكونا من الظالمين بعصيان ما أمرتكم به. ﴿٣٦﴾ فلم يزل الشيطان يوسوس لهما ويزين: حتى أوقعهما في الزلل والخطيئة بالأكل من تلك الشجرة التي نهاهما الله عنها، فكان جزاؤهما أن أخرجهما الله من الجنة التي كانا فيها، وقال الله لهما وللشيطان: انزلوا إلى الأرض، بعضكم أعداء بعض، ولكم في تلك الأرض استقرار وبقاء ومَتَّعَ بما فيها من خيرات إلى أن تنتهي أجالكم. وتقوم الساعة. ﴿٣٧﴾ فأخذ آدم ما أنقى الله إليه من كلمات، وألهمه الدعاء بهن، وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (الأعراف: ٢٣)، فقبل الله توبته، وغفر له، فهو سبحانه كثير التوبة على عباده، رحيم بهم.

﴿٣٨﴾ من قولها: الْكَاثِبِ

- الواجب على المؤمن إذا خفيت عليه حكمة الله في بعض خلقه وأمره أن يسلم لله في خلقه وأمره.
- رَفَعَ القرآن الكريم منزلة العلم، وجعله سبيلاً للتفصيل بين الخلق.
- الْكِبْرُ هو رأس المعاصي، وأساس كل بلاء ينزل بالخلق، وهو أول معصية عُصِيَ الله بها.



قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ تَبِعَ  
هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا  
وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٩﴾  
يٰٓبَنِي إِسْرَءِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي  
أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَأَرْحَبُكُمْ ﴿٣٠﴾ وَعَٰمِلُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا  
لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي  
ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَاتَقُونِ ﴿٣١﴾ وَلَا تَلْسُوا الْحَقَّ بِالْبُطْلِ وَتَكْتُمُوا  
الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ وَأَقِمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ  
وَارْكَعُوا مَعَ الرَّٰكِعِينَ ﴿٣٣﴾ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ  
وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٤﴾  
وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَٰشِعِينَ  
الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٣٥﴾  
يٰٓبَنِي إِسْرَءِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ  
عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْعًا  
وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٧﴾

﴿٢٨﴾ قلنا لهم: انزلوا جميعًا من الجنة إلى الأرض، فإن جاءكم هداية على أيدي راسلي، فمن اتبعها وآمن براسلي فلا خوف عليهم في الآخرة، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من الدنيا. ﴿٢٩﴾ وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا؛ فأولئك هم أصحاب النار، لا يخرجون منها أبدًا.

﴿٣٠﴾ يا أبناء نبي الله يعقوب تذكروا نعم الله المتتالية عليكم واشكروها، والتزموا بالوفاء بعهدي إليكم؛ من الإيمان بي وبراسلي، والعمل بشرائعي، فإن وفيتكم به أوفيت بعهدي لكم فيما وعدتكم به؛ من الحياة الطيبة في الدنيا، والجزاء الحسن يوم القيامة، وإياي وحدي فخافوني ولا تنقضوا عهدي.

﴿٣١﴾ وآمنوا بالقرآن الذي أنزلته على محمد ﷺ موافقًا لما جاء في التوراة قبل تحريرها في شأن توحيد الله، ونبوة محمد ﷺ، واحذروا من أن تكونوا أول فريق يكفر به، ولا تستبدلوا بآياتي التي أنزلتها ثمنًا قليلًا من جاه ورياسة، واتقوا غضبي وعذابي.

﴿٣٢﴾ ولا تخطئوا الحق - الذي أنزلته على راسلي - بما تقترون من أكاذيب، ولا تكتُموا الحق الذي جاء في كتبكم من صفة محمد ﷺ، مع علمكم به وقيمتكم منه.

﴿٣٣﴾ وآدوا الصلاة تامة بأركانها وواجباتها وسننها، وأخرجوا زكاة أموالكم التي جعلها الله في أيديكم، واخضعوا لله مع الخاضعين له من أمة محمد ﷺ.

﴿٣٤﴾ ما أقبح أن تأمروا غيركم بالإيمان وفعل الخير، وتعرضوا أنتم عنه ناسين أنفسكم.

﴿٣٥﴾ وأنتم تقرؤون التوراة، عالمين بما فيها من الأمر باتباع دين الله، وتصديق رسله، أفلا تنتفعون بعقولكم؟ واطلبوا العون على كل أحوالكم الدينية والدنيوية؛ بالصبر وبالصلاة التي تقرّبكم إلى الله وتصلكم به، فيعينكم ويحفظكم ويذهب ما بكم من ضرر، وإن الصلاة لشاقة وعظيمة إلا على الخاضعين لربهم.

﴿٣٦﴾ وذلك لأنهم هم الذين يوقنون أنهم واردون على ربهم وملاقوه يوم القيامة، وأنهم إليه راجعون ليجازيهم على أعمالهم. ﴿٣٧﴾ يا أبناء نبي الله يعقوب، اذكروا نعمي الدينية والدنيوية التي أنعمت بها عليكم، واذكروا أنني فضلتكم على أهل زمانكم المعاصرين لكم بالنبوة والملك.

﴿٣٨﴾ واجعلوا بينكم وبين عذاب يوم القيامة وقاية بفعل الأوامر وترك النواهي، ذلك اليوم الذي لا تغني فيه نفس عن نفس شيئًا، ولا تُقبل فيه شفاعة أحد بدفع ضرر أو جلب نفع إلا بإذن من الله. ولا يؤخذ فداء ولو كان ملاء الأرض ذهبًا، ولا ناصر لهم في ذلك اليوم، فإذا لم ينفع شافع ولا فداء ولا ناصر، فإن المضر؟

من قوايد الآيات.

● من أعظم الخذلان أن يأمر الإنسان غيره بالبر، وينسى نفسه.

● الصبر والصلاة من أعظم ما يعين العبد في شؤونه كلها.

● في يوم القيامة لا يدفع العذاب عن المرء الشقاء ولا الفداء، ولا ينقذه إلا عمله الصالح.



وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ  
يُذَيِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ  
مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ٤٩ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ  
وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ٥٠ وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى  
أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ أَخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ  
٥١ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ٥٢  
وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ٥٣  
وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَقَوْمِ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ لِنَفْسِكُمْ بِأَتَاخِذِكُمْ  
الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ  
خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ  
الرَّحِيمُ ٥٤ وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ  
جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ٥٥ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ  
مِّنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ٥٦ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ  
الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ  
مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ٥٧

٤٩) واذكروا يا بني إسرائيل حين  
أنقذناكم من أتباع فرعون الذين  
كانوا يذيقونكم أصناف العذاب؛  
حيث يقتلون أبناءكم ذبحاً، حتى لا  
يكون لكم بقاء، ويتركون بناتكم أحياءً  
حتى يكن نساء ليعذبهم؛ إمعاناً في  
إذلالكم وإهانتكم. وفي إنجائكم من  
بطش فرعون وأتباعه اختبار عظيم  
من ربكم؛ لعلكم تشكرون.

٥٠) واذكروا من نعمنا عليكم  
أن شققنا لكم البحر فجعلناه طريقاً  
يأساً تسيرون فيه، فأنجيناكم،  
وأغرقنا عدوكم فرعون وأتباعه  
أمام أعينكم وأنتم تنظرون إليهم.

٥١) واذكروا من هذه النعم  
مواعدتنا موسى أربعين ليلة ليتم  
فيها إنزال التوراة نوراً وهدي، ثم ما  
كان منكم إلا أن عيذتم العجل في تلك  
المدة، وأنتم ظالمون بفعلكم هذا.  
٥٢) ثم تجاوزنا عنكم بعد توبتكم،  
فلم نؤاخذكم لعلكم تشكرون الله  
بحسن عبادته وطاعته.

٥٣) واذكروا من هذه النعم أن آتينا  
موسى ﷺ التوراة فرقاناً بين  
الحق والباطل وتمييزاً بين الهدى  
والضلال لعلكم تهتدون بها إلى الحق.

٥٤) واذكروا من هذه النعم  
أن وفقكم الله للتوبة من عبادة العجل،  
حيث قال موسى ﷺ لكم: إنكم  
ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل إلهاً  
تعبدونه، فتوبوا وارجعوا إلى خالقكم  
وموجدكم، وذلك بأن يقتل بعضكم  
بعضاً؛ والتوبة على هذا النحو خير  
لكم من التماذي في الكفر المؤدي إلى  
الخلود في النار، فقمتم بذلك بتوفيق  
من الله وإعانة، فتاب عليكم؛ لأنه كثير

التوبة رحيم بعباده.

٥٥) واذكروا حين قال آباؤكم مخاطبين موسى ﷺ بجرأة: لن نؤمن لك حتى نرى الله عياناً لا يُخجِب عنا، فأخذتكم النار المحرقة،  
فقتلكم وبعضكم ينظر إلى بعض.

٥٦) ثم أحييناكم بعد موتكم لعلكم تشكرون الله على إنعامه عليكم بذلك.

٥٧) ومن نعمنا عليكم أن أرسلنا السحاب يظللكم من حر الشمس لما تهتّم في الأرض، وأنزلنا عليكم من نعمنا شرباً حلواً مثل  
العسل، وطائراً صغيراً طيب اللحم يشبه السماني، وقلنا لكم: كلوا من طيبات ما رزقناكم. وما نقصونا شيئاً بجحدهم هذه النعم  
وكفرانها، ولكن ظلموا أنفسهم بنقص حظها من الثواب وتمريضها للعقاب.

من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- عظم نعم الله وكثرتها على بني إسرائيل، ومع هذا لم تزدهم إلا تكبراً وعناداً.
- سعة حلم الله تعالى ورحمته بعباده، وإن عظمت ذنوبهم.
- الوحي هو الفيصل بين الحق والباطل.



وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ وَإِذْ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كَلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْتِ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهَبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَآسَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءَ وَبِغَضِبِ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾

اللَّهُ أَنْ يَخْرِجَ لَكُمْ مِنْ بَنَاتِ الْأَرْضِ مِنْ بَقْلِهَا وَخَضِرِهَا وَقِثَّائِهَا (بشبه الخيار لكنه أكبر) وحبوبها وعدسها وبصلها؛ طعامًا؛ فقال موسى ﷺ - مستنكرًا طلبكم: أَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَقْلُ وَأَدْنَى بِالْمَنْ وَالسَّلْوَى، وهو خير وأكرم، وقد كان يأتيكم دون عناء وتعب -؛ أنزلوا من هذه الأرض إلى أي قرية، فستجدون ما سألتهم في حقولها وأسواقها. وياتباعهم لأهوائهم وإعراضهم المتكرر عما اختاره الله لهم؛ لآزمهم الهوان والفقر والبؤس، ورجعوا بغضب من الله؛ لإعراضهم عن دينه، وكفرهم بآياته، وقتلهم أنبياءه ظلماً وعدواناً؛ كل ذلك بسبب أنهم عصوا الله وكانوا يتجاوزون حدوده.

● مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- كل من يتلاعب بنصوص الشرع ويحرفها فيه شبهة من اليهود، وهو مُتَوَعَّدُ بعقوبة الله تعالى.
- عظم فضل الله تعالى على بني إسرائيل، وفي مقابل ذلك شدة جحودهم وعنادهم وإعراضهم عن الله وشرعه.
- أن من شؤم المعاصي وتجاوز حدود الله تعالى ما ينزل بالمرء من الذل والهوان، وتسلط الأعداء عليه.

﴿٥٨﴾ واذكروا من نعم الله عليكم حين قلنا لكم: ادخلوا بيت المقدس، وكلوا مما فيه من الطيبات من أي مكان شئتم أكلاً هنيئاً واسعاً، وكونوا في دخولكم راكمين خاضعين لله، واسألوا الله قائلين: ربنا حطّ عنا ذنوبنا؛ نستجب لكم، وسنزيد الذين أحسنوا في أعمالهم ثواباً على إحسانهم.

﴿٥٩﴾ فما كان من الذين ظلموا منهم إلا أن بدلوا العمل، وحرفوا القول، فدخلوا يضحون على أدبارهم، وقالوا: حبة في شعرة، مستهزئين بأمر الله تعالى؛ فكان الجزاء أن أنزل الله على الظالمين منهم عذاباً من السماء بسبب خروجهم عن حد الشرع ومخالفة الأمر.

﴿٦٠﴾ واذكروا من نعم الله عليكم لما كنتم في الثَّيِّه، ونالكم العطش الشديد، فتضرع موسى ﷺ إلى ربه وسأله أن يسقيكم؛ فأمرناه أن يضرب بعصاه الحجر؛ فلما ضربه تفجرت منه اثنتا عشرة عينا بعدد قبائلكم، وانبعث منها الماء، وبيتنا لكل قبيلة مكان شربها الخاص بها، حتى لا يقع نزاع بينهم، وقلنا لكم: كلوا واشربوا من رزق الله الذي ساقه إليكم بغير جهد منكم ولا عمل، ولا تسعوا في الأرض مفسدين فيها.

﴿٦١﴾ واذكروا حين كفرتم نعمة ربكم فقللتم من أكل ما أنزل الله عليكم مِنَ السَّلْوَى، وقتلتم؛ لن نصبر على طعام واحد لا يتغير، فطلبتم من موسى ﷺ أن يدعو



إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلُوا صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا ءَاتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَادْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِمَّنْ بَعْدَ ذَلِكَ قَلِيلًا فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ ءَعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُفُّوا قِرْدَةً خَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانُ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنَهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفَرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴿٦٩﴾

١٠

تذكرة للمتقين الذين يخافون عقاب الله وانتقامه ممن يتعدى حدوده.

﴿٦٧﴾ واذكروا من خبر أسلافكم ما جرى بينهم وبين موسى ﷺ، حيث أخبرهم بأمر الله لهم أن يذبحوا بقرة من البقر، فبدلاً من المسارعة قالوا متعتين: أتجعلنا موضعاً للاستهزاء؟ فقال موسى: أعود بالله أن أكون من الذين يكذبون على الله، ويستهنئون بالناس.

﴿٦٨﴾ قالوا لموسى: ادع لنا ربك حتى يبين لنا صفة البقرة التي أمرنا بذبحها، فقال لهم: إن الله يقول: إنها بقرة ليست كبيرة السن ولا صغيرة، ولكن وسط بين ذلك، فبادروا بامتثال أمر ربكم.

﴿٦٩﴾ فاستمروا في جدالهم وتعتنهم قائلين لموسى ﷺ: ادع ربك حتى يبين لنا ما لونها، فقال لهم موسى: إن الله يقول: إنها بقرة صفراء شديدة الصفرة، تعجب كل من ينظر إليها.

﴿٦٩﴾ من قواید آیات

● الحكم المذكور في الآية الأولى لما قبل بعثة النبي ﷺ، وأما بعد بعثته فإن الدين المَرْضِي عند الله هو الإسلام، لا يقبل غيره، كما قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ (آل عمران: ٨٥).

● قد يُعْجَلُ الله العقوبة على بعض المعاصي في الدنيا قبل الآخرة؛ لتكون تذكرة يتعظ بها الناس فيحذروا مخالفة أمر الله تعالى.

● أن من ضيق على نفسه وشدد عليها فيما ورد موسعاً في الشريعة، قد يُعَاقَبُ بالتشديد عليه.

﴿٦٢﴾ إِنَّ مَنْ آمَنَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وكذلك من آمن من الأمم الماضية قبل بعثة محمد ﷺ من يهود ونصارى وصابئة - وهم طائفة من أتباع بعض الأنبياء - من تحقق فيهم الإيمان بالله وباليوم الآخر؛ فلهم ثوابهم عند ربهم، ولا خوف عليهم مما يستقبلونه في الآخرة، ولا يحزنون على ما فاتهم من الدنيا.

﴿٦٣﴾ واذكروا ما أخذنا عليكم من العهد المؤكد، من الإيمان بالله ورسله، ورفعنا الجبل فوقكم تخويفاً لكم وتحذيراً من ترك العمل بالعهد، أمرين لكم بأخذ ما أنزلنا عليكم من التوراة بجد واجتهاد، دون تهاون وكسل، واحفظوا ما فيه وتدبروه؛ لعلكم بفعل ذلك تتقون عذاب الله تعالى.

﴿٦٤﴾ فما كان منكم إلا أن أعرضتم وعصيتم بعد أخذ العهد المؤكد عليكم، ولولا فضل الله عليكم بالتجاوز عنكم، ورحمته بقبول توبتكم؛ لكنتم من الخاسرين بسبب ذلك الإعراض والعصيان. ﴿٦٥﴾ ولقد علمتم خبر أسلافكم علماً لا لبس فيه؛ حيث اعتدوا بالصيد يوم السبت الذي حُرِّم عليهم الصيد فيه، فاحتالوا على ذلك بنصب الشباك قبل يوم السبت، واستخرجوها يوم الأحد؛ فجعل الله هؤلاء المتحايلين قردة منبوذين عقوبة لهم على تحايلهم. ﴿٦٦﴾ فجعلنا هذه القرية المعتدية عبرة لما جاورها من القرى، وعبرة لمن يأتي بعدها؛ حتى لا يعمل بعمليها فيستحق عقوبتها، وجعلناها



(٧١) ثُمَّ تَمَادَوْا فِي تَعْتُهُمْ قَاتِلِينَ: ادْعُوا لَنَا رَبَّكَ حَتَّى يَبَيِّنَ لَنَا مَزِيدًا مِنْ صِفَاتِهَا: لِأَنَّ الْبَقَرَ الْمُتَصِفَ بِالصِّمَاتِ الْمَذْكُورَةِ كَثِيرٌ لَا يَسْتَطِيعُ تَعْنِينَهَا مِنْ يَبِيهَا مُؤَكِّدِينَ أَنَّهُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَهْتَدُونَ إِلَى الْبَقَرَةِ الْمَطْلُوبِ ذَبْحِهَا. (٧٢) فَقَالَ لَهُمْ مُوسَى: إِنْ اللَّهُ يَقُولُ: إِنَّ صِفَةَ هَذِهِ الْبَقَرَةِ أَهْمَا عِزٍّ مَدْلُوهٍ بِالْعَمَلِ فِي الْحَرَاةِ، وَلَا فِي سِقَايَةِ الْأَرْضِ، وَهِيَ سَالِمَةٌ مِنَ الْعِيُوبِ، لَيْسَ فِيهَا عَلَامَةٌ مِنْ لَوْنٍ آخَرَ غَيْرَ لَوْنِهَا الْأَصْفَرِ، وَعِنْدُنَا قَالُوا: الْآنَ جِئْتُ بِالْوَصْفِ الدَّقِيقِ الَّذِي يَبَيِّنُ الْبَقَرَةَ تَامًّا، وَذَبْحُهَا بَعْدَ أَنْ أَوْشَكُوا، أَلَا يَذْبَحُوهَا بِسَبَبِ الْحَدَالِ وَالْعَفْتِ.

(٧٣) وَادْكُرُوا حِينَ قَتَلْتُمْ وَاحِدًا مِنْكُمْ فَتَدَاخَلْتُمْ، كُلٌّ يَدْفَعُ عَنْ نَفْسِهِ تَهْمَةَ الْقَتْلِ، وَيُرْمِي بِهَا غَيْرَهُ، حَتَّى تَنَازَعْتُمْ، وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَخْمُومُهُ مِنْ قَتْلِ ذَلِكَ الْبَرِيِّ.

(٧٤) قَتَلْنَا لَكُمْ، أَضْرَبُوا الْقَتِيلَ بِحَرْزٍ مِنَ الْبَقَرَةِ الَّتِي أَمَرْتُمْ بِذَبْحِهَا؛ فَإِنَّ اللَّهَ سَيُجِيبُهُ لِيُخَبِّرَ مَنْ الْقَاتِلِ أَفْعَلُوا ذَلِكَ فَأَخْبَرَ بِقَاتِلِهِ، وَمَثَلِ أَحْيَاءِ هَذَا الْمَيِّتِ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيُرِيكُمْ الدَّلَائِلَ الْبَيِّنَةَ عَلَى قُدْرَتِهِ، لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَهَا فَتُؤْمِنُونَ حَقًّا بِاللَّهِ تَعَالَى.

(٧٥) ثُمَّ قَسَيْتُ قُلُوبَكُمْ مِنْ بَعْدِ هَذِهِ الْمَوَاعِظِ الْبَلِيغَةِ وَالْمَعْرَاضَاتِ الْبَاهِرَةِ، حَتَّى صَارَتْ مِثْلَ الْحَجَارَةِ، بَلْ أَشَدَّ صَلَاحَةً مِنْهَا؛ فَهِيَ لَا تَتَحَوَّلُ عَنْ حَالِهَا أَبَدًا، وَأَمَّا الْحَجَارَةُ فَتَتَغَيَّرُ وَتَتَحَوَّلُ، فَإِنْ مِنَ الْحَجَارَةِ مَا يَنْتَفِجُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ، وَإِنْ مِنْهَا لَمَّا يَتَشَقَّقُ فَيُخْرِجُ مِنْهُ الْمَاءَ يَنْابِيعَ حَارِيَّةٍ فِي الْأَرْضِ، يَنْتَمِعُ بِهَا النَّاسُ وَالْأَنْبَاءُ، وَمِنْهَا مَا يَسْقُطُ مِنْ أَعَالِي الْجِبَالِ خَشْيَةً مِنَ اللَّهِ وَرَهْبَةً، وَلَيْسَتْ كَذَلِكَ قُلُوبُكُمْ، وَمَا اللَّهُ بِعَاقِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ.

(٧٦) أَمَّا هَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنُونَ بَعْدَ أَنْ عَلِمْتُمْ حَقِيقَةَ حَالِ الْيَهُودِ وَعِنَادِهِمْ أَنْ يُؤْمِنُوا، وَيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ؟ وَقَدْ كَانَ جَمَاعَةٌ مِنْ عِلْمَائِهِمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ الْمُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ فِي التَّوْرَةِ، ثُمَّ يَعْتَرُونَ أَفْطَاطَهَا وَمَعَابِيَهَا بَعْدَ فَهْمِهِمْ لَهَا وَمَعْرِفَتِهِمْ بِهَا، وَهُمْ يَعْلَمُونَ عِظَمَ جُرْمِهِمْ.

(٧٧) مِنْ تَنَاقُضَاتِ الْيَهُودِ وَمَكْرِهِمْ أَنَّهُمْ إِذَا لَقِيَ بَعْضُهُمُ الْمُؤْمِنِينَ اعْتَرَفُوا لَهُمْ بِصَدَقِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ وَصَحَّةِ رِسَالَتِهِ وَهُوَ مَا تَشْهَدُ لَهُ التَّوْرَةُ، وَلَكِنْ حِينَ يَخْلُو الْيَهُودُ بَعْضُهُمْ بَعْضٌ يَتْلَاوَمُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ سَبَبَ هَذِهِ الْأَعْرَافَاتِ: لِأَنَّ الْمُسْلِمِينَ يَقْضُونَ عَلَيْهِمْ نَهَا الْحُجَّةِ فِيمَا صَدَرَ عَنْهُمْ مِنَ الْإِعْرَافِ بِصَدَقِ النَّبِيِّ.

مِنْ قَوْلِهِ: لَا تَنْتَفِعُونَ

- أَنْ بَعْضُ قُلُوبِ الْعِبَادِ أَشَدَّ قَسْوَةً مِنَ الْحَجَارَةِ الصَّلْبَةِ: فَلَا تَلِينُ لِمَوْعِظَةٍ، وَلَا تَرْتَقُ لَذِكْرِي.
- أَنْ الدَّلَائِلَ وَالْبَيِّنَاتِ - وَإِنْ عَظُمَتْ - لَا تَنْتَفِعُ إِنْ لَمْ يَكُنِ الْقَلْبُ مُسْتَسْلِمًا خَاشِعًا لِلَّهِ.
- كَشَفَتْ الْآيَاتُ حَقِيقَةَ مَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ أَنْفُسُ الْيَهُودِ، حَيْثُ تَوَارَتْهُوا الرُّعُونَ وَالْخُدَاعَ وَالتَّلَاعِبَ بِالْأَدِينِ.

قَالُوا أَدْعُ لِنَارِكَ يَبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنْ الْبَقَرَةُ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا  
إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمَهْتَدُونَ (٧٢) قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَذُلُورُ  
تُشِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيشَةَ فِيهَا قَالُوا  
الَّتِي جِئْتُ بِالْحَقِّ فَذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ (٧٣) وَإِذْ  
قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادْرَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ  
(٧٤) فَقُلْنَا أَضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ  
آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٧٥) ثُمَّ قَسَيْتُ قُلُوبَكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ  
فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنْ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ  
مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنْ  
مِنْهَا لَمَّا يَنْهَيْطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ  
(٧٦) \* أَفْطَمْعُونِ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ  
يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ  
يَعْلَمُونَ (٧٧) وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا  
خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ  
عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٧٨)



﴿٧٧﴾ هؤلاء اليهود يسلكون هذا المسلك المشين وكأنهم يعملون عن أن الله يعلم ما يخفون من أقوالهم وأفعالهم وما يعلنون منها، وسيظهرها لعباده ويفضحهم.

﴿٧٨﴾ ومن اليهود طائفة، لا يعملون التوراة إلا تلاوة، ولا يفهمون ما دلت عليه، وليس معهم إلا أكاذيب أخذوها من كبارهم، يظنون أنها التوراة التي أنزلها الله.

﴿٧٩﴾ فهلاك وعذاب شديد ينتظر هؤلاء الذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون كذباً : هذا من عند الله؛ ليستبدلوا بالحق واتباع الهدى ثمنًا زهيدًا في الدنيا، مثل المال والرئاسة، فهلاك وعذاب شديد لهم على ما كتيبه أيديهم مما يكذبون به على الله، وهلاك وعذاب شديد لهم على ما يكسبونه من وراء ذلك من مال ورئاسة.

﴿٨٠﴾ وقالوا كذبًا وغرورًا : لن تمسنا النار ولن ندخلها إلا أيامًا قليلة، قل أيها النبي هؤلاء هل أخذتم على ذلك وعدًا مؤكداً من الله؟ فإن كان لكم ذلك؛ فإن الله لا يخلف وعده، أو أنكم تقولون على الله كذبًا وزورًا ما لا تعلمون؟

﴿٨١﴾ ليس الأمر كما يتوهم هؤلاء، فإن الله يعذب كل من كسب سيئة الكفر، وأحاطت به دنوبه من كل جانب؛ ويجازيهم بدخول النار وملازماتها، ما كثر فيها أذى.

﴿٨٢﴾ والذين آمنوا بالله ورسوله، وعملوا الأعمال الصالحة، ثوابهم عند الله دخول الجنة وملازماتها، ما كثر فيها أذى.

﴿٨٣﴾ واذكروا - يا بني إسرائيل -

أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾  
وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنَّهُمْ  
إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُوبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ  
ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا  
فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ  
﴿٧٩﴾ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ  
أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ  
تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً  
وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ  
فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ  
أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا  
مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ  
إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا  
لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ  
تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾

العهد المؤكد الذي أخذناه عليكم، بأن توحيدوا الله ولا تعبدوا معه غيره، وبأن تحسنوا إلى الوالدين والأقارب واليتامى والمساكين المحتاجين، وبأن تقولوا للناس كلاماً حسناً، أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر بلا غلظة وشدة، وبأن تؤدوا الصلاة تامة على نحو ما أمرتكم، وبأن تؤتوا الزكاة بصرفها لمستحقها طيبة بها أنفسكم، ثم بعد هذا العهد الذي أخذ عليكم ابصره من معرضين عن الوفاء به إلا من عصمه الله منكم، فوفى الله بعهده وميثاقه.

• من فوائده الآيات،

- بعض أهل الكتاب يدعي العلم بما أنزل الله، والحقيقة أن لا علم له بما أنزل الله، وإنما هو الوهم والجهل.
- من أعظم الناس إثماً من يكذب على الله تعالى ورسوله : فينسب إليهم ما لم يكن منهم.
- مع عظم الموثيق التي أخذها الله تعالى على اليهود وشدة التأكيد عليها، لم يرددهم ذلك إلا إعراضاً عنها ورفضاً لها.



﴿٨٤﴾ واذكروا العهد المؤكد الذي أخذناه عليكم في التوراة من تحريم إراقة بعضكم دماء بعض، وتحريم إخراج بعضكم بعضاً من ديارهم، ثم اعرفهم بما أخذناه عليكم من عهد بذلك، وأنتم تشهدون على صحتة.

﴿٨٥﴾ ثم أنتم تخالفون هذا العهد: فيقتل بعضكم بعضاً، وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم مستعنيين عليهم بالأعداء ظلماً وعدواناً، وإذا جاؤكم أسرى في أيدي الأعداء سعيتم في دفع الندية لتخليصهم من أسرهم، مع أن إخراجهم من ديارهم محرم عليكم. فكيف تؤمنون ببعض ما في التوراة من وجوب فداء الأسرى، وتكفرون ببعض ما فيها من صيانة الدماء ومنع إخراج بعضكم بعضاً من ديارهم؟! فليس لدي فعل ذلك منكم جراً إلا الذل والمهانة في الحياة الدنيا، أما في الآخرة فإنه يزد إلى أشد العذاب، وليس الله بعاقل عما تعملون، بل هو مطلع عليه، وسيجازيكم به.

﴿٨٦﴾ أولئك الذين استبدلوا الحياة الدنيا بالآخرة، إشاراً للفاني على الباقي، فلا يخفف عنهم العذاب في الآخرة، وليس لهم ناصر ينصرهم يومئذ.

﴿٨٧﴾ ولقد أتينا موسى التوراة، وأتبعناه برسل من بعده على أثره، وأتينا عيسى ابن مريم بالإنجيل الواسعة المبيّنة لصدقه، كإحياء الموتى، وإبراء من وُلد أعمى، وإبراء الأبرص، وقوّيتاه بالملك جبريل عليه السلام، أفكلما جاءكم يا بني إسرائيل رسول من عند الله بما لا يوافق أهواءكم استكبرتم على الحق،

وتمالئتم على رسل الله؛ ففريقاً منهم تكذبون، وفريقاً تقتلون؟!

﴿٨٨﴾ لقد كانت حجة اليهود في عدم اتباع محمد ﷺ قولهم: إن قلوبنا مغلقة لا يصل إليها شيء مما تقول ولا تفهمه، وليس الحال كما زعموا، بل طردهم الله من رحمته بكفرهم فلا يؤمنون إلا بقليل مما أنزل الله.

﴿٨٩﴾ من قوادر الآيات،

- من أعظم الكفر: الإيمان ببعض ما أنزل الله والكفر ببعضه: لأن فاعل ذلك قد حمل إليه هواه.
- عظم ما طعه اليهود من العناد، واتباع الهوى، والتلاعب بما أنزل الله تعالى.
- فضل الله تعالى ورحمته بخلقه، حيث تابع عليهم إرسال الرسل وإنزال الكتب لهدايتهم للرشاد.
- أن الله يعاقب المعرصين عن الهدى المعاندين لأوامره بالطبع على قلوبهم وطردهم من رحمته: فلا يهتدون إلى الحق، ولا يعملون به.

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تَخْرِجُونَ  
أَنفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾  
ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتَخْرِجُونَ فَرِيقًا  
مِّنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ  
وَإِنْ يَأْتُواكُمْ أُسْرَىٰ تَفْدُوهُمْ وَهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ  
إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ  
فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ  
الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ  
بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ  
الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ  
﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ  
بِالرُّسُلِ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْتَ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ  
الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمْ  
اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا  
غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾

﴿٨٨﴾ ولما جاءهم القرآن الكريم من عند الله وهو موافق لما في التوراة والإنجيل في الأصول العامة الصحيحة، وكانوا من قبل نزوله يقولون سننصر على المشركين ونفتح لنا حين يُبعث نبي فنؤمن به وننتبه، فلما جاءهم القرآن ومحمد ﷺ على الصفة التي عرفوها والحق الذي علموه: كفروا به، فلغنة الله على الكافرين بالله ورسوله.

﴿٨٩﴾ بشر الذي استبدلوا به حظ أنفسهم من الإيمان بالله ورسوله، فكفروا بما أنزل الله وكذبوا رسله، ظلمًا وحسدًا سبب إنزال النبوة والقرآن على محمد ﷺ، فاستحقوا غضبًا مضاعفًا من الله تعالى بكفرهم بمحمد ﷺ، وبسبب تحريمهم التوراة من قبل، وللكافرين بنبوة محمد ﷺ عذاب مُدَلٍّ يوم القيامة.

﴿٩٠﴾ وإذا قيل لهؤلاء اليهود: آمنوا بما أنزل الله على رسوله من الحق والهدى، قالوا: نؤمن بما أنزل على أنبيائنا، ويكفرون بما سواه مما أنزل على محمد ﷺ، مع أن هذا القرآن هو الحق الموافق لما لمعهم من الله، ولو كانوا يؤمنون بما أنزل عليهم حقًا لآمنوا بالقرآن: قل أيها النبي جواؤا لهم، لِمَ تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين حقًا بما جاؤوكم به من الحق؟

﴿٩١﴾ ولقد جاءكم رسولكم موسى ﷺ بالآيات الواضحات الدالة على صدقه: ثم بعد ذلك حملتم العجل إليها تعبدونه بعد ذهاب موسى لميقات ربه، وأنتم ظالمون لإشراككم بالله، وهو المستحق للعبادة وحده دون سواه.

وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا أَشْتَرُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَن يُنْزَلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُ وَيَغْضَبُ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا تَأْتُونَنَا بِمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ وَبِغَيْرِهِ كُفْرًا وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ أَخَذْتُمُ الْعَجَلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَأَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ خُذُوا مَاءً آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعَجَلَ يَكْفُرُهُمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾

﴿٩٤﴾ واذكروا حين أخذنا عليكم عهدًا مؤكدًا باتباع موسى ﷺ. وقبول ما جاء به من عند الله، ورفعنا فوقكم الجبل تحويًا لكم، وقلنا لكم: خذوا ما آتيناكم من التوراة بجد واجتهاد، واسمعوا سماع قبول وانقياد. وإلا أسقطنا الجبل عليكم، فقلتم: سمعنا بأذننا وعصينا بأفعالنا. وتمككت عبادة العجل في قلوبهم بسبب كفرهم. قل أيها النبي: بشر الذي يأمركم به هذا الإيمان من الكفر بالله إن كنتم مؤمنين: لأن الإيمان الحق لا يكون معه كفر.

• من قواي: آيات.

- اليهود أعظم الناس حسدًا: إذ حملهم حسدهم على الكفر بالله وردّ ما أنزل، بسبب أن الرسول ﷺ لم يكن منهم.
- أو الإيمان الحق بالله تعالى يوجب التصديق بكل ما أنزل من كتب، وبجميع ما أرسل من رسل.
- من أعظم الظلم الإعراض عن الحق والهدى بعد معرفته وقيام الأدلة عليه.
- من عادة اليهود نقض العهود والمواثيق، وهذا ديدنهم إلى اليوم.



قُلْ إِنْ كُنْتُمْ لَكُمْ دَارُ الْآخِرَةِ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ  
 دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَنْ  
 يَتَمَنَّوَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ  
 ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا  
 يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحِّزٍ مِنْ  
 الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قُلْ مَنْ  
 كَانَ عَدُوًّا لِلْجَبْرِيلِ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ  
 اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ  
 ﴿٩٧﴾ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ  
 وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا  
 إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴿٩٩﴾  
 أَوْ كَلَّمَآ عَاهِدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ  
 لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ  
 لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ  
 كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْمَلُونَ ﴿١٠١﴾

﴿٩٤﴾ قل - أيها النبي -: إن كانت لكم - يا يهود - الجنة في الدار الآخرة خالصة لا يدخلها غيركم من الناس؛ فتمنوا الموت واطلبوه؛ لتنالوا هذه المنزلة بسرعة، وتستريحوا من أعباء الحياة الدنيا وهمومها، إن كنتم صادقين في دعاكم هذه.

﴿٩٥﴾ ولن يتمنوا الموت أسداً؛ بسبب ما قدموه في حياتهم من الكفر بالله، وتكذيب رسوله، وتعريف كتبه، والله عليهم بالظالمين منهم ومن غيرهم، وسيحازي كلأ بعمله.

﴿٩٦﴾ ولتجدنَّ أيها النبي اليهود أشدَّ الناس حرصاً على الحياة مهما كانت حقيرة ذليلة، بل هم أحرص من المشركين الذين لا يؤمنون بالبعث والحساب، ومع كونهم أهل كتاب، ويؤمنون بالبعث والحساب؛ فإن الواحد منهم يحب أن يبلغ عمره ألف سنة، وليس بمُعَدٍّ عن عذاب الله طول عمره مهما بلغ، والله مطلع على أعمالهم بصير بها، لا يحضى عليه منها شيء، وسيحازيهم بها.

﴿٩٧﴾ قل أيها النبي لمن قال من اليهود: «إن جبريل عدونا من الملائكة» من كان معادياً لجبريل فإنه هو الذي نزل بالقرآن على قلبك بإذن من الله، مصدقاً لما سبق من الكتب الإلهية: كالطورا والإنجيل، ودالاً على الخير، ومبشراً للمؤمنين بما أعدّه الله لهم من النعيم، فمن كان معادياً لمن هذه صفته وعمله فهو من الضالين.

﴿٩٨﴾ من كان معادياً لله وملائكته ورسله، ومعادياً للملكين المقربين: جبريل وميكائيل، فإن الله عدو للكافرين منكم ومن غيركم، ومن كان الله عدوه فقد عاد بالخسران المبين.

﴿٩٩﴾ ولقد أنزلنا إليك - أيها النبي - علامات واضحات على صدقك فيما جئت به من النبوة والوحي، وما يكمر بها مع وضوحها وبيانها إلا الخارجون عن دين الله.

﴿١٠٠﴾ ومن سوء حال اليهود أنهم كلما أخذوا على أنفسهم عهداً - ومن حملته الإيمان بما دلت عليه التورا من نبوة محمد ﷺ - بنفسه فريق منهم، بل أكثر هؤلاء اليهود لا يؤمنون بما أنزل الله تعالى حقيقة؛ لأن الإيمان يحمل على الوفاء بالعهد.

﴿١٠١﴾ ولما جاءهم محمد ﷺ رسولاً من عند الله وهو موافق لما هي التورا من صفته، أعرض فريق منهم عما دلت عليه، وطرحوها وراء ظهورهم غير مباليين بها، مشابهين حال الجاهل الذي لا ينتفع بما فيها من الحق والهدى، فلا يبالي بها.

• من هو بين الآيات،

• المؤمن الحق يرجو ما عند الله من النعيم المقيم، ولهذا يصرح بلقاء الله ولا يخشى الموت.

• حرص اليهود على الحياة الدنيا حتى لو كانت حياة حقيرة مهينة غير كريمة.

• أن من عادى أولياء الله المقربين منه فقد عادى الله تعالى.

• إعراض اليهود عن نبوة محمد ﷺ بعدما عرفوا تصديقه لما في أيديهم من التورا.

• أن من لم ينتفع بعلمه صح أن يوصف بالجهل؛ لأنه شابه الجاهل في جهله.

﴿١٦﴾ ولما تركوا دين الله اتبعوا بدلاً عنه ما تتموله الشياطين كذباً على ملك نبي الله سليمان عليه السلام، حيث زعمت أنه ثبت ملكه بالسحر، وما كفر سليمان بتعاطي السحر - كما زعمت اليهود - ولكن الشياطين كفروا حيث كانوا يعلمون الناس السحر، ويعلمونهم السحر الذي أنزل على الملكين: هاروت وماروت، بمدينة بابل بالعراق، امتحاناً وانتلاء للناس، وما كان هذان الملكان يعلمان أي أحد السحر حتى يحدثاه ويبيتا له بقولهما: إنما نحن ابتلاء وامتحان للناس فلا تكفر بتعلمك السحر، فمن لم يقبل نصيحتهما تعلم منهما السحر، ومنه نوع يفرق بين الرجل وروجه. نزرع البغضاء بينهما، وما يضر أولئك السحرة أي أحد إلا بإذن الله ومشيتته، ويتعلمون ما يصرهم ولا ينفعهم، ولقد علم أولئك اليهود أن من استبدل السحر بكتاب الله ما له في الآخرة من حظ ولا نصيب، ولبس ما باعوا به أنفسهم حيث استبدلوا السحر بوحى الله وشرعه، ولو كانوا يعلمون ما ينفعهم ما أقدموا على هذا العمل المشين والضلال المبين. ﴿١٧﴾ ولو أن اليهود آمنوا بالله حقاً، واتقوه بفعل طاعته وترك معصيته؛ لكان ثواب الله حيزاً لهم مما هم عليه، لو كانوا يعلمون ما ينفعهم.

﴿١٨﴾ يوجه الله تعالى المؤمنين إلى حسن اختيار الألفاظ قائلًا لهم: يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا كلمة ﴿زاعناً﴾؛ أي: راع أحوالنا؛ لأن اليهود يعرفونها ويخاطبون بها النبي صلى الله عليه وسلم، يقصدون بها معنى فاسداً وهو الرعونة، فتهدى الله عن هذه

وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَائِكِينَ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٧﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا ۚ وَأَسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ ۖ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٠﴾

الكلمة سداً لهذا الباب، وأمر عباده أن يقولوا بدلاً عنها: ﴿انظُرْنَا﴾. أي: انتظرنا نفهم عنك ما تقول، وهي كلمة تؤدي المعنى بلا محذور. وللکافرين بالله عذاب مؤلّم موجه.

﴿٢١﴾ ما يحب الكفار - أيًا كانوا: أهل كتاب أو مشركين - أن يُنَزَّلَ عليكم أي خير من ربكم، قليلاً كان أو كثيراً، والله يختص برحمته من النبوة والوحي والإيمان من يشاء من عباده، والله صاحب الفضل العظيم، فلا خير ينال أحداً من الخلق إلا منه، ومن فضله نُفِثَ الرسول وأنزل الكتاب.

من فوائد الآيات،

- سوء أدب اليهود مع أنبياء الله حيث نسبوا إلى سليمان عليه السلام تعاطي السحر، فبرأه الله منه، وأكذبهم في رعمهم.
- أن السحر له حقيقة وتأثير في العقول والأبدان، والساحر كافر، وحكمه القتل.
- لا يقع في ملك الله تعالى شيء من الخير والشر إلا بإذنه وعلمه تعالى.
- سد الذرائع من مقاصد الشريعة، فكل قول أو فعل يوهم أموراً فاسدة يجب تحنبه والبعد عنه.
- أن الفضل بيد الله تعالى وهو الذي يختص به من يشاء برحمته وحكمته.



سورة

﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ ﴿١٧﴾ أَمْ تَرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سَأَلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِدِلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٨﴾ وَكَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِمَّنْ عِنْدَ أَنْفُسِهِمْ مِمَّنْ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢١﴾ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٢﴾

﴿١٧﴾ يبين الله تعالى أنه حين يرفع حكم آية من القرآن أو يرفع لفظها فبما شاء الناس، فإنه سبحانه يأتي بما هو أنفع منها في العاجل والآجل، أو بما هو مماثل لها، وذلك يعلم الله وحكمته، وأنت تعلم أيها النبي أن الله على كل شيء قدير، فيفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد.

﴿١٨﴾ قد علمت أيها النبي أن الله هو مالك السماوات والأرض، يحكم ما يريد، فيأمر عباده بما شاء، وينهاهم عما شاء، ويُقرّر من الشرع ما شاء وينسخ ما شاء، وما لكم بعد الله من ولي يتولى أموركم، ولا نصير يدفع عنكم الضر، بل الله هو ولي ذلك كله والقادر عليه.

﴿١٩﴾ ليس من شأنكم أيها المؤمنون - أن تسألوا رسولكم - سؤال اعتراض وتعت - كما سأل قوم موسى ببيهم من قبل - قلولهم ﴿أَرَأَيْتَ اللَّهُ حَزَنٌ﴾ (النساء: ١٥٢)، ومن يستبدل الكفر بالإيمان فقد ضل عن الطريق الوسط الذي هو الصراط المستقيم. ﴿٢٠﴾ تعنى كثير من اليهود والنصارى أن يردوكم من بعد إيمانكم كما رأوا كما كنتم تعبدون الأوثان، بسبب الحسد الذي في أنفسهم، يتعنون ذلك بعدما تبين لهم أن الذي جاء به النبي حق من الله، فاعفوا أيها المؤمنون عن أفعالهم، وتحاوروا عن جهلهم وسوء ما في نفوسهم، حتى يأتي حكم الله فيهم - وقد أتى أمر الله هذا وحكمه، فكان الكافر يُحَيَّر بين الإسلام أو دفع الجزية أو القتال - إن الله على كل شيء قدير، فلا يعجزونه. ثم بعد أمر الله تعالى المؤمنين

بالصبر على الأذى أمرهم بالثبات على دينهم، وتقوية إيمانهم: فقال:

﴿٢١﴾ اتّو: لصلاة تامة بأركانها وواجباتها وسننها، وأحرقوا ركة أموالكم إلى مستحقها، ومهما تعملوا من عمل صالح في حياتكم، فتقدموه قبل مماتكم ذخراً لأنفسكم؛ تحدوا ثوابه عند ربكم يوم القيامة، فيحاريكم به، إن الله بما تعملون بصير فيحاري كلاً بعمله.

﴿٢٢﴾ وقالت كل طائفة من اليهود والنصارى إن الجنة خاصة بهم، فقال اليهود، لن يدخلها إلا من كان يهودياً، وقال النصارى: لن يدخلها إلا من كان نصرانياً، تلك أمانيتهم الباطلة وأوهامهم الفاسدة، قل أيها النبي راداً عليهم. هاتوا حجتكم على ما تزعمون إن كنتم صادقين حقاً في دعاوكم.

﴿٢٣﴾ إنما يدخل الجنة كل من أحلص لله وجهها إليه، وهو مع إخلاصه محسنٌ في عبادته باتِّباع ما جاء به الرسول، فذاك الذي يدخل الجنة من أي طائفة كان، وله ثوابه عند ربه، ولا خوف عليهم فيما يستقبلون من الآخرة، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من الدنيا. وهي أوصاف لا تتحقق بعد مجيء النبي محمد ﷺ إلا في المسلمين.

﴿٢٤﴾ من قَوِيَّةِ آيَاتِ:

- أن الأمر كله لله، فيبدل ما يشاء من أحكامه وشرائعه، ويبقى ما يشاء منها، وكل ذلك بعمله وحكمته.
- حسد كثير من أهل الكتاب هذه الأمة، لما حصّها الله من الإيمان واتباع الرسول، حتى تمنوا رجوعها إلى الكفر كما كانت.

على دين صحيح، وقالت النصارى: ليست اليهود على دين صحيح، وكل يتلو في كتابه تصديق ما كفر به، والأمر بالإيمان بكل الأنبياء دون تفریق، مشابهين في فعلهم هذا قول الذين لا يعلمون من المشركين: حين كذبوا بالرسول كلهم وبما أنزل عليهم من الكتب، فلهذا يحكم الله بين المختلفين جميعاً يوم القيامة، بحكمه العدل الذي أخبر به عباده: بأنه لا فوز إلا بالإيمان بكل ما أنزل الله تعالى. ﴿١١٤﴾ لا أحد أشد ظلمًا من الذي منع أن يذكر اسم الله في مساجده، فمَنع الصلاة والذكر وتلاوة القرآن فيها، وسعى جاهداً مستتباً في حرابها وإسداها؛ بهدمها أو المنع من أداء العبادة فيها، أولئك الساعون في حرابها ما كان ينبغي لهم أن يدخلوا مساجد الله إلا خائفين ترجف أفئدتهم: لما هم عليه من الكفر والصد عن مساجد الله، لهم في الحياة الدنيا ذل وهوان على أيدي المؤمنين، ولهم في الآخرة عذاب عظيم على منعمهم الناس من مساجد الله.

﴿١١٥﴾ ولله ملك المشرق والمغرب وما بينهما، يأمر عباده بما شاء، فحيثما تتوجهون فابكم تستقبلون الله تعالى، فإن أمركم باستقبال بيت المقدس أو الكعبة، أو أخطأتم في القبلة، أو شق عليكم استقبالها، فلا حرج عليكم؛ لأن الجهات كلها لله تعالى، إن الله واسع خلقه برحمته وتيسيره، علم بنياتهم وأفعالهم.

﴿١١٦﴾ وقال اليهود والنصارى والمشركون: اتخذ الله له ولذا تتره

وتقدس عن ذلك، فهو الغني عن خلقه، وإنما يتخذ الولد من يحتاج إليه، بل له ملك ما في السماوات والأرض، كل الخلائق عبيد له سبجانه، خاضعون له، يتصرف فيهم بما يشاء.

﴿١١٧﴾ والله سبحانه منسئ السماوات والأرض وما فيها على غير مثال سابق، وإذا قدر أمر، وأراده فإنما يقول لذلك الأمر: ﴿كُنْ﴾ فيكون على ما أراد الله أن يكون، لا راد لأمره وقضائه.

﴿١١٨﴾ وقال الذين لا يعلمون من أهل الكتاب والمشركين عناداً للحق: لم لا يكلمنا الله دون واسطة، أو تأتينا علامة خاصة بنا؟ ومثل قولهم هذا قالت الأمم المكدة من قبل لرسولها، وإن اختلفت أزمنتهم وأمكنهم. تشابهت قلوب هؤلاء مع قلوب من تقدمهم في الكفر والعناد والعتو، قد أوصعنا الآيات لقوم يوقنون بالحق إذا ظهر لهم، لا يعصروهم شك، ولا يمنهم عناد.

﴿١١٩﴾ إنا أرسلناك أيها النبي بالدين الحق الذي لا مزية فيه، لبشر المؤمنين بالحق، وتقدر الكافرين بالنار، وليس عليك إلا البلاغ المبين، ولن يسألك الله عن الذين لم يؤمنوا بك من أصحاب الجحيم.

﴿١٢٠﴾ من فواید آیات:

- الكفر ملة واحدة وإن اختلفت أخناس أهله وأماكنهم، فهم يتشابهون في كفرهم وقولهم على الله بغير علم.
- أعظم الناس جُرمًا وأشدهم إثمًا من يصد عن سبيل الله، ويمنع من أراد فعل الخير.
- تتره الله تعالى عن الصاحبة والولد، فهو سبجانه لا يحتاج لخلق.



﴿١٧٠﴾ يخاطب الله نبيه موجهاً محذراً قائلاً له: لن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تترك الإسلام، وتتبع ما هم عليه، قل: إن كتاب الله وبيانه هو الهدى حقاً، لا ما هم عليه من الباطل، وثمن حصل الاتباع لهم منك أو من أحد من أتباعك بعد الذي جاءك من الحق الواضح قلن تعد من الله مناصرة أو معونة، وهذا من باب بيان خطورة ترك الحق ومجاراة أهل الباطل.

﴿١٧١﴾ يتحدث القرآن الكريم عن طائفة من أهل الكتاب يعملون بما في أيديهم من كتب منزلة ويتبعونها حق اتباعها، هؤلاء يجدون في هذه الكتب علامات دالة على صدق النبي محمد ﷺ، ولهذا سارعوا إلى الإيمان به، وطائفة أخرى أصرت على كمرها فكان لها الحسران.

﴿١٧٢﴾ يا بني إسرائيل، اذكروا نعمتي الدينية والدنيوية التي أنعمت بها عليكم، وادكروا أنني فضلتكم على أهل زمانكم بالنبوة والملك.

﴿١٧٣﴾ واجعلوا بينكم وبين عذاب يوم القيامة وقاية: باتباع أوامر الله واجتناب نواهيه، فإنه لا تنجي في ذلك اليوم نفس عن نفس شيئاً، ولا يقبل منها فيه أي فداء مهما عظم، ولا تنفعها فيه شفاعة من أحد مهما علا مكانه، وليس لها نصير ينصرها من دون الله.

﴿١٧٤﴾ واذكر حين أخبر الله إبراهيم ﷺ بما أمره به من أحكام وتكاليف، فقام بها وأتم أداءها على أكمل وجه، قال الله لنبيه إبراهيم: إني جاعلك للناس قدوة يقتدى بك في أفعالك

وأخلاقك، قال إبراهيم: واجعل - يا رب - من ذريتي كذلك أئمة يقتدي بهم الناس، قال الله مجيباً إياه: لا ينال عهدي لك بالإمامة في الدين الظالمين من ذريتك.

﴿١٧٥﴾ واذكر حين جعل الله البيت الحرام مرحماً للناس تتعلق به قلوبهم، كلما رحلوا عنه رجعوا إليه، وجعله أمناً لهم، لا يعتدي عليهم فيه، وقال للناس: اتخذوا من الخجر - الذي كان يقف عليه إبراهيم وهو بيني الكعبة - مكاناً للصلاة، ووصينا إبراهيم وابنه إسماعيل بتطهير البيت الحرام من الأوثان وتهيته لمن أراد التعبد فيه بالطواف والاعتكاف والصلاة وغيرها.

﴿١٧٦﴾ واذكر أيها النبي حين قال إبراهيم وهو يدعو ربه: رب اجعل مكة بلدًا آمناً، لا يتعرض فيه لأحد بسوء، وارزق أهله من أنواع الثمرات، واجعله رزقاً حاصلاً بالموءنين بك واليوم الآخر، قال الله: ومن كفر منهم فإنني آمنته بما أرزقه في الدنيا متاعاً قليلاً، ثم هي الآخرة الحنة مكرهاً إلى عذاب النار، وبئس المصير الذي يرجع إليه يوم القيامة.

﴿١٧٧﴾ من هوادة لأتباعه،

وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهَدَىٰ وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٧٠﴾ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ؕ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ؕ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ ؕ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٧١﴾ يٰٓبَنِي إِسْرَءِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٧٢﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٧٣﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْ بُرْهَةِ إِبْرَاهِيمَ بِكَامِتٍ فَأَتَمَّمْنَا قَوْلَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ؕ قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٧٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ؕ آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٧٦﴾

وأخلاقك، قال إبراهيم: واجعل - يا رب - من ذريتي كذلك أئمة يقتدي بهم الناس، قال الله مجيباً إياه: لا ينال عهدي لك بالإمامة في الدين الظالمين من ذريتك.

﴿١٧٥﴾ واذكر حين جعل الله البيت الحرام مرحماً للناس تتعلق به قلوبهم، كلما رحلوا عنه رجعوا إليه، وجعله أمناً لهم، لا يعتدي عليهم فيه، وقال للناس: اتخذوا من الخجر - الذي كان يقف عليه إبراهيم وهو بيني الكعبة - مكاناً للصلاة، ووصينا إبراهيم وابنه إسماعيل بتطهير البيت الحرام من الأوثان وتهيته لمن أراد التعبد فيه بالطواف والاعتكاف والصلاة وغيرها.

﴿١٧٦﴾ واذكر أيها النبي حين قال إبراهيم وهو يدعو ربه: رب اجعل مكة بلدًا آمناً، لا يتعرض فيه لأحد بسوء، وارزق أهله من أنواع الثمرات، واجعله رزقاً حاصلاً بالموءنين بك واليوم الآخر، قال الله: ومن كفر منهم فإنني آمنته بما أرزقه في الدنيا متاعاً قليلاً، ثم هي الآخرة الحنة مكرهاً إلى عذاب النار، وبئس المصير الذي يرجع إليه يوم القيامة.

﴿١٧٧﴾ من هوادة لأتباعه،

• أن المسلمين مهما فعلوا من خير لليهود والنصارى: قلن يرضوا حتى يخبر جوههم من دينهم، ويتابعوهم على ضلالهم.

• الإمامة في الدين لا تنال إلا بصحة اليقين والصبر على القيام بأمر الله تعالى.

• بركة دعوة إبراهيم ﷺ للبلد الحرام، حيث جعله الله مكاناً آمناً للناس، وتفضل على أهله بأنواع الأرزاق.

﴿٢٧﴾ واذكر أيها النبي حين كان يرفع إبراهيم وإسماعيل أسس الكعبة، وهما يقولان في خضوع وقذلل رينا تقبل منا أعمالنا ومنها بناء هذا البيت - إنك أنت السميع لدعائنا، العليم بنياتنا وأعمالنا.

﴿٢٨﴾ رينا واحلفنا مُسلمين لأمرك، خاضعين لك، لا نشرك معك أحدًا، واجعل من ذريتنا أمة مستسلمة لك، وعرفنا عبادتك كيف تكون، وتحاوض عن سيئاتنا وتقصيرنا في طاعتك. إنك أنت التواب على من تاب من عبادك، الرحيم بهم.

﴿٢٩﴾ رينا وأبعث فيهم رسولًا منهم من ذرية إسماعيل، يتلو عليهم آياتك المنزل، ويعلمهم القرآن والسنة، ويظهرهم من الشرك والذائل؛ إنك أنت القوي الغالب، الحكيم في أفعالك وأحكامك.

﴿٣٠﴾ ولا أحد ينصرف عن دين إبراهيم إلى غيره من الأديان إلا من ظلم نفسه بسفاهه وسوء تدبيره بتركه الحق إلى الضلال، ورضي لها بالهوان. ولقد احترناه في الدنيا رسولًا وخليلاً، وأنه في الآخرة لمن الصالحين الذين أدوا ما أوجب الله عليهم، فقالوا أعلى الدرجات.

﴿٣١﴾ اختاره الله لمسارحته إلى الإسلام حين قال له ربه: أخلص لي العبادة، وأخضع لي بالطاعة، فقال مجيبًا ربه: أسلمت لله خالق العباد ورازقهم ومدير شؤونهم.

﴿٣٢﴾ ووصى إبراهيم أبناءه بهذه الكلمة: «أَسْلَمْتُ لِرَبِّيَ الْوَحِيدِ»، ووصى بها كذلك يعقوب أبناءه؛ قالوا متدينين أبناءهم؛ إن الله اختار

وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَإِرْزَاْنَا سَكَنًا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٩﴾ وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مِنْ سَفِهَةِ نَفْسِهِ وَلَقَدْ أَصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣١﴾ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَبْنِي إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٤﴾

لكم دين الإسلام، فاستمسكوا به حتى يأتيكم الموت، وأنتم مسلمون لله ظاهرًا وباطنًا.

﴿٣٥﴾ أم كنتم حاضرين خير يعقوب حين حضرته الوفاة، حين قال لأبنائه سائلًا إياهم: ما تعبدون من بعد موتي؟ قالوا حوائنا لسؤاله - نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق، إلهًا واحدًا لا شريك له، ونحن له وحده مستسلمون ومنقادون. ﴿٣٦﴾ تلك أمة قد مضت فيمن مضى قبلكم من الأمم، وأقضت إلى ما قدّمت من عمل، فلها ما كسبت من حسن أو سيئ، ولكم ما كسبتم، ولا تُسألون عن أعمالهم، ولا يُسألون عن أعمالكم، ولا يؤخذ أحدٌ بذنب غيره، بل يُجازى كل واحد بما قدم، فلا يشغلكم عمل من مضى قبلكم عن النظر في عملكم، فإن أحدًا لن ينفعه بعد رحمة الله غير عمله الصالح.

﴿٣٧﴾ من فو يد الآيات،

- المؤمن المتقي لا يغتر بأعماله الصالحة، بل يخاف أن ترد عليه، ولا تقبل منه. ولهذا يُكثِر سؤال الله قبولها.
- بركة دعوة أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام، حيث أجاب الله دعاءه وجعل حاتم أنبيائه وأفضل رسله من أهل مكة.
- دين إبراهيم عليه السلام هو الملة الحنيفية الموافقة للفطرة، لا يرغب عنها ولا يزهدها إلا الجاهل المخالف لفطرته.
- مشروعية الوصية للذرية باتباع الهدى، وأخذ العهد عليهم بالتمسك بالحق والثبات عليه.



﴿١٢٦﴾ وقال اليهود لهذه الأمة: كونوا يهودًا تسلكوا سبيل الهداية، وقال النصارى: كونوا نصارى تسلكوا سبيل الهداية. قل - أيها النبي - مجيبًا إياهم: بل تتبع دين إبراهيم، المائل عن الأديان الباطلة إلى الدين الحق، ولم يكن ممن أشركوا مع الله أحدًا.

﴿١٢٧﴾ قولوا - أيها المؤمنون

لأصحاب هذه الدعوى الباطلة من يهود ونصارى: آمنا بالله وبإلقرآن الذي أنزل إلينا، وآمنا بما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب، وآمنا بما أنزل على الأنبياء من ولد يعقوب، وآمنا بالتوراة التي آتاها الله موسى، والإنجيل الذي آتاها الله عيسى، وآمنا بالكتب التي آتاها الله الأنبياء جميعًا، لا نفرق بين أحد منهم فنؤمن ببعض ونكفر ببعض، بل نؤمن بهم جميعًا، ونحن له سبحانه وحده متقادون خاضعون.

﴿١٢٧﴾ فإن آمن اليهود والنصارى وغيرهم من الكفار إيمانًا مثل إيمانكم؛ فقد اهتدوا إلى الطريق المستقيم الذي ارتضاه الله، وإن أعرضوا عن الإيمان بأن كذبوا بالأنبياء كلهم أو ببعضهم فإنما هم في اختلاف وعداء، فلا تحزن - أيها النبي - فإن الله سيكفيكم أذاهم، ويمنعك من شرهم، وينصرك عليهم، فهو السميع لأقوالهم، والعليم بنياتهم وأفعالهم.

﴿١٢٨﴾ الزموا دين الله الذي فطركم عليه ظاهراً وباطناً، فلا أحسن ديناً من دين الله، فهو موافق للطبقة، جالب للمصالح، مانع للمفاسد، وقولوا: نحن عابدون لله وحده لا

شرك معه غيره.

﴿١٢٩﴾ قل أيها النبي: اتحدلونا يا أهل الكتاب - في أنكم أولى بالله ودينه منا؛ لأن دينكم أقدم وكتابكم أسبق، فإن ذلك لا ينفعكم، فالله هو ربنا جميعاً لا تختصون به، ولنا أعمالنا التي لا تسألون عنها، ولكم أعمالكم التي لا تسأل عنها، وكل سيّجزي بعمله، ونحن مخلصون لله في العبادة والطاعة لا نشرك به شيئاً.

﴿١٣٠﴾ أم تقولون يا أهل الكتاب: إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأنبياء من ولد يعقوب، كانوا على ملة اليهودية أو النصرانية؟ قل أيها النبي مجيباً إياهم: أنتم أعلم أم الله؟ فإن زعموا أنهم كانوا على ملتهم فقد كذبوا؛ لأن مبعثهم وموتهم كان قبل نزول التوراة والإنجيل؛ وعلم بذلك أن ما يقولونه كذب على الله ورسله، وأنهم كتموا الحق الذي نزل عليهم، ولا أحد أشد ظلمًا من الذي كتم شهادة ثابتة عنده غلغها من الله، كعمل أهل الكتاب، وليس الله يعامل عن أعمالكم، وسيجاريكم عليها.

﴿١٣١﴾ تلك أمة قد مضت من قبلكم، وأفضت إلى ما قدمت من عمل، فلها ما كسبت من الأعمال، ولكم ما كسبتم، ولا تسألون عن أعمالهم، ولا يسألون عن أعمالكم، فلا يؤخذ أحد بذنب أحد، ولا ينتفع بعمل غيره، بل كل سيجازي على ما قدم.

﴿١٣٢﴾ من هوأهل الآيات،

• أن دعوى أهل الكتاب أنهم على الحق لا تنفعهم وهم يكفرون بما أنزل الله على نبيه محمد ﷺ

• سُمّي الدين صبغة لظهور أعماله وسُمته على المسلم كما يظهر أثر الصبغ في الثوب.

• أن الله تعالى قد زكّر في فطرة خلقه جميعاً الإقرار بربوبيته وألوهيته، وإنما يضلهم عنها الشيطان وأعوانه.

\* سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢٥﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ عَمَّا يُضِيعُ إِيْمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٢٦﴾ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَاتِيعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتِهِمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَ هُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٢٨﴾

سَيَقُولُ الْجَاهِلُ خَفَافُ الْعُقُولِ مِنَ الْيَهُودِ، وَمَنْ عَلَى شَاكِلَتِهِمْ مِنَ الْمُنَافِقِينَ: مَا صَرَفَ الْمُسْلِمِينَ عَنْ قِبْلَةِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ الَّتِي كَانَتْ قِبْلَتَهُمْ مِنْ قَبْلِ؟ قُلْ - أَيُّهَا النَّبِيُّ - مَجِيبًا إِيَّاهُمْ: لِلَّهِ وَحْدَهُ مَلِكُ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَغَيْرُهُمَا مِنَ الْجِهَاتِ، بِوَجْهِهِ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ إِلَى أَيِّ جِهَةٍ شَاءَ، وَهُوَ سَبْعَانَةٌ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ لَا اعْوَجَاجَ فِيهِ وَلَا انْحِرَافَ.

﴿١٢٥﴾ وكما جعلنا لكم قبلة ارتضيهاها لكم: جعلناكم أمة حيازا عدولا، وسطا بين الأمم كلها، في العقائد والعبادات والمعاملات، لتكُونُوا يوم القيامة شُهَدَاءَ لِرَسُولِ اللَّهِ أَنَّهُمْ بَلَّغُوا مَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ بِتَلْيِغِهِ لِأُمَّمِهِمْ، وَلِيَكُونَ الرَّسُولُ مُحَمَّدٌ ﷺ كَذَلِكَ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ أَنَّهُ بَلَّغَكُمْ مَا أُرْسِلَ بِهِ إِلَيْكُمْ. وَمَا جَعَلْنَا تَحْوِيلَ الْقِبْلَةِ الَّتِي كُنْتَ تَتَّبِعُ إِلَيْهَا، وَهِيَ بَيْتُ الْمَقْدِسِ، إِلَّا لِنَعْلَمَ عِلْمَ ظُهُورِ يَتَرْتَبِ عَلَيْهِ الْجَزَاءُ - مَنْ يَرْضَى بِمَا شَرَعَهُ اللَّهُ، وَيُذْعِنُ لَهُ، فَيَتَّبِعُ الرَّسُولَ، وَمَنْ يَرْتَدُّ عَنْ دِينِهِ، وَيَتَّبِعُ هَوَاهُ، فَلَا يُذْعِنُ لِمَا شَرَعَهُ اللَّهُ. وَلَقَدْ كَانَ أَمْرُ تَحْوِيلِ الْقِبْلَةِ الْأُولَى عَظِيمًا إِلَّا عَلَى الَّذِينَ وَفَّقَهُمُ اللَّهُ لِلْإِيمَانِ بِهِ، وَبِأَنَّهُمَا يَشْرَعُهُ لِعِبَادِهِ إِنَّمَا يَشْرَعُهُ لِحُكْمٍ بَالِغَةٍ. وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ عَمَّا يُضِيعُ بِإِيمَانِكُمْ بِاللَّهِ، وَمِنْهُ صَلَاتُكُمْ الَّتِي صَلَّيْتُمُوهَا قَبْلَ تَحْوِيلِ الْقِبْلَةِ، إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ، فَلَا يَشُقُّ عَلَيْهِمْ، وَلَا يُضِيعُ ثَوَابَ أَعْمَالِهِمْ.

﴿١٢٦﴾ قَدْ رَأَيْنَا - أَيُّهَا النَّبِيُّ - تَحْوِيلَ وَجْهِكَ وَنَظَرَكَ إِلَى جِهَةِ السَّمَاءِ، تَرْفِيقًا وَتَحْوِيلًا لِنُزُولِ الْوَحْيِ شَأْنِ الْقِبْلَةِ وَتَحْوِيلِهَا إِلَى حَيْثُ تُحِبُّ، فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا.

إِلَى قِبْلَةٍ تَرْضَاهَا وَتَحْبِهَا - وَهِيَ بَيْتُ اللَّهِ الْحَرَامِ - بَدَلَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ الْآنَ. فَاصْرِفْ وَجْهَكَ إِلَى جِهَةِ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ بِمَكَّةِ الْمُكْرَمَةِ، وَأَيْنَمَا كُنْتُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ فَتَوَحَّوْا إِلَى جِهَتِهِ عِنْدَ آدَاءِ الصَّلَاةِ، وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى لَيَعْلَمُونَ أَنَّ تَحْوِيلَ الْقِبْلَةِ هُوَ الْحَقُّ الْمُنْزَلُ مِنْ خَالِقِهِمْ وَمُدِيرِ أَمْرِهِمْ: لثَبُوتِهِ فِي كِتَابِهِمْ، وَلَيْسَ اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُ هَؤُلَاءِ الْمَعْرُضُونَ عَنِ الْحَقِّ، بَلْ هُوَ سَبْعَانَةٌ عَالِمٌ بِذَلِكَ، وَسَيُجَازِيهِمْ عَلَيْهِ.

﴿١٢٧﴾ وَاللَّهُ لَسَنَ حَثٍّ - أَيُّهَا النَّبِيُّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى مُصْحُوْتًا بِكُلِّ آيَةٍ وَبِرْهَانٍ عَلَى أَنَّ تَحْوِيلَ الْقِبْلَةِ حَقٌّ: مَا تَوَحَّوْا إِلَى قِبْلَتِكَ عِنَادًا لِمَا حَثَّ بِهِ، وَتَكْبِيرًا عَنِ اتِّبَاعِ الْحَقِّ. وَمَا أَنْتَ بِمَتَّوْحٍ إِلَى قِبْلَتِهِمْ بَعْدَ أَنْ صَرَفَكَ اللَّهُ عَنْهَا، وَمَا بَعْضُهُمْ بِمَتَّوْحٍ إِلَى قِبْلَةِ بَعْضِهِمْ، لِأَنَّ كُلًّا مِنْهُمْ يَكْفُرُ الْفَرِيقَ الْآخَرَ، وَلَسَنَ أَتَبَعْتُ أَهْوَاءَ هَؤُلَاءِ فِي شَأْنِ الْقِبْلَةِ وَغَيْرِهَا مِنَ الشَّرَائِعِ وَالْأَحْكَامِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ الصَّحِيحِ الَّذِي لَا مَرِيَةَ فِيهِ: إِنَّكَ حَبِئْتُمْ لِمَنِ الظَّالِمِينَ بِتَرْكِ الْهُدَى، وَاتِّبَاعِ الْهَوَى. وَهَذَا الْخُطَابُ لِلنَّبِيِّ ﷺ لِلدَّلَالَةِ عَلَى شَنَاةِ مَتَابِعَتِهِمْ، وَإِلَّا فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ عَصَمَ بَيْتَهُ مِنْ ذَلِكَ، فَهُوَ تَحْدِيرٌ لِأَمْنِهِ مِنْ بَعْدِهِ.

مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- أَنْ لَا اعْتَرِاضَ عَلَى أَحْكَامِ اللَّهِ وَشَرْعِهِ وَالتَّعَافُلَ عَنْ مَقَاصِدِهَا دَلِيلَ عَلَى السُّفْهِ وَقِلَّةِ الْعَقْلِ.
- فَضْلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَشَرَفُهَا، حَيْثُ أَتَى عَلَيْهَا اللَّهُ وَوَصَفَهَا بِالْوَسْطِيَّةِ بَيْنَ سَائِرِ الْأُمَمِ.
- التَّحْدِيرُ مِنَ مَتَابِعَةِ أَهْلِ الْكِتَابِ فِي أَهْوَائِهِمْ: لِأَنَّهُمْ أَعْرَضُوا عَنِ الْحَقِّ بَعْدَ مَعْرِفَتِهِ.
- جَوَارِ سُنَنِ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ فِي الْإِسْلَامِ زَمَنُ نَزُولِ الْوَحْيِ، حَيْثُ نُسِخَ التَّوْحَةُ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَصَارَ إِلَى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ.



﴿١٤٦﴾ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالنَّصَارَى؛ يعرفون أمر تحويل القبلة الذي هو من علامات نبوة محمد ﷺ عندهم، كما يعرفون أولادهم ويميرونهم من غيرهم، ومع ذلك فإن طائفة منهم ليكتمون الحق الذي جاء به، حسداً من عند أنفسهم، يفعلون ذلك وهم يعلمون أنه الحق. ﴿١٤٧﴾ هذا هو الحق من ريبك فلا تكونن - أيها الرسول - من الشاكين في صحته.

﴿١٤٨﴾ ولكل أمة من الأمم جهة يتجهون إليها حسية كانت أو معنوية، ومن ذلك اختلاف الأمم في قبلتهم وما شرع الله لهم، فلا يضر تنوع وجهاتهم إن كان بأمر الله وشرعه، فتسابقوا أنتم - أيهل المؤمنون - إلى فعل الخيرات التي أمرتم بفعلها، وسيجمعكم الله من أي مكان كنتم فيه يوم القيامة؛ ليجازيكم على عملكم، إن الله على كل شيء قدير، فلا يعجزه جمعكم ولا محاراكم.

﴿١٤٩﴾ من أي مكان خرجت وأنما كتبت أيها النبي أنت وأتباعك، وأردت الصلاة، فاستقبل جهة المسجد الحرام، فإنه الحق الموحى به إليك من ربك، وما الله بغافل عما تعملون، بل هو مطلع عليه وسيجازيكم به.

﴿١٥٠﴾ ومن أي مكان خرجت أيها النبي وأردت الصلاة، فاستقبل جهة المسجد الحرام، وبأي مكان كنتم أيها المؤمنون فاستقبلوا بوجوهكم جهته إذا أردتم الصلاة لئلا يكون للناس حجة يحتجون بها عليكم، إلا الذين ظلموا منهم، فإنهم سيقون على عقابهم، ويحتجون عليكم بأوهى الحجج، فلا تخشوهم واخشوا ربكم وحده، بامتنال أوامرهم واجتناب نواهيهم، فإن الله قد شرع استقبال الكعبة من أجل أن يتم نعمته عليكم بتمييزكم عن سائر الأمم، ولأجل هدايتكم إلى أشرف قبلة للناس.

﴿١٥١﴾ كما أنعمنا عليكم نعمة أخرى: حيث أرسلنا إليكم رسولا من أنفسكم، يقرأ عليكم آياتنا، ويظهركم بها يأمركم به من الفضائل والمعروف، وما ينهاكم عنه من الرذائل والمنكر، ويعلمكم الصواب والسنة، ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون من أمور دينكم ودنياكم. ﴿١٥٢﴾ فاذكروني بقلوبكم وجوارحكم، أذكركم بالثناء عليكم والحفظ لكم، فالجزاء من جنس العمل، واشكروا لي نعمي التي أنعمت بها عليكم، ولا تكفروني ببجودها، واستعمالها فيما حُرِّم عليكم. ﴿١٥٣﴾ يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين ويعينهم.

﴿١٥٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ

● إطالة الحديث في شأن تحويل القبلة؛ لما فيه من الدلالة على نبوة محمد ﷺ.

● ترك الجدال والاشتغال بالطاعات والمصارعة إلى الله أنفع للمؤمن عند ربه يوم القيامة.

● أن الأعمال الصالحة الموصلة إلى الله متنوعة ومتعددة، وينبغي للمؤمن أن يسابق إلى فعلها، طلباً للأجر من الله تعالى.

● عظم شأن ذكر الله - جل وعلا - حيث يكون ثوابه ذكر العبد في الملأ الأعلى.

الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِكَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَتَّبِعْ نَفْسَكَ عَلَيْكُمْ وَعَلَمَكُمُ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٣﴾

الحجج، فلا تخشوهم واخشوا ربكم وحده، بامتنال أوامرهم واجتناب نواهيهم، فإن الله قد شرع استقبال الكعبة من أجل أن يتم نعمته عليكم بتمييزكم عن سائر الأمم، ولأجل هدايتكم إلى أشرف قبلة للناس.

﴿١٥١﴾ كما أنعمنا عليكم نعمة أخرى: حيث أرسلنا إليكم رسولا من أنفسكم، يقرأ عليكم آياتنا، ويظهركم بها يأمركم به من الفضائل والمعروف، وما ينهاكم عنه من الرذائل والمنكر، ويعلمكم الصواب والسنة، ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون من أمور دينكم ودنياكم.

﴿١٥٢﴾ فاذكروني بقلوبكم وجوارحكم، أذكركم بالثناء عليكم والحفظ لكم، فالجزاء من جنس العمل، واشكروا لي نعمي التي أنعمت بها عليكم، ولا تكفروني ببجودها، واستعمالها فيما حُرِّم عليكم.

﴿١٥٣﴾ يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة على القيام بطاعتي والتسليم لأمري، إن الله مع الصابرين يوفقهم ويعينهم.

﴿١٥٥﴾ وَلَا تَقُولُوا أَنِهَا الْمَوْمِنُونَ  
 فِي شَأْنٍ مِنْ يُقْتَلُونَ فِي الْجِهَادِ فِي  
 سَبِيلِ اللَّهِ: إِنَّهُمْ أَمْوَاتٌ مَاتُوا كَمَا يَمُوتُ  
 غَيْرُهُمْ، بَلْ هُمْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ، وَلَكِنْ  
 لَا تُدْرِكُونَ حَيَاتَهُمْ: لِأَنَّهَا حَيَاةٌ خَاصَّةٌ  
 لَا سَبِيلَ لِمَعْرِفَتِهَا إِلَّا بِوَحْيٍ مِنَ اللَّهِ  
 تَعَالَى.

﴿١٥٦﴾ وَلَنُفْتِنَنَّكُمْ بِأَنْوَاعٍ مِنَ الْمَصَائِبِ،  
 بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ مِنْ أَعْدَائِكُمْ،  
 وَبِالْجُوعِ لِقَلَّةِ الطَّعَامِ، وَنَقْصٍ فِي  
 الْأَمْوَالِ لِدَهَابِهَا أَوْ مَشَقَّةِ الْحَصُولِ  
 عَلَيْهَا، وَنَقْصٍ فِي الْأَنْفُسِ بِسَبَبِ  
 الْأَفَاتِ الَّتِي تَهْلِكُ النَّاسَ، أَوْ بِالشَّهَادَةِ  
 فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ  
 الَّتِي تَنْبُتُهَا الْأَرْضُ، وَيُبَشِّرُ أَيُّهَا النَّبِيُّ  
 الصَّابِرِينَ عَلَى تِلْكَ الْمَصَائِبِ بِمَا  
 يَسْرُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

﴿١٥٧﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا  
 تِلْكَ الْمَصَائِبُ قَالُوا بِرِضَا وَتَسْلِيمٍ: إِنَّا  
 مِلْكٌ لِلَّهِ يَتَصَرَّفُ فِيْنَا بِمَا يَشَاءُ، وَإِنَّا  
 إِلَيْهِ عَائِدُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَهُوَ الَّذِي  
 خَلَقَنَا وَتَفَضَّلَ عَلَيْنَا بِمُخْتَلَفِ النِّعَمِ،  
 وَإِلَيْهِ مَرْجِعُنَا وَنَهَايَةُ أَمْرِنَا.

﴿١٥٨﴾ أُولَئِكَ الْمُتَصَفُّونَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ  
 لَهُمْ ثَوَابٌ مِنَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ فِي مَلَأَ  
 الْمَلَائِكَةُ الْأَعْلَى، وَرَحْمَةٌ تَنْزِلُ عَلَيْهِمْ،  
 وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ إِلَى طَرِيقِ الْحَقِّ.  
 ﴿١٥٩﴾ إِنَّ الْجَبِلَيْنِ الْمَعْرُوفَيْنِ بِالْصَّفَا  
 وَالْمَرْوَةِ قَرَبَ الْكَعْبَةِ مِنْ مَعَالِمِ  
 الشَّرِيعَةِ الظَّاهِرَةِ، فَمَنْ قَصَدَ الْبَيْتَ  
 لِأَدَاءِ نَسْكِ الْحَجِّ أَوْ نَسْكِ الْعُمْرَةِ؛  
 فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ أَنْ يَسْعَى بَيْنَهُمَا، وَفِي  
 نَفْسِ الْإِثْمِ هُنَا طَمَأْنَنَةٌ لِمَنْ تَخْرُجُ مِنَ  
 الْمُسْلِمِينَ مِنَ السَّعْيِ بَيْنَهُمَا اعْتِقَادًا  
 أَنَّهُ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَقَدْ يَبَيَّنُ تَعَالَى  
 أَنَّ ذَلِكَ مِنْ مَنَاسِكِ الْحَجِّ. وَمَنْ قَعَلَ  
 الْمُسْتَحْبَاتِ مِنَ الطَّاعَاتِ مُتَطَوِّعًا بِهَا

وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ  
 لَا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٦﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ  
 وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٧﴾  
 الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ  
 ﴿١٥٨﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ  
 هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٩﴾ إِنَّ الْأَصْفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ  
 فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا  
 وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ الَّذِينَ  
 يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ  
 لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ  
 ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّوْا فَاُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ  
 وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ مَاتُوا وَهُمْ  
 كُفَّارًا أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ  
 ﴿١٦١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿١٦٢﴾  
 وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾

مَحْضًا: فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ لَهُ، يَقْبَلُهَا مِنْهُ، وَيَجَازِيهِ عَلَيْهَا، وَهُوَ الْعَلِيمُ بِمَنْ يَفْعَلُ الْخَيْرَ، وَيَسْتَحِقُّ الثَّوَابَ. ﴿١٥٨﴾ إِنْ الَّذِينَ يَحْفُونَ مَا أَنْزَلْنَا  
 مِنَ الْبَيِّنَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى صِدْقِ النَّبِيِّ وَمَا حَاجَ بِهِ، مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَغَيْرِهِمْ، مِنْ بَعْدِ مَا أَطْهَرَنَاهُ لِلنَّاسِ فِي كِتَابِهِمْ: أُولَئِكَ يَطْرُدُهُمُ  
 اللَّهُ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَيَدْعُو عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ وَالْأَنْبِيَاءُ وَالنَّاسُ أَجْمَعُونَ بِالطَّرْدِ مِنْ رَحْمَتِهِ. ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ رَجَعُوا إِلَى اللَّهِ نَادِمِينَ عَلَى  
 كُتْمَانِ تِلْكَ الْآيَاتِ الْوَاضِحَاتِ، وَأَصْلَحُوا أَعْمَالَهُمُ الظَّاهِرَةَ وَالْبَاطِنَةَ، وَيَتَّبَعُوا مَا كَتَبَهُمُ مِنَ الْحَقِّ وَالْهُدَى، فَأُولَئِكَ أَقْبِلْ رَجُوعَهُمْ إِلَى  
 طَاعَتِي، وَأَنَا التَّوَّابُ عَلَى مَنْ تَابَ مِنَ الْعِبَادِ، الرَّحِيمُ بِهِمْ. ﴿١٦٠﴾ إِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا عَلَى الْكُفْرِ قَبْلَ أَنْ يَتُوبُوا مِنْهُ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ  
 اللَّهِ يَطْرُدُهُمُ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَعَلَيْهِمْ دَعَا الْمَلَائِكَةُ وَالنَّاسُ كُلُّهُمْ بِالطَّرْدِ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ وَالْإِبْعَادِ مِنْهَا. ﴿١٦١﴾ مَلَاَرَمِينَ هَذِهِ اللَّعْنَةَ، لَا  
 يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ، وَلَوْ يَوْمًا وَاحِدًا، وَلَا يُنْهَلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

﴿١٦٢﴾ وَمَعْبُودُكُمْ الْحَقُّ أَيُّهَا النَّاسُ وَاحِدٌ مُتَّصِدٌ فِي دَاتِهِ وَصِفَاتِهِ، لَا مَعْبُودَ بِحَقِّ غَيْرِهِ، وَهُوَ الرَّحْمَنُ دُو الرِّحْمَةِ الْوَاسِعَةِ، الرَّحِيمُ  
 بِعِبَادِهِ، حَيْثُ أَنْعَمَ عَلَيْهِمُ النِّعَمَ الَّتِي لَا تُحْصَى.

﴿١٦٣﴾ مِنْ قَوَائِمِ الْكِتَابِ:

- الاستئْذَانُ سُنَّةُ اللَّهِ تَعَالَى فِي عِبَادِهِ، وَقَدْ وَعَدَ الصَّابِرِينَ عَلَى ذَلِكَ بِأَعْظَمِ الْجَزَاءِ وَأَكْرَمِ الْمَنَازِلِ.
- مَشْرُوعِيَّةُ السَّعْيِ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ لِمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ.
- مِنْ أَعْظَمِ الْأَثَامِ وَأَشَدِّهَا عَقُوبَةً كُتْمَانُ الْحَقِّ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ، وَالتَّلْبِيسُ عَلَى النَّاسِ، وَإِضْلَالُهُمْ عَنِ الْهُدَى الَّذِي حَاجَتْ بِهِ  
 الرُّسُلُ.



إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ  
وَالْفَلَكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَع النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ  
مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا  
مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِينَ  
السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ وَمِنَ النَّاسِ  
مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُجِبُونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ  
آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرْوُونَ  
الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾  
إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَأَوَّاءُ الْعَذَابِ  
وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ  
لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ  
أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾  
يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا  
خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ  
بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾

﴿١٦١﴾ إن في خلق السماوات والأرض وما فيهما من عجائب الخلق، وفي تماقب الليل والنهار، وفي السفن التي تجري في مياه البحار حاملة ما ينفع الناس من طعام ولباس وتجارة، وغيرها مما يحتاجون إليه، وفيما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بما بنيت فيها من الزرع والكلأ، وفيما نشره فيها من كائنات حية، وفي تحويل الرياح من جهة لجهة، وفي السحاب المذلل بين السماء والأرض، إن في كل ذلك لدلائل واضحة على وحدانيته سبحانه لمن يعقلون الحق، ويفهمون الأدلة والبراهين.

﴿١٦٢﴾ ومع تلك الآيات الواضحة فإن من الناس من يتخذ من دُونِ الله آلهة يجعلونهم نظراء لله تعالى، يحيونهم كما يحبون الله، والذين آمنوا أشد حُبًّا لله من هؤلاء لمسيبوااتهم؛ لأنهم لا يشركون مع الله أحدا، ويحبونه في السراء والضراء، وأما أولئك فإنهم يحبون آلهتهم في حال السراء، أما في الضراء فلا يدعون إلا الله. ولو يرى الظالمون بشركهم وارتاب السيئات حالهم في الآخرة حين يشاهدون العذاب؛ تعلموا أن المتخذ بالقوة جميعا هو الله، وأنه شديد العذاب لمن عصاه، لو يرون ذلك لما أشركوا معه أحدا.

﴿١٦٣﴾ وذلك حين يتبرأ الرؤساء المتبعون من الضعفاء الذين اتبعوهم؛ لما يشاهدونه من أهوال يوم القيامة وشدائده، وقد تقطعت بهم كل أسباب النجاة ووسائلها.

﴿١٦٤﴾ وقال الضعفاء والأتباع: ليت لنا رجعة إلى الدنيا فنتبرأ من رؤسائنا كما تبرأوا منا، وكما أراهم الله

العذاب الشديد في الآخرة يريهم عاقبة متابعتهم لرؤسائهم على الباطل ندامات وأحرانا، وليسوا بخارجين أبدا من النار. ﴿١٦٥﴾ يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا وكان طيبا هي نفسه غير خبيث، ولا تتبعوا مسالك الشيطان التي يستدرحكم بها، إنه لكم عدو واضح العداوة، ولا يجوز لعاقل أن يتبع عدوه الذي يحرض على إيذائه وصلاته! ﴿١٦٦﴾ فهو إما يأمركم بما يسوء من الآثام وما يعظم من الذنوب، وبأن تقولوا على الله ما لا تعلمون أو رسله.

﴿١٦٧﴾ من قِبَلِ الْآيَاتِ،

- المؤمنون بالله حقاً هم أعظم الخلق محبة لله، لأنهم يطيعونه على كل حال في السراء والضراء، ولا يشركون معه أحدا.
- في يوم القيامة تقطع كل الروابط، ويتبرأ كل خليل من خليله، ولا يبقى إلا ما كان خالصا لله تعالى.
- التحذير من كيد الشيطان لتتبع أساليبه وخفائنها وقر بها من مشتبهات النفس.

﴿١٧٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْهُدَى وَالنُّورِ، قَالُوا مُعَانِدِينَ، بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا مِنَ الْمَعْتَدَاتِ وَالْتِقَالِيدِ، أَتَتَّبِعُونَ آبَاءَهُمْ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا مِنَ الْهُدَى وَالنُّورِ، وَلَا يَهْتَدُونَ إِلَى الْحَقِّ الَّذِي يَرْضَى اللَّهُ عَنْهُ؟

﴿١٧٧﴾ وَمِثْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي اتِّبَاعِهِمْ لَا يَأْتِيهِمْ كَاتِرٌ عَرِيعٌ الَّذِي يَصْبِحُ مُنَادِيًا عَلَى بَهَائِثِهِ، فَتَسْمَعُ صَوْتَهُ، وَلَا تَفْهَمُ قَوْلَهُ، فَهُمْ صُمٌّ عَنْ سَمَاعِ الْحَقِّ سَمَاعًا، يَتَّقِعُونَ بِهِ، يُكْمَرُ قَدْ خَرَسَتْ أَسْمَاعُهُمْ عَنِ النَّطْقِ بِالْحَقِّ، تُغْمَى عَنْ إِبْصَارِهِ، وَلِهَذَا لَا يَعْقِلُونَ الْهُدَى الَّذِي تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ.

﴿١٧٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاتَّبِعُوا رَسُولَهُ، كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ الَّتِي رَزَقَكُمْ اللَّهُ وَأَيَّاهَا لَكُمْ، وَاشْكُرُوا لِلَّهِ ظَاهِرًا وَيَاطْلُبًا مَا تَقْصِلُ بِهِ عَلَيْكُمْ مِنَ النِّعَمِ، وَمَنْ شَكَرَهُ تَعَالَى أَنْ تَعْمَلُوا بِطَاعَتِهِ، وَأَنْ تَجْتَنِبُوا مَعْصِيَتَهُ، إِنْ كُنْتُمْ حَقًّا تَعْبُدُونَهُ وَحْدَهُ، وَلَا تَشْرِكُونَ بِهِ شَيْئًا.

﴿١٧٩﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مِنَ الْأَطْعِمَةِ مَا مَاتَ بِغَيْرِ ذِكَاةٍ شَرْعِيَّةٍ، وَالدِّمِ الْمَسْفُوحِ السَّائِلِ، وَلَحْمِ الْخَنَزِيرِ، وَمَا ذُكِرَ عَلَيْهِ غَيْرُ اسْمِ اللَّهِ عِنْدَ تَذْكِيَتِهِ، فَإِذَا اضْطُرَّ الْإِنْسَانُ إِلَى أَكْلِ شَيْءٍ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ بِالْأَكْلِ مِنْهَا دُونَ حَاجَةٍ، وَلَا مُتَجَاوِزٍ لِحَدِّ الضَّرُورَةِ؛ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَلَا عِقَابٌ، إِنْ اللَّهُ غَفُورٌ لِمَنْ تَابَ مِنْ عِبَادِهِ، رَحِيمٌ بِهِمْ، وَمَنْ رَحِمَتْهُ أَنْهُ تَجَاوَزَ عَنْ أَكْلِ هَذِهِ الْمَحْرُمَاتِ عِنْدَ الْاضْطِرَارِ.

﴿١٨٠﴾ إِنْ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا فِيهَا مِنْ دَلَالَةٍ عَلَى الْحَقِّ وَنُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، كَمَا يَفْعَلُ الْيَهُودُ

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاءُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٦﴾ وَمِثْلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمِثْلِ الَّذِي يَتَّبِعُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءَ وَنِدَاءَ صُمٌّ بِكُمُ عُمَى فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٨﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنَزِيرِ وَمَا أَهْلُ بِهِ مِنْ غَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرُ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧٩﴾ إِنْ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٠﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابِ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿١٨١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١٨٢﴾

والنصارى، ويشتررون بكتمانهم لها عوضًا قليلًا كرئاسة أو جاه أو مال، أولئك ما يأكلون في بطونهم حقيقة إلا ما يكون سببًا لتعديبهم بالنار، ولا يكلمهم الله يوم القيامة بما يحبون، بل بما يسوؤهم، ولا يُطهرهم ولا يُنقى عليهم، ولهم عذاب أليم.

﴿١٨٣﴾ أولئك المتصفون بكتمان العلم الذي يحتاج إليه الناس هم الدين استبدلوا الضلالة بالهدى لما كتموا العلم الحق، واستبدلوا عذاب الله بمغفرته، فما أصبرهم على فعل ما يسبب لهم دخول النار، كأنهم لا يبالون بما فيها من عذاب لصبرهم عليها.

﴿١٨٤﴾ ذلك الجزاء على كتمان العلم والهدى سبب أن الله نزل الكتب الإلهية بالحق، وهذا يقتضي أن تُبين ولا تُكتم، وإن الذين اختلفوا في الكتب الإلهية فامنوا ببعضها وكتموا بعضها لفي مفارقة ومنازعة بعيدة للحق.

● مِنْ قَوْلِهِ لَا يُتَى عَلَيْهِمْ:

● أكثر ضلال الحلق بسبب تعطيل العقل، ومتابعة من سبقهم في ضلالهم، وتقليدهم بغير وعي.

● عدم انتفاع المرء بما وهبه الله من نعمة العقل والسمع والبصر، يجعله مثل من فقد هذه النعم.

● من أشد الناس عقوبة يوم القيامة من يكتم العلم الذي أنزل الله، والهدى الذي جاءت به رسلة تعالى.

● من نعمة الله تعالى على عباده المؤمنين أن جعل المحرمات قليلة محدودة، وأما المباحات فكثيرة غير محدودة.



لَيْسَ إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ تَوَلَّوْا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ  
وَلَكِنَّ إِلَهَ مَنْ أَمَّنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ الْمَلَكُوتُ  
وَالْكِتَابُ وَالنَّبِيُّنَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ  
وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ فِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ  
الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا  
وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ  
صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٧٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ  
عَلَيْكُمْ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْبِ وَالْحَرْبِ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَىٰ  
بِالْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبَاعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَّ  
إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَعْتَدَىٰ  
بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٨﴾ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي  
الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٧٩﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ  
أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ  
بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿٨٠﴾ فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ  
فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٨١﴾

﴿٧٧﴾ ليس الخير المرضي عند الله مجرد الاتجاه إلى جهة المشرق أو المغرب والاختلاف في ذلك، ولكن الخير كل الخير فيمن آمن بالله إلهًا واحدًا، وأمن بيوم القيامة، وبجميع الملائكة، وبجميع الكتب المنزلة، وبجميع الأنبياء دون تفریق، وأنفق المال مع حبه والعرض عليه على ذوي قربته، ومن فقد أباه دون سن البلوغ، وذوي الحاجة، والغريب الذي انقطع في السفر عن أهله ووطنه، والذين تعرض لهم حاجة توجب سؤال الناس، وصرف المال في تحرير الرقاب من الرق والأسر، وأقام الصلاة بالإتيان بها تامة على ما أمر الله، ودفع الزكاة الواجبة، والذين يؤفون بعهدهم إذا عاهدوا، والذين يصبرون على الفقر والشدة، وعلى المرض، وفي وقت شدة القتال فلا يفرون، أولئك المتصفون بهذه الصفات هم الذين صدقوا الله في إيمانهم وأعمالهم، وأولئك هم المتقون الذين امتثلوا ما أمرهم الله به، واجتنبوا ما نهاهم الله عنه.

﴿٧٨﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، فرض عليكم في شأن الذين يقتلون غيرهم عمدًا وعدوانًا، معاقبة القاتل بمثل حياته، فالحر يقتل بالحر، والعبد يقتل بالعبد، والأنثى تقتل بالأنثى، فإن عفا المقتول قبل موته أو عفا ولي المقتول مقابل الدية وهي مقدار من المال يدفعه القاتل مقابل العفو عنه فعلى من عفا اتباع القاتل في طلب الدية بالمعروف لا بالمش والاذى، وعلى القاتل أداء الدية بإحسان، من غير ماطلة وتسويف، وذلك العفو وأخذ الدية تخفيف من

ركم عليكم، ورحة بهذه الأمة، فمن اعتدى على القاتل بعد العفو وقبول الدية؛ فله عذاب أليم من الله تعالى.

﴿٧٩﴾ ولكم فيما شرعه الله من القصاص حياة لكم: بحسن دمائكم. ودفع الاعتداء بينكم. يدرك ذلك أهل العقول الذين يتقون الله تعالى بالانقياد لشرعه والعمل بأمره.

﴿٨٠﴾ فرض عليكم إذا حضر أحدكم علاماً الموت وأسيابته، إن ترك مالا كثيراً أن يوصي للوالدين ولذوي القرابة بما حده الشرع وهو ألا يزيد عن ثلث المال، وفعل هذا حق مؤكّد على المتقين لله تعالى. وقد كان هذا الحكم قبل نزول آيات الموارث، فلما نزلت آيات الموارث بطلت من يرث الميراث ومقدار ما يرث.

﴿٨١﴾ فمن عثر في الوصية بزيادة أو نقص أو منع بعد علمه بالوصية؛ فإنما يكون إثم ذلك التبديل على المغيرين لا على الموصي، إن الله سميع لأقوال عييده، عليم بأفعالهم، لا يقوته شيء من أحوالهم.

• من فوّاه لأبيات،

- البر الذي يحبه الله يكون بتحقيق الإيمان والعمل الصالح، وأما التمسك بالمظاهر فقط فلا يكفي عنده تعالى.
- من أعظم ما يحفظ الأئمة، ويمنع من التعدي والظلم: تطبيق مبدأ القصاص الذي شرعه الله في النفس وما دونها.
- عظم شأن الوصية، ولا سيما لمن كان عنده شيء يوصي به، وإثم من غير في وصية الميت وبدل ما فيها.

﴿١٨٧﴾ فمن علم من صاحب الوصية مبالاً عن الحق، أو خوفاً في الوصية؛ فاصلح ما أفسد الموصي بنصحه، واصلح بين المختلفين على الوصية، فلا إثم عليه، بل هو ماجور على إصلاحه، إن الله غفور لمن تاب من عباده، رحيم بهم.

﴿١٨٨﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله فَرَضَ عليكم الصيام من ربيكم كما فَرَضَ على الأمم من قبلكم؛ لعلكم تتقون الله بأن تجعلوا بينكم وبين عذابه وقاية بالأعمال الصالحة ومن أعظمها الصيام.

﴿١٨٩﴾ الصيام المقروض عليكم أن تصوموا أياماً قليلة من السنة، فمن كان منكم مريضاً مرضاً يشق معه الصوم، أو مسافراً؛ فله أن يفطر، ثم عليه أن يقضي بقدر ما أفطر من الأيام. وعلى الذين يستطيعون الصيام فدية إذا أفطروا، وهي إطعام مسكين عن كل يوم يفطرون فيه، فمن راد على إطعام مسكين واحد، أو أطعم مع الصيام فهو خير له. وصومكم خير لكم من الإفطار وإعطاء الفدية، إن كنتم تعلمون ما في الصوم من الفصل، وكان هذا الحكم أول ما شرع الله الصيام، فكان من شاء صام، ومن شاء أفطر وأطعم، ثم أوجب الله الصيام بعد ذلك، وفرضه على كل بالغ قادر.

﴿١٩٠﴾ شهر رمضان الذي بدأ فيه نزول القرآن على النبي ﷺ في ليلة القدر، أنزله الله هداية للناس. فيه الدلائل الواضحات من الهدى، والفرقان بين الحق والباطل، فمن حضر شهر رمضان وهو مقيم صحيح فليصمه وجوباً، ومن كان مريضاً يشق عليه

فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوسٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨٧﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٨﴾ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٩﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٩٠﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِلَعَالِهِمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٩١﴾

الصوم أو مسافراً؛ فله أن يفطر، وإذا أفطر فالواجب عليه أن يقضي تلك الأيام التي أفطرها، يريد الله بما شرع لكم أن يسلك بكم سبيل اليسر لا العسر، ولتكمّلوا عدة صوم الشهر كله، ولتكبّروا الله بعد حتام شهر رمضان ويوم العيد على أن وفقكم لصومه، وأعانكم على إكماله، ولعلكم تشكرون الله على هدايتكم لهذا الدين الذي ارتضاه لكم.

﴿١٩٢﴾ وإذا سألك أيها النبي عبادي عن قربي وإجابتي لدعائهم: فإنني قريب منهم، عالم بأحوالهم، سامع لدعائهم، فلا يحتاجون إلى وسطاء، ولا إلى رفع أصواتهم. أجب دعوة الداعي إذا دعاني مخلصاً في دعائه، فلينادي لي ولا وأمري، وليثبتوا على إيمانهم؛ فإن ذلك أنفع وسيلة لإجابتي، لعلهم يسلكون بذلك سبيل الرشd في شؤونهم الدينية والدنيوية.

﴿١٩٣﴾ من فوّد لأبيات:

- فضّل الله شهر رمضان يجعله شهر الصوم وإنزال القرآن فيه، فهو شهر القرآن؛ ولهذا كان النبي ﷺ يتدارس القرآن مع جبريل في رمضان، ويجتهد فيه ما لا يجتهد في غيره.
- شريعة الإسلام قامت في أصولها وفروعها على التيسير ورفع الحرج، فما جعل الله علينا في الدين من حرج.
- قُرب الله تعالى من عباده، واحاطته بهم، وعلمه التام بأحوالهم؛ ولهذا فهو يسمع دعاءهم ويحجب سؤالهم.



أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفْتُ إِلَى نَسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَأَبْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصَّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَشِّرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتَذَلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَأَتَقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾

﴿١٨٧﴾ قد كان في أول الأمر يحرم على الرجل إذا نام في ليلة الصيام استيقظ قبل الفجر أن يأكل أو يقرب أهله، فنسخ الله ذلك، وأباح الله لكم أيها المؤمنون في ليالي الصيام جماع نساءكم، فهن ستر وإعفاف لكم، وأنتم ستر وإعفاف لهن، لا يستغنى بعضكم عن بعض، عَلِمَ الله أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخُونُونَ أَنْفُسَكُمْ بفعل ما نهاكم عنه، فرحمكم وتاب عليكم، وخفف عنكم، فالآن جامعوهن، واطلبوا ما قدر الله لكم من الذرية، وكلوا واشربوا في الليل كله، حتى يتبين لكم طلوع الفجر الصادق بياض الفجر وانفصاله عن سواد الليل، ثم أكملوا الصيام بالإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر حتى تغيب الشمس، ولا تجامعوا النساء وأنتم معتكفون في المساجد؛ لأن ذلك يبطله. تلك الأحكام المذكورة هي حدود الله بين الحلال والحرام فلا تقربوها أبداً؛ فإن من اقترب من حدود الله يوشك أن يقع في الحرام، وبمثل هذا البيان الواضح الجلي لتلك الأحكام يبين الله آياته للناس لعلهم يتقونه بفعل ما أمر وترك ما نهى.

﴿١٨٨﴾ ولا يأخذ بعضكم مال بعضكم بوجه غير مشروع، كالسرقة والنصب والفش، ولا تخاصموا بها إلى الحكام لتأخذوا مائة من أموال الناس متلبسين بالمعصية، وأنتم تعلمون أن الله حرم ذلك، فالإقدام على الذنب مع العلم بتحريمه أشد فُجُأً وأعظم عقوبة.

﴿١٨٩﴾ يسألك أيها الرسول عن تكوين الأهلة وتغير أحوالها، قل محبباً إياهم عن حكمة ذلك: إنها

مواقيت للناس، يعرفون بها أوقات عباداتهم: كأشهر الحج، وشهر الصيام، وثَمَامُ الخَوْلِ في الزكاة، ويعرفون أوقاتهم في المعاملات؛ كتحديد آجال الديات والديون. وليس البر والخير أن تأتوا البيوت من ظهورها حال إحرامكم بالحج أو العمرة كما كنتم ترعمون في الجاهلية ولكن البر حقيقة بُرٌّ من اتقى الله في الظاهر والباطن، ومحبتهكم للبيوت من أبوابها أيسر لكم وأبعد عن المشقة؛ لأن الله لم يكلفكم بما فيه عسر ومشقة عليكم، واجعلوا بينكم وبين عذاب الله وقاية بالعمل الصالح، لعلكم تفلحون بنيل ما ترغبون فيه، والنجاة مما ترهبون منه.

﴿١٩٠﴾ وفاتلوا أيءاء الله الذين يقاتلونكم من الكفار ليصدوكم عن دين الله، ولا تتجاوزوا حدود الله بقتل الصبيان والنساء والشيوخ، أو بالتعميل بالقتلى وتحو ذلك، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُتَجَاوِزِينَ لحدوده فيما شرع وحكم.

من فَوَيْدِ الْآيَاتِ،

- مشروعية الاعتكاف، وهو لزوم المسعد للعبادة؛ ولهذا يُنهى عن كل ما يعارض مقصود الاعتكاف، ومنه مباشرة المرأة.
- النهي عن أكل أموال الناس بالباطل، وتحريم كل الوسائل والأساليب التي تقود لذلك، ومنها الرشوة.
- تحريم الاعتداء والنهي عنه؛ لأن هذا الدين قائم على العدل والإحسان.

﴿١٩١﴾ واقتلوهم حيث لقيتموهم، وأخرجوهم من المكان الذي أخرجوكم منه، وهو مكة، والفتنة الحاصلة بضدّ المؤمن عن دينه ورجوعه إلى الكفر أعظم من القتل. ولا تبدؤوهم بقتال عند المسجد الحرام تعظيماً له حتى يبدؤوكم بالقتال فيه، فإن بدؤوا بالقتال في المسجد الحرام فاقتلوهم، ومثل هذا الجزاء وهو قتلهم إذا اعتدوا في المسجد الحرام يكون جزاء الكافرين. ﴿١٩٢﴾ فإن انتهوا عن قتالكم وكفرهم فانتهوا عنهم، إن الله غفور لمن تاب فلا يؤاخذهم بذنوبهم السابقة، رحيم بهم لا يعاجلهم بالعقوبة. ﴿١٩٣﴾ وقالوا الكفار حتى لا يكون منهم شرك ولا ضدّ للناس عن سبيل الله ولا كفر، ويكون الدين الظاهر دين الله، فإن انتهوا عن كفرهم وصدّهم عن سبيل الله فاتركوا قتالهم، فإنه لا عدوان إلا على الظالمين بالكفر والصد عن سبيل الله. ﴿١٩٤﴾ الشهر الحرام الذي مكّنتكم الله فيه من دخول الحرم وأداء العمرة سنة سبع، هو عوّض عن الشهر الحرام الذي صدّكم فيه المشركون عن الحرم سنة ست، والحرمات - كحرمة البلد الحرام والشهر الحرام والإحرام - يجري فيها القصاص من المعتدين، فمن اعتدى عليكم فيها فعاملوه بمثل فعله، ولا تتجاوزوا حد المماثلة، إن الله لا يحب المتجاوزين لحدوده، وخافوا الله في تجاوز ما أذن لكم فيه، واعلموا أن الله مع المتقين له بالتوفيق والتأييد. ﴿١٩٥﴾ وأنفقوا المال في طاعة الله من الجهاد وغيره، ولا تلقوا بأنفسكم إلى الهلاك، بأن تركوا الجهاد والبذل في سبيله، أو بأن تلقوا بأنفسكم فيما يكون سبباً لهلاككم، وأحسنوا في عباداتكم ومعاملاتكم وأخلاقكم، إن الله يحب المحسنين في كل شؤونهم، فيعظم لهم الثواب، ويوفّقهم للرشد. ﴿١٩٦﴾ وأدوا الحج والعمرة تأمين، مبتغين وجه الله تعالى، فإذا مُنِعْتُم من إتمامهما بمرض أو بدؤوا أو نحو ذلك، فعليكم ذبح ما تيسر من الهدى - من الإبل أو البقر أو الغنم - لتحلّلوا من إحرامكم. ولا تحلقوا رؤوسكم أو تقصروها حتى يبلغ الهدى الموضع الذي يحل فيه ذبحه، فإن كان ممنوعاً من الحرم فليذبح حيث مُنِع، وإن كان غير ممنوع من الحرم فليذبح في الحرم يوم النحر وما بعده من أيام التشريق. فمن كان منكم مريضاً، أو به أذى من شعر رأسه: كقمل ونحوه، فخلّق رأسه سبب ذلك، فلا حرج عليه، وعليه أن يفدي عن ذلك: إما بصيام ثلاثة أيام، أو بإطعام ستة مساكين من مساكين الحرم، أو بذبح شاة توزع على فقراء الحرم، فإذا كنتم عر خائفين فمن استمتع منكم بأداء العمرة في أشهر الحج، وتمتع بما حرّم عليه من محظورات الإحرام إلى أن يحرم بالحج من عامه، فليذبح ما تيسر له من شاة أو يشترك سبعة في ذبح بعير أو بقرة، فإذا لم يقدر على الهدى فعليه صيام ثلاثة أيام من أيام المناسك بدلاً منه، وعليه صيام سبعة أيام بعد رجوعه إلى أهله، ليكون مجموع الأيام عشرة كاملة، ذلك لتمتع مع وجوب الهدى أو الصيام للعاجز عن الهدى هو لغير أهل الحرم ومن يقيم قريباً من الحرم، واتقوا الله باتباع ما شرع، وتعظيم حدوده، واعلموا أن الله شديد العقاب لمن خالف أمره.

وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقَفْتُمُوهُمْ وَآخَرُجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تَقْتُلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يَقْتُلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنْ أَنْتَ هُوَ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَتْلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ أَنْتَهُمْ أَفْلَاحُ عَدُوَانِ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٣﴾ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ وَاتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَن كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾

بأنفسكم فيما يكون سبباً لهلاككم، وأحسنوا في عباداتكم ومعاملاتكم وأخلاقكم، إن الله يحب المحسنين في كل شؤونهم، فيعظم لهم الثواب، ويوفّقهم للرشد. ﴿١٩٦﴾ وأدوا الحج والعمرة تأمين، مبتغين وجه الله تعالى، فإذا مُنِعْتُم من إتمامهما بمرض أو بدؤوا أو نحو ذلك، فعليكم ذبح ما تيسر من الهدى - من الإبل أو البقر أو الغنم - لتحلّلوا من إحرامكم. ولا تحلقوا رؤوسكم أو تقصروها حتى يبلغ الهدى الموضع الذي يحل فيه ذبحه، فإن كان ممنوعاً من الحرم فليذبح حيث مُنِع، وإن كان غير ممنوع من الحرم فليذبح في الحرم يوم النحر وما بعده من أيام التشريق. فمن كان منكم مريضاً، أو به أذى من شعر رأسه: كقمل ونحوه، فخلّق رأسه سبب ذلك، فلا حرج عليه، وعليه أن يفدي عن ذلك: إما بصيام ثلاثة أيام، أو بإطعام ستة مساكين من مساكين الحرم، أو بذبح شاة توزع على فقراء الحرم، فإذا كنتم عر خائفين فمن استمتع منكم بأداء العمرة في أشهر الحج، وتمتع بما حرّم عليه من محظورات الإحرام إلى أن يحرم بالحج من عامه، فليذبح ما تيسر له من شاة أو يشترك سبعة في ذبح بعير أو بقرة، فإذا لم يقدر على الهدى فعليه صيام ثلاثة أيام من أيام المناسك بدلاً منه، وعليه صيام سبعة أيام بعد رجوعه إلى أهله، ليكون مجموع الأيام عشرة كاملة، ذلك لتمتع مع وجوب الهدى أو الصيام للعاجز عن الهدى هو لغير أهل الحرم ومن يقيم قريباً من الحرم، واتقوا الله باتباع ما شرع، وتعظيم حدوده، واعلموا أن الله شديد العقاب لمن خالف أمره.

• من فُقدَ لُحْيَتُهُ: • مقصود الجهاد وغايته جعل الحكم لله تعالى وإزالة ما يمنع الناس من سماع الحق والدخول فيه. • ترك الجهاد والقعود عنه من أسباب هلاك الأمة، لأنه يؤدي إلى ضعفها وطمع العدو فيها. • وجوب إتمام الحج والعمرة لمن شرع فيها، وجواز التحلل منهما بذبح هدي لمن مُنِع عن الحرم.



﴿١٧٧﴾ وقت الحج أشهر معلومة، وتنتهي بعشر ذي تبدأ بشهر شوال، وتنتهي بعشر ذي الحجة، فمن أوجب على نفسه الحج في هذه الأشهر وأحرم به؛ حرّم عليه الحماق ومقدماته، ويتأكد في حقه حرمة الخروج عن طاعة الله بارتكاب المعاصي، لعظم الزمان والمكان، ويحرم عليه الجدال المؤدي إلى الغضب والخصومة، وما تفعلوا من خير يعلمه الله فيحازيكم به، واستعينوا على أداء الحج بأحد ما تحتاجون إليه من طعام وشراب، واعلموا أن خير ما تستعينون به في كل شؤونكم هو تقوى الله تعالى، فخافوني بامتنال أوامري واجتناب نواهي يا ذوي العقول السليمة.

﴿١٧٨﴾ ليس عليكم إثم أن تطلبوا الرزق الحلال بالتجارة وغيرها في أثناء الحج، فإذا دفعتم من عرفات بعد وقوفكم فيها يوم التاسع، متوجهين إلى مزدلفة ليلة العاشر من ذي الحجة؛ فاذكروا الله بالتسبيح والتهليل والدعاء عند المشعر الحرام بمزدلفة، واذكروا الله لهدايته لكم إلى معالم دينه، ومناسك حج بيته، فقد كنتم من قبل ذلك من العافلين عن شريعته.

﴿١٧٩﴾ ثم ادفعوا من عرفات كما كان يصنع الناس المقتدون بإبراهيم عليه السلام، لا كما كان يصنع من لا يقف بها من أهل الجاهلية، واطلبوا المغفرة من الله على تقصيركم في أداء ما شرع، إن الله غفور لمن تاب من عباده، رحيم بهم.

﴿١٨٠﴾ فإذا أنهيتهم أعمال الحج، وفرغتم منها فاذكروا الله، وأكثروا من الثناء عليه، كضركم بأيادكم وثنائكم عليهم، أو أشد ذكراً لله من ذكر آبائكم، لأن كل نعمة تتعمنون بها هي منه ﷻ، والناس مختلفون، فمنهم الكافر المشرك الذي لا يؤمن إلا بهذه الحياة الدنيا، فلا يسأل ربه إلا نعيمها وزينتها من الصحة والمال والولد، وليس لهم نصب مما أعد الله لعباده المؤمنين في الآخرة، لرغبتهم في الدنيا وإعراضهم عن الآخرة.

﴿١٨١﴾ وفريق من الناس مؤمن بالله يؤمن بالآخرة، فيسأل ربه بعم الدنيا والعمل الصالح فيها، كما يسأل الفوز بالجنة والسلامة من عذاب النار.

﴿١٨٢﴾ أولئك الداعون بخيري الدنيا والآخرة لهم حظٌّ من ثواب عظيم بما اكتسبوا من الأعمال الصالحة في الدنيا، والله سريع الحساب للأعمال.

﴿١٨٣﴾ من قوايذ الآيات:

● يجب على المؤمن التروء في سفر الدنيا وسفر الآخرة، ولذلك ذكر الله أن خير الزاد هو التقوى.

● مشروعية الإكثار من ذكر الله تعالى عند إتمام نسك الحج.

● اختلاف مقاصد الناس؛ فمنهم من حل هم الدنيا، فلا يسأل ربه غيرها، ومنهم من يسأل خير الدنيا والآخرة، وهذا هو الموفق.

الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ﴿١٧٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ ﴿١٧٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مِنْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٨٠﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٨١﴾

﴿١٨٢﴾ أولئك الداعون بخيري الدنيا والآخرة لهم حظٌّ من ثواب عظيم بما اكتسبوا من الأعمال الصالحة في الدنيا، والله سريع الحساب للأعمال.

﴿١٨٣﴾ من قوايذ الآيات:

● يجب على المؤمن التروء في سفر الدنيا وسفر الآخرة، ولذلك ذكر الله أن خير الزاد هو التقوى.

● مشروعية الإكثار من ذكر الله تعالى عند إتمام نسك الحج.

● اختلاف مقاصد الناس؛ فمنهم من حل هم الدنيا، فلا يسأل ربه غيرها، ومنهم من يسأل خير الدنيا والآخرة، وهذا هو الموفق.

﴿١﴾ وَادْكُرُوا اللَّهَ بِالْتَّكْبِيرِ وَالتَّهْلِيلِ  
 فِي أَيَّامٍ قَلِيلٍ؛ هِيَ: الْحَادِي عَشَرَ  
 وَالثَّانِي عَشَرَ وَالثَّلَاثَ عَشَرَ مِنْ ذِي  
 الْحِجَّةِ، فَمَنْ تَعَجَّلَ وَخَرَجَ مِنْ مَنَى  
 بَعْدَ الرَّمْيِ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي عَشَرَ فَلَهُ  
 ذَلِكَ، وَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ خَفَّفَ عَنْهُ،  
 وَمَنْ تَأَخَّرَ إِلَى الثَّلَاثِ عَشَرَ حَتَّى يَرْمِيَ  
 فَلَهُ ذَلِكَ، وَلَا حَرَجَ عَلَيْهِ، وَقَدْ جَاءَ  
 بِالْأَكْمَلِ، وَاتَّبَعَ فِعْلَ النَّبِيِّ ﷺ، كُلُّ ذَلِكَ  
 لِمَنْ اتَّقَى اللَّهَ فِي حُجَّهِ فَجَاءَ بِهِ كَمَا  
 أَمَرَ اللَّهُ، وَاتَّقُوا اللَّهَ بِامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ  
 وَاحْتِثَابِ نَوَاهِيهِ، وَأَيُّقِنُوا أَنْكُمْ إِلَيْهِ  
 وَحَدِّدْ تَرْجِعُونَ وَتَصِيرُونَ، فَيَجَازِيكُمْ  
 عَلَى أَعْمَالِكُمْ.  
 ﴿٢﴾ وَمَنْ النَّاسُ مُنَافِقٌ يَعْبُكُ أَنْهَا  
 النَّبِيُّ كَلَامُهُ فِي هَذِهِ الدِّيَا.  
 فَتَرَاهُ حَسَنَ الْمُنَطِقِ، حَتَّى لَتُظَنَّ  
 صِدْقُهُ وَنَصَحُهُ، وَإِنَّمَا قَصْدُهُ  
 حِفْظُ نَفْسِهِ وَمَالِهِ، وَيُشْهَدُ اللَّهُ  
 - وَهُوَ كَاذِبٌ - عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ مِنْ  
 إِيْمَانٍ وَخَيْرٍ، وَهُوَ شَدِيدُ الْخُصُومَةِ  
 وَالْعَدَاوَةِ لِلْمُسْلِمِينَ.  
 ﴿٣﴾ وَإِذَا أَدْبَرَ عَنْكَ وَفَارَقَكَ سَعَى  
 مُجْتَهِدًا فِي الْأَرْضِ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُفْسِدَ  
 بِالْمَعَاصِي، وَيُكَلِّفَ الزَّرْعَ، وَيَقْتُلَ  
 الْمَوَاشِيَ، وَاللَّهُ لَا يَجِبُ الْفُسَادُ فِي  
 الْأَرْضِ، وَلَا يَجِبُ أَهْلُهُ.  
 ﴿٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَذَلِكَ الْمَفْسِدُ - عَلَى  
 سَبِيلِ النَّصِيحِ - اتَّقِ اللَّهَ بَعْظِيمَ  
 حُدُودِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ، مَنَعْتُهُ الْأَنْفَةَ  
 وَالْكَبِيرَ عَنِ الرَّجُوعِ إِلَى الْحَقِّ، وَتَمَادَى  
 فِي الْإِثْمِ، فَجَزَاؤُهُ الَّذِي يَكْفِيهِ دُخُولُ  
 جَهَنَّمَ، وَلِبْسُ الْمُسْتَقَرِّ وَالْمَقَامِ  
 لِأَهْلِهَا.  
 ﴿٥﴾ وَمَنْ النَّاسُ مُؤْمِنٌ يَبِيعُ نَفْسَهُ،  
 فَيُذِلُّهَا طَاعَةً لِرَبِّهِ، وَجِهَادًا فِي سَبِيلِهِ  
 وَطَلِبًا لِمَرْضَاتِهِ، وَاللَّهُ وَاسِعُ الرَّحْمَةِ

بعباده، رؤوف بهم.

﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاتَّبِعُوا رَسُولَهُ ادْخُلُوا فِي الْإِسْلَامِ جَمِيعَةً، وَلَا تَتْرَكُوا مِنْهُ شَيْئًا، كَمَا يَفْعَلُ أَهْلُ الْكِتَابِ مِنَ الْإِيْمَانِ  
 بَعْضُ الْكِتَابِ وَالْكَفَرِ بِبَعْضِهِ، وَلَا تَتَّبِعُوا مَسَالِكَ الشَّيْطَانِ، لِأَنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ وَاصِحُ الْعَدَاوَةِ مُطَهَّرٌ هَا.

﴿٢﴾ فَإِنْ وَقَعَ مِنْكُمْ رَدٌّ وَمِيلٌ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَ تَكْمِ الدَّلَائِلِ الْوَاضِحَاتِ الَّتِي لَا يُبْسَ فِيهَا، فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ فِي قُدْرَتِهِ وَقَهْرٌ، حَكِيمٌ  
 فِي تَدْبِيرِهِ وَتَشْرِيعِهِ، فَحَافُوهُ وَغُظَمُوهُ.

﴿٣﴾ مَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ الْمُتَّبِعُونَ مَسَالِكَ الشَّيْطَانِ الْمَائِلُونَ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِيْتَابًا يُلْقِي بِحِلَالِهِ سَبْحَانَهُ،  
 فِي ظُلْمٍ مِنَ السَّحَابِ لِلْقَضَاءِ بَيْنَهُمْ. وَتَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ مُحِيطَةٌ بِهِمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَعِنْدَئِذٍ يَقْضَى أَمْرُ اللَّهِ فِيهِمْ، وَيُصْرَعُ مِنْهُ، وَاللَّهُ  
 سَبْحَانَهُ وَحْدَهُ تَرْجِعُ أُمُورُ الْخَلَائِقِ وَشُؤُونُهُمْ.

﴿٤﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْإِيْمَانِ،

- النِّقَوى حَقِيقَةٌ لَا تَكُونُ بكَثْرَةِ الْأَعْمَالِ فَقَطْ، وَإِنَّمَا بِمُتَابَعَةِ هَدْيِ الشَّرِيعَةِ وَالِاتِّزَامِ بِهَا.
- الْحُكْمُ عَلَى النَّاسِ لَا يَكُونُ بِمَحْرَدِ أَشْكَالِهِمْ وَأَقْوَالِهِمْ، بَلْ بِحَقِيقَةِ أَعْمَالِهِمْ الدَّالَّةِ عَلَى مَا أَخْفَتْهُ صُدُورُهُمْ
- الْإِفْسَادُ فِي الْأَرْضِ بِكُلِّ صُورَةٍ مِنْ صِفَاتِ الْمُتَكَبِّرِينَ الَّتِي تَلَازِمُهُمْ، وَاللَّهُ تَعَالَى لَا يَجِبُ الْفُسَادُ وَأَهْلُهُ.
- لَا يَكُونُ الْمَرْءُ مُسْلِمًا حَقِيقَةً لِلَّهِ تَعَالَى حَتَّى يُسَلِّمَ لِهَذَا الدِّينِ كُلِّهِ، وَيُقْبِلَهُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا.



سَلِّ بَنِي إِسْرَءِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَاتِنَا بَيِّنَةً وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٣١﴾  
 لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ  
 اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٣٢﴾  
 كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ  
 وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ  
 فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ  
 مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا  
 لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ  
 إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٣٣﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا  
 يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ  
 وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ  
 اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢٣٤﴾ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ  
 مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِللَّهِ وَاللَّذِينَ فِي الْأَقْرَابِ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ  
 وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾

﴿٢٣١﴾ اسأل إسرائيل سؤال توبيخ لهم: كم بيّن الله تعالى لكم من آية واضحة دالة على صدق الرسل؟ فكذبتموها وأعرضتم عنها، ومن يبدل نعمة الله كفرًا وتكذيبًا بعد معرفتها وظهورها؛ فإن الله شديد العقاب للكافرين المكذبيين.

﴿٢٣٢﴾ حُسن للذين كفروا بالله الحياة الدنيا وما فيها من متّع زائلة، وملذات منقطعة، ويستهنّ ثوب بالدين آمنوا بالله واليوم الآخر، والذين اتقوا الله بفعل أوامر وترك نواهيه فوق هؤلاء الكافرين في الآخرة، حيث ينزلهم الله في جنات عدن، والله يعطي من يشاء من خلقه بلا عد ولا حساب.

﴿٢٣٣﴾ كان الناس أمة واحدة متقين على الهدى، على دين أبيهم آدم، حتى أضلّتهم الشياطين، فاختلّفوا بين مؤمن وكافر، فلاجل ذلك بعث الله الرسل مبشرين أهل الإيمان والطاعة بما أعد الله لهم من رحمته، ومنذرين أهل الكفر بما أوعدهم الله به من شديد عقابه، وأنزل مع رسله الكتب مشتملة على الحق الذي لا شك فيه، ليحكموا بين الناس فيما اختلفوا فيه، وما اختلف في الكتاب، الذي أنزله الله - وهو التوراة - إلا الذين أعطوا علمه من اليهود، بعد ما حاءتهم حجج الله أنه حق من عنده، لا يسمعهم الاختلاف فيه، طغيًا منهم، فوق الله المؤمنين لمعرفة الهدى من الضلال بإذنه وإرادته، والله يهدي من يشاء إلى طريق مستقيم لا اعوجاج فيه، وهو طريق الإيمان.

﴿٢٣٤﴾ أم ظننتم أيها المؤمنون أن تدخلوا الجنة ولم يصيكم

ابتلاءً مثل ابتلاء الماصين من قبلكم، حيث أصابهم شدة الفقر والمرض، وزلزلتهم المحاول، حتى بلغ بهم البلاء أن يستعجلوا نصر الله، فيقول الرسول والمؤمنون معه، متى يأتي نصر الله؟ ألا إن نصر الله قريب من المؤمنين به، المتوكلين عليه ﴿٢٣٥﴾ يسألك أصحابك أيها النبي: ماذا ينفقون من أموالهم المتنوعة، وأن يصنعونها؟ قل مجيبًا إياهم: ما أنفقتم من خير وهو الحلال الطيب فليصرفه للوالدين، وللأدنى متكم من قرابتكم بحسب الحاجة، ولل محتاج من اليتامى، وللمعدين الدين ليس لهم مال، وللمسافر الذي يقطع به السفر عن أهله ووطنه، وما تفعلوا أيها المؤمنون من خير قليلًا كان أو كثيرًا فإن الله به عليم، لا يخفى عليه منه شيء، وسيجازيكم عليه.

﴿٢٣٦﴾ من قَوْلِهِ لَأَيُّهَا

- ترك شكر الله تعالى على نعمه وترك استعمالها في طاعته يعرضها للزوال ويحيلها بلاءً على صاحبها.
- الأصل أن الله خلق عباده على فطرة التوحيد والإيمان به، واليُس وأعوانه هم الذين صرفوهم عن هذه الفطرة إلى الشرك به.
- أعظم الخذلان الذي يؤدي للفشل أن تختلف الأمة في كتابها وشريعتها، فيكفر بعضها بعضًا، ويلعن بعضها بعضًا.
- الهداية للحق الذي يحتفل فيه الناس، ومعرفة حقه الصواب بيد الله، ويطلب منه تعالى بالإيمان به والانقياد له.
- الابتلاء سُنَّة الله تعالى في أوليائه، فيبليهم بقدر ما في قلوبهم من الإيمان به والتوكل عليه.
- من أعظم ما يعين على الصبر عند نزول البلاء، الاقتداء بالصالحين وأخذ الأسوة منهم.

الْمُؤْمِنُونَ الْقِتَالُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَهُوَ  
مَكْرَهُهُ لِلنَّفْسِ بِطَبِيعِهَا؛ لَمَّا فِيهِ مِنْ بَذْلِ  
الْمَالِ وَالنَّفْسِ، وَلِعَلَّكُمْ تَكْرَهُونَ شَيْئًا  
وَهُوَ فِي الْوَاقِعِ خَيْرٌ وَنَفْعٌ لَكُمْ؛ كَالْقِتَالِ  
فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَمَعَ عَظَمَ ثَوَابِهِ فِيهِ  
النَّصْرُ عَلَى الْأَعْدَاءِ وَرَفْعُ كَلِمَةِ اللَّهِ،  
وَلِعَلَّكُمْ تَحِبُّونَ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ وَوَيْبَالٌ  
عَلَيْكُمْ؛ كَالْتَخَلُّفِ عَنِ الْجِهَادِ، فَإِنَّ فِيهِ  
الْحِدْلَانَ وَتَسْلُطَ الْأَعْدَاءِ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ  
عَلَمًا تَأْخَا خَيْرَ الْأُمُورِ وَشَرِّهَا، وَأَنْتُمْ لَا  
تَعْلَمُونَ ذَلِكَ، فَاسْتَجِيبُوا لِأَمْرِهِ؛ فَبِهِ  
الْخَيْرُ لَكُمْ.

﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ أَيُّهَا النَّبِيُّ عَنْ  
حُكْمِ الْقِتَالِ فِي الْأَشْهُرِ الْحَرَمِ﴾ دِي  
لِفَعْدَةِ وَدِي الْحِجَّةِ وَالْمَحْرَمِ وَرَحِبِ،  
قُلْ مَجِيبًا إِيَّاهُمْ. الْقِتَالُ فِي هَذِهِ  
الْأَشْهُرِ عَظِيمٌ عِنْدَ اللَّهِ وَمُسْتَكْرَ،  
كَمَا أَنَّ مَا يَقُومُ بِهِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ صَدِّ  
عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ مُسْتَقْبِحٌ كَذَلِكَ، وَمَنْعُ  
الْمُؤْمِنِينَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ،  
وَإِحْرَاجِ أَهْلِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ مِنْهُ  
أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْقِتَالِ فِي الْأَشْهُرِ  
الْحَرَامِ، وَالشَّرُّ الَّذِي هُمْ فِيهِ أَعْظَمُ  
مِنَ الْقِتْلِ، وَلَا يُرَالُ الْمُشْرِكُونَ عَلَى  
ظُلْمِهِمْ يَقَاتِلُونَكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ  
حَتَّى يَرْدُوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ الْحَقُّ إِلَى  
دِينِهِمُ الْبَاطِلُ إِنْ اسْتَطَاعُوا إِلَى ذَلِكَ  
سَبِيلًا، وَمَنْ يَرْجِعْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ،  
وَيَمُتْ وَهُوَ عَلَى الْكُفْرِ بِاللَّهِ؛ فَقَدْ بَطَلَ  
عَمَلُهُ الصَّالِحُ، وَمَالُهُ فِي الْآخِرَةِ دُخُولُ  
النَّارِ وَمَلَأَتْهَا أَبَدًا.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ،  
وَالَّذِينَ تَرَكُوا آوْطَانَهُمْ وَمِهَاجِرِينَ إِلَى  
اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَقَاتَلُوا لَتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ  
هِيَ الْعُلْيَا؛ أُولَئِكَ يَطْمَعُونَ فِي رَحْمَةِ  
اللَّهِ وَمَغْفِرَتِهِ، وَاللَّهُ غَفُورٌ لِدُنُوبِ عِبَادِهِ

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا  
شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ  
لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ  
الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ  
اللَّهِ وَكَفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ  
أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقِتَالِ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ  
يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرْدُوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ  
يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فِيمَتٌ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ  
حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ  
النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ  
هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ  
اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ  
قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ  
مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْغَفْوُ كَذَلِكَ  
يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾

﴿يَسْأَلُكَ أَصْحَابُكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ عَنِ الْخَمْرِ (وهي كل ما غطى العقل وأذهبه)؛ يسألونك عن حكم شربها وبيعها وشرائها؟  
ويسألونك عن حكم القمار (وهو: ما يُؤخذ من المال عن طريق المناصبات التي فيها عوض من الطرفين المشتركين في المناقصة)؟  
قل مجيبًا إِيَّاهُمْ: فِيهِمَا مَضَارٌ وَمَفَاسِدٌ دِينِيَّةٌ وَدُنْيَوِيَّةٌ كَثِيرَةٌ: مِنْ ذَهَابِ الْعَقْلِ وَالْمَالِ، وَالْوُقُوعُ فِي الْعِدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ، وَفِيهِمَا مَنَافِعٌ  
قَلِيلَةٌ كَالْمَكَاسِبِ الْمَالِيَّةِ، وَصَرَرِهِمَا وَالْإِثْمِ الْحَاصِلَ بِيَهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا، وَمَا كَانَ صَرُّهُ أَكْثَرَ مِنْ نَفْعِهِ؛ فَإِنَّ الْعَاقِلَ يَجْتَنِبُهُ، وَهَذَا  
الْبَيَانُ مِنَ اللَّهِ فِيهِ تَهْمِيدٌ لِتَحْرِيمِ الْخَمْرِ. وَيَسْأَلُكَ أَصْحَابُكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ - عَنْ قَدَرِ مَا يُنْفِقُونَهُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ عَلَى وَجْهِ التَّطَوُّعِ وَالتَّبَرُّعِ؟  
قل مجيبًا إِيَّاهُمْ: أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِكُمْ الَّتِي يَزِيدُ عَنْ حَاجَتِكُمْ (وقد كان هذا أول الأمر، ثم شرع الله بعد ذلك الزكاة الواجبة في أموال  
مخصوصة وأنصبة معينة)، ويمثل هذا البيان الذي لا لبس فيه يبين الله لكم أحكام الشرع لعلكم تتفكرون.

• مِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ،

- الْجَهْلُ بِعَوَاقِبِ الْأُمُورِ قَدْ يَجْعَلُ الْمَرْءَ يَكْرَهُ مَا يَنْفَعُهُ وَيَحِبُّ مَا يَصْرَهُ، وَعَلَى الْمَرْءِ أَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ الْهَدَايَةَ لِلرَّشَادِ.
- جَاءَ الْإِسْلَامُ بِتَعْظِيمِ الْحَرَمَاتِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْإِعْتِدَاءِ عَلَيْهَا، وَمَنْ أَعْظَمَهَا صَدَّ النَّاسَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى.
- لَا يَزَالُ الْكُفْرَانُ أَبَدًا حَرًّا عَلَى الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ حَتَّى يَخْرُجُوهُمْ مِنْ دِينِهِمْ إِنْ اسْتَطَاعُوا، وَاللَّهُ مُوَهِّنٌ كَيْدَ الْكَافِرِينَ.
- الْإِيمَانُ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَالْهَجْرَةُ إِلَيْهِ، وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ: أَعْظَمُ الْوَسَائِلِ الَّتِي يُنَالُ بِهَا الْمَرْءُ رَحْمَةَ اللَّهِ وَمَغْفِرَتَهُ.
- حَرَّمَ الشَّرِيْعَةُ كُلَّ مَا فِيهِ ضَرَرٌ غَالِبٌ وَإِنْ كَانَ فِيهِ بَعْضُ الْمَنَافِعِ؛ مَرَاعَاةً لِمَصْلَحَةِ الْعِبَادِ.



﴿٣٢﴾ شرع ذلك لكي تتفكروا فيما ينفعكم في الدنيا والآخرة. ويسألك أصحابك أيها النبي عن قيامهم بالولاية على اليتامى: كيف يتصرفون في التعامل معهم؟ وهل يخلطون أموالهم معهم في النعمة والمطاعمة والمساكنة؟ قل مجيباً إياهم: تفصلكم عليهم بإصلاح أموالهم من غير عوض أو مخالطة في أموالهم: خير لكم عند الله وأعظم أجراً، وهو خير لهم في أموالهم؛ لما فيه من حفظ أموالهم عليهم، وإن تشاركوهم بضم مالهم إلى مالكم في المعاش والمساكن ونحو ذلك؛ فلا حرج في ذلك، فهم إخوانكم في الدين، والإخوة يعين بعضهم بعضاً، ويقوم بعضهم على شؤون بعض، والله يعلم من يريد الإفساد من الأولياء بمشاركة اليتامى أموالهم ممن يريد الإصلاح، ولو شاء أن يشق عليكم في شأن اليتامى لشق عليكم، ولكنه يسر لكم سبيل التعامل معهم؛ لأن شريعته مبنية على اليسر، إن الله عزيز لا يغالبه شيء، حكيم في خلقه وتديبره وتشريع. ﴿٣٣﴾ ولا تتزوجوا أيها المؤمنون المشركات بالله حتى يؤمن بالله وحده، ويدخلن في دين الإسلام. وإن امرأة مملوكة مؤمنة بالله ورسوله خير من امرأة حرة تعبد الأوثان، ولو أعجبكم بجمالها ومالها، ولا تزوجوا المسلمات رجلاً مشركين. ولعبد مملوك مؤمن بالله ورسوله خير من حر مشرك، ولو أعجبكم. أولئك المتصمون بالشرك رجلاً ونساءً يدعون بأفوالهم وأفعالهم إلى ما يقود إلى دخول النار، والله يدعو إلى الأعمال الصالحة التي تقود إلى دخول الجنة والمغفرة من الذنوب بإذنه

فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الَّتِي مَلَئَتْ قُلُوبَهُمْ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنْ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمَنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٣٣﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴿٣٤﴾ نِسَاءُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُّلَقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٦﴾

وفضله، ويبين آياته للناس لعلهم يعتبرون بما دلت عليه فيعملون بها. ﴿٣٢﴾ ويسألك أصحابك أيها النبي عن الحيض (وهو دم طبيعي يخرج من رحم المرأة في أوقات مخصوصة)؟ قل مجيباً إياهم: الحيض أذى للرجل والمرأة، فاجتنبوا جماع النساء في وقته، ولا تقربوهن بالوطء حتى ينقطع الدم عنهن، ويتطهرن منه بال غسل، فإذا انقطع وتطهرن منه فجامعوهم على الوجه الذي أباح لكم: طاهرات في قلوبهن، إن الله يحب المكثرين من التوبة من المعاصي، والمبالغين في الطهارة من الأحيات. ﴿٣٣﴾ وروحاتكم محل رزع لكم يلدن لكم الأولاد كالأرض التي تخرج الثمار، فأتوا محل الزرع وهو القبل من أي جهة شئتم وكبما شئتم إذا كان في القبل، وقدموا لأنفسكم بفعل الخيرات، ومنه أن يجامع الرجل امرأته بقصد التقرب إلى الله، ورجاء الذرية الصالحة، واتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، ومنها ما شرع لكم في شأن النساء، واعلموا أنكم ملاقوه يوم القيامة، وافقون بين يديه، ومجازيكم على أعمالكم، وبشر أيها النبي المؤمنين بما يسرهم عند لقاء ربهم من النعيم المقيم، والنظر إلى وجهه الكريم. ﴿٣٤﴾ ولا تجعلوا الحلف بالله حجة مابة، من فعل البر والتقوى والإصلاح بين الناس، بل إذا حلفتكم على ترك البر: فافعلوا البر وكفروا عن أيما نكم، والله سميع لأقوالكم، عليم بأفعالكم، وسيجازيكم عليها.

• من فوائد الآيات: • تحريم النكاح بين المسلمين والمشركين، وذلك ليعد ما بين الشرك والإيمان. • دلت الآية على اشتراط الولي عند عقد النكاح، لأن الله تعالى حاطب الأولياء لما بهي عن تزويج المشركين. • حث الشريعة على الطهارة الحسية من النجاسات والأفكار، والطهارة المعنوية من الشرك والمعاصي. • ترغيب المؤمن في أن يكون نظره في أعماله حتى ما يتعلق بالملمات - إلى الدار الآخرة، فيقدم لنفسه ما ينفعه فيها.





وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَا تَحْزَنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ  
أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَنْ  
يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا  
وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ  
يُعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَإِذَا  
طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَا تَحْزَنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ  
أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ  
مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ لَكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَظْهَرُ وَاللَّهُ  
يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ \* وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ  
كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنْفِثَ الرِّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ  
وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ  
وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَالِدَتِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ  
أَرَادَ اِفْصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ  
أَرَدْتُمْ أَنْ تُسَرِّضُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا  
ءَاتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٥﴾

﴿٣٣﴾ وإذا طلقتم نساءكم فحازرين انتهاء عدتهن؛ فلكم أن تراجعهن أو تتركوهن بالمعروف دون رجعة حتى تنقضي عدتهن، ولا تراجعهن لأجل الاعتداء عليهن والإضرار بهن كما كان يفعل في الجاهلية، ومن يفعل ذلك بقصد الإضرار بهن؛ فقد ظلم نفسه بتعريضها للإثم والعقوبة، ولا تجعلوا آيات الله محل استهزاء بالتلاعب بها والتجسس عليها، واذكروا نعم الله عليكم، ومن أعظمها ما أنزل عليكم من القرآن والسنة، يذكركم بهذا ترغيباً لكم وترهيباً، وخافوا الله بامثال أوامره واجتنب نواهيه، واعلموا أن الله بكل شيء عليم، فلا يخفى عليه شيء، وسيجازيكم بأعمالكم.

﴿٣٤﴾ وإذا طلقتم نساءكم أقل من ثلاث طلاقات، وانتهت عدتهن، فلا تمنوهن - أيها الأولياء - حينئذ من العودة إلى أزواجهن بعقد ونكاح جديد إذا رغب في ذلك، وتراضين مع أزواجهن عليه، ذلك الحكم المتضمن النهي عن منعهن يُذكر به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر، ذلكم أكثر نماء للخير فيكم، وأشدّ طهراً لأعراضكم وأعمالكم من الأدناس، والله يعلم حقائق الأمور وعواقبها وأنتم لا تعلمون ذلك.

﴿٣٥﴾ والوالدات يرضعن أولادهن سنتين كاملتين، ذلك التحديد بسنتين لمن قصد إكمال مدة الرضاعة، وعلى والد الطفل نفقة الوالدات المرضعات المطلقات

ولباسهن، بحسب ما تعارف عليه الناس مما لا يخالف الشرع، لا يكلف الله نفساً أكثر من سعتها وقدرتها، ولا يجعل لأحد الأبوين أن يتخذ الولد وسيلة إضرار للآخر، وعلى وارث الطفل إذا عُبِم الأب، وكان الطفل ليس له مال مثل ما على الأب من الحقوق، فإن أراد الأبوان إطعام الولد قبل تمام السنتين فلا إثم عليهما في ذلك، إذا كان بعد تشاورهما وتراضيهما على ما فيه مصلحة المولود، وإن أردتم أن تطلبوا لأولادكم مرضعات غير الأمهات: فلا إثم عليكم إذا سلمتم ما اتفقتم عليه مع المرضعة من أجره بالمعروف بلا نقص أو مماطلة، واتقوا الله بامثال أوامره واجتنب نواهيه، واعلموا أن الله بما تعملون بصير، فلا يخفى عليه شيء من ذلك، وسيجازيكم على ما قدمتم من أعمال.

من قولها: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾

- نهى الرجال عن ظلم النساء سواء كان بفضل موليته عن الزواج، أو إجبارها على ما لا تريد.
- خصم الشرع للآم حق الرضاع، وإن كانت مطلقة من زوجها، وعليه أن ينفق عليها ما دامت ترضع ولده.
- نهى الله تعالى الزوجين عن اتخاذ الأولاد وسيلة يقصد بها أحدهما الإضرار بالآخر.
- الحث على أن تكون كل الشؤون المتعلقة بالحياة الزوجية مبنية على التشاور والتراضي بين الزوجين.

﴿٢١﴾ والذين يموتون ويتركون وراءهم زوجات غير حوامل؛ ينتظرن بأنفسهن وجوباً مدة أربعة أشهر وعشرة أيام، يمتنعن فيها عن الخروج من بيت الزوج، وعن الزينة والزواج، فإذا انقضت هذه المدة، فلا إثم عليكم أيها الأولياء فيما فعلن بأنفسهن مما كان ممنوعاً عليهن في تلك المدة، على الوجه المعروف شرعاً وعرفاً، والله بما تعملون خبير لا يحفى عليه شيء من ظاهركم وباطنكم، وسبجازيكم عليه.

﴿٢٢﴾ ولا إثم عليكم في التلميح بالرغبة في خطبة المعتدة من وفاة أو طلاق بائن، دون التصريح بالرغبة، كأن يقول: إذا انقضت عدتكم فأخبريني، ولا إثم عليكم فيما أحصمتم في أنفسكم من الرغبة في نكاح المعتدة بعد انقضاء عدتها، علم الله أنكم ستذكرونها لشدة رغبتكم فيهن، فأباح لكم التلميح دون التصريح، واحذروا أن تتواعدوا سراً على النكاح وهن في مدة العدة، إلا وفق المعروف من القول وهو التعريض، ولا تبرموا عقد النكاح في زمن العدة، واعلموا أن الله يعلم ما تضررونه في أنفسكم مما أباح لكم وحرم عليكم فأحذروه، ولا تخالفوا أمره، واعلموا أن الله غفور لمن تاب من عباده، حلیم لا يعاجل بالعقوبة.

﴿٢٣﴾ لا إثم عليكم إن طلقتم زوجاتكم اللاتي عقدتم عليهن قبل أن تجاموهن وقبل أن توجبا

وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَضَّنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢١﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا عَرَضْتُمْ بِهِ مِنْ خُطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عِلْمَ اللَّهِ أَنَّهُ أَتَكُمْ سَتَذْكُرُوهُنَّ وَلَٰكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا وَلَا تَعْرُضُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسَعِ قَدَرُهُ، وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَّعَا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَوَضِّفْ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٤﴾

مهراً محدداً لهن، فإذا طلقتموهن على هذه الحال فلا يجب لهن عليكم مهر. وإنما يجب إعطاؤهن شيئاً يتمتعن به، ويجبر كسر نفوسهن، بحسب الاستطاعة سواء كان موسقاً عليه كثير المال أو مضيقاً عليه قليل المال. وهذا العطاء حق ثابت على المحسنين في أفعالهم ومعاملاتهم.

﴿٢٥﴾ وإن طلقتم زوجاتكم اللاتي عقدتم عليهن قبل جماعهن وقد أوجس لهن مهراً محدداً، فيجب عليكم دفع نصف المهر المسمى إليهن، إلا أن يسمعن لكم به - إن كن رشيدات - أو يسمح الأزواج أنفسهم ببذل المهر كاملاً لهن، وإن تتسامحوا في الحقوق بينكم أقرب إلى حشية الله وطاعته، ولا تركوا أيها الناس تفصل بعضكم على بعض، والمسامحة في الحقوق، فإن الله بما تعملون بصير، فاجتهدوا في بذل المعروف لقتالوا ثواب الله عليه.

من فوائد الآيات:

- مشروعية العدة على من توفي عنها زوجها بأن تمتنع عن الزينة والزواج مدة أربعة أشهر وعشرة أيام.
- معرفة المؤمن باطلاع الله عليه تحمله على الحذر منه تعالى والوقوف عند حدوده.
- الحث على المعاملة بالمعروف بين الأزواج والأقارب، وأن يكون العفو والمسامحة أساس تعاملهم فيما بينهم.



حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ  
قَانِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ  
فَادْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ  
﴿٢٣٩﴾ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا  
وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرِ إِخْرَاجٍ فَإِنْ  
خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ  
مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ وَلَمَّا طَلَّقَتِ مَتْعُ  
بِالْمَعْرُوفِ حَقَّ عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ  
اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾ \* أَلَمْ تَرَ  
إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ  
فَقَالَ لَهُمْ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ  
عَلَى النَّاسِ وَلَئِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾  
وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَنْ  
ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا  
كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾

﴿٢٣٨﴾ حافظوا على الصلوات بادائها تامة كما أمر الله، وحافظوا على الصلوة الوسطى بين الصلوات وهي صلاة العصر، وقوموا لله في صلاتكم مطيعين حاشعين.

﴿٢٣٩﴾ فإن ختمتم من عدو ونحوه، فلم تقدرُوا على أدائها تامة فصلوا مشاة على أرجلكم أو راكبين على الإبل والخيول ونحوها، أو على أي صفة تقدرُونَ عليها، فإذا زال الحوف عنكم فادكروا الله بجميع أنواع الذكر، ومنه الصلاة على كمالها وتمامها، مثل ما علمكم ما لم تكونوا تعلمونه من النور والهدى.

﴿٢٤٠﴾ والذين يموتون منكم ويركون وراءهم أزواجًا عليهم أن يوصوا لهن بأن يمتنن بالسكنى والنفقة عامًا كاملاً لا يخرجهن ورثكم؛ جبرًا لهن لما أصابهن، ووفاء للميت، فإن خرجن قبل إكمال العام من تلقاء أنفسهن فلا إثم عليكم ولا عليهن فيما فعلن في أنفسهن من التزين والتطيب، والله عزيز لا غالب له، حكيم في تدبيره وشرعه وقدره. هذا وقد ذهب جمهور المفسرين إلى أن حكم هذه الآية منسوخ بقوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَرِثُنَّ بِأَنْفُسِهِنَّ زَوْجَهُنَّ أَشْهُرًا وَعَشْرًا﴾ (البقرة: ٢٢٤).

﴿٢٤١﴾ وللمطلقات متاع يمتنن به من كسوة أو مال أو غير ذلك، جبرًا لخواتمهن المنكسرة بالطلاق، وفق المعروف من مراعاة حال الزوج من قلة أو كثرة، وهذا الحكم

حق ثابت على المتقين لله تعالى بامتنال أمره واجتناب نهيه.

﴿٢٤٢﴾ مثل ذلك البيان السابق يبين الله لكم أيها المؤمنون آياته المشتملة على حدوده وأحكامه: لعلمكم تعقلونها وتعملون بها، فتتألون الخير في الدنيا والآخرة.

﴿٢٤٣﴾ ألم يلع علمك أيها النبي خبر الذين حرقوا من بيوتهم وهم خلق كثير خوفًا من الموت بسبب الوباء أو غيره، وهم طائفة من بنى إسرائيل، فقال لهم الله: موتوا، فماتوا، ثم أعادهم أحياء. ليبين لهم أن الأمر كله بيده سبحانه، وأنهم لا يملكون لأنفسهم نفقًا ولا ضرًا، إن الله لذو عطاء وفصل على الناس، ولكن أكثر الناس لا يشكرون الله على نعمه.

﴿٢٤٤﴾ وقالوا أيها المؤمنون أعداء الله، نصرة لدينه ورفعة لكلمته، واعلموا أن الله سميع لأقوالكم، عليم بنياتكم وأفعالكم، وسيجازيكم عليها.

﴿٢٤٥﴾ من ذا الذي يعمل المقرض، فينفق ماله في سبيل الله بنية حسنة ونفس طيبة، ليعود عليه أضغافًا كثيرة؟ والله يضيّق في الرزق والصحة وغيرها، ويوسع في ذلك كله بحكمته وعدله. وإليه وحده ترجعون في الآخرة، فيجازيكم على أعمالكم.

من فوائد الآيات،

- الحث على المحافظة على الصلاة وأدائها تامة الأركان والشروط، فإن شق عليه صلى على ما تيسر له من الحال.
- رحمة الله تعالى بعباده ظاهرة، فقد بين لهم آياته أتم بيان للإفادة منها.
- أن الله تعالى قد يبتلي بعض عباده فيضيّق عليهم الرزق، ويبتلي آخرين بسعة الرزق، وله في ذلك الحكمة البالغة.

﴿٢١﴾ أَلَمْ يَلِغْ عِلْمُكَ - أَيُّهَا

النبي خبر الأشراف من بني إسرائيل بعد زمن موسى عليه السلام، حين قالوا لنبي لهم أقم لنا ملكاً نقاتل معه في سبيل الله، فقال لهم نبينهم لعلكم إن فرص الله عليكم القتال ألا تقاتلوا في سبيل الله؟ قالوا منكرين ظنه فيهم: أي مانع يمنعنا من القتال في سبيل الله مع وجود ما يقتضي ذلك منا؟ فقد أخرجنا أعداؤنا من أوطاننا، وأسروا أبناءنا، فنقاتل لاستعادة أوطاننا وتخليص أسرانا، فلما فرص الله عليهم القتال أعرصوا إذ لم يوقفوا بما وعدوا به إلا قلة منهم، والله عليم بالظالمين المعرضين عن أمره، الناقضين لعهد، وسيجازيهم على ذلك.

﴿٢٢﴾ وقال لهم نبينهم. إن الله قد أقام لكم طالوت ملكاً عليكم لقاتلوا تحت رايته، قال أشرفهم مستكرين هذا الاختيار ومعترضين عليه: كيف يكون له الملك علينا، ونحن أولى بالملك منه؛ إذ لم يكن من أبناء الملوك، ولم يقطع مالا، واسعاً يستعين به على الملك؟ قال لهم نبينهم: إن الله اختاره عليكم، وزاده عليكم سعة في العلم وقوة في الجسم، والله يؤتي ملكه من يشاء بحكمته ورحمته، والله واسع الفضل يعطي من يشاء، عليم بمن يستحقه من خلقه.

﴿٢٣﴾ وقال لهم نبينهم: إن علامة صدق اختياره ملكاً عليكم: أن يرد الله عليكم التابوت - وكان صندوقاً يعظمه بنو إسرائيل أخذ منهم

الْمَتَرِ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذِ  
قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ أَبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نَقْتُلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ  
قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا  
قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نَقْتُلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَخْرَجَنَا  
مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا  
إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾ وَقَالَ لَهُمْ  
نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا  
قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ  
بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ  
أَصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ  
وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢﴾  
وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ  
التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا  
تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ  
إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾

٤٠

فيه طمأنينة تصاحبه، وفيه بقايا مما تركه آل موسى وآل هارون، مثل العصا، وبعض من الألواح، إن في ذلك لعلامة بيّنة لكم إن كنتم مؤمنين حقاً.

• من فوائد الآيات:

- التنبيه إلى أهم صفات القائد التي تؤهله لقيادة الناس، وهي العلم بما يكون قائداً فيه، والقوة عليه.
- إرشاد من يتولى قيادة الناس إلى ألا يغتر بأقوالهم حتى يبلوهم، ويختبر أفعالهم بعد أقوالهم.
- أن الاعتبارات التي قد تشتت بين الناس في وزن الآخرين والحكم عليهم قد لا تكون هي الموارد الصالحة عند الله تعالى، بل هو سبحانه يصطفي من يشاء من خلقه بحكمته وعلمه.



فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ  
 بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ  
 فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرَبُوا مِنْهُ  
 إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا  
 مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ  
 قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلْكُوا اللَّهَ كَرُمٌ مِنْ فِعْلةٍ  
 قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِعْلةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ  
 الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا  
 رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبَّتْ أقدامنا وَأَنْصَرْنَا  
 عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٤٧﴾ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ  
 وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ  
 وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ  
 بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو  
 فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٤٨﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا  
 عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٤٩﴾

﴿٢٤٦﴾ فلما خرج طالوت بالجنود عن البلد قال لهم: إن الله مختبركم بنهر، فمن شرب منه فليس علي طريقي، ولا يصاحبني في قتال، ومن لم يشرب منه فإنه علي طريقي، ويصاحبني في القتال، إلا من اضطر فشرب مقدار غرقة بكف يده فلا شيء عليه، فشرب الجنود إلا قليلاً منهم صبروا علي عدم الشرب مع شدة العطش، فلما جاوز طالوت النهر هو والمؤمنون معه، قال بعض جنوده: لا قدرة لنا اليوم علي قتال جالوت وجنوده، وعندئذ قال الذين يوقنون أنهم ملائكة الله يوم القيامة: كم من طائفة مؤمنة قليلة العدد غلبت طائفة كافرة كثيرة العدد بإذن الله وعونه، فالعبرة في النصر بالإيمان لا بالكرّة، والله مع الصابرين من عباده يؤيدهم وينصرهم.

﴿٢٤٧﴾ ولما خرجوا ظاهرين لجالوت وجنوده توجهوا إلى الله بالدعاء قائلين: ربنا صبّ علي قلوبنا الصبر صباً، وثبت أقدامنا حتى لا نغزو ولا نتهمز أمام عدونا، وانصرنا بقوتك وتأيدك علي القوم الكافرين.

﴿٢٤٨﴾ فهزمهم بإذن الله، وقتل داود قائدهم جالوت، وآتاه الله الملك والنبوة، وعلمه مما يشاء من أنواع العلوم، فجمع له بين ما يصلح الدنيا والآخرة. ولولا أن من سنة الله أن يردّ ببعض الناس فساد بعضهم: لفسدت الأرض بتسلط المفسدين فيها، ولكن الله ذو فضل علي جميع المخلوقات.

﴿٢٤٩﴾ تلك آيات الله الواضحة البينة نتلوها عليك أيها النبي متضمنة صدقاً في الأخبار، وعدلاً في الأحكام، وإنك لمن المرسلين من رب العالمين.

❖ من فوائد الآيات:

- من حكمة القائد أن يُعرض جيشه لأنواع الاختبارات التي يتميز بها جنوده ويعرف الثابت من غيره.
- العبرة في النصر ليست بمجرد كثرة العدد والعدة فقط، وإما معونة الله وتوقيفه أعظم الأسباب للنصر والظفر.
- لا يثبت عند الفتن والشدائد إلا من غمّز اليقين بالله قلوبهم. فمثل أولئك يصبرون عند كل محنة، ويثبتون عند كل بلاء.
- الضراعة إلى الله تعالى بقلب صادق متعلق به من أعظم أسباب إجابة الدعاء، ولا سيما في مواطن القتال.
- من سنة الله تعالى وحكمته أن يدفع شر بعض الخلق وفسادهم في الأرض ببعضهم.

﴿٢٥٦﴾ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدَ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٧﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَةَ وَلَا شَفَعَةً وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٥٨﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٩﴾ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٠﴾

٤٢

﴿٢٥٦﴾ أولئك الرسل الذين ذكرناهم لك، فضلنا بعضهم على بعض في الوحي والأنبياء والدرجات، منهم من كلمه الله مثل موسى ﴿٢٥٧﴾، ومنهم من رفعه درجات عالية مثل محمد ﴿٢٥٨﴾، إذ أرسل للناس كلهم، وخبّرت به النبوة، وفضلت أمته على الأمم، وآتيناه عيسى ابن مريم المعجرات الواضحات الدالة على نبوته، كاحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، وأيدناه بحبريل ﴿٢٥٩﴾، تقوية له على القيام بأمر الله تعالى. ولو شاء الله ما أقتل الذين جاؤوا من بعد الرسل من بعد ما جاءتهم الآيات الواضحة، ولكن اختلفوا فانقسموا؛ فمنهم من آمن بالله، ومنهم من كفر به، ولو شاء الله ألا يقتلوا ما أقتلوا، ولكن الله يفعل ما يريد، فيهدي من يشاء إلى الإيمان برحمته وفضله، ويضل من يشاء بعدله وحكمته.

﴿٢٥٧﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله واتيوا رسوله، أنفقوا مما رزقناكم من مختلف الأموال الحلال، من قبل أن يأتي يوم القيامة، حينئذ لا بيع فيه يكتسب منه الإنسان ما ينفعه، ولا صداقة تنفعه في وقت الشدة، ولا وساطة تدفع ضرراً أو تجلب نفعا إلا بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى، والكافرون هم الظالمون حقاً لكفرهم بالله تعالى.

﴿٢٥٨﴾ الله الذي لا إله يعبد بحق إلا هو وحده دون سواه، الحي حياة كاملة لا موت فيها ولا نقص، القيوم الذي قام بنفسه فاستغنى عن جميع خلقه، وبه قامت جميع المخلوقات فلا تستغني عنه في كل أحوالها، لا يأخذه ناس ولا نوم؛ لكمال حياته وقيوميته، له وحده

ملك ما في السماوات وما في الأرض، لا يملك أحد أن يشفع عنده لأحد إلا بعد إيدنه ورضاه، يعلم ما مضى من أمور خلقه مما وقع، وما يستقبلونه مما لم يقع، ولا يحيطون بشيء من علمه تعالى إلا بما شاء أن يطلعهم عليه، أحاط كرسيه - وهو - موضع قدمي الرب بالسماوات والأرض على سعتيها وعظمتيها، ولا يُقَالُ له أو يشئ عليه حفظهما، وهو العليّ بذاته وقدره وقهره، العظيم في ملكه وسلطانه.

﴿٢٥٩﴾ لا إكراه لأحد على الدخول في دين الإسلام؛ لأنه الدين الحق البين فلا حاجة به إلى إكراه أحد عليه، قد تميز الرشد من الضلال، فمن يكفر بكل ما يعبد من دون الله ويتبرأ منها، ويؤمن بالله وحده؛ فقد استمسك من الدين بأقوى سبب لا يقطع للنجاة يوم القيامة، والله سميع لأقوال عباده، عليم بأفعالهم، وسيجازيهم عليها.

﴿٢٦٠﴾ من فوائده الآيات:

- أن الله تعالى قد فاضل بين رسله وأنبيائه، بعلمه وحكمته سبحانه.
- إثبات صفة الكلام لله تعالى على ما يليق بجلاله، وأنه قد كلم بعض رسله كموسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام.
- الإيمان والهدى والكفر والضلال كلها بمشيئة الله وتقديره، فله الحكمة البالغة، ولو شاء لهدى الخلق جميعاً.
- آية الكرسي هي أعظم آية في كتاب الله، لما تضمنته من ربوبية الله وألوهيته وبيان أوصافه ﴿٢٥٨﴾.
- اتباع الإسلام والدخول فيه يجب أن يكون عن رضا وقبول، فلا إكراه في دين الله تعالى.
- الاستمسك بكتاب الله وسنة رسوله أعظم وسيلة للسعادة في الدنيا، والفوز في الآخرة.



﴿٢٥٨﴾ الله يتولى الذين آمنوا به، يوفقههم وينصرهم، ويخرجهم من ظلمات الكفر والجهل، إلى نور الإيمان والعلم، والذين كفروا أولياؤهم الأنداد والأوثان، الذين زينوا لهم الكفر، فأخرجوهم من نور الإيمان والعلم إلى ظلمات الكفر والجهل، أولئك أصحاب النار هم فيها ماكثون أبداً. ولما ذكر الله الفريقين ضرب مثالين على الفريقين فقال:

﴿٢٥٩﴾ هل رأيت - أيها النبي - أعجب من جرأة الطاغية الذي جادل إبراهيم عليه السلام في ربوبية الله وتوحيده، وقد وقع منه ذلك لأن الله أتاه الملك هطفي، فبين له إبراهيم صفات ربه قائلاً: ربى الذي يحيى الخلائق ويميتهم، قال الطاغية عناداً: أنا أحيى وأميت بأن أقتل من أشاء وأعفو عن من أشاء، فأتاه إبراهيم عليه السلام بحجة أخرى أعظم، قال له: إن ربى الذي أعبدته يأتي بالشمس من جهة المشرق، فأت بها أنت من جهة المغرب، فما كان من الطاغية إلا أن تحير وانقطع، وغلب من قوة الحجة، والله لا يوفق الظالمين لسلوك سبيله: لظلمهم وطمعانهم.

﴿٢٦٠﴾ أو هل رأيت مثل الذي مر على قرية سقطت سقوفها، وتهدمت جدرانها، وهلك سكانها، فأصبحت موحشة مفقرة، قال هذا الرجل متعجباً: كيف يحيى الله أهل هذه القرية بعد موتها؟ فأمراته الله مدة مئة عام، ثم أحياه، وسأله فقال له: كم مكثت ميتاً؟ قال مجيباً: مكثت مدة يوم أو بعض يوم. قال له: بل مكثت مئة سنة تامة، فأنظر إلى ما كان معك من الطعام والشراب، فما هو ذا باق على

اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ  
وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَائُهُمُ الظَّالِمُونَ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ  
النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا  
خَالِدُونَ ﴿٢٥٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ  
أَنَّهُ اتَّهَمَهُ أَلَمْ يَكُ الْمَلِكُ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي  
وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي  
بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي  
كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٩﴾ أَوَكَالَّذِي  
مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي  
هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ  
وَوَجَدَهُ قَائِمًا قَالَ لَيْسْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضُ يَوْمٍ قَالَ بَلْ  
لَيْسَتْ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ  
وَأَنْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى  
أَعْظَامِكَ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا الْحَمْدُ لِلَّهِ  
تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦٠﴾

حالته لم يتغير، مع أن أسرع ما يصيبه التغير الطعام والشراب، وأنظر إلى حمارك الميت، ولنجعلك علامة بينة للناس دالة على قدرة الله على بعثهم، وأنظر إلى عظام حمارك التي تفرقت وتباعدت، كيف نرفعها ونضم بعضها إلى بعض، ثم نكسوها بعد ذلك اللحم، ونعيد فيها الحياة، فلما رأى ذلك تبين له حقيقة الأمر، وعلم قدرة الله، فقال معترفاً بذلك: أعلم أن الله على كل شيء قدير.

﴿٢٦١﴾ مَرْفُوعٌ بِأَلْيَاتٍ،

- من أعظم ما يميز أهل الإيمان أنهم على هدى وبصيرة من الله تعالى في كل شؤونهم الدينية والدنيوية. بخلاف أهل الكفر.
- من أعظم أسباب الطغيان الغرور بالقوة والسلطان حتى يعمر المرء عن حقيقة حاله.
- مشروعية مناظرة أهل الباطل لبيان الحق، وكشف ضلالهم عن الهدى.
- عظم قدرة الله تعالى؛ فلا يُعْجِزُهُ شيء؛ ومن ذلك إحياء الموتى.

﴿٦١﴾ واذكر أيها النبي حين قال إبراهيم عليه السلام: يا رب أرني بصري كيف يكون إحياء الموتى؟ قال له الله: أأنتم تؤمن بهذا الأمر؟ قال إبراهيم: بلى قد أمنت، ولكن زيادة في طمأنينة قلبي، فأمره الله وقال له: خذ أربعة من الطير، فاضمهم إليك وقطعهم، ثم اجعل على كل جبل من الجبال التي حولك جزءاً منهم، ثم نادهم يأتينك سمياً مسرعات قد عادت إليهن الحياة. واعلم يا إبراهيم أن الله عزيز في ملكه، حكيم في أمره وشرعه وخلقه.

﴿٦٢﴾ مثل ثواب المؤمنين الذين يتفوقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة يصبها الراعي في أرض طيبة فتنبت سبع سنابل، في كل سنبل منها مئة حبة، والله يضاعف الثواب لمن يشاء من عباده، فيعطيهم أحرهم دون حساب، والله واسع الفضل والعطاء، عليم بمن يستحق المضاعفة.

﴿٦٣﴾ الذين يبذلون أموالهم في طاعة الله ومرضاته، ثم لا يتبعون بذلهم بما يبطل ثوابه من المن على الناس بالقول أو الفعل، لهم ثوابهم عند ربهم، ولا خوف عليهم فيما يستقبلونه، ولا هم يحزنون على ما مضى لعظم نعيمهم.

﴿٦٤﴾ قول كريم تدخل به السرور على قلب مؤمن، وعفو عن أساء إليك، أفضل من صدقة يتبعها إيذاء بالمن على المتصدق عليه، والله عني عن عباده، حليم لا يعاجلهم بالعقوبة.

﴿٦٥﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، لا تمسحوا ثواب صدقاتكم بالمن على المتصدق عليه وأيدائه، فإن مثل من يفعل ذلك مثل الذي يبذل أمواله بقصد أن يراه الناس ويمدحوه، وهو كافر لا يؤمن بالله ولا بيوم القيامة وما فيه من ثواب وعقاب، فمثل هذا مثل حجر أمس فوقه تراب، فأصاب ذلك الحجر مطر غزير، فأزاح التراب عن الحجر وتركه أمس لا شيء عليه، فكل ذلك المراءون يذهب ثواب أعمالهم وبفقاتهم ولا يبقى منها عند الله شيء، والله لا يهدي الكافرين إلى ما يرضيه تعالى وينفعهم في أعمالهم ونفقاتهم.

من فوائد الآيات،

- مراتب الإيمان بالله ومنازل اليقين به متفاوتة لا حد لها، وكلما ازداد العبد نظراً في آيات الله الشرعية والكونية زاد إيماناً و يقيناً.
- بغث الله تعالى للخلق بعد موتهم دليل ظاهر على كمال قدرته وتعام عظمته سبحانه.
- فضل الإنفاق في سبيل الله وعظم ثوابه، إذا صاحبه النية الصالحة، ولم يلحقه أذى ولا مئة محبطة للعمل.
- من أحسن ما يقدمه المرء للناس حسن الخلق من قول وفعل حسن، وعفو عن سيئ.

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِكَ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَظْمِنَ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦١﴾ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ أَمْوَالُهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذَىٰ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٣﴾ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعُهَا أَذَىٰ وَاللَّهُ غَفِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٦٤﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٥﴾



وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ  
وَتَشْيِئًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ  
فَقَاتَتْ أَكْطَافَهَا صَعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِيبْهَا وَابِلٌ فَطَلَّ  
وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٦٦﴾ أَيَوَّدُ أَحَدُكُمْ أَنَّ تَكُونَ لَهُ  
جَنَّةٌ مِّنْ تَخْيِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ  
فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّتَةٌ  
ضُعْفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ  
يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٧﴾ يَا أَيُّهَا  
الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِمَّا أَخْرَجْنَا  
لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَتِمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ  
وَلَسْتُمْ بِأَخْذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ  
حَمِيدٌ ﴿٦٨﴾ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ  
وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ  
﴿٦٩﴾ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ  
أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧٠﴾

﴿٦٦﴾ ومثل المؤمنين الذين يبذلون أموالهم طلباً لرضوان الله، مطمئنة أنفسهم بصدق وعد الله غير مكرهه، كمثل بستان على مكان مرتفع طيب، أصابه مطر عريض، فأتج ثمراً مضاعفاً، فإن لم يصبه مطر غدير أصابه مطر خفيف فأنقى به لطيب أرضه، وكذلك نفقات المخلصين يقبلها الله ويضاعف أجرها وإن كانت قليلة، والله بما تعملون بصير، فلا يخفى عليه حال المخلصين والمراتين، وسيحازي كل ما يستحق. ثم ضرب تعالى مثلاً يصور به حال المنفق ماله رياءً فقال.

﴿٦٦﴾ أيرغب أحدكم في أن يكون له بستان فيه نخل وعنب تجري فيه خلاله المياه العذبة، له فيه من كل أنواع الثمرات الطيبة، وأصاب صاحبه الكبر فأصبح شيخاً لا يقدر على العمل والكسب، وله أبناء صفار صغفاء لا يستطيعون العمل، فأصاب البستان ريحٌ شديدة فيها نارٌ شديدة، فاحترق البستان كله، وهو أحوج ما يكون إليه لكبره وضعف ذريته؟ فقال المنفق ماله رياءً للناس مثل هذا الرجل: يرد على الله يوم القيامة بلا حسنات، في وقت هو أشد ما يكون حاجة لها. مثل هذا البيان يبين الله لكم ما ينفعكم في الدنيا والآخرة لعلكم تتفكرون فيه.

﴿٦٧﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، أنفقوا من المال الحلال الطيب الذي كسبتموه، وأنفقوا مما أخرجنا لكم من بيات الأرض، ولا تقصروا إلى الرديء منه فتفقدوه. ولو أعطي لكم ما أخذتموه إلا إذا تفاصبتم عنه مكرهين على رداءته،

فكيف ترصون لله ما لا ترصون لأنفسكم؟ واعلموا أن الله غنى عن نفقاتكم، محمود في ذاته وأفعاله. ولما أمرهم بإنفاق الطيب حذرهم من كيد الشيطان وسواسه، فقال:

﴿٦٨﴾ الشيطان يحوكم من الفقر. ويحثكم على البخل، ويدعوكم إلى ارتكاب الآثام والمعاصي، والله يعدكم معصرة عطيمة لذنوبكم، ورزقاً واسعاً، والله واسع الفضل، عليم بأحوال عباده.

﴿٦٩﴾ يؤتي السداد في القول والإصابة في العمل من يشاء من عباده، ومن يعط ذلك فقد أعطي حيراً كثيراً، ولا يتذكر ويتعظ بآيات الله إلا أصحاب العقول الكاملة التي تستضيء بنوره، وتهتدي بهديه.

• من فوائد الآيات:

- المؤمنون بالله تعالى حقاً واثقون من وعد الله وثوابه، فهم ينفقون أموالهم ويبدلون بلا خوف ولا حزن ولا التفات إلى وسواس الشيطان كالتخويف بالفقر والحاجة.
- الإخلاص من أعظم ما يبارك الأعمال ويُمهمها.
- أعظم الناس خسارة من يراني بعمله الناس: لأنه ليس له من ثواب على عمله إلا مدحهم وثناؤهم.

وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ. وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِنْ تُبَدُّوا  
الْصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفَوْهَا وَتُؤْتَوْهَا  
الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ  
سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ لَيْسَ  
عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا  
تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا نَفْسِكُمْ وَمَا تَنْفِقُونَ إِلَّا  
أَبْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تَنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوفَّ إِلَيْكُمْ  
وَأَنْتُمْ لَا تَظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا  
فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ  
يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ  
بِسِمَتِهِمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تَنْفِقُوا مِنْ  
خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ  
بِالْئِيلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ  
رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾

﴿٢٧٠﴾ وما أنفقتُم من نفقة قليلة كانت أو كثيرة ابتغاء مرضاة الله، أو التزمتُم فعل طاعة لله من عند أنفسكم لم تكلفوا بها؛ فإن الله يعلم ذلك كله، فلا يضع عنده شيء منه، وسيجازيكم عليه أعظم الجزاء، وليس للظالمين المانعين لما يجب عليهم، المتعدين لحدود الله، أنصار يدفعون عنهم عذاب يوم القيامة.

﴿٢٧١﴾ إِنْ تُظْهِرُوا مَا تَبْذُلُونَ مِنَ الصَّدَقَةِ بِالْمَالِ فَنِعْمَ الصَّدَقَةُ صَدَقَتُكُمْ، وَإِنْ تُخْفَوْهَا وَتَعْمَلُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِظْهَارِهَا، لِأَنَّهُ أَقْرَبُ إِلَى الْإِحْلَاصِ. وَفِي صَدَقَاتِ الْمُخْلِصِينَ سِرٌّ لِدُنُوهِمْ وَمَغْفِرَةٌ لَهَا، وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ، فَلَا يَخْصِي عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أحوالكم.

﴿٢٧٢﴾ لَيْسَ عَلَيْكَ أَهْيَا النَّبِيِّ هِدَايَتُهُمْ لِقَبُولِ الْحَقِّ وَالانْقِيَادَ لَهُ وَحَمْلَهُمْ عَلَيْهِ، وَإِنَّمَا تَجِبُ عَلَيْكَ دَلَالَتُهُمْ إِلَى الْحَقِّ وَتَعْرِيفُهُمْ بِهِ، فَإِنْ التَّوْفِيقُ لِلْحَقِّ وَالْهَدَايَةُ إِلَيْهِ بِيَدِ اللَّهِ، وَهُوَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ. وَمَا تَنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَتُفْعَلُ عَائِدُ إِلَيْكُمْ؛ لِأَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْهُ، وَلَتَكُنْ نَفَقَتُكُمْ خَالِصَةً لِلَّهِ، فَالْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَا يَنْفِقُونَ إِلَّا طَلِبًا لِمَرْضَاةِ اللَّهِ، وَمَا تَنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ قَلِيلًا كَانَ أَوْ كَثِيرًا فَإِنَّكُمْ تُعْطَوْنَ ثَوَابَهُ تَامًا غَيْرَ مَقْصُورٍ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ أَحَدًا.

ولما ذكر الإنفاق في سبيله ودعا المؤمنين إليه بيَّن لهم المصارف التي ينفقون فيها، فقال:

﴿٢٧٣﴾ اجْعَلُوهَا لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ مِنْهُمْ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مِنَ السَّفَرِ طَلِبًا لِلرَّقِّ، يَظُنُّهُمْ الْجَاهِلُ بِحَالِهِمْ أَغْنِيَاءَ

لَتَعَفُّهُمْ عَنِ السُّؤَالِ، وَيَعْرِفُهُمُ الْمُطَّلَعُ عَلَيْهِمْ بِعِلَامَاتِهِمْ، مِنَ الْحَاجَةِ الظَّاهِرَةِ عَلَى أَجْسَامِهِمْ وَثِيَابِهِمْ، وَمِنْ صِفَاتِهِمْ أَنَّهُمْ لَيْسُوا كَسَائِرِ الْفُقَرَاءِ الَّذِينَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ مُلْحِنِينَ فِي مَسْأَلَتِهِمْ، وَمَا تَنْفِقُوا مِنْ مَالٍ وَغَيْرِهِ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ، وَسَيَجَازِيكُمْ عَلَيْهِ أَعْظَمَ الْجَزَاءِ. ﴿٢٧٤﴾ الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، سِرًّا وَعَلَانِيَةً بِلَا رِيَاءٍ وَلَا سَمْعَةٍ، فَلَهُمْ ثَوَابُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ فِيمَا يَسْتَقْبِلُونَهُ مِنْ أَمْرِهِمْ. وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ عَلَى مَا فَاتَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا، فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً.

﴿٢٧٤﴾ مِنْ قَوْلِهِ لَا يَحْزَنُونَ،

● إِذَا أَحْلَصَ الْمُؤْمِنُ فِي نَفَقَاتِهِ وَصَدَقَاتِهِ فَلَا حَرَجَ عَلَيْهِ فِي إِظْهَارِهَا وَاحْفَافَتِهَا بِحَسَبِ الْمَصْلُحَةِ، وَإِنْ كَانَ الْإِخْفَاءُ أَعْظَمَ أَجْرًا وَثَوَابًا لِأَنَّهَا أَقْرَبُ لِلْإِحْلَاصِ.

● دَعْوَةُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْإِلْتِقَاتِ وَالْعَنَايَةِ بِالْمُحْتَاجِينَ الَّذِينَ تَمْنَعُهُمُ الْعِفَّةُ مِنْ إِظْهَارِ حَالِهِمْ وَسُؤَالِ النَّاسِ.

● مَشْرُوعِيَةُ الْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى فِي كُلِّ وَقْتٍ وَحِينٍ، وَعَظَمُ ثَوَابِهَا، حَيْثُ وَعَدَ تَعَالَى عَلَيْهَا بِعُطَايِمِ الْأَجْرِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.



ولما رغب تعالى في الإنفاق في سبيله لما فيه من التعاون والتكافل بين المسلمين: حذر مما ينافض ذلك وهو الربا، فقال:

﴿الَّذِينَ يَتَعَامَلُونَ بِالرِّبَا وَيَأْخُذُونَهُ لَا يَقُومُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ قِيَرِهِمْ إِلَّا مَثَلُ مَا يَقُومُ الَّذِي بِهِ مَسَّ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَيَقُومُ مِنْ قَبْرِهِ يَخْبِطُ كَمَا يَخْبِطُ مَنْ بِهِ صَرَعٌ فِي قِيَامِهِ وَسَقُوطُهُ: ذَلِكَ بِسَبَبِ أَنَّهُمْ اسْتَحْلَوْا أَكْلَ الرِّبَا. وَلَمْ يَفْرُقُوا بَيْنَ الرِّبَا وَبَيْنَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ مِنْ مَكَاسِبِ الْبَيْعِ، فَقَالُوا: إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا فِي كَوْنِهِ حَلَالًا، فَكُلُّهُمَا يُوْدِي إِلَى زِيَادَةِ الْمَالِ وَنَمَائِهِ، فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَأَبْطَلَ قِيَاسَهُمْ وَأَكْذَبَهُمْ، وَبَيَّنَّ أَنَّهُ تَعَالَى أَحْلَ الْبَيْعِ لِمَا فِيهِ مِنْ نَفْعٍ عَامٍ وَخَاصٍّ. وَحَرَّمَ الرِّبَا لِمَا فِيهِ مِنْ ظُلْمٍ وَأَكْلٍ لِأَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ بِلَا مِقَابِلٍ، فَمِنْ جَاءَتْهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فِيهَا نَهْيٌ وَتَحْذِيرٌ مِنَ الرِّبَا، فَانْتَهَى عَنْهُ وَتَابَ إِلَى اللَّهِ مِنْهُ: فَلَهُ مَا مَضَى مِنْ أَخْذِهِ لِلرِّبَا، لَا إِثْمَ عَلَيْهِ فِيهِ، وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ فِيمَا يَسْتَقْبِلُ بَعْدَ ذَلِكَ. وَمَنْ عَادَ إِلَى أَخْذِ الرِّبَا بَعْدَ أَنْ بُلِّغَهُ النَّهْيُ مِنَ اللَّهِ، وَقَامَتْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ: فَقَدْ اسْتَحَقَّ دُخُولَ النَّارِ وَالْخُلُودَ فِيهَا. وَهَذَا الْخُلُودُ فِي النَّارِ الْمَقْصُودُ بِهِ أَكْلُ الرِّبَا مُسْتَحْلًا لَهُ أَوْ الْمَقْصُودُ بِهِ الْبَقَاءُ الطَّوِيلُ فِيهَا، فَإِنَّ الْخُلُودَ الدَّائِمَ فِيهَا لَا يَكُونُ إِلَّا لِلْكَفَّارِ، أَمَا أَهْلُ التَّوْحِيدِ فَلَا يَخْلُدُونَ فِيهَا.﴾

ولما ذكر الله الإنفاق في سبيله وأخذ الربا، بيّن الفرق بينهما في الجزاء، فقال:

﴿يَهْلِكُ اللَّهُ الْمَالَ الرَّيْبِي وَيَذْهَبُ بِهِ، إِمَّا حُشًّا يَتْلَفُهُ وَنَحْوَ ذَلِكَ، أَوْ مَعْنَى يَنْزِعُ الْبَرَكَةَ مِنْهُ، وَيُرِيدُ

الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيلُ الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾

الصدقات وينمّيها بمضاعفة ثوابها، فالحسنة بعشر أمثالها إلى سبع مئة ضعف إلى أضعاف كثيرة، ويبارك في أموال المتصدقين، والله لا يحب كل من كان كافراً عنيماً، مستحلاً للحرام، متعدياً في المعاصي والآثام. ﴿٢٧٥﴾ إن الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، وعملوا الأعمال الصالحة، وأدوا الصلاة تامة على ما شرع الله، وآتوا زكاة أموالهم لمن يستحقها؛ لهم ثوابهم عند ربهم، ولا خوف عليهم فيما يستقبلونه من أمورهم، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من الدنيا ونعيمها ﴿٢٧٦﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، حافوا الله بأن تمتثلوا وأمره وتجتنبوا بواهبه، وانركوا المطالبة بما بقي لكم من أموال ربوية عند الناس، إن كنتم مؤمنين حقاً بالله وبما نهاكم عنه من الربا.

﴿٢٧٧﴾ فإن لم تفعلوا ما أمرتم به فاعلموا وستيقنوا بحرب من الله ورسوله، وإن تبتتم إلى الله وتركتم الربا فلكم قدر ما أقرضتم من رؤوس أموالكم، لا تظلمون أحداً بأحد زيادة على رأس مالكم، ولا تظلمون بالنقص منها. ﴿٢٧٨﴾ وإن كان من تطالبونه بالدين معسراً لا يجد سداد دينه، فأخروا مطالبته إلى أن يتيسر له المال، ويجد ما يقضي به الدين، وأن تصدقوا عليه تترك المطالبة بالدين أو إسقاط بعضه عنه، خير لكم إن كنتم تعلمون فضل ذلك عند الله تعالى. ﴿٢٧٩﴾ وحافوا عذاب يوم ترجعون فيه جميعاً إلى الله، وتقومون بين يديه، ثم تعطى كل نفس جزاء ما كسبت من خير أو شر. لا تظلمون بنقص ثواب حسناتهم، ولا زيادة العقوبة على سيئاتهم. ﴿٢٨٠﴾ من فوّض لإياتي، • من أعظم الكبائر أكل الربا، ولهذا توعد الله تعالى أكله بالحرب والمعق في الدنيا والتخبط في الآخرة. • الالتزام بأحكام الشرع في المعاملات المالية ينزل البركة والنماء فيها، • فصل الصبر على المعسر، والتخفيف عنه بالتصدق عليه ببعض الدين أو كله.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ  
وَاتَّبِعُوا رَسُولَهُ، إِذَا تَعَامَلْتُمْ بِالَّذِينَ،  
بِأَنْ ذَاتِينَ بِصُكْمٍ بَعْضًا إِلَى مَدَّةٍ  
مُحَدَّدَةٍ فَارْتَبِعُوا ذَلِكَ الدَّيْنَ، وَلِيَكُنَّ  
بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْحَقِّ وَالْإِنْصَافِ  
الْمُوَافِقُ لِلشَّرْعِ، وَلَا يَمْتَنِعُ الْكَاتِبُ أَنْ  
يَكْتُبَ الدَّيْنَ بِمَا يُوَافِقُ مَا عَلَّمَهُ اللَّهُ  
مِنَ الْكِتَابَةِ بِالْعَدْلِ، فَلْيَكْتُبْ مَا يُثْبِتُهُ  
الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ، حَتَّى يَكُونَ ذَلِكَ  
إِقْرَارًا مِنْهُ، وَلِيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ، وَلَا يَنْقُصْ  
مِنَ الدَّيْنِ شَيْئًا فِي قَدْرِهِ أَوْ نَوْعِهِ أَوْ  
كَيْفِيَّتِهِ، فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ لَا  
يُحَسِّنُ التَّصَوُّفَ، أَوْ كَانَ ضَعِيفًا  
لِصَفَرِهِ أَوْ جُنُونِهِ، أَوْ كَانَ لَا يَسْتَطِيعُ  
الْإِمْلَاءَ لَخَرَبِهِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، فَلْيَقُمْ  
بِالْإِمْلَاءِ عَنْهُ وَلْيُثْبِتِ الْمَسْئُولُ عَنْهُ  
بِالْحَقِّ وَالْإِنْصَافِ. وَاطْلُبُوا  
شَهَادَةَ رَجُلَيْنِ عَاقِلَيْنِ عَدْلَيْنِ،  
فَإِنْ لَمْ يَوْجَدْ رَجُلَانِ فَاسْتَشْهِدُوا  
رَجُلًا وَامْرَأَتَيْنِ تَرْضَوْنَ دِينَهُمْ  
وَأَمَانَتَهُمْ، حَتَّى إِذَا سَبَّحَ أَحَدُ  
الْمَرَأَتَيْنِ دُخْرَتَهَا أَخْتَهَا، وَلَا يَمْتَنِعُ  
الشَّاهِدُ إِذَا طَلَبَ مِنْهُمُ الشَّهَادَةَ عَلَى  
الدَّيْنِ، وَعَلَيْهِمْ أَذَاؤُهَا إِذَا دُعِيَ لِدَعْوَى  
وَلَا يُصَبِّحُ الْمَلْرُ مِنْ كِتَابَةِ الدَّيْنِ  
قَلِيلًا كَانَ أَوْ كَثِيرًا إِلَى مَدَّتِهِ الْمُحَدَّدَةِ،  
فَكِتَابَةُ الدَّيْنِ عَمَلٌ فِي شَرْعِ اللَّهِ، وَبُلَغُ  
فِي إِقَامَةِ الشَّهَادَةِ وَأَذَانُهَا، وَأَقْرَبُ  
إِلَى بِنْيِ الشَّكِّ فِي نَوْعِ الدَّيْنِ وَمَقْدَارِهِ  
وَمَدَّتِهِ، إِلَّا إِذَا كَانَ التَّعَاقُدُ بَيْنَكُمْ عَلَى  
تِجَارَةٍ فِي سَلْعَةٍ حَاضِرَةٍ وَثَمَنِ  
حَاصِرٍ: فَلَا حَرَجَ فِي تَرْكِ الْكِتَابَةِ  
حِينَئِذٍ لِعَدَمِ الْحَاجَةِ إِلَيْهَا، وَيُشْرَعُ لَكُمْ  
الْإِشْهَادُ مِنْهَا لِأَسْبَابِ النِّزَاعِ،  
وَلَا يَجُوزُ الْإِضْرَارُ بِالْكَتَابِ وَالشَّهَادَةِ،  
وَلَا يَجُوزُ لَهُمُ الْإِضْرَارُ بِمَنْ طَلَبَ  
كِتَابَتَهُمْ أَوْ شَهَادَتَهُمْ، وَإِنْ يَقَعْ مِنْكُمْ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى  
فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ  
كَاتِبُ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ  
الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا  
فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ  
أَنْ يُمْلَ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ  
مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ  
مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ  
إِحْدَاهُمَا الْآخَرَى وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْمَعُوا  
أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلٍ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ  
عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ  
تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ  
أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَ كَاتِبٌ  
وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فَسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا  
اللَّهَ وَيَعْلَمِ كُمْ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٤٨﴾

الإصرار فإنه خروج عن طاعة الله إلى معصيته. وخاها الله أيها المؤمنون بأن تمتثلوا ما أمركم به، وتجتنبوا ما نهاكم عنه، ويعلمكم الله ما فيه صلاح دنياكم وآخرتكم، والله بكل شيء عليم، فلا يحفى عليه شيء.

من فوائد الآيات:

- مشروعية توثيق الدَّيْنِ وسائر المعاملات المالية دفقا للاختلاف والتنازع.
- ثبوت الولاية على القاصرين إما بسبب عجزهم، أو ضعف عقولهم، أو صغر سنهم.
- مشروعية الإشهاد على الإقرار بالديون والحقوق.
- أن من تمام الكتابة والعدل فيها أن يحسن الكاتب الإنشاء والألفاظ المعتبرة في كل معاملة بحسبها.
- لا يجوز الإصرار بأحد بسبب توثيق الحقوق وكتابتها، لا من جهة أصحاب الحقوق، ولا من جهة من يكتبه ويشهد عليه.



﴿٢٨٧﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ مَسَافِرِينَ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا يَكْتُبُ لَكُمْ وَثِيقَ الدِّينِ، فَيَكْفِي أَنْ يُقْطَلَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ رَهْنًا يَقْبُضَهُ صَاحِبُ الْحَقِّ، يَكُونُ ضَمَانًا لِحَقِّهِ، إِلَى أَنْ يَقْضِيَ الْمَدِينُ مَا عَلَيْهِ مِنْ دَيْنٍ، فَإِنْ وَثَّقَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا لَمْ تَلْزَمْ كِتَابَةُ وَلَا إِشْهَادُ وَلَا رَهْنٌ، وَيَكُونُ الَّذِينَ حِينَئِذٍ أَمَانَةً فِي ذِمَّةِ الْمَدِينِ يَحِبُّ عَلَيْهِ أَدَاؤُهُ لِدَائِنِهِ، وَعَلَيْهِ أَنْ يَقْضِيَ اللَّهُ فِي هَذِهِ الْأَمَانَةِ فَلَا يَنْكُرُ مِنْهَا شَيْئًا، فَإِنْ أَنْكَرَ كَانَ عَلَى مَنْ شَهِدَ الْمَعَامِلَةَ أَنْ يُوَدِّيَ الشَّهَادَةَ، وَلَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يَكْتُمَهَا. وَمَنْ يَكْتُمَهَا فَإِنَّ قَلْبَهُ قَلْبٌ فَاجِرٌ، وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ، وَسَيُجَازِيكُمْ عَلَى أَعْمَالِكُمْ.

﴿٢٨٨﴾ اللَّهُ وَحْدَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ خَلَقًا وَمَلَكًا وَتَدْبِيرًا، وَإِنْ تَطَهَّرُوا مَا فِي قُلُوبِكُمْ أَوْ تَخْفَوْهُ يَعْلَمُهُ اللَّهُ، وَسَيَحَاسِبُكُمْ عَلَيْهِ، فَيَغْفِرُ بَعْدَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ فَصَلًّا وَرَحْمَةً، وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ عَذَابًا وَحَكْمَةً، وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

﴿٢٨٩﴾ آمَنَ الرَّسُولُ مُحَمَّدٌ ﷺ بِكُلِّ مَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ، وَالْمُؤْمِنُونَ آمَنُوا كَذَلِكَ، كُلُّهُمْ حَمِيمًا آمَنُوا بِاللَّهِ وَآمَنُوا بِجَمِيعِ مَا نَكُتُهُ، وَجَمِيعِ كِتَابِهِ الَّتِي أَنْزَلَهَا عَلَى الْأَنْبِيَاءِ، وَجَمِيعِ رُسُلِهِ الَّذِينَ أَرْسَلَهُمْ، آمَنُوا بِهِمْ قَائِلِينَ: لَا نَفَرِقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِ اللَّهِ، وَقَالُوا: سَمِعْنَا مَا أَمَرْتَنَا بِهِ وَنَهَيْتَنَا عَنْهُ، وَأَطَعْنَاكَ بِفِعْلٍ مَا أَمَرْتَ بِهِ وَتَرَكْنَا مَا نَهَيْتَ عَنْهُ، وَنَسَأَلُكَ أَنْ تَغْفِرَ لَنَا يَا رَبَّنَا، فَإِنَّ مَرَجِعَنَا إِلَيْكَ وَحْدَكَ فِي كُلِّ شَوْءٍ نَا.

﴿٢٩٠﴾ لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا تَطْلُبُ مِنَ الْأَعْمَالِ، لِأَنَّ دِينَ اللَّهِ مَبْنِي عَلَى الْبَسْرِ فَلَا مَشَقَّةَ فِيهِ، فَمَنْ كَسَبَ حَيْرًا فَلَهُ ثَوَابٌ مَا عَمِلَ لَا يُنْقَضُ مِنْهُ شَيْءٌ، وَمَنْ كَسَبَ شَرًّا فَلَعِبَهُ جَزَاءُ مَا اكْتَسَبَ مِنْ ذَنْبٍ لَا يَحْمِلُهُ عَنْهُ غَيْرُهُ. وَقَالَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ: رَبَّنَا لَا تَعَاقِبْنَا إِنْ سَيِّئْنَا أَوْ أَخْطَأْنَا فِي فِعْلٍ أَوْ قَوْلٍ بَلَا قَصْدَ مِنَّا، رَبَّنَا وَلَا تَكْلِفْنَا مَا يَشُقُّ عَلَيْنَا وَلَا نَطِيقُهُ، كَمَا كَلَّمْتَ مِنْ قَبْلُنَا مِمَّنْ عَاقَبْتَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ كَالْيَهُودِ، وَلَا تَحْمِلْنَا مَا يَشُقُّ عَلَيْنَا وَلَا نَطِيقُهُ مِنَ الْأَوَامِرِ وَالنَّوَاحِي، وَتَجَاوَرِ عَنْ ذُنُوبِنَا، وَاعْفُ رَحْمَةً، وَأَنْتَ وَلِيْنَا وَبَاصِرُنَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ.

﴿٢٩١﴾ مِنْ قَوْلِهِ: لَا يَكْلَفُ:

- حِوَاظُ أَحَدِ الرِّهْنِ لَضَمَانِ الْحَقِّ فِي حَالِ عَدَمِ الْقُدْرَةِ عَلَى تَوْثِيقِ الْحَقِّ، إِلَّا إِذَا وَثَّقَ الْمُتَعَامِلُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا.
- حَرَمَةُ كِتْمَانِ الشَّهَادَةِ وَإِثْمُ مَنْ يَكْتُمُهَا وَلَا يُؤَدِّيَهَا.
- كَمَالُ عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى وَاطِلَاعُهُ عَلَى خَلْقِهِ، وَقُدْرَتُهُ التَّامَةُ عَلَى حِسَابِهِمْ عَلَى مَا اكْتَسَبُوا مِنْ أَعْمَالٍ.
- تَقْرِيرُ أَرَاكَانِ الْإِيمَانِ وَبَيَانُ أُصُولِهِ.
- قَامَ هَذَا الدِّينُ عَلَى الْبَسْرِ وَرَفْعِ الْحَرْجِ وَالْمَشَقَّةِ عَنِ الْعِبَادِ، فَلَا يَكْلَمُهُمُ اللَّهُ إِلَّا مَا يَطِيقُونَ، وَلَا يَحَاسِبُهُمْ عَلَى مَا لَا يَسْتَطِيعُونَ.

﴿٢٨٧﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهْنِ مَقْبُوضَةً فَإِنْ مِنْ بَعْضِكُمْ بَعْضًا فُلْيُودِ الَّذِي أَوْثَمِنْ أَمْنَتَهُ، وَلِيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ، وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ إِثْمٌ قَلْبُهُ، وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٨﴾ اللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوْهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٩﴾ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِهِ كِتَابِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا تَفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٩٠﴾ لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا أَوْسَعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٩١﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْم ۝ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۝ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ۝ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ ۚ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ۝ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ۝ هُوَ الَّذِي يَصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ۚ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ ءَايَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۚ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ ۚ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أَهْلُ الْأَلْبَابِ ۝ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ۝ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ۝

٥٠

• من مقاصد السورة:  
إثبات أن دين الإسلام هو الحق  
ردًا على شبهات أهل الكتاب، وتثبيتاً  
للمؤمنين.

• التفسير:

هي سورة مدنية، سُميت سورة آل عمران لذكر آل عمران فيها في الآية (٣٢) من السورة. ۝ ﴿الْم﴾ هذه الحروف المقطعة تقدم نظيرها في سورة البقرة، وفيها إشارة إلى عجز العرب عن الإتيان بمثل هذا القرآن مع أنه مؤلف من مثل هذه الحروف التي بُدئت بها السورة، والتي يُركبون منها كلامهم. ۝ ﴿الْم﴾ الله الذي لا إله يُعبد بحق إلا هو وحده دون سواه، الحي حياة كاملة لا موت فيها ولا نقص، القيوم الذي قام بنفسه فاستغنى عن جميع خلقه، وبه قامت جميع المخلوقات فلا تستغني عنه في كل أحوالها.

﴿١﴾ نزل عليك - أيها النبي القرآن بالصدق في الأخبار والعدل في الأحكام، موافقاً لما سبقه من الكتب الإلهية، فلا تعارض بينها، وأنزل التوراة على موسى، والإنجيل على عيسى ۝ من قبل تنزيل القرآن عليك، وهذه الكتب الإلهية كلها هداية وإرشاد للناس إلى ما فيه صلاح دينهم ودينهم، وأنزل الفرقان الذي يعرف به الحق من الباطل والهدى من الضلال، والذين كفروا بآيات الله التي أنزلها عليك لهم عذاب شديد، والله عزيز لا يُغالبه شيء، ذو انتقام ممن كذب رسله وخالف أمره. ۝ ﴿٢﴾ إن الله لا

يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، قد أحاط علمه بالأشياء كلها ظاهرها وباطنها. ۝ ﴿٣﴾ هو الذي يخلقكم صوراً شتى في بطون أمهاتكم كيف يشاء من ذكر أو أنثى، وحسن أو قبيح، وأبيض أو أسود، لا معبود بحق غيره، العزيز الذي لا يُغالب، الحكيم في خلقه وتدبيره وشرعه. ۝ ﴿٤﴾ هو الذي أنزل عليك أيها النبي القرآن، منه آيات واضحة الدلالة، لا لبس فيها، هي أصل الكتاب ومعظمه، وهي المرجع عند الاختلاف، ومنه آيات أحر محتملة لأكثر من معنى، يلتبس معناها على أكثر الناس، فأما الذين في قلوبهم ميل عن الحق فيتركون المُحْكَم، ويأخذون بالمتشابه المُخْتَل: يبنون بذلك إثارة الشبهة وإضلال الناس، ويبتغون بذلك تأويلها بأهوائهم على ما يوافق مذاهبهم الفاسدة، ولا يعلم حقيقة معاني هذه الآيات وعاقبتها التي تؤول إليها إلا الله. ۝ والراسخون في العلم المتمكنون منه يقولون: آمنا بالقرآن كله، لأنه كله من عند ربنا، ويفسرون المتشابه بما أحكم منه، وما يتذكر ويتعلل إلا أصحاب العقول السليمة. ۝ ﴿٥﴾ وهؤلاء الراسخون يقولون، ربنا لا تمل قلوبنا عن الحق بعد أن هديتنا إليه، وسلمنا مما أصاب المتحرفين المائلين عن الحق، وهب لنا رحمة واسعة من عندك تهدي بها قلوبنا، وتعضمتا بها من الضلال، إنك ياربنا الوهاب كثير العطاء.

﴿٦﴾ ربنا إنك ستجمع الناس جميعاً إليك لحسابهم في يوم لا شك فيه، فهو أت لا محالة، إنك ياربنا لا تخلف الميعاد.  
• من فوائد الآيات: ۝ أقام الله الحجة وقطع العذر عن الخلق بإرسال الرسل وإنزال الكتب التي تهدي للحق وتحذر من الباطل.  
• كمال علم الله تعالى وإحاطته بخلقه، فلا يغيب عنه شيء في الأرض ولا في السماء، سواء كان ظاهراً أو خفياً. ۝ من أصول أهل الإيمان الراسخين في العلم أن يفسروا ما تشابه من الآيات بما أحكم منها. ۝ مشروعية دعاء الله تعالى وسؤاله الثبات على الحق، والرشد في الأمر، ولا سيما عند الفتن والأهواء.



إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ  
 مِنْ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ١٠ كَذَابٌ إِلَى  
 فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَآخَذَهُمُ اللَّهُ  
 بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ١١ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا  
 سَعُيَاتٌ وَلَمْ تُحِشُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ١٢  
 قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي  
 سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ رَأًى  
 الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ  
 لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ١٣ زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ  
 مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ  
 وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ  
 مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ١٤ قُلْ  
 أُوتِيتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ  
 جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ  
 مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ١٥

١٠ إن الذين كفروا بالله وبرسله لن تمنع عنهم أموالهم ولا أولادهم عذاب الله، لا في الدنيا ولا في الآخرة، وأولئك المتصفون بتلك الصفات هم حطب جهنم الذي توقد به يوم القيامة. ١١ وشأن هؤلاء الكافرين كشأن آل فرعون ومن قبلهم من الذين كفروا بالله وكذبوا بآياته، فعذبهم الله بسبب ذنوبهم، ولم تنفعهم أموالهم ولا أولادهم، والله شديد العقاب لمن كفر به، وكذب بآياته.

١٢ قل أيها الرسول للذين كفروا على اختلاف دياناتهم: سيفلحكم المؤمنون، وتموتون على الكفر، ويجمعكم الله إلى نار جهنم. وبئس الفراش لكم.

١٣ قد كان لكم دلالة وعبرة في فرقتين التقا للقتال يوم بدر، إحداهما فرقة مؤمنة وهي رسول الله ﷺ وأصحابه، تقاتل في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كسروا السفلى، والأخرى فرقة كاهنة وهم كفار مكة الذين خرجوا فخرًا ورياء وعصبية، يراهم المؤمنون صفهم حقيقة رأي عين، فنصره الله أوليائه، والله يؤيد نصره من يشاء، إن في ذلك لعبرة وعظة لأصحاب البصائر، ليعلموا أن النصر لأهل الإيمان وإن قل عددهم. وأن الهزيمة لأهل الباطل وإن كثر عددهم. ١٤ يخبر الله تعالى أنه حسن للناس - ابتلاء لهم - حب الشهوات الدنيوية:

مثل النساء، والبنين، والأموال الكثيرة المجمعة من الذهب والفضة، والخيول المملّعة الحسان، والأنعام من الإبل والبقرة والغنم، وزراعة الأرض. ذلك متاع الحياة الدنيا يُتَمَتَّعُ به فترة ثم

يرول، فلا ينبغي للمؤمن أن يتعلق به، والله عنده وحده حسن المرحع، وهو الجنة التي عرضها السماوات والأرض. ولما كانت شهوات الدنيا منقطعة بئس الله إلى ما هو خير من ذلك فقال:

١٥ قل أيها الرسول أخبركم بخير من تلك الشهوات؟ للذين اتقوا الله يفعل طاعته وترك معصيته جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، خالدون فيها لا يدركهم موت ولا فناء، ولهم فيها أزواج مطهرات من كل سوء، في خلقهن وأحلاقهن، ولهم مع ذلك رضوان من الله يحل عليهم فلا يسخط عليهم أبدًا، والله بصير بأحوال عباد، لا يخفى عليه شيء منها، وسيجاريهم عليها.

١٦ من قَوَابِلِ آيَاتِ،

- أن غرور الكفار بأموالهم وأولادهم لن ينجيهم يوم القيامة من عذاب الله تعالى إذا نزل بهم.
- النصر حقيقة لا يتعلق بمجرد العدد والمدة، وإنما بتأييد الله تعالى وعونه.
- زين الله تعالى للناس أنواعًا من شهوات الدنيا ليهتليهم، وليعلم تعالى من يقف عند حدوده ممن يتعداها.
- كل نعيم الدنيا ولذاتها قليل زائل، لا يقاس بما في الآخرة من النعيم العظيم الذي لا يرول.

﴿١٦﴾ أهل الجنة هؤلاء هم الذين يقولون في دعائهم لربهم. ربنا اننا امنا بك، وبما أنزلت على رسلك، واتبعنا شريعتك. فاعفُ لنا ما ارتكبنا من ذنوب، وحببنا عذاب النار.

﴿١٧﴾ وهم الصابرون على فعل الطاعات وترك السيئات، وعلى ما يصيبهم من البلاء، وهم الصادقون في أقوالهم وأعمالهم، وهم المطيعون لله طاعة تامة، وهم المتفقون أموالهم في سبيل الله، وهم المستغفرون آخر الليل، لأن الدعاء فيه أقرب للإجابة، ويخلو فيه القلب من الشواغل.

﴿١٨﴾ شهد الله على أنه هو الإله المعبود بحق دون سواه، وذلك بما أقام من الآيات الشرعية والكونية الدالة على أنوحيته، وشهد على ذلك الملائكة، وشهد أهل العلم على ذلك ببيانهم للتوحيد ودعوتهم إليه، فشهدوا على أعظم مشهود به وهو توحيد الله وقيامه تعالى بالعدل في خلقه وشرعه، لا إله إلا هو العزيز الذي لا يغال به أحد، الحكيم في خلقه وتدييره وتشريعه.

﴿١٩﴾ إن الدين المقبول عند الله هو الإسلام، وهو الانقياد لله وحده بالطاعة والاستسلام له بالعبودية؛ والإيمان بالرسول جميعاً إلى خاتمهم محمد ﷺ، الذي ختم الله به الرسالات، فلا يقبل غير شريعته. وما اختلف اليهود والنصارى في دينهم وافترقوا شيعاً وأحزاباً إلا من بعد ما قامت عليهم الحجة بما جاءهم من العلم، حسداً وحرصاً على الدنيا، ومن يكمر بايات الله المنزلة على رسوله فإن الله سريع الحساب لمن كفر به وكذب رسله.

الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا أَمَتَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا  
وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَائِمِينَ  
وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ شَهِدَ اللَّهُ  
أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَكُوتُ لَهُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا  
بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ  
عِنْدَ اللَّهِ أَلِمْ سَلَمٌ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ  
إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ  
بِعَايَةِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَاجُّوكَ  
فَقُلْ أَسَأَمْتُ وَجْهِي لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا  
الْكِتَابَ وَالْأُمِّيَّةَ أَسَأَمْتُ فَإِنْ أَسَأَمُوا فَقَدْ أَهْتَدُوا  
وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرُ الْعِبَادِ ﴿٢٠﴾  
إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِعَايَةِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ  
بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ  
النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ  
أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٢٢﴾

﴿٢٠﴾ فإن حادلك أيها الرسول هي الحق الذي نزل عليك، فقل محيياً إياهم: أسلمت أنا ومن تبعني من المؤمنين لله تعالى، وقل أيها الرسول لأهل الكتاب والمشركين: أسلمتم لله تعالى مخلصين له متبعين لما جئت به؟ فإن أسلموا لله واتبعوا شريعتك فقد سلخوا سبيل الهدى، وإن أعرضوا عن الإسلام فليس عليك إلا أن تبلغهم ما أرسلت به، وأمرهم إلى الله، فهو تعالى بصير لعباده، وسيجازي كل عامل بما عمل.

﴿٢١﴾ إن الذين يكفرون بحجج الله التي أنزلها عليهم، ويقتلون أنبياءه بغير حق، وإنما ظلماً وعدواناً، ويقتلون الذين يأمرهم بالعدل من الناس، وهم الأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر، بشر هؤلاء الكفار القتل بعذاب أليم.

﴿٢٢﴾ أولئك المتصفون بتلك الصفات قد بطلت أعمالهم فلا ينتفعون بها في الدنيا ولا في الآخرة. لعدم إيمانهم بالله، وما لهم من باصرين يدفعون عنهم العذاب.

• من فوائد الآيات:

- من أعظم ما يكفر الذنوب وبقي عذاب النار الإيمان بالله تعالى واتباع ما جاء به الرسول ﷺ.
- أعظم شهادة وحقيقة هي ألوهية الله تعالى ولهذا شهد الله بها نفسه، وشهد بها ملائكته، وشهد بها أولو العلم ممن خلق.
- البغي والحسد من أعظم أسباب النزاع والصرف عن الحق.



أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ  
 اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ تَوَلَّى فِرْقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿١٣﴾  
 ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ  
 وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جُمِعَتْهُمْ  
 لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ  
 لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٥﴾ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَن  
 تَشَاءُ وَتَنَزِعُ الْمَلِكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتَعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن  
 تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦﴾ تُوَلِّجُ اللَّيْلَ  
 فِي النَّهَارِ وَتُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ  
 وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرَزُّقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٧﴾  
 لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ  
 وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ  
 تُقَّةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ قُلْ  
 إِن تَخَفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ بُدُّوا يَعْلَمَهُ اللَّهُ وَيَعْلَمَ  
 مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾

﴿١٣﴾ ألم تنظر إليها النبي إلى حال اليهود الذين أتاهم الله خطأ من العلم بالتوراة وما دلت عليه من نبوتك، يُدْعَوْنَ إلى الرجوع إلى كتاب الله التوراة ليفصل بينهم فيما اختلفوا فيه، ثم ينصرف فريق من علمائهم ورؤسائهم وهم مُعْرِضُونَ عن حكمه إذ لم يوافق أهواءهم، وكان الأولى بهم وهم يزعمون اتباعهم له أن يكونوا أسرع الناس إلى التحاكم إليه.

﴿١٤﴾ ذلك الانصراف عن الحق والإعراض عنه لأنهم كانوا يُدْعَوْنَ أن النار لن تمسهم يوم القيامة إلا أيامًا قليلة، ثم يدخلون الجنة، فغرهم هذا الطعن الذي اختلفوه من الأكاذيب والأباطيل فتجروا على الله ودينه. ﴿١٥﴾ فكيف يكون حالهم وندمهم؟! سيكون غاية في السوء إذا جمعناهم للحساب في يوم لا شك فيه وهو يوم القيامة، وأعطيت كل نفس جزاء ما عملت على قدر ما تستحق، من غير ظلم بنقص حسناتها، أو زيادة سيئاتها.

﴿١٦﴾ قل - أيها الرسول - مُشْتَبَاً على ربك ومعظماً له: اللَّهُمَّ أَنْتَ مَالِكُ الْمَلِكِ كله في الدنيا والآخرة، تُؤْتِي الْمَلِكَ مَن تَشَاءُ من خلقك، وتزعه مِمَّنْ تَشَاءُ، وتُعِزُّ مَن تَشَاءُ منهم، وتذل من تَشَاءُ، وكل ذلك بحكمتك وعدلك، وببيدك وحدك الخير كله، وأنت على كل شيء قدير.

﴿١٧﴾ ومن مظاهر قدرتك أنك تدخل الليل في النهار فيطول وقت النهار، وتدخل النهار في الليل فيطول وقت الليل، وتخرج الحي من الميت، كأخراج المؤمن من الكافر، والزرع من الحب، وتخرج الميت من الحي

كالكافر من المؤمن، والبيضة من الدجاجة، وترزق من تشاء رزقاً واسعاً من غير حساب وعد.

﴿١٨﴾ لا تتخذوا أيها المؤمنون الكافرين أولياء تحببهم وتتصرونهم من دون المؤمنين، ومن يفعل ذلك فقد برئ من الله وبرئ الله منه، إلا أن تكونوا في سلطانهم فتحافوهم على أنفسهم، فلا حرج أن تتقوا إذا هم بإطهار اللين في الكلام واللطف في المعال، مع إضمار العداوة لهم، ويحذركم الله نفسه فحافوه. ولا تتعرضوا لغصبه بارتكاب المعاصي، وإلى الله وحده رجوع العباد يوم القيامة لمجازاتهم على أعمالهم.

﴿١٩﴾ قل أيها النبي: إن تخفوا ما في صدوركم مما بهاكم الله عنه كموالاة الكفار، أو تظفروا ذلك يعلمه الله، ولا يحفى عليه منه شيء، ويعلم ما في السموات وما في الأرض، والله على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء.

• من فوائد الآيات:

- أن التوفيق والهداية من الله تعالى، والعلم - وإن كثر وبلغ صاحبه أعلى المراتب - إن لم يصاحبه توفيق الله لم ينتفع به المرء.
- أن الملك لله تعالى، فهو المعطي المانع، المعز المذل، بيده الخير كله، وإليه يرجع الأمر كله، فلا يُسأل أحد سواه.
- خطورة تولي الكافرين، حيث توعد الله فاعله بالبراءة منه وبالحساب يوم القيامة.

﴿٣٠﴾ يوم القيامة تلقى كل نفس عملها من الخير قد أتى به لا نقص فيه، والذي عملت من السوء تتمنى أن بينها وبينه زمناً بعيداً، وأنى لها ما تمنى! ويحذرکم الله نفسه، فلا تتعرضوا لغضبه بارتكاب الآثام، والله رؤوف بالعباد، ولهذا يحذرهم ويخوفهم.

﴿٣١﴾ قل أيها الرسول :- إن كنتم تحبون الله حقاً فاتبعوا ما جئت به طاهراً وباطناً، تناولوا محبة الله، ويفخر لكم دنوبكم، والله غفور لمن تاب من عباده رحيم بهم.

﴿٣٢﴾ قل أيها الرسول . أطيعوا الله وأطيعوا رسوله بامتثال الأوامر واجتنب النواهي، فإن أعرضوا عن ذلك فإن الله لا يحب الكافرين المحالفين لأمره وأمر رسوله.

﴿٣٣﴾ إن الله اختار آدم ﷺ فأسجد له ملائكته، واختار نوحاً فجعله أول رسول إلى أهل الأرض، واختار آل إبراهيم فجعل النبوة باقية في ذريته، واختار آل عمران: اختار كل هؤلاء وفضلهم على أهل زمانهم.

﴿٣٤﴾ هؤلاء المذكورون من الأنبياء ودرجاتهم المثبتون لطريقتهم هم ذرية بعضها متسلسل من بعض في توحيد الله وعمل الصالحات، يتوارثون من بعضهم المكارم والفضائل، والله سميع لأقوال عباده، عليم بأفعالهم، ولهذا يختار من يشاء منهم، ويصطفى منهم من يشاء.

﴿٣٥﴾ اذكر أيها الرسول إذ قالت امرأة عمران والدة مريم ﷺ: يا رب إني أوجبت على نفسي أن أحمل ما هي بطني من حمل خالصة لوجهك، محزراً من كل شيء ليخدمك ويخدم

يَوْمَ يَجْدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ، وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾ \* إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهُمَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِؤُا نَىٰ لَكَ هَذَا قَالَتُ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾

بيتك، فتقبل مني ذلك، إنك أنت السميع لدعائي، العليم بنيتي.

﴿٣٦﴾ فلما تم حملها وضعت ما في بطنها، وقالت معتذرة : وقد كانت ترجو أن يكون الحمل ذكراً : يا رب إني ولدتها أنثى، والله أعلم بما ولدت، وليس الذكر الذي كانت ترجوه كالأنثى التي وهبت لها في القوة والحلقة. وإني سميتها مريم، وإني حصنتها بك هي وذريتها من الشيطان المطرود من رحمتك.

﴿٣٧﴾ فتقبل الله نذرهما بقبول حسن، وأنشأها نشأة حسنة، وعطف عليها قلوب الصالحين من عباده، وحمل كفالتها إلى زكريا . وكان زكريا كلما دخل عليها مكان العبادة وجد عندها رزقاً طيباً ميسراً. فقال مخاطباً إياها: يا مريم، من أين لك هذا الرزق؟ قالت محببة إياه: هذا الرزق من عند الله، إن الله يرزق من يشاء رزقاً واسعاً بغير حساب.

من فوائد الآيات:

- عظم مقام الله وشدة عقوبته تجعل العاقل على حذر من مخالفة أمره تعالى.
- برهان المحبة الحققة لله ورسوله باتباع الشرع أمراً ونهيًا، وأما دعوى المحبة بلا اتباع فلا تنفع صاحبها.
- أن الله تعالى يختار من يشاء من عباده ويصطفيهم للنبوة والعبادة بحكمته ورحمته، وقد يخصهم بآيات حارقة للعادة.



هَذَا لَكَ دَعَاكَ يَا رَبِّهِ، قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمَحَارِبِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِّي آيَةً قَالَ رَبِّ إِنِّي مَرْيَمُ ابْنُ مَرْيَمَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَانِي وَطَهَّرَنِي وَأَصْطَفَانِي عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤١﴾ يَمْرَيْمُ أَفْنِي لِرَبِّكَ وَأَسْجُدِي وَأَرْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٢﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَفَلَمَهْمُ آيُهُمْ يَكْفُلْ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٣﴾ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٤﴾

﴿٣٨﴾ عند ذلك الذي رآه زكريا من رزق الله تعالى لمريم بنت عمران على غير المعتاد من سننه تعالى في الرزق رجا أن يرزقه الله ولذا مع الحال التي هو عليها من تقدم سنه وعظم امراته، فقال يا رب، هب لي ولداً طيباً، إنك سميعٌ لدعاء من دعائك، مجيب له.

﴿٣٩﴾ فنادته الملائكة مخاطبة له وهو في حال قيامه للصلاة في مكان عبادته بقولها، إن الله يُبَشِّرُكَ بولد يولد لك اسمه يحيى، من صفته أن يكون مصدقاً بكلمة من الله، وهو عيسى بن مريم - أنه خلق خلقاً حاضاً بكلمة من الله - ويكون هذا الولد سيِّداً على قومه في العلم والعبادة، ماباً نفسه وحابسها عن الشهوات ومنها قُرْبَار النساء، متزغاً لعبادة ربه، ويكون - أيضاً - نبياً من الصالحين.

﴿٤٠﴾ قال زكريا لما بشرته الملائكة بيحيى: يا رب، كيف يكون لي ولد بعد أن صرت شيخاً، وامرأتي عقيم لا يولد لها؟ قال الله جواً على قوله: مثلُ خلق يحيى على كبر سنك وعظم زوجك: كخلق الله ما يشاء مما يخالف المألوف عادة، لأن الله على كل شيء قدير، يفعل ما يشاء بحكمته وعلمه.

﴿٤١﴾ قال زكريا: يا رب، اجعل لي علامة على حمل امرأتي مني، قال الله: علامتك التي طلبت هي: ألا تستطيع كلام الناس ثلاثة أيام لئلا يهين إلا بالإسارة ونحوها، من غير حلل يصيبك، فأكثُر من ذكر الله وتسبيحه في آخر النهار وأوله.

﴿٤٢﴾ واذكر أيها الرسول حين قالت الملائكة لمريم ﴿٤٣﴾ إن الله اختارك لما تتصفين به من صفات حميدة، وطهرك من النقائص، واحنارك على نساء العالمين في زمانك.

﴿٤٤﴾ يا مريم، أطبى القيام في الصلاة، واسجدي لربك، واركعي له مع الراكعين من عباد الصالحين. ذلك المذكور من خير زكريا ومريم ﴿٤٥﴾ من أخبار الغيب نوحيه إليك أيها الرسول وما كنت عند أولئك العلماء والصالحين حين اختصموا فيمن هو أحق برية مريم، حتى لجؤوا للقرعة فأنقوا أفلامهم، ففاز قلم زكريا ﴿٤٦﴾ اذكر أيها الرسول إذ قالت الملائكة: يا مريم، إن الله يُبَشِّرُكَ بولد يكون خلقه من غير أب، وإنما بكلمة من الله بأن يقول له: «كن»، فيكون ولداً بإذن الله، واسم هذا الولد: المسيح عيسى بن مريم، له مكانة عظيمة في الدنيا وفي الآخرة، ومن المقررين إليه تعالى.

مِرْقَاتُ الْآيَاتِ:

- عناية الله تعالى بأوليائه، فإنه سبحانه يجنبهم سوء، ويستجيب دعاءهم.
- فضل مريم ﴿٤٣﴾ حيث اختارها الله على نساء العالمين، وطهرها من النقائص، وجعلها مباركة.
- كلما عظمت نعمة الله على العبد عظم ما يجب عليه من شكره عليها بالقتوت والركوع والسجود وسائر العبادات.
- مشروعية القرعة عند الاختلاف فيما لا يتيقن عليه ولا قرينة تشير إليه.





رَبَّنَا أَمَتًا بِمَا أَنْزَلْتَ وَأَتَّبِعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُتِبْنَا مَعَ  
الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكْرُؤًا وَمَكْرًا لِلَّهِ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ  
﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعِيسَى ابْنِي مَرْيَمَ وَرَافِعُكَ إِلَى وَمُطَهِّرُكَ  
مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ  
كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَى مَرْجِعِكُمْ فَأَحْكُمُ  
بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا  
فَأَعَذَبُوهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ  
مِّنْ نَّاصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ  
فَيُوفِيهِمْ أَجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَلِكَ نَتْلُوهُ  
عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنْ مَثَلٌ  
عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ  
كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ  
﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا  
نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا  
وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٦١﴾

﴿٥٣﴾ وقال الجواريون كذلك: ربنا أمتنا بما أنزلت من الإنجيل، واتبعنا عيسى عليه السلام، فاجعلنا مع الشاهدين بالحق الذين آمنوا بك وبرسلك.

﴿٥٤﴾ ومكر الكافرون من بني إسرائيل حيث سعوا في قتل عيسى عليه السلام، فمكر الله بهم فتركهم في ضلالهم، وألقى شبهة عيسى عليه السلام على رجل آخر، والله خير الماكرين: لأنه لا أشد من مكره تعالى بأعدائه.

﴿٥٥﴾ ومكر الله بهم - أيضًا - حين قال مخاطبًا عيسى عليه السلام: يا عيسى، إني قابضك من غير موت، ورافعُ بدنك وروحك إلي، ومُزهِرك من رجس الذين كفروا بك ومُبْعِدك عنهم، وجاعل الذين اتبعوك على الدين الحق - ومنه الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم - فوق الذين كفروا لك إلى يوم القيامة بالبرهان والعزة، ثم إلي وحدي رجوعكم يوم القيامة. فأحكم بينكم بالحق فيما كنتم فيه تختلفون.

﴿٥٦﴾ فأما الذين كفروا بك وبالحق الذي جئتكم به فأعذبهم عذابًا شديدًا في الدنيا بالقتل والأسر والنذل وغيرها، وفي الآخرة بعذاب النار، وما لهم من ناصرين يدفعون عنهم العذاب.

﴿٥٧﴾ وأما الذين آمنوا بك وبالحق الذي جئتكم به، وعملوا الصالحات من صلاة وزكاة وصيام وصلة وغيرها، فإن الله يعطيهم ثواب أعمالهم تامة لا يُقَصُّ منها شيئًا، وهذا الحديث عن أتباع المسيح قبل بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم الذي بشر به المسيح نفسه، والله لا يحب الظالمين، ومن أعظم الظلم الشرك بالله تعالى وتكذيب رسله.

﴿٥٨﴾ ذلك الذي نقرؤه عليك من خبر

عيسى عليه السلام من العلامات الواضحات الدالة على صحة ما أنزل إليك، وهو ذُكْرُ للمتقين، محكم لا يأتيه الباطل.

﴿٥٩﴾ إن مثل خلق عيسى عليه السلام عند الله كمثل خلق آدم من تراب، من غير أب ولا أم، وإما قال الله له: كن بشرًا فكان كما أراد تعالى، فكيف يزعمون أنه إله بحجة أنه خلق من غير أب، وهم يقولون بأن آدم بشر، مع أنه خلق من غير أب ولا أم؟

﴿٦٠﴾ الحق الذي لا شك فيه في شأن عيسى عليه السلام هو الذي نزل عليك من ربك، فلا تكن من الساكنين المُردِّدين، بل عليك الثبات على ما أنت عليه من الحق.

﴿٦١﴾ فمن جادلوك أيها الرسول من نصارى نجران في أمر عيسى زاعمًا أنه ليس عبدًا لله من بعد ما جاءك من العلم الصحيح في شأنه؛ فقل لهم: تعالوا نداءً للحضور أبناءنا وأبنائكم. وساءنا وساءكم، وأنفسنا وأنفسكم، ونجتمع كلنا، ثم نتضرع إلى الله بالدعاء أن ينزل لعنته على الكاذبين منا ومنكم.

من قواية الآيات:

- من كمال قدرته تعالى أنه يعاقب من يمكر بدينه وبأوليائه، فيمكر بهم كما يمكرون.
- بيان المعتقد الصحيح الواجب في شأن عيسى عليه السلام، وبيان موافقته للعقل فهو ليس بدعًا في الخلقة، فادم المخلوق من غير أب ولا أم أشد غرابة والجميع يؤمن ببشريته.
- مشروعية المُباهلة بين المتنازعين على الصفة التي وردت بها الآية الكريمة.

﴿٢٢﴾ إن هذا الذي ذكرنا لك من شأن عيسى عليه السلام هو الخبر الحق الذي لا كذب فيه ولا شك، وما من معبود بحق إلا الله وحده، وإن الله لهو العزيز في ملكه، الحكيم في تدبيره وأمره وخلقه.

﴿٢٣﴾ فإن أعرضوا عما جئت به، ولم يتبعوك؛ فذلك من فسادهم، والله عليم بالمفسدين في الأرض، وسيجازيهم على ذلك.

﴿٢٤﴾ قل - أيها الرسول - تعالوا يا أهل الكتاب من اليهود والنصارى، نجتمع على كلمة عدل يستوي فيها جميعاً أن نُفرد الله بالعبادة فلا نعبد معه أحداً سواه مهما كانت منزلته، وعلت مكانته، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً يُعبدون ويُطاعون من دون الله، فإن انصرفوا عن هذا الذي تدعوهم إليه من الحق والعدل فقولوا لهم أيها المؤمنون - أشهدوا بأننا مستسلمون لله منقادون له تعالى بالطاعة.

﴿٢٥﴾ يا أهل الكتاب لم تعادون في ملة إبراهيم عليه السلام؟ فاليهودي يزعم أن إبراهيم كان يهودياً، والنصراني يزعم أنه كان نصرانياً، وأنتم تعلمون أن اليهودية والنصرانية لم تظهر إلا بعد موته بوقت طويل، أفلا تدركون بقولكم بطلان قولكم وخطأ رعمكم؟ ﴿٢٦﴾ ها أنتم يا أهل الكتاب

جادلتم النبي صلى الله عليه وسلم فيما لكم به علم من أمر دينكم وما أنزل عليكم، فلم تجادلون فيما ليس لكم به علم من أمر إبراهيم ودينه، مما ليس في كتبكم ولا جاءت به أنبياءكم؟ والله يعلم حقائق الأمور وبواطنها وأنتم لا تعلمون.

﴿٢٧﴾ ما كان إبراهيم عليه السلام على الملة اليهودية، ولا على النصرانية، ولكن

كان مائلاً عن الأديان الباطلة، مسلماً لله موحداً له تعالى، وما كان من المشركين به كما يزعم مشركو العرب أنهم على ملته ﴿٢٨﴾ إن أحق الناس بالانتساب إلى إبراهيم، هم الذين اتبعوا ما جاء به في زمانه، وأحق الناس أيضاً بذلك هذا النبي محمد صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا به من هذه الأمة، والله ناصر المؤمنين به وحافظهم.

﴿٢٩﴾ يمتنى أحبار من أهل الكتاب من اليهود والنصارى أن يصلوكم أيها المؤمنون عن الحق الذي هداكم الله له، وما يضلون إلا أنفسهم؛ لأن سعيهم في إضلال المؤمنين يزيد في ضلالهم هم. وما يعلمون عاقبة أفعالهم.

﴿٣٠﴾ يا أهل الكتاب من اليهود والنصارى لم تكفرون بآيات الله التي أنزلت عليكم وما فيها من دلائل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وأنتم تشهدون أنه الحق الذي دلت عليه كتبكم؟

﴿٣١﴾ من توابع الآيات.

- أن الرسائل الإلهية كلها اتفقت على كلمة عدل واحدة، وهي: توحيد الله تعالى والنهي عن الشرك.
- أهمية العلم بالتاريخ، لأنه قد يكون من الحجج القوية التي تُردُّ بها دعوى المبطلين.
- أحق الناس بإبراهيم عليه السلام من كان على ملته وعقيدته، وأما مجرد دعوى الانتساب إليه مع معالفته فلا تنفع.
- دلت الآيات على حرص كفرة أهل الكتاب على إضلال المؤمنين من هذه الأمة حسداً من عند أنفسهم.

إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ  
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٢﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ  
﴿٢٣﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا  
وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ  
بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا  
بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٢٤﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ  
وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ  
﴿٢٥﴾ هَآأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ  
تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ  
لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا  
وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٢٧﴾  
إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ  
آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٨﴾ وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ  
لَوْ يَضِلُّونَكُمْ وَمَا يَضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٩﴾ يَا أَهْلَ  
الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٣٠﴾



﴿٧١﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَخْلُفُونَ عَنِ الْحَقِّ الَّذِي أَنْزَلَ فِي كُتُبِكُمْ بِالْبَاطِلِ مِنَ عِنْدِكُمْ، وَتَخْفُونَ مَا فِيهَا مِنَ الْحَقِّ وَالْهُدَى، وَمِنْهُ صَحَّةُ نَبْوَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ وَالْهُدَى مِنَ الضَّلَالِ؟

﴿٧٢﴾ وَقَالَتْ جَمَاعَةٌ مِنْ عُلَمَاءِ الْيَهُودِ: آمَنُوا فِي الظَّاهِرِ بِالْقُرْآنِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَوَّلَ النَّهَارِ، وَكَفَرُوا بِهِ آخِرَهُ، لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٣﴾ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنْ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنْ الْفَضْلُ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٤﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٥﴾ وَمَنْ أَهْلُ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بدينارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ فَإِيمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّةِ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٦﴾ بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٧﴾ إِنْ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٨﴾

﴿٧٩﴾ وَقَالُوا أَيْضًا، وَلَا تَصَدَّقُوا إِلَّا مَنْ كَانَ تَابِعًا لِدِينِكُمْ، قُلْ أَيُّهَا الرُّسُولُ: إِنْ الْهُدَى إِلَى الْحَقِّ هُوَ هُدَى اللَّهِ تَعَالَى، لَا مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ تَكْذِيبٍ وَعِنَادٍ، مَخَافَةَ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِنَ الْفَضْلِ مِثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ، أَوْ تَخَافَ أَنْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ إِنْ أَقَرَرْتُمْ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْهِمْ، قُلْ أَيُّهَا الرُّسُولُ: إِنْ الْفَضْلُ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، لَا يَقْتَصِرُ فَضْلُهُ عَلَى أُمَّةٍ دُونَ أُمَّةٍ، وَاللَّهُ وَاسِعُ الْفَضْلِ عَلِيمٌ بِمَنْ يَسْتَحِقُّهُ.

﴿٨٠﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ، فَيُفَضِّلُ عَلَيْهِ بِالْهُدَايَةِ وَالنَّبْوَةِ وَأَنْوَاعِ الْعَطَاءِ، وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ الَّذِي لَا حُدَّ لَهُ.

﴿٨١﴾ وَمَنْ أَهْلُ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ عَلَى مَالٍ كَثِيرٍ يُوَدِّ إِلَيْكَ مَا أَتَمَّنْتَهُ عَلَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَسْتَأْمَنَهُ عَلَى مَالٍ قَلِيلٍ لَا يُؤَدِّ إِلَيْكَ مَا أَتَمَّنْتَهُ عَلَيْهِ إِلَّا أَنْ ظَلَّتْ تَلُحُّ عَلَيْهِ بِالْمَطَالِبَةِ وَالتَّقَاضِي، ذَلِكَ مِنْ أَجْلِ قَوْلِهِمْ وَظَنَّهُمْ الْفَاسِدُ: لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْعَرَبِ وَأَكَلَ أَمْوَالِهِمْ إِثْمٌ، لِأَنَّ اللَّهَ

أَبَاحَهَا لَنَا، يَقُولُونَ هَذَا الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ افْتَرَاءَهُمْ عَلَى اللَّهِ.

﴿٨٢﴾ لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا زَعَمُوا، بَلْ عَلَيْهِمْ حَرَجٌ، وَلَكِنْ مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِمْ مَعَ اللَّهِ مِنَ الْإِيمَانِ بِهِ وَبِرَسُولِهِ، وَوَفَّى بِعَهْدِهِمْ مَعَ النَّاسِ فَأَدَّى الْأَمَانَةَ، وَاتَّقَى اللَّهَ بِامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ، فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ وَسَيَجْزِيهِمْ عَلَى ذَلِكَ أَكْرَمَ الْجَزَاءِ.

﴿٨٣﴾ إِنْ الَّذِينَ يَسْتَبَدُّونَ بَوْصِيَّةَ اللَّهِ إِلَيْهِمْ بِاتِّبَاعِ مَا أَنْزَلَهُ فِي كِتَابِهِ وَأَرْسَلَ بِهِ رَسُولَهُ، وَبِأَيْمَانِهِمُ الَّتِي قَطَعُوهَا بِالْوَفَاءِ بِعَهْدِ اللَّهِ، يَسْتَبَدُّونَ بِهَا عَوْدًا قَلِيلًا مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا، لَا نَصِيبَ لَهُمْ مِنْ ثَوَابِ الْآخِرَةِ. وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ بِمَا يَسْرَهُمْ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ نَظَرُ رَحْمَةِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَطْهَرُهُمْ مِنْ ذُنُوبِهِمْ وَكَفَرِهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ.

﴿٨٤﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْأَيَّاتِ،

• مِنْ عُلَمَاءِ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَخْدَعُ أَتْيَاعَ مِلَّتِهِمْ، وَلَا يَبِينُ لَهُمُ الْحَقَّ الَّذِي دَلَّتْ عَلَيْهِ كُتُبُهُمْ، وَجَاءَتْ بِهِ رُسُلُهُمْ

• مِنْ وَسَائِلِ الْكُفَّارِ الدَّخُولِ فِي الدِّينِ وَالتَّشْكِيكِ فِيهِ مِنَ الدَّخَالِ.

• اللَّهُ تَعَالَى هُوَ الْوَهَّابُ الْمُتَفَضِّلُ، يُعْطِي مَنْ يَشَاءُ بِفَضْلِهِ، وَيُمْنَعُ مَنْ يَشَاءُ بِعَدْلِهِ وَحُكْمَتِهِ، وَلَا يَنَالُ فَضْلُهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ

• كُلُّ عَوَظٍ فِي الدُّنْيَا عَنِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالْوَفَاءِ بِعَهْدِهِ وَإِنْ كَانَ عَظِيمًا فَهُوَ قَلِيلٌ حَقِيرٌ أَمَامَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَمَنَازِلِهَا.

﴿٧٦﴾ وإن من اليهود لطائفة يخرفون السننهم بذكر ما ليس من التوراة المنزلة من عند الله، لظنوا أنهم يقرؤون التوراة، وما هو من التوراة، بل هو من كذبهم وافترائهم على الله، ويقولون: ما نقرؤه منزل من عند الله، وليس هو من عند الله، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون كذبهم على الله ورسله.

﴿٧٧﴾ ما كان ينبغي لبشر أن يؤتيه الله كتاباً منزلاً من عنده، ويرزقه العلم والفهم، ويختاره نبياً، ثم يقول للناس: كونوا عباداً لي من دون الله، ولكن يقول لهم: كونوا علماء عاملين مريين للناس مصلحين لأموالهم بسبب تعليمكم الكتاب المنزل للناس، وبما كنتم تدرسون منه حفظاً وفهماً.

﴿٧٨﴾ ولا ينبغي له كذلك أن يأمرهم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً تعبدونهم من دون الله، أيجوز منه أن يأمرهم بالكفر بالله بعد انقيادكم إليه واستسلامكم له؟

﴿٧٩﴾ واذكر أيها الرسول حين أخذ الله العهد المؤكد على النبيين قائلًا لهم: مهما أعطيتكم من كتاب أنزله عليكم، وحكمة أعلمكم إياها، وبلغ أحدكم ما بلغ من المكانة والمنزلة، ثم جاءكم رسول من عندي - وهو محمد ﷺ - مصدق لما معكم من الكتاب والحكمة: لتؤمنن بما جاء به، ولتصرنه متبعين له، فهل أقررتن أيها الأنبياء - بذلك، وأخذتم على ذلك عهدي الشديد؟ فأجابوا قائلين: أقررنا به، قال الله: أشهدوا على أنفسكم وعلى أممكم، وأنا معكم من الشاهدين عليكم وعليهم.

وَأَنَّ مِنْهُمْ لَفِرِيقًا يُقَالُونَ أَلَيْسَتْ لَهُمُ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنْ أَلْكِتَابٍ وَمَا هُوَ مِنْ أَلْكِتَابٍ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيُنَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَلْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَنْ قَوْلِي بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

٦٠

﴿٨٠﴾ فمن اعرض بعد هذا العهد المؤكد بالشهادة من الله ورسله: فأولئك هم الخارجون عن دين الله وطاعته.

﴿٨١﴾ أغير دين الله الذي اختار لعباده - وهو الإسلام - يطلب هؤلاء الخارجون عن دين الله وطاعته؟ له - سبحانه - اشهاد الخلائق كلهم يوم القيامة للحساب والجزاء.

﴿٨٢﴾ من قوايد الآيات:

• ضلال علماء اليهود ومكرهم في تحريفهم كلام الله، وكذبهم على الناس بنسبة تحريفهم إليه تعالى.

• كل من يدعي أنه على دين نبي من أنبياء الله إذا لم يؤمن بمحمد عليه الصلاة والسلام فهو باقصر لعهد مع الله تعالى.

• أعظم الناس منزلة العلماء الربانيون الذين يجمعون بين العلم والعمل، ويرتؤون الناس على ذلك.

• أعظم الضلال الإعراض عن دين الله تعالى الذي استسلم له سبحانه الخلائق كلهم بغيرهم وفاجرهم.



قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ  
وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ  
وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ  
وَنَحْنُ مُتَقَادُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ  
يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾ كَيْفَ  
يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ  
الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ  
الظَّالِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ  
وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ  
عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ  
بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ  
كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَّنْ نُّقَبِّلَ تَوْبَتَهُمْ  
وَأُولَٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ  
كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِّلٌ أَرْضَ ذَهَبًا وَلَوْ  
أَفْتَدَىٰ بِهِ ؕ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ ﴿٩١﴾

﴿٨٤﴾ قل آمنا بالرسول آمنا بالله إلهاً، وأطعناه فيما أمرنا به، وامننا بالوحي الذي أنزله علينا. وبما أنزله على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب، وبما أنزله على الأنبياء من ولد يعقوب، وبما أوتي موسى وعيسى والنبيون جميعاً من الكتب والآيات من ربهم، لا نفرق بينهم فنؤمن ببعض ونكفر ببعض. ونحن متقادون لله وحده مستسلمون له تعالى.

﴿٨٥﴾ ومن يطلب ديناً غير الدين الذي ارتضاه الله وهو دين الإسلام: فلن يقبل الله ذلك منه، وهو في الآخرة من الخاسرين لأنفسهم بدحلولهم النار.

﴿٨٦﴾ كيف يوفق الله للإيمان به وبرسوله قوماً كفروا بعد إيمانهم بالله وشهادتهم أن ما جاء به الرسول محمد ﷺ حق، وجاءتهم البراهين الواضحة على صحة ذلك؟ والله لا يوفق للإيمان به القوم الظالمين الذين اختاروا الضلال بدلاً عن الهدى.

﴿٨٧﴾ إن جزاء أولئك الظالمين الذين اختاروا الباطل أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، فهم مبعثون عن رحمة الله مطرودون.

﴿٨٨﴾ خالدون في النار لا يخرجون منها، ولا يخفف عنهم عذابها، ولا هم يؤخرون ليتوبوا ويعتذروا.

﴿٨٩﴾ إلا الذين رجعوا إلى الله بعد كفرهم وظلمهم، وأصلحوا عملهم: فإن الله غفور لمن تاب من عباده رحيم بهم.

﴿٩٠﴾ إن الذين كفروا بعد إيمانهم، واستمروا على كفرهم حتى عاينوا الموت: لن تقبل منهم التوبة عند

حضور الموت لذهاب وقتها، وأولئك هم الضالون عن الصراط المستقيم الموصول إلى الله تعالى. ﴿٩١﴾ إن الذين كفروا وماتوا على كفرهم: فلن يقبل من أحدهم وزن الأرض ذهباً ولو قدمه مقابل انفكاكه من النار، أولئك لهم عذاب أليم. وما لهم من ناصرين يوم القيامة يدفعون عنهم العذاب.

• من فوائد الآيات:

- يجب الإيمان بجميع الأنبياء الذين أرسلهم الله تعالى. وجميع ما أنزل عليهم من الكتب، دون تفریق بينهم.
- لا يقبل الله تعالى من أحد ديناً آتياً كان بعد بعثة النبي محمد ﷺ إلا الإسلام الذي جاء به.
- من أصر على الضلال، واستمر عليه، فقد يعاقبه الله بعدم توفيقه إلى التوبة والهداية.
- باب التوبة مفتوح للعبد ما لم يحضره الموت، أو تشرق الشمس من مغربها، فعندئذ لا تقبل منه التوبة.
- لا ينجي المرء يوم القيامة من عذاب النار إلا عمله الصالح. وأما المال فلو كان ملء الأرض لم ينفعه شيئاً.

لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا حُبَبْتُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ  
فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِّبَنِي  
إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ  
التَّوْرَةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ  
﴿٩٣﴾ فَمَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ  
هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا  
وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي  
بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ  
إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ  
مَنْ أَسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ  
﴿٩٧﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ  
عَلَى مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ  
سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ  
بِغَفْلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَطِيعُوا فَرِيقًا  
مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴿١٠٠﴾

﴿٩٢﴾ لَنْ تَدْرِكُوا - أيها المؤمنون - ثواب أهل البر ومنزلتهم حتى تنفقوا في سبيل الله من أموالكم التي تحبونها، وما تنفقوا من شيء قليلًا كان أو كثيرًا فإن الله عليم بنياتكم وأعمالكم، وسيجازي كلًا بعمله.

﴿٩٣﴾ جميع الأطعمة الطيبة كانت حلالًا لبني إسرائيل، ولم يُحَرِّمْ عليهم منها إلا ما حَرَّمه يعقوب على نفسه قبل برول التوراة، لا كما تزعم اليهود أن ذلك التحريم كان في التوراة. قل لهم أيها النبي: فأحضروا التوراة واقرؤوها إن كنتم صادقين في هذا الذي تدَّعون، فيهتوا، ولم يأتوا بها. وهو مثال يدل على افتراء اليهود على التوراة وتحريف مضمونها.

﴿٩٤﴾ فمن افترى الكذب على الله بعد ظهور الحجة: بأن ما حَرَّمه يعقوب حَرَّمه على نفسه من غير تحريم من الله، فأولئك هم الظالمون لأنفسهم بترك الحق بعد ظهور حجته. ﴿٩٥﴾ قل أيها النبي: صدق الله فيما أخبر به عن يعقوب عليه السلام، وفي كل ما أنزل وشرع، فأتبعوا دين إبراهيم عليه السلام، فقد كان ماثلاً عن الأديان كلها إلى دين الإسلام، ولم يشرك مع الله غيره أبدًا.

﴿٩٦﴾ إن أول بيت بني في الأرض للناس جميعًا من أجل عبادة الله هو بيت الله الحرام الذي بمكة، وهو بيت مبارك، كثير المنافع الدينية والدنيوية، وفيه هداية للعالمين جميعًا.

﴿٩٧﴾ في هذا البيت علامات طهارات على شرفه وفصله: كالمناسك والمشاعر، ومن هذه العلامات الخمر الذي قام عليه إبراهيم لما أراد رفع جدار الكعبة، ومنها أن من دخله يزول

الخوف عنه ولا يناله أذى. ويجب لله على الناس قَصْدُ هذا البيت لأداء مناسك الحج، لمن كان منهم قادرًا على الوصول إليه، ومن كفر بفريضة الحج فإن الله غني عن هذا الكافر وعن العالمين أجمعين.

﴿٩٨﴾ قل أيها النبي: يا أهل الكتاب من اليهود والنصارى لِمَ تحذرون البراهين على صدق النبي ﷺ، ومنها براهين جاءت بها التوراة والإنجيل؟ والله مطلع على عملكم هذا، شاهد عليه، وسيجازيكم به.

﴿٩٩﴾ قل - أيها النبي: يا أهل الكتاب من اليهود والنصارى لِمَ تمنعون عن دين الله مَنْ ءَامَنَ به من الناس تطلبون لدين الله ميلًا عن الحق إلى الباطل، ولأهله ضلالًا عن الهدى، وأنتم شهداء على أن هذا الدين هو الحق مصدق لما في كتبكم؟ وليس الله بعاقل عما تعملون من الكفر به، والصد عن سبيله، وسيجازيكم به.

﴿١٠٠﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، إن تطيعوا طائفة من أهل الكتاب من اليهود والنصارى فيما يقولونه، وتقبلوا رأيهم فيما يزعمونه: يَرُدُّوكُمْ إلى الكفر بعد الإيمان بسبب ما فيهم من الحسد والضلال عن الهدى.

من قَوَائِدِ الآيَاتِ

- كَذِبُ اليهود على الله تعالى وأنبيائه، ومن كذبهم رعمهم أن تحريم يعقوب عليه السلام لبعض الأطعمة نزلت به التوراة.
- أعظم أماكن العبادة وأشرفها البيت الحرام، فهو أول بيت وضع لعبادة الله، وفيه من الحصائص ما ليس في سواه.
- ذَكَرَ الله وجوب الحج بأوكد ألفاظ الوجوب تأكيدًا لوجوبه.



وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ، وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١١١﴾  
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١١٢﴾ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١١٣﴾ وَلَنْ تَكُنَ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١١٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١١٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ ففِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٧﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ ﴿١١٨﴾

﴿١١١﴾ وكيف تكفرون بالله بعد إيمانكم به، وأنتم معكم السبب الأعظم للثبات على الإيمان؛ فأيات الله تُقرأ عليكم، ورسوله محمد ﷺ يُبينها لكم، ومن يُستقيم بكتاب الله وسُنَّة رسوله؛ فقد وفقه الله إلى طريق مستقيم لا اعوجاج فيه.

﴿١١٢﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، خافوا ربكم حق المخافة، وذلك تابيع أو امره واحتساب نواحيه. وشكروه على نعمه، واستسكوا بدينكم حتى يأتيكم الموت وأنتم على ذلك.

﴿١١٣﴾ وتمسكوا أيها المؤمنون بالكتاب والسنة، ولا تتركبوا ما يوقعكم في التفرق، واذكروا إمام الله عليكم حين كنتم أعداء قبل الإسلام تتقاتلون على أقل الأسباب، فجمع بين قلوبكم بالإسلام، فصرتم بمصله إخواناً في الدين، متراحمين متناصحين، وكنتم قبل ذلك مشرعين على دخول النار بكفركم، فأنحاكم الله منها بالإسلام وهذاكم للإيمان، وكما بيّن لكم الله هذا ليبين لكم ما يصلح أحوالكم في الدنيا والآخرة، لتهتدوا إلى طريق الرشاد، وتسلكوا سبيل الاستقامة.

﴿١١٤﴾ ولكن منكم أيها المؤمنون جماعة يدعون إلى كل خير يجهه الله، ويأمرون بالمعروف الذي دل عليه الشرع وحسنه العقل، وينهون عن المنكر الذي نهى عنه الشرع وقبحه العقل، والمتصفون بهذه الصفة هم أهل الصور التامة في الدنيا والآخرة.

﴿١١٥﴾ ولا تكونوا أيها المؤمنون مثل أهل الكتاب الذين تفرقوا فصاروا أجزاً وشيعاً، واختلموا في دينهم من

بعد ما جاءتهم الآيات الواضحة من الله تعالى، وأولئك المذكورون لهم عذاب عظيم من الله.

﴿١١٦﴾ يقع عليهم هذا العذاب العظيم يوم القيامة، حين تبيض وجوه أهل الإيمان من الفرح والسعادة، وتسود وجوه الكافرين من الحزن والكآبة، فأما الذين اسودت وجوههم في ذلك اليوم العظيم فيقال توبيخاً لهم: أكرتم بنوحيد الله وعهده الذي أخذ عليكم بالآثار تشركوا به شيئاً، بعد تصديقكم وإقراركم؟ فذوقوا عذاب الله الذي أعده لكم بسبب كفركم.

﴿١١٧﴾ وأما الذين أبيضت وجوههم فمقامهم في جنات النعيم، حالدين فيها أبداً، في نعيم لا يزول ولا يحول. تلك الآيات المنصنة وعد الله ووعيده بقرؤها عليك أيها النبي بالصدق في الأخبار، والعدل في الأحكام، وما الله يريد ظُلماً لأي أحد من العالمين، بل لا يعذب أحداً إلا بما كسبت يده.

﴿١١٨﴾ من آيات الآيات،

- متابعة أهل الكتاب في أهوائهم تقود إلى الضلال والبعد عن دين الله تعالى.
- الاعتصام بالكتاب والسنة والاستسكاف بهديهما أعظم وسيلة للثبات على الحق، والعصمة من الضلال والافتراق.
- الافتراق والاختلاف الواقع في هذه الأمة في قضايا الاعتقاد فيه مشابهة لمن سبق من أهل الكتاب.
- وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: لأن به فلاح الأمة وسبب تميزها.

﴿ وَلِلَّهِ تَعَالَى وَحْدَهُ مُلْكُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ. خَلَقْنَا وَأَمَرْنَا، وَإِلَيْهِ تَعَالَى مُصِيرُ أَمْرٍ كُلِّ خَلْقِهِ فَيَجَازِي كُلَّ مَنْهُمْ عَلَى قَدْرِ اسْتِحْقَاقِهِ. ﴾

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ ١١٣ ﴿ لَنْ يَضُرَّكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُؤْلَوْكُمْ الْأَذَى لَا يَصُرُونَ ﴾ ١١٤ ﴿ ضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الدِّيلَةُ آيَةً مَا تُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلِ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءَ وَبَغَضِبَ مِّنَ اللَّهِ وَضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةَ ذَلِكَ بَأْتُهُمْ كَأَنوَ يَكْفُرُونَ بآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَأَنوَ يَعْتَدُونَ ﴾ ١١٥ ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَابِئَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ إِذَا نَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾ ١١٦ ﴿ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ أُولَئِكَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ ١١٧ ﴿ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴾ ١١٨

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ ١١٣ ﴿ لَنْ يَضُرَّكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُؤْلَوْكُمْ الْأَذَى لَا يَصُرُونَ ﴾ ١١٤ ﴿ ضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الدِّيلَةُ آيَةً مَا تُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلِ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءَ وَبَغَضِبَ مِّنَ اللَّهِ وَضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةَ ذَلِكَ بَأْتُهُمْ كَأَنوَ يَكْفُرُونَ بآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَأَنوَ يَعْتَدُونَ ﴾ ١١٥ ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَابِئَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ إِذَا نَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾ ١١٦ ﴿ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ أُولَئِكَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ ١١٧ ﴿ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴾ ١١٨

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ ١١٣ ﴿ لَنْ يَضُرَّكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُؤْلَوْكُمْ الْأَذَى لَا يَصُرُونَ ﴾ ١١٤ ﴿ ضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الدِّيلَةُ آيَةً مَا تُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلِ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءَ وَبَغَضِبَ مِّنَ اللَّهِ وَضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةَ ذَلِكَ بَأْتُهُمْ كَأَنوَ يَكْفُرُونَ بآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَأَنوَ يَعْتَدُونَ ﴾ ١١٥ ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَابِئَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ إِذَا نَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾ ١١٦ ﴿ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ أُولَئِكَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ ١١٧ ﴿ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴾ ١١٨

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ ١١٣ ﴿ لَنْ يَضُرَّكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُؤْلَوْكُمْ الْأَذَى لَا يَصُرُونَ ﴾ ١١٤ ﴿ ضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الدِّيلَةُ آيَةً مَا تُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلِ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءَ وَبَغَضِبَ مِّنَ اللَّهِ وَضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةَ ذَلِكَ بَأْتُهُمْ كَأَنوَ يَكْفُرُونَ بآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَأَنوَ يَعْتَدُونَ ﴾ ١١٥ ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَابِئَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ إِذَا نَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾ ١١٦ ﴿ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ أُولَئِكَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ ١١٧ ﴿ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴾ ١١٨

الحق قائمة به فقال:

﴿ لَيْسَ أَهْلُ الْكِتَابِ مَسَاوِينَ فِي حَالِهِمْ. بَلْ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ مُّسْتَقِيمَةٌ عَلَى دِينِ اللَّهِ، قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ وَنَهْيِهِ، يَقْرَأُونَ آيَاتِ اللَّهِ فِي سَاعَاتِ اللَّيْلِ وَهُمْ يُصَلُّونَ لِلَّهِ، كَانَتْ هَذِهِ الْفِتْنَةُ قَبْلَ بَعْثَةِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ. وَمَنْ أَدْرَكَ مِنْهُمْ هَذِهِ الْبِعْثَةَ أَسْلَمَ. ﴾ ١١٣ ﴿ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ إِيْمَانًا جَارِمًا، وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالْعَبْرِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالشَّرِّ، وَيَبَادِرُونَ إِلَى أَعْمَالِ الْخَيْرَاتِ، وَيَغْتَمُونَ مَوَاسِمَ الطَّلَاعَاتِ، أَوَّلُكَ الْمُتَصِفُونَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ الَّذِينَ صَلَحَتْ نِيَاتُهُمْ وَأَعْمَالُهُمْ ﴾ ١١٤ ﴿ وَمَا يَفْعَلُهُ هَؤُلَاءِ مِنْ خَيْرٍ قَلِيلًا كَانَ أَوْ كَثِيرًا فَلَنْ يَصْبَحَ عَلَيْهِمْ ثَوَابُهُ، وَلَنْ يَنْقُصَ أَجْرُهُ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يَمْتَلِئُونَ أَوْامِرَهُ، وَيَجْتَنِبُونَ نَوَاهِيَهُ، لَا يَخْضِي عَلَيْهِ مِنْ أَعْمَالِهِمْ شَيْءٌ، وَسَيَجَازِيهِمْ عَلَيْهَا. ﴾

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- أعظم ما يميز هذه الأمة وبه كانت خيريتها - بعد الإيمان بالله - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- قضى الله تعالى بالنزل على أهل الكتاب لفسقهم وإعراضهم عن دين الله، وعدم وفائهم بما أخذ عليهم من العهد.
- أهل الكتاب ليسوا على حال واحدة؛ فمنهم القائم بأمر الله، المتبع لدينه، الواقف عند حدوده، وهؤلاء لهم أعظم الأجر والثواب. وهذا قبل بعثة النبي محمد ﷺ.



﴿١٦٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ لَنُفْضَحَنَّهُمْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأُولَادِهِمْ مِنْ أَلَيْسَ شَيْئًا، لَنُتْرَدَ عَنْهُمْ عَذَابُهُ، وَلَنُتَجَلَبَ لَهُمْ رَحْمَتُهُ، لَنُتَزِيدَهُمْ عَذَابًا وَحَسْرَةً، وَأُولَئِكَ هُمُ أَصْحَابُ النَّارِ الْمَلَاذِمُونَ لَهَا.

﴿١٦١﴾ مَثَلُ مَا يُنْفِقُهُ هَؤُلَاءِ الْكَافِرُونَ فِي وُجُوهِ الْبَرِّ، وَمَا يُنْتَظَرُ مِنْهُ مِنْ ثَوَابِهَا: كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا بَرْدٌ شَدِيدٌ أَصَابَتْ زَرْعَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِالْمَعَاصِي وَغَيْرِهَا، فَاتْلَفَتْ زُرْعَهُمْ، وَقَدْ رَجَوْا مِنْهُ خَيْرًا كَثِيرًا، فَكَمَا أَتْلَفَتْ هَذِهِ الرِّيحُ الزَّرْعَ فَلَمْ يُنْتَفِعْ بِهِ، كَذَلِكَ الْكَفَرُ يُبْطِلُ ثَوَابَ أَعْمَالِهِمْ الَّتِي يَرْجُونَهَا، وَاللَّهُ لَمْ يَظْلَمْهُمْ - تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ - وَإِنَّمَا ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ سَبَبَ كُفْرِهِمْ بِهِ وَتَكْذِيبِهِمْ رَسُولَهُ.

﴿١٦٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاتَّبِعُوا رَسُولَهُ، لَا تَتَّخِذُوا أَجْلَاءَ وَأَصْفِيَاءَ مِنْ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ، تَطْلَعُونَهُمْ عَلَى أَسْرَارِكُمْ وَخَوَاصِّ أَحْوَالِكُمْ، فَهُمْ لَا يُقْضَرُونَ فِي طَلَبِ مَضْرَتِكُمْ وَضَادِّ حَالِكُمْ، يَتَمَنُونَ حُصُولَ مَا يَضُرُّكُمْ وَيُشْقِي عَلَيْكُمْ، قَدْ ظَهَرَتِ الْكَرَاهِيَةُ وَالْعَدَاوَةُ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ، بِالطَّمَعِ فِي دِينِكُمْ، وَالْوَقِيعَةِ بَيْنَكُمْ، وَإِشْءِ أَسْرَارِكُمْ، وَمَا تَكْتُمُهُ صُدُورُهُمْ مِنَ الْكَرَاهِيَةِ أَعْظَمَ، قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ أَنَّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْبَرَاهِينُ الْوَاضِحَةُ عَلَى مَا فِيهِ مَصَالِحُكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ عَنْ رَيْبِكُمْ مَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ.

﴿١٦٣﴾ مَا أَنْتُمْ يَا هَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنُونَ تَحِبُّونَ أُولَئِكَ الْقَوْمَ، وَتَرْجُونَ لَهُمُ الْخَيْرَ، وَهُمْ لَا يُحِبُّونَكُمْ، وَلَا يَرْجُونَ لَكُمْ الْخَيْرَ، بَلْ يَبْغُضُونَكُمْ، وَأَنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهَا، وَمِنْهَا كِتَابُهُمْ.

وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّكُمْ، وَإِذَا أَمَرُوا بِبَعْضِ غُضُوبِ أَطْرَافِ أَصَابِعِهِمْ عَمًا وَغِيظًا لِمَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْوَحْدَةِ، وَاجْتِمَاعِ الْكَلِمَةِ، وَعَرَّةِ الْإِسْلَامِ، وَلَمَّا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الذَّلَّةِ، قُلْ أَيُّهَا النَّبِيُّ أُولَئِكَ الْقَوْمُ، أَتَقُولُ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى تَمُوتُوا عَمًا وَغِيظًا، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا فِي الصُّدُورِ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْكَفْرِ، وَالْخَيْرِ وَالشَّرِّ.

﴿١٦٤﴾ إِنْ تَصْبَحُكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ نِعْمَةٌ مِنْ نَصْرِ عَلَى عَدُوٍّ، أَوْ رِيَادَةٌ فِي مَالٍ وَوَلَدٍ: يَصْبِحُكُمْ اللَّهُمَّ وَالْحَزَنُ، وَإِنْ تَصْبَحُكُمْ مَكْرَهُمْ وَأَذَاهُمْ، إِنْ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مِنَ الْكَيْدِ مُحِيطٌ، وَسِيرُهُمْ خَائِبِينَ.

﴿١٦٥﴾ وَإِذَا ذَكَرُوا - أَيُّهَا النَّبِيُّ - حِينَ خَرَجْتَ أَوَّلَ النَّهَارِ مِنَ الْمَدِينَةِ لِقَاتِ الْمُشْرِكِينَ فِي أَحَدٍ، حَيْثُ أَخَذَتْ تُنْزِلُ الْمُؤْمِنِينَ مَوَاقِعَهُمْ مِنَ الْقِتَالِ، فَبَيَّنْتَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مَنْزِلَهُ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ لِقَوْلِ الْكَلِمِ، عَلِيمٌ بِأَعْمَالِكُمْ.

﴿١٦٦﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• نَهَى الْمُؤْمِنِينَ عَنْ مَوَالَاةِ الْكَافِرِينَ وَخَفْلِهِمْ أَجْلَاءَ وَأَصْفِيَاءَ يُقْضَى إِلَيْهِمْ بِأَحْوَالِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَسْرَارِهِمْ.

• مِنْ صُورِ عَدَاوَةِ الْكَافِرِينَ لِلْمُؤْمِنِينَ فَرَجَهُمْ بِمَا يَصِيبُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ بَلَاءٍ وَبَقْصٍ، وَغِيظُهُمْ إِنْ أَصَابَهُمْ خَيْرٌ.

• الْوَقَايَةُ مِنْ كَيْدِ الْكَافَرِ وَمَكْرِهِمْ تَكُونُ بِالصَّبْرِ وَعَدَمِ إِطْهَارِ الْخَوْفِ، ثُمَّ تَقْوَى اللَّهِ وَالْأَخْذُ بِأَسْبَابِ الْقُوَّةِ وَالنَّصْرِ.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنُغْنِيَنَّ عَنْهُمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٦٦﴾ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٧﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٦٨﴾ هَآ أَنتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا الْقُومُ قَالَُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَصَوْا عَلَيْهِمْ كُفْرًا أَتَيْنَا مِنْ الْغَيْظِ قُلُوبَهُمْ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ عَلَى مَا أَتَتْ أَلْسِنَتُهُمْ لِيُحِبُّوا إِلَى اللَّهِ وَإِلَى الْمُرْسَلِينَ قُلْ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ اللَّهِ ﴿١٦٩﴾ إِنْ تَمَسَّسَكُمْ حَسَنَةٌ تَسُوهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٧٠﴾ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدَ الْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧١﴾

وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّكُمْ، وَإِذَا أَمَرُوا بِبَعْضِ غُضُوبِ أَطْرَافِ أَصَابِعِهِمْ عَمًا وَغِيظًا لِمَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْوَحْدَةِ، وَاجْتِمَاعِ الْكَلِمَةِ، وَعَرَّةِ الْإِسْلَامِ، وَلَمَّا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الذَّلَّةِ، قُلْ أَيُّهَا النَّبِيُّ أُولَئِكَ الْقَوْمُ، أَتَقُولُ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى تَمُوتُوا عَمًا وَغِيظًا، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا فِي الصُّدُورِ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْكَفْرِ، وَالْخَيْرِ وَالشَّرِّ.

﴿١٦٤﴾ إِنْ تَصْبَحُكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ نِعْمَةٌ مِنْ نَصْرِ عَلَى عَدُوٍّ، أَوْ رِيَادَةٌ فِي مَالٍ وَوَلَدٍ: يَصْبِحُكُمْ اللَّهُمَّ وَالْحَزَنُ، وَإِنْ تَصْبَحُكُمْ مَكْرَهُمْ وَأَذَاهُمْ، إِنْ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مِنَ الْكَيْدِ مُحِيطٌ، وَسِيرُهُمْ خَائِبِينَ.

﴿١٦٥﴾ وَإِذَا ذَكَرُوا - أَيُّهَا النَّبِيُّ - حِينَ خَرَجْتَ أَوَّلَ النَّهَارِ مِنَ الْمَدِينَةِ لِقَاتِ الْمُشْرِكِينَ فِي أَحَدٍ، حَيْثُ أَخَذَتْ تُنْزِلُ الْمُؤْمِنِينَ مَوَاقِعَهُمْ مِنَ الْقِتَالِ، فَبَيَّنْتَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مَنْزِلَهُ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ لِقَوْلِ الْكَلِمِ، عَلِيمٌ بِأَعْمَالِكُمْ.

﴿١٦٦﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• نَهَى الْمُؤْمِنِينَ عَنْ مَوَالَاةِ الْكَافِرِينَ وَخَفْلِهِمْ أَجْلَاءَ وَأَصْفِيَاءَ يُقْضَى إِلَيْهِمْ بِأَحْوَالِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَسْرَارِهِمْ.

• مِنْ صُورِ عَدَاوَةِ الْكَافِرِينَ لِلْمُؤْمِنِينَ فَرَجَهُمْ بِمَا يَصِيبُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ بَلَاءٍ وَبَقْصٍ، وَغِيظُهُمْ إِنْ أَصَابَهُمْ خَيْرٌ.

• الْوَقَايَةُ مِنْ كَيْدِ الْكَافَرِ وَمَكْرِهِمْ تَكُونُ بِالصَّبْرِ وَعَدَمِ إِطْهَارِ الْخَوْفِ، ثُمَّ تَقْوَى اللَّهِ وَالْأَخْذُ بِأَسْبَابِ الْقُوَّةِ وَالنَّصْرِ.

﴿١٢١﴾ اذكر أيها النبي ما وقع لفرقتين من المؤمنين من بني سُلَيْمَةَ، وبني حَارِثَةَ، حين ضعفوا، وهَمُّوا بالرجوع حين رجع المنافقون، والله ناصر هؤلاء بثبوتهم على القتال وصرفهم عما همُّوا به، وعلى الله وحده فليعتمد المؤمنون في كل أحوالهم.

﴿١٢٢﴾ ولقد نصركم الله على المشركين في معركة بدر وأنتم مستضعفون وذلك لقلة عددكم وعتادكم، فاتقوا الله لعلكم تشكرون نعمه عليكم.

﴿١٢٣﴾ اذكر أيها النبي حين قلت للمؤمنين مثبِّثاً لهم في معركة بدر بعدما سمعوا ببَدْءِ يَأْتِي للمشركين: أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمَدِّدَ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ أَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمَدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ أَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ.

﴿١٢٦﴾ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٢٧﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْتَسِبَ غُلَامًا يَخِيَّبُ عَلَيْهِمْ وَيُكَفِّرَهُمْ لِيَتَّقِيَ اللَّهَ، وَخَوَّلَهُمْ مَعْلَمَةً ظَاهِرَةً.

﴿١٢٨﴾ وَمَا جَمَلَ اللَّهُ هَذَا الْعَمَلُ وَهَذَا الْإِمْدَادُ بِالْمَلَائِكَةِ إِلَّا حِزًّا سَارًّا لَكُمْ، تَطْمَئِنُّ قُلُوبُكُمْ بِهِ، وَالْأَمْرُ النَّصْرُ حَقِيقَةٌ لَا يَكُونُ بِمَجْرَدِ هَذِهِ الْأَسْبَابِ الظَّاهِرَةِ، وَأَمَّا النَّصْرُ حَقًّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الَّذِي لَا يَفَالِحُ أَحَدٌ، الْحَكِيمِ فِي تَقْدِيرِهِ وَتَشْرِيعِهِ.

﴿١٢٩﴾ هَذَا النَّصْرُ الَّذِي تَحَقِّقُ لَكُمْ فِي عُرْوَةٍ بَدْرُ أَرَادَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يَهْلِكَ طَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْقَتْلِ، وَيُخْرِى طَائِفَةٌ أُخْرَى، وَيَغْضِظُهُمْ بِهَزِيمَتِهِمْ، فِيرْجِعُوا بِمَشَلِّ وَدَلِّ. ﴿١٣٠﴾ لَمَّا دَعَا الرَّسُولُ عَلَى

إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣١﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٣٢﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمَدِّدَ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ أَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ ﴿١٣٣﴾ بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمَدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ أَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٣٤﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ. ﴿١٣٥﴾ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٣٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْتَسِبَ غُلَامًا يَخِيَّبُ عَلَيْهِمْ وَيُكَفِّرَهُمْ لِيَتَّقِيَ اللَّهَ، وَخَوَّلَهُمْ مَعْلَمَةً ظَاهِرَةً ﴿١٣٧﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْتَسِبَ غُلَامًا يَخِيَّبُ عَلَيْهِمْ وَيُكَفِّرَهُمْ لِيَتَّقِيَ اللَّهَ، وَخَوَّلَهُمْ مَعْلَمَةً ظَاهِرَةً ﴿١٣٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٣٩﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمُ الَّتِي بَيْنَ يَدَيْكُمْ مَصْرَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٤٠﴾ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٤١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٤٢﴾

رُؤَسَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِالْهَلَاكِ بَعْدَ مَا وَقَعَ مِنْهُمْ فِي أَحَدٍ، قَالَ اللَّهُ لَهُ: لَيْسَ لَكَ مِنْ أَمْرِهِمْ شَيْءٌ، بَلِ الْأَمْرُ لِلَّهِ، فَاصْبِرْ إِلَى أَنْ يَقْضِيَ اللَّهُ بَيْنَكُمْ، أَوْ يَوْفِقَهُمُ لِلتَّوْبَةِ فَيَسْلَمُوا، أَوْ يَسْتَمِرُّوا عَلَى كُفْرِهِمْ فَيُعَذِّبُهُمْ، فَإِنَّهُمْ طَالِمُونَ مُسْتَحِقُونَ لِلْعَذَابِ، ﴿١٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ خَلْقًا وَتَدْبِيرًا، يَغْفِرُ الذُّنُوبَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ بِرَحْمَتِهِ، وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ بِعَذَابِهِ، وَاللَّهُ غَفُورٌ لِمَن تَابَ مِنْ عِبَادِهِ، رَحِيمٌ بِهِمْ. ﴿١٣١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاتَّبِعُوا رَسُولَهُ، تَحَنَّنُوا أَخَذَ الرِّبَا رِيَادَةً مُضَاعَمَةً عَلَى رُؤُوسِ أَمْوَالِكُمُ الَّتِي أَقْرَصْتُمُوهَا، كَمَا يَفْعَلُ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ، وَاتَّقُوا اللَّهَ بِامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ، لَعَلَّكُمْ تَتَّالُونَ مَا تَطْلُبُونَ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. ﴿١٣٢﴾ وَاجْعَلُوا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ النَّارِ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ بِهِ وَقَايَةً، وَذَلِكَ بِعَمَلِ الصَّالِحَاتِ وَتَرْكِ الْمَحْرَمَاتِ. ﴿١٣٣﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ بِامْتِثَالِ الْأَوَامِرِ وَاجْتِنَابِ النَّوَاهِي، لَعَلَّكُمْ تَتَّالُونَ الرَّحْمَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

• مِنْ تَوْبِيحِ الْآيَاتِ:

- مشروعية التذكير بالنعم والنقم التي تنزل بالناس حتى يعتبر بها المرء.
- من أعظم أسباب تنزل نصر الله على عباده ورحمته ولطفه بهم: التزام التقوى، والصبر على شدائد القتال.
- الأمر كله لله تعالى، فيحكم بما يشاء، ويقضي بما أراد، والمؤمن الحق يُسَلِّمُ لله تعالى أمره، ويتقاد لحكمه.
- الذنوب ومنها الربا من أعظم أسباب خذلان العبد، ولا سيما في مواطن الشدائد والصعاب.
- مجيء النهي عن الربا بين آيات غروة أحد يشعر بشمول الإسلام في شرايعه وترايطها بحيث يشير إلى بعضها في وسط الحديث عن بعض.



\* وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا  
السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٢﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ  
فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ  
عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٣﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا  
فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا  
لذُنُوبِهِمْ وَمَن يَعْفِرْ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا  
فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٢٤﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاءُ هُم مَّغْفِرَةٌ مِّن  
رَّبِّهِمْ وَجَنَّتْ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعَمَ  
أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٢٥﴾ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا  
فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ  
﴿١٢٦﴾ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٧﴾  
وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ  
﴿١٢٨﴾ إِنْ يَمَسُّكُمْ كَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ كَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ  
الْآيَاتُ نُدَٰوِلُهُا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا  
وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٢٩﴾

﴿١٢٢﴾ ويادروا وسابقوا إلى فعل الخيرات، والتقرب إلى الله بأنواع الطاعات؛ لتتألوا مغفرة من الله عظيمة، وتدخلوا جنة عرضها السماوات والأرض، هبّاها الله للمتقين من عباده.

﴿١٢٣﴾ المتقون هم الذين يبدلون أموالهم في سبيل الله، في حال اليسر والسر، والمانعون غضبيهم مع القدرة على الانتقام، والمتجاوزون عن ظلمهم. والله يحب المحسنين المتصفين بمثل هذه الأخلاق.

﴿١٢٤﴾ وهم الذين إذا فعلوا كبيرة من السيئ، أو قصوا، حط أنفسهم بارتكاب ما دون الكبائر، ذكروا الله تعالى، وتذكروا وعيده للعاصين، ووعده للمتقين، فطلبوا من ربهم نادمين ستر ذنوبهم وعدم مؤاخذتهم بها، لأنه لا يغفر الذنوب إلا الله وحده، ولم يصروا على ذنوبهم، وهم يعلمون أنهم مذنبون، وأن الله يغفر الذنوب جميعاً.

﴿١٢٥﴾ أولئك المتصفون بهذه الصفات الحميدة، والخصال المجيدة، ثوابهم أن يستر الله ذنوبهم، ويتجاوز عنها، ولهم في الآخرة حنات تجري من تحت قصورها الأنهار، مقيمين فيها أبداً، ونعم ذلك الجزاء للعاملين بطاعة الله.

﴿١٢٦﴾ ولما ابتلي المؤمنون بما نزل بهم يوم أحد قال الله معزياً لهم: قد مضت من قبلكم سنن إلهية في إهلاك الكافرين، وجعل العاقبة للمؤمنين بعد ابتلائهم، فسيروا في الأرض فانظروا معتبرين كيف كان مصير المكذبين لله ورسله، خلت ديارهم، وزال ملكهم.

﴿١٢٧﴾ هذا القرآن الكريم بيان للحق وتحذير من الباطل للناس أجمعين، وهو دلالة إلى الهدى، وراح للمتقين؛ لأنهم هم المنتفعون بما فيه من الهدى والرشاد.

﴿١٢٨﴾ ولا تصعقوا أيها المؤمنون ولا تحزنوا على ما أصابكم يوم أحد، ولا ينبغي ذلك لكم، فأنتم الأعلون بإيمانكم، والأعلون بعون الله ورجائكم نصره، إن كنتم مؤمنين بالله ووعده لعباده المتقين.

﴿١٢٩﴾ إن أصابكم أيها المؤمنون - جراح وقتل يوم أحد، فقد أصاب الكفار حراج وقتل مثل ما أصابكم، والأيام يصرفها الله بين الناس مؤمنهم وكافرهم بما شاء من نصر وهزيمة؛ لحكم بالعمة منها لبطور المؤمنين حقيقة من المنافقين، ومنها، ليكرم من يشاء بالشهادة في سبيله، والله لا يحب الظالمين لأنفسهم بترك الجهاد في سبيله.

من فوائد الآيات:

- الترعيب في المسارعة إلى عمل الصالحات اغتناماً للأوقات، ومبادرة للطاعات قبل فواتها.
- من صفات المتقين التي يستحقون بها دخول الجنة. الإنفاق في كل حال، وكظم الغيظ، والعفو عن الناس، والإحسان إلى الخلق.
- النظر في أحوال الأمم السابقة من أعظم ما يورث العبرة والعظة لمن كان له قلب يعقل به.

وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَبْنَا مُوَجَّلَاتُهَا وَمَنْ يُرَدُّ ثَوَابَ الدُّنْيَا نَفْسُهُ مِنْهَا وَمَنْ يُرَدِّ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نَفْسُهُ مِنْهَا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيِّ قَتَلَ مَعَهُ رِيتُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَكَاتَبَهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسُنَ ثَوَابُ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾

ومن هذه الحكم تظهر المؤمنين من ذويهم، وتخلص صفوفهم من المنافقين، ولْيَهْلِك الكافرين ويمحوهم.

أُطْنِمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - أنكم تدخلون الجنة دون ابتلاء وصبر يظهر به المجاهدون في سبيل الله حقيقة، والصابرون على البلاء الذي يصيبهم فيه ١٤١

وَلَقَدْ كُنْتُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ تَتَمَنُّونَ لِقَاءَ الْكَافِرِ لِتَأْلُوا الشَّهَادَةَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، كما نالها إخوانكم في يوم بدر من قبل أن تلاقوا أسباب الموت وشدته، فها قد رأيتم في يوم أحد ما تمنيتم، وأنتم تطرون له عياناً.

ولما شاع في الناس يوم أحد أن النبي ﷺ قتل، أنزل الله معاتباً من فقد من المؤمنين عن القتال بسبب ذلك فقال

وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ مِنْ سَبْقِهِ مَنْ رَسَلَ اللَّهُ الدِّينَ مَا تَوَا أَوْ قَتَلُوا، أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ ارْتَدَدْتُمْ عَنْ دِينِكُمْ، وتركتم الجهاد ١٤٢ ومن يرتد منكم عن دينه فلن يصير الله شيئاً؛ إذ هو القوي العزيز، وإنما يضر المرتد نفسه بتعريضها لخسارة الدنيا والآخرة، وسيجزى الله الشاكرين له أحسن الجراء بثباتهم على دينه، وجهادهم في سبيله.

وَمَا كَانَتْ نَفْسٌ لَمْ تَمُوتْ إِلَّا بِقِضَاءِ اللَّهِ، بعد أن تستوفي المدة التي كتبها الله وجعلها أجلاً لها، لا تزيد عنها ولا تنقص. ومن يُرد ثواب الدنيا بعمله يعطه بقدر ما قدر له منها، ولا نصيب له في الآخرة. ومن يُرد بعمله ثواب الله في الآخرة نعطه ثوابها، وسنجزى

الشاكرين لربهم جزاءً عظيماً.

وَكَمْ مِنْ نَبِيٍّ مِنْ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ قَاتَلَ مَعَهُ جَمَاعَاتٍ مِنْ أَتْبَاعِهِ كَثِيرَةً، فَمَا خَبِنُوا عَنِ الْجِهَادِ لِمَا أَصَابَهُمْ مِنْ قَتْلِ وَجَرَحٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَا ضَعُفُوا عَنْ قِتَالِ الْعَدُوِّ، وَمَا حَصَعُوا لَهُ، بَلْ صَبَرُوا وَثَبُّوا، وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ عَلَى الشَّدَائِدِ وَالْمَكَارِهِ فِي سَبِيلِهِ.

وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ هَؤُلَاءِ الصَّابِرِينَ لَمَّا نَزَلَ بِهِمْ هَذَا الْبَلَاءُ إِلَّا أَنْ قَالُوا: رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَتَجَاوَرْنَا الْهَدُودَ فِي أَمْرِنَا، وَثَبَّتْ أَقْدَامُنَا عِنْدَ مِلَاقَةِ عَدُونَا، وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ بِكَ.

فَأَتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا بِنَصْرِهِمْ وَتَمَكُّنِهِ لَهُمْ، وَأَتَاهُمُ الثَّوَابُ الْحَسَنُ فِي الْآخِرَةِ بِالرِّضَا عَنْهُمْ، وَالنَّعِيمُ الْمُقِيمُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ فِي عِبَادَتِهِمْ وَمَعَامِلَتِهِمْ.

من قوايد الأحيات:

- الابتلاء سنة إلهية يتميز بها المجاهدون الصادقون الصابرون من غيرهم.
- يجب ألا يرتبط الجهاد في سبيل الله والدعوة إليه بأحد من البشر مهما علا قدره ومقامه.
- أعمار الناس وأجالهم ثابتة عند الله تعالى، لا يزيدها الحرص على الحياة، ولا ينقصها الإقدام والشجاعة.
- تختلف مقاصد الناس ونياتهم، فمنهم من يريد ثواب الله، ومنهم من يريد الدنيا، وكلٌّ سيجازي على نيته وعمله.



﴿١٤٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللّهِ وَاتَّبِعُوا رَسُولَهُ، إِنَّ تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالْمَشْرِكِينَ، فِيمَا يَأْمُرُوكُمْ بِهِ مِنَ الضَّلَالِ، يُزْجِمُوكُمْ بِمَدِّ إِيمَانِكُمْ إِلَى مَا كُنْتُمْ عَلَيْهِ كُفْرًا، فَتَرْجِعُوا خَاسِرِينَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

﴿١٤٩﴾ هَؤُلَاءِ الْكَافِرُونَ لَنْ يَنْصُرُوكُمْ إِذَا أَطَعْتُمُوهُمْ، يَلِ اللّهُ هُوَ نَاصِرُكُمْ عَلَى أَعْدَائِكُمْ، فَاطِيعُوهُ، وَهُوَ سَبْحَانَهُ خَيْرُ النَّاصِرِينَ، فَلَا تَحْتَاجُونَ لِأَحَدٍ بَعْدَهُ.

﴿١٥٠﴾ سَنَلْقَى فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللّهِ الْخَوْفَ الشَّدِيدَ، حَتَّى لَا يَسْتَطِيعُوا الثَّبَاتَ لِقِتَالِكُمْ بِسَبَبِ إِشْرَاكِهِمْ بِاللّهِ أَهْلُهُ عِبْدُوهَا بِأَهْوَانِهِمْ، لَمْ يَنْزَلْ عَلَيْهِمْ بِهَا حُجَّةٌ، وَمُسْتَقَرُّهُمْ الَّذِي يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ هُوَ النَّارُ، وَيَبْسُ مُسْتَقَرُّ الظَّالِمِينَ النَّارَ.

﴿١٥١﴾ وَلَقَدْ أُنْحَرَكُمُ اللّهُ مَا وَعَدَكُمْ بِهِ مِنَ النَّصْرِ عَلَى أَعْدَائِكُمْ يَوْمَ أُحُدٍ، حِينَ كُنْتُمْ تَقْتُلُونَهُمْ قَتْلًا شَدِيدًا يَا ذَنُوبُ تَعَالَى، حَتَّى إِذَا جَبَنْتُمْ وَضَعْتُمْ عَنِ الثَّبَاتِ عَلَى مَا أَمَرَكُمْ بِهِ الرَّسُولُ، وَاخْتَلَفْتُمْ بَيْنَ الْبَقَاءِ فِي مَوَاقِعِكُمْ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا وَجَمَعَ الْفَنَاءُ، وَعَصَيْتُمُ الرَّسُولَ فِي أَمْرِهِ لَكُمْ بِالْبَقَاءِ فِي مَوَاقِعِكُمْ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَقَعَ ذَلِكَ مِنْكُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ اللّهُ مَا تَحِبُّونَهُ مِنَ النَّصْرِ عَلَى أَعْدَائِكُمْ، مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ غَنَائِمَ الدُّنْيَا، وَهُمْ الَّذِينَ تَرَكُوا مَوَاقِعَهُمْ، وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ ثَوَابَ الْآخِرَةِ، وَهُمْ الَّذِينَ بَقُوا فِي مَوَاقِعِهِمْ مُطِيعِينَ أَمْرَ الرَّسُولِ، ثُمَّ خَوَّلَكُمْ اللّهُ عَنْهُمْ، وَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ: لِيُخْتَبِرَكُمْ، فَيُظْهِرَ الْمُؤْمِنَ الصَّابِرَ عَلَى الْبَلَاءِ مِمَّنْ زَلَّتْ قَدَمُهُ، وَضَعُفَتْ نَفْسُهُ، وَلَقَدْ عَفَا اللّهُ عَمَّا ارْتَكَبْتُمُوهُ مِنَ الْمَخَالَفَةِ لِأَمْرِ رَسُولِهِ ﷺ، وَاللّهُ صَاحِبُ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ اللّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنَلْقَى فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبَشِّرِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥١﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللّهُ وَعْدَهُ وَإِذْ تَحْسُنُ لَهُمْ بَآذِنَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ \* إِذْ تَصْعَدُونَ وَلَا تَلَوْنَهَا عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَابِكُمْ فَأَتَوْنَاكُمْ غَمًّا بَغِيًّا لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللّهُ خَيْرُ بَرٍّ مَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾

فَصَلَّ عَظِيمَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَيْثُ هَدَاهُمْ لِلْإِيمَانِ، وَعَفَا عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ، وَأَنَابَهُمْ عَلَى مَصَائِبِهِمْ.

﴿١٥٢﴾ اذْكُرُوا أَنَّهُ الْمُؤْمِنُونَ حِينَ كُنْتُمْ تُجِدُونَ فِي الْأَرْضِ هَارِبِينَ يَوْمَ أُحُدٍ، لَمَّا أَصَابَكُمْ الْقَتْلُ بِمَخَالَفَةِ أَمْرِ الرَّسُولِ، وَلَا يَنْظُرُ أَحَدٌ مِنْكُمْ لِأَحَدٍ، وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ مِنْ حُلُوفِكُمْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْمَشْرِكِينَ قَائِلًا: إِلَيَّ عِيَادَةُ اللّهِ، إِلَيَّ عِيَادَةُ اللّهِ، فَجَازَاكُمْ اللّهُ عَلَى هَذَا أَلَمًا وَضِيقًا بِمَا فَاتَكُمْ مِنَ النَّصْرِ وَالْغَنِيمَةِ، يَتَّبِعُهُ أَلَمٌ وَضِيقٌ، وَبِمَا شَاءَ بَيْنَكُمْ مِنْ قَتْلِ النَّبِيِّ، وَقَدْ أَنْزَلَ بِكُمْ هَذَا لِكَيْ لَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ مِنَ النَّصْرِ وَالْغَنِيمَةِ، وَلَا مَا أَصَابَكُمْ مِنْ قَتْلِ وَجَرَا، بَعْدَ مَا عَلِمْتُمْ أَنَّ النَّبِيَّ لَمْ يَقْتُلْ، حَيْثُ هَانَتْ عَلَيْكُمْ كُلُّ مُصِيبَةٍ وَأَلَمٌ، وَاللّهُ خَيْرُ بَرٍّ مَّا تَعْمَلُونَ، لَا يَخْضِي عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَحْوَالِ قُلُوبِكُمْ، وَلَا أَعْمَالِ جَوَارِحِكُمْ.

مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- التحذير من طاعة الكفار والسير في أهوائهم، فعاقبة ذلك الخسران في الدنيا والآخرة.
- إلقاء الرعب في قلوب أعداء الله صورة من صور نصر الله لأوليائه المؤمنين.
- من أعظم أسباب الهزيمة في المعركة التعلق بالدنيا والطمع في مغائمتها، ومخالفة أمر قائد الجيش.
- من دلائل فضل الصحابة أن الله يعقب بالمغفرة بعد ذكر خطيئتهم.

﴿١٥٥﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِنْكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا تَوَلَّوْا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُخَيِّئُ وَيُمَيِّتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٨﴾ وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٩﴾

﴿١٥٥﴾ إن الذين انهزموا منكم يا أصحاب محمد ﷺ يوم التقي جمع المشركين في أحد بجمع المسلمين، إنما حملهم الشيطان على الزلل بسبب بعض ما اكتسبوه من المعاصي، ولقد عفا الله عنهم فلم يأخذهم بها

فصلاً منه ورحمة، إن الله غفور لمن تاب، حليم لا يعاجل بالعقوبة.

﴿١٥٦﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، لا تكونوا مثل الكفار من المنافقين، ويقولون لأقاربهم إذا سافروا يطلبون رزقاً، أو كانوا غزاة فماتوا أو قتلوا، لو كانوا عندنا ولم يخرجوا، ولم يغزوا، لم يموتوا ولم يقتلوا، جعل الله هذا الاعتقاد في قلوبهم ليردادوا ندامة وحرزاً في قلوبهم، والله وحده هو الذي يحيي ويميت بمشيئته، لا يمنع قذره قعود ولا يجعله خروج، والله بما تعملون بصير، لا تخفى عليه أعمالكم، وسيجازيكم عليها.

﴿١٥٧﴾ ولئن قُتلتم في سبيل الله أو مُتُّم لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَيَقْضِرَنَّ اللَّهُ لَكُمْ مَغْفِرَةً عَظِيمَةً، ويرحمكم رحمة منه، هي خير من هذه الدنيا وما يجمع أهلها فيها من نعيمها الزائل.

﴿١٥٨﴾ من قَوَائِدِ الْأَكْبَارِ،

- الجهل بالله تعالى وصفاته يُورث سوء الاعتقاد وفساد الأعمال.
- آجال العباد مصروبة محدودة، لا يجعلها الإقدام والشجاعة، ولا يؤخرها الجبن والحرص.
- من سُنَّةِ اللَّهِ تعالى الجارية ابتلاء عباده؛ ليميز الخبيث من الطيب.
- من أعظم المنازل وأكرمها عند الله تعالى منازل الشهداء في سبيله.

وَلَنَنْصُرَنَّكُمْ عَلَىٰ كُلِّ غَائِبٍ لَّكُمْ وَلَنَقُصِّرَنَّ عَنْكُمْ سِيقَافَهُمْ وَلَنُرِيَنَّكُمْ أَصْحَابَكُمُ الَّذِي كَفَرُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَافِرُونَ ١٥٨

فيسبب رحمة من الله عظمه كان خلقك أيها النبي سهلاً مع أصحابك، ولو كنت شديداً في قولك وفعلك، فاسي القلب لتصرفوا عنك، فتجاوز عنهم تقصيرهم في حقك، واطلب لهم المغفرة، واطلب رأيهم فيما يحتاج إلى مشورة، فإذا عقدت عزمك على أمر بعد المشاورة فامض فيه، وتوكل على الله، إن الله يحب المتوكلين عليه فيوقفهم ويؤيدهم. إن يؤيدكم الله بإعانتة ونصره فلا أحد يعليكم، ولو اجتمع عليكم أهل الأرض، وإذا ترك نصركم وولكم إلى أنفسكم فلا أحد يستطيع أن ينصركم من بعده، فالنصر بيده وحده، وعلى الله وليتعد المؤمنون لا على أحد سواه.

ما كان نبي من الأنبياء أن يحور بأخذ شيء من الغنيمة غير ما اختصه به الله، ومن يعز منكم بأخذ شيء من الغنيمة، يُعاقب بأمر يُفصح يوم القيامة، فيأتي حاملاً ما أخذه أمام الحلق، ثم تُعطى كل نفس حزاء ما اكتسبته تائماً غير منقوص، وهم لا يُظلمون بزيادة سيئاتهم، ولا ينقص حسناتهم.

لا يستوي عند الله من اتبع ما ينال به رضوان الله من الإيمان والعمل الصالح، ومن كفر بالله وعمل السيئات، فرح بفضب شديد من الله، ومستقره جهنم، وساءت مرجفاً ومستقراً.

هم متفاوتون في منازلهم في الدنيا والآخرة عند الله، والله بصير بما يعملون، لا يحفى عليه شيء، وسيجازي كل ما عمله. لقد أنعم الله على المؤمنين وأحسن إليهم حين بعث فيهم رسولاً من جنسهم، يقرأ عليهم القرآن، ويظهرهم من الشرك والأخلاق الرديئة، ويعلمهم القرآن والسنة، وقد كانوا من قبل بعثته هذا الرسول في ضلال واضح عن الهدى والرشاد. أعندما أصابكم أيها المؤمنون مصيبة حين هُزمت في أحد، وقيل منكم من قبل، قد أصبتم من عدوكم صغفها من القتلى والأسرى يوم بدر، قلتهم: من أين أصابنا هذا ونحن مؤمنون، ونبي الله فينا؟ قل: أيها النبي - ما أصابكم من ذلك جاءكم بسببكم حين تنازعتم، وعصيتم الرسول، إن الله على كل شيء قدير؛ فينصر من يشاء، ويخذل من يشاء.

من فوق الآيات،

● النصر الحقيقي من الله تعالى، فهو القوي الذي لا يعارب، والعزيز الذي لا يغالب،

● لا تستوي في الدنيا حال من اتبع هدى الله وعمل به وحال من أعرض وكذب به، كما لا تستوي منازلهم في الآخرة.

● ما ينزل بالبعد من البلاء والمعن هو بسبب ذنوبه، وقد يكون ابتلاء ورفع درجات، والله يعمو ويتجاوز عن كثير منها.

وَلَيْنَ مُتَمَّرًا وَقِيلَتْ لِي لِي اللَّهُ تَحْشَرُونَ ١٥٩ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَا نَفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ١٦٠ إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ١٦١ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغُلَّ يَأْتِ بِمَا غُلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ١٦٢ أَفَمَنْ أَتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَا أَوْثَنُ جَهَنَّمَ وَيُشَرُّ الْمَصِيرُ ١٦٣ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ ١٦٤ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ١٦٥ أَوَلَمَّْا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ١٦٦



﴿١٦٦﴾ وما حدث لكم من القتل والجراح والهزيمة يوم أحد حين التقى جمعكم وجمّع المشركين، فهو بإذن الله وحده؛ لحكمة بالغة حتى يظهر المؤمنون الصادقون.

﴿١٦٧﴾ ويطهر المنافقون الذين لمّا قيل لهم: قاتلوا في سبيل الله، أو ادفعوا بكم سواد المسلمين؛ قالوا: لو نعلم أنه يكون قتال لا تبعناكم لكننا لا نرى أنه يكون بينكم وبين القوم قتال. هم في حالهم وقتئذٍ أقرب إلى ما يدل على كفرهم مما يدل على إيمانهم، يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، والله أعلم بما يُبتنون في صدورهم، وسيعاقبهم عليه.

﴿١٦٨﴾ هم الذين تخلّفوا عن القتال، وقالوا لقرابتهم الذين أصيبوا يوم أحد: لو أنهم أطاعونا ولم يخرجوا للقتال لمّا قتلوا، قل - أيها النبي - ردّا عليهم: فادفعوا عن أنفسكم الموت إذا نزل بكم إن كنتم صادقين فيما ادعيتوه من أنهم لو أطاعوك ما قتلوا، وأن سبب نجاتكم من الموت هو القعود عن الجهاد في سبيل الله.

﴿١٦٩﴾ ولا تظنن - أيها النبي - أن الذين قتلوا في الجهاد في سبيل الله أموات، بل هم أحياء حياة خاصة عند ربهم في دار كرامته، يرزقون من أنواع النعيم الذي لا يعلمه إلا الله.

﴿١٧٠﴾ قد غمرتهم السعادة، وشملتهم الفرح، بما منّ الله عليهم من فضله، ويأملون ويتنظرون أن يلحق بهم إخوانهم الذين بقوا في الدنيا، أنهم إن قتلوا في الجهاد فسينالون من الفضل مثلهم، ولا خوف عليهم فيما يستقبلونه من أمر الآخرة، ولا هم

وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ فَيَا ذِينَ اللَّهِ وَلْيَعْلَمْ الْمُؤْمِنِينَ  
﴿١٦٦﴾ وَلْيَعْلَمْ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ  
أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَتَّبِعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفْرِ تَوَمِيدٌ  
أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ  
وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا  
لَوْ أَطَاعُونَا مَا قَاتَلُوا قُلُودًا وَاعْنِ أَنْفُسَكُمْ الْمَوْتَ إِنْ  
كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦٨﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ  
أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ  
اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ  
مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ  
بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ  
الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ  
الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾  
الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ  
فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾

يعربون على ما فاتهم من حظوظ الدنيا.

﴿١٧١﴾ ويفرحون مع هذا بثواب كبير ينتظرهم من الله، وزيادة على الثواب عظيمة، وأنه تعالى لا يُنْظِلُ أحر المؤمنين به، بل يوفيهم أجورهم كاملة، ويزيدهم عليها.

﴿١٧٢﴾ الذين استجابوا لأمر الله ورسوله عندما دُعوا إلى الخروج للقتال في سبيل الله، وملاقاة المشركين في عروة «حمراء الأسد» التي أغقيت أحدًا بعدما أصابهم الحروح يوم أحد، فلم تمنعهم جروحهم من تلبية نداء الله ورسوله، للذين أحسنوا منهم في أعمالهم، واتقوا الله بامتثال أوامره واحتساب نواحيه، أجر عظيم من الله، وهو العنة.

﴿١٧٣﴾ الذين قال لهم بعض المشركين: إن فريشًا بقيادة أبي سفيان قد جمعوا لكم جموعًا كثيرة لقتالكم والقضاء عليكم، فاحذروهم واتقوا لقاءهم، فزادهم هذا الكلام والنحويف تصديقًا بالله وثقة بوعده، فخرجوا إلى لقاءهم وهم يقولون: يكتفينا الله تعالى، وهو نعم من يفوض إليه أمرنا.

• من فوائد الآيات:

- من سنن الله تعالى أن يبتلي عباده: ليميز المؤمن الحق من المنافق، وليعلم الصادق من الكاذب.
- عظم منزلة الجهاد والشهادة في سبيل الله وثواب أهله عند الله تعالى حيث ينزلهم الله تعالى بأعلى المنازل.
- فصل الصحابة وبيان علو منزلتهم في الدنيا والآخرة: لما بذلوه من أنفسهم وأموالهم في سبيل الله تعالى.

﴿١٧٦﴾ فرجعوا بعد خروجهم إلى «حمراء الأسد» بثواب عظيم من الله، وزيادة في درجاتهم، وسلامة من عدوهم فلم يصيبهم قتل ولا جراح، واتبعوا ما يرضي الله عنهم من التزام طاعته والكف عن معصيته، والله صاحب فضل عظيم على عباده المؤمنين.

﴿١٧٧﴾ إنما المَخُوفُ لكم الشيطان، يرهبكم بأنصاره وأعوانه، فلا تجبنوا عنهم، فإنهم لا حول لهم ولا قوة، وخافوا الله وحده بالتزام طاعته، إن كنتم مؤمنين به حقًا.

﴿١٧٨﴾ ولا يوفقك في العز - أيها الرسول - الذين يسارعون في الكفر مرتدين على أعقابهم من أهل النفاق، فإنهم لن ينالوا الله بأي ضرر، وإنما يضررون أنفسهم ببعدهم عن الإيمان بالله وطاعته، يريد الله بخذلانهم وعدم توفيقهم ألا يكون لهم نصيب في نعيم الآخرة، ولهم فيها عذاب عظيم في النار.

﴿١٧٩﴾ إن الذين استبدلوا الكفر بالإيمان لن يضرروا الله أي شيء، إنما يضررون أنفسهم، ولهم عذاب أليم في الآخرة.

﴿١٨٠﴾ ولا يظن الذين كفروا ببرهم، وعاندوا شرعه، أن إمهالهم وإطالة عمرهم على ما هم عليه من كفر خير لأنفسهم، ليس الأمر كما ظنوا، وإنما لمهملهم ليزدادوا إثمًا بكثرة المعاصي على إثمهم، ولهم عذاب مُذَلٌّ.

﴿١٨١﴾ ما كان من حكمة الله أن

فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِّنَ اللّٰهِ وَفَضْلِ لَّمْ يَمَسَّسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللّٰهِ وَاللّٰهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٦﴾ اِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطٰنُ يُخَوِّفُ اَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوْا اِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِيْنَ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْزَنُكَ الَّذِيْنَ يُسْرِعُوْنَ فِي الْكُفْرِ اِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوْا اللّٰهَ شَيْئًا يَّرِيْدُ اللّٰهُ اَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطَّآ فِي الْاٰخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيْمٌ ﴿١٧٨﴾ اِنَّ الَّذِيْنَ اَشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْاِيْمٰنِ لَن يَضُرُّوْا اللّٰهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ اَلِيْمٌ ﴿١٧٩﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا اَنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ خَيْرًا لَّا نَفْسِهِمْ اِنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ لِيْزِدَاوْا اِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٨٠﴾ مَا كَانَ اللّٰهُ لِيْذَرَ الْمُؤْمِنِيْنَ عَلٰى مَا اَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتّٰى يَمِيْزَ الْحَيٰثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللّٰهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلٰى الْغَيْبِ وَلٰكِنَّ اللّٰهَ يَجْتَبِيْ مِنْ رُّسُلِهٖ مَنْ يَّشَآءُ فَاٰمَنُوْا بِاللّٰهِ وَرُسُلِهٖ وَاِنْ تُوْمِنُوْا وَتَتَّقُوْا فَلَكُمْ اَجْرٌ عَظِيْمٌ ﴿١٨١﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِيْنَ يَبْخُلُوْنَ بِمَاۤ اٰتٰهُمْ اللّٰهُ مِنْ فَضْلِهٖ هُوَ خَيْرٌۭ لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُوْنَ مَا بَخِلُوْا بِهٖ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ وَلِلّٰهِ مِرَآثُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَاللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُوْنَ خَبِيْرٌ ﴿١٨٢﴾

يُسْعِكُمْ أيها المؤمنون - على ما أتم عليه من اختلاط بالمنافقين وعدم تمايز بينكم، وعدم تبيين المؤمنين حقًا، حتى يميزكم بأنواع التكاليف والاستلاءات، ليظهر المؤمن الطيب من المنافق الحبيث. وما كان من حكمة الله أن يطلعكم على الغيب فتُمَيِّزُوا بين المؤمن والمنافق، ولكن الله يختار من رسله من يشاء، فيطلعكم على بعض الغيب: كما أطلع نبيه محمدًا ﷺ على حال المنافقين، فحَقَّقُوا إيمانكم بالله ورسوله، وإن تَوَمَّنُوا حقًا وتتقوا الله بامتنال أوامره واجتناب نواهيه فلکم ثواب عظيم عند الله.

﴿١٨١﴾ ولا يظن الذين يبخلون بما آتاهم الله من النعم تفضلاً منه، فيمنعون حق الله فيها، لا يظنوا أن ذلك خير لهم، بل هو شر لهم؛ لأن ما بخلوا به سيكون طَوَقًا يَطْوَقُونَ به يوم القيامة في أعناقهم يعذبون به، والله وحده يؤول ما في السماوات والأرض، وهو الحي بعد فناء خلقه كلهم، والله عليم بدقائق ما تعملون، وسيجازيكم عليه.

﴿١٨٢﴾ مِنْ قَوْلِ الْاٰنَاثِ،

● ينبغي للمؤمن ألا يلتفت إلى تخويف الشيطان له بأعوانه وأنصاره من الكافرين، فإن الأمر كله لله تعالى.

● لا ينبغي للمريد أن يغتر بإمهال الله له، بل عليه المبادرة إلى التوبة، ما دام في زمن المهلة قبل فواتها

● البحيل الذي يمنع فضل الله عليه إما يضر نفسه بحرمانها المتاحرة مع الله الكريم الوهاب، وتعرضها للعقوبة يوم القيامة.

﴿١٨١﴾ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الْيَهُودِ حِينَ قَالُوا: «إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ» الْقَرْضُ، وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ بِمَا عِنْدَنَا مِنْ أَمْوَالٍ. سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا مِنْ الْإِفْكِ وَالْفِرْيَةِ عَلَى رَبِّهِمْ وَقَتْلَهُمْ أَنْبِيََاءَهُمْ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَنَقُولُ لَهُمْ: ذُوقُوا الْعَذَابَ الْمَحْرَقِ فِي النَّارِ.

﴿١٨٢﴾ ذَلِكَ الْعَذَابُ بِسَبَبِ مَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ أَيُّهَا الْيَهُودُ مِنَ الْمَعَاصِي وَالْمَخَازِي، وَيَأْنِ اللَّهُ لَيْسَ يَظْلِمُ أَحَدًا مِنْ عِبِيدِهِ.

﴿١٨٣﴾ وَهُمْ الَّذِينَ قَالُوا -كُذِّبُوا وَافْتَرَاءً-: إِنَّ اللَّهَ أَوْصَانَا فِي كِتَابِهِ وَعَلَى أُنْسَةِ أَنْبِيَائِهِ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلٌّ قَدْ جَاءَ كُرْسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨٤﴾ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءَهُو بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١٨٥﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ رُحِّجَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَتَعُ الْعُرُورِ ﴿١٨٦﴾ لَسَبَّوْا فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَسَّمَعْتُمْ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨٧﴾

﴿١٨٨﴾ فَإِنْ كَذَّبُوكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ فَلَا تَحْزَنْ، فَهِيَ عَادَةُ الْكَافِرِينَ، فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ كَثُرَ مِنْ قَبْلِكَ، جَاءُوا بِالْأَدْلَةِ الْوَاضِحَةِ، وَبِالْكِتَابِ الْمَشْتَمَلَةِ عَلَى الْمَوَاعِظِ وَالرِّقَاقِ، وَالْكِتَابِ الْهَادِي بِمَا فِيهِ مِنَ الْأَحْكَامِ وَالشَّرَائِعِ.

﴿١٨٩﴾ كُلُّ نَفْسٍ مَهْمَا تَكُنْ لَا يَدُ أَنْ تَذُوقَ الْمَوْتَ، فَلَا يَفْتَرِ مَخْلُوقٌ بِهَذِهِ الدُّنْيَا، وَفِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ تَعْمَلُونَ أُجُورَ

أَعْمَالِكُمْ كَامِلَةً غَيْرَ مَنْقُوصَةٍ. فَمَنْ أَعْبَدَ اللَّهَ عَنِ النَّارِ. وَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ: فَقَدْ نَالَ مَا يَرْجُو مِنَ الْخَيْرِ، وَنَجَا مِمَّا يَخَافُ مِنَ الشَّرِّ، وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَتَعُ زَائِلٌ، وَلَا يَتَعَلَّقُ بِهَا إِلَّا الْمَخْدُوعُ.

﴿١٩٠﴾ لَتُخْتَرَنَّ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - فِي أَمْوَالِكُمْ، بِأَدَاءِ الْحَقِّقِ الْوَاحِبَةِ فِيهَا. وَبِمَا يَنْزِلُ بِهَا مِنْ مَصَانِبٍ، وَلِتَحْتَبَّرَنَّ فِي أَنْفُسِكُمْ بِالْقِيَامِ نِكَالِيفَ الشَّرِيعَةِ، وَمَا يَنْزِلُ بِكُمْ مِنْ أَنْوَاعِ الْبَلَاءِ. وَلِتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أَعْطُوا الْكُتُبَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا شَيْئًا كَثِيرًا مِمَّا يُوَدِّعُكُمْ مِنَ الطَّعْنِ فِيكُمْ وَفِي دِينِكُمْ، وَإِنْ تَصْبِرُوا عَلَى مَا يَصِيبُكُمْ مِنْ أَنْوَاعِ الْمَصَائِبِ وَالْإِسْتِلَاءِ. وَتَتَّقُوا اللَّهَ بِمَا أَمَرَ وَتَتَزَكَّوْا مَا نَهَى، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي تَحْتَاجُ إِلَى عَزْمٍ، وَيَتَنَافَسُ فِيهَا الْمُتَنَافِسُونَ.

﴿١٩١﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْأَقْيَانِ.

- مِنْ سُوءِ فِعَالِ الْيَهُودِ وَفَبِجَاحِ أَخْلَاقِهِمْ اعْتَدَاهُمْ عَلَى أَنْبِيََاءِ اللَّهِ بِالنَّكَذِيبِ وَالْقَتْلِ.
- كُلُّ فُورٍ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ نَاقِصٌ، وَإِنَّمَا الْفُوزُ التَّامُ فِي الْآخِرَةِ. بِالنَّجَاةِ مِنَ النَّارِ وَدُخُولِ الْجَنَّةِ.
- مِنْ أَنْوَاعِ الْإِبْتِلَاءِ الْأَذَى الَّتِي يَنَالُ الْمُؤْمِنِينَ فِي دِينِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ مِنْ قِبَلِ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ. وَالْوَاجِبُ حِينَئِذٍ الصَّبْرُ وَتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى.



﴿١٨٧﴾ وَاذْكُرْ اَيُّهَا النَّبِيُّ حِينَ اخَذَ اللَّهُ الْعَهْدَ الْمُؤَكَّدَ عَلَى عُلَمَاءِ اَهْلِ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى لِنُصْحَتِهِ لِلنَّاسِ كِتَابَ اللَّهِ، وَلَا تَكْتُمُونَ مَا فِيهِ مِنَ الْهُدَى، وَلَا مَا دَلَّ عَلَيْهِ مِنْ نُبُوَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَمَا كَانَ مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ طَرَحُوا الْعَهْدَ، وَلَمْ يَلْتَمِثُوا إِلَيْهِ، فَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَظْهَرُوا الْبَاطِلَ، وَاسْتَبَدَّلُوا بَعْدَ اللَّهِ ثَمَنًا زَهِيدًا، كَالْجَاهِ وَالْمَالِ الَّذِي قَدْ يَبَالُوْنَهُ، فَبُئِسَ هَذَا الثَّمَنُ الَّذِي يَسْتَبْدِلُونَهُ بِعَهْدِ اللَّهِ.

﴿١٨٨﴾ لَا تَطْنُنْ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ أَنْ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا فَعَلُوا مِنَ الْقَبَائِحِ، وَيُحِبُّونَ أَنْ يَمْدَحَهُمُ النَّاسُ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوهُ مِنَ الْخَيْرِ، لَا تَطْنُنَّهُمْ بِمُنْجَاةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَسَلَامَةٍ، يَلْ مَحْلَهُمْ جَهَنَّمَ، وَلَهُمْ فِيهَا عَذَابٌ مُوجِعٌ.

﴿١٨٩﴾ وَلِلَّهِ وَحْدَهُ دُونُ غَيْرِهِ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِمَا خَلْقًا وَتَدْبِيرًا، وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. ﴿١٩٠﴾ إِنْ فِي إِيْجَادِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْ غَدَمٍ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَابِقٍ، وَفِي تَعَاقُبِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَتَقَاوُضِهِمَا طَوْلًا وَقِصْرًا؛ لِدَلَالٍ وَاصِحَةٍ لِأَصْحَابِ الْعُقُولِ السَّلِيمَةِ، تَدْلُهُمْ عَلَى خَالِقِ الْكَوْنِ الْمُسْتَحَقِّ لِلْعِبَادَةِ وَحْدَهُ.

﴿١٩١﴾ وَهُمْ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ عَلَى كُلِّ أَحْوَالِهِمْ، فِي حَالِ قِيَامِهِمْ، وَحَالِ جُلُوسِهِمْ، وَفِي حَالِ اضْطِجَاعِهِمْ، وَيُحْمِلُونَ فِكْرَهُمْ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ؛ قَائِلِينَ: يَا رَبَّنَا، مَا خَلَقْتَ هَذَا الْخَلْقَ الْعَظِيمَ عَبَثًا، تَرَاهُتَ عَنِ الْعِبَثِ، فَحَسْبَا عَذَابُ النَّارِ تَوْفِيقُنَا لِلصَّلَاحَاتِ وَحِفْظُنَا مِنَ السَّيِّئَاتِ.

﴿١٩٢﴾ فَإِنَّكَ يَا رَبَّنَا مِنْ تَدَخُلِ النَّارِ مِنْ خَلْقِكَ فَقَدْ أَهْنَيْتَهُ وَفَضَحْتَهُ،

وَلَيْسَ لِلظَّالِمِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ أَعْوَانٍ يَمْنَعُونَ عَنْهُمْ عَذَابَ اللَّهِ وَعِقَابَهُ.

﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا دَاعِيًا لِلْإِيمَانِ وَهُوَ نَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ ﷺ يَدْعُو قَائِلًا: آمَنُوا بِاللَّهِ رِبْكُمْ إِلَهًُا وَاحِدًا، فَأَمْنَا بِمَا يَدْعُو إِلَيْهِ، وَاتَّبَعْنَا شَرِيعَتَهُ، فَاسْتَرَدْنَا ذُنُوبَنَا فَلَا تَقْضَحْنَا، وَتَجَاوَزْ عَنْ سَيِّئَاتِنَا فَلَا تَوَاضِعْنَا بِهَا، وَتَوْفِقْنَا مَعَ الصَّالِحِينَ تَوْفِيقُنَا لِفِعْلِ الْحَيَرَاتِ وَتَرْكِ السَّيِّئَاتِ.

﴿١٩٤﴾ رَبَّنَا وَأَعْطِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى أَسْنَةِ رَسْلِكَ، مِنَ الْهُدَايَةِ وَالنَّصْرِ فِي الدُّنْيَا، وَلَا تَضْحِكُنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِدُخُولِ النَّارِ، إِنَّكَ يَا رَبَّنَا كَرِيمٌ لَا تُخْلِفُ وَعْدَكَ

• مِنْ قَوْلِهِ: لَا يُخْلِفُ وَعْدَكَ

- مِنْ صِفَاتِ عُلَمَاءِ السُّوءِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ: كَتَمَ الْعِلْمَ، وَاتَّبَعَ الْهَوَى، وَالْفَرَحَ بِمَدْحِ النَّاسِ مَعَ سُوءِ سِرَائِرِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ.
- التَّفَكُّرُ فِي خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَتَعَاقُبِ الْأَرْوَاحِ يُوْرِثُ الْيَقِينَ بِعَظَمَةِ اللَّهِ وَكَمَالِ الْخُضُوعِ لَهُ ﷺ.
- دَعَاءُ اللَّهِ وَخُضُوعُ الْقَلْبِ لَهُ تَعَالَى مِنْ أَكْمَلِ مَظَاهِرِ الْعِبَادَةِ.

﴿١٩٥﴾ فَأَسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أَضِيعُ عَمَلَ عَمِلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتُمْ بِعَعْضِكُمْ مِّنْ بَعْضِ الَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ وَأَوْدُوا فِي سَبِيلِي وَقَتَلُوا أَوْ قُتِلُوا لَا أَكْفِرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا أَدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١٩٦﴾ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ مَتَّعْتُ قَلِيلًا ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِيعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾

## سُورَةُ النَّبَاِ

٧٦

﴿١٩٥﴾ فَأَجَابَ رَبُّهُمْ دَعَاءَهُمْ: بَأْنِي لَا أَضِيعُ ثَوَابَ أَعْمَالِكُمْ قُلْتُ أَوْ كَثُرَتْ، سَوَاءٌ كَانَ الْعَامِلُ ذَكَرًا أَوْ أُنْثَى، فَحُكِمَ بِصُحُفِكُمْ مِنْ بَعْضِ فِي الْمَلَةِ وَاحِدٍ، لَا يُزَادُ لَدُكُمِ، وَلَا يُنْقُصُ لَأُنْثَى، فَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَخْرَجَهُمُ الْكُفَّارُ مِنْ دِيَارِهِمْ، وَأَصَابَهُمُ الْأَذَى بِسَبَبِ طَاعَتِهِمْ لِرَبِّهِمْ، وَقَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقُتِلُوا لَتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعَلِيَا لَا عَصْرَنَ لَهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا تُجَاوِزُنَّ عَنْهَا، وَلَا دَخَلْنَاهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي الْأَنْهَارُ مِنْ تَحْتِ قُصُورِهَا، ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَاللَّهُ عِنْدَهُ الْجَزَاءُ الْحَسَنُ الَّذِي لَا مِثْلَ لَهُ.

﴿١٩٦﴾ لَا يَخْدَعُكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ تَشَبُّهُ الْكَافِرِينَ فِي الْبِلَادِ، وَتَمَكُّنُهُمْ مِنْهَا، وَسَعَةِ تَعَارَاتِهِمْ وَأَرْزَاقِهِمْ فَتَشْعُرُ بِالْهَيْمِ وَالْفَقْمِ مِنْ حَالِهِمْ.

﴿١٩٧﴾ هَذِهِ الدُّنْيَا مَتَاعٌ قَلِيلٌ لَا دَوَامَ لَهُ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَكُونُ مَصِيرُهُمْ الَّذِي يَرْجَمُونَ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: جَهَنَّمُ، وَبِئْسَ الْمِهَادُ لَهُمْ النَّارُ.

﴿١٩٨﴾ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ بِامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي الْأَنْهَارُ مِنْ تَحْتِ قُصُورِهَا، مَا كَثُرَ فِيهَا أَبَدًا، جَزَاءٌ مُّغْدًا لَهُمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى، وَمَا أَعَدَّهُ اللَّهُ لِلصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِهِ خَيْرٌ وَأَفْضَلُ مِمَّا يَتَقَلَّبُ فِيهِ الْكُفَّارُ مِنْ مَلَذَاتِ الدُّنْيَا.

﴿١٩٩﴾ لَيْسَ أَهْلُ الْكِتَابِ سَوَاءً، فَإِنْ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَمِمَّا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنَ الْحَقِّ وَالْهُدَى، وَيُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ فِي كِتَابِهِمْ، لَا يَفْرُقُونَ بَيْنَ رِسَالِ اللَّهِ، حَاصِعِينَ مِثْلَ الَّذِينَ لِلَّهِ رَغْبَةً فِيمَا عِنْدَهُ، لَا يَسْتَبِدُّونَ بِآيَاتِ اللَّهِ

ثَمَنًا قَلِيلًا مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا، أُولَئِكَ الْمَوْصُوفُونَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ لَهُمْ ثَوَابُهُمْ الْعَظِيمُ عِنْدَ رَبِّهِمْ، إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ عَلَى الْأَعْمَالِ وَسَرِيعُ الْجَزَاءِ عَلَيْهَا.

﴿٢٠٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاتَّبِعُوا رَسُولَهُ، أَصْبِرُوا عَلَى تَكَالُيفِ الشَّرِيعَةِ. وَعَلَى مَا يَعْزِضُ لَكُمْ مِنْ مَصَائِبِ الدُّنْيَا، وَغَالِبُوا الْكُفَّارَ فِي الصَّبْرِ فَلَا يَكُونُوا أَشَدَّ صَبْرًا مِنْكُمْ، وَأَقِيمُوا عَلَى الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَاتَّقُوا اللَّهَ بِامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ، لَعَلَّكُمْ تَنَالُونَ مَطْلُوبَكُمْ بِالسَّلَامَةِ مِنَ النَّارِ وَدُخُولِ الْجَنَّةِ.

﴿٢٠١﴾ مِنَ الْآيَاتِ

- الْأَدَى الَّذِي يَنَالُ الْمُؤْمِنُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُضْطَرُّ إِلَى الْهَجْرَةِ وَالْخُرُوجِ وَالْجِهَادِ مِنْ أَكْثَرِ سَبَابِ تَكْفِيرِ الذُّنُوبِ وَمُضَاعَفَةِ الْأَجُورِ.
- لَيْسَتْ الْعِبْرَةُ بِمَا قَدْ يَنْعَمُ بِهِ الْكَافِرُ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْمَالِ وَالْمَتَاعِ وَإِنْ عَظُمَ: لِأَنَّ الدُّنْيَا زَائِلَةٌ، وَإِنَّمَا الْعِبْرَةُ بِحَقِيقَةِ مَصِيرِهِ فِي الْآخِرَةِ فِي دَارِ الْخُلُودِ.
- مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَشْهَدُونَ بِالْحَقِّ الَّذِي فِي كِتَابِهِمْ، فَيُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ وَمِمَّا أُنْزِلَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، فَهَؤُلَاءِ لَهُمْ أَجْرُهُمْ مَرَّتَيْنِ.
- الصَّبْرُ عَلَى الْحَقِّ، وَمُغَالَبَةُ الْمَكْذِبِينَ بِهِ، وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ، هُوَ سَبِيلُ الْفَلَاحِ فِي الْآخِرَةِ.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

● من قاصد السورة:

تنظيم المجتمع المسلم وبناء علاقاته، وحفظ الحقوق، والحث على الجهاد، وإبطال دعوى قتل المسيح، التفسير:

سُميت بذلك لذكر النساء فيها وتقصيل كثير من أحكامهن.

● يا أيها الناس، اتقوا ربكم، فهو الذي خلقكم من نفس واحدة هي أبوكم، ونشر منهما في أقطار الأرض بشرًا كثيرًا ذكورًا وإناثًا، واتقوا الله الذي يسأل بعضكم بعضًا به بأن يقول: أسألك بالله أن تفعل كذا، واتقوا قطع الأرحام التي تربط بينكم، إن الله كان عليكم رقيبًا، فلا يموت شيء من أعمالكم، بل يحصيها ويجازيكم عليها. ● وأعطوا - أيها الأوصياء اليتامى (وهم: من فقدوا آباءهم ولم يبلغوا الحلم) أموالهم كاملة إذا بلغوا وكانوا راشدين، ولا تتبدلوا الحرام بالحلال: بأن تأخذوا العبد لنفس من أموال اليتامى، وتدفعوا بدل الرديء الحسيس من أموالكم، ولا تأخذوا أموال اليتامى مضمومة إلى أموالكم، إن ذلك كان ذنبًا عظيمًا عند الله. ● وإن خفتم ألا تعدلوا إذا تزوجتم اليتيمات اللاتي تحب ولايتكم، إما خوفًا من نقص مهرهن الواجب لهن، أو إساءة معاملتهن، فدعوهن وتزوجوا الطيبات من النساء غيرهن، إن شئتم تزوجتم اثنتين أو ثلاثًا أو أربعًا، فإن خفتم ألا

تعدلوا بينهن فافتتسروا على واحدة، أو استمتعوا بما ملكت أيما نكاح من الإماء: إذ لا يجب لهن مثل ما يجب للزوجات من الحقوق، ذلك الذي ورد في الآية في شأن اليتامى والاقتصار على نكاح واحدة أو الاستمتاع بالإماء أقرب إلى ألا تجوزوا وتميلوا. ● وأعطوا النساء مهرهن عطية واجبة، فإن طابت نفوسهن بشيء من المهر لكم فلا إكراه فكلوه سائغًا لا تنفيس فيه. ● ولا تعطوا أيها الأولياء الأموال للدين لا يحسنون الصرف. فهذه الأموال جعلها الله سببًا تقوم به مصالح العباد وأمور معاشهم، وهؤلاء ليسوا أهلاً للقيام على الأموال وحفظها، وانفصوا عليهم واكسوهم منها، وقلوا لهم قولًا طيبًا، وعدوهم موعظة حسنة بأن تعطوهم مالههم إذا بلغوا الرشد وحسن التصرف. ● واحبروا أيها الأولياء اليتامى إذا وصلوا سن البلوغ، بإعطائهم جزءًا من مالههم يتصرفون فيه، فإن أحسنوا التصرف فيه، وتبين لكم رشدهم، فسلموا إليهم أموالهم كاملة عبر منقوصة، ولا تأكلوا أموالهم متجاوزين الحد الذي أباحه الله لكم من أموالهم عند الحاجة، ولا تبادروا بأكلها خشية أن يأخذوها إذا بلغوا، ومن كان منكم له مال يُفنيه فليمتنع عن الأخذ من مال البيتيم، ومن كان منكم فقيرًا لا مال له فليأكل بقدر حاجته، وإذا سلمتم إليهم أموالهم بعد البلوغ وتبين الرشد منهم، فاشهدوا على ذلك التسليم حفظًا للحقوق، ومنعًا لأسباب الاختلاف. وكفى الله شاهدًا على ذلك، ومحاسبًا للعباد على أعمالهم.

● من فوائد الآيات: ● الأصل الذي يرجع إليه البشر واحد، فالواجب عليهم أن يتقوا ربهم الذي خلقهم، وأن يرجع بعضهم بعضًا، أوصى الله تعالى بالإحسان إلى الضعفة من النساء واليتامى، بأن تكون المعاملة معهم بين العدل والفضل. ● جواز تعدد الزوجات إلى أربع ساء، بشرط العدل بينهن، والقدرة على القيام بما يجب لهن. ● مشروعية الخجر على السفهية الذي لا يحسن التصرف، لمصلحته، وحفظًا للمال الذي تقوم به مصالح الدنيا من الضياع.



٧ للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما تركه الوالدان وموتهم. قليلاً كان أو كثيراً، وللنساء حظ مما تركه هؤلاء؛ خلافاً لما كان عليه أمر العاهلية من حرمان النساء والأطفال من الميراث، هذا النصيب حق مُبَيَّن المقدر مفروض من الله تعالى.

٨ وإذا حصر قسم التركة من لا يرث من الأقارب واليتامى والمقراء، فأعطوهم - على سبيل الاستحباب - من هذا المال قبل قسمته ما تطيب به نفوسكم، فهم مُتَشَوِّفُونَ إليه، وقد جاءكم بلا عناء، وقولوا لهم قولاً حسناً لا يقح فيه.

٩ ولتخف الذين لو ماتوا وتركوا حلهم أولاً صفاراً ضعافاً، خافوا عليهم من الضياع، فليتقوا الله فيمن تحت ولايتهم من الأيتام بترك ظلمهم، حتى يسر الله لهم بعد موتهم من يحسن لأولادهم كما أحسنوا هم، وليحسنوا في حق أولاد من يحضرون وصيته بأن يقولوا لهم قولاً مصيباً للحق بالآل يظلم في وصيته حق ورثته من بعده، ولا يحرم نفسه من الحير بترك الوصية.

١٠ إن الذين يأخذون أموال اليتامى، وينصرفون فيها ظلماً وعدواناً، إما يأكلون في أحوافهم ناراً تلتهب عليهم، وسحرقهم النار يوم القيامة.

١١ يعهد الله إليكم ويأمركم في شأن ميراث أولادكم: أن الميراث يُقسم بينهم للابن مثل نصيب البنتين، فإن ترك الميت بنات دون ولد ذكر، فلبنتين فأكثر الثلثان مما

لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ٧ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةُ أُولُو الْقَرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينُ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ٨ وَلِيَخَشِ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ٩ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ١٠ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفَعًا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ١١

ترك، وإن كانت بنتاً واحدة فلها نصف ما ترك، ولكل واحد من أبوي الميت سدس ما ترك. إن كان له ولد ذكر كان أو أنثى، وإن لم يكن له ولد ولا وارث له غير أبويه؛ فلأُم الثلث، وباقي الميراث لأبيه، وإن كان للميت إخوة اثنان فأكثر ذكراً كانوا أو إناثاً أشقاء أو غير أشقاء؛ فلأُمه السدس فرضاً، والباقي للأب تعصيباً، ولا شيء للإخوة. ويكون هذا القسم للميراث بعد تنفيذ الوصية التي أوصى بها الميت بشرط ألا تزيد وصيته عن ثلث ماله، وبشرط قضاء الدين الذي عليه، وقد جعل الله تعالى قسمة الميراث على هذا لأحكام لا تدرون من من الأبناء والأبناء أقرب لكم نفعا في الدنيا والآخرة. فقد يظن الميت بأحد ورثته خيراً؛ فيعطيه المال كله، أو يظن به شراً فيحرمه منه، وقد يكون الحال خلاف ذلك، والذي يعلم ذلك كله هو الله الذي لا يخفى عليه شيء. ولذلك قسم الميراث على ما يُبَيَّن، وحمله فريضة منه واجبة على عباده، إن الله كان عليماً لا يخفى عليه شيء من مصالح عبادهم، حكيماً في شرعه وتديبره.

من قوله: لِيَاتِيَنَّ

- دلت أحكام الموارث على أن الشريعة أعطت الرجال والنساء حقوقهم مراعية العدل بينهم وتحقيق المصلحة بينهم.
- التعليظ الشديد في حرمة أموال اليتامى، والنهي عن التعدي عليها، وعن تضييعها على أي وجه كان.
- لما كان المال من أكثر أسباب النزاع بين الناس تولى الله تعالى قسمته في أحكام الموارث.

وَلَكُمْ مِنْهَا الْاَزْوَاجُ - نصف ما تركت روحانكم؛ إن لم يكن لهن ولد ذكرًا كان أو أنثى منكم أو من غيركم. فإن كان لهن ولد - ذكرًا كان أو أنثى - فلكم الربع مما تركن من المال، يقسم لكم ذلك بعد تنفيذ وصيتهن، وقضاء ما عليهن من دين. وللزوجات الربع مما تركن - أيها الأزواج - إن لم يكن لكم ولد - ذكرًا كان أو أنثى - منهن أو من غيرهن. فإن كان لكم ولد - ذكرًا كان أو أنثى - فلهن الثمن مما تركن، يقسم لهن ذلك بعد تنفيذ وصيتهن، وقضاء ما عليكم من دين. وإن مات رجل ليس له ولد ولا ولد، أو ماتت امرأة ليس لها ولد ولا ولد، وكان للميت منهما أخ لأم أو أخت لأم؛ فلكل واحد من أخيه لأمه أو أخته لأمه السدس فرضًا. فإن كان الإحوة لأم أو الأخوات لأم أكثر من واحد؛ فجميعهم الثلث فرضًا يشتركون فيه، يستوي في ذلك ذكروهم وأنثاهم، وإنما يأخذون نصيبهم هذا بعد تنفيذ وصية الميت، وقضاء ما عليه من دين، بشرط أن تكون وصيته لا تدخل الضرر على الورثة؛ كأن تكون وصية بأكثر من ثلث ماله، هذا الحكم الذي تصفنته الآية عهد من الله إليكم أوجبته عليكم، والله عليم بما يصلح عباده في الدنيا والآخرة، حليم لا يعاجل العاصي بالعقوبة.

﴿١٢﴾ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَاللَّهَ عَلَيْهِمْ خِلْمٌ ﴿١٣﴾ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٤﴾ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٥﴾

﴿١٢﴾ وَلَكُمْ مِنْهَا الْاَزْوَاجُ - نصف ما تركت روحانكم؛ إن لم يكن لهن ولد ذكرًا كان أو أنثى منكم أو من غيركم. فإن كان لهن ولد - ذكرًا كان أو أنثى - فلكم الربع مما تركن من المال، يقسم لكم ذلك بعد تنفيذ وصيتهن، وقضاء ما عليهن من دين. وللزوجات الربع مما تركن - أيها الأزواج - إن لم يكن لكم ولد - ذكرًا كان أو أنثى - منهن أو من غيرهن. فإن كان لكم ولد - ذكرًا كان أو أنثى - فلهن الثمن مما تركن، يقسم لهن ذلك بعد تنفيذ وصيتهن، وقضاء ما عليكم من دين. وإن مات رجل ليس له ولد ولا ولد، أو ماتت امرأة ليس لها ولد ولا ولد، وكان للميت منهما أخ لأم أو أخت لأم؛ فلكل واحد من أخيه لأمه أو أخته لأمه السدس فرضًا. فإن كان الإحوة لأم أو الأخوات لأم أكثر من واحد؛ فجميعهم الثلث فرضًا يشتركون فيه، يستوي في ذلك ذكروهم وأنثاهم، وإنما يأخذون نصيبهم هذا بعد تنفيذ وصية الميت، وقضاء ما عليه من دين، بشرط أن تكون وصيته لا تدخل الضرر على الورثة؛ كأن تكون وصية بأكثر من ثلث ماله، هذا الحكم الذي تصفنته الآية عهد من الله إليكم أوجبته عليكم، والله عليم بما يصلح عباده في الدنيا والآخرة، حليم لا يعاجل العاصي بالعقوبة.

﴿١٣﴾ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَاللَّهَ عَلَيْهِمْ خِلْمٌ ﴿١٣﴾ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٤﴾ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٥﴾

﴿١٤﴾ فيها لا يلحقهم فناء، وذلك الجزاء الإلهي هو الملاح العظيم الذي لا يضاهاه فلاح.

﴿١٥﴾ ومن يعص الله ورسوله بتعطيل أحكامه وترك العمل بها، أو الشك فيها، ويتجاوز حدود ما شرعه، يدخله نارًا مأكثًا فيها، وله فيها عذاب مُدَلٍّ.

● مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- لا تقسم الأموال بين الورثة حتى يقضى ما على الميت من دين، ويخرج منها وصيته التي لا يحوز أن تتجاوز ثلث ماله.
- التحدير من التهاون في قسمة الموارث: لأنها عهد الله ووصيته لعباده المؤمنين؛ فلا يحوز تركها أو التهاون فيها.
- من علامات الإيمان امتثال أوامر الله، وتعظيم نواهيه، والوقوف عند حدوده.
- من عدل الله تعالى وحكمته أن من أطاعه وعده بأعظم الثواب، ومن عصاه وتعدي حدوده توقعه بأعظم العقاب.

﴿١٥﴾ واللاتي يرتكبن فاحشة الزنى من نسائكم محصنات وغير محصنات فاستشهدوا عليهن أربعة رجال مسلمين عدول، فإن شهدوا عليهن بارتكابها فاحبسوهن في البيوت عقوبة لهن، حتى تنقضي حياتهن بالموت، أو يجعل الله لهن طريقاً غير طريق الحبس. ثم يبين الله السبيل لهن بعد ذلك، فشرع جلد البكر الزانية مئة جلدة وتغريب عام، ورحم المحصنة.

﴿١٦﴾ والذان يرتكبان فاحشة الزنى من الرجال - مُحْصَنَيْنِ أو غير مُحْصَنَيْنِ - فعاقبوهما باللسان واليد بما يحق الإهانة والزجر، فإن أقلما عما كانا عليه، وصلحت أعمالهما؛ فأعرضوا عن أذاهما؛ لأن التائب من الذنب كمن لا ذنب له، إن الله كان تواباً على من تاب من عباده رحيماً بهم. والاكتفاء بهذا النوع من العقاب كان في أول الأمر، ثم نسخ بعد ذلك بجلد البكر وتغريبه، وبرجم المحصن.

﴿١٧﴾ إنما يقبل الله توبة الذين أقدموا على ارتكاب الذنوب والمعاصي بجهل منهم لعاقبتها وشؤمها وهذا شأن كل مرتكب ذنب متممداً كان أو غير متممداً ثم يرجعون منيبين إلى ربهم قبل معاينة الموت، فأولئك يقبل الله توبتهم، ويتجاوز عن سيئاتهم، وكان الله عليماً بأحوال خلقه، حكيمًا في تقديره وتشريع.

﴿١٨﴾ ولا يقبل الله توبة الذين يُصِرُّونَ على المعاصي، ولا يتوبون منها إلى أن يعاينوا سكرات الموت، فعندئذ يقول الواحد منهم: إني تبت

وَالَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَأَسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةٌ مِّنكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّيَهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾ وَالَّذَانِ يَأْتِيَنِهَا مِنْكُمْ فَأَذُواهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْفَنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَآءِ اتِّئِمُّوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾

الآن مما ارتكبته من المعاصي. ولا يقبل الله كذلك توبة الدين يموتون وهم مُصِرُّونَ على الكفر، أولئك العصاة المُصِرُّونَ على المعاصي، والذين يموتون وهم على كفرهم: اعدنا لهم عذاباً أليماً.

﴿١٩﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله. لا يجوز لكم أن تترثوا نساء آبائكم وأقاربكم كما يورث المال، وتصرفوا فيهن بالزواج بهن، أو تزويجهن ممن تشاؤون، أو تمنعهن من الزواج. ولا يجوز لكم إمساك أزواجكم اللاتي تكرهوهنن للإضرار بهن، حتى يتنازلن لكم عن بعض ما أعطيتهن من مهر وغيره، إلا أن يرتكبن فاحشة واضحة كالزنى. فإذا فعلن ذلك جاز لكم إمساكهن والتضييق عليهن حتى يمتدين منكم بما أعطيتهن، وصاحبوا نساءكم صحبة طيبة، بكف الأذى وبذل الإحسان، فإن كرهتموهن لأمر دنيوي فاصبروا عليهن. فعمل الله يجعل فيما تكرهون خيراً كثيراً في الحياة الدنيا والآخرة.

• من فوائد الآيات:

- ارتكاب فاحشة الزنى من أكثر المعاصي خطراً على الفرد والمجتمع؛ ولهذا جاءت العقوبات عليها شديدة.
- لطف الله ورحمته بعباده حيث فتح باب التوبة لكل مذنّب، ويسر له أسبابها، وأعانته على سلوك سبيلها.
- كل من عصى الله تعالى بعدد أو غير عمد فهو جاهل بقدر من عصاه حل وعلا، وجاهل باثار المعاصي وشؤمها عليه.
- من أسباب استمرار الحياة الزوجية أن يكون نظر الزوج متوارباً، فلا يحصر نظره فيما يكره، بل ينظر أيضاً إلى ما فيه من خير، وقد يجعل الله فيه خيراً كثيراً.



وَأَنْ أَرَدْتُمْ أَسْبَدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ أَحَدَهُنَّ قَطَارًا فَلَا تَأْخُذْهُ مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بِهْتَنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ٢٠ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ٢١ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ٢٢ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمُ مِنَ الرِّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَخَالَاتُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ٢٣

٢٠ وإن أردتم أن تبدلوا زوجها بغيره فلا حرج عليكم في ذلك، وإن كنتم أعطيتهم التي عزمتم على فراقها مالا كثيرا مهرا لها؛ فلا يجوز لكم أخذ شيء منه، فإن أخذ ما أعطيتموهن بعد فتراء مبينا وإثما واضحا ٢١ وكيف تأخذون ما أعطيتموهن من المهر بعد الذي حصل بينكم من علاقة ومودة واستمتاع وإطلاع على الأسرار، فإن الطمع بما في أيديهن من مال بعد هذا أمر منكرو ومستقبح، وقد أخذ منكم عهدا موثقا شديدا، وهو استحلالهن بكلمة الله تعالى وشرعه.

٢٢ ولا تزوجوا ما تزوجه آبائكم من النساء؛ فإن ذلك محرم، إلا ما سبق من ذلك قبل الإسلام فلا مؤاخذه عليه، ذلك أن تزوج الأبناء من زوجات آبائهم أمر يعظم قبحه، وسبب غضب الله على فاعله، وساء طريقا لمن سلكها.

٢٣ حرم الله عليكم نكاح أمهاتكم وإن علون؛ أي: أم الأم وجدتها من جهة الأب أو الأم، وبناتكم وإن نزلن؛ أي: بنتها وبنت بنتها، وكذلك بنات الابن وبنات البنت وإن نزلن، وأخواتكم من أبويكم أو من أحدهما، وعماتكم، وكذلك عمات آبائكم وأمهاتكم وإن علون، وخالاتكم، وكذلك خالات أمهاتكم وأبائكم وإن علون، وبنات الأخ وبنات الأخت، وأولادهم وإن نزلوا، وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم، وأخواتكم من الرضاعة، وأمهات زوجاتكم سواء دخلتم بهن أو لم تدخلوا بهن، وبنات زوجاتكم من غيركم اللاتي ينشأن ويربين في بيوتكم عاليا، وكذلك إذا لم يتربين فيها، إن كنتم دخلتم بأمهاتهن، وأما إذا لم تدخلوا بهن فلا حرج عليكم في نكاح بناتهن، وحرمة عليكم نكاح زوجات أسنانكم الذين من أصلابكم، ولو لم يدخلوا بهن، ويدخل في هذا الحكم زوجات أسنانكم من الرضاعة، وحرمة عليكم الجمع بين الأختين من النسب أو الرضاعة إلا ما مضى من ذلك في الجاهلية فقد عفا الله عنه، إن الله كان غفورا لعباده التائبين إليه، رحيما بهم. وثبت في السنة تحريم الجمع كذلك بين المرأة وعمتها أو خالتها.

من فوائد الآيات،

- إذا دخل الرجل بامرأته فقد ثبت مهرها، ولا يجوز له التعدي عليه أو الطمع فيه، حتى لو أراد فراقها وطلاقها.
- حرم الله تعالى نكاح زوجات الأبناء، لأنه فاحشة تمقتها العقول الصريحة والمطر السليمة.
- بين الله تعالى بيانا مفصلا من يحل نكاحه من النساء ومن يحرم، سواء أكان بسبب النسب أو المصاهرة أو الرضاعة: تعظيما لشأن الأعراض، وصيانة لها من الاعتداء.

وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ  
كُتِبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا  
بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ  
مِنْهُنَّ فَأَتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا  
تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا  
حَكِيمًا ٥٤ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكَحَ  
الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ  
فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَيْمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ  
مِّنْ بَعْضٍ فَأَنْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ  
بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسْفِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ  
أَخْدَانٍ فَإِذَا أَحْصَيْتُمْ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ  
مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ  
مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ  
٥٥ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذَيِّبَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ  
مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٥٦

٥٤ وحرم عليكم نكاح المتزوجات من النساء، إلا ما ملكتموهن بالسيبي في الجهاد في سبيل الله، فيحل لكم وطؤهن بعد استبراء أرحامهن بحيضة، فرض الله ذلك عليكم فرضاً، وأحل الله ما عدا ذلك من النساء، أن تطالبوا بأموالكم إحصان أنفسكم وإعفافها بالحلل غير قاصدين الزنى، فمن تمتعتم بهن بالنكاح فأعطوهن مهورهن التي جعلها الله فريضة واجبة عليكم، ولا إثم عليكم فيما وقع عليه تراضيكم من بعد تحديد المهر الواجب من زيادة عليه أو مسامحة في بعضه، إن الله كان عليماً بخلقه لا يخفى عليه منهم شيء، حكيماً في تدييره وتشريعه.

٥٥ ومن لم يستطع منكم - أيها الرجال - لقلة ماله أن يتزوج الحرائر من النساء جاز له نكاح الإماء المملوكات لغيركم، إن كن مؤمنات فيما يظهر لكم، والله أعلم بحقيقة إيمانكم وبواطن أحوالكم، وأنتم وهران سواء في الدين والإنسانية، فلا تستكفوا عن الزواج منهن، فتزوجوهن بإذن مالكيهن، وآتوهن مهورهن دون نقص أو مماطلة، هذا إن كن عفيفات غير ربات علناً، ولا متحدثات أجلاء للزنى بهن سرّاً، فإذا تروجن، ثم ارتكبن فاحشته الربي فعدهن بصف عقوبة الحرائر: خسسين جلدة، ولا رجم عليهن، بخلاف المحصنات من الحرائر إذا زنيهن، ذلك المذكور من إباحة نكاح الإماء المؤمنات العفيفات رخصة لمن خاف على نفسه الوقوع في الزنى، ولم يقدر على الزواج من الحرائر، على أن

الصبر عن نكاح الإماء أولى؛ لتجنب الأولاد الاسترقاق، والله غفور لمن تاب من عباده، رحيم بهم، ومن رحمته أن شرع لهم نكاح الإماء حال العجز عن نكاح الحرائر عند حشية الزنى.

٥٦ يريد الله سبحانه بتشريع هذه الأحكام لكم أن يبين لكم معالم شرعه ودينه، وما فيه مصالحكم في الدنيا والآخرة، ويريد أن يرشدكم إلى طرق الأنبياء من قبلكم في التحليل والتحرير، وشمائلكم الكريمة، وسيبرهم الحميدة لتتبعوهم، ويريد أن يرجعكم عن معصيته إلى طاعته، والله عليم بما فيه مصلحة عباده فيشرع لهم، حكيم في تشريعه وتدييره لشؤونهم.

من قواير لآيات:

- حرمة نكاح المتزوجات: حرائر أو إماء حتى تنقضي عدتهن أيًا كان سبب العدة.
- أن مهر المرأة يتعين بعد الدخول بها، وجواز أن تحط بعض مهرها إذا كان بطيب نفس منها.
- جواز نكاح الإماء المؤمنات عند عدم القدرة على نكاح الحرائر، إذا خاف على نفسه الوقوع في الزنى.
- من مقاصد الشريعة بيان الهدى والضلال، وإرشاد الناس إلى سنن الهدى التي تردهم إلى الله تعالى.

وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ  
الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ٢٧ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ  
عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ٢٨ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا  
لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ  
تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ  
اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ٢٩ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا  
وُظْلَمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ  
يَسِيرًا ٣٠ إِنْ تَحْتَسِبُوا كِبَاءَ مَا تُثْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ  
عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلَ كَرِيمًا ٣١  
وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ  
نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ  
وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ  
عَلِيمًا ٣٢ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِي مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ  
وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلَّذِينَ عَقَدْتَ أَيْمَانُكُمْ فَتَاوَهُمْ  
نَصِيبُهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ٣٣

٢٧ والله يريد أن يتوب عليكم، ويتجاوز عن سيئاتكم، ويريد الذين يسرون خلف ملذاتهم، أن يتبعوا عن طريق الاستقامة بعدًا شديدًا.

٢٨ يريد الله أن يخفف عنكم فيما شرع، فلا يكلفكم ما لا تطيقون؛ لأنه عالم بضعف الإنسان في خلقه وحلقه.

٢٩ يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله واتبعوا رسوله، لا يأخذ بعضكم مال بعض بالباطل، كالغصب والسرقة والرشوة وغيرها، إلا أن تكون الأموال أموال تجارة صادرة عن تراضي المتعاقدين، فيحل لكم أكلها والتصرف فيها، ولا يقتل بعضكم بعضًا، ولا يقتل أحدهم نفسه، ولا يُلق بها إلى التهلكة، إن الله كان بكم رحيمًا، ومن رحمته حرّم دماءكم وأموالكم وأعراضكم.

٣٠ ومن يفعل ذلك الذي نُهي عنه فيأكل مال غيره أو يتعدى عليه بقتل ونحوه عائلًا متعديًا، لا جاهلاً أو ناسيًا؛ فسيدخله الله نارا عظيمة يوم القيامة، يعانى حرها، ويقاسى عذابها، وكان ذلك على الله هينًا، لأنه قادر لا يعجزه شيء.

٣١ إن تتبعوا - أيها المؤمنون عن فعل كبائر المعاصي مثل الشرك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، وأكل الربا؛ تتجاوز عما ترتكبونه من صغائرها بتكفيرها ومحوها، وتدخلكم مكافأ كريمًا عند الله، وهو الجنة.

٣٢ ولا تتمنوا - أيها المؤمنون ما فضل الله به بعضكم على بعض؛ لنلا يؤدي إلى السخط والحسد، فلا ينبغي للنساء أن يرتجبن ما خص الله به الرجال، فإن لكل فريق حظًا من الجزاء بحسبه، واطلبوا من الله أن

يزيدكم من عطائه؛ إن الله عليم بكل شيء؛ فأعطى كل نوع ما يناسبه.

٣٣ ولكل واحد منكم جعلنا له عصبية يرثون مما ترك الوالدان والأقربون من ميراث. والذين عقدتم معهم الأيمان المؤكدة على الحلف والنصرة فأعطوهم نصيبهم من الميراث، إن الله كان على كل شيء شهيدًا، ومن ذلك شهادته على أيمانكم وعهودكم هذه، والتوارث بالحلف كان في صدر الإسلام، ثم نُسِخ.

● من فوائد الآيات:

- سعة رحمة الله بعباده؛ فهو سبحانه يحب التوبة عنهم، والتخفيف عنهم، وأما أهل الشهوات فإنما يريدون بهم ضلالاً عن الهدى.
- حفظت الشريعة حقوق الناس؛ فحرمت الاعتداء على الأنفس والأموال والأعراض، ورتبت أعظم العقوبة على ذلك.
- الاعتماد عن كياثر الذنوب سبب لدخول الجنة ومغفرة للصغائر.
- الرضا بما قسم الله، وترك التطلع لما في يد الناس؛ يُحبب المرء الحسد والسخط على قدر الله تعالى.



﴿٢٤﴾ الرجال يَرْعَوْنَ النساءَ، ويقومون

على شؤونهن، بسبب ما خصهم الله به من الفصل عليهن، وبسبب ما يجب عليهن من النفقة والقيام عليهن، والصالحات من النساء مطيعات لربهن، مطيعات لأزواجهن، حافظات لهم في عبيهم سبب توفيق الله لهن، واللاتي تخافون ترفعهن عن طاعة أزواجهن في قول أو فعل، فابعدوا -أيها الأزواج- بتذكيرهن وتخويفهن من الله، فإن لم يستجبن فاهجروهن في المراسن، بأن يوليها ظهره ولا يجامعها، فإن لم يستجبن فاضربوهن ضرباً غير مبرح، فإن رجعن إلى الطاعة، فلا تعدوا عليهن بظلم أو معاقبة، إن الله كان ذا علو على كل شيء، كبيراً في داته وصفاته فخافوه.

﴿٢٥﴾ وإن حمتم -يا أولياء الزوجين- أن يصل الخلاف بينهما إلى العداوة والتدابر، فاعتدوا رجلاً عدلاً من أهل الزوج، ورجلاً عدلاً من أهل الزوجة، ليحكمما بما فيه المصلحة من التفريق أو التوفيق بينهما، والتوفيق أحب وأولى، فإن أراد الحكمان وسلكا الأسلوب الأمثل إليه يوفق الله بين الزوجين، ويرتفع الخلاف بينهما، إن الله لا يخفى عليه شيء من عباده، وهو عليم بدقائق ما يخفوه في قلوبهم. ﴿٢٦﴾ واعبدوا الله وحده بالانقياد له، ولا تعبدوا معه سواه، وأحسنوا إلى الوالدين بإكرامهما وبرهما، وأحسنوا إلى الأقارب واليتامى وذوي الحاجة، وأحسنوا إلى الجار ذي القرابة، والجار الذي لا قرابة له، وأحسنوا إلى الصاحب المرافق لكم، وأحسنوا إلى المسافر الغريب الذي انقطعت به

الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَإِلَّا فَصَّلَ اللَّهُ حَاتِ قَنْتَتْ حَافِظَتْ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَالَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً كَبِيراً ﴿٢٤﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً خَبِيراً ﴿٢٥﴾ \* وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنُبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٢٦﴾ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَاءً آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٢٧﴾

السبل، وأحسنوا إلى مما اليكم، إن الله لا يحب من كان معجباً بنفسه، متكبراً على عباده، مادحاً لنفسه على وجه الفخر على الناس. ﴿٢٨﴾ ولا يحب الله الذين يمتعون ما أوجب الله عليهم من الإنفاق مما أعطاهم من رزقه، ويأمرون بقولهم وفعلهم غيبرهم بذلك، ويحسون ما آتاهم الله من فضله من الرزق والعلم وغيره، فلا يبينون للناس الحق، بل يكتُمونه، ويظهرون الباطل، وهذه الخصال من خصال الكفر، وقد هيأنا للكافرين عذاباً مخزياً.

﴿٢٩﴾ مِنَ مَّوَادِّ الْأَنْبَاءِ،

- ثبوت قِوامة الرجال على النساء بسبب تفضيل الله لهم باختصاصهم بالولايات، وبسبب ما يجب عليهم من الحقوق، وأبرزها النفقة على الزوجة.
- التحذير من البغي وظلم المرأة في التأديب بتذكير العبد بقدرة الله عليه وعلوه سبحانه.
- التحذير من دميم الأخلاق، كالكبر والتفاخر والبخل وكتُم العلم وعدم تبينه للناس.

﴿٢٧﴾ وهبنا العذاب كذلك للذين ينفقون أموالهم من أجل أن يراهم الناس ويمدحهم. وهم لا يؤمنون بالله، ولا بيوم القيامة؛ أعدنا لهم ذلك العذاب المخزي، وما أضلهم إلا متابعتهم للشيطان، ومن يكن الشيطان له صاحبًا ملارًا فساء صاحبًا.

﴿٢٨﴾ وماذا يضر هؤلاء لو أنهم امنوا بالله حقًا وبيوم القيامة، وأنفقوا مما رزقهم الله في الوجوه التي يحبها ويرضاها؟ بل في ذلك الخير كله، وكان الله بهم عليمًا، لا يخفى عليه حالهم، وسيجازي كلًا بعمله.

﴿٢٩﴾ إن الله تعالى عدل لا يظلم عباده شيئًا، فلا ينقص من حسناتهم مقدار نملة صغيرة، ولا يريده في سيئاتهم شيئًا، وإن تكن ربة الذرة حسنة يضاعف ثوابها فضلًا منه، ويؤت من عنده مع المصاعمة ثوابًا عظيمًا.

﴿٣٠﴾ فكيف يكون الأمر يوم القيامة حين نجى نبي كل أمة يشهد عليها بما عملت، ونجى بك - أيها الرسول - على أمتك شاهدًا؟

﴿٣١﴾ في ذلك اليوم العظيم يود الذين كفروا بالله وعصوا رسوله لو صاروا ترائًا فكانوا سواء هم والأرض، ولا يحصون عن الله شيئًا مما عملوا، لأن الله يحتم على ألسنتهم فلا تنطق، ويأذن لجوارحهم فتشهد عليهم بعملهم.

﴿٣٢﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، لا تصلوا وأنتم في حال سكر حتى تصحوا من سركم، وتميزوا ما تقولون - وكان هذا قبل تحريم الخمر

وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ وَقَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴿٢٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضْعَفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٠﴾ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٣١﴾ يَوْمَ يَذِيذُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴿٣٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٣٣﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوْتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْرُونَ الصَّلَاةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ ﴿٣٤﴾

مطلقًا ولا تصلوا وأنتم في حال حاسة، ولا تدخلوا المساجد في حالها إلا مخَّازين دون بقاء فيها؛ حتى تغتسلوا، وإن أصابكم مرض لا يمكن استعمال الماء معه، أو كنتم مسافرين، أو أحدث أحدكم، أو جامعتم النساء؛ فلم تجدوا ماء - فاقصدوا ترائًا طاهرًا، فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه، إن الله كان عفواً عن تقصيركم، غفوراً لكم.

﴿٣٥﴾ ألم تعلم أيها الرسول أمر اليهود الذين أعطاهم الله خطًا من العلم بالتوراة يسبذلون الضلال بالهدى، وهم حريصون على ضلالكم أيها المؤمنون عن الصراط المستقيم الذي جاء به الرسول؛ لتسلوا طريقهم المفلوج؟

﴿٣٦﴾ من هؤُلاءِ الآيات،

- من كمال عدله تعالى وتمايم رحمته أنه لا يظلم عباده شيئاً مهما كان قليلاً، ويتفضل عليهم بمضاعفة حسناتهم.
- من شدة هول يوم القيامة وعظم ما ينتظر الكافر يتمنى أن يكون ترائًا.
- الجنابة تمنع من الصلاة والبقاء في المسجد، ولا بأس من المرور به دون مكث فيه.
- تيسير الله على عباده بمشروعية التيمم عند فقد الماء أو عدم القدرة على استعماله.





أولئك الذين يعتقدون هذا الاعتقاد الفاسد هم الذين طردهم الله من رحمته، ومن يطرده الله فلن تجد له نصيراً يتولاه.

ليس لهم نصيب من الملك، ولو كان لهم هذا لما أعطوا أحداً منه شيئاً، ولو كان قدر النقطة التي في طهر نواة التمر.

بل يحسدون محمداً ﷺ وأصحابه على ما آتاهم الله من النبوة والإيمان والتمكين في الأرض. فلم يحسدونهم وقد سبق أن آتينا ذرية إبراهيم الكتاب المنزل، وما أوحينا إياهم سوى الكتاب، وآتيناهم ملكاً واسعاً على الناس.

من أهل الكتاب من آمن بما أنزل الله على إبراهيم ﷺ وعلى أنبيائه من ذريته، ومنهم من أعرض عن الإيمان به، وهذا موقفهم مما أنزل على النبي محمد ﷺ، والنار هي العذاب المكافئ لمن كفر منهم. إن الذين كفروا بآياتنا سوف ندخلهم يوم القيامة نارا تحيط بهم، كلما أحرقت جلودهم بدلناهم جلوداً أخرى غيرها؛ ليستمر عليهم العذاب، إن الله كان عزيزاً لا يغالبه شيء، حكيمًا فيما يديره ويقضي به.

والذين آمنوا بالله واتبعوا رسله، وعملوا الطاعات سندخلهم يوم القيامة جنات تجري من تحت قصورها الأنهار، ماكين فيها أبدًا، لهم في هذه الجنات زوجات مطهرات من كل قدر، وسندخلهم ظلًا ممتدًا كثيفًا لا حر فيه ولا برد.

إن الله يأمركم أن توصلوا كل ما ائتمنتم عليه إلى أصحابه،

أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴿٥٦﴾  
أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُوْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٧﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٨﴾  
فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَعَتْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٩﴾  
إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بِدَلْهِمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٦٠﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٦١﴾  
إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُوَدُّوا إِلَى الْأَمْنِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٦٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٦٣﴾

ويأمركم إذا قضيت بين الناس أن تقسطوا ولا تملوا وتجوروا في الحكم. إن الله يقم ما يذكركم به ويرشدكم إليه في كل أحوالكم، إن الله كان سميعًا لاقوالكم، بصيرًا بأفعالكم.

يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، أطيعوا الله وأطيعوا رسوله، بامتنال ما أمر واحتساب ما نهى، وأطيعوا ولاة أموركم ما لم يأمروا بمعصية، فإن اختلفتم في شيء فارجعوا فيه إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ. إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر، ذلك الرجوع إلى الكتاب والسنة خير من التمادي في الخلاف والقول بالرأي، وأحسن عاقبة لكم.

من قوله: لَا يَأْتِي:

- من أعظم أسباب كفر أهل الكتاب حسدهم المؤمنين على ما أنعم الله به عليهم من النبوة والتمكين في الأرض.
- الأمر بمكارم الأخلاق من المحافظة على الأمانات، والحكم بالعدل.
- وجوب طاعة ولاة الأمر ما لم يأمروا بمعصية، والرجوع عند التنازع إلى حكم الله ورسوله ﷺ تحقيقًا لمعنى الإيمان.

﴿١٥﴾ ألم تر أيها الرسول تناقص المنافقين من اليهود الذين يدعون كذباً أنهم آمنوا بما أنزل عليك وما أنزل على الرسل من قبلك، يريدون أن يتحاكموا في نزاعاتهم إلى غير شرع الله مما وضعه البشر، وقد أمروا أن يكفروا بذلك، ويريد الشيطان أن يمهدهم عن الحق إبعاداً شديداً لا يهتدون معه.

﴿١٦﴾ وإذا قيل لهؤلاء المنافقين تعالوا إلى ما أنزل الله في كتابه من الحكم، وإلى الرسول ليحكم بينكم في خصامكم، رأيتهم أيها الرسول يعرضون عنك إلى التحاكم إلى غيرك عراضاً تاماً.

﴿١٧﴾ فكيف يكون حال المنافقين إذا حدث لهم مصائب بسبب ما ارتكبوه من الذنوب، ثم جاؤوك أيها الرسول معتذرين إليك يحلفون بالله: ما قصدنا بتحاكمنا إلى غيرك إلا الإحسان والتوفيق بين المتنازعين؟ وهم كاذبون في ذلك؛ فإن الإحسان هو في تحكيم شرع الله على عبادهم.

﴿١٨﴾ أولئك الذين يعلم الله ما يضمرون في قلوبهم من النفاق والقصد الرديء، فأتوهم - أيها الرسول - وأعرض عنهم، وبين لهم حكم الله مرغباً ومرهباً وقل لهم قولاً بالغاً طوعاً شديداً متغلفاً في نفوسهم.

﴿١٩﴾ وما أرسلنا من رسول إلا لاجل أن يطاع فيما يأمر به بمشيئة الله وتقديره، ولو أنهم حين ظلموا أنفسهم بارتكاب المعاصي جاؤوك أيها الرسول في حياتك مفرين بما

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا إِلَى مَا أُنْزِلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴿١٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿١٨﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿١٩﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٢٠﴾

ارتكبه نادمين تائبين، وطلبوا المغفرة من الله، وطلبت المغفرة لهم: لوجدوا الله تواباً عليهم رحيماً بهم.

﴿٢٠﴾ فليس الأمر كما زعم هؤلاء المنافقون. ثم أقسم الله بذاته ﷻ أنهم لا يكونون مصدقين حقاً حتى يتحاكموا إلى الرسول في حياته وإلى شرعه بعد وفاته في كل ما يحصل بينهم من خلاف، ثم يرضون بحكم الرسول، ولا يكون في صدورهم ضيق منه ولا شك فيه، ويسلموا تسليماً تاماً بانتقياد ظواهرهم وبيواطنهم.

من فوائد الآيات:

- الاحتكام إلى غير شرع الله والرصا به منافض للإيمان بالله تعالى، ولا يكون الإيمان التام إلا بالاحتكام إلى الشرع، مع رضا القلب والتسليم الظاهر والباطن بما يحكم به الشرع.
- من أبرر صفات المنافقين عدم الرضا بشرع الله، وتقديم حكم الطواغيت على حكم الله تعالى.
- التذنب إلى الإعراس عن أهل الجهل والضلالات، مع المبالغة في بصحتهم وتحويمهم من الله تعالى.

وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اخْرَجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا ٦٦ وَإِذَا لَأَتَيْتَهُمْ مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ٦٧ وَلَهَدَيْتَهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ٦٨ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ٦٩ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا ٧٠ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ بَنَاتٍ وَاجْمَعُوا ٧١ وَإِنْ مِنْكُمْ لَمَن لَّيْبِطَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَعَهُمْ شَهِيدًا ٧٢ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَلَيْسَ لِي بِكُمْ مَعَهُمْ فَافْزَوْا فَوْزًا عَظِيمًا ٧٣ فَيُقْتَلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقْتَلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ٧٤

٦٦ ولو أنَّا كتبنا عليهم قتل بعضهم بعضاً، أو الخروج من ديارهم: ما امتثل أمراً منهم إلا عدد قليل. فليحمدوا الله أنه لم يكلفهم ما يشق عليهم، ولو أنهم فعلوا ما يذكرون به من طاعة الله لكان خيراً من المخالفة. وأشد رسوخاً لإيمانهم، ولا تنابهم من عندنا ثواباً عظيماً، ولو ففناهم إلى الطريق الموصل إلى الله وجنته.

٦٧ ومن يطع الله والرسول فهو مع من أنعم الله عليهم بدخول الجنة من الأنبياء والصديقين الذين كمل تصديقهم بما جاءت به الرسل، وعملوا به، والشهداء الذين قتلوا في سبيل الله، والصالحين الذين صلحت ظواهرهم وبواطنهم فصلحت أعمالهم، ما أحسن أولئك من رفقاء في الجنة.

٦٨ ذلك الثواب المذكور تقصّل من الله على عباده، وكفى بالله عليماً بأحوالهم، وسيجازي كلّاً بعمله.

٦٩ يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، خذوا الحذر من أعدائكم باتخاذ الأسباب المعينة على قتالهم، فاخرجوا إليهم جماعة بعد جماعة، أو اخرجوا إليهم جميعاً، كل ذلك حسب ما فيه مصلحتكم، وما فيه النكاية بأعدائكم.

٧٠ وإن منكم أيها المسلمون أقواماً يتباطؤون عن الحروب لقتال أعدائكم لحبّهم، ويبطئون غيرهم، وهم المنافقون وضعيفو الإيمان، فإن نالكم قتل أو هزيمة قال أحدهم فرحاً بسلامته: قد تفضل الله علي فلم أحضر القتال معهم فيصيبني ما أصابهم.

٧١ ولئن نالكم أيها المسلمون - فضل من الله بنصر أو غنيمة ليقولنّ هذا المتخلف عن الجهاد كأنه ليس منكم ولم تكن بينكم وبينه محبة وصحبة، يا ليهيئت كنت معهم في قتالهم هذا فأظفر بعضهم ما ظفروا به.

٧٢ فليقاتل في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا، المؤمنون الصادقون الذين يبيعون الحياة الدنيا رغبة عنها، بالآخرة رغبة فيها، ومن يقاتل في سبيل الله لتكون كلمته هي العليا فيقتل شهيداً، أو يظهر على عدوه، ويظفر به، فسيعطيه الله ثواباً عظيماً، وهو الجنة ورضوان الله.

من فوائد الآيات:

- فعل الطاعات من أهم أسباب الثبات على الدين.
- أخذ الحيطة والحذر باتخاذ جميع الأسباب المعينة على قتال العدو، لا بالعودة والتخاذل.
- الحذر من التباطؤ عن الجهاد وتثبيط الناس عنه: لأن الجهاد أعظم أسباب عزة المسلمين ومنع تسلط العدو عليهم.



﴿٧٥﴾ وما المانع لكم - أيها المؤمنون - من الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمته، ولاستنقاذ المستضعفين من الرجال والنساء والأطفال الذين يدعون الله قائلين: يا ربنا، أخرجنا من مكة لظلم أهلها بالشرك بالله والاعتداء على عباده، واجعل لنا من عندك من يتولى أمرنا بالرعاية والحفظ، ونصيرًا يدفع عنا الضرر.

﴿٧٦﴾ المؤمنون الصادقون يقاتلون في سبيل الله لإعلاء كلمته، والكافرون يقاتلون في سبيل الهتهم، فقاتلوا أعوان الشيطان، فإنكم إن قاتلتموهم غلبتموهم؛ لأن تدبير الشيطان كان ضعيفًا لا يضر المتوكلين على الله تعالى.

﴿٧٧﴾ ألم تعلم أيها الرسول شأن بعض أصحابك الذين سألوا أن يُمرض عليهم الجهاد، فقيل لهم: امنعوا أيديكم عن القتال، وأقيموا الصلاة، واتوا الزكاة - وكان ذلك قبل فرض الجهاد - فلما هاجروا إلى المدينة، وصار للإسلام منعة، وفرض القتال شق ذلك على بعضهم، فصاروا يحافون الناس كخوفهم من الله أو أشد، وقالوا: يا ربنا، لم فرضت علينا القتال؟ هل أخرته مدة قريبة حتى نتمتع بالدنيا، قل لهم أيها الرسول: - متاع الدنيا مهما بلغ قليل زائل، والآخر خير لمن اتقى الله تعالى لدوام ما فيها من النعيم، ولا تُفقدون من أعمالكم الصالحة أي شيء، ولو كان قدر الخيط الذي في نواة التمرة.

﴿٧٨﴾ حيثما تكونوا يلحقكم الموت إذا حضر أجلكم، ولو كنتم في قصور

منبوعة بعيدة عن ساحة القتال، وإن ينل هؤلاء المنافقين ما يسرهم من ولد ورزق كثير قالوا: هذه من عند الله، وإن يُنلهم شدة في ولد أو رزق تشاءموا من النبي ﷺ وقالوا: هذه السيئة بسببك، قل أيها الرسول ردًا على هؤلاء: كل من السراء والضراء بقضاء الله وقدره، فما هؤلاء الذين يصدر عنهم هذا القول لا يكادون يهتمون كلامك لهم؟

﴿٧٩﴾ ما نالك يا ابن آدم مما يسرك من رزق وولد فهو من الله، تقصّل به عليك، وما نالك مما يسودك في رزقك وولدك فهو من نفسك بسبب ما ارتكبته من المعاصي. وقد بعثناك أيها النبي لجميع الناس رسولاً من الله تبلغهم رسالة ربك، وكفى بالله شامداً على صدقك فيما تبلغه عنه، بما أتاك من أدلة وبراهين.

من فوائد الآيات:

- وجوب القتال لإعلاء كلمة الله ونصرة المستضعفين، ودم الحوف والحب والاعتراض على أحكام الله.
- الدار الآخرة خير من الدنيا وما فيها من متاع وشهوات لمن اتقى الله تعالى وعمل بطاعته.
- الخير والشر كله بقدر الله، وقد بيّنته الله عباده ببعض السوء في الدنيا لأسباب، منها: ذنوبهم ومعاصيهم.

مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا ۖ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ۝٨١ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْعَانُ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ۝٨٢ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٨٣ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسُكَ وَحَرِّضْ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْفِيَ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ۝٨٤ مَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ۝٨٥ وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ۝٨٦

من يطع الرسول بامتثال ما أمر به، واجتنب ما نهى عنه؛ فقد استجاب لأمر الله، ومن أعرض عن طاعتك - أيها الرسول - فلا تعزن عليه، فما أرسلناك مراقباً عليه تحمض أعماله، وإنما نحن من يحصي عمله ويحاسبه.

ويقول المنافقون لك بالستهم طيع أمرك ونمتله، فإذا خرجوا من عندك ذر جماعة منهم على وجه الخفاء خلاف ما أظهروا لك، والله يعلم ما يدبرون، وسيجازيهم على كيدهم هذا، فلا تلتفت لهم؛ فلن يضروك شيئاً، وفوض أمرك إلى الله. واعتمد عليه، وكفى بالله وكيلاً تعتمد عليه.

ثم لا يتأمل هؤلاء القرآن ويدرسونه حتى يثبت لهم أنه لا يوجد فيه اختلاف ولا اضطراب، وحتى يعلموا صدق ما حثت به، ولو كان من عند غير الله تعالى لوجدوا فيه اضطراباً في أحكامه واختلافاً كثيراً في معانيه.

وإذا جاء هؤلاء المنافقين أمر مما فيه أمن المسلمين وسرورهم، أو خوفهم وحزنهم؛ أفشوه ونشروه، ولو تأنوا وأرجعوا الأمر إلى رسول الله ﷺ وإلى أهل الرأي والعلم والنصح؛ لأدرك أهل الرأي والاستنباط ما ينبغي أن يعمل بشأنه من نشر أو كتمان، ولولا فضل الله عليكم بالإسلام ورحمته بكم بالقرآن أيها المؤمنون فعاظكم مما ابتلى به هؤلاء المنافقين؛ لاتبعتم وساوس الشيطان إلا قليلاً منكم.

فقاتل أيها الرسول في سبيل الله لإعلاء كلمته، ولا تسأل عن غيرك ولا تكلم به؛ لأنك لا تكلف إلا حمل نفسك على القتال، ورجع المؤمنين في القتال وحثهم عليه، عسى الله أن يدفع بقتالكم قوة الكافرين، والله أشد قوة، وأشد عقوبة.

من يسعى لجلب الخير للغير؛ يكن له حظ من الثواب، ومن يسعى لجلب الشر للغير؛ يكن له حظ من الإثم. وكان الله على كل ما يعمل الإنسان شهيداً وسيجزيه عليه. فمن كان منكم سبباً في حصول خير فله منه حظ ونصيب، ومن كان سبباً في حصول شر فإنه يناله منه شيء.

وإذا سلم عليكم أحد فردوا السلام عليه بأفضل مما سلم عليكم، أو ردوا عليه بمثل ما قال، والرد بالأحسن أفضل، إن الله كان على ما تعملون حفيظاً، وسيجازي كل ما عمله.

من قوبل بالآيات،

- تدبر القرآن الكريم يورث اليقين بأنه تنزيل من الله؛ لسلامته من الاضطراب، ويظهر عظيم ما تضمنه من الأحكام.
- لا يجوز نشر الأخبار التي تنشأ عنها زعرة أمن المؤمنين، أو دُبُّ الرعب بين صفوفهم.
- التحدث بقضايا المسلمين والشؤون العامة المتصلة بهم يجب أن يصدر من أهل العلم وأولى الأمر منهم.
- مشروعية الشفاعة الحسنة التي لا إثم فيها ولا اعتداء على حقوق الناس، وتحريم كل شفاعة فيها إثم أو اعتداء.

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَ كُفْرًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ  
وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ \* فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ  
فِتْنَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ  
أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يَضِلِّ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَدُّوا أَنْ تَكْفُرُوا  
كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُوا سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى  
يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ  
وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ  
يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ  
صُدُورُهُمْ أَنْ يَقْتُلُوكُمْ أَوْ يَقْتُلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ  
لَسَاطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلقَتَلُوكُمْ فَإِنْ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يَقْتُلُوكُمْ  
وَأَلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾  
سَتَجِدُونَ عَآخِرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلٌّ  
مَارَدُوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكَسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا  
إِلَيْكُمُ السَّلَامَ وَيَكْفُوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ  
تَقَفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكَ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿٩١﴾

﴿٨٧﴾ الله لا معبود بحق غيره، ليجمعن أولكم واخركم يوم القيامة الذي لا شك فيه؛ لمجازاتكم على أعمالكم، ولا أحد أصدق حديثًا من الله.

﴿٨٨﴾ ما شأنكم - أيها المؤمنون - صرتم فريقين مختلفين في شأن التعامل مع المنافقين: فريق يقول بقتالهم لكفرهم، وفريق يقول بترك قتالهم لإيمانهم؟ فما كان لكم أن تختلفوا بشأنهم، والله ردهم إلى الكفر والضلال بسبب أعمالهم، أتريدون أن تهتدوا من لم يوفقه الله إلى الحق؟ ومن يضل الله فلن تجد له طريقًا إلى الهداية.

﴿٨٩﴾ تمسئ المنافقون لو تكفرون بما أنزل عليكم كما كفروا فتكفونون مستوبين معهم في الكفر، فلا تتخذوا منهم أولياء لعداوتهم حتى يهاجروا في سبيل الله من دار الشرك إلى بلاد الإسلام دلالة على إيمانهم، فإن أعرضوا واستمروا على حالهم فخذوهم واقتلوهم أينما وجدتموهم، ولا تتخذوا منهم وليًا يواليكم على أموركم، ولا نصيرًا يعينكم على أعدائكم.

﴿٩٠﴾ إلا من وصل منهم إلى قوم بينكم وبينهم عقد مؤكد على ترك القتال، أو من جاؤوكم وقد ضاقت صدورهم فلا يريدون قتالكم ولا قتال قومهم، ولو شاء الله لمكنهم منكم فقاتلوكم، فاقبلوا من الله عافيته، ولا تعرضوا لهم بقتل ولا أسر، فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم، وانقادوا إليكم مصالحين تاركين قتالكم، فما جعل الله لكم عليهم طريقًا بقتلهم أو أسرهم.

﴿٩١﴾ ستجدون - أيها المؤمنون - فريقًا آخر من المنافقين يظهرون لكم الإيمان ليأمنوا على أنفسهم، ويظهرون لقومهم من الكمار الكفر إذا رجعوا إليهم ليأمنوهم، كلما دُعوا إلى الكفر بالله والشرك به ففعلوا فيه أشد الوقوع. هؤلاء إذا لم يتركوا قتالكم، وينقادوا إليكم مصالحين، ويكفوا أيديهم عنكم، فخذوهم واقتلوهم أينما وجدتموهم، وأولئك الذين هذه صفتهم جعلنا لكم على أخدامهم وقتلهم حجة واضحة: لغدرهم ومكرهم.

• مِنْ قَوْلِهِ لَيَاتٍ،

- خفاء حال بعض المنافقين أوقع الخلاف بين المؤمنين في حكم التعامل معهم.
- بيان كيفية التعامل مع المنافقين بحسب أحوالهم ومقتضى المصلحة معهم.
- عدل الإسلام في الكف عن من تقع منه أذية متعدية من المنافقين.
- يكشف الجهاد في سبيل الله أهل التفات بسبب تخلفهم عنه وتكلف أعذارهم.



﴿٩٢﴾ وما ينبغي لمؤمن أن يقاتل مؤمناً أن يقتل مؤمناً إلا أن يقع ذلك منه على وجه الخطأ. ومن قتل مؤمناً على وجه الخطأ فعليه عتق نفس مملوكة مؤمنة كفارة عن فعله، وعلى قرابة القاتل الذين يرثونه دية مُسَلَّمة إلى ورثة القتيل، إلا أن يعفوا عن الدية فتسقط، فإن كان القتيل من قوم محاربين لكم وهو مؤمن؛ فيجب على القاتل عتق نفس مملوكة مؤمنة، ولا دية عليه، وإن كان القتيل غير مؤمن لكنه من قوم بينكم وبينهم عهد مثل أهل الذمة، فعلى قرابة القاتل الذين يرثونه دية مُسَلَّمة إلى ورثة القتيل. وعلى القاتل عتق نفس مملوكة مؤمنة كفارة عن فعله، فإن لم يجد من يعتقه أو لا يستطيع أن يدفع ثمنه، فعليه صيام شهرين متتابعين بلا انقطاع لا يفطر فيهما، ليتوب الله عليه مما فعل، وكان الله عليهما بأعمال عبادته ونياتهم، حكيمًا في تشريعه وتنبيره.

﴿٩٣﴾ ومن يقتل مؤمناً على وجه القصد بعير حق؛ فجزاؤه دخول جهنم حالداً فيها، إن استحل ذلك أو لم يتب، وغضب الله عليه، وطرده من رحمته، وأعد له عذاباً عظيماً لاقرافه هذا الذنب الكبير.

﴿٩٤﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، إذا خرجتم للجهاد في سبيل الله فتبثتوا في أمر من تقاتلون، ولا تقولوا لمن أظهر لكم ما يدل على إسلامه: لست مؤمناً، وإنما حملك على إظهار الإسلام الخوف على دملك ومالك، فتقتلوه تطلبون بقتله متاع الدنيا الزهيد كالغنيمة منه، فعند الله مغانم كثيرة، وهي خير وأعظم من هذا، كذلك كنتم من قبل مثل هذا الذي يخفي إيمانه من قومه، فمن الله عليكم بالإسلام فعصم دماءكم فتبثتوا إن الله لا يخفى عليه شيء من عملكم وإن دق، وسبحانكم به.

من هو بآيات،

- جاء القرآن الكريم معظماً حرمة نفس المؤمن، وناهياً عن انتهاكها، ومرتباً على ذلك أشد العقوبات.
- من عقيدة أهل السنة والجماعة أن المؤمن القاتل لا يُخلد أبداً في النار، وإنما يُعَذَّب فيها مدة طويلة ثم يخرج منها برحمة الله تعالى.
- وجوب التثبت والتبني في الجهاد، وعدم الاستعجال في الحكم على الناس حتى لا يعتدى على البريء.

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُمْ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾

﴿٩٥﴾ لا يستوي المؤمنون القاعدون عن الجهاد في سبيل الله غير أصحاب الأعداء كالمريض والمكفوفين، والمجاهدون في سبيل الله ببدل أموالهم وأنفسهم، فضل الله المجاهدين ببدل أموالهم وأنفسهم على القاعدين عن الجهاد درجة، ولكل من المجاهدين والقاعدين عن الجهاد لعذر أجره الذي يستحقه، وفضل الله المجاهدين على القاعدين باعطائهم ثواباً عظيماً من عنده.

﴿٩٦﴾ هذا الثواب منازل بعضها فوق بعض، مع مغفرة ذنوبهم ورحمته بهم، وكان الله غفوراً لعباده رحيماً بهم. ﴿٩٧﴾ إن الذين توفاهم الملائكة وهم ظالمون لأنفسهم ترك الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام، تقول لهم الملائكة حال قبض أرواحهم توبيخاً لهم: على أي حال كنتم؟ وبأي شيء تميزتم عن المشركين؟ فيحيون معتدين: كنا ضعفاء لا حول لنا ولا قوة نرد بها عن أنفسنا، فتقول لهم الملائكة توبيخاً لهم: ألم تكن بلاد الله واسعة فتخرجوا إليها لتأمنوا؟ على دينكم وأنفسكم من الإدلال والقهر؟ فأولئك الذين لم يهاجروا مآواهم الذي يستقرون فيه هو النار، وساءت مرحلاً ومأناً لهم.

﴿٩٨﴾ ويستثنى من هذا الوعيد الصغاء أصحاب الأعداء رجالاً كانوا أو نساء أو أطفالاً، ممن لا قوة لهم يدفعون بها عنهم الظلم والقهر، ولا يهتدون إلى طريقه للتخلص مما هم فيه من القهر، فأولئك عسى الله برحمته ولطفه أن يعفو عنهم، وكان الله عفواً عن عباده غفوراً لمن تاب منهم.

لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِّ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا قَالُوا لَئِنْ مَاؤُنْهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ قَالُوا لَكَ عَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٩﴾ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْعًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا ضَرَيْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾

ولما ذكر الوعيد على ترك الهجرة مع القدرة عليها رغب فيها، فقال:

﴿٩٥﴾ ومن يهاجر من بلد الكفر إلى بلد الإسلام ابتغاء مرضاة الله يجد في الأرض التي هاجر إليها منحولاً وأرضاً غير أرضه التي ترك، يقال فيها العزة والرزق الواسع، ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله، ثم ينزل به الموت قبل وصوله إلى مهاجراته، فقد ثبت أجره على الله، ولا يصره أنه لم يصل إلى مهاجراته، وكان الله غفوراً لمن تاب من عباده، رحيماً بهم.

﴿٩٦﴾ وإذا سافرتم في الأرض فليس عليكم إثم في قصر الصلاة الرباعية من أربع ركعات إلى ركعتين، إن خفتهم أن يلحقكم مكروه من الكافرين، إن عداوة الكافرين لكم عداوة ظاهرة بينة، وقد ثبت بالسنة الصحيحة جوار القصر في السفر حال الأمن من فوائده الآيات:

- فضل الجهاد في سبيل الله وعظم أجر المجاهدين، وأن الله وعدهم منازل عالية في الجنة لا يبلغها غيرهم.
- أصحاب الأعداء يسقط عنهم فرض الجهاد مع ما لهم من أجر إن حسنت نيتهم.
- فضل الهجرة إلى بلاد الإسلام، ووجوبها على القادر إن كان يخشى على دينه في بلده.
- مشروعية قصر الصلاة في حال السفر.

وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلِتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَّرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ١٣

فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ١٤ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلُمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلُمُونَ كَمَا تَأْلُمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ١٥ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ١٥

﴿١٣﴾ وإذا كنت - أيها الرسول - في الجيش وقت قتال العدو، فأردت أن تصلي بهم، فقسّم الجيش جماعتين: تقوم جماعة منهم تصلي معك، وليأخذوا أسلحتهم معهم في صلاتهم، ولتكن الجماعة الأخرى في حراستكم. فإذا صلت الجماعة الأولى ركعة مع الإمام أتمت لنفسها الصلاة. فإذا صلوا فليكوبوا من ورائكم تجاه العدو، ولتأت الجماعة التي كانت في الحراسة ولم يصلوا، فليصلوا ركعة مع الإمام، فإذا سلم الإمام أتموا ما بقي من صلاتهم، وليأخذوا حذرهم من عدوهم، وليحملوا أسلحتهم، فإن الذين كفروا يتمنون أن تغفلوا عن أسلحتكم وأمّعتكم إذا صليتم فيحملون عليكم حملة واحدة، ويأخذونكم في غفلتكم، ولا اثم عليكم إن أصابكم أذى بسبب المطر أو كنتم مرضى ونحوه، أن تصعدوا أسلحتكم فلا تحملوها، واحترروا من عدوكم بما تستطيعون، إن الله هينا للكافرين عذابا مذلّا لهم.

﴿١٤﴾ فإذا فرغتم - أيها المؤمنون - من الصلاة فادكروا الله بالتسبيح والتحميد والتهليل في كل أحوالكم قيامًا وقعودًا وعلى جنوبكم، فإذا رآل عنكم الخوف وأمّنتم فأدوا الصلاة تامة بأركانها وواجباتها ومستحباتها على ما أمرتم. إن الصلاة كانت على المؤمنين فريضة محددة بوقت، لا يجوز تأخيرها عنه إلا لعذر، هذا في حالة الإقامة، أما في حالة السفر فلكم الجمع والقصر.

﴿١٥﴾ ولا تضعفوا - أيها المؤمنون - ولا تكتسبوا في طلب عدوكم من الكافرين،

فإن كنتم تتوجعون لما يصيبكم من القتل والجراح فإنهم كذلك يتوجعون كما تتوجعون، ويصيبهم مثل ما يصيبكم، فلا يكن صبرهم أعظم من صبركم، فإنكم ترجون من الله من الثواب والنصر والتأييد ما لا يرجونه، وكان الله عليماً بأحوال عباده، حكيمًا في تدبيره وتشريعه.

﴿١٥﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ أَيُّهَا الرَّسُولُ الْقُرْآنَ مُشْتَمِلًا عَلَى الْحَقِّ لِنُقْصِلَ بَيْنَ النَّاسِ فِي كُلِّ شَأْنٍ وَهُمْ بِمَا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ وَأَلْهَمَكُمُ لَا يَهْوَاكَ وَرَايَكَ، وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ لِأَنفُسِهِمْ وَأَمَانَتِهِمْ مَدَافِقًا تَرُدُّ عَنْهُمْ مِنْ طَالِبِهِم بِالْحَقِّ.

﴿١٥﴾ مِن قَوْلِهِ: لَا يَهْوَاكَ وَرَايَكَ،

- استحباب صلاة الخوف وبيان أحكامها وصفاتها.
- الأمر بالأخذ بالأسباب في كل الأحوال، وأن المؤمن لا يعذر في تركها حتى لو كان في عبادة.
- مشروعية دوام ذكر الله تعالى على كل حال، فهو حياة القلوب وسبب طمانينتها.
- النهي عن الضعف والكسل في حال قتال العدو، والأمر بالصبر على قتاله.



٢٤ واطلب المغفرة والعفو من الله، إن الله كان غفوراً لمن تاب إليه من عباده، رحيماً به.

٢٥ ولا تحاصم عن أي شخص يخون ويبالغ في إخفاء خيائته، والله لا يحب من كان كثير الخيانة والإثم.

٢٦ يستترون من الناس عند ارتكابهم معصية خوفاً وحياءً، ولا يستترون من الله، وهو معهم بإحاطته بهم، لا يخفي عليه منهم شيء حين يدترون خفية ما لا يرضى من القول، كالدفاع عن المذنب واتهام البريء.

٢٧ وكان الله بما يعملون محيطاً، والعلن محيطاً، لا يخفي عليه شيء، وسيجازيهم على أعمالهم.

٢٨ ما أنتم يا من يهكم أمر هؤلاء الذين يرتكبون جرماً - خاصمتهم عنهم في الحياة الدنيا لتبتوا برأئهم، وتدفعوا عنهم العقوبة، فمن الذي يجادل الله عنهم يوم القيامة وقد علم حقيقة حالهم؟ ومن الذي يكون وكيلاً عليهم في ذلك اليوم؟ ولا شك أن أحداً لا يستطيع ذلك.

٢٩ ومن يعمل عملاً سيئاً، أو يظلم نفسه باقتراف المعاصي، ثم يطلب المغفرة من الله مقرباً بذنبه نادماً عليه مقلماً عنه، يجد الله أبداً غفوراً لذنبه رحيماً به.

٣٠ ومن يرتكب إثماً صغيراً أو كبيراً فإنما عقوبته عليه وحده، لا تتجاوز إلى غيره، وكان الله عليماً بأعمال العباد، حكيماً في تديبره وتشريعه.

٣١ ومن يرتكب خطيئة على غير عمد، أو إثماً يعمد، ثم يتهم به إنساناً بريئاً من ذلك الذنب، فقد تحمّل بعبثه

لذنبه رحيماً به.

٣٢ ومن يرتكب إثماً صغيراً أو كبيراً فإنما عقوبته عليه وحده، لا تتجاوز إلى غيره، وكان الله عليماً بأعمال العباد، حكيماً في تديبره وتشريعه.

٣٣ ومن يرتكب خطيئة على غير عمد، أو إثماً يعمد، ثم يتهم به إنساناً بريئاً من ذلك الذنب، فقد تحمّل بعبثه

لذنبه رحيماً به.

وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ١٠٦ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَانًا أَثِيمًا ١٠٧ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ ١٠٨ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ١٠٩ هَآأَنْتُمْ هَآؤَآءِ جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ١١٠ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ١١١ وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبْهُ وَعَلَى نَفْسِهِ ١١٢ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ١١٣ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدْ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ١١٤ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ وَلَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَنْ يُضْلَوْكَ وََمَا يُضْلُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّوكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ١١٥

ذلك كدنا شديداً، وإثماً بيئاً.

١٠٦ ولولا فضل الله عليك أيها الرسول بعصمتك لعرمت جماعة من هؤلاء الذين يخونون أنفسهم أن يضلوك عن الحق فتحكم بعمر القسط، وما يضلون حقيقة إلا أنفسهم: لأن عاقبة ما اقترفوه من محاولة الإضلال راجع عليهم، وما يقدر على إيذائك لعصمة الله لك، وأمر الله عليك القرآن والسنة، وعلمك من الهدى والنور ما لم تكن تعلم قبل ذلك، وكان فضل الله عليك بالنبوة والعصمة عظيماً.

من قوايد الآيات:

- النهي عن المداغة والمخاصمة عن المبطلين، لأن ذلك من التعاون على الإثم والعدوان.
- ينبغي للمؤمن الحق أن يكون خوفه من الله وتعظيمه والحياء منه فوق كل أحد من الناس.
- سعة رحمة الله ومغفرته لمن ظلم نفسه، مهما كان ظلمه إذا صدق في توبته، ورجع عن ذنبه.
- التحذير من اتهام البريء وقذفه بما لم يكن منه: وأن فاعل ذلك قد وقع في أشد الكذب والإثم.

﴿١١٠﴾ لا خير في كثير من الناس، ولا نفع منه، إلا إن كان كلامهم أمراً بصدقة، أو معروف جاء به الشرع ودل عليه العقل، أو دعوة إلى الإصلاح بين المتنازعين، ومن يفعل ذلك طلباً لرضا الله صوف نؤتيه ثواباً عظيماً.

﴿١١١﴾ ومن يعاند الرسول ويخالفه فيما جاء به من بعد ما اتضح له الحق، ويتبع طريقاً غير طريق المؤمنين، تنكره وما اخنار لنفسه، ولا نوقه للحق لإعراضه عن عمد، ويدخله نار جهنم يمانى حرّها، وساءت مرحفاً لأهلها.

﴿١١٢﴾ إن الله لا يغفر أن يُشرك به، بل يُخلد المشرك في النار، ويعقر ما دون الشرك من المعاصي لمن يشاء برحمته وفضله، ومن يشرك مع الله أحداً فقد تاه عن الحق وبعد عنه بعداً كثيراً؛ لأنه سَوَّى بين الخالق والمخلوق. ﴿١١٣﴾ ما يعبد هؤلاء المشركون ويدعون مع الله إلا أوثاناً مسمّاة بأسماء الإناث كالكالات والعُزَّى، لا نفع لها ولا ضرر، وما يعبدون في الحقيقة إلا شيطاناً خارجاً عن طاعة الله لا خير فيه؛ لأنه هو الذي أمرهم بعبادة الأوثان.

﴿١١٤﴾ ولذلك طرده الله من رحمته. وقال هذا الشيطان لربه حائفاً: لأجعلن لي من عبادك قسماً معلوماً أغويهم عن الحق.

﴿١١٥﴾ ولأصدبهم عن صراطك المستقيم، ولأُمْنِيَنَّهُم بالوعود الكاذبة التي تزين لهم ضلالهم. ولأمرتهم بتقطع آذان الأنعام لتحريم ما أحل الله منها، ولأمرتهم بتغيير خلق الله وفطرته، ومن يتخذ

﴿١١٠﴾ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ جَوَلُهُمْ إِلَّا مَن أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْصِ أَمْرًا مِّنْهُ يَعْصِ سَبِيلَ اللَّهِ وَمَن يَعْصِ سَبِيلَ اللَّهِ يَفْعَلْهُ لِنَفْسِهِ وَسَلَامًا ﴿١١٢﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١١٣﴾ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا الشَّيْطَانَ مَرِيدًا ﴿١١٤﴾ لَّعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٥﴾ وَلَا ضَلَالَتُهُمْ وَلَا مُنِيَتُهُمْ وَلَا مُرْتَهُمُ فَلْيَغْيِرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٦﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمْنِيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١١٧﴾ أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١١٨﴾

الشيطان ولياً يتولاه ويطيعه فقد خسر خسراناً بئساً بموالاته الشيطان الرجيم.

﴿١١٩﴾ يصدبهم الشيطان الوعود الكاذبة، ويُمْنِيهِم الأمانى الباطلة، وما يعدهم في الواقع إلا ناطلاً لا حقيقة له.

﴿١٢٠﴾ أولئك المتبعون لخطوات الشيطان وما يعليه عليهم مستقرهم نار جهنم لا يجدون عنها مهراً يلحظون إليه.

﴿١٢١﴾ مِن قَوْلِهِمْ لَأَنَّا

● أكثر تناجي الناس لا خير فيه، بل ربما كان فيه وزر، وقيل من كلامهم فيما بينهم يتضمن خيراً ومعروفاً.

● معاندة الرسول ﷺ ومخالفة سبيل المؤمنين نهايتها البعد عن الله ودخول النار.

● كل الذنوب تحت مشيئة الله، فقد يُغفر لصاحبها، إلا الشرك. فلا يغفره الله أبداً، إذا لم ينت صاحبه ومات عليه.

● غاية الشيطان صرف الناس عن عبادة الله تعالى، ومن أعظم وسائله تزيين الباطل بالأمانى الغرارة والوعود الكاذبة.

ولما ذكر الله جزاء أتباع الشيطان ذكر جزاء أتباع الرسل، فقال: والذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحة المقربة إليه سندخلهم جنات تجري الأنهار من تحت قصورها، ماكتين فيها أبدًا، وعدًا من الله، ووعدته تعالى حق، فهو لا يخلف الميعاد، ولا أحد أصدق من الله قولاً.

ليس أمر النجاة والفوز تابعاً لما تتمنون - أيها المسلمون - أو لما يتمناه أهل الكتاب، بل الأمر تابع للعمل، فمن يعمل منكم عملاً سيئاً يجاز به يوم القيامة، ولا يجد له من دون الله ولياً يجلب له النفع، ولا نصيراً يدفع عنه الضر.

ومن يعمل من الأعمال الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن بالله تعالى حقاً فأولئك الذين جمعوا بين الإيمان والعمل يدخلون الجنة، ولا ينقصون من ثواب أعمالهم شيئاً، ولو كان شيئاً قليلاً قدر النقرة التي تكون في طهر بواة التمر.

ولا أحد أحسن ديناً ممن أسلم لله ظاهراً وباطناً وأخلص نيته له، واحسن في عمله باتباع ما شرع، واتباع دين إبراهيم الذي هو أصل دين محمد ﷺ مانلاً عن الشرك والكفر إلى التوحيد والإيمان، واصطفى الله نبيه إبراهيم ﷺ بالمحبة التامة من بين سائر خلقه، والله وحده ملك ما في السموات وما في الأرض، وكان الله محيطاً بكل شيء من خلقه علماً وقدره وتدبيراً.

ويسألوك أيها الرسول - في أمر النساء وما يجب لهن وعليهن، قل:

الله يبين لكم ما سألتكم عنه، ويبين لكم ما يتلى عليكم في القرآن، في شأن اليتامى من النساء الثلاثي تحت ولايتكم. ولا تؤتوهن ما فرض الله لهن من المهر أو الميراث، ولا ترعبون في نكاحهن، وتمنعوهن من النكاح طمعاً في أموالهن. ويبين لكم ما يجب في المستضعفين من الصغار، من إعطائهم حقهم من الميراث، وألا تظلموهم بالاستيلاء على أموالهم، ويبين لكم وجوب القيام على اليتامى بالعدل بما يصلح شأنهم في الدنيا والآخرة، وما تقبلوا من خير اليتامى وغيرهم فإن الله عليهم به، وسيجازيكم به.

من تأييد الآيات،

- ما عند الله من الثواب لا يُنال بمجرد الأمانى والدعاوى، بل لا بد من الإيمان والعمل الصالح.
- الجزاء من جنس العمل، فمن يعمل سوءاً يُجز به، ومن يعمل خيراً يُجز بأحسن منه.
- الإخلاص والاتباع هما مقياس قبول العمل عند الله تعالى.
- غُظِّمَ الإسلام حقوق الفئات الضعيفة من النساء والصغار، فحرم الاعتداء عليهم، وأوجب رعاية مصالحهم في ضوء ما شرع.

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ۝١٢٢ لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝١٢٣ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ۝١٢٤ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ۝١٢٥ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا ۝١٢٦ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتِمَّى النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُوْتُوهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَمَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ۝١٢٧



﴿١٢٨﴾ وَإِنْ خَافَتْ امْرَأَةٌ امْرَأَةً مِنْ زَوْجِهَا تَرْفُقًا عَنْهَا وَعَدَمَ رَغْبَةٍ فِيهَا فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَصَالَحَا بَأَنْ تَتَارَلَ عَنْ بَعْضِ الْحَقُوقِ الْوَاجِبَةِ لَهَا كَحَقِّ النَّمَقَةِ وَالْمَبِيتِ، وَالصَّلَاحِ هُنَا خَيْرٌ لهُمَا مِنَ الطَّلَاقِ، وَقَدْ حُبِلَتْ النَفُوسُ عَلَى الْحَرَصِ وَالْبَخْلِ، فَلَا تَرْغَبُ فِي التَّزَالُ عَمَّا لَهَا مِنْ حَقٍّ، فَيَنْفِي لِلزَّوْجَيْنِ عِلَاجَ هَذَا الْخَلْقِ بِتَرْبِيَةِ النَّفْسِ عَلَى التَّسَامُحِ وَالْإِحْسَانِ. وَإِنْ تَحَسَّنُوا فِي كُلِّ شَيْءٍ مِنْكُمْ، وَتَتَّقُوا اللَّهَ بِامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ، فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ، وَسَيَجَازِيكُمْ بِهِ.

﴿١٢٩﴾ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَيُّهَا الزَّوْجَانِ أَنْ تَعْدِلُوا الْعَدْلَ التَّامَ مَعَ الزَّوْجَاتِ فِي الْمِيلِ الْقَلْبِيِّ، وَلَوْ حَرَصْتُمْ عَلَى ذَلِكَ؛ بِسَبَبِ أُمُورٍ رُبَّمَا تَكُونُ خَارِجَةً عَنْ إِرَادَتِكُمْ، فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ عَنِ الَّتِي لَا تَحِبُّونَهَا فَتَهْتَكُوهَا مِثْلَ الْمَعْلَقَةِ لَا هِيَ ذَاتُ زَوْجٍ يَقُومُ بِحَقِّهَا، وَلَا غَيْرُ ذَاتٍ رُوحٍ فَتَنْطَلِعَ لِلزَّوْجِ، وَإِنْ تَصْلَحُوا مَا بَيْنَكُمْ بِأَنْ تَحْمِلُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَى مَا لَا تَهْوَاهُ مِنَ الْقِيَامِ بِحَقِّ الزَّوْجَةِ، وَتَتَّقُوا اللَّهَ فِيهَا، فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا بِكُمْ.

﴿١٣٠﴾ وَإِنْ يَتَفَرَّقُ الزَّوْجَانِ بِطُلَاقٍ أَوْ خُلْعٍ يَفْنَى اللَّهُ كِلَاهُمَا مِنْ فَضْلِهِ الْوَاسِعِ، وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعَ الْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ، حَكِيمًا فِي تَدْبِيرِهِ وَتَقْدِيرِهِ.

﴿١٣١﴾ وَلِلَّهِ وَحْدَهُ مَلِكٌ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَلِكٌ مَا بَيْنَهُمَا، وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى أَهْلِ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، وَعَهِدْنَا إِلَيْكُمْ بِامْتِثَالِ أَوَامِرِ اللَّهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ، وَإِنْ تَكْفُرُوا بِهَذَا الْعَهْدِ فَلَنْ تُضْرَرُوا إِلَّا أَنْفُسُكُمْ، فَاللَّهُ غَنِيٌّ عَنْ طَاعَتِكُمْ، فَلَهُ مَلِكٌ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، وَهُوَ الْغَنِيُّ عَنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ، الْمَحْمُودُ عَلَى جَمِيعِ صِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ.

﴿١٣٢﴾ وَلِلَّهِ وَحْدَهُ مَلِكٌ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، الْمُسْتَقِيقُ أَنْ يَطَاعَ، وَكَفَى بِاللَّهِ مَتَوَلِّيًا تَدْبِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَلَقَهُ.

﴿١٣٣﴾ إِنْ يَشَأْ يُهْلِكْكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - وَيَأْتِ بِآخِرِينَ غَيْرِكُمْ يَطِيعُونَ اللَّهَ وَلَا يَعِصُونَهُ، وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا.

﴿١٣٤﴾ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - يَرِيدُ بِعَمَلِهِ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَقَطْ، فَلْيَعْلَمْ أَنَّ عِنْدَ اللَّهِ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَيَطْلُبُ ثَوَابَهُمَا مِنْهُ، وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا لِقَوْلِكُمْ، بَصِيرًا بِأَفْعَالِكُمْ، وَسَيَجَازِيكُمْ عَلَيْهَا.

﴿١٣٥﴾ مِنْ قَوْلِهِمُ الْآيَاتِ:

● استحباب المصالحة بين الزوجين عند المنازعة. وتعليل المصالحة بالتنازل عن بعض الحقوق لإدانة لعقد الزوجية.

● أوجب الله تعالى العدل بين الزوجات خاصة في الأمور المادية التي هي في مقدور الأزواج، وتسامح الشرع حين يتعذر العدل في الأمور المعنوية، كالحب والميل القلبي.

● لا حرج على الزوجين في التفراق إذا تعذرت العشرة بينهما.

● الوصية الجامعة للخلق جميعاً أولهم وآخرهم هي الأمر بتقوى الله تعالى بامتنال الأوامر واجتناب النواهي.

وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُواهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٢٩﴾ وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخِرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾

﴿١٣٥﴾ مِنْ قَوْلِهِمُ الْآيَاتِ:

● استحباب المصالحة بين الزوجين عند المنازعة. وتعليل المصالحة بالتنازل عن بعض الحقوق لإدانة لعقد الزوجية.

● أوجب الله تعالى العدل بين الزوجات خاصة في الأمور المادية التي هي في مقدور الأزواج، وتسامح الشرع حين يتعذر العدل في الأمور المعنوية، كالحب والميل القلبي.

● لا حرج على الزوجين في التفراق إذا تعذرت العشرة بينهما.

● الوصية الجامعة للخلق جميعاً أولهم وآخرهم هي الأمر بتقوى الله تعالى بامتنال الأوامر واجتناب النواهي.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوْا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴿١٣٧﴾ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِيتُوا عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يَكْفُرُ بِهَا وَيَسْتَهْزِئُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾

١٠٠

القوة والمنعة ليرتفعوا بها؟! فإن القوة والمنعة كلها لله.

﴿١٣٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاتَّبِعُوا رَسُولَهُ، كُونُوا قَائِمِينَ بِالْعَدْلِ فِي كُلِّ أحوالكم، مؤدِّين الشهادة بالحق مع كل أحد، ولو اقتضى ذلك أن تُصَرُّوا على أنفسكم بالحق، أو على والديكم أو الأقربين منكم، ولا يحملنكم فقر أحد أو غناه على الشهادة أو تركها، فالله أولى بالفقر والغنى منكم وأعلم بمصالحهما، فلا تتبعوا الأهواء في شهادتكم لثلاث تميذوا عن الحق فيها، وإن حرفتم الشهادة بأدائها على غير وجهها، أو أعرستم عن أدائها؛ فإن الله كان بما تعملون خبيرًا.

﴿١٣٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اثْبَتُوا عَلَى إيمانكم بالله وبرسوله، وبالقرآن الذي أنزله على رسوله، وبالكتب التي أنزلها على الرسل من قبله، ومن يكفر بالله وبملائكته وبكتبه وبرسوله وبيوم القيامة، فقد نعد عن الطريق المستقيم نعدًا عظيمًا.

﴿١٣٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَكَرَّرَ مِنْهُمْ الْكُفْرُ بَعْدَ الْإِيمَانِ، بَانَ دَحْلُوا فِي الْإِيمَانِ ثُمَّ ارْتَدَوْا عَنْهُ، ثُمَّ دَحَلُوا فِيهِ، ثُمَّ ارْتَدَوْا عَنْهُ، وَأَصْرُوا عَلَى الْكُفْرِ وَمَاتُوا عَلَيْهِ، لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ ذُنُوبَهُمْ، وَلَا لِيُوفِّقَهُمُ إِلَى الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ الْمُوصِلِ إِلَيْهِ تَعَالَى.

﴿١٣٨﴾ بَشِّرِ أَيُّهَا الرُّسُولُ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ الْإِيمَانَ، وَيُطِيطُونَ الْكُفْرَ، بَانَ لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابًا مُوحِنًا.

﴿١٣٩﴾ هَذَا الْعَذَابُ لِأَنَّهُمْ اتَّخَذُوا الْكُفْرَ أَنْصَارًا وَأَعْوَانًا مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ، وَإِنَّهُ لَمُعْجَبٌ ذَلِكَ الَّذِي جَعَلَهُمْ يَوَالِيَهُمْ، أَيْطَلِبُونَ عَنْدهم

﴿١٤٠﴾ مِنْ تَوَابِدِ الْآيَاتِ،

- وجوب العدل في القضاء بين الناس وعند أداء الشهادة، حتى لو كان الحق على النفس أو على أحد من القرابة.
- على المؤمن أن يحتج في فعل ما يزيد إيمانه من أعمال القلوب والحوارج، ويثبت في قلبه.
- عظم خطر المنافقين على الإسلام وأهله ولهذا فقد توعدهم الله بأشد العقوبة في الآخرة.
- إذا لم يستطع المؤمن الإنكار على من يتناول على آيات الله وشرعه، فلا يجوز له الجلوس معه على هذه الحال.

الذين ينتظرون ما يحصل لكم  
من خير أو شر ، فإن كان لكم نصر  
من الله وعنتهم قالوا لكم : ألم نكن  
معكم ، شهدنا ما شهدتم ؟! لينالوا من  
الغنيمة ، وإن كان للكافرين حظ  
قالوا لهم : ألم تتول شؤونكم وتحطكم  
إحاطة الغاية والبصرة ونحكم من  
المؤمنين بأعانتكم وتحذيلهم ؟! قاله  
يحكم بينكم حميلاً يوم القيامة ،  
فيجاري المؤمنين بدخول الجنة ،  
ويجاري المنافقين بدخول الدرك  
الأسفل من النار ، ولن يجعل الله  
نفضله للكافرين حجة على المؤمنين  
يوم القيامة ، بل سيجعل العاقبة  
للمؤمنين ما داموا عاملين بالشرع  
صادقي الإيمان .

بإظهار الإسلام وأصنام الكمر، وهو خادعهم، لأنه عصم دماءهم مع علمه بكرهم. وأعد لهم أشد العقوبة في الآخرة، وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى كارهين لها، يقصدون رؤية الناس وتعظيمهم، ولا يخلصون لله، ولا يذكرون الله إلا قليلاً إذا رأوا المؤمنين.

هؤلاء المنافقون متردّون في  
خيرة. فلا هم مع المؤمنين طاهراً  
وباطناً ولا مع الكافرين، بل ظاهرهم  
مع المؤمنين وباطنهم مع الكافرين.  
ومن يضل الله قلن تجده - أيها  
الرسول طريقاً لهديته من الضلال.  
يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا  
رسوله، لا تتخذوا الكافرين بالله  
أصفياء والوالهمن من دون المؤمنين.  
أتريدون بفعلكم هذا أن تجعلوا لله  
عليكم حجة بينة دالة على استحقاقكم  
العقاب؟

١٤٦  
١٤٧  
١٤٨  
١٤٩  
١٥٠  
١٥١  
١٥٢  
١٥٣  
١٥٤  
١٥٥  
١٥٦  
١٥٧  
١٥٨  
١٥٩  
١٦٠  
١٦١  
١٦٢  
١٦٣  
١٦٤  
١٦٥  
١٦٦  
١٦٧  
١٦٨  
١٦٩  
١٧٠  
١٧١  
١٧٢  
١٧٣  
١٧٤  
١٧٥  
١٧٦  
١٧٧  
١٧٨  
١٧٩  
١٨٠  
١٨١  
١٨٢  
١٨٣  
١٨٤  
١٨٥  
١٨٦  
١٨٧  
١٨٨  
١٨٩  
١٩٠  
١٩١  
١٩٢  
١٩٣  
١٩٤  
١٩٥  
١٩٦  
١٩٧  
١٩٨  
١٩٩  
٢٠٠  
٢٠١  
٢٠٢  
٢٠٣  
٢٠٤  
٢٠٥  
٢٠٦  
٢٠٧  
٢٠٨  
٢٠٩  
٢١٠  
٢١١  
٢١٢  
٢١٣  
٢١٤  
٢١٥  
٢١٦  
٢١٧  
٢١٨  
٢١٩  
٢٢٠  
٢٢١  
٢٢٢  
٢٢٣  
٢٢٤  
٢٢٥  
٢٢٦  
٢٢٧  
٢٢٨  
٢٢٩  
٢٣٠  
٢٣١  
٢٣٢  
٢٣٣  
٢٣٤  
٢٣٥  
٢٣٦  
٢٣٧  
٢٣٨  
٢٣٩  
٢٤٠  
٢٤١  
٢٤٢  
٢٤٣  
٢٤٤  
٢٤٥  
٢٤٦  
٢٤٧  
٢٤٨  
٢٤٩  
٢٥٠  
٢٥١  
٢٥٢  
٢٥٣  
٢٥٤  
٢٥٥  
٢٥٦  
٢٥٧  
٢٥٨  
٢٥٩  
٢٦٠  
٢٦١  
٢٦٢  
٢٦٣  
٢٦٤  
٢٦٥  
٢٦٦  
٢٦٧  
٢٦٨  
٢٦٩  
٢٧٠  
٢٧١  
٢٧٢  
٢٧٣  
٢٧٤  
٢٧٥  
٢٧٦  
٢٧٧  
٢٧٨  
٢٧٩  
٢٨٠  
٢٨١  
٢٨٢  
٢٨٣  
٢٨٤  
٢٨٥  
٢٨٦  
٢٨٧  
٢٨٨  
٢٨٩  
٢٩٠  
٢٩١  
٢٩٢  
٢٩٣  
٢٩٤  
٢٩٥  
٢٩٦  
٢٩٧  
٢٩٨  
٢٩٩  
٣٠٠  
٣٠١  
٣٠٢  
٣٠٣  
٣٠٤  
٣٠٥  
٣٠٦  
٣٠٧  
٣٠٨  
٣٠٩  
٣١٠  
٣١١  
٣١٢  
٣١٣  
٣١٤  
٣١٥  
٣١٦  
٣١٧  
٣١٨  
٣١٩  
٣٢٠  
٣٢١  
٣٢٢  
٣٢٣  
٣٢٤  
٣٢٥  
٣٢٦  
٣٢٧  
٣٢٨  
٣٢٩  
٣٣٠  
٣٣١  
٣٣٢  
٣٣٣  
٣٣٤  
٣٣٥  
٣٣٦  
٣٣٧  
٣٣٨  
٣٣٩  
٣٤٠  
٣٤١  
٣٤٢  
٣٤٣  
٣٤٤  
٣٤٥  
٣٤٦  
٣٤٧  
٣٤٨  
٣٤٩  
٣٥٠  
٣٥١  
٣٥٢  
٣٥٣  
٣٥٤  
٣٥٥  
٣٥٦  
٣٥٧  
٣٥٨  
٣٥٩  
٣٦٠  
٣٦١  
٣٦٢  
٣٦٣  
٣٦٤  
٣٦٥  
٣٦٦  
٣٦٧  
٣٦٨  
٣٦٩  
٣٧٠  
٣٧١  
٣٧٢  
٣٧٣  
٣٧٤  
٣٧٥  
٣٧٦  
٣٧٧  
٣٧٨  
٣٧٩  
٣٨٠  
٣٨١  
٣٨٢  
٣٨٣  
٣٨٤  
٣٨٥  
٣٨٦  
٣٨٧  
٣٨٨  
٣٨٩  
٣٩٠  
٣٩١  
٣٩٢  
٣٩٣  
٣٩٤  
٣٩٥  
٣٩٦  
٣٩٧  
٣٩٨  
٣٩٩  
٤٠٠  
٤٠١  
٤٠٢  
٤٠٣  
٤٠٤  
٤٠٥  
٤٠٦  
٤٠٧  
٤٠٨  
٤٠٩  
٤١٠  
٤١١  
٤١٢  
٤١٣  
٤١٤  
٤١٥  
٤١٦  
٤١٧  
٤١٨  
٤١٩  
٤٢٠  
٤٢١  
٤٢٢  
٤٢٣  
٤٢٤  
٤٢٥  
٤٢٦  
٤٢٧  
٤٢٨  
٤٢٩  
٤٣٠  
٤٣١  
٤٣٢  
٤٣٣  
٤٣٤  
٤٣٥  
٤٣٦  
٤٣٧  
٤٣٨  
٤٣٩  
٤٤٠  
٤٤١  
٤٤٢  
٤٤٣  
٤٤٤  
٤٤٥  
٤٤٦  
٤٤٧  
٤٤٨  
٤٤٩  
٤٥٠  
٤٥١  
٤٥٢  
٤٥٣  
٤٥٤  
٤٥٥  
٤٥٦  
٤٥٧  
٤٥٨  
٤٥٩  
٤٦٠  
٤٦١  
٤٦٢  
٤٦٣  
٤٦٤  
٤٦٥  
٤٦٦  
٤٦٧  
٤٦٨  
٤٦٩  
٤٧٠  
٤٧١  
٤٧٢  
٤٧٣  
٤٧٤  
٤٧٥  
٤٧٦  
٤٧٧  
٤٧٨  
٤٧٩  
٤٨٠  
٤٨١  
٤٨٢  
٤٨٣  
٤٨٤  
٤٨٥  
٤٨٦  
٤٨٧  
٤٨٨  
٤٨٩  
٤٩٠  
٤٩١  
٤٩٢  
٤٩٣  
٤٩٤  
٤٩٥  
٤٩٦  
٤٩٧  
٤٩٨  
٤٩٩  
٥٠٠  
٥٠١  
٥٠٢  
٥٠٣  
٥٠٤  
٥٠٥  
٥٠٦  
٥٠٧  
٥٠٨  
٥٠٩  
٥١٠  
٥١١  
٥١٢  
٥١٣  
٥١٤  
٥١٥  
٥١٦  
٥١٧  
٥١٨  
٥١٩  
٥٢٠  
٥٢١  
٥٢٢  
٥٢٣  
٥٢٤  
٥٢٥  
٥٢٦  
٥٢٧  
٥٢٨  
٥٢٩  
٥٣٠  
٥٣١  
٥٣٢  
٥٣٣  
٥٣٤  
٥٣٥  
٥٣٦  
٥٣٧  
٥٣٨  
٥٣٩  
٥٤٠  
٥٤١  
٥٤٢  
٥٤٣  
٥٤٤  
٥٤٥  
٥٤٦  
٥٤٧  
٥٤٨  
٥٤٩  
٥٥٠  
٥٥١  
٥٥٢  
٥٥٣  
٥٥٤  
٥٥٥  
٥٥٦  
٥٥٧  
٥٥٨  
٥٥٩  
٥٦٠  
٥٦١  
٥٦٢  
٥٦٣  
٥٦٤  
٥٦٥  
٥٦٦  
٥٦٧  
٥٦٨  
٥٦٩  
٥٧٠  
٥٧١  
٥٧٢  
٥٧٣  
٥٧٤  
٥٧٥  
٥٧٦  
٥٧٧  
٥٧٨  
٥٧٩  
٥٨٠  
٥٨١  
٥٨٢  
٥٨٣  
٥٨٤  
٥٨٥  
٥٨٦  
٥٨٧  
٥٨٨  
٥٨٩  
٥٩٠  
٥٩١  
٥٩٢  
٥٩٣  
٥٩٤  
٥٩٥  
٥٩٦  
٥٩٧  
٥٩٨  
٥٩٩  
٦٠٠  
٦٠١  
٦٠٢  
٦٠٣  
٦٠٤  
٦٠٥  
٦٠٦  
٦٠٧  
٦٠٨  
٦٠٩  
٦١٠  
٦١١  
٦١٢  
٦١٣  
٦١٤  
٦١٥  
٦١٦  
٦١٧  
٦١٨  
٦١٩  
٦٢٠  
٦٢١  
٦٢٢  
٦٢٣  
٦٢٤  
٦٢٥  
٦٢٦  
٦٢٧  
٦٢٨  
٦٢٩  
٦٣٠  
٦٣١  
٦٣٢  
٦٣٣  
٦٣٤  
٦٣٥  
٦٣٦  
٦٣٧  
٦٣٨  
٦٣٩  
٦٤٠  
٦٤١  
٦٤٢  
٦٤٣  
٦٤٤  
٦٤٥  
٦٤٦  
٦٤٧  
٦٤٨  
٦٤٩  
٦٥٠  
٦٥١  
٦٥٢  
٦٥٣  
٦٥٤  
٦٥٥  
٦٥٦  
٦٥٧

● **میں فوائدِ آیات:**

- بيان صفات المنافقين، ومنها: حرصهم على حظ أنفسهم سواء كان مع المؤمنين أو مع الكافرين.
- أعظم صفات المنافقين تذذُّبُهُمْ وحيرتهم واضطرابهم، فلا هم مع المؤمنين حقًا ولا مع الكافرين.
- النهي الشديد عن اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين.
- أعظم ما ينتهي به المرء عذاب الله تعالى في الآخرة هو الإيمان والعمل الصالح.

الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ بِكُمُ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا  
الْمَن تَكُن مَّعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا  
الْمَن نَّسْتَحِذُ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعُكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَهُ يَحْكُمُ  
بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ  
سَبِيلًا ﴿١٤٦﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا  
قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ  
اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٧﴾ مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى  
هَؤُلَاءِ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿١٤٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ  
ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ  
أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا اللَّهَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿١٤٩﴾ إِنَّ  
الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا  
﴿١٥٠﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا  
دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ  
الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٥١﴾ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ  
إِنْ شَكَرْتُمْ وَعَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٥٢﴾

﴿١٦﴾ إِنْ الْمُنَافِقِينَ سَجَعْلَهُمُ اللَّهُ فِي الْمَكَارِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَلَنْ تَحُدَّ لَهُمْ تَصِيرًا يَدْفَعُ عَنْهُمْ الْعَذَابَ.  
﴿١٧﴾ إِلَّا الَّذِينَ رَجَعُوا إِلَى اللَّهِ بِالتَّوْبَةِ مِنْ بَاقِهِمْ. وَأَصْلَحُوا بَاطِنَهُمْ. وَتَسْكَنُوا بِعَهْدِ اللَّهِ، وَأَحْلَسُوا عَمَلَهُمْ لِلَّهِ سَلَامًا. فَأُولَئِكَ الْمُتَصِفُونَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَسَوْفَ يُعْطِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ ثَوَاتًا جَزِيلًا.  
﴿١٨﴾ لَا حَاجَةَ لِلَّهِ فِي تَعْذِيبِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ لَهُ وَآمَنْتُمْ بِهِ، فَهُوَ تَعَالَى الْبَرِّ الرَّحِيمِ. وَإِنَّمَا يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ، فَإِنْ أَصْلَحْتُمْ الْعَمَلَ، وَشَكَرْتُمُوهُ عَلَى نِعْمَةٍ، وَآمَنْتُمْ بِهِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا فَلَنْ يُعَذِّبَكُمْ، وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا لِمَنِ اعْتَرَفَ نِعْمَةً فَيَجْزِلُ لَهُمُ الثَّوَابَ عَلَيْهَا، عَلِيمًا بِإِيمَانِ خَلْقِهِ، وَسَيَجْزِي كُلًّا بِعَمَلِهِ.

- بيان صفات المنافقين، ومنها: حرصهم على حظ أنفسهم سواء كان مع المؤمنين أو مع الكافرين.
- أعظم صفات المنافقين تذنبهم وحيرتهم واضطرابهم، فلا هم مع المؤمنين حقاً ولا مع الكافرين.
- النهي الشديد عن اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين.
- أعظم ما يتقى به المرء عذاب الله تعالى في الآخرة هو الإيمان والعمل الصالح.



لَا يَحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ  
 اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ١٠٨ إِن تَبَدُّوا خَيْرًا أَوْ تَخْفَوْهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ  
 سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا قَدِيرًا ١٠٩ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ  
 بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا  
 نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا  
 بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ١١٠ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا  
 لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ١١١ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ  
 وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ  
 أَجُورُهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفْوًا رَحِيمًا ١١٢ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ  
 أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ  
 مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا ارْزُقْنَا اللَّهُ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ  
 ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا  
 عَنْ ذَلِكَ وَإِيتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا ١١٣ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ  
 الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا  
 لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ١١٤

١٠٢

١٠٨ لَا يَحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَلَا يَحِبُّهُ وَيَتَوَعَّدُ عَلَيْهِ، لَكِنْ مَنْ ظَلَمَ  
 جاز له أن يجهر بقول السوء؛ للشكاية  
 من ظالمه والدعاء عليه ومجازاته  
 بمثل قوله، لَكِنْ صَبَّرَ الْمَظْلُومُ أُولَى  
 مِنْ جَهْرِهِ بِالسُّوءِ، وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا  
 لَأَقْوَالِكُمْ، عَلِيمًا بِنِيَّاتِكُمْ، فَاحْذَرُوا قَوْلَ  
 السُّوءِ أَوْ قَصِدْهُ.

١٠٩ إِنْ تَظْهَرُوا نَبِيَّ خَيْرٍ قَوْلِي أَوْ  
 فَعَلِي، أَوْ تَسْرُوهُ، أَوْ تَتَجَاوَرُوهُ، عَمَّنْ  
 أَسَاءَ إِلَيْكُمْ: فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا قَدِيرًا،  
 فليكن العفو من أخلاقكم، لعل الله أن  
 يعفو عنكم.

١١٠ إِنْ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَيَكْفُرُونَ  
 بِرُسُلِهِ، وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ  
 وَرُسُلِهِ: بَأْنَ يُؤْمِنُوا بِهِ، وَيَكْذِبُوا بِهِمْ،  
 وَيَقُولُونَ: نُؤْمِنُ بِبَعْضِ الرُّسُلِ، وَنَكْفُرُ  
 بِبَعْضِهِمْ، وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا طَرِيقًا  
 بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ يَتَوَهَّمُونَ أَنَّهَا  
 تَنْجِيهِمْ.

١١١ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَسْلُكُونَ هَذَا  
 الْمَسْلَكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا، ذَلِكَ أَنَّ  
 مَنْ كَفَرَ بِالرُّسُلِ أَوْ يَبْعُضُهُمْ فَقَدْ كَفَرَ  
 بِاللَّهِ وَبِرُسُلِهِ، وَأَعْدَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا  
 مُدَلًّا لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، عِقَابًا لَهُمْ عَلَى  
 تَكْبِيرِهِمْ عَنِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَبِرُسُلِهِ.

١١٢ وَلَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ جِزَاءَ الْكَافِرِينَ ذَكَرَ  
 بَعْدَهُ جِزَاءَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ:

١١٣ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَوَعَدُوهُ،  
 وَلَمْ يَشْرِكُوا بِهِ أَحَدًا، وَصَدَّقُوا بِرُسُلِهِ  
 جَمِيعًا، وَلَمْ يَفْرِقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ كَمَا  
 يَفْعَلُهُ الْكَافِرُونَ، بَلْ آمَنُوا بِهِمْ جَمِيعًا،  
 أُولَئِكَ سَوْفَ يُعْطِيهِمُ اللَّهُ أَجْرًا عَظِيمًا  
 جِزَاءَ إِيْمَانِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ الصَّالِحَةِ  
 النَّامِيَةِ مِنْهُ، وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا لِمَنْ تَابَ  
 مِنْ عِبَادِهِ، رَحِيمًا بِهِمْ.

١١٤ يَسْأَلُكَ - أَيُّهَا الرُّسُولُ - الْيَهُودُ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ جَمْلَةً وَاحِدَةً كَمَا وَقَعَ لِمُوسَى، يَكُونُ عَلَامَةً لَصَدَقَتِكَ، فَلَا  
 تَسْتَعْظِمُ مِنْهُمْ ذَلِكَ، فَقَدْ سَأَلَ أَسْلَافَهُمْ مُوسَى عَظِيمًا مِمَّا سَأَلَكَ هؤُلاءِ، حَيْثُ سَأَلُوهُ أَنْ يُرِيَهُمُ اللَّهُ عَيْنًا، فَصُبُّوا عِقَابًا لَهُمْ عَلَى مَا  
 ارْتَكَبُوهُ، ثُمَّ أَحْيَاهُمُ اللَّهُ، فَعَبِدُوا الْعِجْلَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا حَاءَتْهُمْ الْآيَاتُ الْوَاضِحَةُ الدَّالَّةُ عَلَى وَحْدَانِيَةِ اللَّهِ وَتَقَرُّدِهِ بِالرُّبُوبِيَّةِ  
 وَالْأَلُوْهِيَةِ، ثُمَّ تَجَاوَزْنَا عَنْهُمْ، وَأَعْطَيْنَا مُوسَى حِجَّةً وَاضِحَةً عَلَى قَوْمِهِ.

١١٥ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الْعِجْلَ بِسَبَبِ أَخْذِ الْعَهْدِ الْمُؤَكَّدِ عَلَيْهِمْ تَخَوُّبًا لِيَعْمَلُوا بِمَا فِيهِ، وَقُلْنَا لَهُمْ بَعْدَ رَفْعِهِ: ادْخُلُوا بَابَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ  
 سُجَّدًا بِأَنْعَاءِ الرُّؤُوسِ، فَدَخَلُوا يَرْحَضُونَ عَلَى أَدْبَارِهِمْ، وَقُلْنَا لَهُمْ: لَا تَعْتَدُوا بِالْإِقْدَامِ عَلَى الصَّيْدِ يَوْمَ السَّبْتِ، فَمَا كَانَ مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ  
 اعْتَدُوا فَاصْطَلَدُوا، وَأَحْدَبُوا عَلَيْهِمْ عَهْدًا مُوثَقًا شَدِيدًا بِذَلِكَ، فَتَنَقَّضُوا الْعَهْدَ الْمَأْخُودَ عَلَيْهِمْ.

• مِنْ قَوْلِهِ الْكَافَاتِ:

- يجوز للمظلوم أن يتحدث عن ظلمه وظالمه لمن يُزجى منه أن يأخذ له حقه، وإن قال ما لا يسر الظالم.
- حص المظلوم على العفو حتى وإن قدر كما يعفو الرب سبحانه مع قدرته على عقاب عباده.
- لا يجوز التفريق بين الرسل بالإيمان ببعضهم دون بعض، بل يجب الإيمان بهم جميعًا.

فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكَفَرَهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ  
بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ  
فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۝١٥٥ وَبِكَفَرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا  
عَظِيمًا ۝١٥٦ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ  
اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ  
اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ  
وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ۝١٥٧ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا  
۝١٥٨ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ  
الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ۝١٥٩ فِظَالِهِم مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا  
حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ  
كَثِيرًا ۝١٦٠ وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالِ  
النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝١٦١ لَّكِنِ  
الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ  
وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ  
وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ۝١٦٢

١٠٣

﴿١٥٥﴾ فطردناهم من رحمتنا بسبب نقضهم العهد المؤكد عليهم، ويسبب كفرهم بآيات الله، وجراءتهم على قتل الأنبياء، ويقولهم لمحمد ﷺ قلوبنا في غطاء، فلا تعى ما تقول، والأمر ليس كما قالوا، بل حسم الله على قلوبهم بسبب كفرهم فلا يصل إليها حير؛ فلا يؤمنون إلا إيمانًا قليلًا لا ينفعهم.

﴿١٥٦﴾ وطردناهم من الرحمة بسبب كفرهم، ويسبب رميهم مريم ﷺ بالزنى زورًا وبهتانًا.

﴿١٥٧﴾ ولعنناهم بقولهم مفتخرين كذبًا: إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله. وما قتلوه كما ادعوا وما صلبوه، ولكن قتلوا رجلًا ألقى الله شتبه عيسى عليه وصلبوه، فظنوا أن المقتول هو عيسى ﷺ. والذين ادعوا قتله من اليهود والذين أسلموه إليهم من النصارى، كلاهما في حيرة من أمره وشك، فليس لهم به علم، وإنما يتبعون الظن، وإن الظن لا يغني من الحق شيئًا، وما قتلوا عيسى، وما صلبوه قطف.

﴿١٥٨﴾ بل نجّاه الله من مكربهم. ورفع الله جسده وروحه إليه، وكان الله عزيزًا في ملكه، لا يعالیه أحد، حكميًا في تديره وقضائه وشرعه.

﴿١٥٩﴾ وما من أحد من أهل الكتاب إلا سيؤمن بعيسى ﷺ بعد نزوله آخر الزمان وقبل موته، ويوم القيامة يكون عيسى ﷺ شاهدًا على أعمالهم؛ ما يوافق الشرع منها وما يخالف.

﴿١٦٠﴾ فسبب ظلم اليهود خرمنا عليهم بعض المأكّل الطيبة التي كانت حلالاً لهم، فحرمنا عليهم كل ذي طفر، ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما، ويسبب صدهم أنفسهم وصدهم غيرهم عن سبيل الله، حتى صار الصد عن الخير سجية لهم.

﴿١٦١﴾ وبسبب تعاملهم بالربا بعد أن نهاهم الله عن تناوله، وبسبب أخذ أموال الناس بغير حق شرعي، واعدنا للكافرين منهم عذابًا موجفًا.

ولما ذكر مثالب أهل الكتاب ذكر المؤمنين منهم فقال:

﴿١٦٢﴾ لكن الناشئون المتمكنون في العلم من اليهود، والمؤمنون يصدقون بما أنزله الله عليك أيها الرسول - من القرآن، ويصدقون بما أنزل من الكتب على من قبلك من الرسل كالنوراة والإنجيل، ويقضون الصلاة، ويعطون زكاة أموالهم، ويصدقون بالله إلهًا واحدًا لا شريك له، ويصدقون بيوم القيامة: أولئك المتصومون بهذه الصفات سنُعطيهم ثوابًا عظيمًا.

﴿١٦٣﴾ من فوائده لأيات:

- عاقبة الكفر الختم على القلوب، والحتم عليها سبب لعمرانها من الفهم.
- بيان عداوة اليهود لنبي الله عيسى ﷺ، حتى إنهم وصلوا لمرحلة محاولة قتله.
- بيان جهل النصارى وحيرتهم في مسألة الصلب، وتعاملهم فيها بالظنون الفاسدة.
- بيان فصل العلم، فإن من أهل الكتاب من هو متمكن في العلم حتى أدى به تمكته هذا للإيمان بالنبي محمد ﷺ.

﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ۚ  
وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ  
وَأَلْسَبَاطَ وَعِيسَى وَيُوسَى وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ  
وَعَآدَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ۚ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ  
مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى  
تَكْلِيمًا ۚ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ  
لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۚ  
لَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ إِلَيْكَ أَنْزَلُهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَكِ الْمَكِينِ  
يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ۚ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا  
وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا ۚ إِنَّ الَّذِينَ  
كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ  
طَرِيقًا ۚ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ  
ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ۚ يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَهُمُ الرُّسُولُ بِالْحَقِّ  
مِنْ رَبِّكُمْ فَتَأْمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ  
مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۚ ۱۷ ۝

١٠٤

﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِكَ،  
فَلَسْتَ بِذَعَا مِنَ الرُّسُلِ، فَقَدْ أَوْحَيْنَا  
إِلَى نُوحٍ، وَأَوْحَيْنَا إِلَى الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ  
جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِ، وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ،  
وَالْيُوسُفَ، وَإِسْمَاعِيلَ، وَإِسْحَاقَ، وَالْيُوسُفَ،  
وَالْيُوسُفَ، وَإِسْحَاقَ، وَالْيُوسُفَ، وَالْيُوسُفَ،  
(وَهُمُ الْأَنْبِيَاءُ الَّذِينَ كَانُوا فِي قِبَائِلِ  
بَنِي إِسْرَائِيلَ الْاِثْنَتَيْ عَشْرَةَ مِنْ أَنْبَاءِ  
يَعْقُوبَ ۚ)، وَأَوْحَيْنَا إِلَى عِيسَى  
وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ،  
وَأَعْطَيْنَا دَاوُدَ كِتَابًا هُوَ الزَّبُورُ.

﴿ وَأَرْسَلْنَا رُسُلًا قَصَصْنَاهُمْ  
عَلَيْكَ فِي الْقُرْآنِ، وَأَرْسَلْنَا رُسُلًا لَمْ  
نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ، وَتَرَكْنَا ذِكْرَهُمْ  
فِيهِ لِحُكْمَةٍ، وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى  
بِالْنَّبُوَّةِ - دُونَ وَسَاطَةِ - تَكْلِيمًا حَقِيقِيًّا يَلِيقُ بِهِ  
تَكْرِيمًا لِمُوسَى.

﴿ أَرْسَلْنَاهُمْ مُبَشِّرِينَ بِالشَّوَابِ  
الْكَرِيمِ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ، وَمُخَوِّفِينَ مَنْ  
كُفِرَ بِهِ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ، حَتَّى لَا  
تَكُونَ لِلنَّاسِ حُجَّةٌ عَلَى اللَّهِ بَعْدَ إِسْرَالِ  
الرُّسُلِ يَعْتَذِرُونَ بِهَا، وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا  
فِي مَلِكِهِ حَكِيمًا فِي قَضَائِهِ.

﴿ إِنَّ كَانِ الْيَهُودُ يَكْفُرُونَ بِكَ فَإِنَّ اللَّهَ  
يَصْطَلِحُكَ بِصُحَّةٍ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَيُّهَا  
الرَّسُولُ مِنَ الْقُرْآنِ، أَنْزَلَ فِيهِ  
عِلْمَهُ الَّذِي أَرَادَ أَنْ يُطْلَعَ الْعِبَادُ عَلَيْهِ  
مِمَّا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ أَوْ يَكْرَهُهُ وَيَأْبَاهُ،  
وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ بِصِدْقِ مَا جِئْتَ  
بِهِ مَعَ شَهَادَةِ اللَّهِ، وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا،  
فَشَهَادَتُهُ كَافِيَةٌ عَنْ شَهَادَةِ غَيْرِهِ.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِنُبُوتِكَ، وَصَدُّوا  
النَّاسَ عَنِ الْإِسْلَامِ قَدْ بَعُدُوا عَنِ الْحَقِّ  
بَعْدًا شَدِيدًا.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرُسُلِهِ،

وظلموا أنفسهم ببقائها على الكفر، لم يكن الله ليغفر لهم ما هم مصرّون عليه من الكفر، ولا ليرشداهم إلى طريق تتجيبهم من عذاب الله.

﴿ إِلَّا الطَّرِيقَ الْمَوْدِيَّةَ إِلَى دَحُولِ جَهَنَّمَ مَا كَثُرَ فِيهَا دَائِمًا، وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ هَيْئًا، فَهُوَ لَا يَعْزِمُهُ شَيْءٌ.

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرُّسُولُ مُحَمَّدٌ ﷺ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى. فَآمِنُوا بِمَا جَاءَكُمْ بِهِ يَكُنْ حَيْرًا لَكُمْ فِي الدُّنْيَا  
وَالْآخِرَةِ، وَإِنْ تَكْفُرُوا بِاللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْ إِيْمَانِكُمْ. وَلَا يَضُرُّهُ كُفْرُكُمْ، فَلَهُ مَلِكُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ. وَلَهُ مَلِكُ مَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا،  
وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا بِمَنْ يَسْتَحِقُّ الْهُدَايَةَ فَيَسِّرُهَا لَهُ، وَمَنْ لَا يَسْتَحِقُّهَا فَيُعْزِمُهَا عَنْهَا، حَكِيمًا فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَشَرْعِهِ وَقُدْرِهِ.

﴿ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• إِبْطَاتِ النَّبُوَّةِ وَالرَّسَالَةِ فِي شَأْنِ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَغَيْرِهِمَا مِنْ ذُرِّيَّاتِهِمَا مِمَّنْ ذَكَرَهُمُ اللَّهُ وَمِمَّنْ لَمْ يَذْكُرْ أَخْبَارَهُمْ لِحُكْمَةٍ يَعْلَمُهَا  
سَبْعَانَهُ.

• إِثْبَاتُ صِفَةِ الْكَلَامِ لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى وَجْهِ يَلِيقُ بِذَاتِهِ وَجَلَالِهِ، فَقَدْ كَلَّمَ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ مُوسَى ﷺ.

• تَسْلِيَةُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِبَيَانِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَشْهَدُ عَلَى صِدْقِ دَعْوَاهُ فِي كَوْنِهِ نَبِيًّا، وَكَذَلِكَ تَشْهَدُ الْمَلَائِكَةُ



يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرْهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنَكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾

١٠٥

﴿١٧١﴾ قل أيها الرسول للنصارى أهل الإنجيل لا تتجاوزوا الحد في دينكم، ولا تقولوا على الله في شأن عيسى عليه السلام إلا الحق، إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله أرسله بالحق، خَلَقَهُ بكلمته التي أرسل بها جبريل عليه السلام إلى مريم، وهي قوله. كُنْ، فكان، وهي نفحة من الله نفحها جبريل بأمر من الله، فأمِنُوا بالله ورسله جميعًا دون تقرييق بينهم، ولا تقولوا: الالهة ثلاثة، انتهوا عن هذه المقولة الكاذبة الفاسدة يكن انتهاؤكم عنها خيرًا لكم في الدنيا والآخرة. إنما الله إله واحد تنزه عن الشريك وعن الولد، فهو غني، له ملك السماوات وملك الأرض وملك ما فيهما، وحَسْبُ ما في السماوات والأرض بالله قِيَمًا ومدبرًا لهم.

﴿١٧٢﴾ لن يأنف عيسى بن مريم ويمتنع أن يكون عبدًا لله، ولا الملائكة الذين قهرهم الله له، ورفع منزلتهم أن يكونوا عبادًا لله، فكيف تتخذون عيسى إلهًا؟ وكيف يتخذ المشركون الملائكة الهة؟ ومن يأنف عن عبادة الله، ويرفع عنها فإن الله سيحشر الجميع إليه يوم القيامة، ويجازي كلا بما يستحق، ولما بين أن الجميع سيحشره الله إليه فضل جزاءهم في قوله:

﴿١٧٣﴾ فأما الذين آمنوا بالله وصدقوا برسله، وعملوا الأعمال الصالحات مخلصين لله عاملين وفق ما شرع، فسيعطيهم ثواب أعمالهم غير منقوص، وسيزيدهم على ذلك من فضله وإحسانه، وأما الذين أنفوا عن عبادة الله وطاعته وترفعوا تكبرًا، فيعذبهم عذابًا موجعًا، ولا يجدون من دون الله من يتولاهم فيجلب لهم النفع، ولا من ينصرهم فيدفع عنهم الضر.

﴿١٧٤﴾ يا أيها الناس قد جاءكم من ربكم حجة جلية تقطع العذر وتزيل الشبهة وهو محمد صلى الله عليه وسلم، وأنزلنا إليكم صياحًا واضحًا، وهو هذا القرآن.

﴿١٧٥﴾ فأما الذين آمنوا بالله وتمسكوا بالقرآن الذي أنزل على نبيهم فسيرحمهم الله بدخول الجنة، ويريدهم ثوابًا ورَقَع درجات، ويوفقهم لسلوك الطريق المستقيم الذي لا عوجاج فيه، وهو الطريق الموصل إلى جنات عدن.

من فوائد الآيات:

- بيان أن المسيح شر، وأن أمه كذلك، وأن الضالين من النصارى غلوا فيهما حتى أخرجوهما من حد البشرية.
- بيان بطلان شرك النصارى القائلين بالتثليث، وتنزيه الله تعالى عن أن يكون له شريك أو شبيه أو مقارب، وبيان انصراده - سبحانه - بالوحدانية في الذات والأسماء والصفات.
- إثبات أن عيسى عليه السلام والملائكة جميعهم عباد مخلوقون لا يستكبرون عن الاعتراف بعبوديتهم لله تعالى والالتقياد لأوامره، فكيف يسوغ اتخاذهم آلهة مع كونهم عبيدًا لله تعالى؟
- في الدين حجج وبراهين عقلية تدفع الشبهات، ونور وهداية تدفع الحيرة والشبهات.

﴿يَسْأَلُونَكَ أَيُّهَا الرَّسُولُ بَنَاتِ الْمَوْتِ﴾  
 يسألونك بشأن ميراث الكلالة، وهو من  
 يموت ولم يترك أمًا ولا ولدًا، قل الله  
 يبين الحكم بشأنها، إن مات شخص  
 ليس له ولد ولا ولد، وله أخت شقيقة  
 أو أخت لأبيه فلها نصف ما ترك من  
 المال فرضًا، وأخوه الشقيق أو لأب  
 يرث ما ترك من مال تعصيبًا إن لم  
 يكن معه صاحب فرض، فإن كان معه  
 صاحب فرض ورث الباقي بعده، فإن  
 تعددت الأخوات الشقيقات أو لأب  
 - بأن كانتا اثنتين فأكثر ورثتا أو  
 ورثت الثلاث فرضًا، وإن كان الإخوة  
 الأشقاء أو لأب فيهم الذكور والإناث  
 ورثوا بالتعصيب تبعًا لقاعدة: (لذكر  
 مثل حظ الأنثيين) بأن يُضَعَّف نصيب  
 الذكر منهم على نصيب الأنثى. يبين  
 الله لكم حكم الكلالة وغيره من  
 أحكام الميراث حتى لا تضلوا في  
 أمرها، والله بكل شيء عليم، لا يخفى  
 عليه شيء.

## سورة المائدة

— مدينة —

من مقاصد الشريعة:

الأمر بالوفاء بالعقود، والتحذير  
 من مشابهة أهل الكتاب في تقضها.

التنبيه:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا﴾  
 العهد الموثقة بينكم وبين خالقكم  
 وبينكم وبين خلقه، وقد أحل الله لكم  
 رحمة بكم بهيمة الأنعام: (الإبل،  
 والبقر، والغنم) إلا ما يُقَرَأ عليكم  
 تحريمه، وإلا ما حَرَّمَ عليكم من  
 الصيد البري في حال الإحرام بحج أو

يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنْ أَمَرُوا أَهْلَكَ  
 لَيْسَ لَهُ، وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتُ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ بَرٌُّهَا إِنْ  
 لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الشُّلْثَانِ مِمَّا تَرَكَ  
 وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ حِظِّ الْأُنثَيَيْنِ  
 يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٥٦﴾

## سورة المائدة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ  
 إِلَّا مَا يَتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ  
 يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعِيرَ اللَّهِ  
 وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا أَمِينَ الْبَيْتِ  
 الْحَرَامِ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا  
 وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ  
 تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ  
 وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾

١٠٦

عمرة، إن الله يحكم ما يريد من تحليل وتحريم وفق حكمته، فلا مكره له، ولا معترض على حكمه.  
 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْتَحِلُّوا حُرْمَاتِ اللَّهِ﴾ التي أمركم بتعظيمها، وكفوا عن محظورات الإحرام كلبس المغيط، وعن  
 محرّمات الحزم كالصيد، ولا تستحلوا القتال في الأشهر الحرم، وهي (دو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب)، ولا تستحلوا ما  
 يهدي إلى الحرم من الأنعام ليذبح لله هناك بفصب ونحوه، أو منع من وصوله إلى محله، ولا تستحلوا البهيمة التي عليها قلادة من  
 صوف وغيره للإشعار بأنها هدي، ولا تستحلوا فاصدي بيت الله الحرام يطلبون ربح التجارة ومرضاة الله، وإذا حللتم من الإحرام  
 بحج أو عمرة، وخرجتم من الحرم فاصطادوا إن شئتم، ولا يحملنكم بعض قوم لصدهم لكم عن المسجد الحرام على الحوز وترك  
 العدل فيهم، وتعاونوا أيها المؤمنون على فعل ما أمرتم به، وترك ما نهيتكم عنه، ولا تعاونوا على المعاصي التي يأتّم صاحبها،  
 وعلى العدوان على العلق في دمائهم وأموالهم وأعراضهم، وخافوا الله بالترام طاعته والبعد عن معصيته، إن الله شديد العقاب لمن  
 عصاه، فاحذروا من عقابه.

من فوائد الآيات:

- عناية الله بجميع أحوال الورثة في تقسيم الميراث عليهم.
- الأصل هو حل الأكل من كل بهيمة الأنعام، سوى ما خصه الدليل بالتحريم، أو ما كان صيدًا يعرض للمحرم في حجه أو عمرته.
- النهي عن استحلال المحرّمات، ومنها: محظورات الإحرام، والصيد في الحرم، والقتال في الأشهر الحُرُم، واستحلال الهدي  
 بفصب ونحوه، أو منع وصوله إلى محله.

حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مَا مَاتَ مِنْ حَيوان دون ذكاة، وحَرَّمَ عليكم الدم المسفوح، ولحم الخنزير، وما ذكر عليه اسم غير اسم الله عند الذبح، والميتة بالخنق، والميتة بالصرب، والميتة بالسقوط من مكان عالٍ، والميتة بنطح غيرها لها، وما افترسه سبع مثل الأسد والنمر والذئب، إلا ما أدركموه حيًا من المذكورات وذكيتموه، فهو حلال لكم. وحَرَّمَ عليكم ما كان ذبيحه للأصنام. وحَرَّمَ عليكم أن تطلبوا ما قسم لكم من الغيب بالأقداح وهي حجارة أو سهام مكتوب فيها (افعل) أو (لا تفعل) فيعمل بما يخرج له منها. فقل تلك المحرمات المذكورة خروج عن طاعة الله اليوم ينس الذين كفروا من ارتدوا دكم عن دين الإسلام لما رأوا من قوته، فلا تخافوهم وخافوني وحدي، اليوم أكملت لكم دينكم الذي هو الإسلام، وأتممت عليكم نعمتي الظاهرة والباطنة، واخترت لكم الإسلام دينًا، فلا أقبل دينًا غيره، فمن ألجئ بسبب مجاعة إلى الأكل من الميتة غير ماثل للإثم فلا إثم عليه في ذلك، إن الله غفور رحيم.

ولما ذكر الله ما حرم أكله ذكر ما أباح أكله، فقال:

يسألك أيها الرسول صحابتك ماذا أحل الله لهم أكله؟ قل - أيها الرسول -: أحل الله لكم ما طاب من المأكَل، وأكل ما صادته المدريات من ذوات الأنياب كالكلاب والفهود وذوات المخالب كالصقور، تعلمونها الصيد مما مَنَّ الله عليكم به من العلم بأدابه، حتى صارت إذا أمِرت اتئتمرت، وإذا رُجرت ازدجرت، فكلوا

مما أمسكته من الصيد ولو قتلته، وادكروا اسم الله عند إرسالها، واتقوا الله بامتنال أوامره، والكف عن بواهيهِ، إن الله سريع الحساب للأعمال.

اليوم أحل الله لكم أكل المسلذات، وأكل ذبائح أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وأحل ذبائحكم لهم. وأحل لكم نكاح الحرائر العصفاء من المؤمنات، والحرائر العفائف من الذين أعطوا الكتاب من فيلكم من اليهود والنصارى إذا أعطينتموهن مهورهن، وكنتم متعفين عن ارتكاب الفاحشة غير متخذين عشيقات ترتكبون الزنى معهن. ومن يكفر بما شرعه الله لعباده من الأحكام فقد بطل عمله لفقد شرطه الذي هو الإيمان، وهو يوم القيامة من الخاسرين لدخوله النار خالدًا فيها مغلداً.

من فوائده الآيات:

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَمْيَتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ  
وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ  
السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا  
بِالْأَزْوَاجِ لَكُمْ فَتَقُولُوا الْيَوْمَ يَنْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا أَمِنْ دِينِكُمْ فَلَا  
تَخْشَوهُمْ وَأَخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ  
نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ  
غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ١٠٧  
أُحِلَّ لَكُمُ الْقُلُوبُ أَلْحَلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ  
مَكَلَّيْنِ تَعَامُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ  
وَاذْكُرُوا أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ١٠٨  
الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلٌّ لَّكُمْ  
وَطَعَامُكُمْ حَلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ  
مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ  
مُحْصِنِينَ غَيْرِ مُسَفِّحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ  
بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ١٠٩

اليوم أحل الله لكم أكل المسلذات، وأكل ذبائح أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وأحل ذبائحكم لهم. وأحل لكم نكاح الحرائر العصفاء من المؤمنات، والحرائر العفائف من الذين أعطوا الكتاب من فيلكم من اليهود والنصارى إذا أعطينتموهن مهورهن، وكنتم متعفين عن ارتكاب الفاحشة غير متخذين عشيقات ترتكبون الزنى معهن. ومن يكفر بما شرعه الله لعباده من الأحكام فقد بطل عمله لفقد شرطه الذي هو الإيمان، وهو يوم القيامة من الخاسرين لدخوله النار خالدًا فيها مغلداً.

اليوم أحل الله لكم أكل المسلذات، وأكل ذبائح أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وأحل ذبائحكم لهم. وأحل لكم نكاح الحرائر العصفاء من المؤمنات، والحرائر العفائف من الذين أعطوا الكتاب من فيلكم من اليهود والنصارى إذا أعطينتموهن مهورهن، وكنتم متعفين عن ارتكاب الفاحشة غير متخذين عشيقات ترتكبون الزنى معهن. ومن يكفر بما شرعه الله لعباده من الأحكام فقد بطل عمله لفقد شرطه الذي هو الإيمان، وهو يوم القيامة من الخاسرين لدخوله النار خالدًا فيها مغلداً.

تحریم ما مات دون ذكاة، والدم المسفوح، ولحم الخنزير، وما ذكر عليه اسم غير اسم الله عند الذبح، وكل ميت خنقًا، أو ضربًا، أو بسقوط من علو، أو بنطح، أو افتراسًا من وحش، ويستثنى من ذلك ما أدرك حيًا وذكّي بدع شرعي.

حل ما صاد كل مدرب ذي ناب أو ذي مخالب.

إباحة ذبائح أهل الكتاب، وإباحة نكاح حرائرهم من العفيفات.



﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾

إذا اردتم القيام لأداء الصلاة، وكنتم مُحدثين حدثاً أصغر فتَوَضَّؤُوا بأن تغسلوا وجوهكم، وتغسلوا أيديكم مع مرافقها، وتمسحوا برؤوسكم، وتغسلوا أرجلكم مع الكعبين الناتين بمفصل الساق، وإن كنتم مُحدثين حدثاً أكبر فاغسلوا، وإن كنتم مرضى تخافون من زيادة المرض أو تأخر بُرْئِهِ، أو كنتم مسافرين في حال صعبة، أو كنتم مُحدثين حدثاً أصغر بقضاء الحاجة مثلاً، أو مُحدثين حدثاً أكبر بمجامعة النساء، ولم تجدوا ماء بعد البحث عنه لتتطهروا به فاقصدوا وجه الأرض، واضربوه بأيديكم، وامسحوا وجوهكم وامسحوا أيديكم منه، ما يريد الله أن يجعل عليكم ضيقاً في أحكامه بأن يلزمكم استعمال الماء المؤدي إلى ضرركم، فشرع لكم بدلاً عنه عند تعذره لمرض أو لقصد الماء إتماماً لنعمته عليكم لعلكم تشكرون نعمة الله عليكم، ولا تكفرونها.

﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ وادكروا نعمة الله عليكم بالهداية للإسلام، وادكروا عهده الذي عاهدكم عليه حين قلتم لما بايعتم النبي ﷺ على السمع والطاعة في المنشط والمكرم: سمعنا قولك وأطعنا أمرك، واتقوا الله بامتثال أوامره - ومنها عهوده - واجتنب نواهيه، إن الله عليم بما في القلوب، فلا يخفى عليه منه شيء.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ﴾ كونوا قائمين بحقوق الله عليكم ميتين بذلك وجهه، وكونوا شهداء بالعدل لا بالجور، ولا يحملنكم عُص قوم على ترك العدل، فاعملوا

مطلوب مع الصديق والعدو، فاعدلوا معهما، فاعملوا أقرب إلى الخوف من الله، والجور أقرب إلى الجسارة عليه، واتقوا الله بامتثال أوامره واجتنب نواهيه، إن الله خبير بما تعملون. لا يخفى عليه شيء من أعمالكم، وسيجازيكم عليها.

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِي لَا يَخْلِفُ الْمِعَادَ﴾ الدين آمنوا بالله ورسله وعملوا الصالحات بالمغفرة لذنوبهم، وبالثواب العظيم وهو دخول الجنة.

• من فوائد الآيات:

- الأصل في النظارة هو استعمال الماء بالوضوء من الحدث الأصغر، والغسل من الحدث الأكبر.
- في حال تعدد الحصول على الماء، أو تعذر استعماله لمرض مانع أو برد قارس، يشرع التيمم (بالتراب) لرفع حكم الحدث (الأصغر أو الأكبر).
- الأمر بتوخي العدل واجتنب الجور حتى في معاملة المخالفين.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا  
وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ  
وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا  
وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ  
الْمَغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا  
طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ  
لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَٰكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ  
وَلِيُنِيمَ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾  
وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ  
بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ  
بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ  
لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَتَانُ قَوْمٍ عَلَى  
أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ  
اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا  
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ  
 الْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ  
 اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ  
 فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ  
 الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ  
 وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي  
 مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَءَاتَيْتُمُ الزَّكَاةَ  
 وَءَامَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا  
 حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ  
 جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ  
 مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فِيمَا نَقَضْتُمْ  
 مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ  
 الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا  
 بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ  
 فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾

وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا، وكتبوا  
 باياته، أولئك هم أصحاب النار  
 الذين يدخلونها عقوبة على كفرهم  
 وتكذيبهم، ملازمين لها كما يلزم  
 صاحب صاحبه.

يا أيها الذين آمنوا، اذكروا  
 بقلوبكم وأنسنتكم ما أنعم الله به  
 عليكم من الأمن والقاء الخوف في  
 قلوب أعدائكم حين قصدوا أن يمسوا  
 أيديهم إليكم ليبطشوا بكم ويفتكوا،  
 فصرفهم الله عنكم وعصمكم منهم،  
 واتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب  
 نواهيه، وعلى الله وحده فليعتمد  
 المؤمنون في تحصيل مصالحهم  
 الدنيوية والدنيوية.

ولقد أخذ الله العهد المؤكد  
 على بني إسرائيل بما سيأتي ذكره  
 قريباً، وأقام عليهم اثني عشر رئيساً،  
 كل رئيس يكون ناظرًا على من تحته،  
 وقال الله لبني إسرائيل: إني معكم  
 بالنصر والتأييد إذا أدبتم الصلاة  
 على الوجه الأكمل، وأعطيتكم زكاة  
 أموالكم، وصدقتكم برسلي جميعاً  
 دون تضيق بينهم، وعظمتهم،  
 ونصرتهم، وأنقذتم في وجوه  
 الغير، فإذا قمت بذلك كله لأكفرن  
 عنكم السيئات التي ارتكبتها،  
 ولأدخلنكم يوم القيامة جنات تجري  
 الأنهار من تحت قصورها، فمن كفر  
 بعد أخذ هذا العهد الموثق عليه فقد  
 تنكب طريق الحق عالمًا عامداً.

فبسبب نقضهم العهد المأخوذ  
 عليهم ملأناهم من رحمتنا، وصيرنا  
 قلوبهم عريضة صلبة لا يصل إليها خير،  
 ولا تنفعها موعظة، يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ  
 مَوَاضِعِهِ بالتبديل لألفاظه، وبالتأويل  
 لمعانيه بما يوافق أهواءهم، وتركوا العمل ببعض ما دُكرُوا به. ولا تزال -أيها الرسول- تكتشف منهم حياة لله ولعباده المؤمنين، إلا  
 قليلاً منهم وقَّو بما أخذ عليهم من عهد. فاعف عنهم ولا تؤاخذهم. واصفح عنهم، فإن ذلك من الإحسان، والله يحب المحسنين.

من قوله لَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ

- من عظيم إنعام الله ﷻ على النبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه أن حماهم وكف عنهم أيدي أهل الكفر وضررهم.
- أن الإيمان بالرسول وبصبرتهم وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة على الوجه المطلوب، سبب عظيم لحصول معية الله تعالى وحدوث أسباب النصر والتمكين والمغفرة ودخول الجنة.
- نقض المواثيق الملزمة بطاعة الرسل سبب لغظة القلوب وقساوتها.
- ذم مسالك اليهود في تحريف ما أنزل الله إليهم من كتب سماوية.

﴿١١٠﴾ وكما أخذنا على اليهود عهداً مؤكداً موثقاً أخذنا على الذين زكّوا أنفسهم بأنهم أتباع عيسى عليه السلام، فتركوا العمل بجزء مما ذكروا به، كما فعل أسلافهم من اليهود، والذين بينهم الخصومة والكرهية الشديدة إلى يوم القيامة، فأصبحوا متقاتلين متناحرين يكفر بعضهم بعضاً، وسوف يحبرهم الله بما كانوا يصنعون، ويحازيهم عليه.

ولما ذكر الله أهل الكتاب وما أخذ عليهم من العهود، ونقضهم لها، أمرهم بالإيمان بمحمد ﷺ، فقال: ﴿١١١﴾ يا أهل الكتاب من اليهود أصحاب التوراة، والنصارى أصحاب الإنجيل، قد جاءكم رسولنا محمد ﷺ يبين لكم الكثير مما كنتم تكتمونه من الكتاب المنزل عليكم، ويتجاوز عن كثير من ذلك مما لا مصلحة فيه إلا اقتضاحكم، قد جاءكم القرآن كتاباً من عند الله، وهو نور يستضاء به، وكتاب مبين لكل ما يحتاج إليه الناس في شؤونهم الدنيوية والأخروية.

﴿١١٢﴾ يهدي الله بهذا الكتاب من اتبع ما يرضيه من الإيمان والعمل الصالح إلى طرق السلامة من عذاب الله، وهي الطرق الموصلة إلى الجنة، ويخرجهم من ظلمات الكفر والمعصية إلى نور الإيمان والطاعة بإذنه، ويوفقهم إلى الطريق القويم المستقيم طريق الإسلام.

﴿١١٣﴾ لقد كفر القائلون من النصارى بأن الله هو المسيح عيسى بن مريم، قل لهم - أيها الرسول - من يقدر أن يمنع الله من إهلاك المسيح عيسى ابن مريم ويهلك أمه، ويهلك من في

الأرض كلهم إذا أراد إهلاكهم؟ وإدا لم يقدر أحد أن يمنعه من ذلك دل ذلك على أنه لا إله إلا الله، وأن الجميع: عيسى بن مريم وأمّه وسائر الخلق هم خلق الله، ولله ملك السماوات والأرض وملك ما بينهما، يخلق ما يشاء، وممّن شاء خلقه: عيسى عليه السلام، فهو عبده ورسوله، والله على كل شيء قدير.

﴿١١٤﴾ من فريد لأيات،

- ترك العمل بمواثيق الله وعهوده قد يوجب وقوع العداوة وإشاعة البغضاء والتناحر والتقاتل بين المخالفين لأمر الله تعالى.
- الرد على النصارى القائلين بأن الله تعالى تحسد في المسيح عليه السلام، وبين كفرهم وضلال قولهم.
- من أدلة بطلان ألوهية المسيح أن الله تعالى إن أراد أن يهلك المسيح وأمّه ﷺ وجميع أهل الأرض فلن يستطيع أحد رده، وهذا يثبت قسره سبحانه بالأمر وأنه لا إله غيره.
- من أدلة بطلان ألوهية المسيح أن الله تعالى يُذكر بكونه تعالى ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ (المائدة: ١٧)، فهو يخلق من الأوبين، ويخلق من أم بلا أب كعيسى عليه السلام، ويخلق من الحماد كحبة موسى عليه السلام، ويخلق من رجل بلا أنثى كحواء من آدم عليه السلام.



وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصْرَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّوهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَتَقَوْمُ ادْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَ لَكُم مَّلُوكًا وَءَاتَاكُمْ مَّا لَمْ يُوْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَتَقَوْمُ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا يَمُوسَى إِنَّا فِيهَا قَوْمٌ جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا نَدْخُلُونُ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾

﴿١٨﴾ وأدعى كل من اليهود والنصارى أنهم أبناء الله وأحباؤه، قل - أيها الرسول - ردًا عليهم: لماذا يعذبكم الله بالذنوب التي ترتكبونها؟ فلو كنتم أحياء كما زعمتم لما عذبكم بالقتل والمسخ في الدنيا، وبالنار في الآخرة؛ لأنه لا يعذب من أحب، بل أنتم بشر كسائر البشر، من أحسن منهم جازاه بالجنة، ومن أساء عاقبه بالنار، فالله يغفر لمن يشاء بفصله، ويعذب من يشاء بعدله، والله وحده ملك السماوات والأرض وملك ما بينهما، وإليه وحده المرجع.

﴿١٩﴾ يا أهل الكتاب من اليهود والنصارى، قد جاءكم رسولنا محمد ﷺ بعد انقطاع من الرسل وشدة الحاجة إلى إرساله؛ ثلثا تقولوا معتذرين: ما جاءنا رسول يبشرنا بثواب الله، وينذرنا عقابه، فقد جاءكم محمد ﷺ مبشرًا بثوابه ومنذرًا بعقابه. والله على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء، ومن قدرته إرسال الرسل، وختمهم بمحمد ﷺ.

﴿٢٠﴾ واذكر أيها الرسول حين قال موسى لقومه بني إسرائيل: يا قوم، اذكروا يعلوبكم والمستنكم نعمة الله عليكم حين جعل فيكم أنبياء يدعونكم إلى الهدى، وجعلكم ملوكًا تملكون أمر أنفسكم بعد أن كنتم مملوكين مستعبدين، وأعطاكم من نعمه ما لم يعط أحدًا من العالمين في زمانكم. ﴿٢١﴾ قال موسى: يا قوم، ادخلوا الأرض المطهرة: (بيت المقدس وما حوله) التي وعدكم الله بدخولها وقتال من فيها من الكافرين، ولا تنهزموا أمام الجبارين، فيكون مآلكم الخسران في الدنيا والآخرة.

﴿٢٢﴾ قال له قومه: يا موسى، إن في الأرض المقدسة قومًا أولي قوة وأولي بأس شديد، وهذا يمتنعنا من دخولها، فلن ندخلها ما دام هؤلاء فيها؛ لأنه لا حول لنا ولا قوة بقتالهم، فإن يخرجوا منها فإننا داخلون فيها.

﴿٢٣﴾ قال رجلان من أصحاب موسى ممن يخشون الله ويخافون عقابه، أنعم الله عليهما بالتوفيق لطاعته، يحضنان قومهما على امتثال أمر موسى ﷺ، ادخلوا على الجبابرة باب المدينة، فإذا اقتحمتم الباب، ودخلتموه فإنكم بإذن الله ستغلبوهم وثوقًا بسنة الله بترتيب النصر على اتخاذ الأسباب من الإيمان بالله واعداد الوسائل المادية، وعلى الله وحده اعتمدوا، وتوكلوا إن كنتم مؤمنين حقًا، فالإيمان يستلزم التوكل عليه سبحانه.

• من فوائد الآيات:

- تعذيب الله تعالى لكثرة بني إسرائيل بالمسخ وغيره بوجوب إبطال دعوهم في كونهم أبناء الله وأحباؤه.
- التوكل على الله تعالى والثقة به سبب لاستئصال النصر.
- جاءت الآيات لتحذروا من الأخلاق الرديئة التي كانت عند بني إسرائيل.
- الخوف من الله سبب لنزول النعم على العبد، ومن أعظمها نعمة طاعته سبحانه.

﴿٢١﴾ قال قوم موسى من بني إسرائيل مُصْرِيّين على مخالفة أمر نبيهم موسى ﴿٢٢﴾: إنّا لن ندخل المدينة ما دام الجبارون فيها، فاذْهَبْ أَنْتَ - يا موسى - وربك فقاتل الجبارين، أما نحن فسنبقى مقيمين في مكاننا متخلفين عن القتال معكم.

﴿٢٣﴾ قال موسى لربه: يا رب لا سلطان لي على أحد إلا على نفسي وأخي هارون، فافصل بيننا وبين القوم الخارجين عن طاعتك وطاعة رسولك.

﴿٢٤﴾ قال الله لنبيه موسى ﴿٢٥﴾: إن الله حَرَّمَ دخول الأرض المقدسة على بني إسرائيل مدة أربعين سنة، يضلون هذه المدة في الصحراء حيارى لا يهتدون، فلا تأسف - يا موسى - على القوم الخارجين عن طاعة الله، فإن ما يصيبهم من عقاب هو بسبب معاصيهم وذنوبهم.

﴿٢٦﴾ واقصص أيها الرسول على هؤلاء الحسدة الظالمين من اليهود خبر ابني آدم، وهما قاييل وهابيل، بالصدق الذي لا مربة فيه، حين قَدَّمَا قُرْبَانًا يقترب به كل منهما إلى الله سبحانه، فقَبِلَ الله قُرْبَانَ الذي قدمه هابيل؛ لأنه من أهل التقوى، ولم يقبل قربان قاييل؛ لأنه ليس من أهل التقوى، فاستنكر قاييل قبول قُرْبَانَ هابيل حسدًا، وقال: لأقتلنك يا هابيل، فقال هابيل: إنما يقبل الله قُرْبَانَ من اتقاه بامتنال أو امره واجتناب نواهيه، لئن مَدَدْتُ يَدَكَ إِلَيَّ تَقْصِدْ قَتْلِي فلست مجازيك بمثل صنيعك، ذلك ليس جبنًا مني، ولكني أخاف الله رب المخلوقات.

قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ \* وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ﴿٢٧﴾ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٨﴾ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٣٠﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣١﴾ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوْءَ أَخِيهِ قَالَ يُورِيكِي أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوْرِي سَوْءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٣٢﴾

١١٢

﴿٣٣﴾ فقال له مرهبًا: إني أريد أن ترجع بإثم قتلي ظلمًا وعدوانًا إلى إثمك السابقة، فتكون من أصحاب النار الذين يدخلونها يوم القيامة، ذلك الجزاء جراء المعتدين. وأنا لا أريد أن أرجع بإثم قتلك فأكون منهم.

﴿٣٤﴾ فَرُبِّتْ لِقَايِلَ نَفْسُهُ الْأَمَارَةَ بالسوء، قَتَلَ أَخِيهِ هَابِيلَ ظَلَمًا فَقَتَلَهُ، فَأَصْبَحَ سَبَبَ ذَلِكَ مِنَ النَّاqِصِينَ أَنْفُسَهُمْ حُظُوظَهُمْ فِي دَنِيَاهُمْ وَأَخْرَاهُمْ.

﴿٣٥﴾ فأرسل الله غُرَابًا يشر الأرض أمامه ليدفن فيها عرابًا ميتًا، ليعلمه كيف يستر بدن أخيه. قال القاتل أخاه حينئذ: يا ويلتنا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب الذي واري الغراب الآخر الميث فأواري سؤاء أخي، هو اراه حينئذ: فأصبح من المتحسرين.

﴿٣٦﴾ من فوائد الآيات:

- مخالفة الرسل توجب العقاب، كما وقع لبني إسرائيل: إذ عاقبهم الله تعالى بالنَّهْي.
- قصة ابني آدم ظاهرها أن أول ذنب وقع في الأرض - في ظاهر القرآن - هو الحسد والبغى، والذي أدى به للظلم وسفك الدم الحرام الموجب للخسران.
- الندامة عاقبة مرتكبي المعاصي.
- أن من سَنَّ سُنَّةً قَبِيحَةً أو أَشَاعَ قَبِيحًا وَشَجَّعَ عَلَيْهِ، فَإِنَّ لَهُ مِثْلَ سِنَاتِهِ مَنْ اتَّبَعَهُ عَلَى ذَلِكَ.

مَنْ أَجَلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ وَمَنْ قَتَلَ  
نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ  
النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ  
جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنْ كَثِيرًا  
مِّنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ إِنَّمَا  
جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي  
الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ  
وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ  
لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ  
﴿٣٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَنْ تَقْدُرُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا  
أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا  
اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ  
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَ أَنَّ لَهُمْ  
مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ  
عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾

﴿٣٢﴾ مَنْ أَجَلِ قَتْلَ قَائِلِ أَحَاهِ اعْلَمْنَا  
نبي إسرائيل أن من قَتَلَ نفسًا بغير  
سبب من قصاص أو إفساد في الأرض  
بالكفر أو الجراية، فكأنما قتل الناس  
جميعًا، لأنه لا فرق عنده بين البريء  
والجاني. ومن امتنع عن قتل نفس  
حَرَّمَهَا الله تعالى معتقدا حرمة قتلها  
ولم يقتل، فكأنما أحيا الناس جميعًا؛  
لأن صنيعه فيه سلامتهم جميعًا، ولقد  
جاءت رسلنا إلى بني إسرائيل بالحق  
الواضحة والبراهين الجلية، ومع هذا  
فبان كثيرًا منهم متجاوزون لحدود الله  
بارتكاب المعاصي، ومخالفة رسوله.  
﴿٣٣﴾ ما عاقبة الذين يحاربون الله  
ورسوله، ويبايعونه بالعداوة والإفساد  
في الأرض بالقتل وأخذ الأموال وقطع  
الطريق؛ إلا أن يُقَتَّلُوا من غير صلب، أو  
يقتلوا مع الصلب على خشبة ونحوها،  
أو تقطع يدا أحدهم اليمنى مع الرجل  
اليسرى، ثم إن عاد قطعت يده اليسرى  
ورجله اليمنى، أو يقرَّبوا في البلاد؛  
ذلك العقاب لهم فصيحة في الدنيا،  
ولهم في الآخرة عذاب عظيم.

﴿٣٤﴾ إلا الذين تابوا من هؤلاء  
المحاربين من قبل قدرتهم، يا أولي  
الأمر - عليهم، فاعلموا أن الله غفور  
لهم بعد التوبة، رحيم بهم، ومن رحمته  
بهم إسقاط العقاب عنهم.

﴿٣٥﴾ يا أيها الذين آمنوا، اتقوا  
الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه،  
واطلبوا القرب منه بأداء ما أمركم  
به، والبعد عما نهاكم عنه، وجاهدوا  
الكفار ابتغاء مرضاته؛ لعلكم تتألون  
ما تطلبونه، وتُخَيَّبُونَ ما ترهبونه إذا  
قمتم بذلك.

﴿٣٦﴾ إن الذين كفروا بالله وبرسوله،  
لو قدر أن لكل منهم ملك ما في الأرض  
جميعًا ومثله معه فقدموه ليمكوا أنفسهم من عذاب الله يوم القيامة، ما قبل منهم ذلك الفداء،  
ولهم عذاب موح.

● من فوائد الآيات:

- حرمة النفس البشرية، وأن من صانها وأحياها فكأنما فعل ذلك بجميع البشر، وأن من أتلف نفسًا بشرية أو أداها من غير حق فكأنما فعل ذلك بالناس جميعًا.
- عقوبة الذين يحاربون الله ورسوله ممن يفسدون بالقتل وانتهاب الأموال وقطع الطرق هي: القتل بلا صلب، أو مع الصلب، أو قطع الأطراف من خلاف، أو بغيرهم من البلاد؛ وهذا على حسب ما صدر منهم.
- توبة المفسدين من المحاربين وقاطعي الطريق قبل قدرة السلطان عليهم توجب العفو.



﴿٢٧﴾ يريدون الخروج من النار إذا دخلوها، وأنى لهم ذلك! قلن يخرجوا منها، ولهم فيها عذاب دائم.

ولما ذكر الله حكم من يجاهر بأخذ أموال الناس يتبن حكم من يأخذها خفية وهو السارق، فقال:

﴿٢٨﴾ والسارق والسارقة فاقطعوا أيهما الحكام - اليد اليمنى لكل منهما مجازاة لهما وعقوبة من الله على ما ارتكباه من أخذ أموال الناس بغير حق، وترهيباً لهما ولغيرهما، والله عزيز لا يفلته شيء، حكيم في تقديره وتشريعه.

﴿٢٩﴾ فمن تاب إلى الله من السرقة، وأصلح عمله، فإن الله يتوب عليه تقضلاً منه؛ ذلك أن الله غفور لذنوب من تاب من عبادته، رحيم بهم، لكن لا يسقط عنهم الحد بالتوبة إذا وصل الأمر إلى الحكام.

﴿٣٠﴾ لقد علمت - أيها الرسول - أن الله له ملك السماوات والأرض يتصرف فيهما بما يشاء، وأنه يعذب من يشاء بعدله، ويعفر لمن يشاء بفضله، إن الله على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء.

﴿٣١﴾ يا أيها الرسول، لا يعزرك الذين يسارعون في إظهار أعمال الكفر ليغيظوك من المنافقين الذين يظهرون الإيمان، ويبطنون الكفر. ولا يعزرك اليهود الذين يصفنون لكذب كبارهم ويقبلونه، مقلدين لزعمائهم الذين لم يأتوك إعراساً منهم عنك، يبدلون كلام الله في التوراة بما يوافق أهواءهم، يقولون لاتباعهم: إن وافق حكم محمد أهواءكم فاتبعوه، وإن خالفها فاحذروا

منه، ومن يرد الله إضلاله من الناس قلن تجد - أيها الرسول - من يدفع عنه الضلال ويهديه إلى سبيل الحق، أولئك المتصفون بهذه الصفات من اليهود والمنافقين هم الذين لم يرد الله تطهير قلوبهم من الكفر، لهم في الدنيا خزي وعار، ولهم في الآخرة عذاب عظيم، وهو عذاب النار.

﴿٣٢﴾ من فويل الآيات،

- حكمة مشروعية حد السرقة: ردع السارق عن التعدي على أموال الناس، وتخويف من عداه من الوقوع في مثل ما وقع فيه.
- قبول توبة السارق ما لم يبلغ السلطان وعليه إعادة ما سرق، فإذا بلغ السلطان وجب الحكم، ولا يسقط بالتوبة.
- يحسن بالداعية إلى الله ألا يحمل همًا وغمًا سبب ما يحصل من بعض الناس من كفر ومكر وتامر؛ لأن الله تعالى يبطل كيد هؤلاء.

- حرص المنافقين على إعاطة المؤمنين بإظهار أعمال الكفر مع ادعائهم الإسلام.

يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٢٧﴾ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَعْفُو لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٠﴾ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزَنْكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَقْوَاهِمَ وَلَمْ تُوْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣١﴾

سَمِعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَلُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ  
فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ  
يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ  
إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيفَ يُحْكُمُونَكَ  
وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ  
ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ  
فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يُحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا  
لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ  
كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ  
وَأَخْشَوْنَ اللَّهَ وَلَا تَشْتَرُوا بِإِيتَانِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ  
بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبْنَا  
عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ  
بِالْأَنْفِ وَالْأَذْنَ بِالْأَذْنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ  
قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ  
لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٥﴾

١١٥

﴿٤٢﴾ هؤلاء اليهود كثيروا الاستماع للكذب، كثيروا الأكل للمال الحرام كالربا، فإن تحاكموا إليك - أيها الرسول فافصل بينهم إن شئت، أو اترك الفصل بينهم إن شئت، فانت مخير بين الأمرين، وإن تركت الفصل بينهم فلن يستطيعوا أن يضروك بشيء، وإن فصلت بينهم فافصل بينهم بالعدل، وإن كانوا ظلمة وأعداء، إن الله يحب العادلين في حكمهم، ولو كان المتحاكمون أعداء للحاكم.

﴿٤٣﴾ وإن أمر هؤلاء لعجب، فهم يكفرون بك، ويتحاكمون إليك طمعاً في حكمك بما يوافق أهواءهم، وهم عندهم التوراة التي يزعمون الإيمان بها، فيها حكم الله، ثم يعرضون عن حكمك إذا لم يوافق أهواءهم، فجمعوا بين الكفر بما هي كتابهم، والإعراض عن حكمك، وما صنيع هؤلاء بصنيع المؤمنين، فليسوا إحد من المؤمنين بك وبما حث به.

﴿٤٤﴾ إنا أنزلنا التوراة على موسى عليه السلام، فيها إرشاد ودلالة على الخير، ونور يستضاء به، يحكم بها أنبياء بني إسرائيل الذين اتقادوا لله بالطاعة، ويحكم بها العلماء والفقهاء الذين يزيرون الناس لما استحفظهم الله على كتابه، وجعلهم أمناء عليه يحفظونه من التحريف والتبديل، وهم شهداء عليه بأنه حق، وإليهم يرجع الناس في أمره، فلا تخافوا أيها اليهود الناس وخافوني وحدي، ولا تأخذوا بدلاً من الحكم بما أنزل الله ثمناً قليلاً من رئاسة أو جاه أو مال، ومن لم يحكم بما أنزل الله من الوحي مستحلاً لذلك، أو مفصلاً عليه غيره، أو مساوياً له معه فأولئك هم الكافرون حقاً.

﴿٤٥﴾ وفرصنا على اليهود في التوراة أن من قتل نفساً متعمداً بغير حق قُتِلَ بها، ومن قلع عيناً متعمداً قُلِعَتْ عينه، ومن جدد أنفاً متعمداً جُدد أنفه، ومن قطع أذناً متعمداً قُطِعَتْ أذنه، ومن قلع سناً متعمداً قُلِعَتْ سنه، وكتبنا عليهم أن في الحروح يعاف الجاني بمثل حنانيته، ومن تلوع بالعفو عن الحاني كان عفوه كفارة لذنوبه: لعفوه عن ظلمه، ومن لم يحكم بما أنزل الله في شأن القصاص وفي شأن غيره، فهو متجاوز لحدود الله.

من توبد إلى الآيات:

- تعداد بعض صفات اليهود، مثل الكذب وأكل الربا ومحبة التحاكم لغير الشرع: لبيان ضلالهم وللتحذير منها.
- بيان شرعة القصاص العادل في الأنفس والجراحات، وهي أمر فرضه الله تعالى على من قبلنا.
- الحث على فضيلة العفو عن القصاص، وبيان أجرها العظيم المتمثل في تكفير الذنوب.
- التهريب من الحكم بغير ما أنزل الله في شأن القصاص وغيره.

﴿٤٦﴾ وَأَتَيْنَا آثَارَ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَآئِيلَ بِعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ مُؤْمِنًا بِمَا فِي التَّوْرَةِ، وَحَاكِمًا بِهَا، وَأَعْطَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ مُشْتَمَلًا عَلَى الْهُدَايَةِ لِلْحَقِّ، وَعَلَى مَا يَزِيلُ الشُّبُهَاتِ مِنَ الْحُجُجِ، وَيَحُلُّ الْمَشْكَلاتِ مِنَ الْأَحْكَامِ، وَمُوَافِقًا لِمَا نَزَلَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ التَّوْرَةِ إِلَّا فِي الْقَلِيلِ مِمَّا نَسَخَهُ مِنْ أَحْكَامِهَا، وَجَمَلْنَا الْإِنْجِيلَ هُدًى يَهْتَدِي بِهِ الْمُتَّقُونَ، وَزَاجِرًا عَنِ ارْتِكَابِ مَا حَرَّمَهُ عَلَيْهِمْ.

﴿٤٧﴾ وَلَيُؤْمِنَنَّ النَّصَارَى بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي الْإِنْجِيلِ، وَلِيَحْكُمُوا بِهِ - فِيمَا جَاءَ بِهِ مِنْ صَدَقٍ قَبْلَ بَعْثَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ إِلَيْهِمْ - وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ. وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَا

وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَاءِ اتِّدِكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأِنْ أَحْكَمْتُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْسُقُوا عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا الْقَوْمُ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾

﴿٥١﴾ وَأَنْ أَحْكَمْ بَيْنَهُمْ - أَيُّهَا الرُّسُولُ - بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ، وَلَا تَتَّبِعْ آرَاءَهُمُ النَّابِغَةَ مِنْ اتِّبَاعِ الْهَوَى، وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَصْلُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ، فَلَنْ يَأْتُوا جَهْدًا فِي سَبِيلِ ذَلِكَ، فَإِنْ أَعْرَضُوا عَنْ قَبُولِ الْحُكْمِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ عِقَابٌ دُنْيَوِيٌّ. وَيَعَاقِبُهُمْ عَلَى جَمِيعِهَا فِي الْآخِرَةِ، وَإِنْ كَثُرَ مِنَ النَّاسِ لِحَارِجُونَ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ. يُعْرِضُونَ عَنْ حُكْمِكَ طَالِبِينَ حُكْمَ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ مِنَ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ الَّذِينَ يَحْكُمُونَ تَبَعًا لِأَهْوَاءِهِمْ؛ فَلَا أَحَدٌ أَحْسَنَ حُكْمًا مِنَ اللَّهِ عِنْدَ أَهْلِ الْيَقِينِ الَّذِينَ يَعْقِلُونَ عَنِ اللَّهِ مَا أَنْزَلَ عَلَى رَسُولِهِ. لَا أَهْلَ الْحِلِّ وَالْأَهْوَاءِ الَّذِينَ لَا يَقْبَلُونَ إِلَّا مَا يُوَافِقُ أَهْوَاءَهُمْ وَإِنْ كَانَ بَاطِلًا.

﴿٥٢﴾ مِنْ قَوْلِهِ لَاتَاتِ،

- الأنبياء متفقون في أصول الدين مع وجود بعض الفروق بين شرائعهم في الفروع.
- وجوب تحكيم شرع الله والإعراض عما عداه من الأهواء.
- ذم التحاكم إلى أحكام أهل الجاهلية وأعرافهم.



﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٥١﴾ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ أَنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴿٥٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَافِرَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾

﴿٥١﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله وبرسوله، لا تجعلوا من اليهود والنصارى حلفاء وأصبياء توالونهم، فاليهود إنما يوالون أهل ملثتهم، والنصارى إنما يوالون أهل ملثتهم، وكلما الفريقين تجمعهم معاداتكم، ومن يتولهم منكم فإنه في عدادهم، إن الله لا يهدي القوم الظالمين بسبب موالاتهم للكمفار.

﴿٥٢﴾ فتري أيها الرسول المنافقين ضعفاء الإيمان يبادرون إلى موالاته اليهود والنصارى قائلين: نخاف أن يطمس هؤلاء، وتكون لهم الدولة فينالنا منهم مكروه، فقل الله يجعل النظر لرسوله وللمؤمنين، أو يأتي بأمر من عنده تدفع به ضلوة اليهود ومن يواليهم، فيصبح المسارعون إلى موالاتهم نادمين على ما أحصوه من النفاق في قلوبهم: لبطلان ما تعلقوا به من أسباب واهية

﴿٥٣﴾ ويقول المؤمنون متعجبين من حال هؤلاء المنافقين، أهؤلاء الذين حلفوا مؤكدين أيمانهم: إنهم لمعكم حطت أعمالهم؟! بطلت أعمالهم، فأصبحوا خاسرين بفوات مقصودهم، وما أعد لهم من عذاب.

﴿٥٤﴾ يا أيها الذين آمنوا، من يرجع منكم عن دينه إلى الكفر فسوف يأتي الله بقوم يبدلنا منهم يحبهم ويحبونه لاستقامتهم، رحماء بالمؤمنين أشداء على الكافرين، يجاهدون بأموالهم وأصصهم لتكون كلمة الله هي العليا، ولا يخشون تعنيف من يعنفهم: لتقديمهم رضا الله على رضا المخلوقين، ذلك من عطاء الله الذي يعطيه من يشاء من عباده، والله واسع الفضل

والإحسان، عليم بمن يستحق فضله فيمنحه إياه، ومن لا يستحقه فيحرمه.

ولما نهى الله عن موالاته اليهود والنصارى وغيرهم من الكفار، أحيى بمن يتبعن على المؤمنين موالاتهم. فقال

﴿٥٥﴾ ليس اليهود ولا النصارى ولا غيرهم من الكفار، أولياءكم، بل إن وليكم وناصركم الله ورسوله، والمؤمنون الذين يؤدون الصلاة كاملة، ويعطون زكاة أموالهم وهم خاضعون لله أذلاء.

﴿٥٦﴾ ومن يتول الله ورسوله والمؤمنين بالنصرة فهو من حزب الله، وحرب الله هم الغالبون، لأن الله ناصرهم.

﴿٥٧﴾ يا أيها الذين آمنوا، لا تتخذوا الذين يسحرون من دينكم، ويتلاعبون به من الذين أعطوا الكتاب من قبلكم من اليهود والنصارى والمشركين حلفاء وأصفياء، واتقوا الله باجتنب ما نهاكم عنه من موالاتهم إن كنتم مؤمنين به، وبما أنزله عليكم.

﴿٥٨﴾ من قوايد الآيات:

- التنبية على عقيدة الولاء والبراء التي تلخص في الموالاته والمحبة لله ورسوله والمؤمنين، وبغض أهل الكفر وتجلب محبتهم.
- من صفات أهل النفاق: موالاته أعداء الله تعالى.
- التحاذل والتقصير في نصره الدين قد ينتج عنه استبدال المقصّر بالإتيان بغيره، ونزع شرف نصره الدين عنه.
- التحذير من الساخرين بدين الله تعالى من الكفار وأهل النفاق، ومن موالاتهم.

وكذلك يسخرون ويلعبون إذا  
أذنت للصلاة التي هي أعظم قربة،  
ذلك بسبب أنهم قوم لا يعقلون عن  
الله معاني عبادته وشرائعه التي  
شرعها للناس.

﴿٥٨﴾ قل - أيها الرسول - للمستهزئين  
من أهل الكتاب: هل تمببون علينا إلا  
إيماننا بالله وبما أنزل إلينا، وبما أنزل  
على من قبلنا، وإيماننا أن أكثركم  
خارجون عن طاعة الله بتركهم  
للإيمان وامتنال الأوامر؟ فما تعيبونه  
علينا مخدعة لنا، وليس مدمة

﴿٥٩﴾ قل أيها الرسول: هل أخبركم  
بمن هم أولى بالعب، وأشد عقاباً من  
هؤلاء، إنهم أسلافهم الذين طردهم  
الله من رحمته، وعضب عليهم،  
وصيرهم بعد المسح قردة وخنازير،  
وجعل منهم عبداً للطاغوت،  
والطاغوت هو كل من يقبض من دون  
الله راضياً، أولئك المذكورون شر  
منزلة يوم القيامة، وأضل سعيًا عن  
الطريق المستقيم.

﴿٦٠﴾ وإذا جاءكم أيها المؤمنون  
المنافقون منهم أطهروا لكم الإيمان  
نفاقاً منهم، والواقع أنهم عند  
دخولهم وخروجهم ملتبسون بالكفر لا  
ينفكون عنه، والله أعلم بما يضمرونه  
من الكفر إن أظهروا الإيمان لكم،  
وسيعازيهم على ذلك.

﴿٦١﴾ وتري أيها الرسول كثيراً من  
اليهود والمنافقين يُبادرون إلى ارتكاب  
المعاصي مثل الكذب والاعتداء على  
الآخرين يظلمهم وأكل أموال الناس  
بالحرام، ساء ما يعملون.

﴿٦٢﴾ هلا يجرهم أئمتهم وعلمائهم  
عما يسارعون إليه من قول الكذب

وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوا هُزُوعًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ  
لَا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا  
بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ ﴿٥٩﴾  
قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَعَظِبَ  
عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ  
مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ  
دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ  
﴿٦١﴾ وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسْرِعُونَ فِي الْأَثَرِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمْ  
السُّحْتَ لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ  
وَالْأَحْبَارُ عَنِ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَيْسَ مَا كَانُوا  
يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا  
بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيزِيدَنَّ كَثِيرًا  
مِّنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَنًا وَكُفْرًا وَالْقِيَاسَ بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةُ  
وَالْبَغْضَاءُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا  
اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾

وشهادة الرور واكل اموال الناس بالباطل، لقد ساء صنيع أئمتهم وعلمائهم الذين لا ينهاونهم عن المنكر.

﴿٦٤﴾ وقالت اليهود لما أصابهم جهد وجذب يد الله مقبوضة عن بذل الخير والعطاء، أمسك عنا ما عنده، ألا حُبست أيديهم عن  
فعل الخير والعطاء، وطردوا من رحمة الله بقولهم هذا، بل يدها ميسوطتان بالخير والعطاء، ينفق كيف يشاء، يبسط ويقيص، لا  
حاجر عليه ولا مُكره له، ولا يزيد اليهود ما أنزل إليك أيها الرسول إلا تحاوراً للعد وجحوداً، ذلك لما هم عليه من الحسد، وألقينا  
بين طوائف اليهود العداوة والبغضاء، كلما جمعوا للحرب، وأعدوا لها عدة، أو تأمروا لإشعالها سببت الله جمعهم، وأذهب قوتهم، ولا  
يزالون يجتهدون في ارتكاب ما فيه فساد في الأرض من السعي لإبطال الإسلام والكيد له، والله لا يحب أهل الفساد.

• من فو يد لأيات:

- ذم العالم على سكوته عن معاصي قومه وعدم بيانه لمنكراتهم وتحذيرهم منها.
- سوء أدب اليهود مع الله تعالى، وذلك لأنهم وصفوه سبحانه بأنه مغلول اليد، حابس للخير.
- إثبات صفة اليمين، على وجه يليق بذاته وجلاله وعظيم سلطانه.
- الإشارة لما وقع فيه بعض طوائف اليهود من الشقاق والاختلاف والعداوة بينهم نتيجة لكفرهم وميلهم عن الحق.

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ  
 سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا  
 التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا  
 مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ  
 وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ  
 بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ  
 رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ  
 الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى  
 تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ  
 وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا  
 فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ  
 هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ  
 وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ لَقَدْ أَخَذْنَا  
 مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا قُلْنَا جَاءَ هُمْ رَسُولٌ  
 بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾

١١٩

﴿٦٥﴾ ولو أن اليهود والنصارى آمنوا بما جاء به محمد ﷺ، واتَّقوا الله باجتناب المعاصي، تكفَّرنا عنهم المعاصي التي ارتكبوها ولو كانت كثيرة، ولأَدْخَلْنَاهُمْ يوم القيامة جنات النعيم، يتمتعون بما فيها من نعيم لا ينقطع.

﴿٦٦﴾ ولو أن اليهود عملوا بما في التوراة، وأن النصارى عملوا بما في الإنجيل، وعملوا جميعًا بما أنزل عليهم من القرآن لَسُرَّتْ لَهُمْ أسباب الرزق من إسرال المطر ونبات الأرض، ومن أهل الكتاب المعدل الثابت على الحق والكثير منهم ساء عمله لعدم إيمانهم.

﴿٦٧﴾ يا أيها الرسول أخبر بما أنزل إليك من ربك كاملاً، ولا تكتُم منه شيئاً، فإن كُتِمْتَ منه شيئاً فما أنت بمبلغ رسالة ربك (وقد بلغ رسول الله ﷺ كل ما أمَرَ بتبليغه، فمن زعم خلاف ذلك فقد أعظم الفرية على الله)، والله يحملك من الناس بعد اليوم، فلا يستطيعون الوصول إليك سوء، فما عليك إلا البلاغ، والله لا يوفق للرشد الكافرين الذين لا يريدون الهداية.

﴿٦٨﴾ قل أيها الرسول، لستم أيها اليهود والنصارى على شيء من الدين المعتقد به حتى تعملوا بما في التوراة والإنجيل، وتعملوا بما أنزل عليكم من القرآن الذي لا يصح إيمانكم إلا بالإيمان به، والعمل بما فيه، وليريدن كثيراً من أهل الكتاب الذي أنزل إليك من ربك طغياناً إلى طغيان، وكفراً إلى كفر؛ لما هم عليه من الحسد، فلا تأسف على هؤلاء الكافرين، وفيمن اتبعك من المؤمنين غيبة وكفاية.

﴿٦٩﴾ إن المؤمنين واليهود والصابئين - وهم طائفة من أتباع بعض الأنبياء - والنصارى، من آمن منهم بالله واليوم الآخر وعمل الأعمال الصالحة، فلا خوف عليهم فيما يستقبلونه، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من حظوظ الدنيا.

﴿٧٠﴾ لقد أخذنا العهد المؤكدة على بني إسرائيل بالسمع والطاعة، وأرسلنا إليهم رسلاً لتبليغهم شرع الله، فنقصوا ما أخذ عليهم من الميثاق واتبعوا ما تلهي أهواؤهم من الإعراض عما جاءتهم به رسالهم، ومن تكذيبهم بعضاً وقتلهم بعضاً.

● مِنْ قَوَائِدِ آيَاتِ:

- العمل بما أنزل الله تعالى سبب لتكفير السيئات ودخول الجنة وسعة الأرزاق.
- توجيه الدعاة إلى أن التبليغ المَعْتَد به والمُبَرَّر للذمة هو ما كان كاملاً غير منقوص، وفي ضوء ما ورد به الوحي.
- لا يُقَدَّر بأي معتقد ما لم يُقَمَّ صاحبه دليلاً على أنه من عند الله تعالى.



﴿٧١﴾ وظنوا أن نقضهم لليهود والمواثيق، وتكذيبهم، وقتلهم الأنبياء لا يترتب عليه ضرر بهم، فترتب عليه ما لم يظنوه، فعمُوا عن الحق، فلا يهتدون إليه، وصمُوا عن سماعه سماع قبول، ثم تاب الله عليهم تفضلاً منه، ثم عمُوا بعد ذلك عن الحق، وصمُوا عن سماعه، حدث ذلك لكثير منهم، والله بصير بما يعملونه، لا يخفى عليه منه شيء، وسيجازيهم عليه.

﴿٧٢﴾ لقد كفر النصارى القائلون بأن الله هو المسيح عيسى بن مريم؛ لنسبتهم الألوهية لغير الله، مع أن المسيح بن مريم نفسه قال لهم: يا بني إسرائيل اعبدوا الله وحده، فهو ربي وربكم، فتحن في عبوديته سواء، ذلك أن من يشرك بالله غيره فإن الله قد منع عليه دخول الجنة أبداً، ومستقره نار جهنم، وما له ناصر عند الله ولا معين، ولا منقذ ينقذه مما ينظره من العذاب.

﴿٧٣﴾ لقد كفر النصارى القائلون: إن الله مؤلف من ثلاثة، هم الأب والابن وروح القدس، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً، فليس الله بمتعدد، إنما هو إله واحد لا شريك له، وإن لم يكفوا عن هذه المقالة الشنيعة لبنا لنهم عذاب موجع.

﴿٧٤﴾ أفلا يرجع هؤلاء عن مقالاتهم هذه تائبين إلى الله منها، ويطلبون منه المغفرة على ما ارتكبوها من الشرك به؟! والله عفور لمن تاب من أي ذنب كان، ولو كان الذنب الكفر به، رحيم بال مؤمنين.

﴿٧٥﴾ ليس المسيح عيسى بن مريم إلا رسولاً من بين الرسل، يجري عليه

ما جرى عليهم من الموت، وأمه مريم عليها السلام كثيرة الصدق والتصديق، وهما يأكلان الطعام لحاجتهما إليه، فكيف يكونان إلهين مع حاجتهما للطعام؟! فانظر أيها الرسول - نظر تأمل: كيف بوضح لهم الآيات الدالة على الوجودانية، وعلى بطلان ما هم عليه من المعالاة في نسبة الألوهية لغيره سبحانه. وهم مع ذلك يتكبرون لهذه الآيات، ثم انظر نظر تأمل: كيف يُصْرَفُون عن الحق صرفاً مع هذه الآيات الواضحة الدالة على وحدانية الله. ﴿٧٦﴾ قل - أيها الرسول - مُعْتَبِراً عليهم في عبادتهم لغير الله، أتعبدون ما لا يجب لكم نفعاً، ولا يدفع عنكم ضرراً؟! فهو عاجز. والله منزّه عن العجز، والله هو وحده السميع لأقوالكم، فلا يقوته منها شيء، العليم بأفعالكم، فلا يخفى عليه منها شيء، وسيجاريكم عليها. ﴿٧٧﴾ قل أيها الرسول للنصارى: لا تتجاوزوا الحد فيما أمرتكم به من اتباع الحق، ولا تبالفوا في تعطيم من أمرتكم بتعطيمه - مثل الأنبياء - فتمتعدوا فيهم الألوهية كما فعلتم بعيسى بن مريم، بسبب اقتداءكم بأسلافكم من أهل الضلال الذين أضلوا كثيراً من الناس، وضلوا عن طريق الحق.

• من فوائد الآيات:

• بيان كفر النصارى في زعمهم ألوهية المسيح ﷺ، وبيان بطلانها، والدعوة للتوبة منها. • من أدلة بشرية المسيح وأمه أكلهما للطعام، وفعل ما يترتب عليه. • عدم القدرة على كب الصر وإيصال النفع من الأدلة الظاهرة على عدم استحقاق المعبودين من دون الله للألوهية، لكونهم عاجزين. • النهي عن العلو وتجاوز الحد في معاملة الصالحين من خلق الله تعالى.

وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُوا شَرَّتَابَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ عِبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ فَانْظُرْ كَيْفَ بُيِّنَ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ إِلَىٰ يَوْمِ كُفُونٍ ﴿٧٥﴾ قُلْ اتَّعَبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُم ضَرَّاً وَلَا نَفْعاً وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٧﴾

لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ  
دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا  
يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ  
لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ  
يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ  
أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ  
خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ  
الْآخِرِ مَا اخْتَدَوْهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَا يَكُنْ كَثِيرًا  
مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨١﴾ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً  
لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ  
أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي  
ذَلِكَ يَأْتِ مِنْهُمْ قَسِيسِينَ وَرُهَبَانًا وَأَنَّهُمْ  
لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى  
الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا  
مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾

﴿١٢١﴾

نصارى، وقرب مودة هؤلاء للمؤمنين لأن منهم علماء وعبَّادًا، وأنهم متواضعون، غير متكبرين، لأن التكبر لا يصل الحبر إلى قلبه. وهؤلاء - كالتنجاشي وأصحابه - قلوبهم ليئة، حيث إنهم يكون خشوعًا عند سماع ما أنزل من القرآن لَمَّا عرفوا أنه من الحق، لمعرفتهم بما جاء به عيسى عليه السلام، يقولون: يا ربنا آمنا بما أنزلت على رسولك محمد ﷺ، فاكْتُبْنَا يا ربنا مع أمه محمد ﷺ التي تكون حجة على الناس يوم القيامة.

﴿١٢٢﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ

- ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر موجب للفن والطرد من رحمة الله تعالى.
- من علامات الإيمان: الحب في الله والبغض في الله.
- مولاة أعداء الله توجب غضب الله ﷻ على فاعلها.
- شدة عداوة اليهود والمشركين لأهل الإسلام، وهي المقابل وجود طوائف من النصارى يدينون بالمودة للإسلام؛ لعلمهم أنه دين الحق.

﴿٧٨﴾ يخبر الله سبحانه أنه طرد الكافرين من بني إسرائيل من رحمته في الكتاب الذي أنزله على داود وهو الزبور، وفي الكتاب الذي أنزله على عيسى بن مريم وهو الإنجيل، ذلك الطرد من الرحمة بسبب ما ارتكبه من المعاصي والاعتداء على حُرِّمات الله.

﴿٧٩﴾ كانوا لا ينهى بعضهم بعضًا عن ارتكابه المعصية، بل يهاجر العصاة منهم بما يقتضونه من المعاصي والمنكرات؛ لأنه لا مُنْكَرَ يُنْكَرُ عليهم، لَسَاءَ ما كانوا يفعلون من ترك النهي عن المنكر.

﴿٨٠﴾ شاهد - أيها الرسول - كثيرًا من الكفرة من هؤلاء اليهود يحيون الكافرين ويميلون إليهم، ويمادونك ويمادون الموحدين، ساء ما يُقْدِمُونَ عليه من موالاة الكافرين، فإنها سبب غضب الله عليهم، وإدخاله إياهم النار خالدين فيها، لا يخرجون منها أبدًا.

﴿٨١﴾ ولو كان هؤلاء اليهود يؤمنون بالله حقًا، ويؤمنون نبيَّه، ما جعلوا من المشركين أولياء يحبونهم ويميلون إليهم دون المؤمنين؛ لأنهم نَهَوْا عن اتخاذ الكافرين أولياء، ولكن كثيرًا من هؤلاء اليهود خارجون عن طاعة الله وولايته، وولاية المؤمنين.

﴿٨٢﴾ لتجدن - أيها الرسول - أعظم الناس عداوة للمؤمنين بك، وبما جئت به اليهود؛ لَمَّا هم عليه من الحقد والجسد والكبر، وعبدة الأصنام، وغيرهم من المشركين بالله، ولتجدن أقربهم محبة للمؤمنين بك، وبما جئت به الذين يقولون عن أنفسهم: إنهم

وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَاتَّبِعْهُمْ اللَّهُ بِمَا قَالُوا أَجَنَّتِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَرْتُمْ بِهِ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَرَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رَجَسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾

١٢٢

﴿٨٤﴾ وأي سبب يحول بيننا وبين الإيمان بالله وما أنزله من الحق الذي جاء به محمد ﷺ ونحن نرجو دخول الجنة مع الأنبياء وأتباعهم المطيعين لله العائدين من عذابه. ﴿٨٥﴾ فجازاهم الله على إيمانهم واعتراقتهم بالحق جنات تجري الأنهار من تحت قصورها وأشجارها ما كثير فيها أبداً، وذلك جزاء المحسنين في اتباعهم للحق واتباعهم له دون قيد أو شرط.

﴿٨٦﴾ والذين كفروا بالله وبرسوله، وكذبوا بآيات الله التي أنزلها على رسوله، أولئك الملازمون للنار المتأججون، لا يخرجون منها أبداً. ﴿٨٧﴾ يا أيها الذين آمنوا، لا تخرموا المستلذات المباحة من المأكول والمشرب والمناكح، لا تخرموها تزهداً أو تعبداً، ولا تتجاوزوا حدود ما حرم الله عليكم، إن الله لا يحب المتجاوزين لحدوده، بل ينفصهم. ﴿٨٨﴾ وكلوا مما يسوقه الله إليكم من رزقه حال كونه حلالاً طيباً، لا إن كان حراماً كالماخوذ غصباً أو مستخيراً، واتقوا الله بامتنال أوامرهِ واحتساب نواحيه، فهو الذي تؤمنون به، وإيمانكم به يوجب عليكم أن تتقوه.

﴿٨٩﴾ لا يحاسبكم الله - أيها المؤمنون - بما يجري على ألسنتكم من الخلف من غير قصد، وإنما يحاسبكم بما عزمتم عليه، وعقدتم القلوب عليه وحنثتم، فمحو عنكم إنهم ما عزمتم عليه من إيمان ونطقتموه إذا حنثتم أحد ثلاثة أشياء على التخيير هي: إطعام عشرة مساكين من أوسط طعام أهل بلدكم، لكل مسكين نصف

صاع، أو كسوتهم بما يُعتبر عُرفاً كسوة، أو عتاق رقبة مؤمنة، فإذا لم يجد المكفر عن يمينه أحد هذه الأشياء الثلاثة كفر عنها بصيام ثلاثة أيام، ذلك المذكور هو كفارة إيمانكم أيها المؤمنون إذا أقسمتم بالله وحنثتم، وصوموا أيامانكم عن الحلف بالله كذباً، وعن كثرة القسم بالله، وعن عدم الوفاء بالقسم ما لم يكن عدم الوفاء خيراً، فافعلوا الخير، وكفروا عن إيمانكم، كما بيّن الله لكم كفارة اليمين بيّن الله لكم أحكامه المبينة للحلال والحرام. لعلمكم تشكرون الله على أن علمكم ما لم تكونوا تعلمون.

﴿٩٠﴾ يا أيها الذين آمنوا، إنما المشكر الذي يُذهب العقل، والقمار المشتمل على عوص من الحائنين، والحجارة التي يذبح عندها المشركون تعظيماً لها أو ينصبونها لعبادتها، والمذبح التي كانوا يطلبون بها ما قسم لهم من الغيب، كل ذلك رجم من ترزين الشيطان، فابتعدوا عنه لعلمكم تقوزون بحياة كريمة في الدنيا وبنعيم الجنة في الآخرة.

• مِنْ قَوْلِهَا لَأَيَّامٍ:

- الأمر بنوخي الطيب من الأرزاق وترك الحبيب.
- عدم المؤاخظة على الحلف عن غير عزم للقلب، والمؤاخظة على ما كان عن عزم القلب ليفعل أو لا يفعل.
- بيان أن كفارة اليمين إطعام عشرة مساكين، أو كسوتهم، أو عتق رقبة مؤمنة، فإذا لم يستطع المكفر عن يمينه الإتيان بواحد من الأمور السابقة، فليكفر عن يمينه بصيام ثلاثة أيام.
- قوله تعالى: ﴿... إِنَّمَا الْخَمْرُ...﴾ هي آخر آية نزلت في الخمر، وهي نص في تحريمه.



﴿٩٦﴾ إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الحمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون ﴿٩٧﴾ وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأطيعوا ما أمر الشرع به، واجتنبوا ما نهى عنه، واحذروا من المخالفة، فإن أعرضتم عن ذلك فاعلموا أنها على رسولنا التبليغ لما أمره الله بنيلغه، وقد بلغ، فإن اهتديتم فلا تنفكوا، وإن أسأتم فعليها.

ولما نزل تحريم الخمر تمنى بعض المؤمنين معرفة حال إخوانهم الذين ماتوا مسلمين قبل تحريمها؛ فنزلت الآية التالية:

﴿٩٨﴾ ليس على الذين آمنوا بالله، وعملوا الأعمال الصالحة تقرباً إليه؛ ثم فيما تناولوه من الخمر قبل تحريمها، إذا اجتنبوا المحرمات، مثقلين سخط الله عليهم، مؤمنين به، فائمين بالأعمال الصالحة، ثم اردادوا مراقبة لله حتى أصبحوا يعيدونه كأنهم يرونه، والله يحب الذين يعيدونه كأنهم يرونه؛ لما هم فيه من استشعار رقابة الله الدائمة، وذلك ما يقود المؤمن إلى إحسان عمله وإتقانه.

﴿٩٩﴾ يا أيها الذين آمنوا، ليختبرنكم الله بشيء يسوقه إليكم من الصيد البري وأنتم مخرجون، تتناولون الصغار منه بأيديكم، والكبار برماحكم، ليعلم الله علم ظهور يحاسب عليه العباد من يخافه بالغيب لكمال إيمانه بعلم الله، فيمسك عن الصيد خوفاً من خالقه الذي لا يخفى عليه عمله، فمن تجاوز

الحد، واصطاد وهو مخرج يحج أو عمرة فله عذاب موجع يوم القيامة، لا رتابة ما نهى الله عنه.

﴿١٠٠﴾ يا أيها الذين آمنوا، لا تقتلوا الصيد البري وأنتم مخرجون يحج أو عمرة، ومن قتله منكم متعمداً فعليه جزاء مماثل لما قتله من الصيد من الإبل أو البقر أو الغنم، يحكم به رجلان مصفايان بالعدالة بين المسلمين، وما حكما به يفعل به ما يفعل بالهدي من الإرسال إلى مكة ودبجه في الحرم، أو قيمة ذلك من الطعام تدفع لفقراء الحرم، لكل فقير نصف صاع، أو صيام يوم مقابل كل نصف صاع من الطعام، كل ذلك ليدوق قاتل الصيد عاقبة ما أقدم عليه من قتله، تجاوز الله عما مضى من قتل صيد الحرم وقتل المحرم صيد البر قبل تحريمه، ومن عاد إليه بعد التحريم انتقم الله منه بأن يعده على ذلك، والله قوي منيع، ومن قوته أنه ينتقم ممن عصاه إن شاء، لا يمنعه منه مانع.

من فويذ الآيات:

إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْحُمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيُصَدِّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿٩٦﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا إِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٩٧﴾ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَبْلُوَنَّكُمْ اللَّهُ بَشْيَاءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَا حُكْمٌ لِّعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٩٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَذَا يَبْلُغُ الْكَعْبَةَ أَوْ كَقَرَّةٍ طَعَامُ مَسْكِينٍ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِّذَوْقٍ وَبِالْأَمْرِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿١٠٠﴾

﴿٩٦﴾ إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الحمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون ﴿٩٧﴾ وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأطيعوا ما أمر الشرع به، واجتنبوا ما نهى عنه، واحذروا من المخالفة، فإن أعرضتم عن ذلك فاعلموا أنها على رسولنا التبليغ لما أمره الله بنيلغه، وقد بلغ، فإن اهتديتم فلا تنفكوا، وإن أسأتم فعليها.

● عدم مؤاخذه الشخص بما لم يُحَرِّم أو لم يبلغه تحريمه.

● تحريم الصيد على المحرم بالحج أو العمرة، وبيان كفارة قتله.

● من حكمة الله في التحريم: ابتلاء عباده، وتمحيصهم، وفي الكمارة: الردع والزجر.

أَحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَّعَالِكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ  
وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي  
إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ  
قِيَمًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلْبَ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوا  
أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ  
شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ  
غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩٨﴾ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا  
تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ  
وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَأْتِي اللَّهُ يَأْكُلُ الْآلِبَابَ  
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَن  
أَشْيَاءٍ إِن تُبَدَلْ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ  
الْقُرْءَانُ تَبَدَلْ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾  
قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴿١٠٢﴾ مَا جَعَلَ  
اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ  
كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَثُرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾

١٢٤

﴿٩٦﴾ أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ صَيْدَ الْبَحْرِ وَطَعَامَهُ  
المائية، وما يقذفه البحر لكم حيا أو  
ميتا منفعه لمن كان منكم مقيما أو  
مسافرا ينزود به، وحرم عليكم صيد  
البر ما دمتم محرمين بحج أو عمرة،  
واتقوا الله بامتثال أوامره واجتنب  
نواهيه، فهو الذي إليه وحده ترجعون  
يوم القيامة، فيحاربكم على أعمالكم،  
﴿٩٧﴾ جعل الله الكعبة البيت المخرم  
قيما للناس، به تقوم مصالحهم  
الدنية من الصلاة والحج والعمرة،  
ومصالحهم الدنيوية بالأمن في الحرم  
وجباية ثمرات كل شيء إليه، وجعل  
الأشهر الحرم وهي: ذو القعدة وذو  
الحجة والمحرم ورجب) قياما لهم  
بأمنهم فيها من قتال غيرهم لهم،  
والهدى والقلائد المشقة بأنها  
مسوقة إلى الحرم قياما لهم بأمن  
أصحابها من التعرض لهم بأذى، ذلك  
الذي من الله به عليكم لتعلموا أن الله  
يعلم ما في السماوات وما في الأرض،  
وأن الله بكل شيء عليم، فإن تشريع  
لذلك لجلب المصالح لكم ودفع  
المضار عنكم قبل حصولها - دليل  
على علمه بما يصلح للعباد.

﴿٩٨﴾ اعلّموا أيها الناس أن الله  
شديد العقاب لمن عصاه، وغفور لمن  
تاب، رحيم به.

﴿٩٩﴾ ليس على الرسول إلا تبليغ ما أمره  
الله بتبليغه، فليس عليه توفيق الناس  
إلى الهداية، فذلك بيد الله وحده،  
والله يعلم ما تظهرونه، وما تخفونه  
من الهداية أو الضلال، وسيجازيكم  
على ذلك.

﴿١٠٠﴾ قل أيها الرسول : لا يستوي  
الخبث من كل شيء مع الطيب من كل

شئ، ولو أعجبك كثرة الخبيث، فإن كثرت لا تدل على فضله، فاتقوا الله - يا أصحاب العقول - بترك الخبيث وفعل الطيب لعلكم  
تفوزون بالجنة. ﴿١٠١﴾ يا أيها الذين آمنوا، لا تسألوا رسولكم عن أشياء لا حاجة لكم بها، وليست مما يعينكم على أمر دينكم، إن  
تظهر لكم تسؤكم لما فيها من المشقة، وإن تسألوا عن هذه الأشياء التي تهيم عن السؤال عنها حين ينزل الوحي على الرسول تبين  
لكم، وذلك على الله يسير، فقد تجاوز الله عن أشياء سكنت عنها القرآن، فلا تسألوا عنها، فإنكم إن سألتهم عنها بزل عليكم التكليف  
بحكمها، والله غفور لذنوب عباده إذا تابوا. حلیم عن أن يعاقبهم بها. ﴿١٠٢﴾ قد سأل عن مثلها قوم ممن سبقوكم، فلما كلفوا بها لم  
يعملوا بها، فأصبحوا كافرين سببها، ﴿١٠٣﴾ أحل الله الأنعام، فلم يحرم منها ما حرّم المشركون على أنفسهم لأصنامهم من لبحيره  
وهي النافه التي تقطع أدها إذا أنجحت عددا معينا. والسائنه وهي النافه التي إذا بلغت سبعا معينة تترك لأصنامهم، والوصيله وهي  
النافه التي تصل إهاب أنى بأنى، والحامي وهو فعل لايل إذا نزع عدد من الإبل من صلبه، لكن الكفار رعموا كذا وبهانا أن الله  
حرم المذكورات، وأكثر الكافرين لا يميزون بين الحق والباطل والحلال والحرام.

من فوائد الآيات:

- الأصل في شعائر الله تعالى أنها جاءت لتحقيق مصالح العباد الدنيوية والأخروية. ودفع المضار عنهم
- عدم الإعجاب بالكثرة، فإن كثرة الشيء ليست دليلا على جلّه أو طيبه، وإنما الدليل يكمن في الحكم الشرعي.
- من أدب المستفتي: تقييد السؤال بحدود معينة، فلا يسوغ السؤال عما لا حاجة للمرء ولا غرض له فيه.
- دم مسالك المشركين فيما احترموه وزعموه من محرّمات الأنعام ك: البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحامي.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ عِبَادَةً أُولَئِكَ كَانُوا مِنْكُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٤﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ أَحْزَانٌ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ صَرَيْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصْلَبَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ أَرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الْآثِمِينَ ﴿١٦﴾ فَإِنْ عُرِثَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخِرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوَّلَيْنِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهِدْنَا أَحَقَّ مِنْ شَهِدَتِيهِمَا وَمَا أَعْتَدْنَا إِنَّا إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهَيْهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَنُ بَعْدَ أَيْمَنِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَسْمِعُوا اللَّهَ لَا يَهْدِيَ الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٨﴾

﴿١٤﴾ وإذا قيل لهؤلاء المصترين على الله الكذب بتحريم بعض الأنعام: تعالوا إلى ما أنزل الله من القرآن، وإلى سنة الرسول ﷺ لتعرفوا الحلال من الحرام، قالوا يكفيننا ما أخذناه وورثناه عن أسلافنا من الاعتقادات والأقوال والأفعال، كيف يكفيهم ذلك وقد كان أسلافهم لا يعلمون شيئاً، ولا يهتدون إلى الحق؟ فلا يتبعهم إلا من هو أجهل منهم وأضل سبيلاً، فهم جهلة ضالون.

﴿١٥﴾ يا أيها الذين آمنوا، عليكم أنفسكم فالزموها بالقيام بما يصلحها، لا يصركم من ضل من الناس ولم يستجب لكم، إذا اهتديتم أنتم، ومن اهتداكم أمركم بالمعروف ونهيكم عن المنكر، إلى الله وحده رجوعكم يوم القيامة، فحبركم بما كنتم تعملون في الدنيا، ويجازيكم عليه.

﴿١٦﴾ يا أيها الذين آمنوا، إذا اقترب موت أحدكم بظهور علامة من علامات الموت فليشهد على وصيته غزيرين من المسلمين أو رحلين من الكفار عند الاحتياج لفقد غيرهما من المسلمين، إن سافرتهم فنزل بكم الموت، وإن حدث ارتياح في شهادتهما فقفوهما بعد إحدى الصلوات، فيحلفان بالله: لا يبيعان حظهما من الله بعوض، ولا يخايبان به قريباً، ولا يكتمان شهادة لله عندهما، وأنهما إن فعلا ذلك كانا من المذنبين العاصين لله.

﴿١٧﴾ فإن تبين بعد التحليف كذبهما في الشهادة أو اليمين، أو ظهرت خيانتهما؛ فليشهد أو يحلف اثنان يقومان مقامهما من أقرب الناس إلى الميت على ما هو حق، فيحلفان بالله لشهادتهما أحق من شهادتهما وأمانتهما، وما حلفنا يوماً، إن شهدنا يوماً لمن الظالمين المتجاوزين لحدود الله.

﴿١٨﴾ ذلك المذكور من تحليف الشاهدين بعد الصلاة عند الشك في شهادتهما، ومن رد شهادتهما، أقرب إلى إتيانهما بالشهادة على الوجه الشرعي للإتيان بها، فلا يحرفان الشهادة أو يبدلونها أو يخونان، وأقرب إلى أن يخافا أن ترد أيمان الوريثة بعد إيمانها، فيحلفون على خلاف ما شهدا به قهراً، واتقوا الله بترك الكذب والخيانة في الشهادة واليمين، واسمعوا ما أمرتكم به سماعاً يصحبه قبول، والله لا يوفق الحارحين عن طاعته.

من فزير الآيات:

- إذا ألزم العبد نفسه بطاعة الله، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر بحسب طاقته، فلا يضره بعد ذلك ضلال أحد، ولن يُسأل عن غيره من الناس، وخاصة أهل الضلال منهم.
- الترغيب في كتابة الوصية، مع صيانتها بإشهاد العدول عليها.
- بيان الصورة الشرعية لسؤال الشهود عن الوصية.



﴿١٢٦﴾ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا  
إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ ﴿١٢٧﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ  
اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ  
الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ  
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ  
مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ  
طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ  
الْمَوْتِ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَنكَ إِذْ  
جَعَلْتَهُمُ الْبَلِيَّتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا  
إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٢٨﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْخَوَارِجِ أَنْ آمِنُوا  
بِي وَبِرُسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿١٢٩﴾  
إِذْ قَالَ الْخَوَارِجُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ  
أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ  
مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٠﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا  
وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١٣١﴾

﴿١٢٦﴾ اذكروا أيها الناس يوم  
القيامة حيث يجمع الله جميع الرسل،  
فيقول لهم: ماذا أجابتمكم به أممكم  
التي أرسلتكم إليها؟ قالوا مُفَوِّضِينَ  
الجواب إلى الله: لا علم لنا، وإنما  
العلم لك - ربنا - إنك أنت وحيدك من  
تعلم الأمور الغائبة.

﴿١٢٧﴾ واذكر حين قال الله مغاطباً  
عيسى عليه السلام: يا عيسى بن مريم،  
اذكر نعمتي عليك حين خلقتك من  
غير أب، واذكر نعمتي على أمك  
مريم عليها السلام حين اصطفتها على ساء  
زمانها، واذكر مما أنعمت به عليك  
حين قوّيتك بجبريل عليه السلام، تكلم الناس  
وأنت رصيع بدعوتهم إلى الله،  
وتكلمهم في كهولتك بما أرسلتك به  
إليهم، ومما أنعمت به عليك أن علمتك  
لحط، وعلمتك التوراة التي أنزلت  
على موسى عليه السلام، والإنجيل الذي أنزل  
عليك، وعلمتك أسرار الشرع وفوائده  
وحكمه، ومما أنعمت به عليك أنك  
تصوّر من الطين مثل صورة طير، ثم  
تنفخ فيه فيكون طيراً، وأنت تشفي من  
ولّد أعمى من عماه، وتشفي الأبرص،  
فيصير سليم الجلد، وتحيي الموتى  
بدعائك الله أن يحييهم، كل ذلك  
بإذني، ومما أنعمت به عليك أن دفعت  
عنك بنى إسرائيل لئلا همؤا بقتلك  
حين جئتهم بالمعجزات الواضحة،  
فما كان منهم إلا أن كفروا بها، وقالوا:  
ما هذا الذي جاء به عيسى إلا سحر  
واضح.

﴿١٢٨﴾ واذكر مما أنعمت به عليك  
أن يسرّرت لك أعواناً حين ألهمت  
الحواريين أن يؤمنوا بي ويك، فأنقادوا  
لذلك واستجابوا، وقالوا: آمنا، وأشهد

يا ربنا بأننا مسلمون لك منقادون.

﴿١٢٩﴾ واذكر حين قال الحواريون هل يستطيع ربك إذا دعوته أن ينزل مائدة من السماء؟ فأجابهم عيسى عليه السلام بأن أمرهم بتقوى الله  
وترك طلب ما سألوا، إذ لعل فيه فتنة لهم، وقال لهم: توكّلوا على ربكم في طلب الرزق إن كنتم مؤمنين  
﴿١٣٠﴾ قال الحواريون لعيسى: نريد أن يأكل من هذه المائدة، وتطمئن قلوبنا بكمال قدرة الله، وبأنك رسوله، ونعلم علم اليقين أنك  
صديقنا فيما حثت به من عند الله، ونكون عليها من الشاهدين لمن لم يحضرها من الناس.

﴿١٣١﴾ من مواعيد الآيات:

- إثبات جمع الله للخلق يوم القيامة جليلهم وحقيرهم.
- إثبات بشرية المسيح عليه السلام وإثبات آياته الحسية من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص التي أجراها الله على يديه.
- بيان أن آيات الأنبياء تهدف لتثبيت الأتباع وإفحام المخالفين، وأنها ليست من تلقاء أنفسهم، بل تأتي بإذن الله تعالى.

قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ  
تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ  
خَيْرُ الرَّاغِبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ  
مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٥﴾  
وَإِذْ قَالَ اللَّهُ لِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي  
وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ  
مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ وَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي  
وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَالِمُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ  
إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ  
شَهِيدًا مِمَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ  
وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبَادُكَ وَإِنْ  
تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ  
الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ  
فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ  
مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾

١٢٧

تفعل بهم ما تشاء، وإن تَمَنَّيْن على من آمن منهم بالمغفرة فلا مانع لك من ذلك، فأنت العزيز الذي لا يُعَاب، الحكيم في تدبيرك،  
قال الله لعيسى عليه السلام: هذا يوم ينفع صادقي النيات والأعمال والأقوال صدقهم، لهم جنات تجري الأنهار من تحت قصورها  
وأشجارها ما كُتِب فيها أبدًا، لا يمتريهم موت، رضي الله عنهم فلا يسخط عليهم أبدًا، ورضوا عنه لما نالوه من النعيم المقيم، ذلك  
الجزء والرضا عنهم هو الفوز العظيم، فلا فوز يدانيه.  
لله وحده ملك السماوات والأرض، فهو خالقهما ومدير أمرهما، وله ملك ما فيهن من جميع المحلوقات، وهو على كل شيء  
قدير، فلا يعجزه شيء.

من فوائد الآيات:

- توعده الله تعالى كل من أصرَّ على كفره وعناده بعد قيام الحجة الواضحة عليه.
- ثبوت المسيح عليه السلام من ادعاء النصارى بأنه أبلغهم أنه الله أو أنه ابن الله أو أنه ادعى الربوبية أو الألوهية.
- أن الله تعالى يسأل يوم القيامة عظماء الناس وأشرفهم من الرسل، فكيف بمن دونهم درجة؟!
- علو منزلة الصديق، وثناء الله تعالى على أهله، وبيان نفع الصديق لأهله يوم القيامة.

﴿١١٤﴾ فأجاب عيسى طلبهم، ودعا  
الله قائلًا: ربنا أنزل علينا مائدة طعام  
نتخذ من يوم نزولها عيدًا نعطمه  
شكرًا لك، للأحياء منا اليوم، ومن  
يجيء بعدنا منا وتكون علامة وبرهانًا  
على وحدانيتك، وعلى صدق ما بُعِثَ  
به، وارزقنا رزقًا يعيننا على عبادتك،  
وأنت - يا ربنا - خير الراغبين.

﴿١١٥﴾ فاستجاب الله دعاء عيسى  
وقال: إني مُنَزِّلُ هذه المائدة  
التي طلبتم إبرأها عليكم، فمن كفر  
بعد إنزالها فلا يلومن إلا نفسه،  
فسأعذبه عذابًا شديدًا لا أعذبه  
أحدًا؛ لأنه شاهد الآية الباهرة، فكان  
كفره كفر عناد، وحَقَّق الله لهم وعده  
فأنزلها عليهم.

﴿١١٦﴾ واذكر حين يقول الله يوم القيامة  
محاطًا بعيسى بن مريم عليه السلام: يا عيسى  
ابن مريم، هل قلت للناس: ضُربوني  
وأُمِّي معبودين من دون الله؟ فأجاب  
عيسى مُنَزِّلًا ربه: لا ينبغي لي أن أقول  
لهم إلا الحق، وإن قُدِّرَ أني قلت ذلك  
فقد علمته لأنه لا يخفى عليك شيء،  
تعلم ما أضمره في نفسي، ولا أعلم ما  
في نفسك، إنك وحدك من تعلم كل  
غائب وكل خفي وكل ظاهر.

﴿١١٧﴾ قال عيسى لربه: ما قلت للناس إلا  
ما أمرتني بقوله من أمرهم بإفراذك  
بالمباة، وكنت رقيبًا على ما يقولون  
طيلة وجودي بين أظهرهم، فلما أنهت  
مدة بقائي بينهم برفعي إلى السماء  
حيًّا كنت - يا رب - أنت الحفيظ  
لأعمالهم، وأنت على كل شيء شهيد،  
لا يغيب عنك شيء، فلا يخفى عليك  
ما قلت لهم، وما قالوا بعدي.

﴿١١٨﴾ إن تعذيبهم - يا رب - فإنهم عبادك

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ  
وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝ هُوَ الَّذِي  
خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ  
تَمْتَرُونَ ۝ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ  
وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ۝ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ  
آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ۝ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ  
لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۝  
أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ  
مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ  
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا  
آخَرِينَ ۝ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ كِسْفٍ مِّنَ السَّمَاءِ لَنَفَذْنَاهُ بِأَيْدِيهِمْ  
لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ  
عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنْزَلْنَاهُ لَمَلَّا لَقَضَىٰ الْأَمْرَ ثُمَّ لَا يَنْظُرُونَ ۝

١٢٨

• من مقاصد الشّورة:

تقرير عقيدة التوحيد والرد على ضلالات المشركين

• التفسير:

• الوصف بالكمال المطلق، والشأن بالمحاسن العليا مع المحبة، ثابت لله الذي خلق السماوات وخلق الأرض من غير مثال سابق، وخلق الليل والنهار، يتعاقبان، فأظلم الليل، وأثار النهار، ومع هذا فالذين كفروا يُسوون به غيره، ويجعلونه شريكاً له.

• هو سبحانه الذي خلقكم أيها الناس - من طين حين خلق أباكم آدم - منه، ثم صرّب سبحانه مدة لإقامتكم في الحياة الدنيا، وضرب أحلاً أحر لا يعلمه إلا هو ليقبلكم يوم القيامة، ثم أنتم تشكون في قدرته سبحانه على البعث.

• وهو سبحانه المعبود بحق في السماوات والأرض، لا يخفى عليه شيء، فهو يعلم ما تخفون من النيات والأقوال والأعمال، ويعلم ما تعنون من ذلك، وسيعازيكم عليها.

• وما تأتي المشركين من حجة من عند ربهم إلا تركوها غير مباليين بها، فقد جاءتهم الحجج الواضحة والبراهين الحلية الدالة على توحيد الله، وجاءتهم الآيات الدالة على صدق رسله، ومع ذلك أعرضوا عنها غير عابئين بها.

• وهم إن أعرضوا عن تلك الحجج الواضحة والبراهين الحلية فقد أعرضوا عما هو أوضح، فقد كذبوا بما

جاء به محمد ﷺ من القرآن، وسيعرفون أن ما كانوا يستهزئون به مما جاءهم به هو الحق حين يرون العذاب يوم القيامة.

• ألم يعلم هؤلاء الكافرون سُنّة الله في إهلاك الأمم الطالمة؟ لقد أهلك الله من قبلهم أمماً كثيرة أعطاهم من أسباب القوة والبقاء في الأرض ما لم يعط هؤلاء الكافرين، وأنزل عليهم الأمطار المتتالعة، وأجرى لهم الأنهار تجري من تحت مساكنهم، فقصوا الله، فأهلكهم بما ارتكبه من المعاصي. وخلق من بعدهم أمماً أخرى.

• ولو نزلنا عليك أيها الرسول كتاباً مكتوباً في أوراق، وشاهدوه بأعينهم، وتأكدوا منه بتحسّسهم الكتاب بأيديهم: لَمَّا آمنوا به جحوداً منهم وتعنّناً، وقالوا: لا يعلّم ما جئت به أن يكون سحراً واضحاً، فلن تؤمن به.

• وقال هؤلاء الكافرون: لو أنزل الله مع محمد ملكاً يكلمنا ويشهد أنه رسول لأمنا. ولو أنزلنا ملكاً على الوصف الذي أرادوا لأهلكناهم إذا لم يؤمنوا، ولا يفتهلون للتوبة إذا نزل.

• من فوائد الآيات:

• شدة عناد الكافرين، وبيان إصرارهم على الكفر على الرغم من قيام الحجة عليهم بالأدلة الحسية.

• التأمل في سنن الله تعالى في السابقين لمعرفة أسباب هلاكهم والحذر منها.

• من رحمة الله بعباده أن لم ينزل لهم رسولاً من الملائكة لأنهم لا يمهلون للتوبة إذا نزل.



﴿١﴾ ولو جعلنا المرسل إليهم ملكاً لجعلناه في صورة رجل ليمكنوا من سماعه والتلقي عنه، إذ لا يستطيعون ذلك مع الملك على هيئته التي خلقه الله عليها، ولو جعلناه في صورة رجل لاشبهه عليهم أمره.

﴿٢﴾ فإن يستهزئ هؤلاء بطلبهم إنزال ملك معك فقد استهزأت أمم من قبلك برسلها، فأحاط بهم العذاب الذي كانوا ينكرونه ويستهزئون به عند تخويفهم منه.

﴿٣﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المكذبين المستهزئين سيروا في الأرض، ثم تأملوا كيف كانت نهاية المكذبين لرسل الله، فقد حل بهم عقاب الله بعدما كانوا فيه من القوة والمنعة.

﴿٤﴾ قل لهم - أيها الرسول -: لمن ملك السماوات وملك الأرض وملك ما بينهما؟ قل: ملكها كلها لله، كتب على نفسه الرحمة تقضياً منه على عباده، فلا يعاجلهم بالعقوبة، حتى إذا لم يتوبوا جمعهم جميعاً يوم القيامة، هذا اليوم الذي لا شك فيه، الذين خسروا أنفسهم بالكفر بالله لا يؤمنون فينقدوا أنفسهم من الخسران.

﴿٥﴾ والله وحده ملك كل شيء، مما استقر في الليل والنهار، وهو السميع لأقوالهم، العليم بأفعالهم، وسيحازيهم عليها.

﴿٦﴾ قل أيها الرسول للمشركين الذين يعبدون مع الله غيره من الأصنام وغيرها: أتعتقد أن أتخذ غير الله ناصرًا أولئك لا يؤمنون، وهو الذي خلق السماوات والأرض على غير مثال سابق، فلم يُسبَقْ إلى خلقهما، وهو الذي يرزق من يشاء من عباده، ولا أحد من عباده يرزقه، فهو العني عن عباده، وعباده مفتقرون إليه، قل أيها الرسول: إني أمرني ربي سبحانه أن أكون أول من انتقاد لله وخضع له من هذه الأمة، ونهاني أن أكون من الذين يشركون معه غيره.

﴿٧﴾ قل - أيها الرسول -: إني أخاف إن عصيت الله بارتكاب ما حُرِّمَ علي من الشرك وغيره، أو ترك ما أمرني به من الإيمان وغيره من الطاعات، أن يعذبني عذاباً عظيماً يوم القيامة. ﴿٨﴾ من يُبْعِدَ الله عنه ذلك العذاب يوم القيامة، فقد فاز برحمة الله له، وتلك النجاة عن العذاب هي الفوز الواضح الذي لا يُدَانِيهِ فوز. ﴿٩﴾ وإن يتلَّك - يا ابن آدم - من الله بلاء فلا دافع للبلاء عنك إلا الله، وإن يتلَّك منه خير فلا مانع له من ذلك، ولا زاد لفضله، فهو القادر على كل شيء، لا يعجزه شيء. ﴿١٠﴾ وهو الغالب على عباده المذلل لهم، العالي عليهم من كل وجه الذي لا يعجزه شيء، ولا يعليه أحد، الجميع له خاضعون، فوق عباده كما يليق به سبحانه، وهو الحكيم في خلقه وتدبيره وشرعه، الخبير فلا يخفى عليه شيء.

﴿١١﴾ من قواید آفات،

• بيان حكمة الله تعالى في إرسال كل رسول من جنس من يرسل إليهم: ليكون أبلغ في السماع والوعي والقبول عنه.

• الدعوة للتأمل في أن تكرار سنن الأولين في العصيان قد يقابله تكرار سنن الله تعالى في العقاب.

• وجوب الخوف من المعصية ونتائجها.

• أن ما يصيب البشر من بلاء ليس له صارف إلا الله، وأن ما يصيبهم من حير فلا مانع له إلا الله، فلا زاد لفضله، ولا مانع لنعيمته.

وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا الْجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ ﴿١﴾ وَلَقَدْ أَسْتَهْزِئُ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٢﴾ قُل سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣﴾ قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُل لِلَّهِ كُتِبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ لِيَجْمَعَ كُفْرًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ \* وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٥﴾ قُلْ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَخْذُ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يَطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٧﴾ مَن يُصْرِفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفُوزُ الْمُبِينُ ﴿٨﴾ وَإِن يَمَسَّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمَسَّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٠﴾

﴿١١﴾ من قواید آفات،

• بيان حكمة الله تعالى في إرسال كل رسول من جنس من يرسل إليهم: ليكون أبلغ في السماع والوعي والقبول عنه.

• الدعوة للتأمل في أن تكرار سنن الأولين في العصيان قد يقابله تكرار سنن الله تعالى في العقاب.

• وجوب الخوف من المعصية ونتائجها.

• أن ما يصيب البشر من بلاء ليس له صارف إلا الله، وأن ما يصيبهم من حير فلا مانع له إلا الله، فلا زاد لفضله، ولا مانع لنعيمته.

﴿١٩﴾ قل - أيها الرسول - للمشركين المكذبين بك: أي شيء أجل وأعظم شهادة على صدقي؟ قل: الله أجل شيء وأعظم شهادة على صدقي، هو شهيد بيني وبينكم، يعلم ما جننكم به، وما ستردون به، وقد أوجي الله إلى هذا القرآن لأخوفكم به، وأخوف به من بلغه من الإنس والجن، إنكم - أيها المشركون - تؤمنون أن مع الله معبودات أخرى، قل - أيها الرسول - : لا أشهد على ما أفررت به لبطلانه، إنما الله إله واحد لا شريك له، وإني بريء من كل ما تشركونه معه.

﴿٢٠﴾ اليهود الذين أعطيتهم التوراة والنصارى الذين أعطيتهم الإنجيل يعرفون النبي محمدا ﷺ معرفة تامة، كما يعرفون أبناءهم من أبناء غيرهم، فأولئك الذين خسروا أنفسهم بإدخالها النار، فهم لا يؤمنون.

﴿٢١﴾ لا أحد أعظم ظلماً ممن نسب لله شريكاً، فعبده معه، أو كذب بآياته التي أنزلها على رسوله، إن الظالمين نسبة الشريك إلى الله وتكذيب آياته لا يفوزون أبداً إن لم يتوبوا.

﴿٢٢﴾ وادكر يوم القيامة حين نجمعهم جميعاً، لا يعاد منهم أحداً، ثم تقول للذين عبدوا مع الله غيره توبيخاً لهم: أين شركاؤكم الذين كنتم تدعون كاذبين أنهم شركاء لله؟ ثم لم يكن اعتذارهم بعد هذا الاختيار إلا أن تبرؤوا من معبوداتهم، وقالوا كذبا. والله ربنا ما كنا في الدنيا مشركين بك، بل كنا مؤمنين بك، موحدين لك.

﴿٢٣﴾ انظر - يا محمد - كيف كذب هؤلاء على أنفسهم بنفيهم الشرك عن

قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ أُذَكِّرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢١﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنِّي شُرَكَاءُكُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَنْصُرُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهُ رَبُّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلَاءً آيَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ لَوْ كُنَّا يُقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْعَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾

أنفسهم، وعاب عنهم وخذلهم ما كانوا يخلقونه من الشركاء مع الله في حياتهم الدنيا؟

﴿٢٥﴾ ومن المشركين من يستمع إليك - أيها الرسول - إذا قرأت القرآن، لكنهم لا ينتصعون بما يستمعون إليه، لأننا جعلنا على قلوبهم أغطية حتى لا يفقهوا القرآن، سبب عنادهم وإعراضهم، وجعلنا في آذانهم صمماً عن السماع النافع، ومهما يروا من الدلالات الواضحة والحجج الجليلة لا يؤمنوا بها، حتى إذا جاؤوك يحاصموك في الحق بالباطل يقولون: ليس الذي جئت به إلا مأخوذاً عن كتب الأوائل.

﴿٢٦﴾ وهم ينهون الناس عن الإيمان بالرسول، ويتعدون عنه، فلا يتركون من ينتفع به، ولا ينتصعون هم به، وما يهلكون بصنيعهم هذا إلا أنفسهم، وما علموا أن ما يقومون به إهلاك لها.

﴿٢٧﴾ ولو ترى - أيها الرسول - حين يُعرضون يوم القيامة على النار، فيقولون تحسراً: يا ليتنا نُرَدُّ إلى الحياة الدنيا، ولا نُكذِّبُ بآيات الله، ونَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بالله - لرأيت عجباً من سوء حالهم.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- بيان الحكمة في إرسال النبي عليه الصلاة والسلام بالقرآن، من أجل البلاغ والبيان، وأعظم ذلك الدعوة لتوحيد الله
- نفي الشريك عن الله تعالى، ودحض افتراءات المشركين في هذا الخصوص.
- بيان معرفة اليهود والنصارى للنبي عليه الصلاة والسلام، برغم جعودهم وكفرهم.

بَلْ بَدَأَ الْهَمَّ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ  
وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ  
بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَيْسَ هَذَا  
بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ  
﴿٣٠﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ  
بَغْتَةً قَالُوا لَوْ أَنَّا حَسَرْنَا عَلَى مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ  
عَلَى ظُهُورِهِمْ إِلَّا سَاءَ مَا يَزُرُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا  
إِلَّا لَعِبٌ وَلَهُمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ  
﴿٣٢﴾ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ  
وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتٍ اللَّهُ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ  
رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كَذَّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّى آتَاهُمْ  
نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّ الْأُرْسَلِينَ  
﴿٣٤﴾ وَإِنْ كَانَ كِبَرُ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ أُسْطِطِعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ  
نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بَيِّنَاتٌ وَلَوْ شَاءَ  
اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٥﴾

١٣١

﴿٢٨﴾ ليس الأمر كما قالوا من أنهم لو ردُّوا لأمَنوا، بل ظهر لهم ما كانوا يسترون من قولهم: (والله ربنا ما كنا مشركين)، حين شهدت عليهم جوارحهم، ولو قُدِّرَ أنهم رجعوا إلى الدنيا لرجعوا إلى ما نهوا عنه من الكفر والشرك، وإنهم لكاذبون في وعدهم بالإيمان إذا رجعوا.

﴿٢٩﴾ وقال هؤلاء المشركون: لا حياة إلا الحياة التي نحن فيها، ولسنا مبعوثين للحساب.

﴿٣٠﴾ ولو ترى - أيها الرسول - حين أوقفَ منكرو البعث بين يدي ربهم لرايت العجب من سوء حالهم حين يقول لهم الله: أليس هذا البعث الذي كنتم تكذبون به حقًا ثابتًا لا مزية فيه ولا شك؟! قالوا: أقسمنا بربنا الذي خلقنا إنه لحق ثابت لا شك فيه، فيقول لهم الله عند ذلك: فذوقوا العذاب بسبب كفركم بهذا اليوم، فكنتم به تكذبون في الحياة الدنيا.

﴿٣١﴾ قد خسر الذين كَذَّبُوا بالبعث يوم القيامة واستبعدوا الوقوف بين يدي الله، حتى إذا جاءتهم الساعة فجأة من غير سابق علم قالوا من شدة الندم يا لحسرتنا وخيبة أملنا لما قصُرنا في جنب الله من الكفر به وعدم الاستعداد ليوم القيامة، وهم يحملون سيئاتهم فوق ظهورهم، ألا قُبْحُ ما يحملون من تلك السيئات.

﴿٣٢﴾ وليست الحياة الدنيا التي تكونون فيها إلا لعبًا وغرورًا لمن لا يعمل فيها بما يرضي الله، وأما الدار الآخرة فهي خير للذين يتقون الله بفعل ما أمر به من الإيمان والطاعة، وتَرْك ما نهى عنه من الشرك والمعصية،

أفلا تعقلون أيها المشركون ذلك؟! فتؤمنوا وتعملوا الصالحات. ﴿٣٣﴾ نحن نعلم أنك أيها الرسول يحزنك تكذيبهم لك في الظاهر، فاعلم أنهم لا يكذبونك في أنفسهم: لعلمهم بصدقك وأمانتك، ولكنهم قوم ظالمون ينكرون أمرك ظاهريًا وهم يوقنون به في أنفسهم. ﴿٣٤﴾ ولا تحسب أن هذا التكذيب خاص بما حثت به، فقد كُذِّبَتْ رسل من قبلك، وأداهم أقوامهم، فواجهوا ذلك بالصبر على الدعوة والجهاد في سبيل الله حتى جاءهم النصر من الله، ولا مُبَدِّلَ لما كتبه الله من التصر، ووعد به رسله، ولقد جاءك أيها الرسول من أخبار من قبلك من الرسل وما لاقوه من أقوامهم وما حياهم الله من النصر على أعدائهم بإهلاكهم.

﴿٣٥﴾ وإن كان شق عليك أيها الرسول ما تلافيه من تكذيبهم وإعراضهم عما جئتهم به من الحق، فإن استطعت أن تطلب نفقًا في الأرض أو مضغًا إلى السماء فتأتيهم بحنة وبرهان غير الذي أيداك به فافعل، ولو شاء الله جَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى الذي جئت به لَجَمَعَهُمْ، لكنه لم يشأ ذلك لحكمة بالغة، فلا تكوننَّ من الجاهلين بذلك، فتذهب نفسك حسرات على أنهم لم يؤمنوا.

﴿٣٦﴾ مِنْ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ

- من عدل الله تعالى أنه يجمع العابد والمعبود والتابع والمتبوع في غزوات القيامة ليشهد بعضهم على بعض.
- ليس كل من يسمع القرار ينتفع به، فربما يوجد حائل مثل ختم القلب أو الضمَم عن الاستماع أو غير ذلك.
- بيان أن المشركين وإن كانوا يكذبون في الظاهر فهم يستيقنون في دواخلهم بصدق النبي عليه الصلاة والسلام.
- تسلية النبي عليه الصلاة والسلام ومواساته بإعلامه أن هذا التكذيب لم يقع له وحده، بل هي طريقة المشركين في معاملة الرسل السابقين.



﴿٦١﴾ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٦٢﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٣﴾ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَآ فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمُّوهُمْ وَبُكْرُوا فِي الظُّلُمَاتِ مِنْ يَشَاءِ اللَّهُ يُضْلِلُهُ وَمَنْ يَشَأْ يُجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٦٥﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٦﴾ بَلْ إِلَٰهَهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٦٨﴾ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٧٠﴾

١٣٢

﴿٦١﴾ إنما يجيبك قابلاً ما جئت به من يسمعون الكلام ويفهمونه، والكفار موتى لا شأن لهم، فقد ماتت قلوبهم، والموتى يبعثهم الله يوم القيامة، ثم إليه وحده يرجعون ليجازيهم على ما قدموا.

﴿٦٢﴾ وقال المشركون مُتَعَذِّلِينَ وَمُطَاطِلِينَ بالإيمان: هلاً أنزل على محمد آية خارقة تكون برهاناً من ربه على صدقه فيما جاء به؟ قل - أيها الرسول: إن الله قادر على تنزيل آية حسبما يريدون، ولكن أكثر هؤلاء المشركين المطالبين بإنزال آية لا يعلمون أن إنزال الآيات يكون وفق حكمته تعالى، وليس وفق ما يطالبون به، فلو أنزلها ثم لم يؤمنوا لأهلكهم ﴿٦٣﴾ وما من حيوان يتحرك فوق الأرض، ولا طائر يطير في السماء إلا أجناس مثلكم يا بني آدم في الخلق والبرق، ما تركنا في النوح المحفوظ شيئاً إلا أثبتناه، والجميع علمهم عند الله، ثم إلى ربهم وحده يوم القيامة يجمعون لفصل القضاء، فيجازي كل ما يستحقه.

﴿٦٤﴾ والذين كذبوا بآياتنا مثل الصم الذين لا يسمعون، والبكم الذين لا يتكلمون، وهم مع ذلك في الظلمات لا يبصرون، فأنى لمن هذه حاله أن يهتدي؟ من يشأ الله إضلاله من الناس يضلله، ومن يشأ هدايته يهديه بأن يجعله على طريق مستقيم لا اعوجاج فيه.

﴿٦٥﴾ قل أيها الرسول لهؤلاء المشركين: أخبروني إن جاءكم عذاب من الله أو جاءتكم الساعة التي وعدتكم أنها آتية: أتظنون إذ ذاك غير الله

ليكشف ما ينزل بكم من البلاء والشدة، إن كنتم صادقين في ادعاء أن معبوداتكم تحل نفعا أو تدفع صرا؟ الحق أنكم لا تدعون إلا دالك غير الله الذي خلقكم، فيصرف عنكم البلاء، ويرفع عنكم الضر إن شاء، فهو ولي ذلك والقادر عليه، وأما معبوداتكم التي أشركتموها مع الله فتتركها، تعلمكم أنها لا تنفع ولا تنصر.

﴿٦٦﴾ ولقد بعثنا إلى أمم من قبلك أيها الرسول رسلاً فكذبوهم، وأعرضوا عما جاؤوهم به، فعاقبناهم بالشدائد كال فقر وبما يصز أبدانهم كالمرض من أجل أن يحضوا لربهم، ويتدلوا له. ﴿٦٧﴾ لو أنهم حين جاءهم بلاؤنا تدلوا لله، وخضعوا له ليكشف عنهم البلاء، لرحمناهم لكنهم لم يفعلوا ذلك، بل قست قلوبهم. فلم يعتبروا، ولم يتعظوا، وحس لهم الشيطان ما كانوا يرتكبون من الكفر والمعاصي، فاستمروا على ما كانوا عليه. ﴿٦٨﴾ فلما تركوا ما وُعدوا به من شدة الفقر والمرض، ولم يعملوا بأوامر الله، استدرجناهم بفتح أبواب الرزق عليهم، وأغناهم بعد الفقر، وضخنا أجسامهم بعد المرض، حتى إذا أصابهم البطر، واستولى عليهم الإعياء بما مُنُّوا به جاءهم عذابنا فجأة، فإذا هم منحIRON يائسون مما ياملون.

من فويد الآيات:

- تشبيه الكفار بالموتى: لأن الحياة الحقيقية هي حياة القلب بقبوله الحق واتباعه طريق الهداية.
- من حكمة الله تعالى في الانتلاء: إنزال البلاء على المخالفين من أجل تليين قلوبهم وردهم إلى ربهم.
- وجود النعم والأموال بأيدي أهل الضلال لا يدل على محبة الله لهم، وإنما هو استدراج وابتلاء لهم ولغيرهم.

فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾  
 قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ  
 مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ أَنْظِرْ كَيْفَ نَصْرُفُ الْآيَاتِ  
 ثُمَّ هُمْ يَصْذِقُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ  
 بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا  
 نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ أَمَنَ وَأَصْلَحَ  
 فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا  
 يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ  
 عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبِ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ  
 إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ  
 أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ وَانذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى  
 رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ  
 ﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ  
 وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ  
 عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾

﴿٤٥﴾ فَقُطِعَ آخر أهل الكفر باستئصالهم جميعاً بالإهلاك، ونُصِرَ رسل الله، والشكرُ والثناء لله وحده رب العالمين على إهلاكه أعداءه ونصره أوليائه.

﴿٤٦﴾ قل أيها الرسول لهؤلاء المشركين: أخبروني إن أضغمتُ الله سلبُ أسماعكم، وأعماكم بأخذ أبصاركم، وطبع على قلوبكم، فلم تفقهوا شيئاً: من معبود بحق يأتيكم بما فقدتموه من ذلك؟ تأمل أيها

الرسول كيف بين لهم الحجج، وتنوع البراهين، ثم هم يعرضون عنها!

﴿٤٧﴾ قل لهم - أيها الرسول -: أخبروني إن جاءكم عذاب الله فجأة من غير شعور منكم به، أو جاءكم طاهراً عياناً، فإنه لا يؤخذ بذلك العذاب إلا الظالمون بكفرهم بالله وتكذيب رسله.

﴿٤٨﴾ وما نرسل من نرسله من رسلنا إلا لإخبار أهل الإيمان والطاعة بما يسرهم من النعيم المقيم الذي لا ينقذ ولا يقطع، وتخويف أهل الكفر والعصيان من عذابنا الشديد، فمن آمن بالرسول، وأصلح عمله، فلا خوف عليهم فيما يستقبلونه في آخرتهم، ولا هم يحزنون ويتحسرون على ما فاتهم من الحظوظ الدنيوية.

﴿٤٩﴾ والذين كذبوا بآياتنا يصيبهم العذاب بسبب خروجهم عن طاعة الله.

﴿٥٠﴾ قل أيها الرسول لهؤلاء المشركين: لا أقول لكم: إن عني خزان الله من الرزق فأنصرف فيها بما شئت، ولا أقول لكم: إنني أعلم من الغيب إلا ما أظعنني الله عليه من الوحي، ولا أقول لكم: إنني ملك من الملائكة، فأنا رسول من الله، لا أتبع إلا ما يوحى إلي، ولا أدعي ما ليس لي، قل - أيها الرسول لهم: هل يستوي الكافر الذي غميت بصيرته عن الحق، والمؤمن الذي أبصر الحق وأمن به؟ أفلا تتأملون بعقولكم أيها المشركون فيما حولكم من الآيات.

﴿٥١﴾ وخوف أيها الرسول بهذا القرآن الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم يوم القيامة، ليس لهم ولي غير الله يجلب لهم النعم، ولا شفيع يكشف عنهم الضر، لعلهم يتقون الله بامثال أوامره واجتناب نواهيه، فهؤلاء هم الذين ينتفعون بالقرآن.

﴿٥٢﴾ ولا تنبذ أيها الرسول عن مجلسك فقراء المسلمين الذين هم في عبادة دائمة لله في نول النهار وأحره مخلصين له العبادة، لا تبعدهم لتستميل أكابر المشركين، ليس عليك من حساب هؤلاء الفقراء شيء، إنما حسابهم عند ربهم، وما عليهم من حسابك شيء، إنك إن أبعدتهم عن مجلسك فإنتك تكون من المتجاوزين لحدود الله.

● من فوائد الآيات:

- الأنبياء بشر، ليس لهم من خصائص الربوبية شيء البتة، ومهمتهم التبليغ، فهم لا يملكون تصرفاً في الكون، فلا يعلمون العيب، ولا يملكون خزائن رزق ونحو ذلك.
- اهتمام الداعية باتباعه وخاصة أولئك الضعفاء الذين لا يبتغون سوى الحق، فعليه أن يقربهم، ولا يقبل أن يبعدهم إرضاء للكفار.
- إشارة الآية إلى أهمية العبادات التي تقع أول النهار وآخره.

وكذلك ابتلينا بعضهم ببعض، فجعلناهم متفاوتين في حظوظهم الدنيوية، ابتليناهم بذلك ليقول الكافرون الأغنياء لفقراء المؤمنين: هؤلاء الفقراء تفضل الله عليهم بالهداية من بيننا؟ لو كان الإيمان حيزاً ما سبقونا إليه، فنحن أهل الشوق، أليس الله بأعلم بالشاكرين لنعمه، فيؤقّقهم للإيمان، وأعلم بالكافرين لها فيخذلهم فلا يؤمنون؟ بلى إن الله أعلم بهم.

وإذا جاءك أيها الرسول الدين يؤمنون بأياتنا الشاهدة على صدق ما جئت به، فردّ عليهم السلام إكراماً لهم، ويشرهم سعة رحمة الله، فقد أوجب الله على نفسه الرحمة إيجاب تفصيل، فمن ارتكب منكم معصية في حال جهل وسفه، ثم تاب من بعد ارتكابه لها، وأصلح عمله، فإن الله يغفر له ما ارتكبه، فالله غفور لمن تاب من عباده، رحيم بهم.

وكما بينا لك ما ذكر نبين أدلتنا وحجتنا على أهل الباطل، وإيضاح طريق المجرمين ومنهجهم؛ لاحتسابه والعذر منه.

قل أيها الرسول: إني نهاني الله عن عبادة الدين تعبدونهم من دون الله، قل - أيها الرسول - لا أتبع أهواءكم في عبادة غير الله، فإننا إن اتبعنا أهواءكم في ذلك أكون ضالاً عن طريق الحق، لا أهتدي إليه، وهذا شأن كل من اتبع الهوى دون برهان من الله.

قل - أيها الرسول - هؤلاء المشركين: إني على برهان واضح من ربي، لا على هوى، وأنتم كذبتهم بهذا

وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٤﴾ وَكَذَلِكَ نَقُصُّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَدِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقْضُ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقَضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ﴿٥٨﴾ \* وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا نَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَةٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٥٩﴾

١٣٤

البرهان، ليس عندي ما تستعجلون به من العذاب والآيات الخارقة التي طلبتموها، إنما ذلك بيد الله، فليس الحكم - ومن حملته ما طلبتم - إلا لله وحده، يقول الحق ويحكم به، وهو سبحانه خير من بين وميز المحق من المبطل.

قل - أيها الرسول - لهم لو كان عندي وفي قبضتي ما تستعجلون به من العذاب لأنزلته بكم، وعند ذلك يقضى الأمر الذي بيني وبينكم، والله أعلم بالظالمين كم يمهّلهم ومتى يعاقبهم.

وعند الله وحده خزائن الغيب، لا يعلمها غيره، ويعلم كل ما في البر من مخلوقات من حيوان ونبات وجماد، ويعلم ما في البحر من حيوان ونبات وجماد، وما تسقط من ورقة في أي مكان، ولا توجد حبة مخبوءة في الأرض، ولا يوجد رطب، ولا يوجد يابس، إلا كان مثبتاً في كتاب واضح هو اللوح المحفوظ.

من فوائد الآيات:

- الله تعالى يجعل العباد بعضهم فتنه لبعض، فتفاوت درجاتهم في الرزق وفي الكفر والإيمان، والكفر والإيمان ليس منوطاً بسعة الرزق وضيقه.
- من أخلاق الداعية ملاقة الوجه وإلقاء التحية والتبسم والسرور بأصحابه.
- على الداعية اجتناب الأهواء في عقيدته ومنهجه وسلوكه.
- إثبات تصدر الله ﷻ بعلم الغيب وحده لا شريك له، وسعة علمه في ذلك، وأنه لا يفوته شيء ولا يعزب عنه من مخلوقاته شيء إلا وهو مثبت مدون عنده سبحانه بأدق تفاصيله.



وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴿٦٢﴾ قُلْ مَنْ يُنْجِيكُمْ مِّنْ ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ اللَّهُ يُنْجِيكُم مِّنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ مُّشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْسَكُمْ شَيْعًا وَيَذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ أَنْظَرْكُمْ نَصْرَفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَّسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾

والله هو الذي يقبض أرواحكم عند النوم قبضاً مؤقتاً، وهو الذي يعلم ما كسبتم من الأعمال في النهار وقت نشاطكم، ثم يبعثكم في النهار بعد قبض أرواحكم بالنوم لتقوموا بأعمالكم، حتى تنتهي أجال حياتكم المقدرة عند الله، ثم إليه وحده رجوعكم بالبعث يوم القيامة، ثم يخبركم بما كنتم تعملونه في حياتكم الدنيا، ويجازيكم عليه.

والله هو العالب على عباده؛ المذل لهم، العالي عليهم من كل وجه، الذي خضع له كل شيء، فوق عباده فوقية تليق بجلاله عز وجل، ويرسل عليكم أيها الناس ملائكة كراماً تحصى أعمالكم حتى ينتهي أجل أحدكم بقبض ملك الموت وأعوانه روحه، وهم لا يقصرون فيما أمروا به.

ثم رُدُّ جميع من قبضت أرواحهم إلى الله مالكهم الحق ليجازيهم على أعمالهم، الذي له القضاء النافذ والحكم العدل فيهم، وهو أسرع من عدكم وأحصى أعمالكم.

قل أيها الرسول لهؤلاء المشركين: من ينقذكم ويُسَلِّمُكم من المهالك التي تلقونها في ظلمات البر والبحر؟ تدعونه وحده مدللين مُستكينين في السر والعلن لئن سلَّمنا ربنا من هذه المهالك لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ لنعمه علينا بالأبعد غيره.

قل لهم أيها الرسول: الله هو الذي ينقذكم منها، ويُسَلِّمُكم من كل كَرْب، ثم أنتم بعد ذلك تشركون معه غيره في حالة السراء، فأَي ظلم فوق ما تقومون به؟

قل لهم أيها الرسول:

الله هو القادر على أن يرسل عليكم عذاباً يأتيكم من فوقكم مثل العجالة والصواعق والظوفان، أو يأتيكم من تحتكم مثل الرلازل والغسق، أو يخالف بين قلوبكم، فيتبع كل منكم هواه، فيقاتل بعضكم بعضاً، تأمل أيها الرسول كيف تنوع الأدلة والبراهين ونبيئها لعلهم يفهمون أن ما جئت به حق، وأن ما عندهم باطل.

وكذب بهذا القراء قَوْمُك، وهو الحق الذي لا مَرِيَّةَ في أنه من عند الله، قل لهم أيها الرسول: لست موكلاً بالرقابة عليكم، فما أنا إلا منذر لكم بين يدي عذاب شديد.

لكل خبر وقت يستقر فيه، ونهاية ينتهي إليها، ومن ذلك خبر مالكم وعاقبتكم، فسوف تعلمون ذلك عندما تبعثون يوم القيامة. وإذا رأيت المشركين يتكلمون في آياتنا بالسخرية والاستهزاء، فانتقد عنهم حتى يدخلوا في حديث خال من السخرية والاستهزاء بآياتنا، وإذا أساك الشيطان وجلست معهم، ثم تذكرت ففاد مجلسهم ولا تعلق مع هؤلاء المعتدين. من هو يد الآيات:

- إثبات أن النوم موت، وأن الأرواح تُقبض فيه، ثم تُرد عند الاستيقاظ. ● الاستدلال على استحقاق الله تعالى للألوهية بدليل الفطرة، فإن أهل الكفر يؤمنون بالله تعالى ويرجعون لمطرهم عند الاضطراب والوقوع في المهالك، فيسألون الله تعالى وحده.
- إلزام المشركين بمقتضى سلوكهم، وإقامة الدليل على انقلاب فطرتهم، بكونهم يستغيثون بالله وحده في البحر عند الشدة، ويشركون به حين يسلمهم وينجيهم إلى البر. ● عدم حواز الجلوس في مجالس أهل الباطل واللفو، ومفارقتهم، وعدم العودة لهم إلا في حال إقلاهم عن ذلك.

﴿٦٦﴾ وليس على الذين يتقون الله بامتنال أوامرهم واجتناب نواهيه من حساب هؤلاء الظالمين من شيء، وإنما عليهم أن يَتَهَوَّوْهُمْ عما يرتكبونه من منكر، لعلهم يتقون الله، فيمتثلون أوامرهم ويجتنبون نواهيه.

﴿٦٧﴾ ودع - أيها الرسول - هؤلاء المشركين الذين ضَيَّرُوا دينهم لعباً ولهواً يسخرون منه ويستهزئون به، وحدثتهم الحياة الدنيا بما فيها من متع زائلة، وعظَّم - أيها النبي - الناس بالقرآن حتى لا تُسَلَّمَ نفس إلى الهلاك بسبب ما كسبته من سيئات، ليس لها من دون الله حليف تستصر به، ولا شافع يمنع عنها عذاب الله يوم القيامة، وإذا افتدت من عذاب الله بأي فداء لا يقبل منها، أولئك الذين أسلَّوْا إلى هلاك أنفسهم بسبب ما ارتكبوه من المعاصي، لهم يوم القيامة شراب مثاهي الحرارة، وعذاب موجه بسبب كفرهم.

﴿٦٨﴾ قل أيها الرسول لهؤلاء المشركين: أنعيد من دون الله أوثاناً لا تملك نفعا فتنفعنا ولا ضرراً فتضرنا، ونرتد عن الإيمان بعد أن وفقنا الله له، فنكون مثل الذي أصلته الشياطين، فتركته حيران لا يهتدي سبيلاً، وله أصحاب على الطريق المستقيم يدعونه إلى الحق، وهو يمتنع عن إجابتهم إلى ما يدعونه إليه؟ قل لهم أيها الرسول: إنَّ هدى الله هو الهدى الحق، وقد أمرنا الله أن ننقاد له سبحانه بالنزاع توحيداً وعبادته وحده، فهو رب العالمين.

﴿٦٩﴾ وقد أمرنا بإقامة الصلاة على الوجه الأكمل، وأمرنا بتقوى الله

وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذَكَرُوا لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٦﴾ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لِبَاطِلًا وَلَهُوًّا وَغَرَّتُهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَرَ بِهِمْ أَنْ تَبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعَدَلَ كُلُّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهَ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانًا لَهُ وَأَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى انْتَظِرْ قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَى وَأَمْرُنَا لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٨﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا زَكَاةَ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُنُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٧٠﴾

بامتنال أوامرهم واجتناب نواهيه، فهو وحده الذي يُغفَع العباد إليه يوم القيامة ليجارهم على أعمالهم.

﴿٧٠﴾ وهو سبحانه الذي خلق السماوات والأرض بالحق، يوم يقول الله للشئ: كن فيكون، حين يقول يوم القيامة: قوموا فيقومون، قوله الصدق الذي سيقع لا محالة، وله سبحانه وحده الملك يوم القيامة حين يَنْفَخُ إسرافيل في القرن النفخة الثانية، عالم ما غاب وعالم ما شهود، وهو الحكيم في خلقه وتديره، الحبير الذي لا يخفى عليه شيء، فيواطن الأمور عنده كطواهرها.

• برؤيديات:

- الداعية إلى الله تعالى ليس مسؤولاً عن محاسبة أحد، بل هو مسؤول عن التبليغ والتذكير.
- الوعد من أعظم وسائل إيقاظ الغافلين والمستكبرين.
- من دلائل التوحيد أن من لا يملك نفعا ولا ضررا ولا تصرفا، هو بالضرورة لا يستحق أن يكون إلهاً معبوداً.

﴿٧٤﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرَزَرْتَنِي أَتَعْبُدُ أَصْنَامًا ۚ إِنَّي أَرَكَ وَعِقْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٧٥﴾ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى الْكُوكَبَ قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٨﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٩﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلذِّكْرِ فَطَرْتُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٠﴾ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحِبُّونَنِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِي وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ ۚ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨١﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٢﴾

﴿٧٤﴾ واذكر أيها الرسول حين قال إبراهيم ﷺ لأبيه المشرك أزر: يا أبت، أتجعل الأصنام الهة تعبدونها من دون الله؟ إني أراك وقومك الذين يعبدون الأوثان في ضلال نبين، وحيرة عن طريق الحق بسبب عبادتكم غير الله، فهو سبحانه المعبود بحق، وغيره معبود بالباطل.

﴿٧٥﴾ وكما أريناه ضلال أبيه وقومه نريه ملك السموات والأرض الواسع: ليستدل بذلك الملك الواسع على وحدانية الله واستحقاقه العبادة وحده، ليكون من الموقنين بأن الله واحد لا شريك له، وأنه قادر على كل شيء.

﴿٧٦﴾ فعين أظلم عليه الليل، رأى كوكبا، فقال: هذا ربي، فلما غاب الكوكب قال: لا أحب من يغيب: لأن الإله الحق حاضر لا يغيب.

﴿٧٧﴾ وحين رأى القمر طالعا قال: هذا ربي، فلما غاب قال: لئن لم يوفقني الله لتوحيدته وعبادته وحده لأكونن من القوم البعيدين عن دينه الحق.

﴿٧٨﴾ وحين رأى الشمس طالعة قال: هذا الطالع ربي، هذا الطالع أكبر من الكوكب ومن القمر، فلما غابت قال: يا قوم، إني بريء مما تشركون مع الله. ولما تبرأ مما يعبدون من دون الله كأنهم سألوه: ما تعبد إذن؟ فقال:

﴿٧٩﴾ إني أخلصت ديني للذي خلق السموات والأرض على غير مثال سابق، مائلا عن الشرك إلى التوحيد الخالص، ولست من المشركين الذين يعبدون معه غيره.

﴿٨٠﴾ وخاصمه قومه المشركون في توحيد الله سبحانه، وخوفوه من أصنامهم، فقال لهم: تحاصموني في توحيد الله وإفراده بالعبادة، وقد وفقني ربي إليه، ولست أخاف من أصنامكم، فإنها لا تملك ضرا فتضرني ولا نفعا فتنتفعني إلا أن يشاء الله، فما شاء الله كائن، ومع علم الله كل شيء فلا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، أفلا تتذكرون يا قوم ما أنعم عليه من الكفر بالله والشرك به فتؤمنوا بالله وحده؟ ﴿٨١﴾ وكيف يقع مني خوف لما تعبدون من دون الله من أوثان، ولا يقع منكم أنتم خوف لشرركم بالله حين أشركتم معه ما حلقة دون برهان لكم على ذلك؟ فأي الحفنتين جمع الموحدين وجمع المشركين أولى بالأمن والسلامة؟ إن كنتم تعلمون أولاها فاتبعوه، وأولاها - دون ريب - هو جمع المؤمنين الموحدين.

• من فريدي الإيات.

• الاستدلال على الربوبية بالنظر في المخلوقات منهج قرآني.

• الدلائل العقلية الصريحة توصل إلى ربوبية الله.

﴿٨٢﴾ فتاحصموني في توحيد الله وإفراده بالعبادة، وقد وفقني ربي إليه، ولست أخاف من أصنامكم، فإنها لا تملك ضرا فتضرني ولا نفعا فتنتفعني إلا أن يشاء الله، فما شاء الله كائن، ومع علم الله كل شيء فلا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، أفلا تتذكرون يا قوم ما أنعم عليه من الكفر بالله والشرك به فتؤمنوا بالله وحده؟ ﴿٨١﴾ وكيف يقع مني خوف لما تعبدون من دون الله من أوثان، ولا يقع منكم أنتم خوف لشرركم بالله حين أشركتم معه ما حلقة دون برهان لكم على ذلك؟ فأي الحفنتين جمع الموحدين وجمع المشركين أولى بالأمن والسلامة؟ إن كنتم تعلمون أولاها فاتبعوه، وأولاها - دون ريب - هو جمع المؤمنين الموحدين.



﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاتَّبَعُوا مَا شَرَعَ، وَلَمْ يَخْلُطُوا إِيْمَانَهُمْ بِشَرِكٍ، لَهُمُ الْأَمْنُ وَالسَّلَامَةُ وَحَدَهُمْ دُونَ غَيْرِهِمْ، وَهُمْ مُوقِنُونَ، وَفَقَهُم رِبَهُمْ لَطَرِيقَ الْهَدَايَةِ.﴾

﴿وَتِلْكَ الْحِجَةُ وَهِيَ قَوْلُهُ «فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ»﴾ التي علت إبراهيم بها قومه حتى انقطعت حجتهم، هي حجتنا وفتحنا لمحاكاة قومه بها، وأعطيناه إياها، نرفع من نشاء من عبادنا مراتب في الدنيا والاخرة، إن ربك أيها الرسول حكيم في خلقه وتدييره، عليم بعباده.

﴿وَرَرَقْنَا إِبْرَاهِيمَ أَنَّهُ اسْحَاقُ وَحَمِيدُهُ يَعْقُوبُ، وَوَفَقْنَا كُلًّا مِنْهُمَا لِلصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَوَفَقْنَا نُوْحًا مِنْ قَبْلِهِمْ، وَوَفَقْنَا لَطَرِيقَ الْحَقِّ مِنْ ذُرِّيَةِ نُوْحٍ كُلًّا مِنْ دَاوُدَ وَابْنِهِ سُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَآخِيهِ هَارُونَ. وَمِثْلُ هَذَا الْجَزَاءِ الَّذِي جَازَيْنَا بِهِ الْأَنْبِيَاءَ عَلَى إِحْسَانِهِمْ نَجَازِي بِهِ الْمُحْسِنِينَ مِنْ غَيْرِهِمْ عَلَى إِحْسَانِهِمْ. وَوَفَقْنَا كَذَلِكَ كُلًّا مِنْ ذِكْرِيَا وَيَحْيَى وَعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ وَالْيَاسَ. وَكُلُّ هَؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءِ مِنَ الصَّالِحِينَ اخْتَارَهُمُ اللَّهُ رُسُلًا.﴾

﴿وَوَفَقْنَا كَذَلِكَ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا. وَكُلُّ هَؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءِ وَعَلَى رَأْسِهِمُ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ ﷺ فَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ.﴾

﴿وَوَفَقْنَا بَعْضَ آيَاتِهِمْ وَبَعْضَ آيَاتِهِمْ وَبَعْضَ إِخْوَانِهِمْ مِمَّنْ شَتَّنا تَوْفِيقَهُ، وَاخْتَرْنَاهُمْ، وَوَفَقْنَاهُمْ لِسُلُوكِ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ الَّذِي هُوَ طَرِيقُ تَوْحِيدِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ.﴾

ذلك الذي حصل لهم من التوفيق هو توفيق الله يوفق له من شاء من عباده، ولو أشركوا مع الله غيره لبطل عملهم، لأن الشرك يبطل للعمل الصالح.

﴿أُولَئِكَ الْأَنْبِيَاءُ الْمَذْكُورُونَ هُمُ الَّذِينَ أُعْطِينَاهُمُ الْكِتَابَ، وَأُعْطِينَاهُمُ النُّبُوَّةَ، فَإِنْ يَكْفُرْ قَوْمُكَ بِمَا أُعْطِينَاهُمْ مِنْ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ فَقَدْ هَانَا لَهَا وَأَرْصَدْنَا قَوْمًا لَيْسُوا بِكَافِرِينَ بِهَا، بَلْ هُمْ مُؤْمِنُونَ مُسْتَمْسِكُونَ بِهَا، وَهُمْ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.﴾

﴿أُولَئِكَ الْأَنْبِيَاءُ، وَمَنْ ذُكِرَ مَعَهُمْ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَنَافَتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ، هُمْ أَهْلُ الْهَدَايَةِ حَقًّا، فَاتَّبَعُوهُمْ وَتَأَسَّ بِهُمْ، وَقُلْ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - لِقَوْمِكَ: لَا أَطْلُبُ مِنْكُمْ عَلَى إِبْلَاعِ هَذَا الْقُرْآنِ جَرَاءً، فَالْقُرْآنُ لَيْسَ إِلَّا مَوْعِظَةٌ لِلْعَالَمِينَ مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ لِيَسْتَرْشِدُوا بِهِ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَالطَّرِيقِ الصَّحِيحِ.﴾

﴿وَمِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،﴾

• من فضائل التوحيد أنه يصمن الأمن للعبد، خاصة في الآخرة حين يفزع الناس.  
• تُقَرَّرُ الآيات أن جميع من سبق من الأنبياء إما تلقوا دعوتهم بتوفيق الله تعالى لا بقدرتهم.  
• الأنبياء يشتركون جميعاً في الدعوة إلى توحيد الله تعالى مع اختلاف بينهم في تفاصيل التشريع.  
• الاقتداء بالأنبياء سنة محمودة، وخاصة في أصول التوحيد.

الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمَن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَذَكَرْنَا وَيْحَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنَ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْتَهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فِيمْهُدَاهُمْ أَقْتَدَهُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾

﴿١٠﴾ وما عظم المشركون الله حق تعظيمه حين قالوا لنبيه محمد ﷺ: ما أنزل الله على بشر شيئاً من الوحي، قل لهم أيها الرسول: من الذي أنزل التوراة على موسى نورا وهداية وإرشاداً لقومه؟ يجعلها اليهود في دفاتر يظهر منها ما يوافق أهواءهم، ويكتمون ما يخالفها كصفة محمد ﷺ، وعلمتكم أنتم أيها العرب من القرآن ما لم تعلموا أنتم ولا أسلافكم من قبل، قل لهم أيها الرسول: أنزلها الله، ثم اتركهم في جهلهم وضلالهم يستهترون ويسخرون حتى يأتيهم اليقين.

﴿١١﴾ وهذا القرآن كتاب أنزلناه عليك -أيها النبي- وهو كتاب مبارك مصدق لما سبقه من الكتب السماوية، لتذر به أهل مكة وسائر الناس في مشارق الأرض ومغاربها حتى يهتدوا، والذين يؤمنون بالحياة الآخرة يؤمنون بهذا القرآن، ويعملون بما فيه، ويحافظون على صلاتهم بإقامة أركانها وفروضها ومستحباتها في أوقاتها المحددة لها شرعاً.

﴿١٢﴾ لا أحد أعظم ظلماً ممن اختلق على الله كذباً بأن قال ما أنزل الله على بشر من شيء، أو قال كذباً: إن الله أوحى إليه، والله لم يوح إليه شيئاً، أو قال: سأنزل مثل ما أنزل الله من القرآن، ولو ترى أيها الرسول حين تصيب هؤلاء الظالمين سكرات الموت، والملائكة باسطو أيديهم إليهم بالتعذيب والضرب، يقولون لهم على سبيل التعنيف: أخرجوا أنفسكم، فنحن نقبضها، في هذا اليوم تجزون عذاباً يهينكم ويذلكم بسبب ما كنتم تقولون على الله من الكذب بادعاء النبوة والوحي وإنزال مثل ما أنزل الله.

﴿١٣﴾ ويقال لهم يوم البعث: ولقد آتيناكم في هذا اليوم أمراً، لا مال معكم ولا رئاسة، كما أنشأناكم أول مرة خفأة عراة عرياناً، وتركتكم ما أعطيناكم من ذلك خلفكم في الدنيا رغماً عنكم، وما برى اليوم معكم ألهمكم الذين زعمتم أنهم وسطاء لكم، وورعتم أنهم شركاء لله في استحقاق العباد، لقد تقطع الوصال بينكم، وذهب عنكم ما كنتم ترعمون من شفاعتهم، وأنهم شركاء لله.

﴿١٤﴾ من هوي الأيات:

وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ۚ قُلْ مَن أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُبَدُّونَهَا وَخَفُونَ كَثِيرًا وَعِلَّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿١١﴾ وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَن حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿١٢﴾ وَمَن أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنفُسَهُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادًى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلَتْكُمْ وِرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿١٤﴾

- إنزال الكتب على الأنبياء هو سُنَّةُ الله في المرسلين، والنبي عليه الصلاة والسلام واحد منهم.
- أعظم الناس كذباً وفرية هو الذي يكذب على الله تعالى، فينسب أو ينفي ويثبت في حق الله تعالى أمراً ليس عليه دليل صحيح.
- كل أحد يبعث يوم القيامة فرداً متحرراً عن المناصب والألقاب، فقيراً، ويحاسب وحده.

﴿١٦﴾ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكَمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿١٧﴾ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٨﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٢٠﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢١﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِبِّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٢٢﴾ يَدْبَعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضُ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣﴾

١٤٠

﴿١٦﴾ إن الله وحده هو الذي يشق الحب فيخرج منه الزرع، ويشق النوى فيخرج منه الشجر كالنخل والعنب وغيرهما، يخرج الحي من الميت؛ إذ يخرج الإنسان وسائر الحيوان من النطفة، ويخرج الميت من الحي؛ إذ يخرج النطفة من الإنسان والبيضة من الدجاج، ذلكم الذي يصنع هذا هو الله الذي خلقكم، فكيف تُصرفون أيها المشركون عن الحق مع ما تشاهدونه من بديع صنعته؟

﴿١٧﴾ وهو الذي يشق ضوء الصباح من ظلمة الليل، وهو الذي جعل الليل سكناً للناس يسكنون فيه عن الحركة لطلب المعاش؛ ليستريحوا من تعبهم في طلبه في النهار، وهو الذي جعل الشمس والقمر يجريان بحساب مُقَدَّر، ذلك المذكور من بديع الصُّنْع هو تقدير العزيز الذي لا يفاله أحد، العليم بخلقه وما يصلح لهم.

﴿١٨﴾ وهو الذي خلق لكم يا بني آدم النجوم في السماء لتهتدوا بها في أسفاركم إذا اشتبهت عليكم الطرق في البر والبحر، قد بينا الأدلة والبراهين الدالة على قدرتنا، نقوم بتدبرون تلك الأدلة والبراهين فيستفيدون منها.

﴿١٩﴾ وهو الذي خلقكم من نفس واحدة هي نفس أبيكم آدم، فقد بدأ خلقكم بخلق أبيكم من طين، ثم خلقكم منه، وخلق لكم ما تستقرون فيه، كأرحام أمهاتكم، ومُسْتَوْدَعًا تُسْتَوْدَعُونَ فيه، كأصلا بآباءكم، قد بينا الآيات لقوم يفهمون كلام الله.

﴿٢٠﴾ وهو الذي أنزل من السماء ماء هو ماء المطر، فأنبثنا به كل صنف من أصناف النبات، فأخرجنا

من النبات رزغاً وشجراً أحضر، نخرج منه حباً يركب بعضه بعضاً كما يقع في السنابل، ومن طلع النخل تخرج عدوقه قريبة ينالها القائم والقاعد، وأخرجنا بساتين من العنب، وأخرجنا الزيتون والرمان متماثلاً ورقهما، محتلاً ثمرهما، انظروا أيها الناس - إلى ثمره أول ما يبدو، وإلى حين ينضج، إن في ذلكم أيها الناس أدلة واضحة على قدرة الله لقوم يؤمنون بالله، فهم الذين يستفيدون من هذه الأدلة والبراهين.

﴿٢١﴾ وضيق المشركون الحن شركاء الله في العبادة حين اعتقدوا أنها تنفع وتضر، وقد أوحدهم الله، ولم يخلقهم غيره، فهو أولى بأن يُعْبَدَ، واحتلقوا له بنين وبنات كما فعلت اليهود بغيره، والنصارى بعبسى، ونسبوا له فعل المشركون بالملائكة، تَزْرَعُ وتَقْدَسُ عما يصمه به أهل الباطل.

﴿٢٢﴾ وهو الذي خالق السماوات وحالق الأرض على غير مثال سابق، كيف يكون له ولد ولم تكن له روحه؟ وهو قد خلق كل شيء، وهو بكل شيء عليم، لا يخفى عليه شيء.

من فوائد الآيات:

- الاستدلال ببرهان الخلق والرزق (تخليق النبات ونموه وتحول شكله وحجمه ونزول المطر) وببرهان الحركة (حركة الأفلاك وانتظام سيرها وانصباطها)؛ وكلاهما ظاهر مشاهد على انفراد الله بالربوبية واستحقاق الألوهية.
- بيان ضلال وسخف عقول المشركين في عبادتهم للجن.



﴿١٠٦﴾ ذَلِكُمْ - أيها الناس - المتصف بتلك الصفات هوربكم، فلا رب لكم غيره، ولا معبود بحق غيره، وهو موجود كل شيء، فاعبدوه وحده، فهو المستحق للعبادة، وهو على كل شيء حفيظ. ﴿١٠٧﴾ لا تحيط به الأبصار، وهو سبحانه يدرك الأبصار، ويحيط بها، وهو اللطيف بعباده الصالحين، الخبير بهم.

﴿١٠٨﴾ قد جاءكم أيها الناس حجاج واضحة وبراهين جلية من ربكم. فمن تفقّلها وأدعن فتنّع ذلك يعود إليه، ومن عمي عنها، ولم يتفقّلها، ولم يدع عنها، فضرر ذلك مقصور عليه، ولست عليكم رقيباً، أحصي أعمالكم، إنما أنا رسول من ربي، وهو الرقيب عليكم.

﴿١٠٩﴾ وكما نؤمن الأدلة والبراهين على قدرة الله تنوع الآيات في الوعد والوعيد والوعظ، وسيقول المشركون: ليس هذا وحياً، وإنما ذرئته عن أهل الكتاب من قبلك. ولنبيّن الحق للناس بتدوين هذه الآيات للمؤمنين من أمة محمد ﷺ، فهم الذين يقبلون الحق، ويتبعونه.

﴿١١٠﴾ اتبع - أيها الرسول - ما يوحى إليك ربك من الحق، فهو سبحانه لا معبود بحق غيره، ولا تشغل قلبك بالكافرين وعنادهم، فأمرهم إلى الله. ﴿١١١﴾ ولو شاء الله ألا يشركوا به أحداً ما أشركوا به أحداً، وما جعلناك - أيها الرسول - رقيباً تحصي عليهم أعمالهم، ولست عليهم بقائم، إنما أنت رسول، وما عليك إلا البلاغ.

﴿١١٢﴾ ولا تسبوا - أيها المؤمنون - الأصنام التي يعبدونها المشركون مع الله، وإن كانت أحقر شيء وأولاه بالسب؛ حتى لا يسب المشركون الله تطاولاً عليه. وجهلاً بما يليق به سبحانه، وكما زين لهؤلاء ما هم عليه من الصلال زيناً لكل أمة عملهم، خيراً كان أو شراً، فأنابوا ما زيننا لهم منه، ثم إلى ربهم مرجعهم يوم القيامة، فيحبرهم بما كانوا يعملون في الدنيا، ويجازيهم عليه. ﴿١١٣﴾ وأقسم المشركون بالله أشد أيمانهم التي يقدرون عليها. لئن جاءهم محمد بأية من الآيات التي اقترحوها ليؤمنن بها، قل لهم - أيها الرسول - الآيات ليست عندي فأبذل لها، إنما هي عند الله ينزلها متى شاء، وما يدريكم - أيها المؤمنون - أن هذه الآيات إذا جاءت وفق ما اقترحوه لا يؤمنون؟ بل يبقون على عنادهم وجحودهم: لأنهم لا يريدون الهداية. ﴿١١٤﴾ وتقلب أفئدتهم وأبصارهم بالحيلولة بينها وبين الامتداء للحق. كما خلنا بينهم وبين الإيمان بالقرآن أول مرة بسبب عنادهم، ونتركهم في ضلالهم وتمردهم على ربهم حيارى يتخبطون.

• من قوَّيَ الآيات،

• تنزيه الله تعالى عن الظلم الذي ترسخه عقيدة (الخير)، وبيان أن كفر العباد وشرهم أمر يحدث باختيارهم.

• ليس بمقدور نبي من الأنبياء أن يأتي بأية من عند نفسه، أو متى شاء، بل ذلك أمر مردود لله تعالى، فهو القادر وحده على ذلك، وهو الحكيم الذي يُقدِّر نوع الآية ووقت إظهارها.

• المهني عن سب آلهة المشركين حذراً من مفسدة أكبر وهي التعدي بالسب على جناب رب العالمين.

• قد يحول الله ﷻ بين العبد والهداية، ويُصرِّف بصره وقلبه على غير الطاعة؛ عقوبة له على اختياره الكفر.

ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٦﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٧﴾ قَدْ جَاءَكُمْ بِصَآئِرٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيفٍ ﴿١٠٨﴾ وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ أُولُوا دُرُوسًا وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٩﴾ أَنِّي مَأْهُجٌ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿١١٠﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيفًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿١١١﴾ وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدُوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١١٣﴾ وَتَقَلَّبَ أَفْئِدَتُهُمْ وَابْصَرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرَهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٤﴾

﴿١﴾ وَلَوْ أَنَّا أَجْبَنَاهُمْ بِالْإِتِّيانِ بِمَا  
افترحوه، فنزلنا عليهم الملائكة  
وشاهدوهم، وكلمهم الموتى،  
وأخبروهم بصدقك فيما جئت به،  
وحمنا لهم كل شيء مما افترحوه  
يواجهوه معانية: ما كانوا ليؤمنوا بما  
جئت به، إلا من شاء الله له الهداية  
منهم، ولكن أكثرهم يجهلون ذلك،  
فلا يلحظون إلى الله ليوفقهم للهداية،  
﴿٢﴾ وكما ابتليناك بمعاداة هؤلاء  
المشركين لك ابتلينا كل نبي من  
قبلك، فجعلنا لكل واحد منهم  
أعداء من مَرَدَّةِ الإنس، وأعداء من  
مَرَدَةِ الجن، يوسوس بعضهم لبعض  
فيزنون لهم الباطل ليخدعوه، ولو  
شاء الله ألا يفعلوا ذلك ما فعلوه،  
ولكنه شاء لهم ذلك ابتلاء، فآثرهم  
وما يفترون من الكفر والباطل، ولا  
تعباً بهم،  
﴿٣﴾ ولميل إلى ما يوسوس به  
بعضهم لبعض، قلوب الذين لا يؤمنون  
بالآخرة، وليقبلوه لأنفسهم، ويرضوه  
لها، وليكتسبوا ما هم مكتسبون من  
المعاصي والآثام،  
﴿٤﴾ قل أيها الرسول لهؤلاء  
المشركين الذين يعبدون مع الله  
غيره: هل يعقل أن أقبل غير الله  
حكماً بيني وبينكم؟ قاله هو الذي  
أنزل عليكم القرآن مُبَيَّنًا مُسَوِّفًا  
لكل شيء، واليهود الذين أعطيناهم  
التوراة، والنصارى الذين أعطيناهم  
الإنجيل، يعلمون أن القرآن مُنْزَّلٌ  
عليك مشتملاً على الحق، لما وجدوه  
في كتابيهما من الدليل على ذلك، فلا  
تكون من الشاكين فيما أوحينا إليك،  
﴿٥﴾ وَيَلْغِ الْقُرْآنُ غَايَةَ الصَّدَقِ فِي  
الْأَقْوَالِ وَالْأَخْبَارِ، لَا مُغَيِّرَ لِكَلِمَاتِهِ، وَهُوَ

﴿٦﴾ وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلٰٓئِكَةَ وَكَانَ مَعَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا  
عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قَبْلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ  
وَلٰكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿٧﴾ وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ  
عَدُوًّا شَيْطٰنِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى الْبَعْضِ  
زُخْرَفَ الْقَوْلِ عُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا  
يَفْتَرُونَ ﴿٨﴾ وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ  
وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُّقْتَرِفُونَ ﴿٩﴾ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي  
حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا  
وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِّن رَّبِّكَ  
بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٠﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ  
صِدْقًا وَعَدًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ  
﴿١١﴾ وَإِنْ تُطِيعْ أَكْثَرُ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ  
يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ  
أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٣﴾ فَكُلُوا  
مِمَّا ذَكَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾

١٤٢

السميع لأقوال عباده، العليم بها، فلا يخفى عليه شيء منها، وسيعازي من يسعى لتبديل كلماته،  
﴿١٥﴾ ولو قدر أنك أطعت أيها الرسول - أكثر من في الأرض من الناس يضلوك عن دين الله، فقد حرت سُنَّةُ الله أن يكون الحق  
مع القلة، فأكثر الناس لا يتبعون إلا الظن الذي لا مستند له، حيث ظنوا أن معبوداتهم تقربهم إلى الله زُلْفَى، وهم يكدون في ذلك،  
﴿١٦﴾ إن ربك أيها الرسول أعلم بمن يضل عن سبيله من الناس، وهو أعلم بالمهتدين إليها، لا يخفى عليه شيء من ذلك،  
﴿١٧﴾ فكلوا أيها الناس - مما ذكر اسم الله عليه عند الذبح، إن كنتم مؤمنين حقاً ببراهينه الواضحة،  
﴿١٨﴾ من قوائد الآيات،

- يجب أن يكون الهدف الأعظم للعبد اتباع الحق، ويطلبه بالطرق التي يبينها الله، ويعمل بذلك، ويرجو عَوْنَ ربه في اتباعه، ولا يتكل على نفسه وحوله وقوته.
- من إنصاف القرآن للقلة المؤمنة العالمية إسناده الجهل والصلال إلى أكثر الخلق.
- من سننّه تعالى في الخلق ظهور أعداء من الإنس والجن للأنبياء وأتباعهم: لأن الحق يعرف بضده من الباطل.
- القرآن صادق في أخباره، عادل في أحكامه، لا يُعْتَر في أخباره على ما يخالف الواقع، ولا في أحكامه على ما يخالف الحق.

وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾ وَذَرُوا أَظْهَرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْثَالَهُ يَذْكُرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيُؤْخِذَ إِلَى أُولِيَاءِهِمْ لِجَدَلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ أَوْ مَنْ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَاهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مَجْرِمِيهَا يَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾

١٤٣

قد التبت عليه الطرق، وأظلمت عليه المسالك، كما حُسن لهؤلاء المشركين ما هم عليه من الشرك وأكل الميتة والحدال بالباطل حُسن للكافرين ما كانوا يعملون من المعاصي ليجازوا عليها يوم القيامة بالعذاب الأليم. ﴿١٢٣﴾ ومثل ما حصل من أكابر المشركين في مكة من صد عن سبيل الله، جعلنا في كل قرية رؤساء وعظماء يعملون حيلهم وكيدهم في الدعوة إلى سبيل الشيطان ومعارضة الرسل وأتباعهم. والواقع أن مكرهم وكيدهم إنما يعود عليهم. ولكنهم لا يحسون بذلك لحيلهم وأتباع أهوائهم.

﴿١٢٤﴾ وإذا جاءت كبراء الكفار آية من الآيات التي ينزلها الله على نبيه، قالوا: لن نؤمن حتى يعطينا الله مثل ما أعطى الأنبياء من النبوة والرسالة. فردّ الله عليهم بأنه أعلم بمن هو صالح للرسالة والقيام بأعبائها، فيختصه بالنبوة والرسالة. سينال هؤلاء الطغاة دل وإهانة لتكبرهم عن الحق، وعذاب شديد بسبب مكرهم.

● من فوّي لأتباعه

● الأصل في الأشياء والأطعمة الإباحة، وأنه إذا لم يرد الشرع بتحريم شيء منها فإنه باق على الإباحة. ● كل من تكلم في الدين بما لا يعلمه، أو دعا الناس إلى شيء لا يعلم أنه حق أو باطل، فهو معتد ظالم لنفسه وللناس، وكذلك كل من أفتى وليس هو بكفء للإفتاء. ● منفعة المؤمن ليست مقتصرة على نفسه، بل مُتَعِدَّة لغيره من الناس.

﴿١١٩﴾ ما الذي يمنحكم أيها المؤمنون - من أن تأكلوا مما ذُكر اسمُ الله عليه، وقد بيّن لكم الله ما حرّمه عليكم، فيجب عليكم تركه، إلا إذا ألجأكم إليه الضرورة، فالضرورة تبيح المحظور، وإن كثيراً من المشركين ليبعدون أتباعهم عن الحق بسبب أرائهم الماسدة جهلاً منهم، حيث يُحَلِّون ما حرّم الله عليهم من الميتة وغيرها، ويعزّون ما أحل الله لهم من البحيرة والوصيلة والحامي وغيرها، إن ربك أيها الرسول - هو أعلم بالمجاوزين لحدود الله، وسيجازيهم على تجاوزهم لحدودهم.

﴿١٢٠﴾ واتركوا - أيها الناس - ارتكاب المعاصي في العلانية والسر، إن الدين يرتكبن المعاصي في السر أو العلانية، سيجريهم الله على اكتسابه منها.

﴿١٢١﴾ ولا تأكلوا أيها المسلمون مما لم يُذكر اسم الله عليه، سواء ذُكر عليه اسم غيره أو لا، وإن الأكل منه لخروج عن طاعة الله إلى معصيته، وإن الشياطين ليؤسسون إلى أوليائهم بالقاء الشبهة ليجادلوكم في أكل الميتة، وإن أطعتموهم أيها المسلمون - فيما يلقونه من الشبهة لإباحة الميتة كنتم أنتم وهم سواء في الشرك.

﴿١٢٢﴾ وهل يستوي الذي كان قبل هداية الله له ميتاً لما هو فيه من الكفر والجهل والمعاصي - فأحييناه بهدايته للإيمان والعلم والطاعة - مع من هو في ظلمات الكفر والجهل والمعاصي لا يستطيع الخروج منها،



﴿١٢٥﴾ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون ﴿١٢٥﴾ وهذا صراط ربك مستقيماً قد فصلنا

﴿١٢٦﴾ الأيت لقوم يذكرون ﴿١٢٦﴾ لهم دار السليم عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون ﴿١٢٧﴾ ويوم يحشرهم جميعاً يمسح الجحيم قال أليس من آل نبي قال أولياؤهم من آل نبي ربنا أستمع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا قال النار مثوكم خالدين فيها إلا ما شاء الله إن ربك حكيم عليم ﴿١٢٨﴾ وكذلك نولي

بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون ﴿١٢٩﴾ يمسح الجحيم والانس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا وعثرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين ﴿١٣٠﴾

﴿١٣١﴾ وكما ولينا المودة من الجن وسطيناهم على بعض الناس ليعزلوهم. بولي كل ظالم ظالماً يحته على الشر ويحضره عليه. وينفره عن الخير. ويرهده فيه؛ جزاء لهم على ما كانوا يكسبون من المعاصي. ويقول لهم يوم القيامة: يا معشر الانس والجن. ألم يأتكم رسل من جنسكم - فهم من الانس - يتلون عليكم ما أنزل الله عليهم. ويحذرونكم لقاء يومكم هذا الذي هو يوم القيامة؟ قالوا: بلى. أقررنا اليوم على أنفسنا بأن رسلك قد بلغونا. وقررنا بقاء هذا اليوم. لكن كذبنا رسلك. وكذبنا بقاء هذا اليوم. وخذعتهم الحياة الدنيا بما فيها من زينة وزخرف ونعيم زائل. وأقروا على أنفسهم أنهم كانوا في الدنيا كافرين بالله وبرسوله. ولن ينفعهم هذا الإقرار ولا الإيمان. لفوات وقته.

﴿١٣٢﴾ من فو يد الآيات، سنة الله في الصلال والهداية أنهما من عنده تعالى. أي يخلقه وإيجاده. وهما من فعل العبد باختياره بعد مشيئة الله.

• ولاية الله للمؤمنين بحسب أعمالهم الصالحة، فكلما زادت أعمالهم الصالحة زادت ولايته لهم والعكس.

• من سنة الله أن يولي كل ظالم ظالماً مثله. يدفعه إلى الشر ويحته عليه. ويرهده في الخير ويبقره عنه.

ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا  
 غَافِلُونَ ﴿١٣١﴾ وَلِكُلِّ دَرَجَتٍ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ  
 بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ  
 إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا  
 يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ آخَرِينَ ﴿١٣٣﴾  
 إِنْ مَا تُوْعَدُونَ لَأَتِيَّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلْ يَتَقَوْمِ  
 أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ  
 مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿١٣٥﴾  
 وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا  
 فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ  
 لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ وَما كَانَ اللَّهُ فَهُوَ  
 يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَلِكَ  
 زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ  
 شُرَكَائِهِمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ  
 وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾

١٤٥

﴿١٣١﴾ ذلك الإعذار بإرسال الرسل إلى الإنس والجن لئلا يُعاقب أحد على ما جناه وهو لم يُرسل إليه رسول، ولم تبلغه دعوة، فلم تغدب أمة من الأمم إلا بعد إرسال الرسل إليهم.

﴿١٣٢﴾ ولكل منهم درجات بحسب أعمالهم، فلا يستوي كثير الشر وقليله، ولا التابع والمتبوع، كما لا يستوي ثواب الذين يعملون الصالحات، وليس ربك بغافل عما كانوا يعملونه، بل هو مطلع عليه، لا يخفى عليه منه شيء، وسيجازيهم على أعمالهم.

﴿١٣٣﴾ وربك أيها الرسول هو الغني عن عباده، فلا يحتاج إليهم، ولا إلى عبادتهم، ولا يضره كفرهم، ومع غناه عنهم فهو ذو رحمة بهم، إن يشأ إهلاككم - أيها العباد الفصاة - يسأصلكم بعداب من عنده، ويوجد بعد إهلاككم من يشاء ممن يؤمنون به ويطيعونه، كما خلقكم أنتم من نسل قوم آخرين كانوا قبلكم.

﴿١٣٤﴾ إن ما توعدون به - أيها الكفار من البعث والنشور والحساب والعقاب لأت لا محالة، ولن نفوتوا ربكم بالهرب، فهو اخذ نواصيكم، ومعذبكم بعذابه.

﴿١٣٥﴾ قل أيها الرسول: يا قوم اثبتوا على طريقتكم وما أنتم عليه من الكفر والضلال، فقد أعذرت وأقمت الحجة عليكم بالبلاغ المبين، فليست مبايئا بكفركم وضلالكم، بل ساءت على ما أنا عليه من الحق. فستعلمون من يكون له النصر في الدنيا، ومن يرث الأرض، ومن له الدار الآخرة، إنه لا يصور المشركون لا في الدنيا ولا في الآخرة، بل عاقبتهم الخسران، وإن تمتعوا بما تمتعوا به في الدنيا.

﴿١٣٦﴾ واستدع المشركون بالله أن جعلوا لله مما خلق من الزروع والأنعام شيئا، فزعموا أنه لله، وفسموا آخر لأوثانهم وأنصابهم، فما خصصوه لشركائهم لا يصل إلى المصارف التي شرع الله الصرف فيها كالفقراء والمساكين، وما خصصوه لله فهو يصل إلى شركائهم من الأوثان يصرف في مصالحتها، ألا ساء حكمهم وقسمتهم.

﴿١٣٧﴾ وكما حسن الشيطان للمشركين هذا الحكم الجائر حسن لكثير من المشركين شركاؤهم من الشياطين أن يقتلوا أولادهم خشية الفقر؛ ليهلكوهم بالوقوع في قتل النفس التي حرم الله قتلها إلا بحق، وليلخلطوا عليهم دينهم فلا يعرفون ما هو مشروع وما هو غير مشروع، ولو شاء الله ألا يفعلوا ذلك ما فعلوه، ولكنه شاء ذلك لحكمة بالغة، فاترك أيها الرسول هؤلاء المشركين واقتراءهم الكذب على الله، فإن ذلك لا يضرهم، وسلم أمرهم لله.

﴿١٣٨﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- تفاوت مراتب الخلق في أعمال المعاصي والطاعات يوجب تفاوت مراتبهم في درجات العقاب والثواب.
- اتباع الشيطان موجب لانحراف الفطرة حتى تصل لاستحسان القبيح مثل قتل الأولاد ومساواة أصنامهم بالله ﷻ.

﴿١٢٨﴾ وقال المشركون: هذه أنعام وزرع ممنوعة لا يأكل منها إلا من يشاءون بزعمهم واقترائهم من خدام الأوثان وغيرهم، وهذه أنعام حُرِّمت ظهورها: فلا تُزَكَّب، ولا يُحْمَل عليها، وهي البجيرة والسائبة والهامي، وهذه أنعام لا يذكر اسم الله عليها عند الذبح، وإنما يذكرونها باسم أصنامهم؛ ارتكبوا ذلك كله كذباً على الله أن ذلك من عنده، سيجزيهم الله بعدابه بسبب ما كانوا يقترون عليه. وقالوا: ما في بطون هذه السوايب والبخائر من الأجنة إن وُلِدَ حياً لحلال على ذكورتنا، مُعْزَم على نساتنا، وإن وُلِدَ ما في بطونها من الأجنة ميتاً فالذكور والإناث فيه شركاء. سيجزيهم الله تعالى بقولهم هذا ما يستحقون، إنه حكيم في تشريعه وتدييره شؤون خلقه، عليم بهم.

﴿١٢٩﴾ قد هلك الذين قتلوا أولادهم لِحَقَّةٍ عقولهم ولجهلهم، وحرموا ما رزقهم الله من الأنعام ناسيين ذلك إلى الله كذباً، قد بُدِّدوا عن الصراط المستقيم، وما كانوا مهتدين إليه. ﴿١٣٠﴾ والله سبحانه هو الذي خلق بساتين مبسوطة على وجه الأرض دون ساق، ومرفوعة عليها ذات ساق، وهو الذي خلق النخل، وخلق الزرع مختلفاً ثمره في الشكل والطعم، وهو الذي خلق الزيتون والرمان ورقهما متشابه، وطعمهما غير متشابه، كلاهما **أيها الناس** من ثمره إذا أثمر، وأثوا زكاته يوم حصاده، ولا تتجاوزوا الحدود الشرعية في الأكل والإنفاق، قاله لا يحب المتجاوزين لحدوده

وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرِّتُ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بَزْعِمُهُمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءٌ عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٢٨﴾ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٩﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٣٠﴾ \* وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ، وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ وَیَوْمَ حَصَادِهِ كُلاًّ وَلَا تَسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٣١﴾ وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَسَاتٌ كُلُوا مِنْ مَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٣٢﴾

١٤٦

فيهما ولا في غيرهما، بل يبعضه. إن الذي خلق ذلك كله هو الذي أباحه لعباده، فليس للمشركين تحريمه.

﴿١٣١﴾ وهو الذي أنشأ لكم من الأنعام ما هو صالح لأن يحمل عليه كبيار الإبل. وما ليس صالحاً لذلك كصفاره وكالفنم، كلاهما **أيها الناس** مما رزقكم الله من هذه الأشياء التي أباحها لكم. ولا تتبعوا خطوات الشيطان في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحله كما يفعل المشركون، إن الشيطان لكم **أيها الناس** عدو واضح العداوة حيث يريد منكم أن تعصوا الله بذلك.

• من فوائد الآيات،

- ذم الله المشركين بسبع صفات هي: الخسران والسفاهة وعدم العلم وتحريم ما رزقهم الله والافتراء على الله والصلال وعدم الاهتداء؛ فهذه أمور سبعة، وكل واحد منها سبب تام في حصول الذم.
- الأهواء سبب تحريم ما أحل الله وتحليل ما حرم الله.
- وجوب الزكاة في الزروع والثمار عند حصادها، مع جواز الأكل منها قبل إخراج زكاتها، ولا يُحَسَّب من الركاة.
- التمتع بالطيبات مع عدم الإسراف ومجاوزة الحد في الأكل والإنفاق.



ثَمَنِيَّةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ  
قُلْ ءَالِ الذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ  
أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤٣﴾  
وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ ءَالِ الذَّكَرَيْنِ  
حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ  
أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّيْكُمُ اللَّهُ بِهِذَا فَمَنْ  
أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ  
عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٤﴾ قُلْ لَا أَجِدُ  
فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ  
مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ  
فِسْقًا أَهْلًا لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ؕ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ  
فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا  
كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ  
شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ  
بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِبَعْضِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿١٤٦﴾

كالمذبوح لأصنامهم، فمن ألحاته الضرورة إلى الأكل من هذه المحرمات لشدة الجوع غير طالب تلذذاً باكلها، وغير متجاوز حد الضرورة فلا إثم عليه في ذلك، إن ربك أيها الرسول غفور للضرر إن أكل منها، رحيم به، ولما ذكر الله ما حُرِّمه على الأمة ذكر ما حُرِّمه على اليهود؛ ليبين أن ما حُرِّمه المشركون من الأنعام لا يستندون فيه على ما جاء من عند الله، وإنما يتبعون فيه إملاء الشيطان فقال:

﴿١٤٦﴾ وحرَّمنا على اليهود ما لم تتسرق صابغته كالإبل والنعام، وحرَّمنا عليهم شحوم البقر والغنم إلا ما علق بطهورهما، أو ما حملته الأمعاء، أو ما اختلط بعظم كالأنثى والخبث. وقد جازيناهم على ظلمهم بتعريم ذلك عليهم، وإنا لصادقون في كل ما نبخبر به.

من فوائد الآيات:

- في الآيات دليل على إثبات المناطرة في مسائل العلم، وإثبات القول بالنظر والقياس.
- الوحي وما يستنبط منه هو الطريق لمعرفة الحلال والحرام.
- إن من الظلم أن يُقَدِّم أحد على الإفتاء في الدين ما لم يكن قد غلب على ظنه أنه يفتي بالصواب الذي يرضي الله.
- من رحمة الله بعباده الإذن لهم في تناول المحرمات عند الاضطرار.

﴿١٤٣﴾ خَلَقَ لَكُمْ ثَمَانِيَةَ أَصْنَافٍ: مِنَ الضَّأْنِ زَوْجَيْنِ: ذَكَرًا وَأُنْثَى، وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ، قُلْ أَيُّهَا الرُّسُولُ لِلْمُشْرِكِينَ: هَلْ حَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى الذَّكَوَيْنِ مِنْهُمَا لَعَلَّ الذَّكَوَيْنِ؟ فَإِنْ قَالُوا: نَعَمْ فَقُلْ لَهُمْ: لَيْمَ تَعْرِمُونَ الْإِبِلَ؟ أَوْ أَنَّهُ حَرَّمَ الْأُنْثَيَيْنِ لَعَلَّ الْأُنْثَى؟ فَإِنْ قَالُوا: نَعَمْ، فَقُلْ لَهُمْ: لَيْمَ تُحَرِّمُونَ الذَّكَوَيْنِ؟ أَوْ أَنَّهُ حَرَّمَ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ لَعَلَّ اشْتِمَالِ الرَّحْمِ عَلَيْهِ؟ فَإِنْ قَالُوا: نَعَمْ، فَقُلْ لَهُمْ: لَيْمَ تُفَرِّقُونَ بَيْنَ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ الْأَرْحَامُ بِتَحْرِيمِ ذَكَوَيْنِ تَارَةً وَتَحْرِيمِ إِنْثَاءِ تَارَةً، أَخْبِرُونِي أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ - بِمَا تَسْتَدُونَ عَلَيْهِ مِنْ عِلْمٍ صَحِيحٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي دَعْوَاكُمْ أَنْ تَحْرِيمَ ذَلِكَ مِنَ اللَّهِ.

﴿١٤٤﴾ وبقيّة الأصناف الثمانية هي: زوجان من الإبل، وزوجان من البقر، قُلْ أَيُّهَا الرُّسُولُ: لِلْمُشْرِكِينَ: اللَّهُ حَرَّمَ مَا حَرَّمَ مِنْهَا لَذَكَوَتِهِ، أَمْ لِأُنْثَوَتِهِ، أَمْ لِاشْتِمَالِ الرَّحْمِ عَلَيْهِ؟ أَمْ كُنْتُمْ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ حَاضِرِينَ - بِزَعْمِكُمْ - حِينَ وَصَّيْنَاكُمْ اللَّهُ بِتَحْرِيمِ مَا حَرَّمَ مِنْ هَذِهِ الْأَنْعَامِ؟ فَلَا أَجِدُ أَكْثَرَ ظُلْمًا، وَلَا أَكْبَرَ جُرْمًا مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ، فَنَسَبَ إِلَيْهِ تَحْرِيمَ مَا لَمْ يَحَرِّمْ: لِيُضِلَّ النَّاسَ عَنْ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ بِغَيْرِ عِلْمٍ يَسْتَدُ إِلَيْهِ، إِنْ اللَّهُ لَا يُوَفِّقُ لِلْهَدَايَةِ الظَّالِمِينَ بِافْتِرَائِهِمُ الْكَذِبَ عَلَى اللَّهِ.

﴿١٤٥﴾ قُلْ - أَيُّهَا الرُّسُولُ - لَا أَجِدُ فِيهَا أَوْحَاءَ اللَّهِ إِلَيَّ شَيْئًا مُحَرَّمًا إِلَّا مَا مَاتَ دُونَ ذِكَاةٍ، أَوْ كَانَ دَمًا مَسْفُوحًا، أَوْ كَانَ لَحْمَ خَنزِيرٍ فَإِنَّهُ نَجَسٌ حَرَامٌ، أَوْ كَانَ مِمَّا دُبِحَ عَلَى غَيْرِ اسْمِ اللَّهِ

﴿١٤٧﴾ فَإِنْ كَذِبُوكَ أَيُّهَا الرُّسُولُ  
وَمَنْ يَصْدُقُوا بِمَا جَاءَتْ بِهِ مِنْ رَبِّكَ  
فَقُلْ تَرْغَبُونَ لِيْهِمْ: رَبِّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ  
وَأَسْمَاءٍ. وَمَنْ رَحِمْتَهُ بِكُمْ إِيْمَالَهُ لَكُمْ،  
وَعَدَمَ مَعَاجِلَتِهِ لَكُمْ بِالْعَذَابِ، وَقُلْ  
لِيْهِمْ تَعْدِيْلٌ لِّهِمْ: إِنَّ عَذَابَهُ لَا يَزِيْدُ  
عَنِ الْقَوْمِ الَّذِينَ يَرْكَبُونَ الْمَعَاصِيَ  
وَالْإِثْمَ.

سَيَقُولُ الْمُشْرِكُونَ مَحْجَنَّبِينَ  
بِمَشِيئَةِ اللَّهِ وَقَدَرَهُ عَلَى صَحْصَحَةٍ  
إِشْرَاكِهِم بِاللَّهِ لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَا أَشْرَكَ  
وَلَا أَبَاؤُنَا بِاللَّهِ لَمَّا أَشْرَكْنَا بِهِ،  
وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَا نَحْرُمُ مَا حَرَّمَاهُ  
عَلَى أَنْفُسِنَا لَمَّا حَرَّمَاهُ. وَيُمَثِّلُ  
حُجَّتَهُمُ الدَّاحِضَةُ كَذِبُ الَّذِينَ مِنْ  
قَبْلِهِمْ بِرُسُلِهِمْ قَائِلِينَ: لَوْ شَاءَ اللَّهُ  
لَا نَكْذِبُ بِهِمْ لَمَّا كَذَبْنَا بِهِمْ، وَاسْتَمَرُّوا  
عَلَى هَذَا التَّكْذِيبِ حَتَّى ذَاقُوا عَذَابَنَا  
الَّذِي أَتْرَكْنَاهُ عَلَيْهِمْ، قُلْ - أَيُّهَا  
الرُّسُلُ لَهَؤْلَاءِ الْمُشْرِكِينَ: هَلْ  
عِنْدَكُمْ مِنْ دَلِيلٍ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ  
رَضِيَ مِنْكُمْ أَنْ تَشْرَكَوْا بِهِ وَأَنْ تَحْلُوا  
مَا حَرَّمَهُ وَتَحْرُمُوا مَا أَحَلَّهُ؟ فَجُودِ  
وَقُوعُ ذَلِكَ مِنْكُمْ لَيْسَ دَلِيلًا عَلَى  
رِصَاةِ عَمَلِكُمْ. إِنَّكُمْ لَا تَتَّبِعُونَ فِي ذَلِكَ  
إِلَّا الظَّنَّ، وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يَفِيضُ مِنَ الْحَقِّ  
شَيْئًا، وَمَا أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِيبُونَ.

قل أيها الرسول للمشركين  
 إن لم تكن لكم حجج إلا هذه الحجج  
 الواهية فإن لله الحجة القاطعة  
 التي تنقطع عندها معاذيركم التي  
 تقدمونها، وبطل بها شبهكم التي  
 تعلقون بها، فلو شاء الله توفيقكم  
 جميعاً للحق - أيها المشركون -  
 لوفّقكم له.

١٥ قل - أيها الرسول - لهؤلاء

المشركين الذين يحرمون ما أحل الله، ويدَّعون أن الله هو الذي حرَّمه: احضروا شهودكم الذين يشهدون أن الله حرم هذه الأشياء التي حرَّمتموها، فإن شهدوا بغير علم على أن الله حرَّمها فلا تصدِّقهم **أيها الرسول** في شهادتهم: لأنها شهادة زور، ولا تتبع أهواء الذين يُحكِّمون أهواءهم، فقد كذبوا بآياتنا حين حرَّموا ما أحل الله لهم، ولا تتبع الذين لا يؤمنون بالآخرة، وهم بربهم يشركون فبساووه بغيره، وكيف يُنَّبِّئ من هذا مسلَّكه مع ربه؟

﴿قُلْ أَتُحِبُّونَ الْإِنْسَانَ﴾ **قل أيها الرسول للناس:** تعالوا أفرأ عليكم ما حرمه الله، حرم عليكم أن تتركوا به شيئاً من مخلوقاته، وأن تعفوا آباءكم، بل يحب عليكم الإحسان إليهم، وأن تقتلوا أولادكم بسبب الغفر، كما كان يفعل أهل الجاهلية، نحن نرزقكم ونرزقهم، وحرم أن تقرّبوا الفواحش ما أُخْلِجَ منها وما أَسْرَه، وأن تعفوا النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق، كالزنى بعد الإحصان، والردة بعد الإسلام، ذلكم المذكور ومثلكم به لتعلمكم تعفون عن الله أو أمره وبإواهيه.

• **میں فوقیدہ آیات،**

● الحذر من الجرائم الموصلة لبأس الله: لأنه لا يُزْدُ بأسه عن القوم المحرمين إذا أرادهم. ● الاحتجاج بالقضاء والقدر بعد أن أعطى الله تعالى كل مخلوق قُدْرَةً وإرادةً يتمكّن بهما من فعل ما كُلِّفَ به: طُلِمَ مَخَصَّ وعناد صرف. ● ذَلَّتْ الآيات على أنه يحسب عقل العبد يكون قيامه بما أمر الله به. ● النهي عن قربان الفواحر أبْلَغ من النهي عن محرد فعلها، فإنه يتناول النهي عن مقدماتها ووسائلها الموصلة إليها.

وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ  
وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تَكْلَفُ نَفْسًا إِلَّا  
وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا وَلَوْ كُنْتُمْ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ  
اللَّهِ أَوْفُوا ذَالِكُمْ وَصَّيْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾  
وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ  
فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَالِكُمْ وَصَّيْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ  
تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي  
أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ  
رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ  
وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ  
عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ  
﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْهِنَا الْكِتَابَ لَكُنَّا أَهْدَىٰ  
مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ  
فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ  
يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾

﴿١٥٢﴾ وَخَرَّمُ أَنْ تَتَعَرَّضُوا لِمَالِ الْيَتِيمِ وهو الذي فقد آياه قبل البلوغ إلا بما فيه صلاح ونفع له وزيادة لماله حتى يبلغ ويؤنس منه الرشد، وخرَّم عليكم التطفيف في الكيل والميزان، بل يجب عليكم العدل في الأحد والإعطاء هي البيع والشراء، لا تكلف نفسًا إلا طافها، فما لا يمكن الاحتراز منه من الزيادة أو النقصان في المتكاييل وغيرها لا مؤاخذه فيه، وخرَّم عليكم أن تقولوا غير الصواب في خبر أو شهادة دون مخاطبة قريب أو صديق، وخرَّم عليكم نقض عهد الله إن عاهدتم الله أو عاهدتم بالله، بل يجب عليكم الوفاء بذلك، ذلك المتقدم أمركم الله به أمرًا مؤكدًا رجاء أن تذكروا عاقبة أمركم.

﴿١٥٣﴾ وَخَرَّمُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَتَّبِعُوا سُبُلَ الضلال وطرقه، بل يجب عليكم اتباع طريق الله المستقيم الذي لا اعوجاج فيه، وطرق الضلال تؤدي بكم إلى التفرق والبعد عن طريق الحق، ذلك الاتباع لطريق الله المستقيم هو الذي وصاكم الله به؛ رجاء أن تتقوه بامتنال ما أمر به واجتناب ما نهى عنه.

﴿١٥٤﴾ ثم بعد الإخبار بما ذكر نخبر أنَّا أعطينا موسى التوراة تمامًا للنعمة جزاءً على إحسانه العمل، وتبيينًا لكل شيء، يحتاج إليه هي الدين، ودلالة على الحق ورحمة رجاء أن يؤمنوا ببقاء ربهم يوم القيامة فيستعدوا له بالعمل الصالح.

﴿١٥٥﴾ وهذا القرآن كتاب أنزلناه كثر البركة؛ لما يشتمل عليه من المنافع الدنيوية والدنيوية، فاتبعوا ما أنزل فيه، واحذروا مخالفته رجاء أن ترحموا.

﴿١٥٦﴾ ثلثا تقولوا يا مشركي العرب . إما أنزل الله التوراة والإنجيل على اليهود والنصارى من قبلنا، ولم ينزل علينا كتابًا، وإنا لا ندري تلاوة كتبهم لأنها بلغتهم، وليست بلغتنا.

﴿١٥٧﴾ ولثلاثا تقولوا: لو أنزل الله علينا كتابًا كما أنزل على اليهود والنصارى لثلاثا أكثر استقامة منهم، فقد جاءكم كتاب أنزل الله على نبيكم محمد ﷺ بلسانكم، وذلك حجة واضحة وإرشاد إلى الحق ورحمة للأمة، فلا تعتذروا بالأعذار الواهية، وتعللوا بالعلل الباطلة، ولا أحد أعظم ظلمًا ممن كذب بآيات الله وانصرف عنها، سناقب الدين ينصرفون عن آياتنا عقابًا شديدًا بإدخالهم في نار جهنم جزاءً على انصرافهم وإعراضهم عنها.

• من هو يـ لا يـ

- لا يجوز التصرف في مال اليتيم إلا في حدود مصلحته، ولا يسلم ماله إلا بعد بلوغه الرشد.
- سبل الضلال كثيرة، وسبيل الله وحده هو المؤدي إلى النجاة من العذاب.
- اتباع هذا الكتاب علمًا وعملاً من أعظم أسباب نيل رحمة الله.



﴿١٥٨﴾ ما ينتظر المكذبون إلا أن يأتيهم ملك الموت وأعوانه لقبض أرواحهم في الدنيا، أو يأتي ربك يوم الفصل في الآخرة أيها الرسول لفصل القضاء بينهم، أو يأتي بعض آيات ربك الدالة على الساعة، يوم يأتي بعض آيات ربك - كطلوع الشمس من مغربها - لا ينفع كافراً إيمانه، ولا ينفع مؤمناً لم يعمل خيراً من قبله عمله، قل أيها الرسول لهؤلاء المشركين المكذبين: انتظروا أحد هذه الأشياء، إنا منتظرون.

﴿١٥٩﴾ إن الذين جعلوا دينهم متفرقاً من اليهود والنصارى، حيث أخذوا بمضه وتركوا بعضه، وكانوا فرقة محتلمين، لست أيها الرسول منهم في شيء، فأنت بريء مما هم عليه من الضلال، وليس عليك إلا إنذارهم، فأمروهم موكول إلى الله، ثم هو يوم القيامة يحبرهم بما كانوا يعملون في الدنيا فيجازيهم عليه.

﴿١٦٠﴾ من أتى يوم القيامة من المؤمنين بعسنة ضاعفها الله له عشر حسنات، ومن أتى بسية فلن يُعاقب إلا بمثلها في الحقة والعظم، لا أكثر منها، وهم يوم القيامة لا يظلمون بنقص ثواب الحسنات، ولا بزيادة عقاب السيئات.

﴿١٦١﴾ قل أيها الرسول لهؤلاء المشركين المكذبين، إنني أرشدني ربي إلى طريق مستقيم هو طريق الدين القائم بمصالح الدنيا والآخرة، وهو ملة إبراهيم المائل إلى الحق، والذي لم يكن من المشركين قط.

﴿١٦٢﴾ قل - أيها الرسول - إن صلاتي ودعائي لله وعلى اسم الله، لا

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامِنًا مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا أَمْثَالُهَا وَهُمْ لَا يُظَاهَمُونَ ﴿١٦٠﴾ قُلْ إِنِّي هَدَيْتَنِي رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغَى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوكُمْ فِي مَاءِ اتِّكُمُ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٥﴾

١٥٠

على غيره، وحياتي وموتي، كل ذلك لله رب المخلوقات وحده، وليس لغيره نصيب في ذلك. ﴿١٦٤﴾ وهو سبحانه لا شريك له، ولا معبود بحق غيره، وبهذا التوحيد الخالص من الشرك أمرني الله، وأنا أول المستسلمين له من هذه الأمة. ﴿١٦٥﴾ قل أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: أغير الله أطلب رباً وهو عني كل شيء؟ فهو رب المعبودات التي تعبدونها من دونه، ولا يعمل بريء دني غيره، ثم إلى ربكم وحده رجوعكم يوم القيامة فيخبركم بما كنتم تحتفلون فيه في الدنيا من أمر الدين. ﴿١٦٦﴾ والله هو الذي جعلكم تحتفلون من سبقكم في الأرض للقيام بعمارتها، ورفع بعضكم في الخلق والرزق وغيرهما فوق بعض درجات، ليختبركم فيما اتاكم من ذلك، إن ربك - أيها الرسول - سريع العقاب، بكل ما هو ات فهو قريب، وإنه لغفور لمن تاب من عباده رحيم به.

من فوائد الآيات،

- أن الدين يأمر بالاجتماع والائتلاف، وينهى عن التفرق والاختلاف.
- من تمام عدله تعالى وإحسانه أنه يجازي بالسيرة مثلاً، وبالحسنة عشرة أمثالها، وهذا أقل ما يكون من التصفيف.
- الدين الحق القيم يتطلب تسخير كل أعمال العبد واهتماماته لله عز وجل، فله وحده يتوجه العبد بصلاته وعبادته ومناسكه وذناحه وجميع قرباته وأعماله في حياته وما أوصى به بعد وفاته.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَبَرَاتٍ

الْمَصِّ ١ كَتَبْنَا إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ  
لِتُنذِرَ بِهِ ۚ وَذَكَرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ٢ اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم  
مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مَن دُونِهِ ۚ أُولَٰئِكَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ  
٣ وَكَرَّمَن قَرِيَةً أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بِأَسْنَابٍ ۖ وَأُوهَمَ  
قَائِلُونَ ٤ فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بِأَسْنَابٍ إِلَّا أَنْ قَالُوا  
إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ٥ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ  
الْمُرْسَلِينَ ٦ فَلَنَقْصُصَنَّ عَلَيْهِمْ مَا كُنَّا غَايِبِينَ ٧  
وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ ۖ فَمَن تَقَلَّتْ مَوَازِينُهُ وَقَالَ لِذَلِكَ هُم  
الْمُفْلِحُونَ ٨ وَمَن حَقَّتْ مَوَازِينُهُ وَقَالَ لِذَلِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا  
أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظَاهِمُونَ ٩ وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ  
فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُم فِيهَا مَعِيشَةً قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ  
١٠ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ  
أَسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّن السَّاجِدِينَ ١١

١٥١

• من مقاصد السورة:

انتصار الحق في صراعه مع الباطل، وبيان عاقبة المستكبرين في الدنيا والآخرة.

• التفسير:

١ (المص) تقدم الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة.

٢ القرآن الكريم كتاب أنزله الله عليك أيها الرسول فلا يكن في صدرك منه ضيق ولا شك، أنزله إليك لتخوف به الناس، وتقيم به الحجة، ولتذكر به المؤمنين، فهم الذين ينتفعون بالذكرى.

٣ اتبعوا أيها الناس الكتاب الذي أنزله ربكم عليكم، وسنة نبينا، ولا تتبعوا أهواء من ترونها أولياء من شياطين أو أجباص سوء، تتولونهم تاركين ما أنزل عليكم لأجل ما تمليه أهواؤهم، إنكم قليلًا ما تذكرون؛ إذ لو تذكركم لما أترتم على الحق غيره، ولا تبعتم ما جاء به رسولكم، وعلمتم به، وتركتهم ما سوام.

٤ ما أكثر القرى التي أهلكتها بعدابنا لما أصرت على كفرها وضلالها، فنزل عليها عذابنا الشديد في حال غفلتها لئلا أو نهازا، فلم يستطيعوا دفع العذاب عن أنفسهم، ولم تدفعه عنهم ألتهن المزعومة. ٥ فما كان منهم بعد نزول العذاب إلا أن أقروا على أنفسهم بظلمهم بالكفر بالله.

٦ فلنسالن يوم القيامة الأمم التي أرسلنا إليها رسلنا عما أجابوا به الرسل، ولنسالن الرسل عن تبليغ ما أمروا بتبليغه، وعما أجابتهم به أممهم.

٧ فلنقصن على جميع الخلق أعمالهم التي عملوها في الدنيا بعلم منا، فقد كنا عالمين بأعمالهم كلها، لا يغيب عنا منها شيء، وما كنا غائبين عنهم في أي وقت من الأوقات. ٨ وور الأفعال يوم القيامة يكون بالعدل الذي لا جور معه ولا ظلم، فمن رجحت عند الوزن كفة سيئاته على كفة حسناته فاولئك هم الذين فازوا بالمطلوب، ونحو من المرهوب. ٩ ومن رجحت عند الوزن كفة سيئاته على كفة حسناته فاولئك الذين خسروا أنفسهم بإيرادها موارد الهلاك يوم القيامة، بسبب جحدهم بآيات الله. ١٠ ولقد مكناكم - يا بني آدم - في الأرض، وجعلنا لكم فيها أسبابا للعيش، فكان عليكم أن تشكروا الله على ذلك، لكن شكركم كان قليلا. ١١ ولقد أسأنا أيها الناس أباكم آدم، ثم صورناه في أحسن صورة، وأحسن تقويم، ثم أمرنا الملائكة بالسجود لإكرامنا له، فامتثلوا وسجدوا، إلا إبليس أبى أن يسجد تكبرا وعنادا.

• من فوائد الآيات:

• من مقاصد إزال القرآن الإبدار للكافرين والمعاندين، والتذكير للمؤمنين. • أنزل الله القرآن إلى المؤمنين ليتبعوه ويعملوا به، فإن فعلوا ذلك كملت تربيتهم، وتمت عليهم النعمة، وهُدوا لأحسن الأعمال والأخلاق. • الوزن يوم القيامة لأعمال العباد يكون بالعدل والقسط الذي لا جور فيه ولا ظلم بوجه. • هيأ الله الأرض لانتفاع البشر بها، بحيث يتمكنون من البناء عليها وحراثتها، واستخراج ما فيها باطنها للانتفاع به.

﴿١١﴾ قال الله تعالى توبعًا لإبليس: أي شيء منعك من امتثال أمري لك بالسجود لآدم؟ قال إبليس مجيبًا ربه: منعني أنني أفصل منه، فقد خلقتني من نار، وخلقته هو من طين، والنار أشرف من الطين.

﴿١٢﴾ قال الله له: أهبط من الجنة، فليس لك أن تتكبر فيها؛ لأنها دار الطيبين الطاهرين، فما يجوز لك أن تكون فيها، إنك يا إبليس من الحقيرين الذليلين، وإن كنت ترى نفسك أنك أشرف من آدم.

﴿١٣﴾ قال إبليس: يا رب، أمهلني إلى يوم البعث حتى أغوي من أستطيع إغواءه من الناس.

﴿١٤﴾ قال له الله إنك - يا إبليس - من الممهلين الذين كتبت عليهم الموت يوم النفخة الأولى في الصور حين يموت الخلق كلهم، ويبقى حالهم وحده.

﴿١٥﴾ قال إبليس: سبب إضلالك إياي حتى تركت امتثال أمرك بالسجود لآدم لأفقدن لبني آدم على صراطك المستقيم؛ لأصرفهم وأضلهم عنه كما ضللت أنا عن السجود لأبيهم آدم. ثم لآتيهم من جميع الجهات بالتزهيد في الآخرة، والترغيب في الدنيا، والقاء الشبهات، وتحسين الشهوات. ولا تحد يا رب أكثرهم شاكرين لك، لما أمليه عليهم من الكفر.

﴿١٦﴾ قال الله له: اخرج يا إبليس من الجنة مذمومًا مطرودًا من رحمة الله، ولأملأ جهنم يوم القيامة منك ومن كل من اتبعك وأطاعك وعصى أمر ربه.

قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّمَّنْ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فِيمَا أُغْوِيْتَنِي لِأَفْعِدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ يَتَّبِعْكَ مِنْهُمْ لَا مَلَائِمْ لَهُمْ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَيَتَادَمُّ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ فَهَوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءِئِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَائِينَ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَذَلَّلَهُمَا يَغرُورٌ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٢﴾

١٥٢

﴿١١﴾ وقال الله لآدم: يا آدم، اسكن أنت وزوجك حواء الجنة، فكلَا مما فيها من الطيبات ما شئتما، ولا تأكلا من هذه الشجرة (شجرة عَيْنها الله لهما) فإبكما إن أكلتما منها بعد نهيي لكما كنتما من المتجاوزين لحدود الله.

﴿١٢﴾ فألقى لهما كلامًا خفيًا إبليس: ليُظهر لهما ما ستر عنهما من عوراتهما، وقال لهما: ما نهاكما الله عن الأكل من هذه الشجرة إلا كراهة أن تكونا منكبين، وإلا كراهة أن تكونا من الخالدين في الجنة.

﴿١٣﴾ وحلف لهما بالله: إنني لكما يا آدم وحواء لمن الناصحين فيما أشرت عليكما به.

﴿١٤﴾ فخطبهما من المنزلة التي كانا فيها بخداع منه وغرور، فلما أكلا من الشجرة التي نُهيا عن الأكل منها طهرت لهما عورتاهما مكشوفة، فاخذ يُلرَقان عليهما من ورق الجنة؛ ليستر عورتاهما، وناداهما ربهما قائلًا: ألم أنهكما عن الأكل من هذه الشجرة، وأقل لكما محذرًا لكما: إن الشيطان عدو لكما بين العداوة!

﴿١٥﴾ من قَوَائِدِ الآيَاتِ

• دلّت الآيات على أن من عصي مولاه فهو ذليل.

• أعلن الشيطان عداوته لبني آدم، وتوعد أن يصدهم عن الصراط المستقيم بكل أنواع الوسائل والأساليب.

• خطورة المعصية وأنها سبب لعقوبات الله الدنيوية والأخرية.



قَالَ رَبِّنا ظَلَمَنا أَنْفُسَنا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنا وَتَرْحَمَنا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتْعٌ إِلَى حِينٍ ﴿٣٤﴾ قَالَ فِيها تَحْيَوْنَ وَفِيها تَمُوتُونَ وَمِنْها تُخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ يَبْنِيءُ آدَمُ قَدْ أَنْزَلْنا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْءَ تَكْمُ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ يَبْنِيءُ آدَمُ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ اتِهِمَا إِنَّهُ يَرَبُّكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِياءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَإِذا فَعَلُوا فَحِشَةً قالُوا وَجَدْنا عَلَيْها آباءَنا وَآلَهُ أَمَرُنا بِها قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحِشَةِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ ما لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٣٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلالةُ إِنَّهُمْ أَتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنََّّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٤٠﴾

﴿٣٣﴾ قال آدم وحواء: يا ربنا، ظلمنا أنفسنا بارتكاب ما نهيتنا عنه من الأكل من الشجرة، وإن لم تغفر لنا ذنوبنا وترحمنا يرحمك، لنكونن من الخاسرين بإضاعتنا حظنا في الدنيا والآخرة.

﴿٣٤﴾ قال الله لآدم وحواء وإبليس: اهبطوا من الجنة إلى الأرض، وسيكون بعضكم عدوا لبعض، ولكم في الأرض مكان استقرار إلى وقت معلوم، وتمتع بما فيها إلى أجل مسمى.

﴿٣٥﴾ قال الله مخاطباً آدم وحواء وذريتهما: في هذه الأرض تحبون مدة ما قدر الله لكم من أجل، وفيها تموتون وتدفنون، ومن قبوركم تخرجون للبعث.

﴿٣٦﴾ يا بني آدم، قد جعلنا لكم لباساً ضرورياً لستر عوراتكم، وجعلنا لكم لباساً كمالياً تتجلبسون به في الناس، ولباس التقوى - التي هي امتثال ما أمر الله به واجتناب ما نهى عنه - خير من هذا اللباس الحسي، ذلك المذكور من اللباس من آيات الله الدالة على قدرته، لعلكم تتذكرون نعمه عليكم فتشكرونها.

﴿٣٧﴾ يا بني آدم، لا يعزبكم الشيطان بتزيين المعصية بترك اللباس الحسي لستر العورة أو ترك لباس التقوى، فقد خدع أبويكم بتزيين الأكل من الشجرة حتى كان مال ذلك أن أخرجهما من الجنة، وبدت لهما عوراتهما، إن الشيطان وذريته يرونكم ويشاهدونكم وأنتم لا ترونهم ولا تشاهدونهم، فيلزمكم الحذر منه ومن ذريته، إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون بالله، وأما المؤمنون

الذين يعملون الصالحات فلا سبيل لهم عليهم. ﴿٣٨﴾ وإذا ارتكب المشركون أمراً بالغ النكر كالشرك والطواف بالبيت عراة وغيرهما، اعتدروا بأبهم وجدوا آباءهم يرتكبونها، وأن الله أمرهم بذلك، قل يا محمد رداً عليهم: إن الله لا يأمر بالمعاصي، بل ينهى عنها، فكيف تدعون ذلك عليه؟ أقولون أيها المشركون على الله ما لا تعلمون كذباً واعتراءً؟ ﴿٣٩﴾ قل يا محمد - لهؤلاء المشركين: إن الله أمر بالعدل، ولم يأمر بالفحشاء والمنكر، وأمر أن تخلصوا له العبادة عموماً، وعلى وجه الخصوص في المساجد، وأن تدعوه وحده مخلصين له الطاعة، كما خلقكم من عدم أول مرة يعبدكم أحياء مرة أخرى، فالقادر على بدء خلقكم قادر على إعادتهم وبعثكم. ﴿٤٠﴾ وقد جعل الله الناس فريقين: فريقاً منكم هداة، ويشير له أسباب الهداية، وصرف عنه موانعها، وفريقاً آخر وجبت عليهم الضلالة عن طريق الحق، ذلك أنهم صيروا الشياطين أولياء من دون الله، فأتقادوا لهم جهلاً، وهم يظنون أنهم مهتدون إلى الصراط المستقيم.

● من أشبه آدم بالاعتراف وسؤال المغفرة والندم والإقلاع - إذا صدرت منه الذنوب - اجتنبه ربه وهدام. ومن أشبه إبليس - إذا صدر منه الذنوب بالإصرار والعناد - فإنه لا يزداد من الله إلا نقداً. ● اللباس نوعان: ظاهري يستر العورة، وباطني وهو التقوى الذي يستمر مع العبد، وهو حمال القلب والروح. ● كثير من أعوان الشيطان يدعون إلى زرع اللباس الظاهري: لتكشف العورات، فيهن على الناس فعل المنكرات وارتكاب المباحث. ● أن الهداية بفضل الله ومنه، وأن الصلاة بخذلانه للعبد إذا تولى - بجعله وظلمه - الشيطان، وتسبب لنفسه بالضلال.

﴿٢١﴾ يٰ بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٢٢﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٤﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٢٥﴾ يٰ بَنِي آدَمَ إِنَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنْ أَتَقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ كَذَبُوا بَيِّنَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧﴾ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَقَّوْنَهُمْ قَالُوا آيِنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا اضْلُوعًا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿٢٨﴾

﴿٢١﴾ يا بني آدم، البسوا ما يستر عورتكم، وما تتجملون به من اللباس التظيف الطاهر عند الصلاة والطواف، وكلوا واشربوا ما شئتم من الطيبات التي أحلها الله، ولا تتجاوزوا حد الاعتدال هي ذلك، ولا تتجاوزوا الحلال إلى الحرام، إن الله لا يحب المتجاوزين لحدود الاعتدال. ﴿٢٢﴾ قل أيها الرسول رداً على المشركين الذين يُعْزَمون ما أحل الله من اللباس والطيبات من المأكولات وغيرها، من الذي حُرِّم عليكم اللباس الذي هو زينة لكم؟ ومن الذي حُرِّم عليكم الطيبات من المأكولات والمشروبات وغيرها مما رزقكم الله؟ قل - أيها الرسول - إن تلك الطيبات للمؤمنين في الحياة الدنيا، وإن شاركهم غيرهم فيها في الدنيا فهي خاصة بهم يوم القيامة، لا يشاركهم فيها كافر؛ لأن الجنة محرمة على الكافرين، مثل هذا التفصيل نُفَصِّلُ الآيات لقوم يدركون؛ لأنهم الذين ينتفعون بها.

﴿٢٣﴾ قل أيها الرسول لهؤلاء المشركين الذين يحرمون ما أحل الله؛ إن الله إنما حرم على عباده الفواحش، وهي قبائح الذنوب، ظاهرة كانت أو باطنة، وحرم المعاصي كلها، والاعتداء ظلماً على الناس في دماءهم وأموالهم وأعراضهم، وحرم عليكم أن تشركوا مع الله غيره مما ليس لكم حصة فيه، وحرم عليكم القول عليه بغير علم في أسمائه وصفاته وأفعاله وشرعه. ﴿٢٤﴾ ولكل حيل وقرن مدة ومبقات محدد لأحائهم، فإذا جاء ميقاتهم المُقَدَّر لا يتأخرون عنه زمناً

وإن قل، ولا يتقدمون عليه. ﴿٢٥﴾ يا بني آدم إذا جاءكم رسل مني من أقوامكم يتلون عليكم ما أنزلت عليهم من كُتُبِي فأطيعوهم، واتبِعُوا ما جاؤُوا به، فالذين يتقون الله بامتنال أو امره واجتناب نواهيه ويصلحون أعمالهم، لا خوف عليهم يوم القيامة، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من حظوظ الدنيا. ﴿٢٦﴾ وأما الكافرون الذين كذبوا بآياتنا، ولم يؤمنوا بها، وتزعموا تكبراً عن العمل بما جاءتهم به رسلهم، فإنهم أصحاب النار الملامون لها الماكثون فيها أبداً. ﴿٢٧﴾ لا أحد أظلم من الذي يفترى على الله الكذب بنسبة الشريك إليه أو النقص أو القول عليه بما لم يقله، أو كذب بآياته الجليلة الهادية إلى صراطه المستقيم، أولئك المتصفون بذلك ينالهم حظهم المكتوب لهم في اللوح المحفوظ من خير أو شر، حتى إذا جاءهم ملك الموت وأعوانه من الملائكة لقبض أرواحهم قالوا لهم توبيخاً لهم أين الآلهة التي كنتم تعبدونها من دون الله؟ ادعوها لتنفعكم، قال المشركون للملائكة: لقد ذهب عنا الآلهة التي كنا نعبد وغازبنا، فلا ندري أين هي، وأفروا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين، لكن إقرارهم في ذلك الحين حجة عليهم، ولن ينفعهم.

﴿٢٨﴾ من قَوْلِ الْآيَاتِ،

● المؤمن مأمور بتطعيم شعائر الله من خلال ستر العورة والتجمل في أثناء صلاته وخاصة عند التوجه للمسجد. ● من فسر القرآن بغير علم أو أفشى بغير علم أو حكم بغير علم فقد قال على الله بغير علم وهذا من أعظم المحرمات. ● في الآيات دليل على أن المؤمنين يوم القيامة لا يحافون ولا يحزنون، ولا يلحقهم رعب ولا فزع، وإذا لحقهم همالهم الأمن. ● أظلم الناس من عطل مراد الله تعالى من جهتين: جهة إبطال ما يدل على مراده، وجهة إيهام الناس بأن الله أراد منهم ما لا يريد الله.

قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا دَارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرِبُهُمْ وَلَا وَلَهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَكَرِهَهُمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْمُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَتْ أُولَهُمْ لَأُخْرِبَهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٣٠﴾ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٣١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾

﴿٢٨﴾ قالت لهم الملائكة: ادخلوا أيها المشركون في جملة أُمَمٍ قد مضت من قبلكم على الكفر والضلال من الجن والإنس في النار، كلما دخلت أمة من الأمم لعنت أختها التي سبقتها إلى النار، حتى إذا تلاحقوا فيها، واجتمعوا كلهم قالت أجزأهم دخولاً وهم المُثَقَّلَة والأنبياء، لأولاهم وهم الكبراء والسادة: يا ربنا، هؤلاء الكبراء هم الذين أضلونا عن طريق الهداية، فعاقبهم عقاباً مصاعفاً لتزيينهم الضلال لنا، قال الله ربنا عليهم: لكل طائفة منكم نصيب من العذاب مصاعف، ولكنكم تجهلون ذلك ولا تدركونه.

﴿٢٩﴾ وقال السادة المتبعون لاتباعهم: ليس لكم أيها الأنبياء علينا من فضل تستحقون به تخفيف العذاب عنكم، فالعبرة بما كسبتم من الأعمال، ولا عذر لكم في اتباع الباطل، فذوقوا أيها الاتباع العذاب مثلهما ذقتاه بسبب ما كنتم تكسبون من الكفر والمعاصي.

﴿٣٠﴾ إن الذين كذبوا بآياتنا الواصفة، وتكبروا عن الانقياد والإذعان لها أيسون من كل خير، فلا تفتح أبواب السماء لأعمالهم بسبب كفرهم، ولا لأرواحهم إذا ماتوا، ولا يدخلون الجنة أبداً حتى يدخل الجمل وهو من أعظم الحيوانات في ثقب الإبرة الذي هو من أضيق الأشياء، وهذا من المستحيل، فالمُثَقَّل على وهو دخولهم الجنة مستحيل، ومثل هذا الجزاء يجزي الله من عظمت ذنوبه.

﴿٣١﴾ لهؤلاء المكذبين المتكبرين من جهنم فراش يمتشون، ولهم من فوقهم اعطية من نار، ومثل هذا الجزاء نحري المتجاوزين لحدود الله بكفرهم به وإعراضهم عنه. ﴿٣٢﴾ والذين آمنوا وعملوا الصالحات ما يستطيعون ولا يكلف الله نفساً فوق ما تستطيع أولئك أصحاب الجنة يدخلونها ما كُتِبَ فيها أبداً. ﴿٣٣﴾ ومن تمام نعيمهم في الجنة أن برع الله ما في قلوبهم من البعصاء والحقد، وأجرى الأنهار من تحتهم، وقالوا معترفين لله بإبعامه عليهم: الحمد لله الذي وفقنا لهذا العمل الصالح الذي أنالنا هذه المنزلة، وما كنا لنوفق إليه من تلقاء أنفسنا لولا أن الله وفقنا إليه، لقد جاءت رسل ربنا بالحق الذي لا مرية فيه والصدق في الوعد والوعيد، ونادى فيهم مناد: أن هذه هي الجنة التي أخبرتكم بها رسلي في الدنيا، أعقبكم الله إياها بما كنتم تعملون من الأعمال الصالحة، التي تريدون بها وجه الله.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

• المودة التي كانت بين المكذبين في الدنيا تنقلب يوم القيامة عداوة وملاعة. • أرواح المؤمنين تفتح لها أبواب السماء حتى تُعْرَجَ إلى الله، وتبتهج بالقرب من ربها والخطوة بروضاته. • أرواح المكذبين المعرضين لا تفتح لها أبواب السماء، وإذا ماتوا وصعدت فهي تستأذن فلا يؤذن لها، فهي كما لم تصعد في الدنيا بالإيمان بالله ومعرفته ومحبته، فكذلك لا تصعد بعد الموت، فإن الجزاء من جنس العمل. • أهل الجنة نجوا من النار بمعو الله، وأدخلوا الجنة برحمة الله، واقتسموا المنازل وورثوها بالأعمال الصالحة وهي من رحمته، بل من أعلى أنواع رحمته.



﴿٤٤﴾ ونادى أهل الجنة الملائمون لها أهل النار الملائمين لها يمد دخول كل منهما منزله المقعد له: إنا قد لقينا ما وعدنا ربنا من الجنة وافقاً متحققاً، فقد أدخلنا إياها، فهل نقيمت أيها الكفار - ما توعدكم الله به من النار وافقاً متحققاً؟ قال الكفار: لقد وجدنا ما توعدنا به من النار حقاً، فتنادى مُناد داعياً الله أن يطرد الظالمين من رحمته، فقد فتح لهم أبواب رحمته فأعرضوا عنها في الحياة الدنيا.

﴿٤٥﴾ هؤلاء الظالمون هم الذين كانوا يعرضون عن سبيل الله بأنفسهم، ويعملون غيرهم على الإعراض عنها، ويرجون أن تكون سبيل الحق مقوجة حتى لا يسلكها الناس، وهم بالأحرى كافرون غير مستعدين لها.

﴿٤٦﴾ وبين هذين الفريقين: أصحاب الجنة وأصحاب النار حاجز مرتفع يسمى الأعراف، وعلى هذا الحاجز المرتفع رجال استوت حسناتهم وسيئاتهم، وهم يعرفون أصحاب الجنة بعلاماتهم كلباس الوجوه، وأصحاب النار بعلاماتهم كسواد الوجوه، ونادى هؤلاء الرجال أصحاب الجنة تكريماً لهم قائلين: سلام عليكم. وأصحاب الأعراف لم يدخلوا الجنة بعد، وهم يأملون دخولها برحمة من الله.

﴿٤٧﴾ وإذا حُولت أبصار أصحاب الأعراف إلى أصحاب النار، وشاهدوا ما هم فيه من العذاب الشديد، قالوا داعين الله: يا ربنا، لا تُصيرنا مع القوم الظالمين بالكفر والشرك بك. ﴿٤٨﴾ ونادى أصحاب الأعراف رجالاً

وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ قَالَتْ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَفُورُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَتِهِمْ وَنَادُوا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْهِمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ \* وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا لَا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَتِهِمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتُهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا قَالِ يَوْمَ تَنْسَهُمُ كَمَا تَنْسُو لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا يَتَنَبَّهُونَ ﴿٥١﴾

من أهل النار من الكفار يعرفونهم بعلاماتهم كسواد وجوههم وزرقه عيونهم قائلين لهم: لم ينفعكم تكثركم بالمال والرجال، وما نفعكم إعراضكم عن الحق تكبراً واستعلاءً. ﴿٤٩﴾ وقال الله موبخاً الكفار أهؤلاء هم الذين حلستم أن لا ينالهم الله برحمة من عنده؟ وقال الله للمؤمنين: ادخلوا أيها المؤمنون الجنة لا خوف عليكم فيما تستقبلونه، ولا أنتم تحزنون على ما فاتكم من حظوظ الدنيا لما نقيمت من النعيم المقيم. ﴿٥٠﴾ ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة ملتصقين منهم قائلين: أوسعوا صب الماء علينا يا أصحاب الجنة - أومما رزقكم الله من الطعام، قال أصحاب الجنة: إن الله حرمهما على الكافرين بسبب كفرهم، وإنا لن نُسعفكم بما حرمه الله عليكم. ﴿٥١﴾ هؤلاء الكافرون هم الذين جعلوا دينهم سخرية وعبثاً، وخذعهم الحياة الدنيا بخرقها وريثتها. فيوم القيامة ينسأهم الله، ويتركهم يقاسون العذاب كما تنسوا لقاء يوم القيامة فلم يعملوا له، ولم يستعدوا، ولجودهم يحج الله وبراهينه وإنكارهم لها مع علمهم بأنها حق.

﴿٥٢﴾ من قوائد الآيات،

● عدم الإيمان بالبعث سبب مباشر للإقبال على الشهوات، ● يتيقن الناس يوم القيامة تحقق وعد الله لأهل طاعته، وتحقق وعيده للكافرين. ● الناس يوم القيامة فريقان: فريق في الجنة وفريق في النار، وبينهما فريق في مكان وسط لتساوي حسناتهم وسيئاتهم، ومصيرهم إلى الجنة. ● على الذين يملكون المال والعاء وكثرة الأتباع أن يعلموا أن هذا كله لن يعني عنهم من الله شيئاً، ولن ينجيهم من عذاب الله.

وَلَقَدْ جِئْتَهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً  
 لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ  
 يَقُولُ الَّذِينَ سُوءُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ  
 فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفْعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي  
 كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا  
 يَفْتَرُونَ ﴿٦٠﴾ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ  
 فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ  
 يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ  
 بِأَمْرِ رَبِّهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾  
 ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٦٢﴾  
 وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا  
 إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٣﴾ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ  
 الرِّيحَ بُشْرًا لِّبَنَاتِ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَفْلَتَ سَحَابًا نَّفَا لَا  
 سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَاهُ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ  
 الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٦٤﴾

الجلال والكمال. رب العالمين. ﴿٥٩﴾ ادعوا أيها المؤمنون ربكم بذلل تام وتواضع خفية وسراً، مخلصين في الدعاء غير مرأين ولا مشركين به سبحانه غيره في الدعاء، إنه لا يحب المتجاوزين لحدوده في الدعاء، ومن أعظم التجاوز لحدوده في الدعاء دعاء غيره معه كما يفعل المشركون. ﴿٦٠﴾ ولا تفسدوا في الأرض بارتكاب المعاصي بعد أن أصلحها الله بإرسال الرسل ﷺ وإعمارها بطاعته وحده، وادعوا الله وحده مستشعرين الخوف من عقابه، ومنظرين حصول ثوابه، إن رحمة الله قريب من المحسنين، فكونوا منهم. ﴿٦١﴾ والله سبحانه هو الذي يرسل الرياح مبشرات بالمطر. حتى إذا حملت الرياح السحاب المُنْقَل بالهواء سُقْنَا السحاب إلى بلد مُخْبَد فَأَنْزَلْنَا بِالْبَلَدِ الْمَاءَ، فأخرجنا بالهواء من جميع أنواع الثمار، مثل إخراج الثمر على تلك الصورة نخرج الموتى من قبورهم أحياء، فعلنا ذلك رجاء أنكم أيها الناس تتذكرون قدرة الله وبديع صنعه، وأنه قادر على إحياء الموتى من قوايد الأحياء.

- القرآن الكريم كتاب هداية فيه تفصيل ما تحتاج إليه البشرية، رحمة من الله وهداية لمن أقبل عليه بقلب صادق.
- خلق الله السماوات والأرض في ستة أيام بحكمة أرادها سبحانه، ولو شاء لقال لها: كوني فكانت.
- يتعين على المؤمنين دعاء الله تعالى بكل خشوع وتضرع حتى يستجيب لهم بفضله.
- الفساد في الأرض بكل صورته وأشكاله منهى عنه.

﴿٥٩﴾ ولقد جئناهم بهذا القرآن الذي هو كتاب منزل على محمد ﷺ، وقد بيَّناه على علم منا بما نبينه، وهو هاد للمؤمنين إلى طريق الرشd والحق، ورحمة لهم لما فيه من الدلالة على خيري الدنيا والآخرة.

﴿٥٩﴾ ما ينتظر الكفار إلا وقوع ما أخبروا بوقوعه من العذاب الأليم الذي يؤول إليه أمرهم في الآخرة، يوم يأتي ما أخبروا به من ذلك، وما أحبر به المؤمنون من الثواب، يقول الذين سوا القرآن في الدنيا، ولم يعملوا بما جاء فيه: لقد جاءت رسل ربنا بالحق الذي لا مرية فيه، ولا شك أنه من عند الله، فليت لنا وسطاء يشفعون لنا عند الله ليعفينا من العذاب، أو ليتنا نرجع إلى الحياة الدنيا لنعمل عملاً صالحاً نتجو به بدل ما كنا نعمل من السيئات، قد خسر هؤلاء الكافرون أنفسهم بإيرادها موارد الهلاك بسبب كفرهم، وعاب عنهم من كانوا يعبدونهم من دون الله، فلم يفهمهم.

﴿٦٠﴾ إن ربكم أيها الناس هو الله الذي خلق السماوات وخلق الأرض على غير مثال سابق في ستة أيام، ثم علماً وارتفع سبحانه على العرش علواً يليق بجلاله لا ندرك كيميته، يُذهب ظلام الليل بضياء النهار، وضياء النهار بظلام الليل، وكل منهما يطلب الآخر طلباً سريعاً بحيث لا يتأخر عنه، فإذا ذهب هذا دخل هذا، وخلق سبحانه الشمس، وخلق القمر، وخلق النجوم مدلات مهيات، ألا لله وحده الخلق كله، فمن خالق غيره؟ وله الأمر وحده، وعظم خيره وكثر إحسانه، فهو المتصف بصفات

وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ وَيَاذِنُ رَبُّهُ وَالَّذِي خَبَتْ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾  
لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾  
قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَتَقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَالَّةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾  
أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾  
فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَادُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ \* وَإِلَى عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَتَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنُظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٦٦﴾  
قَالَ يَتَقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾

● والأرض الطيبة تُخْرِجُ نباتها بإذن الله إخراجاً حسناً تاماً، وهكذا المؤمن يسمع الموعظة فينتفع بها، فتنتج عملاً صالحاً، والأرض السبخة المالحة لا تُخْرِجُ نباتها إلا عسراً لا حير فيه، وهكذا الكافر لا ينتفع بالمواعظ، فلا تنتج عنده عملاً صالحاً ينتفع به، مثل هذا التنويع البديع بنوع البراهين والحجج لإثبات الحق لقوم يشكرون نعم الله، فلا يكفرونها، ويطيعون ربهم.

● لقد بعثنا نوحاً رسولاً إلى قومه يدعوهم إلى توحيد الله، وترك عبادة غيره، فقال لهم يا قوم اعبدوا الله وحده، فليس لكم معبود بحق غيره، إني أخاف عليكم يا قوم عذاب يوم عظيم في حال إصراركم على الكفر.

● قال له سادة قومه وكبرائهم إنا لنراك - يا نوح - في بعد عن الصواب واضح.

● قال نوح لكبراء قومه: لست ضالاً كما زعمتم، وإنما أنا على هدى من ربي، فأنا رسول إليكم من الله ربي وربكم ورب العالمين كلهم.

● أبلغكم ما أرسلني الله به إليكم مما أوحى إلي، وأريد لكم الخير بترغيبكم في امتثال أمر الله وما يترتب عليه من ثواب، وترهيبكم من ارتكاب نواهيه وما يترتب عليه من العقاب، وأعلم من الله سبحانه ما لا تعلمون مما علمني عن طريق الوحي، آثار عجبكم واستغرابكم أن جاءكم وحي وموعظة من ربكم على لسان رجل منكم تعرفونه؟ فقد نشأ فيكم، ولم يكن كذاباً ولا ضالاً، وليس

من جنس آخر، جاءكم ليخوفكم من عقاب الله إن كذبتم وعصيتهم، ولتتقوا الله بامتثال أوامره واجتباب نواهيه، ورجاء أن تُرحموا إن آمنتم به. ● فكذبته قومه، ولم يؤمنوا به، بل استمروا على كفرهم، فدعا عليهم أن يهلكهم الله، فسلمناهم وسلمنا الذين معه في السفينة من المؤمنين من الغرق، وأهلكنا الذين كذبوا بآياتنا واستمروا على تكذيبهم بالفرق بالطوفان المنزل عقاباً لهم، إن قلوبهم كانت عمياً عن الحق. ● وأرسلنا إلى قبيلة عاد رسولاً منهم، هو هود، قال: يا قوم اعبدوا الله وحده، فليس لكم معبود بحق غيره، أفلا تتقونه بامتثال أوامره واجتباب نواهيه لتسلموا من عذابه؟ ● قال الكبراء والسادة من قومه الذين كفروا بالله وكذبوا رسوله: إنا لنعلم أنك - يا هود - في حمة عقل وطيش حين تدعونا إلى عبادة الله وحده، وترك عبادة الأصنام، وإنا لنعتقد حارمين أهلك من الكاذبين فيما تدعيه من أنك مرسل. ● قال هود ردّاً على قومه: يا قوم ليس بي حمة عقل وطيش، بل إني رسول من رب العالمين.

● من قِبَدِ الْآيَاتِ،

● الأرض الطيبة مثال للقلوب الطيبة حين ينزل عليها الوحي الذي هو مادة الحياة، وكما أن الغيث مادة الحياة، فإن القلوب الطيبة حين يحييها الوحي، تقبله وتعلمه وتثبت بحسب طيب أصلها، وحسن عنصرها، والعكس. ● الأنبياء والمرسلون يشفقون على الخلق أعظم من شفقة آبائهم وأمهاتهم. ● من سُنَّةِ اللَّهِ إرسال كل رسول من قومه وبلسانهم: تأليفاً لقلوب الدين لم تفسد فطرته، وتيسيراً على البشر. ● من أعظم السفهاء من قابل الحق بالرد والإبكار، وتكبر عن الاستياد للعلماء والنصحاء، وانقاد قلبه وقالبه لكل شيطان مرید.



أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَتِي رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ  
جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ  
وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ  
فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً ۖ فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ  
﴿٦٩﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ  
آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾  
قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ  
أَتَجِدُونَنِي فِي سَّمَاءٍ سَمِّيَتْ مُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ  
مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ۖ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ  
الْمُنْتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا  
وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ  
﴿٧٢﴾ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَكُونُمْ أَعْبُدُوا اللَّهَ  
مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ  
هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذُرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ  
اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ ﴿٧٣﴾

الله وعبادته، قال لهم صالح: يا قوم، اعبدوا الله وحده، فليس لكم معبود غيره يستحق العبادة، قد جاءكم آية واضحة من الله على صدق ما جئتمكم به، يتمثل في ناقة تخرج من صخرة، لها وقت تشرب فيه، ولكم شرب يوم معلوم، فاتركوها تأكل في أرض الله، فليس عليكم من مؤنتها شيء، ولا تصيبوها بأذى، فيصيبكم بسبب إيذائها عذاب موح.

من فوائد الآيات:

- ينبغي التحلي بالصبر في الدعوة إلى الله تأسيساً بالأنبياء ﷺ.
- من أولويات الدعوة إلى الله الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له. ورفض الإشراك به ونبذ.
- الاعتراض بالقوة المادية والجسدية يصرف صاحبها عن الاستجابة لأوامر الله ونواهيه.
- النبي يكون من جنس قومه، لكنه من أشرفهم نسباً، وأفضلهم حسباً، وأكرمهم مقشراً، وأرفعهم خلقاً.
- الأنبياء وورثتهم يقابلون السفهاء بالجلم، ويغضون عن قول السوء بالصّفح والعفو والمغفرة.

﴿٦٨﴾ أبلّغكم ما أمرني الله بتبليغه إليكم من توقيده وشرعه، وأنا لكم ناصح فيما أمرت بتبليغه آمين، لا أزيد فيه ولا أنقص.

﴿٦٩﴾ أو أثار عجبكم واستغرابكم أن جاءكم تذكير من ربكم على لسان رجل من جنسكم، ليس من جنس الملائكة أو الجن لينذركم؟ لا واحمدوا ربكم واشكروه على أن مكّن لكم في الأرض، وجعلكم تحلفون قوم نوح الدين أهلكهم الله بكفرهم، واشكروا الله أن حصّكم بعظم الأحسام ونفوة وشدة البطش، واذكروا نعم الله الواسعة عليكم رجاء أن تفوزوا بالمطلوب، وتتجوا من المرهوب.

﴿٧٠﴾ قال قومه له: أجتئنا يا هود لتأمرنا بعبادة الله وحده، ولنترك ما كان يعبد آباؤنا؟ فأتنا بما تعدنا به من العذاب إن كنت صادقاً فيما تدعيه

﴿٧١﴾ فرد عليهم هود قائلاً: لقد استوجبتكم عذاب الله وغضبه فهو واقع بكم لا محالة، أتجادلونني في أصنام سميتموها أنتم وآباؤكم آلهة، وليس لها حقيقة؟ فما نزل الله حجة تحتجون بها على ما تدعون لها من الألوهية، فانتظروا ما طلبتم تعجيله لكم من العذاب، وأنا معكم من المنتظرين، فهو واقع.

﴿٧٢﴾ فسلمنا هوداً ومن كان معه من المؤمنين برحمة منا، واستأصلنا بالهلك الذين كذبوا بآياتنا، وما كانوا مؤمنين، بل كانوا مكذبين، فاستحقوا العذاب.

﴿٧٣﴾ ولقد أرسلنا إلى قبيلة ثمود أخاهم صالحاً يدعوه إلى توحيد

وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سَهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَأَذْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُوا مِنَ الْأَمْنِ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِمَا لَدَىٰ آءِ آمَنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصْلِحُ أُنْتَابِإِمَّا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَلْقَوْمٍ لَقَدْ أَتَيْتُكُمْ بِرِسَالَةٍ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحِينَ ﴿٧٩﴾ وَلَوْ طَإِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ الْنِسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾

١٦٠

﴿٧٤﴾ وتذكروا نعمة الله عليكم حين جعلكم تخلصون قوم عاد، وأنزلكم في أرضكم تتمتعون بها، وتذركون مطالبكم، وذلك بعد إهلاك عاد بعد تماديهم في الكمر والتكذيب، تبنيون في سهول الأرض القصور، وتقطعون الجبال لتصنعوا بيوتًا لكم، فادكروا نعم الله عليكم لتذكروا الله عليها، واتركوا السعي في الأرض بالفساد، وذلك بترك الكفر بالله وترك المعاصي.

﴿٧٥﴾ قال السادة والرؤساء ممن استكبروا من قومه للمؤمنين من قومه الذين يستضعفونهم أتعلمون أيها المؤمنون أن صالحًا رسول من الله حقًا؟ فأجابهم المؤمنون المستضعفون: إنا بالذي أرسل به صالح إلينا مصدقون ومقررون ومنقادون، وبشره عاملون.

﴿٧٦﴾ قال المستعطفون من قومه: إنا بالذي صدقتم به أيها المؤمنون كافرين، فلن نؤمن به، ولن نعمل بشرعه.

﴿٧٧﴾ فحجروا الناقة التي نهاهم أن يمسوها بأيذاء، مستكبرين عن امتثال أمر الله، وقالوا مستهزئين مُستبدين لما توعدهم به صالح: يا صالح، جنبنا بما توعدتنا به من العذاب الأليم إن كنت من رسل الله حقًا.

﴿٧٨﴾ فجاء الكافرين ما استعجلوه من العذاب، حيث أخذتهم الرزلة الشديدة، فأصبحوا صرعى ملتصقة وجوههم وركبتهم بالأرض، لم ينج منهم أحد من الهلاك.

﴿٧٩﴾ فأعرض صالح عن قومه بعد اليأس من استجابتهم، وقال لهم:

يا قوم، لقد أوصلت لكم ما أمرني الله بتليغه إليكم، ونصحتكم مرغبًا لكم ومرهبًا، ولكنكم قوم لا تحبون الناصحين الحريصين على دلائلكم على الخير وإبعادكم عن الشر.

﴿٨٠﴾ واذكر لو طًا حين قال مستكبرًا على قومه: أتأتون الفعلة المنكرة المُستقبحة وهي تيان الذكور؟ هذه الفعل التي استدعتها، فلم يسبقكم إلى ارتكابها أحد!

﴿٨١﴾ إني لكم لتأتون الرجال لقضاء الشهوة دون النساء اللاتي خلقتن لقضائهن، فلم تتبعوا في فعلتكم هذه عقلًا ولا نَفْلًا ولا فطرة، بل أنتم متجاوزون لحدود الله بغروركم عن حد الاعتدال البشري، وانحرافكم عما تقتضيه العقول السليمة، والفطر الكريمة.

• من فوائد الآيات:

- الاستكبار يتولد غالبًا من كثرة المال والجاه. وقلة المال والجاه تحمل على الإيمان والتصديق والانقياد غالبًا.
- جواز البناء الرفيع كالقصور ونحوها: لأن من أثار النعمة: البناء الحسن مع شكر المنعم.
- الغالب في دعوة الأنبياء أن يبادر الضعفاء والفقراء إلى الإصغاء لكلمة الحق التي جاؤوا بها، وأما السادة والزعماء فيتمردون ويستعلون عليها.
- قد يعم عذاب الله المجتمع كله إذا كثر فيه العبث، وعدم فيه الإنكار.

﴿٨١﴾ وما كان ردُّ قومه المرتكبين لهذه الفاحشة عما أنكره عليهم إلا أن قالوا معرضين عن الحق: أخرجوا لوطاً وأهله من قريبتكم: إنهم أناس يتشكرون عن عملنا هذا، فلا يليق بنا أن يبقوا بين ظهرانينا.

﴿٨٢﴾ فسلطناهم وأهله حيث أمرناهم بالخروج ليلاً من القرية التي سيق عليها العذاب. إلا امرأته صارت مع الباقين مع قومها، فأصابها ما أصابهم من العذاب.

﴿٨٣﴾ وأمطرنا عليهم مطراً عظيماً، حيث رميناهم بججارة من طين، وقلبنا القرية، وجعلنا عليها ساقطها، فتأمل - أيها الرسول - كيف كان عاقبة قوم لوط المجرمين؟ فقد كانت عاقبتهم الهلاك والخزي الدائم.

﴿٨٤﴾ ولقد أرسلنا إلى قبيلة مدين أخاهم شعيباً عليه السلام، فقال لهم: يا قوم، اعبدوا الله وحده، ما لكم من معبود يستحق العبادة غيره، قد جاءكم برهان من الله واضح، وحجة جليلة على صدق ما جئكم به من ربي، أدوا إلى الناس حقوقهم بإكمال الكيل وإكمال الوزن، ولا تنقصوا الناس بعبث سلعمهم، والترهيد فيها، أو المحادعة لأصحابها، ولا تقصدوا في الأرض بالكفر وارتكاب المعاصي بعد إصلاحها ببعثة الأنبياء من قبل، ذلك المذكور خير لكم وأنفع إن كنتم مؤمنين؛ لما فيه من ترك المعاصي اجتناباً لنهي الله عنها، ولما فيه من التقرب إلى الله بفعل ما أمر به.

﴿٨٥﴾ ولا تقعدوا بكل طريق تهددون من سلكه من الناس لتسلبوا أموالهم، وتصدوا عن دين الله من أراد الاهتداء به، طالبين أن تكون سبيل الله معوجة حتى لا يسلكها الناس. وادكروا نعمة الله عليكم لشكروها له، فقد كان عددكم قليلاً فكثركم، وتأملوا كيف كان عاقبة المفسدين في الأرض من قبلكم، فإن عاقبتهم كانت الهلاك والدمار.

﴿٨٦﴾ وإن كان جماعة منكم آمنوا بما جئت به من ربي، وجماعة أخرى لم يؤمنوا بذلك فانتظروا أيها المكذبون ما يفصل الله بينكم وهو خير من يفصل وأعدل من يقضي.

﴿٨٧﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

● اللواط فاحشة تدلُّ على انتكاس الفطرة، وناسب أن يكون عقابهم من جنس عملهم فنكس الله عليهم قُرَاهِمَ.

● تقوم دعوة الأنبياء ومنهم شعيب عليه السلام على أصليين: تعظيم أمر الله؛ ويشمل الإقرار بالتحديد وتصديق النبوة. والشفقة على خلق الله؛ ويشمل ترك الخس وترك الإفساد وكل أنواع الإيذاء.

● الإفساد في الأرض بعد الإصلاح جرَّم اجتماعي في حق الإنسانية، لأن صلاح الأرض بالعقيدة والأخلاق فيه خير للجميع، وإفساد الأرض عدوان على الناس.

● من أعظم الذنوب وأكبرها وأشدّها وأفحشها أخذ ما لا يحقُّ أخذه شرعاً من الوظائف المالية بالقهر والجبر؛ فإنه غصب وظلم وعسف على الناس وإذاعة للمنكر وعمل به ودوام عليه وإقرار له.

وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَأَتَهُ وَكَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَأَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَبْنَؤُكُمْ قَوْمٌ مِّنْ رَبِّكُمْ مَّا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ فَاقْبَلُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَذَكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرَكُمُ وَأَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَقَّ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٧﴾



\* قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعِبُ  
 وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ  
 كُنَّا كَارِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدْ أَفْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ  
 إِذْ جَعَلْنَا اللَّهُ مِنْهَا وَ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ  
 اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ  
 بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ  
 الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنْ أَتَعْتُمُ شُعَيْبًا إِنْ كُنَّا إِذَا الْخَسِرُونَ  
 ﴿٩٠﴾ فَآخَذَتُهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمِينَ ﴿٩١﴾ الَّذِينَ  
 كَذَبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَانُوا  
 هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ  
 رِسَالَتِي ربي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَأُ عَلَى قَوْمٍ  
 كَافِرِينَ ﴿٩٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا  
 بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا  
 مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا  
 الضَّرَاءُ وَالسَّرَاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾

١٦٢

﴿٨٨﴾ قال الكبراء والرؤساء الذين  
 استكبروا من قوم شعيب لشعيب  
 لنخرجنك يا شعيب من  
 قريتنا هذه أنت ومن معك من الذين  
 صدقوا بك، أو لترجعن إلى ديننا، قال  
 لهم شعيب منكرًا ومتعجبًا: أنتم معكم  
 على دينكم وملئكم حتى لو كنا كارهين  
 لها لعلنا ييطان ما أنتم عليه؟  
 ﴿٨٩﴾ قد اختلفنا على الله كذبًا إن  
 نحن اعتقدنا ما أنتم عليه من شرك  
 وكفر بعد أن سلمنا الله بفضله منه،  
 وما يصح ولا يستقيم لنا أن نرجع إلى  
 ملئكم الباطلة إلا أن يشاء الله ربنا،  
 لخضوع الجميع لمشيئته سبحانه،  
 أحاط ربنا بعلم كل شيء، لا يخفى  
 عليه منه شيء، على الله وحده اعتمادنا  
 ليثبتنا على الصراط المستقيم،  
 ويعصمنا من طرق الجحيم، يا ربنا،  
 احكم بيننا وبين قومنا الكافرين  
 بالحق، فانصر صاحب الحق المظلوم  
 على الطالغ المعاند، فآت يا ربنا  
 خير الحاكمين.

﴿٩٠﴾ وقال الكبراء والرؤساء الكافرون  
 من قومه الراضون لدعوة التوحيد  
 مُعَذِّرِينَ من شعيب ودينه: لئن دخلتم  
 يا قومنا في دين شعيب، وتركتم  
 دينكم ودين آبائكم إنكم بذلك  
 لهلكون.

﴿٩١﴾ فأخذتهم الزلزلة الشديدة،  
 فأصبحوا هلكى في ديارهم، منكبين  
 على ركبهم ووجوههم، ميتين هامدين  
 في دارهم.

﴿٩٢﴾ الذين كذبوا شعيبًا هلكوا  
 جميعًا، وصاروا كأنهم لم يقيموا،  
 بدارهم ولم يسمعوا فيها، الذين كذبوا  
 شعيبًا كانوا هم الخاسرين: لأنهم

خسروا أنفسهم وما ملكوا، ولم يكن المؤمنون من قومه هم الخاسرين كما ادعى هؤلاء الكافرون المكذبون.  
 ﴿٩٣﴾ وأعرض عنهم نبيهم شعيب ﴿٩٤﴾ لما هلكوا، وقال مخاطبًا إياهم: يا قوم، لقد أبلغتكم ما أمرني ربي بإبلاغه إليكم، ونصحت  
 لكم فلم تقبلوا نصحي، ولم تنقادوا لإرشادي، فكيف أحزن على قوم كافرين بالله مصرين على كفرهم؟  
 ﴿٩٥﴾ وما أرسلنا في قرية من النقرى نبيا من أنبياء الله، فكذب أهلها وكفروا، إلا أخذناهم بالبؤس والفقر والمرض رجاء أن يتدلوا  
 لله فيتركوا ما هم عليه من الكفر والاستكبار. وهذا تحذير لقريش ولكل من كفر وكذب بذكر الله في الأمم المكذبة.  
 ﴿٩٦﴾ ثم بدلناهم بعد الأخذ بالبؤس والمرض خيرا وسعة وأمانا حتى كثرت أعدادهم، ونمت أموالهم، وقالوا ما أصابنا من الشر  
 والخير هو عادة مُطَّردة أصابت أسلافنا من قبل. ولم يدركوا أن ما أصابهم من بقم يُراد به الاعتياز، وما أصابهم من نعم يُراد به  
 الاستدراج. فأخذناهم بالعذاب فجأة وهم لا يشعرون بالعذاب ولا يتقربونه.

﴿٩٧﴾ من قولي الآيات،

- من مظاهر إكرام الله لعباده الصالحين أنه فتح لهم أبواب العلم ببيان الحق من الباطل، وبنجاة المؤمنين، وعقاب الكافرين.
- من سنة الله في عباده الإمهال، لكي يتعطوا بالأحداث، ويُقلعوا عما هم عليه من معاص وموبقات.
- الانتلاء بالشدة قد يصبر عليه الكثيرون، ويحتمل مشقاته الكثيرون، أما الابتلاء بالرخاء فالدين يصبرون عليه قليلون.

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقُوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ  
 مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَهُم بِمَا كَانُوا  
 يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا  
 بَيِّنَاتٍ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوْ آمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم  
 بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ  
 فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ  
 لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ شَاءَ  
 أَصْبَنَّا هُمْ بَذُوبُهُمْ وَتَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ  
 ﴿١٠٠﴾ تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبِيَآئِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ  
 رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ  
 قَبْلُ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا  
 لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴿١٠٢﴾  
 ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ  
 فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾  
 وَقَالَ مُوسَىٰ يَفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾

﴿١٦٣﴾

﴿٩٦﴾ ولو أن أهل هذه القرى التي أرسلنا إليها رسلنا صدّقوا ما جاءتهم به رسلهم، واتقوا ربهم بترك الكفر والمعاصي وامتنال أوامره لمتعنا عليهم أسواق الخير من كل جهة. ولكنهم لم يصدقوا ولم يتقوا، بل كذبوا بما جاءتهم به رسلهم، فأخذناهم بالعذاب فجأة بسبب ما كانوا يكسبونه من الآثام والذنوب.

﴿٩٧﴾ أفأمن أهل هذه القرى المكذبة أن يأتيهم عدساً ليلاً وهم نائمون مستغرقون في راحتهم وهدوئهم؟ ﴿٩٨﴾ أوأمنوا أن يأتيهم عدسنا أول النهار، وهم لاهون عافلون لا يشغلهم بدنيهم؟

﴿٩٩﴾ انظروا إلى ما منحهم الله من الإمهال، وأنعم عليهم به من القوة وسعة الرزق استدراجاً لهم؛ أفأمن هؤلاء المكذبون من أهل تلك القرى مكر الله وتدييره الخفي؟ فلا يأمن مكر الله إلا القوم الهالكون، وأما الموفقون فإنهم يخافون مكره، فلا يفترون بما أنعم به عليهم، وإنما يرون مثله عليهم، فيشكروه.

﴿١٠٠﴾ أولم يتبين للذين يستحلون في الأرض بعد إهلاك أسلافهم من الأمم بسبب دنوبهم، ثم لم يعتبروا بما حل بهم، بل عملوا أعمالهم، ألم يتبين هؤلاء أن الله لو شاء إصابتهم بذنوبهم لأصابهم بها كما هي سننهم؟ ويحتم على قلوبهم فلا تتعظ بموعظة، ولا تنفعها ذكرى.

﴿١٠١﴾ تلك القرى السابقة وهي قرى أقوام نوح وهود وصالح ولوط، وشعيب نطو عليك ونخبرك - أيها الرسول - من أخبارها وما كانت عليه من تكذيب

وعناد وما حل بها من هلاك؛ ليكون ذلك عبرة لمن يعتبر، وموعظة لمن يتعظ، ولقد جاءت أهل هذه القرى رسلهم بالبراهين الواضحة على صدقهم، فما كانوا ليؤمنوا عند مجيء الرسل بما سبق في علم الله أنهم يكذبون به، ومثل حتم الله على قلوب أهل هذه القرى المكذبين برسلهم يختم الله على قلوب الكافرين بمحمد ﷺ، فلا يهتدون للإيمان.

﴿١٠٢﴾ وما وجدنا لأكثر الأمم التي أرسل إليها الرسل من وفاء والتزام بما أوصاهم الله، ولم نجد لهم انقياداً لأوامره، وإنما وجدنا أكثرهم خارجين عن طاعة الله.

﴿١٠٣﴾ ثم أرسلنا بعد أولئك الرسل موسى ﷺ بحججنا وأدلتنا البينة الدالة على صدقه إلى فرعون وقومه، فما كان منهم إلا أن جحدوا تلك الآيات وكفروا بها، فتأمل أيها الرسول كيف كان عاقبة فرعون وقومه، فقد أهلكهم الله باللعنة في الدنيا والآخرة.

﴿١٠٤﴾ وقال موسى لما بعثه الله إلى فرعون وجاءه يا فرعون، إني مرسل من خالق الخلق أجمعين ومالكهم ومدير أمورهم.

● من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- الإيمان والعمل الصالح سبب لإفاضة الخيرات والبركات من السماء والأرض على الأمة.
- الصلة وثيقة بين سعة الرزق والتقوى، وإن أعم الله على الكافرين فإن هذا استدراج لهم ومكر بهم.
- على العبد ألا يأمن من عذاب الله المفاجئ الذي قد يأتي في أية ساعة من ليل أو نهار.
- يقص القرآن أخبار الأمم السابقة من أجل تثبيت المؤمنين وتحذير الكافرين.

حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ  
مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٧٥﴾ قَالَ إِنْ كُنْتَ  
جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٧٦﴾ قَالَ لَقِيَ  
عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٧٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ  
لِّلنَّظِيرِينَ ﴿١٧٨﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا السَّحَرُ  
عَلَيْهِمْ ﴿١٧٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ  
﴿١٨٠﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿١٨١﴾ يَا تَوَكُّ  
بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلَيْهِمْ ﴿١٨٢﴾ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ  
لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿١٨٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ  
لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوا يَمُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقَىٰ وَإِمَّا أَن  
تَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴿١٨٥﴾ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا  
أَعْيُنَ النَّاسِ وَأَسْرَبُوهُمْ وَجَاءَ وَبِسَحَرٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٦﴾  
\* وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَن أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ  
﴿١٨٧﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فغُلِبُوا  
هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَغِيرِينَ ﴿١٨٩﴾ وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجْدِينَ ﴿١٩٠﴾

١٦٤

﴿١٧٥﴾ قال موسى: ولما كنتُ مرسلًا  
منهُ فأنا جديرٌ بالأقول عليه إلا الحق،  
قد جئتكم بحجة واضحة تدل على  
صديقي وأني مرسل من ربي إليكم،  
فأطلق معي بني إسرائيل مما كانوا فيه  
من الأسر والقهر.

﴿١٧٦﴾ قال فرعون لموسى: إن كنت  
آيت باية كما تزعم فأت بها إن كنت  
صادقًا في دعواك.

﴿١٧٧﴾ فرمى موسى عصاه فتحولت  
حية عظيمة ظاهرة لمن يشاهدها،  
وأحرج يده وأظهرها من فتحة  
قميصه من عند صدره أو من تحت  
إبطه فخرجت بيضاء من غير برص،  
تتألا للناظرين لشدة بياضها.

﴿١٧٨﴾ وقال الكبراء والرؤساء لما  
شاهدوا انقلاب عصا موسى حية  
وصيرورة يده بيضاء من غير برص:  
ليس موسى إلا ساحرًا قوي العلم  
بالسحر.

﴿١٧٩﴾ يقصد بما يقوم به أن يخرجكم  
من أرضكم هذه، وهي مصر، ثم  
استشارهم فرعون بشأن موسى  
قائلًا لهم: ماذا تشيرون به علي من  
الرأي؟

﴿١٨٠﴾ قالوا لفرعون: أخّر موسى  
وأخاه هارون، وانتبّه في مدائن مصر  
من يجمع السحرة فيها.

﴿١٨١﴾ يأتك هؤلاء الدين أرسلتهم  
لجمع السحرة من المدائن بكل ساحر  
ماهر بالسحر قوي في صناعته.

﴿١٨٢﴾ فبعث فرعون من يجمع السحرة،  
فلما جاء السحرة فرعون سألوهم: هل  
لهم مكافأة إن غلبوا موسى بسحرم  
وانتصروا عليه؟

﴿١٨٣﴾ فأجابهم فرعون بقوله: نعم،

إن لكم مكافأة وأجرًا، وستكونون من القريبين بالمناصب.

﴿١٨٤﴾ قال السحرة وانتقبن بنصرهم على موسى باستعلاء وتكبر: اختر يا موسى ما شئت من ابتدائك بإلقاء ما تريد إلقاءه أو  
ابتدائنا بذلك.

﴿١٨٥﴾ فأجابهم موسى واثقًا بنصر ربه له غير مهال بهم ارموا حبالكم وعصيتكم، فلما ألقوها سحروا أعين الناس بصرفها عن  
صحة إدراكها، وأرعبوهم، وجاؤوا بسحر قوي في أعين الناظرين.

﴿١٨٦﴾ وأوحى الله إلى نبيه وكليمه موسى: أن ارم يا موسى عصاك، فرماها، فانقلبَت العصا حية تبتلع حبالهم وعصيتهم  
التي كانوا يستعملونها في قلب الحقائق، وإيهام الناس أنها حيات تسعى. ﴿١٨٧﴾ فظهر الحق وتبين صدق ما جاء به موسى، وتبين  
بطلان ما صنعه السحرة من السحر ﴿١٨٨﴾ فغلبوا وهزموا، وانتصر موسى عليهم في ذلك المشهد، ورجعوا أدلاء مهورين. ﴿١٨٩﴾ فما  
كان من السحرة حين شاهدوا عظيم قدرة الله، ورأوا الآيات البينات، إلا أن خرّوا سجدًا له ﴿١٩٠﴾

• من قولي الآيات.

• من حكمه الله ورحمته أن جعل آية كل نبي مما يدركه قومه، وقد تكون من جنس ما برعوا فيه. • أن فرعون كان عبدًا ذليلًا  
مهينًا عاجزًا، وإلا لما احتاج إلى الاستعانة بالسحرة في دفع موسى. • يدل على ضعف السحرة - مع اتصالهم بالشياطين التي  
تلبس مطالبهم طلبهم الأجر والجاه عند فرعون.



﴿١٦٥﴾ قَالَ السَّحَرَةُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ.

﴿١٦٦﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ؑ هُوَ الْمُسْتَقَرُّ لِلْعِبَادَةِ دُونَ غَيْرِهِ مِنَ الْأَلِهَةِ الْمَزْعُومَةِ.

﴿١٦٧﴾ قَالَ لَهُمْ فِرْعَوْنُ مَتَّوْعِدًا إِيَّاهُمْ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ بِاللَّهِ وَحْدَهُ: صَدَقْتُمْ بِمُوسَى قَبْلَ أَنْ أَدْنِيَ لَكُمْ؟ إِنْ إِيْمَانُكُمْ بِهِ وَتَصْدِيقُكُمْ لِمَا حَادَّ بِهِ مُوسَى لَخَدْعَةٍ وَمَكِيدَةٍ دَبَّرَ تَمْوِهَا أَنْتُمْ وَمُوسَى لِإِحْرَاجِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مِنْهَا، فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ. إِنِّي السَّحَرَةُ مَا يَحِلُّ بِكُمْ مِنْ عِقَابٍ وَمَا يَصِيبُكُمْ مِنْ نَكَالٍ.

﴿١٦٨﴾ لَأَقْطَعَنَّ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ يَدَهُ الِئْمَنَى وَرِجْلَهُ الْيَسْرَى أَوْ يَدَهُ الْيَسْرَى وَرِجْلَهُ الْيَمَنَى، ثُمَّ لَأُعَلِّقَنَّكُمْ جَمِيعًا عَلَى جَذَعٍ أَلْخَلَّ تَكْيِيلًا بِكُمْ وَتَرْهِيْبًا لِكُلِّ مَنْ يَشَاهِدُكُمْ عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ.

﴿١٦٩﴾ قَالَ السَّحَرَةُ رَدًّا عَلَى وَعْدِ فِرْعَوْنَ: إِنَّا إِلَى رَبِّنَا وَحْدَهُ رَاجِعُونَ، فَلَا بِيَالِي بِمَا تَتَّوَعَّدُ بِهِ.

﴿١٧٠﴾ وَلَسْتُ تَنْكُرُ مِنَّا وَتُحَدِّثُ عَلَيْنَا يَا فِرْعَوْنُ إِلَّا تَصْدِيقَنَا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْهَا عَلَى يَدِ مُوسَى، فَإِنْ كَانَ هَذَا ذَنْبًا يُفَاتُّ بِهِ فَهُوَ ذَنْبُنَا، ثُمَّ تَوَجَّهُوا إِلَى اللَّهِ بِالْعَدَاءِ قَاتِلِينَ فِي تَضَرُّعٍ: يَا رَبَّنَا، صَبِّ عَلَيْنَا الصَّبْرَ حَتَّى يَغْفِرَ لَنَا لِنُثَبِّتَ عَلَى الْحَقِّ، وَأَمْنُنَا مُسْلِمِينَ لَكَ، مُتَقَادِينَ لِأَمْرِكَ، مُتَبِعِينَ لِرَسُولِكَ.

﴿١٧١﴾ وَقَالَ السَّادَةُ وَالْكِبْرَاءُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ لِفِرْعَوْنَ، مُحَرِّضِينَ إِيَّاهُ عَلَى مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ: أَتَرَكُ - يَا فِرْعَوْنُ - مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيَنْشُرُوا الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ، وَلِيَتْرَكَ أَسْتَ وَالْهَتَكَ، وَيَدْعُوا إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ؟ قَالَ فِرْعَوْنُ: سَنَقْتُلُ أَبْنَاءَ بَنِي إِسْرَائِيلَ الذَّكَوْرَ، وَنَسْتَبْقِي نِسَاءَهُمْ لِلخَدْمَةِ،

وَأَنَا مُسْتَعْلُونَ عَلَيْهِمْ بِالْقَهْرِ وَالْقَبْلِ وَالسُّلْطَانِ.

﴿١٧٢﴾ قَالَ مُوسَى مُوَصِّيًا قَوْمَهُ: يَا قَوْمُ، اطْلُبُوا الْعَوْنَ مِنَ اللَّهِ وَحْدِهِ فِي دَفْعِ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَحُلِّبِ النَّفْعَ إِلَيْكُمْ، وَاصْبِرُوا عَلَى مَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنَ الْإِتْلَاءِ، فَإِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَلَسْتُ لِفِرْعَوْنَ وَلَا غَيْرِهِ حَتَّى يَتَحَكَّمَ فِيهَا، وَاللَّهُ يَدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ حَسَبَ مَشِيئَتِهِ، وَلَكِنَّ الْعَاقِبَةَ الْحَسَنَةَ فِي الْأَرْضِ لِلْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَمْتَلِكُونَ أَوَامِرَ رَبِّهِمْ وَيَحْتَبِيتُونَ نَوَاحِيَهُ، فَهِيَ لَهُمْ وَإِنْ أَصَابَهُمْ مَا أَصَابَهُمْ مِنْ مَحَنٍ وَابْتِلَاءَاتٍ.

﴿١٧٣﴾ قَالَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى ؑ: يَا مُوسَى أَتَلْبِنَا عَلَى يَدِ فِرْعَوْنَ نَقْتُلُ أَنْثَانَا وَاسْتِبْقَاءَ نِسَائِنَا مِنْ قَبْلِ مَحِيْثِكَ إِلَيْنَا وَمِنْ بَعْدِهِ، قَالَ لَهُمْ مُوسَى ؑ: نَاصِخًا لَهُمْ، وَمُبَشِّرًا بِالْفَرْحِ: لَعَلَّ رِبْكَمَ يَهْلِكُ عَدُوْكُمْ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ، وَيُمْكِّنُ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ، فَهِنَظَرُ مَا تَعْمَلُونَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ شُكْرِ أَوْ كُفْرِ.

﴿١٧٤﴾ وَلَقَدْ عَاقَبْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالْحَبَدِّ وَالْقَحْطِ، وَاحْتَبَرْنَا هَامَ بِنَقْصِ ثَمَارِ الْأَرْضِ وَغَلَّاتِهَا: رَجَاءً أَنْ يَتَذَكَّرُوا وَيَتَعَطَّوْا بِأَنْ مَا جَاءَهُمْ مِنْ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ عِقَابٌ لَهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ، فَهَيَّيْوْا إِلَى اللَّهِ.

﴿١٧٥﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْكِتَابِ.

● موقف السحرة وإعلان إيمانهم بجرأة وصراحة يدل على أن الإنسان إذا تحرّج عن هواه، وأدعج للعقل والفكر السليم يبادر إلى الإيمان عند ظهور الأدلة عليه. ● أهل الإيمان بالله واليوم الآخر هم أشد الناس حزمًا، وأكثرهم شجاعة وصبرًا في أوقات الأزمات والمحن والحروب. ● المنتفعون من السلطة يُعرضون ويُهيئون السلطان لمواجة أهل الإيمان، لأن في بقاء السلطان بقاء لمصالحهم. ● من أسباب حيس الأمطار وغلاء الأسعار: الظلم والفساد.

﴿١٣١﴾ فإذا جاء آل فرعون الخصب  
وصلاح الثمار ورحص الأسعار  
قالوا أعطينا هذه لاستحقاقنا لها  
واختصاصنا بها، وإن ينلهم أو تصبهم  
مصيبه من جذب وقطع وكثرة  
أمراض وغيرها من الرزايا يشاءوا  
بموسى ومن معه من بني إسرائيل،  
والحق أن ما يصيبهم من ذلك كله  
إنما هو بتقدير من الله سبحانه،  
وليس لهم ولا لموسى شأن فيه إلا  
ما كان من دعاء موسى عليهم، ولكن  
أكثرهم لا يعلمون، فيسبونه إلى غير  
الله.

﴿١٣٢﴾ وقال قوم فرعون لموسى  
عناذا للحق: أي آية ودلالة جئتنا بها،  
وأي حجة أقمتها على بطلان ما عندنا  
لتصرفنا عنه، وعلى صدق ما جئت  
به، فلن تصدق بك

﴿١٣٣﴾ فأرسلنا عليهم الماء الكثير  
عقابا لهم على تكذيبهم وعنادهم،  
فأغرق زروعهم وثمارهم، وأرسلنا  
عليهم الجراد فأكل محاصيلهم،  
وأرسلنا عليهم دويبة تسمى القمل  
تصيب الزرع أو تؤذي الإنسان في  
شعره، وأرسلنا عليهم الضفادع  
فملأت أوعيتهم، وأضدت أطعمتهم،  
وأزقت مضاحهم، وأرسلنا عليهم  
الدم فتحولت مياه أبارهم وأنهارهم  
دما، أرسلنا كل ذلك آيات مبينات  
مفرقات يتبع بعضها بعضا، ومع كل  
ما أصابهم من العقوبات استعلوا عن  
الإيمان بالله والتصديق بما جاء  
به موسى عليه السلام، وكانوا قوما يرتكبون  
المعاصي، ولا ينزعون عن باطل، ولا  
يهدنون إلى حق.

﴿١٣٤﴾ ولما أصابهم العذاب بهذه  
الأمور اتجهوا إلى موسى عليه السلام، فقالوا

له. يا موسى، ادع لنا ربك بما اختصك به من النبوة، وبما عهد إليك من رفع العذاب بالتوبة أن يرفع عنا ما أصابنا من العذاب،  
فإن رفعت عنا ذلك لنؤمنن بك، ولترسلن معك بني إسرائيل، ونطلقهم. ﴿١٣٥﴾ فلما رفعنا عنهم العذاب إلى مدة معلومة قبل إهلاكهم  
بالفرق إذا هم ينقصون ما أخذوه على أنفسهم من التصديق وإرسال بني إسرائيل، فاستمروا على كفرهم، وامتنعوا من إرسال بني  
إسرائيل مع موسى عليه السلام. ﴿١٣٦﴾ فلما حل الأجل المحدد لإهلاكهم أنزلنا عليهم قممنا بأغراقهم في البحر بسبب تكذيبهم بآيات الله  
وإعراضهم عما دلت عليه من الحق الذي لا مرية فيه. ﴿١٣٧﴾ وأورثنا بني إسرائيل الدين كان يستذلهم فرعون وقومه مشارق  
الأرض ومغاربها، والمقصود بذلك بلاد الشام، هذه البلاد التي بارك الله فيها بإخراج زروعها وثمارها على أكمل ما يكون، وتمت  
كلمة ربك أيها الرسول الحسنی وهي المذكورة في قوله تعالى ﴿وَرَبُّكَ الَّذِي عَلَّمَكَ مَا لَمْ يَكُنْ عَلَّيْكَ أَنْ تَعْلَمَ فِي الْأَرْضِ وَحَمَلَتْهُمُ امْهَاتُهُمْ وَجَعَلَهُمُ  
الْأَنْزِلَ﴾ (القصص: ٥)، فمكّن الله لهم في الأرض بسبب صبرهم على ما أصابهم من آذى فرعون وقومه، ودمرنا ما كان  
يصنع فرعون من المزارع والمساكن، وما كانوا يبنون من القصور.

من فواید آیات

● الحیر والشر والحسنات والسيئات كلها بقضاء الله وقدره، لا يخرج منها شيء عن ذلك. ● شأن الناس في وقت المحنة  
والمصائب اللحو، إلى الله بدافع نداء الإيمان الفطري. ● يحسن بالمؤمن تأمل آيات الله وسننه في الحلق، والتدبر في أسبابها  
ونتائجها. ● تتلاشى قوة الأفراد والدول أمام قوة الله العظمى، والإيمان بالله هو مصدر كل قوة. ● يكافئ الله تعالى عباده  
المؤمنين الصابرين بأن يمكنهم في الأرض بعد استضعافهم.

وَعَبَّرْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ لَمَّا ضَرَبَهُ مُوسَى بِعَصَاهُ فَانْفَلَقَ، فَهَمَزُوا عَلَى قَوْمٍ يَقِيمُونَ عَلَى عِبَادَةِ أَصْنَامٍ لَهُمْ يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَقَالَ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى ﷺ: يَا مُوسَى، اجْعَلْ لَنَا صَنَمًا نَعْبُدُهُ كَمَا لَهُؤُلَاءِ أَصْنَامُ يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ، قَالَ لَهُمْ مُوسَى: يَا قَوْمَ، إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ مَا يَجِبُ لِلَّهِ مِنْ تَعْظِيمٍ وَتَوْحِيدٍ، وَمَا لَا يَلِيْقُ بِهِ مِنْ شِرْكَ وَعِبَادَةِ لغيرِهِ.

١٣٨ إن هؤلاء المقيمين على عبادة أصنامهم مُهْلِكٌ مَا هُمْ فِيهِ مِنْ عِبَادَةِ غَيْرِهِ، وَبَاطِلٌ جَمِيعُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ مِنْ طَاعَةِ لِأَشْرَاقِهِمْ فِي الْعِبَادَةِ مَعَ اللَّهِ غَيْرِهِ.

١٣٩ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ: يَا قَوْمَ، كَيْفَ أَطْلُبُ لَكُمْ إِلَهًا غَيْرَ اللَّهِ تَعْبُدُونَهُ، وَقَدْ شَهِدْتُمْ مِنْ آيَاتِهِ الْعِظَامَ مَا شَهِدْتُمْ، وَهُوَ ﷻ فَضْلُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ فِي زَمَانِكُمْ بِمَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكُمْ مِنْ إِهْلَاكِ عَدُوِّكُمْ، وَاسْتِخْلَافِكُمْ فِي الْأَرْضِ، وَالتَّكْوِينِ لَكُمْ فِيهَا؟

١٤٠ وَادْكُرُوا يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ حِينَ أَنْجَيْنَاكُمْ بِإِنْقَادِكُمْ مِنْ اسْتِذْلَالِ فِرْعَوْنَ وَهَوْمِهِ لَكُمْ، إِذْ كَانُوا يَذْبُقُونَكُمْ أَنْوَاعَ الْهَوَانِ مِنْ تَقْتِيلِ أَبْنَائِكُمُ الذَّكُورَ، وَاسْتِبْقَاءِ نِسَائِكُمْ لِلْعُدْمَةِ، وَهِيَ إِنْقَادُكُمْ مِنْ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ اخْتِبَارَ عَظِيمٍ مِنْ رَيْكُم بِقِتْصَافِ مِنْكُمْ الشُّكْرِ.

١٤١ وَوَاعَدَ اللَّهُ رَسُولَهُ مُوسَى لِمُنَاحَاتِهِ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً، ثُمَّ أَكْمَلَهَا اللَّهُ بِزِيَادَةِ عَشْرِ، فَصَارَتْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ لِمَا أَرَادَ الذَّهَابَ لِمُنَاجَاةِ رَبِّهِ: يَا هَارُونَ، كُنْ خَلِيفَةً لِي فِي قَوْمِي، وَأَصْلَحْ أَمْرَهُمْ

بِحَسَنِ السِّيَاسَةِ وَالرَّفْقِ بِهِمْ، وَلَا تَسْلُكْ طَرِيقَ الْمُسْئِدِينَ بِإِرْتِكَابِ الْمَعَاصِي، وَلَا تَكُنْ مَعِينًا لِلْعَصَاةِ. وَحِينَ جَاءَ مُوسَى لِمُنَاحَاةِ رَبِّهِ فِي الْمَوْعِدِ الْمَحْدَدِ لَهُ، وَهُوَ تَمَامُ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ بِمَا كَلَّمَهُ بِهِ مِنَ الْأَوْامِرِ وَالنَّوَاهِي وَغَيْرِهَا، تَأَقَّتْ نَفْسُهُ إِلَى رُؤْيَا رَبِّهِ، فَسَأَلَهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَأَجَابَهُ اللَّهُ ﷻ: لَنْ تَرَانِي فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، لِعَدَمِ قُدْرَتِكَ عَلَى ذَلِكَ، لَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ إِذَا تَجَلَّى لَهُ فَإِنَّ يَمَانَهُ لَمْ يَتَأَثَّرْ فَسَوْفَ تَرَانِي، وَإِنْ صَارَ مُسْتَوِيًا بِالْأَرْضِ فَلَنْ تَرَانِي فِي الدُّنْيَا، فَلَمَّا تَجَلَّى اللَّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ مُسْتَوِيًا بِالْأَرْضِ، وَسَقَطَ مُوسَى مَقْشِيًا عَلَيْهِ، فَلَمَّا أَفَاقَ مِنَ الْغَشْيَةِ الَّتِي أَصَابَتْهُ قَالَ أَنْزَلْكَ يَا رَبُّ تَنْزِيلَهَا عَنْ كُلِّ مَا لَا يَلِيْقُ بِكَ، هَا أَنَا تَبَتُّ إِلَيْكَ مِمَّا سَأَلْتُكَ مِنْ رُؤْيَاكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ قَوْمِي.

● مِنْ قَوَائِمِ الْأَقْبَاتِ:

- تَوْكُّدُ الْأَحْدَاثِ أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانُوا يَنْتَقِلُونَ مِنْ ضَلَالَةٍ إِلَى أُخْرَى عَلَى الرَّغْمِ مِنْ وَجُودِ نَبِيِّ اللَّهِ مُوسَى بَيْنَهُمْ.
- مِنْ مَظَاهِيرِ خِذْلَانِ الْأُمَّةِ أَنَّ تَحَسُّنَ الْقَبِيحِ، وَتَقَبُّحَ الْحَسَنِ بِمَجْرَدِ الرَّأْيِ وَالْأَهْوَاءِ.
- إِصْلَاحُ الْأُمَّةِ وَإِغْلَاقُ أَبْوَابِ الْفُسَادِ هَدَفٌ سَامٍ لِلْأَنْبِيَاءِ وَالِدُّعَاةِ.
- قَضَى اللَّهُ تَعَالَى أَلَّا يَرَاهُ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ فِي الدُّنْيَا، وَسَوْفَ يَكْرُمُ مِنْ يَجِبُ مِنْ عِبَادَةِ بَرُؤِيَّتِهِ فِي الْآخِرَةِ.

وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَمُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ۝١٣٨ إِنَّ هَؤُلَاءِ مُمْتَرُونَ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝١٣٩ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ۝١٤٠ وَإِذْ أَنْجَيْنَاكَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتِيلُونَ أَبْنَاءَ كُفٍّ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَ كُفٍّ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ۝١٤١ وَوَعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَّمْنَاهَا بِعَشْرِ فَتَرْمِيكَ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلِفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ۝١٤٢ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ۝١٤٣



﴿١٤٠﴾ قال الله لموسى: يا موسى، إني اخترتك وفضلتك على الناس برسالاتي حين أرسلتك إليهم، وفضلتك بكلامي لك دون واسطة، فخذ ما أعطيتك من هذا الشرف الكريم، وكن من الشاكرين لله على هذا العطاء العظيم.

﴿١٤١﴾ وكتبنا لموسى في ألواح من حشب أو غيره من كل ما يحتاجه بنو إسرائيل من أمور دينهم ودنياهم موعظة لمن يتعظ منهم، وتقصيلاً للأحكام التي يحتاج إلى تقصيها، فخذ هذه التوراة - يا موسى - بعد واحتهاد، وأمر قومك بنى إسرائيل أن يأخذوا بأحسن ما فيها مما أجره أعظم كفعل المأمور به على أكمل وجه، وكالصبر والعفو، ساريكم عاقبة من حالف أمري، وحرر عن طاعتي، وما يصير إليه من الهلاك والدمار. ﴿١٤٢﴾ سأصرف عن الاعتبار بأياتي في الآفاق والأنفس، وعن فهم آيات كتابي: الدين يستعملون على عباد الله وعلى الحق بغير حق، وإن يروا كل آية لا يصدقوها؛ لا اعتراضهم عليها وإعراضهم عنها، ولما خذتهم الله ورسوله، وإن يروا طريق الحق الموصول إلى مرضاة الله لا يسلكوه، ولا يرغبوا فيه، وإن يروا طريق الموائمة والضلال الموصول إلى سخط الله يسلكوه، ذلك الذي أصابهم إنما أصابهم لتكذيبهم بآيات الله العظيمة الدالة على صدق ما جاء به الرسل، ولعملتهم عن النظر فيها.

﴿١٤٣﴾ والذين كذبوا بآياتنا الدالة على صدق رسلنا، وكذبوا بقاء الله يوم القيامة، بطلت أعمالهم التي هي

قَالَ يَمْوَسَىٰ إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمَتِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٠﴾ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤١﴾ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلاًَّ آيَةٍ لَا يَأْمُرُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٢﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٣﴾ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِن حُلِيِّهِمْ عِجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلْمِيزُوا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤٤﴾ وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٤٥﴾

١٦٨

من حسن الطاعات، فلا يُثابون عليها فقد شرطها الذي هو الإيمان، ولا يجزون يوم القيامة إلا ما كانوا يعملونه من الكفر بالله والشرك به، وجزاء ذلك الخلود في النار.

﴿١٤٦﴾ ووضع قوم موسى من بعد ذهابه لمناجاة ربه من حُلِيِّهم تمثال عجل لا روح فيه وله صوت، ألم يعلموا أن هذا العجل لا يكلمهم، ولا يرشدهم إلى طريق حير حسي أو معنوي، ولا يجلب لهم نفعاً أو يكشف عنهم ضرراً؟ اتخذوه معبوداً وكانوا ظالمين لأنفسهم بذلك. ﴿١٤٧﴾ ولما ندموا وتحننوا وعلموا أنهم قد ضلوا عن الصراط المستقيم باتحادهم العجل معبوداً مع الله تصرعوا إلى الله فقالوا لنن لم يرحمنا ربنا بالتوفيق لطاعته، ويغفر لنا ما أقدمنا عليه من عبادة العجل، لنكونن من الدين خسروا دنياهم وآخرتهم.

من فوائد الآيات:

- على العبد أن يكون من المطهرين لإحسان الله وفضله عليه، فإن الشكر مقرون بالمزيد.
- على العبد الأخذ بالأحسن في الأقوال والأفعال.
- يجب تلقي الشريعة بحزم وجد وعزم على الطاعة وتنفيذ ما ورد فيها من الصلاح والإصلاح ومنع الفساد والإفساد.
- على العبد إذا أخطأ أو قصر في حق ربه أن يعترف بعظيم الجرم الذي أقدم عليه، وأنه لا ملجأ من الله في إقالته عثرته إلا إليه.

وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضَبَ عَلَيْهِمْ غَضَبًا وَجَدْنَا  
 لَهَا وَجَدَهُمْ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ الْعَجَلِ  
 قَالَ: بَشِّرِ الْعَالَةَ الَّتِي خَلَفْتُمُونِي  
 - يَا قَوْمَ - بِهَا بَعْدَ ذَهَابِي عَنْكُمْ؛ لَمَّا  
 تَوَدَّيَهُ مِنَ الْهَلَاكِ وَالشَّقَاءِ، أَمَلْتُمْ مِنْ  
 أَنْتَظَرِي، فَأَقْدَمْتُمْ عَلَى عِبَادَةِ الْعَجَلِ؟  
 وَرَمَى الْأُلُوحَ مِنْ شِدَّةِ مَا أَصَابَهُ مِنَ  
 الْغَضَبِ وَالْحُزَنِ، وَأَمْسَكَ بِرَأْسِ أَخِيهِ  
 هَارُونَ وَلِحْيَتِهِ يَسْحَبُهُ إِلَيْهِ لِقَائِهِ مَعَهُمْ  
 وَبَعْدَ تَغْيِيرِهِ لَمَّا رَاهُمْ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ  
 الْعَجَلِ، قَالَ هَارُونَ مُعْتَذِرًا إِلَى مُوسَى  
 مُسْتَغْفِرًا إِيَّاهُ: يَا ابْنَ أُمِّي، إِنْ الْقَوْمَ  
 حَسَبُونِي ضَعِيفًا فَاسْتَدْلُونِي، وَأَوْشَكُوا  
 أَنْ يَقْتُلُونِي، فَلَا تَغَافِلْنِي بِعُقُوبَةِ نَسْرِ  
 أَعْدَائِي، وَلَا تَصْرِبْنِي بِسَبَبِ غَضَبِكَ  
 عَلَيَّ فِي عِدَادِ الظَّالِمِينَ مِنَ الْقَوْمِ  
 بِسَبَبِ عِبَادَتِهِمْ غَيْرَ اللَّهِ.  
 ﴿١٥٤﴾ فَدَعَا مُوسَى رَبَّهُ: يَا رَبِّ اغْفِرْ  
 لِي، وَلِأَخِي هَارُونَ، وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ  
 وَاجْعَلْهَا تَحِيَّاتٍ بَيْنَنَا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَأَنْتَ  
 - يَا رَبَّنَا - أَرْحَمُ بِنَا مِنْ كُلِّ رَاحِمٍ.  
 ﴿١٥٥﴾ إِنْ الَّذِينَ ضَلُّوا الْعَجَلَ إِلَهًا  
 يَعْبدُونَهُ سَيَصِيبُهُمْ غَضَبٌ شَدِيدٌ  
 مِنْ رَبِّهِمْ، وَهُوَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ  
 لِإِغْصَابِهِمْ بِرَبِّهِمْ وَاسْتِهَانَتِهِمْ بِهِ، وَبِمَثَلِ  
 هَذَا الْجَزَاءِ نَجْزِي الْمُخْتَلِفِينَ الْكَذِبِ  
 عَلَى اللَّهِ.  
 ﴿١٥٦﴾ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ  
 الشُّرْكِ بِاللَّهِ، وَفَعَلُوا الْمَعَاصِيَ، ثُمَّ تَابُوا  
 إِلَى اللَّهِ بِأَنْ أَمَنُوا بِهِ، وَأَنْتَهُوَ عَمَّا كَانُوا  
 يَعْمَلُونَهُ مِنَ الْمَعَاصِي، إِنْ رِبَكَ أَيُّهَا  
 الرُّسُولُ مِنْ بَعْدِ هَذِهِ التَّوْبَةِ وَالرَّجُوعِ  
 مِنَ الشُّرْكِ إِلَى الْإِيمَانِ، وَمِنَ الْمَعَاصِي  
 إِلَى الطَّاعَةِ، لَغُفُورٌ لَهُمْ بِالْإِسْتِ  
 وَالتَّجَاوُزِ، رَحِيمٌ بِهِمْ.

﴿١٦٩﴾

﴿١٦٩﴾ وَلَمَّا سَكَنَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ وَهَدَأَ أَخَذَ الْأُلُوحَ الَّتِي رَمَاهَا بِسَبَبِ الْغَضَبِ، وَهَذِهِ الْأُلُوحُ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى الْهَدَايَةِ مِنَ  
 الصَّلَاةِ وَبَيَانِ الْحَقِّ، وَمُشْتَمِلَةٌ عَلَى الرَّحْمَةِ لِلَّذِينَ يَحْشُرُونَ رَبَّهُمْ، وَيُحَافُونَ عِقَابَهُ.

﴿١٧٠﴾ وَاصْطَلَفَى مُوسَى سَبْعِينَ رَجُلًا مِنْ حِيارِ قَوْمِهِ لِيُعْتَذِرُوا إِلَى رَبِّهِمْ مِمَّا فَعَلَهُ سَفَاهُهُمْ مِنْ عِبَادَةِ الْعَجَلِ، وَوَعَدَهُمُ اللَّهُ مِيقَاتًا  
 يَحْضُرُونَ فِيهِ، فَلَمَّا حَضَرُوا تَجَرَّؤُوا عَلَى اللَّهِ، وَطَلَبُوا مِنْ مُوسَى أَنْ يَرْبِّهَهُمُ اللَّهُ عَيَانًا، فَأَخَذْتَهُمُ الزَّلْزَلَةُ فَضَعَقُوا مِنْ هَوْلِهَا وَهَلَكُوا،  
 فَتَضَرَّعَ مُوسَى إِلَى رَبِّهِ، فَقَالَ يَا رَبِّ، لَوْ شِئْتَ أَهْلَاكَهُمْ وَأَهْلَاكِي مَعَهُمْ مِنْ قَبْلِ مُحِبَّتِهِمْ لِأَهْلِكْتَهُمْ، أَهْلَكْنَا بِسَبَبِ مَا فَعَلَهُ حَمَافُ الْعُقُولِ  
 مَنَاةٌ فَمَا قَامَ بِهِ قَوْمِي مِنْ عِبَادَةِ الْعَجَلِ مَا هُوَ إِلَّا ابْتِلَاءٌ وَاجْتِبَاءٌ تَضِلُّ بِهِ مِنْ تَشَاءٍ، وَتَهْدِي مِنْ تَشَاءٍ، أَنْتَ مُتَوَلِّي أَمْرِنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا،  
 وَارْحَمْنَا بِرَحْمَتِكَ الْوَاسِعَةِ، وَأَنْتَ خَيْرُ مَنْ غَمَرْنَا دُنْيَا، وَعَقَا عَنْ إِثْمِ.

﴿١٧١﴾ مِنْ قَوْلِهِ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ.

● فِي الْآيَاتِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْخَطَأَ فِي الْإِحْتِهَادِ مَعَ وَضُوحِ الْأَدْلَةِ لَا يَبْعُدُ فِيهِ صَاحِبُهُ عَنْدَ إِجْرَاءِ الْأَحْكَامِ عَلَيْهِ، وَهُوَ مَا يَسْمِيهِ الْفُقَهَاءُ  
 بِالتَّأْوِيلِ الْبَعِيدِ.

● مِنْ آدَابِ الدُّعَاءِ الْبَدءُ بِالنَّفْسِ، حَيْثُ بَدَأَ مُوسَى ﷺ دُعَاءَهُ فَطَلَبَ الْمَغْفِرَةَ لِنَفْسِهِ تَأْذِينًا مَعَ اللَّهِ فِيمَا ظَهَرَ عَلَيْهِ مِنَ الْغَضَبِ، ثُمَّ  
 طَلَبَ الْمَغْفِرَةَ لِأَخِيهِ فِيمَا عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدْ ظَهَرَ مِنْهُ مِنْ تَقْرِيطٍ أَوْ تَسَاهُلٍ فِي رَدِّ غَيْدَةِ الْعَجَلِ عَنْ ذَلِكَ.

● التَّحْذِيرُ مِنَ الْغَضَبِ وَسُلْطَتِهِ عَلَى عَقْلِ الشَّخْصِ، وَلِذَلِكَ نَسَبَ اللَّهُ لِلْغَضَبِ فِعْلَ السُّكُوتِ كَأَنَّهُ هُوَ الْأَمْرُ وَالنَّاهِي.

● ضَرُورَةُ التَّوْفِيقِ مِنَ غَضَبِ اللَّهِ، وَخَوْفِ بَطْشِهِ، فَانْظُرْ إِلَى مَقَامِ مُوسَى ﷺ عِنْدَ رَبِّهِ، وَانْظُرْ خَشْيَتَهُ مِنْ غَضَبِ رَبِّهِ.

وَأَكْتُبُ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ  
إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي  
وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ  
الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ  
الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ  
فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ  
عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ  
الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ  
عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا  
النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ءَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾  
قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي  
لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ  
فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ  
وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ وَمِنْ  
قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾

١٧٠

﴿١٥٦﴾ واجعلنا من الذين أكرمهم هذه الحياة بالنعم والعمارة ووقفناهم للعمل الصالح، وممن أعددت لهم الجنة من عبادك الصالحين في الآخرة، إنا تبنا إليك، ورجعنا مقررين بتقصيرنا، قال الله تعالى: عذابي أصيب به من أشاء ممن يعمل بأسباب الشقاء، ورحمتي شملت كل شيء في الدنيا؛ فلا مخلوق إلا وقد وصلت إليه رحمة الله، وغمره فضله وإحسانه، فسأكتب رحمتي في الآخرة للذين يتقون الله بامثال أوامره واجتناب نواهيه، والذين يعطون زكاة أموالهم مستحقها، والذين هم بآياتنا يؤمنون. ﴿١٥٧﴾ الذين يتبعون محمداً ﷺ، وهو النبي الأمي الذي لا يقرأ ولا يكتب، وإنما يوحى إليه ربه، وهو الذي يحدون اسمه ووصفه ونبوته مكتوباً في التوراة المنزلة على موسى ﷺ، والإنجيل المنزلة على عيسى ﷺ، يأمرهم بما عُرف حسنه وصلاحه، وينهاهم عما عُرف قبحه في العقول الصحيحة والفطر السليمة، ويبيح لهم المستلذات مما لا ضرر فيه من المطاعم والمشارب والمناجح، ويحرم عليهم المستخبثات منها، ويريل عنهم الكاليف الشاقة التي كانوا يكلفون بها، كحروب قتل القاتل سواء كان القتل عمداً أم خطأ، فالذين آمنوا به من بني إسرائيل ومن غيرهم، وعظموه ووقروه، ونصروه على من يعاديه من الكفار، واتبعوا القرآن الذي أنزل عليه كالنور الهادي؛ أولئك هم المفلحون الذين ينالون ما يطلبونه، ويَجْنِبُونَ ما يرهبونه.

﴿١٥٨﴾ قل - أيها الرسول -: يا أيها

الناس، إني رسول الله إليكم جميعاً، عربكم وعجمكم، الذي له وحده ملك السماوات، وله ملك الأرض، لا معبود بحق غيره سبحانه، يُخَيِّمُ الموتى، ويميت الأحياء، فأمنوا أيها الناس بالله، وآمنوا بمحمد ﷺ رسوله النبي الذي لا يقرأ ولا يكتب، وإنما جاء بوحى يوحى إليه ربه، الذي يؤمن بالله، ويؤمن بما أنزل إليه وما أنزل على النبيين من قبله دون تقريظ، واتبعوه فيما جاء به من ربه: رجاء أن تهتدوا إلى ما فيه مصلحتكم في الدنيا والآخرة.

ولما ذكر الله ما ذكر عن بني إسرائيل من عبادة العجل ذكر سبحانه أن منهم أمة مخالفة لما عليه الذين عبدوا العجل، فقال:

﴿١٥٩﴾ ومن قوم موسى من بني إسرائيل جماعة مستقيمة على الدين الصحيح، يدلون الناس عليه، ويحكمون بالعدل فلا يجورون.

من فوائد الآيات:

- تصممت التوراة والإنجيل أدلة ظاهرة على بعثة النبي محمد ﷺ وعلى صدقه.
- رحمة الله وسعت كل شيء، ولكن رحمة الله عبادة ذات مراتب متفاوتة، تتفاوت بحسب الإيمان والعمل الصالح.
- الدعاء قد يكون مخملاً وقد يكون مفصلاً حسب الأحوال، وموسى في هذا المقام أحمل في دعائه.
- من صور عدل الله ﷻ إنصافه للقلّة المؤمنة، حيث ذكر صفات بني إسرائيل المنافية للكمال المناقضة للهداية، فربما توهم متوهم أن هذا يعم جميعهم، فذكر تعالى أن منهم طائفة مستقيمة هادية مهدية.



وَقَطَّعْنَهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ  
 مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ  
 فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ  
 مَّسْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ  
 الْمَنَّاءَ وَالسَّلَوى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا  
 ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٦﴾  
 وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا  
 حَيْثُ شِئْتُمْ وَفُولُوا حِطَّةً وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا  
 نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦٧﴾  
 فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ  
 لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنْ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا  
 يَظْلِمُونَ ﴿١٦٨﴾ وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ  
 حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ  
 حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ  
 كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٩﴾

﴿١٦٦﴾ وقسمنا بني إسرائيل اثنتي عشرة قبيلة، وأوحينا إلى موسى حين طلب منه قومه أن يدعو الله أن يسقيهم: أن اضرب - يا موسى - بمصالك الحجر، فضربه موسى، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا بعدد قبائلهم الاثنتي عشرة، قد علمت كل قبيلة منهم مشربها الخاص بها، فلا تشترك معها فيه قبيلة أخرى، وظللنا عليهم السحاب يسير يسيرهم، ويتوقف بتوقفهم، وأنزلنا عليهم من نعمنا شربا حلوا مثل العسل وطائرا صغيرا طيب اللحم يشبه السماني، وقتلنا لهم. كلوا من طيبات ما رزقناكم. وما بقصوبا شيئا بما وقع منهم من الظلم وكفران النعم، وعدم تقديرها حق قدرها. ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بنقص حظوظها حين أوردوها موارد الهلاك بما ارتكبوه من مخالفة أمر الله والتكرار لنعمه.

﴿١٦٧﴾ واذكر - أيها الرسول - حين قال الله لبني إسرائيل: ادخلوا بيت المقدس، وكلوا من ثمار قريته من أي مكان منه وفي أي وقت شئتم، وقولوا: يا ربنا، حط عنا خطايانا، وادخلوا الباب راكعين خاضعين لربكم: فإن فعلتم ذلك تجاوزنا عن ذنوبكم، وسنزيد المحسنين من خيري الدنيا والآخرة.

﴿١٦٨﴾ فغير الظالمون منهم القول الذي أمروا به فقالوا: حية في شعرة، عوضا عما أمروا به من طلب المغفرة، وغيروا الفعل الذي أمروا به، فدخلوا يزحفون على أديارهم بدلا من الدخول خاضعين لله مقبلي رؤوسهم، فأرسلنا عليهم عدائنا من السماء بسبب ظلمهم.

﴿١٦٩﴾ واسأل أيها الرسول اليهود تذكيرا لهم بما عاقب الله به أسلافهم عن قصة القرية التي كانت تقرب البحر حين كانوا يتجاوزون حدود الله بالصيد يوم السبت بعد نهيهم عنه حين ابتلاهم الله بأن صارت الأسماك تأتيهم طاهرة على وجه البحر يوم السبت، وفي سائر الأيام لا تأتيهم، ابتلاهم الله بذلك بسبب خروجهم عن الطاعة وارتكابهم المعاصي، فاحتالوا لصيده بأن نصبوا شياكمهم، وحفروا حفرة لهم، فكانت الحيتان تقع فيها يوم السبت، فإذا كان يوم الأحد أخذوها وأكلوها.

من فو يد الآيات،

● الجحود والكفران سبب في الحرمان من النعم.

● من أسباب حلول العقاب وبزول العذاب التحايل على الشرع: لأنه ظلم وتجاوز لحدود الله.

﴿١٦٤﴾ واذكر - أيها الرسول - حين كانت جماعة منهم تتهاهم عن هذا المنكر، وتحذروهم منه، فقالت لها جماعة أخرى: لم تتصحبون جماعة الله هؤلاء في الدنيا بما ارتكبتهم من المعاصي، أو معديها يوم القيامة عذاباً شديداً؟ قال الناصحون: نصيحتنا لهم معذرة إلى الله بفعل ما أمرنا به من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى لا يؤاخذنا بترك ذلك، ولعلهم ينتفعون بالموعظة، فيعلمون عما هم فيه من المعصية. ﴿١٦٥﴾ فلما عرض العصاة عما ذكرهم به الواعظون، ولم يكفوا، أنجينا الذين نهوا عن المنكر من العذاب، وأخذنا الذين ظلموا باعتدائهم بالصيد يوم السبت عذاب شديداً بسبب خروجهم عن طاعة الله وإصرارهم على المعصية. ﴿١٦٦﴾ فلما تجاوزوا الحد في عصيان الله تكبراً وعناداً، ولم يتعظوا، قلنا لهم: أيها العصاة، كونوا قردة أذلاء؛ فكانوا كما أردنا، إنما أمرنا بشيء إذا أردناه أن نقول له: كن، فيكون. ﴿١٦٧﴾ واذكر - أيها الرسول - إذ أعلم الله إعلاماً صريحاً لا لبس فيه ليسلطن على اليهود من يذلهم ويهينهم في حياتهم الدنيا إلى يوم القيامة، إن ربك - أيها الرسول - لسريع العقاب لمن عصاه، حتى إنه قد يُعجل له العقوبة في الدنيا، وإنه لعفور لذنوب من تاب من عباده، رحيم بهم. ﴿١٦٨﴾ وفرقناهم في الأرض، وفرقناهم فيها طوائف، بعد أن كانوا مجتمعين، منهم الصالحون القائمون بحقوق الله وحقوق عباده، ومنهم المقتصدون، ومنهم المترفون على أنفسهم

وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا لَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا أَقَالُوا مَعَذرةً إِلَىٰ رَبِّكُمُ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيَسْعَثَ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْفَيْصَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْتَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمْ الصَّالِحِينَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلِئذْ يُؤْخَذُ عَلَيْهِمْ مِّيثَقُ الْكِتَابِ أَنَّ لَا يُقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالِدَارُ الْأُخْرَىٰ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَالَّذِينَ يُمْسِكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾

١٧٢

بالمعاصي، واختبرناهم باليسر والعسر رجاء أن يرجعوا عما هم فيه.

﴿١٦٤﴾ فضاء من بعد هؤلاء أهل سوء يحملونهم، أخذوا التوراة من أسلافهم، يقرؤونها ولا يعملون بما فيها، يأخذون متاع الدنيا الرديء رشوة لتحريمهم كتاب الله، والحكم بغير ما أنزل فيه، ويؤمنون أنفسهم بأن الله سيعفو لهم ذنوبهم، وإن يأتهم متاع دنيوي رهيد يأخذوه مرة بعد مرة، ألم يأخذ الله اليهود والمواثيق على هؤلاء ألا يقولوا على الله إلا الحق دون تحريف أو تبديل؟ ولم يكن تركهم للعمل بالكتاب عن جهل، بل كان على علم، فقد قرأوا ما فيه وعلّموه، فدينهم أشد، والدار الآخرة وما في الدار الآخرة من نعيم دائم خير من ذلك العناء الرائل للدين يتقون الله بامثال أوامر واجتناب نواهيه، أفلا يعقل هؤلاء الذين يأخذون هذا المتاع الزهيد أن ما أعد الله للمتقين في الآخرة خير وأبقى؟

﴿١٦٩﴾ والذين يتمسكون بالكتاب، ويعملون بما فيه، ويقومون الصلاة بالمحافظة على أوقاتها وشروطها وواجباتها وسننها، سيجاريهم الله على أعمالهم، فإله لا يضيع أجر من عمله صالح.

من قوله لَاتَاتِ

● إذا نزل عذاب الله على قوم بسبب ذنوبهم ينجم منه من كانوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فيهم. ● يجب الحذر من عذاب الله؛ فإنه قد يكون رهيباً في الدنيا، كما فعل سبحانه بطائفة من بني إسرائيل حين مسّحهم قردة بسبب تمردهم. ● كتب الله على بني إسرائيل الدلة والمسكنة، وتأذن بأن يبعث عليهم كل مدة من يذيقهم العذاب بسبب ظلمهم وانحرافهم. ● نعيم الدنيا مهما بدا أنه عظيم فإنه قليل تافه بجانب نعيم الآخرة الدائم. ● أفضل أعمال العبد بعد الإيمان إقامة الصلاة؛ لأنها عمود الأمر.

وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ  
خُذُوا مَاءَ آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾  
وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ  
عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ  
الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ  
آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا  
بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ  
يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَتِنَا فَانسَخَ  
مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا  
لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ  
كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثَ أَوْ تَتْرُكْهُ  
يَلْهَثَ ذَٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصْ  
الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ  
كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَن يَهْدِ اللَّهُ  
فَهُوَ الْمُهْتَدِىٰ وَمَن يُضِلِلْ فَلَا وَلِيَّكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٧٨﴾

﴿١٧١﴾ واذكر - يا محمد - إذ اقتلعنا الجبل فرفعناه فوق بني إسرائيل لما امتنعوا من قبول ما في التوراة، فصار الجبل كأنه سحابة تظل رؤسهم، وأيقنوا أنه ساقط عليهم، وقيل لهم: خذوا ما أعطيناكم بجد واجتهاد وعزيمة، وتذكروا ما فيه من الأحكام التي شرعها الله لكم ولا تسوه؛ رجاء أن تتقوا الله إذا قمتم بذلك.

﴿١٧٢﴾ واذكر - يا محمد - إذ أخرج ربك من أصلاب بني آدم ذرياتهم، وقرهم بإثبات ربوبيته بما أودعه في فطرمهم من الإقرار بأنه خالقهم وربهم قائلاً لهم: ألسنت بربكم؟ قالوا جميعاً: بلى أنت ربنا، قال: إنما امتحناكم وأخذنا عليكم الميثاق حتى لا تنكروا يوم القيامة حجة الله عليكم، وتقولوا: إنه لا علم لكم بذلك.

﴿١٧٣﴾ أو تحتجوا بأن آباءكم هم الذين نقضوا العهد فأشركوا بالله، وأنكم كنتم مقلدين لابائكم فيما وجدتموهم عليه من الشرك، فتقولوا: افتؤاخذنا يا ربنا بما فعله آباؤنا الذين أبطلوا أعمالهم بالشرك بالله فتعذبنا؟ فلا ذنب لنا؛ لجهلنا وتقليدنا لأبائنا.

﴿١٧٤﴾ وكما بينا الآيات في مصير الأمم المكذبة كذلك نبئنا هؤلاء؛ رجاء أن يرجعوا عما هم عليه من الشرك إلى توحيد الله وعبادته وحده؛ كما جاء في العهد الذي قطعوه لله على أنفسهم.

﴿١٧٥﴾ واقرأ - أيها الرسول - على بني إسرائيل خبر رجل منهم أعطيناه آياتنا ففلقها وهم الحق الذي دلت عليه، ولكنه لم يعمل بها، بل تركها وانخلع منها، فلققه الشيطان، وصار

قريباً له، فأصبح من الضالين الهالكين بعد أن كان من المهتدين الناجين.

﴿١٧٦﴾ ولو شئنا لنفقه بهذه الآيات لرفعناه بها بأن نوقفه للعمل بها فيرتفع في الدنيا والآخرة، ولكنه اختار ما يؤدي إلى حذلاته حين مال إلى شهوات الدنيا مؤثراً دباه على آخرته، واتبع ما نهواه نفسه من الباطل، فمثله في شدة الحرص على الدنيا كمثلي الكلب لا يزال لاهثاً في كل حال، إن كان أيضاً لاهث، وإن طرد لاهث، ذلك المثل المذكور مثل القوم الصالحين تنكديهم بآياتنا، فاقصص أيها الرسول القصص عليهم؛ رجاء أن يتفكروا فينزعوا عما هم فيه من التكذيب والصلال.

﴿١٧٧﴾ ليس أسوأ من القوم الذين كذبوا نححننا وبراھننا، ولم يصدقوا بها، وهم بذلك يظلمون أنفسهم بإيرادها موارد الهلاك. من يوفقه الله للهداية إلى صراطه المستقيم فهو المهتدي حقاً؛ ومن يبعده عن الصراط المستقيم، فأولئك هم الناقصون أنفسهم حظوظهم حقاً، الذين خسروا أنفسهم وأهلبيهم يوم القيامة، ألا ذلك هو الخسران المبين.

من هوان الآيات،

● المقصود من إنزال الكتب السماوية العمل بمقتضاها لا تلاوتها باللسان وترتيلها فقط، فإن ذلك نبيذ لها.  
● أن الله خلق في الإنسان من وقت تكوينه إدراك أدلة الوحدانية، فإذا كانت فطرته سليمة، ولم يدخل عليها ما يفسدها أدرك هذه الأدلة، وعمل بمقتضاها.

● هي الآيات عبرة للمؤقتين للعمل بآيات القرآن؛ ليعلموا فضل الله عليهم في توفيقهم للعمل بها؛ لتزكو نفوسهم.

● في الآيات تلقين للمسلمين للتوجه إلى الله تعالى بطلب الهداية منه والعصمة من مزالق الصلال.



﴿١٧٦﴾ ولقد أنشأنا لجهنم كثيرًا من الجن، وكثيرًا من الإنس؛ لعلنا بأنهم سيعملون بعمل أهلها، لهم قلوب لا يدركون بها ما يفهمهم ولا ما يضرهم، ولهم أعين لا يبصرون بها ولا يسمعون بها آيات الله هي الأنفُس والأهْاق فيعتبِرون بها، ولهم أذان لا يسمعون بها آيات الله فيتدبرون ما فيها، أولئك المتصفون بهذه الصفات مثل البهائم في فقد العقل، بل هم أكثر بعدًا في الضلال من البهائم، أولئك هم الغافلون عن الإيمان بالله واليوم الآخر.

﴿١٧٧﴾ ولله - سبحانه - الأسماء الحسنى التي تدل على جلاله وكماله، فتوسَّلوا بها إلى الله في طلب ما تريدون وأتقوا عليه بها، واتركوا الذين يميلون عن الحق في هذه الأسماء يجعلها لغير الله، أو نقيها عنه، أو تحريف معناها أو تشبيه غيره بها، ستجزي هؤلاء الذين يميلون بها عن الحق؛ العذاب المولم بما كانوا يعملون.

﴿١٧٨﴾ وممن خلَقنا جماعة يهتدون في أنفسهم بالحق، ويدعون إليه غيرهم فيهتدون، ويحكمون به بالعدل فلا يحورون.

﴿١٧٩﴾ والذين كذبوا بآياتنا، ولم يؤمنوا بها، بل جحدوها، سنفتح لهم أبواب الرزق لا إكرامًا لهم، بل لاستدراجهم حتى يتمادوا فيما هم عليه من الضلال، ثم يصيبهم عذابنا على حين غرة.

﴿١٨٠﴾ وأزجر عنهم العقوبة حتى يطنوا أنهم غير معاقبين، فيستمروا على تكذيبهم وكفرهم حتى يضاعف عليهم العذاب، إن كيدي قوي، فاطهر لهم الإحسان، وأريد بهم الغدالان.

﴿١٨١﴾ أولم يتفكر هؤلاء المكذبون بآيات الله وبرسوله، فيَعْمَلُوا عقولهم ليتضح لهم أن محمدًا ﷺ ليس بمجنون، إنما هو رسول من الله بعثه محذرًا من عذاب الله تحذيرًا بيِّنًا.

﴿١٨٢﴾ أولم ينظر هؤلاء نظر اعتبار إلى ملك الله في السماوات والأرض، وينظروا إلى ما خلق الله فيهما من حيوان ونبات وغيرهما، وينظروا في أحوالهم التي عسى أن تكون نهايتها قُرُنْتُ فيتوبوا قبل هوات الأوان، فإذا لم يؤمنوا بالقرآن وما فيه من وعد ووعد فبأي كتاب غيره يؤمنون؟ ﴿١٨٣﴾ من يخذله الله عن الهداية إلى الحق، ويضله الله عن الصراط المستقيم، فلا هادي له يهديه إليه، ويتركهم الله في صلالهم وكفرهم يتحيرون لا يهتدون إلى شيء. ﴿١٨٤﴾ يسألك هؤلاء المكذبون المُتَشَكِّون عن القيامة أي وقت تقع ويستقر العلم بها؟ قل - يا محمد - ليس علمها عندي ولا عند عيري، وإنما علمها عند الله وحده، لا يظهرها لوقتها المقدر لها إلا الله، خفي أمر ظهورها على أهل السماوات وأهل الأرض. لا تأتكم إلا فجأة، يسألونك عن الساعة كأنك حريص على العلم بها، وما علموا أنك لا تسأل عنها لكمال علمك بربك، قل لهم - يا محمد - إنما علم الساعة عند الله وحده، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ذلك.

• من قَوْلِ الْآيَاتِ •

• خلق الله للبشر آلات الإدراك والعلم - القلوب والأعين والأذان - لتحصيل المنافع ودفع المضار. • الدعاء بأسماء الله الحسنى سبب في إحالة الدعاء، فيُدْعَى في كل مطلوب بما يناسب ذلك المطلوب، مثل اللهم تب عليّ يا تواب. • التفكير في عظمة السماوات والأرض، والتوصل بهذا التفكير إلى أن الله تعالى هو المستحق للأنوذية دون غيره، لأنه المنعز بالصلح.

وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ  
بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا  
أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٦﴾ وَلِلَّهِ  
الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ  
سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧٧﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ  
وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٧٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم  
مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٧٩﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٠﴾ أَوَلَمْ  
يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِّنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨١﴾  
أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ  
مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ  
بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٢﴾ مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ  
فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٣﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا  
قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجِيبُهَا لَوْفُهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي  
السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا  
قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّا أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾

قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ  
 أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَا سَتَكُنَّ رُتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسْنِيَ السُّوءُ  
 إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ  
 مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا  
 تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا  
 اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنُكَونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٨٩﴾  
 فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَ لَهُمَا شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى  
 اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ  
 ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٩٢﴾  
 وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ  
 أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنْ الَّذِينَ نَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادُ  
 أَمْثَالِكُمْ فَأَدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ  
 صَادِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ  
 بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ  
 بِهَا قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنْظَرُونَ ﴿١٩٥﴾

١٧٥

﴿١٨٨﴾ قل يا محمد :- لا أستطيع جلب خير لنفسي، ولا كشف سوء عنها، إلا ما شاء الله، وإنما ذلك إلى الله، ولا أعلم إلا ما علمني الله. فلا أعلم الغيب، ولو كنت أعلم الغيب لفعلت الأسباب التي أعلم أنها تجلب لي المصالح، وتدفع عني المفاسد؛ ليعلمي بالأشياء قبل كونها وعلمي بما تؤول إليه، لست إلا رسولاً من عند الله، أخوف من عقابه الأليم، وأنشُر بثوابه الكريم قوماً يؤمنون بأنني رسول منه ﷺ، ويصدقون بما جئت به.

﴿١٨٩﴾ هو الذي أوجدكم أيها الرجال والنساء من نفس واحدة هي آدم ﷺ، وخلق من آدم ﷺ زوجته حواء، خلقها من ضلعه لبأس إليها. ويطمئن بها، فلما جامع زوج زوجته حملت حملاً خفيفاً لا تشعر به؛ لأنه كان في بدايته، واستمرت على حملها هذا تمضي في حوائجها لا تجد ثقلًا، فلما أثقلت به حين كبر في بطنها دعا الزوجان ربهما قائلين لئن أعطيتنا - يا ربنا - ولذا صالح الخلقة نائمًا لنكونن من الشاكرين لنعمك.

﴿١٩٠﴾ فلما استجاب الله دعاءهما، وأعطاهما ولداً صالحاً كما دعوا صبيراً لله شركاء فيما وهبهما فقبلاً ولدتهما لغيره، وسُمِّيَا عبد الحارث، فتعالى الله وتنزه عن كل شريك، فهو المنفرد بالربوبية والألوهية.

﴿١٩١﴾ يجعلون هذه الأصنام وغيرها شركاء لله في العبادة، وهم يعلمون أنها لا تخلق شيئاً فتستحق العبادة، بل هي مخلوقة، فكيف يجعلونها شركاء لله؟

﴿١٩٢﴾ ولا تقدر هذه المعبودات نصر عانديها، ولا تقدر نصر أنفسها، فكيف يعبدونها؟

﴿١٩٣﴾ وإن تدعوا أيها المشركون هذه الأصنام التي تتخذونها آلهة من دون الله إلى الهدى لا يجيبوكم إلى ما دعوتهموهم إليه ولا يتبعوكم، فسواء عندها دعائوكم لها وسكوتمكم عنها؛ لأنها مجرد جمادات؛ لا تعقل، ولا تسمع، ولا تتنطق.  
 ﴿١٩٤﴾ إن الذين تعبدونهم أيها المشركون من دون الله هم مخلوقون لله، مملوكون له، فهم أمثالكُم في ذلك مع أنكم أفضل حالاً، لأنكم أحياء تتنطقون وتمشون وتسمعون وتبصرون، وأصنامكم ليست كذلك، فادعوهم وليردوا عليكم الجواب إن كنتم صادقين فيما تدعونه لهم. ﴿١٩٥﴾ هؤلاء الأصنام الذين اتخذتموهم الهة: أرجل يمشون بها فيسعون في حوائجكم؟ أم لهم أيد يدعون بها عنكم بقوة؟ أم لهم أعين يبصرون بها ما غاب عنكم فيخبرونكم؟ أم لهم آذان يسمعون بها ما حفى عنكم فيوصلون علمه لكم؟ فإن كانت معطلة من ذلك كله فكيف تعبدونها رجاء جلب نفع أو دفع ضرر؟ قل أيها الرسول هؤلاء المشركين ادعوا من ساويتهموهم بالله، ثم احتالوا لضري، ولا تمهلوني.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ: • في الآيات بيان جهل من يقصد النبي ﷺ ويدعوه لحصول نفع أو دفع ضرر؛ لأن النفع إنما يحصل من قبل ما أرسل به من البشارة والندارة. • جعل الله ممثله من نوع الرجل زوجة؛ ليألفها ولا يحقر قربها ويأسس بها؛ للتحقق الحكمة الإلهية في التناسل. • لا يليق بالأفضل الأكمل الأشرف من المخلوقات وهو الإنسان أن يشتغل بعبادة الأحس والأردل من الحجارة والخشب وغيرها من الآلهة الباطلة.

﴿١٦٦﴾ إِنَّ وَلِيَیَ اللّٰهَ الَّذِیْ نَزَلَ الْكِتٰبَ وَهُوَ یَتَوَلّٰی الصّٰلِحِیْنَ  
وَالَّذِیْنَ تَدْعُوْنَ مِنْ دُوْنِهٖ لَا یَسْتَطِیْعُوْنَ نَصْرَکُمْ  
وَلَا اَنْفُسَهُمْ یَنْصُرُوْنَ ﴿١٦٧﴾ وَاِنْ تَدْعُوْهُمْ اِلَی الْهَدٰی لَا یَسْمَعُوْا  
وَتَرٰهُمْ یَنْظُرُوْنَ اِلَیْکَ وَهُمْ لَا یُبْصِرُوْنَ ﴿١٦٨﴾ خُذِ الْعَفْوَ  
وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِیْنَ ﴿١٦٩﴾ وَاَمَّا یَنْزَعْنٰکَ  
مِنَ الشَّیْطٰنِ نَزْعٌ فَاَسْتَعِذْ بِاللّٰهِ اِنَّهُ سَمِیْعٌ عَلِیْمٌ ﴿١٧٠﴾ اِنَّ  
الَّذِیْنَ اتَّقَوْا اِذَا مَسَّهُمْ طَیْفٌ مِّنَ الشَّیْطٰنِ تَذَكَّرُوْا  
فَاِذَا هُمْ مُبْصِرُوْنَ ﴿١٧١﴾ وَاِخْوَانُهُمْ یَمُدُّوْنَهُمْ فِی الْغَیِّ ثُمَّ  
لَا یُقْصِرُوْنَ ﴿١٧٢﴾ وَاِذَا لَمْ تَأْتِیْهِمْ بَیٰۤاتٌ اَوْ لَا اَجْتَبٰیۡتَهَا  
قُلْ اِنَّمَا اَتَّبِعُ مَا یُوحٰی اِلَیَّ مِنْ رَّبِّیْ هٰذَا بَصَآئِرٌ مِّنْ رَّبِّکُمْ  
وَهُدٰی وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ یُّؤْمِنُوْنَ ﴿١٧٣﴾ وَاِذَا قُرِئَ الْقُرْۤاٰنُ  
فَاَسْتَمِعُوْا لَهُ وَاَنْصِتُوْا لَعَلَّکُمْ تُرْحَمُوْنَ ﴿١٧٤﴾ وَاذْکُرْ رَبَّکَ  
فِی نَفْسِکَ تَضَرَّعًا وَخِیۡفَةً وَدُوْنَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ  
وَالْاَصَالِ وَلَا تَكُنْ مِّنَ الْغَافِلِیْنَ ﴿١٧٥﴾ اِنَّ الَّذِیْنَ عِنْدَ رَبِّکَ  
لَا یَسْتَكْبِرُوْنَ عَنْ عِبَادَتِهٖ وَیُسَبِّحُوْهُ وَاَلٰهَ یَسْجُدُوْنَ ﴿١٧٦﴾

﴿١٦٨﴾ وإن تدعوا - أيها المشركون  
أصنامكم التي تعبدونها من دون الله  
إلى الاستقامة لا يسمعون دعاءكم،  
وتراهم يقابلونك بأعين مصورة،  
وهي جماد لا تبصر، فقد كانوا  
يصنعون تماثيل على هيئة بني آدم  
أو الحيوانات. ولها أيد وأرجل وأعين.  
لكنها حامدة، لا حياة فيها ولا حركة.  
﴿١٦٩﴾ أقبل أيها الرسول من الناس  
ما سمعت به أنفسهم، وما سهل عليهم  
من الأعمال والأخلاق، ولا تكلفهم  
ما لا تسمح به طبائعهم، فإن ذلك  
ينفرهم، وأمر بكل قول جميل وفعل  
حسن، وأعرض عن الجاهليين، فلا  
تقابلهم بجهلهم، فمن أذاك فلا تؤذه،  
ومن حزنك فلا تحزنه. ﴿١٧٠﴾ وإذا  
أحسست أيها الرسول أن الشيطان  
أصابك يوسوسة أو تشييط عن فعل  
الخير فالتجئ إلى الله، واعتصم  
به، فإنه سميع لما تقوله، عليم  
بالتجائك، فسبحميك من الشيطان.  
﴿١٧١﴾ إن الذين اتقوا الله بامتثال أوامره  
واجتباب نواهيها إذا أصابتهم وسوسة  
من الشيطان فأذنبوا؛ تذكروا عظمة  
الله وعقابه للعصاة وثوابه للمطيعين،  
فتابوا من ذنوبهم، وأنابوا إلى ربهم،  
فإذا هم قد استقاموا على الحق،

وضغوا مما كانوا عليه، وانتهوا. ﴿١٧٢﴾ وإخوان الشياطين من الفجار والكفار لا يزال الشياطين يريدونهم في الصلال بذنوب بعد ذنب، ولا يمسكون، لا الشياطين عن الإغواء والإضلال، ولا الفجار من الإنس عن الانقياد وفعل الشر. ﴿١٧٣﴾ وإذا جئت أيها الرسول - بآية كذبوك وأعرضوا عنها، وإن لم تأتهم بآية قالوا: هذا اخترعت آية من عندك واحتفتها، قل لهم أيها الرسول: ليس لي أن أتى بآية من تلقاء نفسي، ولا أتبع إلا ما يوحى الله إلي. هذا القرآن الذي أقرؤه عليكم حجج وبراهين من الله خالقكم ومدير شؤونكم، وإرشاد ورحمة للمؤمنين من عباده، وأما غير المؤمنين فهم ضلال أشقياء. ﴿١٧٤﴾ وإذا قرئ القرآن فاستمعوا لقرآته، ولا تتكلموا، ولا تشعشعوا بغيره، رجاء أن يرحمكم الله. ﴿١٧٥﴾ وادكر أيها الرسول الله ربك متدلاً متواضعاً خائفاً، واجعل دعاءك وسطاً بين رفع الصوت وخصمه في أول النهار وآخره لفضل هذين الوقتين. ولا تكن من العاطلين عن ذكر الله تعالى. ﴿١٧٦﴾ إن الذين عند ربك أيها الرسول من الملائكة لا يترفعون عن عبادته سبحانه، بل ينقادون لها مدعنين لا يمترون، وهم يترهون الله بالليل والنهار عما لا يليق به، وله وحده يسجدون.

﴿١٧٦﴾ من قوايد الآيات: • الواجب على العاقل عبادة الله تعالى؛ لأنه هو الذي يحقق له منافع الدين بإتثال الكتاب المشتمل على العلوم العظيمة في الدين، ومنافع الدنيا بتولي الصالحين من عباده وحفظه لهم ونصرتهم إياهم، فلا تضرهم عداوة من عاداهم. • في الآيات بشارة للمسلمين المستقيمين على صراط نبيهم ﷺ بأن ينصرهم الله كما نصر نبيه وأوليائه. • في الآيات جماع الأخلاق، فعلى العبد أن يعفو عن ظلمه، ويعطي من حرمه، ويصل من قطعه. • على العبد إذا مسه سوء من الشيطان - فأذنب بفعل محرم، أو ترك واجب - أن يستغفر الله تعالى، ويستدرك ما فرط منه بالنوبة النصوح والحسنات الماحية



## سُورَةُ الْأَنْفَالِ

آيَاتُهَا  
٧٨رَتَبَهَا  
٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ  
وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ  
مُؤْمِنِينَ ۝ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ  
قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ  
يَتَوَكَّلُونَ ۝ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ  
يُنْفِقُونَ ۝ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ  
رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ  
مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَايَهُونَ ۝  
يَجِدُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ  
وَهُمْ يَنْظُرُونَ ۝ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا  
لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ  
اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَايِمَتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ۝  
لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ۝

١٧٧

● من مقاصد السورة:

الامتنان على المؤمنين بنصر  
الله لهم في بدر، وبيان سنن النصر  
والهزيمة.

● التفسير:

١ يسألك أصحابك - أيها الرسول -  
عن الغنائم، كيف قسمتها؟ وعلى من  
تكون القسمة؟ قل - أيها الرسول -  
مجيباً سؤالهم: الغنائم لله ورسوله،  
وحكمها لله ولرسوله في التصرف  
والتوزيع، فما عليكم إلا الانقياد  
والاستسلام، فاتقوا الله أيها  
المؤمنون بامتثال أوامره واجتنب  
نواهيه، وأصلحوا ما بينكم من التقاطع  
والتدابير بالتواد والتواصل وحسن  
الخلق والعفو، والزموا طاعة الله  
وطاعة رسوله إن كنتم مؤمنين حقاً؛  
لأن الإيمان يبعث على الطاعة والبعد  
عن المعصية. وكان هذا السؤال بعد  
وقعة بدر.

٢ إنما المؤمنون حقاً الذين إذا  
ذكر الله وجلت قلوبهم، فانسأقت  
قلوبهم وأيدانهم للطاعة، وإذا قرئت  
عليهم آيات الله تدبروها فازدادوا  
إيماناً إلى إيمانهم، وعلى ربهم وحده  
يعتمدون في جلب مصالحهم وذفع  
مفاسدهم.

٣ الذين يداومون على أداء الصلاة  
نصفتها التامة في أوقاتها، ومما  
رزقناهم يخرجون النفقات الواجبة  
والمستحبة.

٤ أولئك المتصفون بتلك الصفات  
هم المؤمنون حقاً؛ لجمعهم بين  
حصال الإيمان والإسلام الظاهرة.

وجراؤهم منازل عالية عند ربهم، ومغفرة لذنوبهم وورق كريم، وهو ما أعده الله لهم من النعيم.

٥ كما أن الله جل جلاله استرع منكم قسمة الغنائم بعد اختلافكم في قسمتها وتنازعكم فيها، وجعلها إليه وإلى رسوله جل جلاله، كذلك  
أمرك ربك - أيها الرسول - بالخروج من المدينة للقاء المشركين بوحى أنزله عليك، مع كراهة طائفة من المؤمنين لذلك.

٦ تجد ذلك - أيها الرسول - هذه الطائفة من المؤمنين في قتال المشركين بعدما اتضح لهم أنه واقع، كأنما يساقون إلى الموت  
وهم ينظرون إليه عياناً، وذلك لشدة كراهتهم للخروج للقتال؛ لأنهم لم يأخذوا له أميته، ولم يعدوا له عدته.

٧ واذكروا - أيها المؤمنون المجادلون - إذ يعدكم الله أنه سيكون لكم الظفر باحدى طائفتي المشركين، وهى إما العير وما  
تحمله من أموال فتأخذونه غنيمة، وإما النغير فتقاتلونهم وتبصرون عليهم، وتحبون أنتم أن تطفروا بالعير لسهولة الاستيلاء عليها  
ويُسْرُهُ دون قتال، ويريد الله أن يحق الحق بأمركم بالقتال؛ لتقتلوا صناديد المشركين، وتأسروا كثيراً منهم حتى تظهر قوة الإسلام.

٨ ليحق الله الحق بإظهار الإسلام وأهله، وذلك بما يظهره من الشواهد على صدقه، وليبطل سبحانه الباطل بما يظهر من  
البراهين على بطلانه، ولو كره المشركون ذلك، فالله مظهره.

● من فوائد الآيات:

● ينمى للعبد أن يتعاهد إيمانه ويتقيبه، لأن الإيمان يزيد وينقص، فيريد بفعل الطاعة ويتقصضها. ● الجدل محله وفائده  
عند اشتباه الحق والتباس الأمر، فأما إذا وضح وبان فليس إلا الانقياد والإذعان. ● أمر قسمة الغنائم متروك للرسول جل جلاله، والأحكام  
مرجعها إلى الله تعالى ورسوله لا إلى غيرهما. ● إرادة تحقيق النصر الإلهي للمؤمنين؛ لإحقاق الحق وإبطال الباطل.

إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ  
مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿١﴾ وَمَا جَعَلَ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ  
وَلِتُظْمِنَ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ  
عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسُ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنْزِلُ  
عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَ كُفْرًا بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ  
رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ  
﴿٣﴾ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ  
ءَامَنُوا سَأَلَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَضْرِبُوا  
فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿٤﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ  
شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ  
شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥﴾ ذَلِكَ كَفَرُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ  
عَذَابَ النَّارِ ﴿٦﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ  
كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ ﴿٧﴾ وَمَنْ يُولِهِمْ يُؤَمِّدِ  
دُبْرَهُ وَإِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ  
بِغَضَبِ مِنَ اللَّهِ وَمَا يُولِيهِ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٨﴾

١٧٨

الله ورسوله في ذلك فإن الله شديد العقاب له في الدنيا بالقتل والأسر، وفي الآخرة بالنار.

﴿١﴾ ذلكم العذاب المذكور لكم - أيها المخالفون لله ورسوله - هذوقه مُعْجَلًا لكم في الحياة الدنيا، وفي الآخرة لكم عذاب النار إن متم على كفركم وعنادكم.

﴿٢﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، إذا قابلتم المشركين في القتال متحاربين فلا تنهزموا عنهم، وتولوهم ظهوركم هاربين، ولكن أثبتوا في وجوههم، واصبروا على لقاءهم، فالله معكم بنصره وتأييده.

﴿٣﴾ ومن يولهم ظهره فأمرًا منهم غير منعطف لصالهم بأن يريهم الفرّ مكيدة منه، وهو يريد الكرّ عليهم، أو غير مُنْصِمٍ إلى جماعة من المسلمين حاضرة يستعجدها، فقد رجع بغضب من الله، واستحقه، ومقامه في الآخرة جهنم، وبئس المصير مصيره، وبئس المُنْقَلَب مُنْقَلَبُهُ.

• من فوائد الآيات:

- في الآيات اعتناء الله العظيم بحال عباده المؤمنين، وتيسير الأسباب التي بها ثبت إيمانهم، وثبتت أقدامهم، وزال عنهم المكروه والوساوس الشيطانية. • أن النصر بيد الله، ومن عنده سبحانه، وهو ليس بكثرة عُدَدٍ ولا عُدَدٍ مع أهمية هذا الإعداد.
- الفرار من الرحف من غير عذر من أكبر الكبائر. • في الآيات تعليم المؤمنين قواعد القتال الحربية، ومنها: طاعة الله والرسول، والثبات أمام الأعداء، والصبر عند اللقاء، وذكر الله كثيرًا.

﴿١﴾ واذكروا يوم بدر حين طلبتم الغوث من الله بالنصر على عدوكم، فاستجاب الله لكم بأنه ممدكم - أيها المؤمنون - ومعينكم بألف من الملائكة، متتابعين يتبع بعضهم بعضًا.

﴿٢﴾ وما جعل الله الإمداد بالملائكة إلا إشارة لكم أيها المؤمنون بأنه ناصركم على عدوكم، ولتسكن قلوبكم موقنة بالنصر، وليس النصر بكثرة العُدَد، وتوافر العُدَد، وإنما النصر من عند الله سبحانه، إن الله عزيز في ملكه، لا يغالبه أحد، حكيم في شرعه وقدره.

﴿٣﴾ اذكروا أيها المؤمنون إذ يلقي الله النعاس عليكم أمنا مما حصل لكم من الخوف من عدوكم، وينزل عليكم مطرًا من السماء؛ ليظهركم من الأحداث، وليرزقكم وساوس الشيطان، وليثبت به قلوبكم لتثبت أبدانكم عند اللقاء، وليثبت به الأقدام بتأييد الأرض الرملية حتى لا تسبخ فيها الأقدام.

﴿٤﴾ إذ يوحى ربك - أيها النبي - إلى الملائكة الذين أمد الله بهم المؤمنين في بدر: أسي معكم أيها الملائكة - بالنصر والتأييد، فمروا عرائك المؤمنين على قتال عدوهم، سألتني في قلوب الذين كفروا الحوف الشديد؛ فاضربوا أيها المؤمنون أعناق الكافرين ليموتوا، واضربوا مفاصلهم وأطرافهم، فهم ليعطلوا عن قتالكم.

﴿٥﴾ ذلك الواقع بالكمال من القتل وضرب الأطراف سببه أنهم حالقوا الله ورسوله، فلم يأتروا بما أمروا به، ولم ينتهوا عما نهوا عنه، ومن يخالف

يوم بدر المشركين بحولكم وقوتكم، ولكن الله أعانكم على ذلك، وما رميت أيها النبي المشركين حين رميتهم، ولكن الله هو الذي رماهم حين أوصل رميتك إليهم، وليختبر المؤمنين بما أعلم عليهم من إظهارهم على عدوهم مع ما هم فيه من قلة الغذاء والعُدَّة ليشكروهم، إن الله سميع لدعائكم وأقوالكم، عليم بأعمالكم، وبما فيه صلاحكم.

﴿١٨﴾ ذلك المذكور من قتل المشركين، ورميهم حتى انهزموا وولَّوا هاربين، والإنعام على المؤمنين بإظهارهم على عدوهم، هو من الله، والله مُضْعِفُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ الَّذِينَ يَكِيدُونَ لِلْإِسْلَامِ.

﴿١٩﴾ إن تطلبوا - أيها المشركون - أن يوقع الله عذابه وبأسه على الظالمين المعتدين فقد أوقع الله عليكم ما طلبتم، فأنزل بكم ما كان نكالاً لكم وعبرة للمتقين، وإن تكلموا عن طلب ذلك فهو حير لكم، فربما أهلكم ولم يعجل انتقامه منكم، وإن تعودوا إلى طلبه وإلى قتال المؤمنين تُعَذِّبُ بآيَاتِ الْعَذَابِ عَلَيْكُمْ وينصر المؤمنين. ولن تقني عنكم حمايتكم ولا أنصاركم ولو كانت كثيرة الغذاء والعُدَّة مع قلة المؤمنين، ولأن الله مع المؤمنين بالنصر والتأييد، ومن كان الله معه فلا غالب له.

﴿٢٠﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله واتبِعُوا رَسُولَهُ، أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا رَسُولَهُ بِامْتِثَالِ أَمْرِهِ واجْتِنَابِ نَهْيِهِ، وَلَا تَعْرِضُوا عَنْهُ بِمُخَالَفَةِ أَمْرِهِ وَإِتْيَانِ نَهْيِهِ، وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ آيَاتِ اللَّهِ تُقْرَأُ عَلَيْكُمْ. وَلَا تَكُونُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مِثْلَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمَشْرِكِينَ الَّذِينَ إِذَا كَلِمَتْ

فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ ﴿١٨﴾ إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنَّهُ وَاتُّمَّ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَهُ تَحْشُرُونَ ﴿٢٤﴾ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾

﴿١٧٩﴾

عليهم آيات الله قالوا: سمعنا بأذاننا ما يتلى علينا من القرآن، وهم لا يسمعون سماع تدبر واعتباط؛ فيمتنعون بما سمعوه ﴿٢١﴾ إن شر من يندب على وجه الأرض من الخلق عند الله هم الصُّمُّ الَّذِينَ لَا يَسْمَعُونَ الحق سماع قبول، البُكْمُ الَّذِينَ لَا يَنْطِقُونَ، فهم الذين لا يدركون عن الله أو أمره ولا نواهيهِ ﴿٢٢﴾ ولو علم الله أن في هؤلاء المشركين المكذبيين خيراً لَأَسْمَعَهُمْ سماعاً ينتفعون به، ويتعقلون عنده الحجة والبراهين، ولكنه علم أنه لا خير فيهم، ولو أنه سبحانه أسمعهم على سبيل العرص والنقدير لتولوا عن الإيمان عناداً، وهم معرضون. ﴿٢٣﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله واتبِعُوا رَسُولَهُ، استجيبوا لله ولرسوله بالانقياد لما أمركم به والاجتناب لما نهى عنه، إذا دعاكم لما فيه حياتكم من الحق، وأيقنوا أن الله قادر على كل شيء، فهو قادر أن يحول بينكم وبين الانقياد للحق إذا أردتموه بعد رهضكم له، فبادروا إليه، وأيقنوا أنكم إلى الله وحده تحشرون يوم القيامة، فيجازيكم على أعمالكم التي عملتموها في الدنيا. ﴿٢٤﴾ واحذروا أيها المؤمنون عذاباً لا ينال العاصي منكم وحده، بل يناله وينال غيره، وذلك حين يظهر الظلم فلا يُعْبَرُ، وأيقنوا أن الله قوي العقاب لمن عصاه؛ فاحذروا من معصيته.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ: • من كان الله معه فهو المنصور وإن كان ضعيفاً قليلاً عدده، وهذه المعية تكون بحسب ما قام به المؤمنون من أعمال الإيمان. • المؤمن مطالب بالأخذ بالأسباب المادية، والقيام بالتكليف الذي كلفه الله، ثم يتوكل على الله، ويفوض الأمر إليه، أما تحقيق النتائج والأهداف فهو متروك لله ﷻ. • في الآيات دليل على أن الله تعالى لا يمنع الإيمان والخير إلا عن لا خير فيه، وهو الذي لا يزكولديه هذا الإيمان ولا يثمر عنده. • على العبد أن يكثر من الدعاء: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، يا مُصْرِفَ الْقُلُوبِ اصرف قلبي إلى طاعتك. • أَمَرَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ لَا يَقْرَأُوا الْمُنْكَرَ بَيْنَ أَطْرَفِهِمْ فَيُفْتِنَهُمُ الْعَذَابُ.



﴿٦٦﴾ واذكروا - أيها المؤمنون - حين كنتم في مكة قليلي العدد، يستضعفكم أهلها، ويقهرونكم، تخافون أن يأخذكم أعداؤكم بسرعة، فضمكم الله إلى ماوى تأوون إليه وهو المدينة، وقواكم بالنصر على أعدائكم في مواطن الحرب التي منها بدر، ورزقكم من الطيبات، ومن جعلها العنائم التي أخذتموها من أعدائكم، لعلكم تشكرون لله نعمه، فيزيدكم منها، ولا تكفرونها فيسلبها منكم، ويعذبكم.

﴿٦٧﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، لا تخونوا الله والرسول بترك الامثال للأوامر وعدم اجتناب التواهي، ولا تخونوا ما اتفقتكم عليه من الدين وغيره، وانتم تعلمون أن ما قسم به حياة: فتكفروا من الحادثين. ولما كانت محبة الأموال والأولاد تدفع العبد إلى الخيانة أحبر الله أنهما فتنة، فقال:

﴿٦٨﴾ واعلموا أيها المؤمنون أن أموالكم وأولادكم إنما هي اسلاء من الله لكم واختبار، فقد تصدكم عن العمل للأخرة، وتحملكم على الخيانة. واعلموا أن الله عنده ثواب عظيم، فلا تقوؤوا عليكم هذا الثواب بمراعة أموالكم وأولادكم والخيانة من أجلهم. ﴿٦٩﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، اعلموا أنكم إن تتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه يجعل لكم ما تفرقون به بين الحق والباطل، فلا يلتبسان عليكم، ويمتخ عنكم ما اجترحتوه من السيئات، ويففر لكم ذنوبكم، والله ذو الفضل العظيم، ومن فضله العظيم جنته التي أعدها للمؤمنين من عباده.

﴿٧٠﴾ واذكر أيها الرسول حين ثمالاً عليك المشركون ليكيدوا لك بحبسك أو بقتلك أو نيلك من بلدك إلى بلد غيره، ويكيدوك ويرد الله كيدهم عليهم، ويمكر الله، والله

وَإِذْ كُورُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٧﴾ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فَتْنَةٌ وَأَنْتَ اللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٦٩﴾ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴿٧٠﴾ وَإِذْ اتَّكَيْتَ عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧٢﴾ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٧٣﴾

١٨٠

خير الماكرين.

﴿٧١﴾ وإذ أقرئت عليهم آياتنا قالوا عناداً للحق وترفعاً عليه: قد سمعنا مثل هذا من قبل، لو نشاء قول مثل هذا القرآن لقلنا، ما هذا القرآن الذي سمعناه إلا أكاذيب الأولين: فلن نؤمن به.

﴿٧٢﴾ واذكر أيها الرسول إذ قال المشركون اللهم إن كان ما جاء به محمد حقاً فأسقط علينا حجارة من السماء تهلكنا، أو آتينا بعذاب شديد. قالوا ذلك مبالغة في الجحود والإنكار.

﴿٧٣﴾ وما كان الله ليعذب أمتك - سواء من كان منهم من أمة الاستحابة أو من أمة الدعوة - بعذاب يستأصلهم وأنت يا محمد حي موجود بين ظهرانيهم، فوجودك بينهم أمان لهم من العذاب، وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون الله من ذنوبهم.

من قوله لايات

● الشكر نعمة عظيمة يزيد بها فضل الله تعالى، وينقص عند إغفالها.

● للأمانة شأن عظيم في إسقامة أحوال المسلمين، ما ثبتوا عليها وتخلقوا بها. وهي دليل برادة النفس واعتدال أعمالها.

● ما عند الله من الأجر على كف النفس عن المنهيات، خير من المنافع الحاصلة عن اقتحام المناهي لأجل الأموال والأولاد.

● في الآيات بيان سفة عقول المعرضين، لأنهم لم يقولوا: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه.

● في الآيات فضيلة الاستغفار وبركته، وأنه من موانع وقوع العذاب.

وَمَا لَهُمْ آلَا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَ ۚ إِنْ أَوْلِيَاءُؤُهُ إِلَّا الْأُمْتَقُونَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٢٥﴾ إِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا يُفْقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُفْقُونَهَا ثُمَّ يَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةٌ ثُمَّ يَغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٢٦﴾ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمُهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنتُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٨﴾ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنَّ آتَتْهُمُ آيَاتُ اللَّهِ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعَمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعَمَ النَّصِيرِ ﴿٣٠﴾

﴿٢٤﴾ وأي شيء يمنع من عذابهم وقد ارتكبوا ما يوجب عذابهم من منعهم الناس عن المسجد الحرام أن يطوفوا به أو يصلُّوا فيه؟ وما كان المشركون أولياء الله، فليس أولياء الله إلا المتقون الذين يتقونه بامتنال أوامره واجتناب نواهيه، ولكن أكثر المشركين لا يعلمون حين ادعوا أنهم أولياءه، وهم ليسوا بأوليائه.

﴿٢٥﴾ وما كان صلاة المشركين عند المسجد الحرام إلا ضجيراً وتضصفاً فذوقوا - أيها المشركون - العذاب بالقتل والأسر يوم يدر بسبب كفركم بالله، وتكذيبكم لرسوله.

﴿٢٦﴾ إن الذين كفروا بالله ينفقون أموالهم لمنع الناس عن دين الله، فسينفقونها ولن يتحقق لهم ما أرادوا، ثم تكون عاقبة إنفاقهم لأموالهم بدامة: لقواتها وفوات المقصود من إنفاقها، ثم يُغْلَبُونَ بانتصار المؤمنين عليهم، والذين كفروا بالله يُسَاقُونَ إلى جهنم يوم القيامة، فيدخلونها خالدين فيها مخلدين.

﴿٢٧﴾ يُسَاق هؤلاء الكفار الذين ينفقون أموالهم للصد عن سبيل الله إلى نار جهنم ليفصل الله فريق الكفار الخبيث عن فريق المؤمنين الطيب، وليجعل الخبيث من الأشخاص والأعمال والأموال بعضه فوق بعض متركناً مراكماً، فيجعله في نار جهنم، أولئك هم الخاسرون لأنهم خسروا أنفسهم وأهلبيهم يوم القيامة.

﴿٢٨﴾ قل أيها الرسول للذين كفروا بالله وبرسوله من قومك: إن يكفروا عن كفرهم بالله وبرسوله، وعن

صددهم عن سبيل الله من آمن به، يغفر الله لهم ما قد سبق من ذنوبهم، فالإسلام يهدم ما قبله، وإن يعودوا إلى كفرهم فقد سبقت سنة الله في الأولين أنهم إذا كذبوا واستمروا على كفرهم عاجلهم بالعقوبة.

﴿٢٩﴾ وقاتلوا أيها المؤمنون أعداءكم من الكفار حتى لا يكون شرك ولا صد للمسلمين عن دين الله، ويكون الدين والطاعة لله وحده لا شريك له فيها، فإن انتهى الكفار عما كانوا عليه من الشرك والصد عن سبيل الله فدعوهم، فإن الله مطلع على أعمالهم، لا تخفى عليه خافية.

﴿٣٠﴾ وإن انصرفوا عما أمروا به من الانتهاء عن الكفر والصد عن سبيل الله، فأتقوا أيها المؤمنون أن الله ناصركم عليهم، نعم المولى لمن والاه، ونعم الناصر لمن نصره، فمن والاه فاز، ومن نصره انتصر.

• من قَوَّيَ الْآيَاتِ،

• الصد عن المسجد الحرام جريمة عظيمة يستحق فاعلوه عذاب الدنيا قبل عذاب الآخرة.

• عمارة المسجد الحرام وولايته شرف لا يستحقه إلا أولياء الله المتقون.

• في الآيات إنذار للكافرين بأنهم لا يحصلون من إنفاقهم أموالهم في الباطل على طائل، وسوف تصيبهم الحسرة وشدة الندامة.

• دعوة الله تعالى للكافرين للتوبة والإيمان دعوة مفتوحة لهم على الرغم من استمرار عنادهم.

• من كان الله مولاه وناصره فلا خوف عليه، ومن كان الله عدواً له فلا عز له.

﴿٤٣﴾ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمْسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّلَقَّىٰ الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٤﴾ إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدُوِّ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدُوِّ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَا خْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لَيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٥﴾ إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَايِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَادَكُمْ كَثِيرًا لَفَاشَلْتُمْ وَتَنَزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّفَيُّتُمْ فِي أَغْنَيْنَكُمْ قَلِيلًا وَيَقْلِلُكُمْ فِي أَغْنَيْنِهِمْ لَيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَاللَّهُ تَرْجِعُ الْأُمُورَ ﴿٤٧﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٨﴾

١٨٢

﴿٤٣﴾ واعلموا أيها المؤمنون أن ما أخذتم من شيء من الكفار قهراً في الجهاد في سبيل الله فإنه يقسم خمسة أخماس، أربعة أخماس منها تقسم على المجاهدين، والخمس الباقي يقسم خمسة أقسام: قسم لله ورسوله يصرف في المصارف العامة للمسلمين، وقسم لقربة النبي ﷺ من بني هاشم وبني المطلب، وقسم لليتامي، وقسم للفقراء والمساكين، وقسم للمسافرين الذين انقطعت بهم السبل، إن كنتم آمنتم بالله، وبما أنزلنا على عبدنا محمد ﷺ يوم بدر الذي فُرق الله به بين الحق والباطل حين نصركم على أعدائكم، والله الذي نصركم قدير على كل شيء. ﴿٤٤﴾ واذكروا حين كنتم بالحجاب الأدنى من الوادي مما يلي المدينة، والمشركون بالجانب الأقصى منه مما يلي مكة، والعبير في مكان أسفل منكم مما يلي ساحل البحر الأحمر، ولو تواعدتم أنتم والمشركون على أن تلتقوا في بدر لخالف بعضكم بعضاً، ولكنه سبحانه جمع بينكم في بدر على غير تواعد؛ ليثبت أمراً كان مفعولاً وهو نصر المؤمنين، وخذلان الكافرين، وإعزاز دينه وإدلال الشرك؛ ليموت من مات منهم بعد قيام الحجة عليه بنصر المؤمنين عليهم مع قلة عددهم وعدتهم، ويعيش من عاش عن بينة وحجة أظهرها الله له، فلا يبقى لأحد على الله حجة يحتج بها، والله سميع لأقوال الجميع، عليم بأفعالهم، لا يخفى عليه منها شيء، وسيجازيهم عليها. ﴿٤٥﴾ اذكر أيها الرسول من نعم

الله عليك وعلى المؤمنين إذ أراك الله المشركين في منامك قليلى العدد، فأطلعت المؤمنين على ذلك فاستبشروا به حيزاً، وقويت عزائمهم على لقاء عدوهم وقتاله، ولو أنه سبحانه أراك المشركين في منامك كثيراً لضعفت عزائم أصحابك، وخافوا القتال. ولكنه سلم من ذلك، فغصهم من الفشل، فقللهم في عين رسوله ﷺ، إنه عليم بما تتطوي عليه القلوب، وبما تحفيه النفوس. ﴿٤٦﴾ واذكروا أيها المؤمنون - إذ يريكم الله المشركين حين التقيتم بهم قليلاً، فحراكم على الإقدام على قتالهم، ويقللهم في أعينهم فيقدمون لقتالكم، ولا يفكرون في الرجوع ليقضي الله أمراً كان مفعولاً بالاستقام من المشركين بالقتل والأسر، والإنعام على المؤمنين بالنصر والظفر بالأعداء، وإلى الله وحده ترجع الأمور، فيحاري المسيء على إساءته، والمحسن على إحسانه. ﴿٤٧﴾ يا أيها الدين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، إذا واجهتم جماعة من الكفار فاثبتوا عند لقاءهم ولا تجبنوا، واذكروا الله كثيراً وادعوه، فهو القادر على نصركم عليهم؛ رجاء أن يئيلكم ما تطلبون، ويجنيكم ما تحذرون.

﴿٤٨﴾ من فوائد الآيات:

- الغنائم لله يجعلها حيث شاء بالكيفية التي يريد، فليس لأحد شأن في ذلك.
- من أسباب النصر تدبير الله للمؤمنين بما يعينهم على النصر، والصبر والثبات والإكثار من ذكر الله.
- قضاء الله نافذ وحكمته بالغة وهي الخير لعباد الله وللأمة كلها.



﴿١٦﴾ والرموا طاعة الله وطاعة رسوله في أحوالكم وأفعالكم وجميع أحوالكم، ولا تختلقوا في الرأي؛ فإن الاختلاف سبب لضعفكم وجبنكم، وذهاب قوتكم، واصبروا عند لقاء عدوكم. إن الله مع الصابرين بالنصر والتأييد والعون، ومن كان الله معه فهو الغالب والمنصير لا محالة.

﴿١٧﴾ ولا تكونوا مثل المشركين الذين خرجوا من مكة كِبْرًا ومراءاة للناس، ويصدون الناس عن دين الله، ويمنونهم من الدخول فيه، والله بما يعملون محيط، لا يخفى عليه شيء من أعمالهم، وسيجازيهم عليها.

﴿١٨﴾ واذكروا - أيها المؤمنون - من نعم الله عليكم أن حسن الشيطان للمشركين أعمالهم، فشحهم على ملاقاته المسلمين وقتالهم، وقال لهم: لا غالب لكم اليوم، وإنني ناصركم، ومُجبركم من عدوكم. فلما اتقى المريقان: فريق المؤمنين معهم الملائكة ينصرونهم، وفريق المشركين معهم الشيطان الذي سيخذلهم؛ ولَّى الشيطان هاربًا، وقال للمشركين: إني بريء منكم، إني أرى الملائكة الذين جاؤوا لنصرة المؤمنين، إني أخاف أن يهلكني الله، والله شديد العقاب، فلا يقدر على تحمل عقابه أحد.

﴿١٩﴾ اذكروا إذ يقول المنافقون وضعفة الإيمان: حذو هؤلاء المسلمين دينهم الذي يعدهم بالنصر على أعدائهم مع قلة العدد وضعف العدد، وكثرة عدد أعدائهم وقوة عتادهم، ولم يُذكر هؤلاء أن من يعتمد على الله وحده يتيقن بما وعده من النصر فإن الله ناصر،

ولن يخذله مهما كان ضعفه، والله عزيز لا يغال به أحد، حكيم في قدره وشرعه.

﴿٢٠﴾ ولو تشاهد أيها الرسول - الذين كفروا بالله وبرسله حين تقبض الملائكة أرواحهم، وتنتزعها وهم يصربون وجوههم إذا أقبلوا، ويضربون أدبارهم إذا ولوا هاربين، ويقولون لهم: دوقوا أيها الكافرون العذاب المحرق، لو تشاهد ذلك لشاهدت أمرًا عظيمًا.

﴿٢١﴾ ذلك العذاب المؤلم عند قبض أرواحكم أيها الكفار، والعذاب المحرق في قبوركم وفي الآخرة، سببه ما كسبت أيديكم في الدنيا، فאלله لا يظلم الناس، وإنما يحكم بينهم بالعدل فهو الحكم العدل.

﴿٢٢﴾ وليس هذا العذاب النازل بهؤلاء الكافرين خاصًا بهم، بل هو سنة الله التي أمضاها على الكافرين في كل زمان ومكان، فقد أصاب آل فرعون والأمم من قبلهم حين كفروا بآيات الله سبحانه، فأخذهم الله بسبب دنوبهم أحد عزيز مقتدر، فأنزل بهم عقابه، إن الله قوي لا يُقهر ولا يُغلب، شديد العقاب لمن عصاه.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

• البطر مرض خطير يُنَحِّرُ في تكوين شخصية الإنسان، ويُعَجِّلُ في تدمير كيانه صاحبه.

• الصبر يعين على تحمل الشدائد والمصاعب، وللصبر منفعة إلهية، وهي إعانة الله لمن صبر امتثالًا لأمره، وهذا مشاهد في تصرفات الحياة.

• التنارع والاختلاف من أسباب انقسام الأمة، وإندار بالهزيمة والتراجع، وذهاب القوة والنصر والدولة.

• الإيمان يوجب لصاحبه الإقدام على الأمور الهائلة التي لا يُقْدِم عليها الجيوش العظام.

ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَذَّابٌ أَإِلَٰهٌ فِرْعَوْنُ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَعْرِفْنَا أَلْ فِرْعَوْنَ وَكُلُّ كَاذِبٍ لَئِيمٍ ﴿٥٤﴾ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَمَا تَتَّقُهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَدْكُرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِنَّمَا تَخَافُ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٍ فَانْذِرْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنْهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦١﴾

الجزء ١٤

١٨٤

ذلك العقاب الشديد بسبب أن الله إذا أعم على قوم نعمة من عنده لم يتركها منهم حتى يغيروا أنفسهم من حالها الطيب إلى حال سيئة من الكفر بالله ومعصيته وكفران نعمه، وأن الله سميع لأقوال عباده، عليم بأفعالهم، لا يخفى عليه منها شيء.

شأن هؤلاء الكافرين كشأن غيرهم ممن كفر بالله مثل آل فرعون والأمم المكذبة من قبلهم. كذبوا بآيات ربهم، فأهلكهم الله بسبب ما ارتكبهوه من المعاصي، وأهلك الله آل فرعون بالغرق في البحر، وكل من آل فرعون والأمم من قبلهم كانوا ظالمين بسبب كفرهم بالله وشركهم به، فاستوجبوا بذلك عقابه سبحانه، فأوقعه عليهم.

إن شر من يذب على الأرض هم الذين كفروا بالله ويرسله، فهم لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية؛ لإصرارهم على الكفر، فقد تعطلت فيهم وسائل الهداية من عقل وسمع وبصر.

الذين عقدت معهم العهود والمواثيق كبنى قريظة، ثم ينقضون ما عاهدتهم عليه في كل مرة، وهم لا يحافون الله، فلا يوفون بعهودهم، ولا يلتزمون بالمواثيق المأخوذة عليهم.

فإن قالت أيها الرسول هؤلاء النافضين لعهودهم في الحرب فنكل بهم أشد تنكيل حتى يسمع بذلك غيرهم، لعلهم يعتبرون بحالهم، فيهابون قتالك ومظاهرة أعدائك عليك.

وإن خفت أيها الرسول من قوم عاهدتهم غشاً ونقضاً للعهد

بأمارة تظهر لك فاعلمهم بطرح عهدهم حتى يستوا معك في العلم بذلك، ولا تباغتهم قبل إعلامهم، فإن مباغتهم قبل إعلامهم من الخيانة، والله لا يحب الخائنين، بل يعقبتهم، فأحذر أنت من الخيانة.

ولا يظنن الذين كفروا أنهم فاتوا عذاب الله وأفلتوا منه، إنهم لا يفوتونه ولا يفلتون من عقابه، بل هو مدرِكهم ولا يحق لهم، وأعدوا - أيها المؤمنون - ما قدرتم على إعداده من العدد والعدة: كالرمي، وأعدوا لهم ما حبستم من الخيل في سبيل الله، تحذرون أعداء الله وأعداءكم من الكافرين الذين يتربصون بكم الدوائر. وتحذرون به قوماً آخرين، لا تعلمونهم، ولا تعلمون ما يضيرون لكم من عداوة، بل الله وحده هو الذي يعلمهم، ويعلم ما يضيرهم في أنفسهم، وما تنفقوا من مال قل أو كثر يخلفه الله عليكم في الدنيا، ويعطكم ثوابه كاملاً غير منقوص في الآخرة، فبادروا إلى الإنفاق في سبيله. وإن مالوا إلى الصلح وتربك قتالك، فمِلْ أيها الرسول إليه، وعاهدكم، واعتمد على الله. وثق به، فكن يخذلك، إنه هو السميع لأقوالهم، العليم بنياتهم وأفعالهم.

من فوائده الآيات:

- من فوائد العقوبات والحدود المرتبة على المعاصي أنها سبب لادِّجار من لم يعمل بالمعاصي، كما أنها زجر لمن عملها ألا يعاودها.
- من أخلاق المؤمنين الوفاء بالعهد مع المعاهدين، إلا إن وجدت منهم الخيانة المحققة.
- يجب على المسلمين الاستعداد بكل ما يحقق الإرهاب للعدو من أصناف الأسلحة والرأي والسياسة.
- جواز السلم مع العدو إذا كان فيه مصلحة للمسلمين.

وَأَنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنْ حَسِبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي آتَاكَ  
 نَصْرَهُ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَالْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ  
 مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا لَقَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ  
 أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ  
 اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضَ  
 الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ  
 يَغْلِبُوا أَمَّا ثَلَاثِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ  
 الَّذِينَ كَفَرُوا يَا أَيُّهَا قَوْمُ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٢٥﴾ أَلَنْ خَفَّفَ  
 اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ  
 صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا أَمَّا ثَلَاثِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا  
 أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٦﴾ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ  
 أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُشْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ  
 الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ لَوْلَا كَتَبَ  
 مِنَ اللَّهِ سَبْقَ لَمَسِّكُمْ فِيهَا أَخَذْتُمْ عَذَابَ عَظِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَكُلُوا  
 مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٩﴾

﴿٢٢﴾ وإن قصدوا بميلهم للصلح وترك القتال أن يخدعوك - أيها الرسول - بذلك ليستعدوا لقتالك، فإن الله كافيك مكرهم وخداعهم، هو الذي قواك بنصره، وقواك بنصر المؤمنين لك من المهاجرين والأنصار.

﴿٢٣﴾ وجمع بين قلوب المؤمنين الذين نصرك بهم بعد أن كانت متفرقة، لو أنفقت ما في الأرض من مال لتجمع بين قلوبهم المتفرقة ما جمعت بينها، لكن الله وحده جمع بينها، إنه عزيز في ملكه لا يغالبه أحد، حكيم في قدره وتدبيره وشرعه.

﴿٢٤﴾ يا أيها النبي إن الله كافيك شر أعدائك، وكافي المؤمنين معك، فتق بالله واعتمد عليه.

﴿٢٥﴾ يا أيها النبي كُتِبَ المؤمنين على القتال، وحُضِّمَ عليهم بما يقوي عزائمهم وينشط هممهم، إن يكن منكم أيها المؤمنون عشرون صابرون على مقاتلة الكفار يغلبوا مئتين من الكفار، وإن تكن منكم مئة صابرة يغلبوا ألفاً من الكافرين؛ ذلك بأن الكافرين قوم لا يفهمون سنة الله بنصر أوليائه، ونحر أعدائه، ولا يدركون المقصود من القتال، فهم يقاتلون من أجل العلو في الدنيا.

﴿٢٦﴾ الآن خفف الله عنكم أيها المؤمنون لما علمه من ضعفكم، فخفف عنكم لطفاً منه بكم، فأوجب على الواحد منكم أن يثبت أمام اثنين من الكفار بدل عشرة منهم، فإن يكن منكم مئة صابرة على قتال الكفار يغلبوا مئتين، وإن يكن منكم ألف صابرون يغلبوا ألفين من الكفار بإذن

الله، والله مع الصابرين من المؤمنين بالتأييد والنصر.

﴿٢٧﴾ ما ينبغي لنبي أن يكون له أسرى من الكفار الذين يقاتلونه حتى يُكْتَر القيل ففهم: ليدخل الرعب في قلوبهم حتى لا يعودوا إلى قتاله، تريدون أيها المؤمنون باتحاد أسرى بدر أخذ الفداء، والله يريد الآخرة التي تنال بنصر الدين وإعزازه، والله عزيز هي ذاته وصفاته وقهره، لا يغالبه أحد، حكيم في قدره وشرعه.

﴿٢٨﴾ لولا كتاب من الله سبق به قضاؤه وقدره أنه أحل لكم الغنائم، وأباح لكم فداء الأسرى لأصابتكم عذاب شديد من الله بسبب ما أخذتم من الغنيمة والفداء من الأسرى قبل نزول وحي من الله بإباحة ذلك.

﴿٢٩﴾ فكلوا أيها المؤمنون مما أخذتم من الكفار من غنيمة فهو حلال لكم، واتقوا الله بامتثال أوامره واحتساب نواحيه، إن الله غفور لعباده المؤمنين، رحيم بهم.

﴿٣٠﴾ من قوايد الآيات،

- في الآيات وعدٌ من الله لعباده المؤمنين بالكفاية والنصرة على الأعداء.
- الثبات أمام العدو فرض على المسلمين لا اختيار لهم فيه، ما لم يحدث ما يَرُخص لهم بخلافه.
- الله يحب لعباده معالي الأمور، ويكره منهم سفاسفها، ولذلك حثهم على طلب ثواب الآخرة الباقي والدائم.
- مفاداة الأسرى أو المنع عنهم بإطلاق سراحهم لا يكون إلا بعد توافر الغلبة والسلطان على الأعداء، وإظهار هيبة الدولة وجه الآخرين.



﴿٧٠﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ، قُلْ لِمَنْ وَقَعَ فِي أَيْدِيكُمْ مِنْ أَسْرَى الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ أَسْرَتُمُوهُمْ يَوْمَ بدر: إن يعلم الله في قلوبكم خيراً مما أخذ منكم من النية يعطكم خيراً مما أخذ منكم القداء، فلا تحزنوا على ما أخذ منكم منه، ويغفر لكم ذنوبكم، والله غفور لمن تاب من عباده، رحيم به، وقد تحقق وعد الله للعباس عم النبي ﷺ وغيره ممن أسلم.

﴿٧١﴾ وَإِنْ يَقصدُوا - يا محمد - خيانتك بما يظهرون لك من القول فقد خانوا الله من قبل، وقد نصرك الله عليهم، فقتل منهم من قتل وأسر من أسر، فلينظروا مثل ذلك إن عادوا، والله عليهم بخلفه وبما يصلحهم، حكيم في تدبيره.

﴿٧٢﴾ إِنْ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصدقوا رسوله وعملوا بشرعه، وهاجروا من بلد الكفر إلى بلد الإسلام، أو إلى مكان يعبدون الله فيه آمين، وجاهدوا ببدل أموالهم وبذل أنفسهم لإعلاء كلمة الله، والذين أنزلوهم في منازلهم، ونصروهم أولئك المهاجرون والذين نصروهم من أهل الدار بعضهم أولياء بعض في النصرة والمعونة، والذين آمنوا بالله ولم يهاجروا من بلد الكفر إلى بلد الإسلام ليس عليكم - أيها المؤمنون - أن تنصروهم وتحملوهم حتى يهاجروا في سبيل الله، وإن ظلمهم الكفار فطلبوا منكم النصر فانصروهم على عدوهم، إلا إذا كان بينكم وبين عدوهم عهد لم ينقضوه، والله بما تعملون بصير، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم، وسيجازيكم عليها. ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ يجمعهم

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٠﴾ وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ إِنْ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجْهَهُدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّنْ وَلِيَّتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِّسْقٌ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجْهَهُدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجْهَهُدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾

الكفر، فيناصر بعضهم بعضاً، فلا يواليهم مؤمن، إن لم توالوا المؤمنين وتعادوا الكافرين تكن فتنة للمؤمنين حيث لم يجدوا من ينصرهم من إخوانهم في الدين، ويكن فساد في الأرض عظيم بالصد عن سبيل الله.

﴿٧٤﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَهَاجَرُوا فِي سَبِيلِهِ، والذين آووا المهاجرين في سبيل الله ونصروهم، أولئك هم المتصفون بصفة الإيمان حقاً، وجزاؤهم من الله مغفرة لذنوبهم، ورزق كريم منه، وهو الجنة.

﴿٧٥﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِ السَّابِقِينَ إِلَى الْإِسْلَامِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وهاجروا من بلد الكفر إلى بلد الإسلام، وجاهدوا في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، أولئك منكم أيها المؤمنون، لهم ما لكم من الحقوق، وعليهم ما عليكم من الواجبات، وأصحاب القراءة هي حكم الله بعضهم أولى ببعض في الإرث من التوارث بالإيمان والهجرة الذي كان موجوداً سابقاً، إن الله بكل شيء عليم، لا يخفى عليه شيء، فهو يعلم ما يصلح لعباده، فيشرعه لهم.

من فوائده الآيات:

- يجب على المؤمنين ترغيب الأسرى في الإيمان.
- تضمنت الآيات إشارة للمؤمنين باستمرار النصر على المشركين ما داموا آخذين بأسباب النصر المادية والمعنوية.
- إن المسلمين إذا لم يكونوا يداً واحدة على أهل الكفر لم تظهر شوكتهم، وحدث بذلك فساد كبير.
- فضيلة الوفاء بالعهود والمواثيق في شرعة الإسلام، وإن عارض ذلك مصلحة بعض المسلمين.

• مِنْ قَاصِدِ السُّورَةِ:

البراءة من المشركين والمنافقين وجهادهم، وفتح باب التوبة للتائبين.

• التَّفْصِيلُ:

① هذه براءة من الله، ومن رسوله، وإعلان بنهاية العهد التي عاهدتم أيها المسلمون عليها المشركين في جزيرة العرب.

② فسيروا أيها المشركون في الأرض مدة أربعة أشهر آمينين، ولا عهد لكم بعدها ولا أمان، وأيقنوا أنكم لن تفلتوا من عذاب الله وعقابه إن استمررتم على كفركم به، وأيقنوا أن الله مذل الكافرين بالقتل والأسر في الدنيا، ويدخل النار يوم القيامة. ويشمل هذا من نقضوا عهدهم، ومن كان عهدهم مطلقاً غير مؤقت، وأما من له عهد مؤقت ولو كان أكثر من أربعة أشهر فإنه يتم له عهده إلى مدته.

③ وإعلام من الله، وإعلام من رسوله إلى جميع الناس يوم النحر أن الله سبحانه بريء من المشركين. وأن رسوله بريء كذلك منهم، فإن تبتم - أيها المشركون - من شرككم فتوبتكم خير لكم، وإن أعرضتم عن التوبة فأيقنوا أنكم لن تقوتوا الله، ولن تفلتوا من عقابه، وأخبر - أيها الرسول الذين كفروا بالله بما يسوؤهم. وهو عذاب موجه ينتظرهم.

④ إلا الذين عاهدتم من المشركين. ووهوا بعهدهم، ولم ينقصوا منه شيئاً، فهم مُسْتَعْتَبُونَ من الحكم السابق، فأكملوا لهم الوفاء بعهدهم حتى تنقضي مدته، إن الله يحب المتقين بامتثال أوامره ومنها الوفاء بالعهد، وباجتناب نواهيه ومنها

الخيانة.

⑤ فإذا انتهت الأشهر الحرم التي أمَّنتُم فيها أعداءكم فاقتلوا المشركين حيث لقيتموهم، وأسروهم، وحاصروهم في معاقلهم، وترصدوا لهم طرقهم، فإن تابوا إلى الله من الشرك. وأقاموا الصلاة، وأعطوا زكاة أموالهم: فقد أصبحوا إخوانكم في الإسلام؛ فاتركوا قتالهم، إن الله غفور رحيم به.

⑥ وإن دخل أحد من المشركين - مباح الدم والمال - وطلب حوارك أيها الرسول فأجبه إلى طلبه حتى يسمع القرآن، ثم أوصله إلى مكان يأمن فيه، ذلك أن الكفار قوم لا يعلمون حقائق هذا الدين، فإذا علموها من سماع قراءة القرآن ربما اهتدوا.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

• في الآيات دليل واضح على حرص الإسلام على تسوية العلاقات الخارجية مع الأعداء على أساس من السلم والأمن والثقة. • الإسلام يُشَارِعُ العهود، ويوجب الوفاء بها، ويجعل حفظها نافعاً من الإيمان، وملازماً لتقوى الله تعالى. • أن إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة دليل على الإسلام، وأنهما يعصمان الدم والمال. ويوجبان لمن يؤدبهما حقوق المسلمين من حفظ دمه وماله إلا بحق الإسلام، كارتكاب ما يوجب القتل من قتل النفس البريئة، وزنى الزاني المُخَصَّن، والردة إلى الكفر بعد الإيمان. • مشروعية الأمان، أي: حواز تأمين الحربي إذا طلبه من المسلمين: ليسمع ما يدل على صغته الإسلام. وفي هذا سماحة وتكريم في معاملة الكفار، ودليل على إثبات السلم.

﴿٧﴾ لَا يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ لِلْمُشْرِكِينَ بِاللَّهِ عَهْدٌ وَأَمَانٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا عَهْدٌ أُولَئِكَ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ عَاهَدْتُمُوهُمْ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ - عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فِي صَلَاحِ الْحَدِيثِ، فَمَا أَقَامُوا لَكُمْ عَلَى الْعَهْدِ الَّذِي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ وَلَمْ يَنْقُضُوهُ فَأَقِيمُوا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَلَا تَنْقُضُوهُ، إِنْ اللَّهُ يَحِبُّ الْمُتَّقِينَ مِنْ عِبَادِهِ الَّذِينَ يَمْتَلِئُونَ أَوَامِرَهُ، وَيَجْتَنِبُونَ نَوَاهِيَهُ.

﴿٨﴾ كَيْفَ يَكُونُ لَهُمْ عَهْدٌ وَأَمَانٌ وَهُمْ أَعْدَاؤُكُمْ، وَإِنْ يَطْفَرُوا بِكُمْ لَا يَرْعَوُا فِيكُمْ اللَّهُ وَلَا قَرَابَةً، وَلَا عَهْدًا، بَلْ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ؟! يَرْضَوْنَكُمْ بِالْكَلامِ الْحَسَنِ الَّذِي تَنْطِقُ بِهِ السُّنَنُ، لَكِنْ قُلُوبُهُمْ لَا تَطَاوَعُ أَسْنَتَهُمْ، فَلَا يَمُوتُونَ بِمَا يَقُولُونَ، وَأَكْثَرُهُمْ خَارِجُونَ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ لِنَقْصِهِمُ الْعَهْدَ.

﴿٩﴾ اعْبَاصُوا، وَاسْتَبْدَلُوا عَنْ اتِّبَاعِ آيَاتِ اللَّهِ الَّتِي مِنْهَا الْوَفَاءُ بِالْعَهْدِ ثَمَنًا حَقِيرًا مِنْ حَطَامِ الدُّنْيَا الَّذِي يَتَوَصَّلُونَ بِهِ إِلَى شَهْوَاتِهِمْ وَأَهْوَاتِهِمْ، فَصَدُوا أَنْفُسَهُمْ عَنْ اتِّبَاعِ الْحَقِّ، وَأَعْرَضُوا عَنْهُ، وَصَدُوا غَيْرَهُمْ عَنِ الْحَقِّ، إِنْهُمْ سَاءَ عَمَلُهُمُ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ.

﴿١٠﴾ لَا يَرَاوُونَ اللَّهَ وَلَا قَرَابَةً وَلَا عَهْدًا فِي مَوْمِنٍ، لَمَّا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْعَدَاوَةِ، فَهُمْ مُتَجَاوِزُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ، لَمَّا يَتَصَفَّوْنَ بِهِ مِنَ الظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ. ﴿١١﴾ فَإِنْ تَأَلَّوْا إِلَى اللَّهِ مِنْ كُفْرِهِمْ، وَنَطَقُوا بِالشَّهَادَتَيْنِ، وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ، وَأَعْطَوْا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ - فَقَدْ صَارُوا مُسْلِمِينَ، وَهُمْ إِخْوَتُكُمْ فِي الدِّينِ، لَهُمْ مَا لَكُمْ وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَيْكُمْ، وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ قِتَالُهُمْ. فَاِسْلَامُهُمْ يَعْصِمُ دِمَاءَهُمْ

كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَمُّوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنْ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨﴾ أَشْرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفِصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴿١٢﴾ أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَ اللَّهَ أَحَقَّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾

وَأَمْوَالَهُمْ وَأَعْرَاضَهُمْ، وَنَبِيْنِ الْآيَاتِ وَنُوضَحَهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ، فَهُمْ الَّذِينَ يَنْتَفِعُونَ بِهَا، وَيَنْفَعُونَ بِهَا غَيْرَهُمْ. ﴿١٤﴾ وَإِنْ نَفِصَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ عَاهَدْتُمُوهُمْ عَلَى تَرْكِ الْقِتَالِ مَدَّةَ مَعْلُومَةٍ عَهْدَهُمْ وَمَوَاقِفَهُمْ، وَعَابُوا دِينَكُمْ وَاتَّقَصَّوْا مِنْهُ فَقَاتِلُوهُمْ، فَهُمْ أَيْمَةُ الْكُفْرِ وَفَادَتِهِ، وَلَا عَهْدَ لَهُمْ، وَلَا مَوَاقِفَ تَحَقُّنَ دِمَاءَهُمْ، فَاقْتُلُوهُمْ رَجَاءً أَنْ يَنْتَهُوا عَنْ كُفْرِهِمْ وَنَقْصِهِمُ لِلْعَهْدِ وَانْتِقَاصِهِمُ لِلدِّينِ.

﴿١٥﴾ لَمْ لَا تَقَاتِلُونَ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - قَوْمًا نَقَضُوا عَهْدَهُمْ وَمَوَاقِفَهُمْ، وَسَعَوْا فِي احْتِمَاعِهِمْ فِي دَارِ النَّدْوَةِ إِلَى إِخْرَاجِ الرَّسُولِ ﷺ مِنْ مَكَّةَ، وَهُمْ يَدُوكُمْ بِالْقِتَالِ أَوَّلَ مَرَّةٍ عِنْدَمَا أَعَانُوا بِكُرًا حُلَفَاءَ قُرَيْشٍ عَلَى جُرْأَةِ حُلَمَاءِ الرَّسُولِ ﷺ، أَتَحَافُونَ مَلَاقَتَهُمْ فِي الْحَرْبِ؟ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَحَقُّ أَنْ تَخَافُوهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ حَقًّا.

مِنْ قَوَائِدِ آيَاتِ:

- دَلَّتِ الْآيَاتُ عَلَى أَنَّ قِتَالَ الْمُشْرِكِينَ التَّائِكِينَ الْعَهْدَ كَانَ لِأَسْبَابٍ كَثِيرَةٍ، أَمَّا هَذَا نَقْصُهُمُ الْعَهْدَ.
- فِي الْآيَاتِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ مَنْ اِمْتَنَعَ مِنْ آدَاءِ الصَّلَاةِ أَوْ الزَّكَاةِ فَإِنَّهُ يُقَاتَلُ حَتَّى يُؤَدِّيَهَا، كَمَا فَعَلَ أَبُو بَكْرٍ ؓ.
- اسْتَدَلَّ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَلَعَلَّكُمْ فِي دِينِكُمْ﴾ عَلَى جُوبِ قِتْلِ كُلِّ مَنْ طَعَنَ فِي الدِّينِ عَامِدًا مُسْتَهْزِئًا بِهِ.
- فِي الْآيَاتِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْمُؤْمِنَ الَّذِي يَخْشَى اللَّهَ وَحْدَهُ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ أَشْجَعَ النَّاسِ وَأَجْرَ أَهَمِّ عَلَى الْقِتَالِ.



﴿١٤﴾ قَاتِلُوا أَنِيهَا الْمُؤْمِنُونَ - هؤلاء المشركين، فإنكم إن قاتلوهم يعدبهم الله بأيديكم، وذلك بقتلكم إياهم، ويذلهم بالهزيمة والأسر، وينصركم عليهم بجعل الغلبة لكم، ويبرئ داء صدور قوم مؤمنين لم يشهدوا القتال بما حصل لعدوهم من القتل والأسر والهزيمة ونصر المؤمنين عليهم. ﴿١٥﴾ وَيَتَّبِعِ الْفَيْضَ عَنْ قُلُوبِ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا نَالُوهُ مِنَ النِّصْرِ عَلَيْهِمْ. ويتوب الله على من يشاء من هؤلاء المعاندين إن تابوا كما وقع من بعض أهل مكة يوم الفتح، والله عليم بصدق الثائب منهم، حكيم في خلقه وتدييره وتشريعه.

﴿١٦﴾ اٰمَنَّا نَنتُمْ - أيها المؤمنون أن يترككم الله دون ابتلاء؟ فالابتلاء سنة من سنته، سنبثلون حتى يعلم الله علما ظاهرا للعباد المحاهدين منكم بإخلاص لله، الذين لم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين بطانة من الكفار يوالونهم، وأصفاء منهم يوادونهم، والله خير بما تعملون، لا يخفى عليه منه شيء، وسيجازيكم على أعمالكم.

﴿١٧﴾ مَا يَنْفِي لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ بِالتَّعْبَادَةِ وَأَنْوَاعِ الطَّاعَةِ. وهم مقررون على أنفسهم بالكفر بما يظهر منه، أولئك طلعت أعمالهم لفقد شرط قبولها الذي هو الإيمان، وهم يوم القيامة سيدخلون النار ما كثر فيها أبدا إلا إن تابوا من الشرك قبل موتهم.

﴿١٨﴾ إِنَّمَا يَسْتَحَقُّ عِمَارَةَ الْمَسَاجِدِ وَيَقُومُ بِحَقِّهَا مِنْ أَمَنِ بِاللَّهِ وَحْدَهُ، وَلَمْ يَشْرِكْ بِهِ أَحَدًا، وَأَمِنْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

وأقام الصلاة وأعطى زكاة ماله، ولم يخف أحدا إلا الله سبحانه، هؤلاء هم الذين يرجى أن يكونوا مهتدين إلى الصراط المستقيم، وأما المشركون فهم أبعد ما يكونون عن ذلك.

﴿١٩﴾ أَجَعَلْتُمْ - أيها المشركون - القائمين على سقاية الحاج وعلى عِمَارَةِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ مِثْلَ مَنْ أَمِنَ بِاللَّهِ، وَلَمْ يَشْرِكْ بِهِ أَحَدًا، وَأَمِنْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ. وحاهد نفسه وماله لتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى، أجعلتموهم سواء في الفضل عند الله؟ لا يستوون أبداً عند الله، والله لا يوفق الظالمين بالشرك، ولو كانوا يعملون أعمال خير كسقاية الحاج.

﴿٢٠﴾ الَّذِينَ جَمَعُوا بَيْنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالْهَجْرَةِ مِنْ بِلَادِ الْكُفْرِ إِلَى بِلَادِ الْإِسْلَامِ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِالْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ أَعْظَمُ رَتْبَةً عِنْدَ اللَّهِ مِنْ غَيْرِهِمْ، وَأُولَئِكَ الْمُتَصَفُّونَ بِتِلْكَ الصِّفَاتِ هُمُ الظَّاهِرُونَ بِالْحِنَّةِ.

﴿٢١﴾ مِنْ قَوْلِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.

● في الآيات دلالة على محبة الله لعباده المؤمنين واعتناؤه بأحوالهم. حتى إنه جعل من حملة المقاصد الشرعية شفاء ما في صدورهم ودهاب غيظهم. ● شرع الله الجهاد ليحصل به هذا المقصود الأعظم، وهو أن يتميز الصادقون الذين لا يتحيزون إلا لدين الله من الكاذبين الذين يزعمون الإيمان. ● عُقَارُ الْمَسَاجِدِ الْحَقِيقِيَّوْنَ هُمُ مَنْ وَصِفُوا بِالْإِيمَانِ الصَّادِقِ. وبالقيام بالأعمال الصالحة التي أمَّها الصلاة والزكاة. وبخشية الله التي هي أصل كل خير. ● الجهاد والإيمان بالله أفضل من سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام بدرجات كثيرة؛ لأن الإيمان أصل الدين، وأما الجهاد في سبيل الله فهو ذروة سنام الدين.

قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَتُخْزِيهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيَذْهَبْ غَيْظُ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا إِلَى اللَّهِ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾

يُخْبِرُهُمُ اللَّهُ بِمَا يَسْرَهُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ. وَمَنْ إِحْلَالَ رِضْوَانِهِ عَلَيْهِمْ. فَلَا يَسْحَطُ عَلَيْهِمْ أَبَدًا، وَبِدَحُولِ جَنَاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ دَائِمٌ لَا يَنْقُطُ أَبَدًا.

﴿٢٢﴾ مَا كُنْتُ فِي تِلْكَ الْحَنَانِ مُكَنًّا لَا نَهَايَةَ لَهُ، ثَوَابًا لَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ الَّتِي كَانُوا يَعْمَلُونَهَا فِي الدُّنْيَا، إِنْ أَلَّهِ عِنْدَهُ ثَوَابٌ عَظِيمٌ لِمَنْ امْتَثَلَ أَوَامِرَهُ، وَاجْتَنَبَ نَوَاهِيَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ.

﴿٢٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاتَّبِعُوا مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُهُ. لَا تَصَيِّرُوا آبَاءَكُمْ وَأَخْوَانَكُمْ فِي النَّسَبِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ قُرَابَتِكُمْ أَصْنَاءَ تَوَالُونَهُمْ بِإِقْشَاءِ أَسْرَارِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْهِمْ. وَالنَّشَاوَرُ مَعَهُمْ: إِنْ أَثَرُوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَحْدَهُ، وَمَنْ يَصَيِّرُهُمْ أَوْلِيَاءَ مَعَ بَقَائِهِمْ عَلَى الْكُفْرِ وَيُظْهِرُ لَهُمُ الْمَوَدَّةَ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَظَلَمَ نَفْسَهُ بِإِيْرَادِهَا مَوَارِدَ الْهَلَاكِ سَبَبَ الْمَعْصِيَةِ.

﴿٢٤﴾ قُلْ أَيُّهَا الرُّسُلُ: إِنْ كَانَ أَبَاؤُكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَأَخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَأَقْرَبَاؤُكُمْ، وَأَمْوَالُكُمْ الَّتِي اكْتَسَبْتُمُوهَا، وَتِجَارَتُكُمْ الَّتِي تَعْبُونَ رَوَاجَهَا، وَتَخَافُونَ كِسَادَهَا، وَبَيْوتُكُمْ الَّتِي تَرْضَوْنَ الْمَقَامَ فِيهَا - إِنْ كَانَ كُلُّ أُولَئِكَ أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمِنْ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ فَانْتَظِرُوا مَا يَنْزِلُ اللَّهُ بِكُمْ مِنَ الْعِقَابِ وَالنَّكَالِ، وَاللَّهُ لَا يُوَفِّقُ الْخَارِجِينَ عَنْ طَاعَتِهِ لِلْعَمَلِ بِمَا يَرْضَاهُ.

﴿٢٥﴾ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - عَلَى عَدُوِّكُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فِي غُرُوبَاتٍ كَثِيرَةٍ عَلَى قَلَّةٍ عِدَدِكُمْ وَضَعْفِ عِدَّتِكُمْ حِينَ تَوَكَّلْتُمْ

عَلَى اللَّهِ وَأَخَذْتُمْ بِالْأَسْيَابِ، وَلَمْ تُعْجِبُوا بِكَثْرَتِكُمْ. فَلَمْ تَكُنْ الْكَثْرَةُ سَبَبَ نَصْرِكُمْ عَلَيْهِمْ. وَنَصْرُكُمْ يَوْمَ حُنَيْنٍ حِينَ أُعْجِبْتُمْ كَثْرَتَكُمْ، فَقَلَّتُمْ: لَنْ نُقَلِّبَ الْيَوْمَ مِنْ قِلَّةٍ، فَلَمْ تَتَفَعَّلْ كَثْرَتُكُمْ الَّتِي أُعْجِبْتُمْ شَيْئًا، فَتَغَلَّبَ عَلَيْكُمْ عَدُوُّكُمْ، وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ عَلَى سَعَتِهَا، ثُمَّ وَلِيْتُمْ عَنْ أَعْدَائِكُمْ فَارِينَ مُنْهَزِمِينَ.

﴿٢٦﴾ ثُمَّ بَعْدَ فِرَارِكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ أَنْزَلَ اللَّهُ الطُّمَأْسَنَةَ عَلَى رَسُولِهِ. وَأَنْزَلَهَا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، فَثَبَّتُوا لِلْقِتَالِ، وَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً لَمْ تَرَوْهُمْ، وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا حَصَلَ لَهُمْ مِنَ الْقَتْلِ وَالْأَسْرِ وَأَخْذِ الْأَمْوَالِ وَسَبْيِ الذَّرَارِيِّ. وَذَلِكَ الْجَزَاءُ الَّذِي حُورِي بِهِ هَؤُلَاءِ هُوَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ الْمُكَذِّبِينَ لِرُسُولِهِمُ الْمَعْرِضِينَ عَمَّا جَاءَ بِهِ.

• مِنْ فَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- مراتب فضل المجاهدين كثيرة، فهم أعظم درجة عند الله من كل ذي درجة، فلهم المزية والمرتبة العلية، وهم الماثرون الظافرون الناجون، وهم الذين يبشّرههم ربهم بالنعيم.
- في الآيات أعظم دليل على وجوب محبة الله ورسوله، وتقديم هذه المحبة على محبة كل شيء.
- تخصيص يوم حنين بالذكر من بين أيام الحروب: لما فيه من العبرة بحصول النصر عند امتثال أمر الله ورسوله ﷺ وحصول الهزيمة عند إيتار الحطوط العاجلة على الامتثال.
- فضل نزول السكينة، فسكينة الرسول ﷺ سكينة اطمئنان على المسلمين الذين معه وثقة بالنصر، وسكينة المؤمنين سكينة ثبات وشجاعة بعد الجزع والخوف.

ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٧﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ شَاءَ إِلَهٌ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يَحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرُ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتِلْهُمْ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾

﴿٢٧﴾ ثم إن من تاب من كفره وضلاله من بعد ذلك التعذيب فإن الله يتوب عليه، ويقبل توبته، والله غفور لمن تاب من عباده، رحيم بهم، حيث يقبل منهم التوبة بعد الكفر وارتكاب المعاصي.

﴿٢٨﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله وبرسوله واتبعوا ما شرعه لهم، إنما المشركون نجس؛ لما فيهم من الكفر والظلم والأخلاق الذميمة والعادات السيئة؛ فلا يدخلوا الحرم المكي ومن ضمنه المسجد الحرام ولو كانوا حجاجاً أو معتمرين بعد عامهم هذا الذي هو سنة تسع للهجرة، وإن خفتهم أيها المؤمنون فقتلوا بسبب انقطاع ما كانوا يحلبون إليكم من الأظعمة والتحارات المختلفة فإن الله سيكفيكم من فضله إن شاء، إن الله عليم بحالكم التي أنتم عليها، حكيم فيما يديره لكم.

﴿٢٩﴾ قاتلوا أيها المؤمنون الكافرين الذين لا يؤمنون بالله إنَّها لا شريك له، ولا يؤمنون بيوم القيامة، ولا يحتسبون ما حرمة الله ورسوله عليهم من الميتة ولحم الخنزير والخمر والربا وغيرها، ولا يخضعون لما شرعه الله، من اليهود والنصارى حتى يعطوا الجزية بأيديهم أذلاء مهقورين.

﴿٣٠﴾ إن كلاً من اليهود والنصارى مشركون، فاليهود أشركوا بالله لما ادعوا أن عُزيراً ابنُ الله، والنصارى أشركوا به لما ادعوا أن المسيح عيسى ابنُ الله، ذلك القول الذي افتروه قالوه بأفواههم دون إقامة برهان عليه، وهم يشابهون في هذا القول قول المشركين من قبلهم الذين قالوا: إن الملائكة بناتُ الله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، أهلكهم الله، كيف يُصْرَفُونَ عن الحق البين إلى الباطل؟

﴿٣١﴾ جعل اليهود علماءهم، والنصارى عُبادهم، أرأيتا من دون الله، يحلون لهم ما حرمة الله عليهم، ويحرمون عليهم ما أحله الله لهم، وجعل النصارى المسيح عيسى بن مريم إلهاً مع الله، وما أمر الله علماء اليهود وُعْبَاد النصارى وما أمر عُزيراً وعيسى بن مريم إلا أن يعبدوه وحده، ولا يشركوا به شيئاً، فهو سبحانه إله واحد، لا معبود بحق سواه، تنزه سبحانه، وتقدس أن يكون له شريك كما يقول هؤلاء المشركون وغيرهم.

● مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- في الآيات دليل على أن تعلق القلب بأسباب الرزق جائز، ولا ينافي التوكل.
- في الآيات دليل على أن الرزق ليس بالاحتداد، وإنما هو فضل من الله تعالى تولى قسمته.
- الجزية واحد من خيارات ثلاثة يعرضها الإسلام على الأعداء، يقصد منها أن يكون الأمر كله للمسلمين بنزع شوكة الكافرين.
- في اليهود من الخبيث والشر ما أوصلهم إلى أن تجرؤوا على الله، وتتقصوا من عظمتهم سبحانه.



﴿٢٧﴾ يريد هؤلاء الكفار وغيرهم ممن هم على ملة من ملل الكفر بافتراءاتهم هذه وتكذيبهم بما جاء به محمد ﷺ أن يقضوا على الإسلام ويطلوه، ويطلوا ما جاء فيه من الحجج الواضحة والبراهين الجلية على توحيد الله، وأن ما جاء به رسوله حق، ويأبى الله ﷻ إلا أن يكمل دينه ويظهره، ويعليه على غيره، ولو كره الكافرون إكمال دينه وإظهاره وإعلانه فإن الله مُمْتَنٌّ وَمُظْهِرٌ وَمُغْلِبٌ، وإذا أراد الله أمراً بطلت إرادة غيره.

﴿٢٨﴾ والله سبحانه هو الذي أرسل رسوله محمدًا ﷺ بالقرآن الذي هو هدى للناس، وبدين الحق الذي هو دين الإسلام يُغْلِبُهُ بما فيه من الحجج والبراهين والأحكام على غيره من الأديان، ولو كره المشركون ذلك، ﴿٢٩﴾ يا أيها الذين آمنوا، وعملوا بما شرعه الله لهم، إن كثيراً من علماء اليهود، وكثيراً من عبّاد النصارى، ليأخذون أموال الناس بغير حق شرعي، فهم يأخذونها بالرشوة وغيرها، وهم يجمعون الناس من الدخول في دين الله. والذين يجمعون الذهب والفضة، ولا يؤدون ما يجب عليهم من زكاتها، فأحبرهم - أيها الرسول - بما يسوؤهم يوم القيامة من عذاب موجه.

﴿٣٠﴾ يوم القيامة يوقد على ما جمعوهم ومنعوا حقه في نار جهنم، فإذا اشتدت حرارتها وُضِعَتْ على جباههم وعلى جنوبهم وعلى ظهورهم، ويقال لهم على سبيل التوبيخ: هذه هي أموالكم التي جمعتوها ولم تؤدوا الحقوق الواجبة فيها، فذوقوا وبال ما

يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣١﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٢﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَسْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٤﴾ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾

١٩٢

كُنْتُمْ تَجْمَعُونَهُ وَلَا تَدُونَ حَقَّهِ، وَعَاقِبَةُ ذَلِكَ.

﴿٣٦﴾ إن عدد شهور السنة في حكم الله وقصائمه اثنا عشر شهراً، فيما أثبتته الله في اللوح المحفوظ أول ما خلق السماوات والأرض، من هذه الأشهر الاثني عشر أربعة أشهر حُرُمٌ لله فيهن القتال، وهي ثلاثة سرد: (دو القعدة، ودو الحجة، والمحرم)، وواحد فرد، وهو (رجب). ذلك المذكور من عدد شهور السنة. ومن تحريم أربعة منها، هو الدين المستقيم، فلا تظلموا في هذه الأشهر الحُرُم أنفسكم بإيقاع القتال فيها، وهتك حرمتها، وقاتلوا المشركين جميعاً كما أنهم يقاتلونكم جميعاً، واعلموا أن الله مع الذين يتقونه بامتنال ما أمر به واجتناب ما نهى عنه بالنصر والتثبيت، ومن كان الله معه قلن يغلبه أحد.

من قويد الأيات:

- ديس الله ظاهر ومنصور مهما سعى أعداؤه للنيل منه حسداً من عند أنفسهم.
- تحريم أكل أموال الناس بالباطل، والصد عن سبيل الله تعالى.
- تحريم اكتناز المال دون إنفاقه في سبيل الله.
- الحرص على تقوى الله في السر والعلن، خصوصاً عند قتال الكفار، لأن المؤمن يبقى الله في كل أحواله.

إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ  
كَفَرُوا يُحْلُونَهُ عَامًا وَنَحَرَهُمُوتَهُ عَامًا يُؤَاطُوا  
عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحْلُوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ  
سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ  
﴿٢٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ  
أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتُمْ قُلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ  
بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعُ الْحَيَاةِ  
الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٢٨﴾ إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ  
عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ  
شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ إِلَّا تَضُرُّوهُ  
فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ  
إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ  
مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ  
لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى  
وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٠﴾

١٩٣

﴿٢٧﴾ إن التأخير لحرمة شهر مُحَرَّم إلى شهر غير مُحَرَّم وجعله مكانه - كما كان يفعل العرب في الجاهلية - زيادة في الكفر على كفرهم بالله؛ حيث كفروا بحكمه في الأشهر الحُرُم، يُضِلُّ بها الشيطان الذين كفروا بالله حين سئل لهم هذه السُّنة السيئة، يحلون الشهر الحرام عامًا بإبداله بشهر من شهور العهل، ويبقونه على تحريمه عامًا ليوافقوا عدد الأشهر التي حرم الله وإن خالفوا أعيانها، فلا يحلون شهرًا إلا حرموا مكانه شهرًا، فيحلون بذلك ما حرمه الله من الأشهر الحرم، ويخالفون حكمه، حشَّن لهم الشيطان الأعمال السيئة فعملوها، ومنها ما ابتدعوه من النسيء، والله لا يوفق الكافرين المُصِرِّين على كفرهم.

﴿٢٨﴾ يا أيها الذين آمنوا امنوا بالله ورسوله وعملوا بما شرعه لهم، ما شأنكم إذا دُعيتُم إلى الجهاد في سبيل الله لقتال عدوكم بتباطؤكم، وملتم إلى الاستقرار في مساكنكم؟ أرضيتُم بمتاع الحياة الدنيا الزائلة ولدانها المنقطعة عوضًا عن نعيم الآخرة الدائم الذي أعده الله للمجاهدين في سبيله؟ فما متاع الحياة الدنيا في جنب الآخرة إلا حقير، فكيف لما قبل أن يختار فاتها على باق، وحقيرًا على عظيم؟

﴿٢٩﴾ إن لم تخرجوا - أيها المؤمنون - للجهاد في سبيل الله لقتال عدوكم يعاقبكم الله بالقهر والإذلال وغيره، ويستبدل بكم قومًا مطيعين لله إذا استنفروا للجهاد نفروا، ولا تضروه شيئًا بمخالفتكم أمره، فهو غني عنكم، وأنتم الفقراء إليه، والله على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء، فهو قادر على نصر دينه ونبية من دونكم.

﴿٣٠﴾ إن لم تضروا أيها المؤمنون رسول الله ﷺ، وتستجيبوا لدعوته للجهاد في سبيل الله، فقد بصره الله دون أن تكونوا معه حين أخرجته المشركين هو وأبا بكر ﷺ، لا ثالث لهما حين كانا في غار ثور مستخفين من الكفار الذين كانوا يبحثون عنهما، حين يقول رسول الله ﷺ لصاحبه أبي بكر الصديق حين خاف عليه أن يدركه المشركون لا تحزن إن الله معنا بتأييده ونصره، فأنزل الله الطمأنينة على قلب رسوله، وأنزل عليه جنودًا لا تشاهدونهم وهم الملائكة يؤيدونه، وصيّر كلمة المشركين السفلى، وكلمة الله هي العليا حين أعلى الإسلام، والله عزيز في ذاته وقهره وملكه، لا يغالبه أحد، حكيم في تدبيره وقدره وشرعه.

● مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- العادات المعالفة للشرع بالاستمرار عليها دونما إنكار لها يزول قبحها عن النفوس، وربما طُن أنها عادات حسنة.
- عدم التقير في حال الاستمرار من كبائر الذنوب الموجبة لأشد العقاب، لما فيها من المضار الشديدة.
- فضيلة السكينة، وأنها من تمام نعمة الله على العبد في أوقات الشدائد والمحاف التي تطيش فيها الأفتدة، وأنها تكون على حسب ممرهة العبد بربه، وثقته بوعده الصادق. وبحسب إيمانه وشجاعته.
- أن الحزن قد يعرض لحواص عباد الله الصديقين وخاصة عند الخوف على فوات مصلحة عامة.

﴿١٣﴾ سيروا، أيها المؤمنون - للجهاد في سبيل الله في العسر واليسر، شبابًا وشيوخًا، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم، فإن ذلك الخروج والجهاد بالأموال والأنفس أكثر نفعًا في الحياة الدنيا والآخرة من القعود والتعلق بسلامة الأموال والأنفس، إن كنتم تعلمون ذلك فاحرصوا عليه.

﴿١٤﴾ لو كان ما تدعون إليه الذين استاذنوك من المنافقين في التخلف عنكم سهلة وسيرًا لا مشقة فيه لاتبعوك أيها النبي ولكن بُذنت عليهم المسافة التي دعوتهم لقطعها إلى العدو فتخلفوا، وسيخلف بالله هؤلاء المستاذنون من المنافقين في التخلف عندما ترجع إليهم قائلين: لو استطعنا الخروج إلى الجهاد معكم لخرجنا، يهلكون أنفسهم بتعريضها لعقاب الله بسبب تخلفهم وسبب هذه الأيمان الكاذبة، والله يعلم أنهم كاذبون في دعواهم، وفي أيمانهم هذه.

﴿١٥﴾ عفا الله عنك أيها الرسول اجتهدك في الإذن لهم في التخلف، فلم سمحت لهم فيه؟ حتى يتضح لك الصادقون في أعدائهم التي قدموها، والكاذبون فيها، فتأذن للصادقين منهم دون الكاذبين.

﴿١٦﴾ ليس من شأن المؤمنين بالله، ويوم القيامة إيمانًا صادقًا أن يطلبوا منك - أيها الرسول - الإذن في التخلف عن الجهاد في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، بل شأنهم أن ينفروا متى استنفرتهم، ويجاهدوا بأموالهم وأنفسهم، والله عليم بالمؤمنين من عباده الذين لا يستاذنوك إلا لأعذار تمنعهم من الخروج معك.

انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٤﴾ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٥﴾ لَا يَسْتَغْنِيكَ الَّذِينَ يُولُؤُنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا يَسْتَغْنِيكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَآزَتْ أَبَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿١٧﴾ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿١٨﴾ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعِفُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾

١٩٤

﴿١٧﴾ إن الذين يطلبون منك أيها الرسول الإذن في التخلف عن الجهاد في سبيل الله هم المنافقون الذين لا يؤمنون بالله ولا يؤمنون بيوم القيامة، وأصاب قلوبهم الشك في دين الله، فهم في شكهم يترددون حيارى لا يهتدون إلى الحق.

﴿١٨﴾ ولو كانوا صادقين في دعوى أنهم يريدون الخروج معك للجهاد في سبيل الله لتأهبوا له بإعداد العدة، ولكن أبغض الله خروجهم معك، فثبث عليهم الخروج حتى أثروا القعود في منازلهم.

﴿١٩﴾ ولما كان تخلف هؤلاء قد يحزن المؤمنين طمأنهم الله بأن خروجهم أكثر ضررًا من تخلفهم فقال: من الخير ألا يخرج هؤلاء المنافقون معكم، فهم إن خرجوا معكم ما زادوكم إلا فسادًا بما يقومون به من التحذيل والقاء الشبه، ولا سرعوا في صفوفكم بنشر النميمة لتفريقكم، وفيكم أيها المؤمنون من يستمع إلى ما يروحوه من الكذب، فيقبله وينشره، فينشأ الاختلاف بينكم، والله عليم بالظالمين من المنافقين الذين يلقون الدسائس والشكوك بين المؤمنين.

من فوّه بالآيات،

- وجوب الجهاد بالنفس والمال كلما دعت الحاجة.
- الأيمان الكاذبة توجب الهلاك.
- وجوب الاحتراز من العجلة، ووجوب التثبت والتأني، وترك الاغترار بطواهر الأمور، والمبالغة في التفحص والترث.
- من عناية الله بالمؤمنين تثبيطه المنافقين ومنعهم من الخروج مع عباده المؤمنين، رحمة بالمؤمنين ولفظًا من أن يداخلهم من لا ينفعهم بل يضرهم.



لَقَدْ ابْتَغُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى  
جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَرِهُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْهُمْ  
مَنْ يَقُولُ أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى وَلَا تَقْتَتِلْ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ  
جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِنْ تُصِيبَكَ  
حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ  
أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَسَوَّيْنَا أَوْهَمَ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُلْ  
لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى  
اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ هَلْ تَرَى بَصُورًا إِلَّا  
إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَرَى بَصِيرَةً أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ  
بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَى بَصُورًا إِنَّا مَعَكُمْ  
مُتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يَقْبَلَ  
مِنْكُمْ إِنَّا نَكُفُّكُمْ عَنْ قَوْمٍ فَاسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا  
مَنْعَهُمْ أَنْ تَقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا  
بِاللَّهِ وَبِرُسُلِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ  
كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٥٤﴾

﴿٤٨﴾ لقد حرص هؤلاء المنافقون على الإفساد بتفريق كلمة المؤمنين، وتشتيت شملهم من قبل غزوة تبوك، وتوعدوا وصرفوا لك أيها الرسول الأمور بتدبير الحيل، لعل حيلهم تؤثر في عزمك على الجهاد، حتى جاء نصر الله وتأييده لك، وأمر الله دينه وقهر أعداءه، وهم كارهون لذلك؛ لأنهم كانوا يرغبون في انتصار الباطل على الحق.

﴿٤٩﴾ ومن المنافقين من يعتذر بالأعذار المختلفة فيقول: يا رسول الله، ائذن لي في التحلف عن الجهاد، ولا تحملني على الخروج معك حتى لا أصيب دنياً بسبب فتنة نساء العدو - الروم - إذا شاهدتهن. ألا قد وقعوا في فتنة أعظم مما زعموا، وهي فتنة النفاق، وفتنة التخلف، وإن جهنم يوم القيامة لمحيطة بالكافرين، لا يفوتها منهم أحد، ولا يجدون عنها مهرباً.

﴿٥٠﴾ إن نالتك - يا رسول الله - نعمة من الله بما يسرك من نصر أو غنيمة كرهوا ذلك، وحزنوا له، وإن نالتك مصيبة من شدة أو انتصار عدو يقول هؤلاء المنافقون: قد احتطنا لأنفسنا، وأخذنا بالحزم حين لم نخرج للقتال كما خرج المؤمنون، فأصابهم ما أصابهم من القتل والأسر، ثم ينصرف هؤلاء المنافقون إلى أهلهم مسرورين بالسلامة.

﴿٥١﴾ قل أيها الرسول لهؤلاء المنافقين، لن ينالنا إلا ما كتبه الله لنا، فهو سبحانه سيدنا وملحونا الذي نلجأ إليه، ونحن متوكلون عليه في أمورنا، وإليه وحده يفوض المؤمنون أمورهم، فهو كافيتهم، ونعم الوكيل.

﴿٥٢﴾ قل أيها الرسول لهم:

هل تنظرون أن يقع لنا إلا النصر أو الشهادة؟ ونحن نسطر أن ينزل بكم الله عذاباً من عنده يهلككم أو يعذبكم بأيدينا بقتلكم وأسركم إذا أذن لنا بقتلكم، فانتظروا عاقبتنا، إنا منتظرون عاقبتكم.

﴿٥٣﴾ قل أيها الرسول لهم: ابدلوا ما تبدلون من أموالكم طوعاً أو كرهاً، لن يتقبل منكم ما أنفقتم منها ل كفركم وخروجكم عن طاعة الله.

﴿٥٤﴾ وما منهم من قبل نفقاتهم إلا ثلاثة أمور: كفرهم بالله وبرسوله، وكسلهم وتناقلهم إذا ضلوا، وأهم لا ينفقون أموالهم طوعاً، وإنما ينفقونها كرهاً، لأنهم لا يرجون ثواباً في صلاتهم، ولا في إنفاقهم.

مِنْ قَوْلِهِ الْآيَاتُ:

- دأب المنافقين السعي إلى إلحاق الأذى بالمسلمين عن طريق الدسائس والتجسس.
- التحلف عن الجهاد مفسدة كبرى وفتنة عظيمة محقة، وهي معصية لله ومعصية لرسوله.
- في الآيات تعليم للمسلمين ألا يحزنوا لما يصيبهم؛ لئلا يهتوا وتذهب قوتهم، وأن يرضوا بما قدر الله لهم، ويرحوا رصا ربهم؛ لأنهم واقفون بأن الله يريد نصر دينه.
- من علامات ضعف الإيمان وقلة التقوى النكاس في أداء الصلاة والإنفاق عن غير رضا ورجاء للثواب.

﴿٥٥﴾ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَخْلِفُونَ بِأَلْفِهِمْ إِنْهُمْ لِمِنْكُمْ وَمَا هُمْ بِمِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ ﴿٥٧﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأًا أَوْ مَغْرَبًا أَوْ مَذْخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٨﴾ وَمِنْهُمْ مَن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْتَخْطُونَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٦٠﴾ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦١﴾ وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٢﴾

﴿٥٥﴾ وَيُقَسِّمُ الْمُنَافِقُونَ لَكُمْ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ كَاذِبِينَ إِنَّهُمْ لَمِنْ جَمَلَتِكُمْ، وَهُمْ لَيْسُوا بِكُمْ فِي بَوَاطِنِهِمْ، وَإِنْ أَظْهَرُوا أَنَّهُمْ مِنْكُمْ، لَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَخَافُونَ أَنْ يَحِلَّ بِهِمْ مَا حَلَّ بِالْمُشْرِكِينَ مِنَ الْقَتْلِ وَالسَّبْيِ، فَيُظْهِرُونَ الْإِسْلَامَ تَقِيَّةً.

﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ مَلْجَأً مِنْ حَصْنٍ يَحْفَظُونَ فِيهِ أَنْفُسَهُمْ، أَوْ يَجِدُونَ كَهْوًا فِي الْجِبَالِ يَخْتَبِئُونَ فِيهَا، أَوْ يَجِدُونَ بَقْعًا يَدْخُلُونَ فِيهِ لَاتَحْجُوا إِلَيْهِ، وَدَخَلُوا فِيهِ وَهُمْ مُسْرِعُونَ.

﴿٥٧﴾ وَمِنَ الْمُنَافِقِينَ مَنْ يَعْبُكُ أَيُّهَا الرَّسُولُ فِي قِسْمَةِ الصَّدَقَاتِ عِنْدَمَا لَا يَنَالُونَ مِنْهَا مَا يَرِيدُونَ، فَإِنْ أُعْطِيَتْهُمْ مِنْهَا مَا يَطْلُبُونَ رَضُوا عَنْكَ، وَإِنْ لَمْ تُعْطِهِمْ مَا يَطْلُبُونَ مِنْهَا أَظْهَرُوا التَّذَمُّرَ.

﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ يَعْبُونَكَ فِي قِسْمَةِ الصَّدَقَاتِ رَضُوا بِمَا فَرَضَهُ اللَّهُ لَهُمْ، وَبِمَا أَعْطَاهُمْ رَسُولُهُ مِنْهَا، وَقَالُوا: كَافَيْنَا اللَّهُ، سَيُعْطِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ مَا شَاءَ، وَسَيُعْطِينَا رَسُولُهُ مِمَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ، إِنَّا إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ رَاغِبُونَ أَنْ يُعْطِينَا مِنْ فَضْلِهِ، لَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا ذَلِكَ لَكَانَ حِزًّا لَهُمْ مِنْ أَنْ يَعْبُوكَ.

﴿٥٩﴾ وَلَمَّا عَابُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي

قِسْمَتِهَا يَثْنُ لَهُمْ مَصَارِفَهَا وَمُسْتَحَقِّيَهَا تَبَرُّةً لِّرَسُولِهِ، فَقَالَ:

﴿٦٠﴾ إِنَّمَا لِرِزْقَاتِ الْوَاحِدَةِ يَجِبُ أَنْ تُصَرَّفَ لِلْفُقَرَاءِ، وَهُمْ الْمُحْتَاجُونَ الدِّينَ لَدَيْهِمْ مَالٌ مِنْ مِهْنَةٍ أَوْ وَطِيفَةٍ، لَكِنَّهُ لَا يَكْفِيهِمْ وَلَا يَنْتَبِهُ لِحَالِهِمْ، وَالْمَسَاكِينُ الدِّينُ لَا يَكَادُونَ يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَخْفَوْنَ عَلَى النَّاسِ سَبَبَ حَالِهِمْ، وَلِلْعَسَاةِ الَّذِينَ يَرْسُلُهُمُ الْإِمَامُ لِحَمَمِهَا، وَلِلْكَافَرِ الَّذِينَ يُتَآلَمُونَ بِهَا لَيْسَلُمُوا، أَوْ لَضَعْفَةِ الْإِيمَانِ لِيَقْوَى إِيْمَانُهُمْ، أَوْ لِمَنْ يُدْفَعُ بِهَا شَرُّهُ، وَتُصَرَّفُ فِي الْأَرْقَاءِ لِيُعْتَقُوا بِهَا، وَلِلْمَدِينِينَ فِي غَيْرِ اسْرَافٍ وَلَا مَعْصِيَةٍ إِنْ لَمْ يَجِدُوا وَفَاءً لِمَا عَلَيْهِمْ مِنْ دِينٍ، وَتُصَرَّفُ فِي تَحْزِيرِ الْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَلِلْمَسَافِرِ الَّذِي انْطَلَمَتْ نَفْسُهُ، فَضَرَّ صَرْفَ الرِّزْقَاتِ عَلَى هَؤُلَاءِ فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَصَالِحِ عِبَادِهِ، حَكِيمٌ فِي تَدْبِيرِهِ وَشَرْعِهِ.

﴿٦١﴾ وَمِنَ الْمُنَافِقِينَ مَنْ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِالْكَلَامِ، يَقُولُونَ لَهَا شَاهَدُوا حِلْمَهُ ﷺ: إِنَّهُ يَسْمَعُ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ وَيُصَدِّقُهُ، وَلَا يُمَيِّزُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، قُلْ لَهُمْ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - إِنْ الرَّسُولُ لَا يَسْمَعُ إِلَّا الْخَيْرَ، يُصَدِّقُ بِاللَّهِ، وَيُصَدِّقُ مَا يَجْبِرُ بِهِ الْمُؤْمِنُونَ الصَّادِقُونَ وَيَرْحَمُهُمْ، فَإِنْ بَعَثَهُ رَحْمَةً لِمَنْ آمَنَ بِهِ، وَالَّذِينَ يُؤْذُونَهُ ﷺ نَأْيَ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْإِيْذَاءِ لَهُمْ عَذَابٌ مُّوَحَّجٌ.

• مِنْ قَوْلِهَا: أَلَكُنَّاتِ،

• الْأَمْوَالُ وَالْأَوْلَادُ قَدْ تَكُونُ سَبَبًا لِلْعَذَابِ فِي الدُّنْيَا، وَقَدْ تَكُونُ سَبَبًا لِلْعَذَابِ فِي الْآخِرَةِ، فَلْيَتَعَامَلِ الْعَبْدُ مَعَهُمَا بِمَا يَرْضَى مَوْلَاهُ، فَتُحَقِّقَ بِهِمَا النِّجَاحَ. • تَوْزِيعُ الزَّكَاةِ مُوَكَّلٌ لِاجْتِهَادِ وَلَاةِ الْأُمُورِ يَضَعُونَهَا عَلَى حَسَبِ حَاجَةِ الْأَصْنَافِ وَسَعَةِ الْأَمْوَالِ.

• إِيْذَاءُ الرَّسُولِ ﷺ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِرِسَالَتِهِ كُفْرٌ، يَتَرْتَبُ عَلَيْهِ الْعِقَابُ الشَّدِيدُ. • يُنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يَكُونَ أَدْنُ خَيْرٍ لَا أَدْنُ شَرٍّ، يَسْتَمِعُ مَا فِيهِ الصَّلَاحُ وَالْحَيْرُ، وَيُعْرِضُ تَرْفَعًا وَإِبَاءً عَنِ سَمَاعِ الشَّرِّ وَالْفُسَادِ.

يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِرِضْوَانِكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ  
 أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ  
 يُحَادِدُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنْتَ لَهُ وَنَارُ جَهَنَّمَ خَلِيدًا فِيهَا  
 ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ  
 تُنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهِزُّوْا  
 إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ  
 لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ  
 وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ  
 بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعَفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ نَعَذِّبْ طَائِفَةً  
 بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ  
 بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ  
 عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ  
 إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ  
 وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ  
 حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾

١٩٧

يُقسم المنافقون بالله لكم  
 أيها المؤمنون أنهم لم يقولوا شيئاً  
 يؤذي النبي ﷺ، ذلك ليرضوكم عنهم،  
 والله ورسوله أولى بالإرضاء بالإيمان  
 والعمل الصالح إن كان هؤلاء مؤمنين  
 حقاً.

﴿٦٢﴾ ألم يعلم هؤلاء المنافقون أنهم  
 يعملهم هذا معادون لله ورسوله، وأن  
 من يعاديهما يدخل يوم القيامة نار  
 جهنم ماكثاً فيها أبداً؟ ذلك الهوان  
 والدل الكبير.

﴿٦٣﴾ يخاف المنافقون أن ينزل الله  
 على رسوله سورة تطلع المؤمنين على  
 ما يصمرونه في قلوبهم من الكفر،  
 قل - أيها الرسول استمروا أيها  
 المنافقون على سخريتكم وطمعكم  
 في الدين، فالله مخرج ما تخافون  
 بإزالة سورة أو بإخبار رسوله بذلك.

﴿٦٤﴾ ولئن سألت - أيها الرسول -  
 المنافقين عما قالوا من الطعن وسب  
 المؤمنين بعد إخبار الله لك به ليقولن:  
 كنا في حديث نمزح فيه ولم تكن  
 جادين، قل - أيها الرسول -: أبالله  
 وآياته ورسوله كنتم تستهزئون؟

﴿٦٥﴾ لا تعتذروا هذه الأعذار الكاذبة،  
 فقد أظهرتم الكفر باستهزائكم بعد  
 أن كنتم تضمرونه، إن سحاور عن  
 فريق منكم لتركه التفاق وتوبته منه  
 وإحلاصه لله، نعدب فريقاً منكم  
 لإصرارهم على النفاق وعدم توبتهم  
 منه.

﴿٦٦﴾ المنافقون رجالاً وساء متفقون  
 في أحوال النفاق، وهم على النقيض  
 من المؤمنين، فهم يأمرون بالمنكر  
 وينهون عن المعروف، ويبخلون  
 بأموالهم فلا ينفقونها في سبيل الله،  
 تركوا الله أن يطيعوه، فركهم الله من  
 توفيقه، إن المنافقين هم الخارجون عن طاعة الله وطريق الحق إلى معصيته وطريق الضلال.

﴿٦٧﴾ وعد الله المنافقين والكفار الذين لم يوبوا أن يدخلهم نار جهنم ماكثين فيها أبداً، هي كافيته عقاباً، وطردهم الله من  
 رحمته، ولهم عذاب مستمر.

من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- قبائح المنافقين كثيرة، ومنها الإقدام على الأيمان الكاذبة، ومعاداة الله ورسوله، والاستهزاء بالقران والنبي والمؤمنين، والتجوف من نزول سورة في القران تصح شأنهم، واعتذارهم بأنهم هارئون لاعبون، وهو إقرار بالذنب، بل هو عذر أقبح من الذنب.
- لا يقبل الهزل في الدين وأحكامه، ويعد الجوص بالباطل في كتاب الله ورسله وصفاته كفراً.
- التفاق: مرض عضال متاصل في البشر، وأصحاب ذلك المرض متشابهون في كل عصر وزمان في الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف، وقبض أيديهم وإسماهم عن الإنفاق في سبيل الله للجهاد، وفيما يجب عليهم من حق.
- الجزء من جنس العمل، فالذي يترك أوامر الله ويأتي نواهيه يتركه من رحمته.



في الكفر والاستهزاء مثل الأمم المكذبة من قبلكم، كانوا أعظم قوة منكم وأكثر أموالاً وأولاداً، هتتمتموا بنصيبهم المكتوب لهم من لذات الدنيا وشهواتها، هتتمتم أنتم أيها المنافقون بنصيبكم المقدر لكم من ذلك مثل تمتع الأمم المكذبة السابقة بنصيبهم، وخضتم في التكذيب بالحق والظعن في الرسول مثل خوضهم في التكذيب به والظعن على رسلهم، أولئك المتصفون بتلك الصفات الذميمة هم الذين بطلت أعمالهم لفسادها عند الله بالكفر، وهم الخاسرون الذين خسروا أنفسهم بإيرادها موارد الهلاك.

﴿٧٧﴾ ألم يأت هؤلاء المنافقين خبر ما فعلته الأمم المكذبة، وما فعل بها من عقاب: قوم بوح، وقوم هود، وقوم صالح، وقوم إبراهيم، وأصحاب مدين، وقرى قوم لوط، جاءتهم رسلهم بالبرهين الواضحة والحجج الحية، فما كان الله ليظلمهم؛ فقد أنذرتهم رسلهم، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بما كانوا عليه من الكفر بالله وتكذيب رسله.

﴿٧٨﴾ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أنصار بعض وأعوانهم؛ لجمع الإيمان بينهم، يأمرون بالمعروف؛ وهو كل محبوب لله تعالى من وجوه طاعته كالنوحيد والصلاة، وينهون عن المنكر؛ وهو كل ما أبغضه الله تعالى من المعاصي كالكفر والربا، ويؤدون الصلاة كاملة على أكمل وجه، ويطيعون الله، ويطيعون رسوله، أولئك المتصفون بهذه الصفات الحميدة سيدخلهم الله في رحمته، إن الله

كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَآكَثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٧٦﴾ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمُ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٧﴾ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧٨﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٩﴾

﴿٧٩﴾ وغد الله المؤمنين بالله والمؤمنات به أن يدخلهم يوم القيامة جنات تجري الأنهار من تحت قصورها ماكنين فيها دائماً، لا يموتون فيها ولا ينقطع بعيمهم. ووعدهم أن يدخلهم مساكن حسنة في جنات إقامة. ورضوان يحله الله عليهم أكبر من ذلك كله، ذلك الجزاء المذكور هو الفوز العظيم الذي لا يدانيه نور.

﴿٨٠﴾ مِنْ قَوْلِهَا أَلْيَافُ

● سبب العذاب للكفار والمنافقين واحد في كل العصور، وهو إثارت الدنيا على الآخرة والاستمتاع بها، وتكذيب الأنبياء والمكر والخديعة والغدر بهم.

● إهلاك الأمم والأقوام الفائرة بسبب كفرهم وتكذيبهم الأنبياء فيه عظة وعبرة للمعتبر من العقلاء.

● أهل الإيمان رجالاً ونساء أمة واحدة مترابطة متعاونة متناصرة، قلوبهم متحدة في التواذ والتحاب والتعاطف.

● رضا رب الأرض والسموات أكبر من نعيم العنات، لأن السعادة الروحانية أفضل من الحسماية.

﴿٧٣﴾ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ، جَاهِدُوا الْكُفَّارَ بِقَاتِلِهِمْ بِالسَّيْفِ، وَجَاهِدُوا الْمُنَافِقِينَ بِاللِّسَانِ وَالْحُجَّةِ، وَاشْدُدْ عَلَى الْفَرِيقَيْنِ؛ فَهُمْ أَهْلُ لَذْلِكَ، وَمَقَرُّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَهَنَّمُ، وَسَاءَ الْمَصِيرُ.

﴿٧٤﴾ يحلف المنافقون بالله كاذبين؛ ما قالوا ما بلغك عنهم من السب لك والعيب لديك، ولقد قالوا ما بلغك عنهم مما يكفرهم. وأظهروا الكفر بعد إظهارهم الإيمان، ولقد همُّوا بما لم يظفروا به من الفتك بالنبي ﷺ، وما أنكروا شيئاً إلا شيئاً لا يُنكر، وهو أن الله تفضل عليهم باغنائهم من العنايم التي من بها على نبيه، فإن يبيعوا إلى الله من نفاقهم تكن توبتهم منه خيراً لهم من البقاء عليه، وإن يتولوا عن التوبة إلى الله يعذبهم عذاباً موجعاً في الدنيا بالقتل والأسر، ويعذبهم عذاباً موجعاً في الآخرة بالنار. وليس لهم ولي يتولاهم فينقدهم من العذاب، ولا ناصر يدفع عنهم العذاب.

﴿٧٥﴾ ومن المنافقين من عاهد الله قاتلاً: ثلث أعطانا الله من فضله لتصدقن على المحتاجين، ولنكونن من الصالحين الذين صلحت أعمالهم.

﴿٧٦﴾ فلما أعطاهم الله سبحانه من فضله لم يفوا بما عاهدوا الله عليه، بل منوا أموالهم فلم يتصدقوا بشيء. وتولوا وهم معرضون عن الإيمان.

﴿٧٧﴾ فجعل عاقبتهم نفاقاً ثابتاً في قلوبهم إلى يوم القيامة؛ عقاباً لهم على إخلافتهم لعهد الله، وعلى كذبهم.

﴿٧٨﴾ ألم يعلم المنافقون أن الله يعلم ما يخفون من الكيد والمكر في مجالسهم، وأن الله سبحانه علام الغيوب؟ فلا يخفى عليه من أعمالهم شيء، وسيجازيهم عليها.

﴿٧٩﴾ الذين يبيعون المتطوعين من المؤمنين ببذل الصدقات اليسيرة، الذين لا يعدون إلا شيئاً قليلاً هو حاصل ما يقدرون عليه، فيسخرُون منهم قائلين: ماذا تحدي صدقتهم؟ سخر الله منهم جزاء على سخريتهم بالمؤمنين. ولهم عذاب موجع.

● مِنْ قَوْلِهَا آيَاتُ،

- وجوب جهاد الكفار والمنافقين، فجهاد الكفار باليد وسائر أنواع الأسلحة الحربية، وجهاد المنافقين بالحجة واللسان.
- المنافقون من شر الناس؛ لأنهم غادرون يقابلون الإحسان بالإساءة.
- في الآيات دلالة على أن نقص العهد وإخلاف الوعد يورث النفاق، فيجب على المسلم أن يبالغ في الاحتراز عنه.
- في الآيات ثناء على قوة البدن والعمل، وأنها تقوم مقام المال، وهذا أصل عظيم في اعتبار أصول الثروة العامة والتنويه بشأن العامل.

يَأْتِيهَا النَّبِيُّ جِهْدُ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ  
وَمَا وَلَهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا  
وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ  
يُمَارِتُونَ آلَ وَنَانَهُمْ وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ  
مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمْ  
اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٧٤﴾ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ  
مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٥﴾ وَمِنْهُمْ مَن عَاهَدَ اللَّهُ لَيْنَءِ اتُّنَا  
مِنْ فَضْلِهِ لَتَصَّدَّقَنَّ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ  
﴿٧٦﴾ فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ  
مُّعْرِضُونَ ﴿٧٧﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ  
بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٨﴾  
أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ  
عَلَّمُ الْغُيُوبِ ﴿٧٩﴾ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ  
الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ  
فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾

﴿٨٠﴾ اطلب - أيها الرسول - المغفرة لهم، أو لا تطلبها لهم، فإن طلبتها سبعين مرة، فإنها على كثرتها لن توصل إلى مغفرة الله لهم؛ لأنهم كافرون بالله ورسوله، والله لا يوفق للحق الخارجين عن شرعه عن عمد وقصد.

﴿٨١﴾ فرح المتخلفون من المنافقين عن غزوة تبوك بقعودهم عن الجهاد في سبيل الله مخالفتين رسول الله، وكوهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحرِّ قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون ﴿٨٢﴾ فليضحكوا قليلاً وليبكو كثيراً جزاء بما كانوا يكسبون ﴿٨٣﴾ فإن رجعت الله إلى طائفة منهم فاستعدنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبداً ولن تقبلوا معي عدواً إنكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخلفين ﴿٨٤﴾ ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون ﴿٨٥﴾ ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهد أنفسهم وهم كفرون ﴿٨٦﴾ وإذا أنزلت سورة آمنوا بالله وجهدوا مع رسولهم استعدنك أولوا الطول منهم وقالوا ذرنا نكُنْ مع القاعدين ﴿٨٧﴾

﴿٨٧﴾ فليضحك هؤلاء المنافقون المتخلفون عن الجهاد قليلاً في حياتهم الدنيا المانية، وليبكوا كثيراً في حياتهم الآخرة الباقية، جزاء على ما كانوا اكتسبوه من الكفر والمعاصي والآثام في الدنيا

﴿٨٨﴾ فإن أعادك الله أيها النبي إلى فريق من هؤلاء المنافقين ثابت على نفاقه، فطلبوا منك الإذن بالخروج معك في غزوة أخرى، فقل لهم: لن تخرجوا - أيها المتخلفون - معي في الجهاد في سبيل الله أبداً عقوبة لكم، وحذراً من المفساد المترتبة على وجودكم معي، فقد رضيتم بالقعود والتخلف في غزوة تبوك، فاقعدوا وابقوا مع المتخلفين من المرضى والنساء والصبيان.

﴿٨٩﴾ ولا تصل أيها الرسول - على أي ميت من موتى المنافقين أبداً، ولا

أَسْتَغْفِرَ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٨٠﴾ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءَ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَعَدَّنَا لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقْبِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تَصِلْ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تَعْجَبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا أَنْزَلْتُ سُورَةً أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَعْنَدَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٨٦﴾

٢٠٠

تقف على قبره للدعاء له بالمغفرة، ذلك لأنهم كفروا بالله ورسوله، وماتوا وهم خارجون عن طاعة الله، ومن كان كذلك لا يُصلى عليه ولا يُدعى له.

﴿٨٨﴾ أيها الرسول - أموال هؤلاء المنافقين ولا أولادهم. إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الحياة الدنيا، وذلك بما يعانونه من المشاق في سبيلها، وما يصابون به من مصائب فيها، وأن تخرج أرواحهم من أحسادهم وهم على كفرهم. ﴿٨٩﴾ وإذا أنزل الله سورة على نبيه محمد ﷺ متضمنة للأمر بالإيمان بالله والجهاد في سبيله طلب الإذن في التخلف عنك أصحاب الفنى واليسار منهم، وقالوا: اتركنا نتخلف مع أصحاب الأعداء كالتضعفاء والرمثى.

• من قويا الآيات،

- الكافر لا ينفعه الاستغفار ولا العمل ما دام كافراً.
- الآيات تدل على قصر نظر الإنسان، فهو ينظر غالباً إلى الحال والواقع الذي هو فيه، ولا ينظر إلى المستقبل وما يتمتع عنه من أحداث.
- النهاون بالطاعة إذا حصر وقتها سبب لعقوبة الله وتبسيطه للعبد عن فعلها وقصلاها.
- في الآيات دليل على مشروعية الصلاة على المؤمنين، ورياسة قبورهم والدعاء لهم بعد موتهم. كما كان النبي ﷺ يفعل ذلك في المؤمنين.



﴿٨٧﴾ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَكِنَّ الرُّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَجِهُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأَوْلِيَّتِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيَيْنُهُمْ تَفِيضٌ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ﴿٩٢﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَعِذُّونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾

﴿٨٨﴾ أما الرسول والمؤمنون معه فلم يتحملوا عن الجهاد في سبيل الله مثل هؤلاء، وإنما جاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، وكان حزاؤهم عند الله حصول المنافع الدنيوية لهم كالتصبر والعناء، وحصول المنافع الآخروية، ومنها دخول الجنة، وحصول الفوز بالمطلوب والنجاة من المهراب.

﴿٨٩﴾ هيا الله لهم جنات تجري الأنهار من تحت قصورها ما كثر فيها أبدا، لا يلحقهم فناء، ذلك الجزاء هو الفلاح العظيم الذي لا يدانيه فلاح. ﴿٩٠﴾ وجاء قوم من أعراب المدينة ومن حولها يمتدرون إلى رسول الله ﷺ ليأذن لهم في التخلف عن الخروج والجهاد في سبيل الله، وتخلف قوم آخرون لم يمتدروا أصلا عن الخروج لعدم تصديقهم للنبي ولعدم إيمانهم بوعد الله، سينال هؤلاء بسبب كفرهم هذا عذاب مؤلم موجه.

﴿٩١﴾ ليس على النساء والصبيان والمرضى والعجزة والعمي والفقراء الذين لا يجدون ما ينفقونه من المال ليتجهزوا به، ليس على هؤلاء جميفا إثم في التخلف عن الجهاد لأن أعذارهم قائمة، إذا أخلصوا لله ورسوله، وعملوا بشرعه، ليس على المحسنين من أصحاب هذه الأعذار طريق لإيقاع العقاب عليهم، والله غفور لذنوب المحسنين، رحيم بهم.

﴿٩٢﴾ ولا إثم كذلك على المتخلفين عنك الذين إذا جاؤوك - أيها الرسول - يطلبون ما تحملهم عليه من الدواب وقلت لهم لا أجد ما أحملكم عليه من الدواب، أدبروا عنك وأعينهم تسبيل من الدمع أسفا على أنهم لم يجدوا ما ينفقون من عند أنفسهم أو من عندك. ﴿٩٣﴾ لما بين أن لا طريق لعقوبة أهل الأعذار ذكر من يستحق العقوبة والمواحدة، فقال: إنما الطريق بالعقوبة والمواحدة على أولئك الذين يطلبون منك - أيها الرسول - الإذن في التخلف عن الجهاد وهم قادرين عليه بوجود ما يتجهزون به، رضوا لأنفسهم الدلة والهوان بأن يبقوا مع الخوالف في البيوت، وختم الله على قلوبهم فلا تتأثر بموعظة، وهم بسبب هذا الختم لا يعلمون ما فيه مصلحتهم ليختاروه، وما فيه مفسدتهم ليتجنبوه.

• من قواية الآيات:

- المحاهدون سيحصلون العبرات في الدنيا، وإن فاتهم هذا فلمهم الفوز بالجنة والنجاة من العذاب في الآخرة.
- الأصل أن المحسن إلى الناس تكرا من لا يؤاخذ إن وقع منه تقصير.
- أن من نوى الخير، واقترب بنيتة الجازمة سقى فيما يقدر عليه، ثم لم يقدر - فإنه ينزل منزلة الفاعل له.
- الإسلام دين عدل ومنطق: لذلك أوجب العقوبة والمأثم على المنافقين المستأذنين وهم أغنياء ذوو قدرة على الجهاد بالنفس.

﴿٩٨﴾ يُقَدِّمُ الْمُنَافِقُونَ الْمُتَخَلِّفُونَ عَنِ  
الْجِهَادِ أَعْدَاؤًا وَاهِيَةً لِلْمُسْلِمِينَ حِينَ  
عُودَتِهِمْ مِنَ الْجِهَادِ، وَيُوجِّهُ اللَّهُ نَبِيَّه  
وَالْمُؤْمِنِينَ بِالرَّدِّ عَلَيْهِمْ: لَا تَعْتَذِرُوا  
بِالْأَعْدَارِ الْكَاذِبَةِ، لِنَاصِدِقِكُمْ فِيمَا  
أَخْبَرْتُمُونَهَا بِهَا، قَدْ أَعْلَمْنَا اللَّهُ  
شَيْئًا مِمَّا فِي نَفْسِكُمْ، وَسِيرَى اللَّهِ  
وَرَسُولُهُ: هَلْ سَتْتَوِيْبُونَ، فَيَقْبِلُ اللَّهُ  
تَوْبَتِكُمْ، أَوْ تَسْتَمِرُّونَ عَلَى نِفَاقِكُمْ؟ ثُمَّ  
تَرْجِعُونَ إِلَى اللَّهِ الَّذِي يَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ،  
فَيُخَبِّرُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ، وَيُجَازِيكُمْ  
عَلَيْهِ، فَيُادِرُوا إِلَى التَّوْبَةِ وَالْعَمَلِ  
الصَّالِحِ.

﴿٩٩﴾ سَيَقْسِمُ هَؤُلَاءِ الْمُتَخَلِّفُونَ بِاللَّهِ  
إِذَا رَجَعْتَ إِلَيْهَا الْمُؤْمِنُونَ إِلَيْهِمْ  
تَأْكِيدًا لِأَعْدَارِهِمُ الْبَاطِلَةِ: لَتَكُونُوا عَنْ  
لَوْمِهِمْ وَتَوْبِيْخِهِمْ، فَاتْرَكُوهُمْ تَرَكَ  
سَاحِلُ وَاهِجْرُوهُمْ، إِنَّهُمْ أَجَاسُ  
خَبِيْثَاءُ الْبَاطِلِ، وَمُسْتَقْرَهُمُ الَّذِي  
يَأْوُونَ إِلَيْهِ هُوَ جَهَنَّمُ، جَزَاءٌ لَهُمْ عَلَى  
مَا يَكْسِبُونَهُ مِنَ النِّفَاقِ وَالْإِثْمِ.

﴿١٠٠﴾ يَقْسِمُ هَؤُلَاءِ الْمُتَخَلِّفُونَ لَكُمْ  
أَيْهَا الْمُؤْمِنُونَ لَتَرْضَوْا عَنْهُمْ،  
وَتَقْبَلُوا أَعْدَارَهُمْ، فَلَا تَرْضَوْا عَنْهُمْ،  
فَإِنَّ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَقَدْ خَالَفْتُمْ رِبْكَمُ،  
فَإِنَّهُ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْهَاجِرِينَ  
عَنِ طَاعَتِهِ بِالْكَفْرِ وَالنِّفَاقِ: فَاحْذَرُوا  
- أَيْهَا الْمُسْلِمُونَ - أَنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ لَا  
يَرْضَى اللَّهُ عَنْهُمْ.

﴿١٠١﴾ أَهْلُ الْبَيَادَةِ إِنْ كَفَرُوا أَوْ نَافَقُوا  
كَانَ كُفْرُهُمْ أَشَدَّ مِنْ كُفْرِ غَيْرِهِمْ مِنْ  
أَهْلِ الْحَضَرِ، وَنِفَاقُهُمْ أَشَدُّ مِنْ نِفَاقِ  
أَوْلَئِكَ، وَهُمْ آخَرَى بِالْجَهْلِ بِالْإِيمَانِ،  
وَأَحَقُّ بِالْأَعْلَامِ الْفَرَاغِ وَالسَّنَنِ  
وَضَوَائِطِ الْأَحْكَامِ الَّتِي أَنْزَلَهَا عَلَى  
رَسُولِهِ: لَمَّا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْجَفَاءِ

يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا  
لَنُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى  
اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ يُؤْمِرُ تَرْدُونَ إِلَى عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ  
فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ سَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ  
لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا  
عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجِسٌ وَمَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا  
يَكْسِبُونَ ﴿١٠٠﴾ يَخْلِفُونَ لَكُمْ لَتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ  
تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ  
﴿١٠١﴾ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ  
مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنْ  
الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمْ  
الَّذِينَ أَسْرَ عَلَيْهِمْ ذَاكِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنْ  
الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ  
قُرْبَةً عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَواتِ الرَّسُولِ إِلَّا أَن تَهَاقُرْ بَيْنَهُمْ  
سَيِّدٌ خِلَهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩٩﴾

والغلظة وقلة المخالطة، والله عليم بأحوالهم، لا يخفى عليه منها شيء، حكيم في تدبيره وشرعه.

﴿٩٨﴾ ومن سكان البادية المنافقين من يعتقد أن ما يتفق به من مال في سبيل الله حسان وغرامة؛ لتوهمه أنه لا يؤجر إن أنفق، ولا يعاقبه الله إن أمسك، ولكنه مع هذا ينفق أحياناً رياءً وتقية، وينتظر أن ينزل بكم - أَيْهَا الْمُؤْمِنُونَ - شر فيخلص منكم، جعل الله ما يتمنونه أن يقع على المؤمنين من الشر ودوران الزمان بما لا تحمد عقباه واقفاً عليهم هم لا على المؤمنين، والله سميع لما يقولونه، عليم بما يضمرونه.

﴿٩٩﴾ ومن سكان البادية من يؤمن بالله، ويؤمن بيوم القيامة، ويجعل ما يتفق به من مال في سبيل الله قربات يتقرب بها إلى الله، ووسيلة للظفر بدعاء الرسول ﷺ واستغفاره له، ألا إن إنفاقه في سبيل الله ودعاء الرسول له قربات له عند الله، سيجد ثوابها عنده بأن يدخله الله في رحمته الواسعة التي تشمل مغفرته وجنته، إن الله غفور لمن تاب من عباده، رحيم بهم.

• من فوائد الآيات:

- ميدان العمل والتكاليف خير شاهد على إظهار كذب المنافقين من صدقهم.
- أهل البادية إن كفروا فهم أشد كفراً ونفاقاً من أهل الحضرة؛ لتأثير البيئة.
- الحصر على النعمة في سبيل الله مع إخلاص النية، وعظم أجر من فعل ذلك.
- فضيلة العلم، وأن فاقده أقرب إلى الخطأ.

وَالسَّيْقُونِ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ  
 اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ  
 لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا  
 ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ  
 مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُّوا عَلَى النَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ  
 نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ  
 عَظِيمٍ ﴿١٤﴾ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا  
 وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ  
 ﴿١٥﴾ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ  
 إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ  
 اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ  
 اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٧﴾ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ  
 وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ  
 فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَآخَرُونَ مُرْجُونَ لَأَمْرِ اللَّهِ  
 إِمَّا يَعْذِيبُهُمْ وَإِمَّا يَنْتَوِبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٩﴾

٢٠٣

الذين بادروا أولاً إلى الإيمان من المهاجرين الذين هاجروا من ديارهم وأوطانهم إلى الله، ومن الأنصار الذين نصرُوا نبيه ﷺ، والذين اتبعوا المهاجرين والأنصار السابقين إلى الإيمان بإحسان في الاعتقاد والأقوال والأفعال - رضي الله عنهم فقبل طاعتهم، ورضوا عنه لما أعطاهم من ثوابه العظيم، وأعدَّ لهم جنات تجري الأنهار تحت قصورها، ماكنين فيها أبداً، ذلك الجزاء هو الفلاح العظيم. ﴿١٣﴾ وممن هم قريون من المدينة من سكان البادية منافقون، ومن أهل المدينة منافقون أقاموا على النفاق وثبتوا عليه، لا تعلمهم - أيها الرسول - الله هو الذي يعلمهم، سيُعَذِّبُهُم الله مرتين، مرة في الدنيا بانكشاف نفاقهم وقتلهم وأسْرهم، ومرة في الآخرة بعداب القبر، ثم يردون يوم القيامة إلى عذاب عظيم في الدرك الأسفل من النار.

﴿١٤﴾ ومن أهل المدينة قوم آخرون تخللوا عن العرو من غير عذر، فأفروا على أنفسهم بأنهم لم يكن لهم عذر، ولم يأتوا بأعذار كاذبة، مزحوا أعمالهم الصالحة السابقة من القيام بطاعة الله، والتمسك بشرائعه، والجهاد في سبيله بعمل سيئ يرجون من الله أن يتوب عليهم، ويتجاوز عنهم، إن الله غفور لمن تاب من عباده، رحيم بهم.

﴿١٥﴾ خذ أيها الرسول - من أموالهم زكاة تطهرهم بها من دنس المعاصي والآثام، وتُزَكِّي حسناتهم بها، وادع لهم بعد أخذها منهم، إن دعاءك رحمة لهم وطمأنينة، والله سميع لدعائكم، عليم بأعمالهم ونياتهم.

﴿١٦﴾ يعلم هؤلاء المتعلمون عن الجهاد والتائبون إلى الله أن الله يقبل التوبة من عباده التائبين إليه، وأنه يقبل الصدقات وهو غني عنها، ويثبت المتصدق على صدقته، وأنه سبحانه هو التواب على من تاب من عباده، الرحيم بهم.

﴿١٧﴾ وقال أيها الرسول لهؤلاء المتخلفين عن الجهاد والتائبين من ذنبهم: اجبروا ضرر ما فاتكم، وأخلصوا أعمالكم لله، واعملوا بما يرضيه، فسيري الله ورسوله والمؤمنون أعمالكم، وسترجعون يوم القيامة إلى ربكم الذي يعلم كل شيء، فيعلم ما تسرون وما تعلنون، وسيخبركم بما كنتم تعملون في الدنيا، ويجازيكم عليه.

﴿١٨﴾ ومن المتخلفين عن غزوة تبوك قوم آخرون لم يكن لهم عذر، فهؤلاء مُؤَخَّرُونَ لقضاء الله وحكمه فيهم، يحكم فيهم بما يشاء: إما أن يعذبهم إن لم يتوبوا إليه، وإما أن يتوب عليهم إن تابوا. والله عليم بمن يستحق عقابه، وبمن يستحق عفوه، حكيم في شرعه وتدبيره، وهؤلاء هم: مرارة بن الربيع، وكعب بن مالك، وهلال بن أمية.

● من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- فضل المسارعة إلى الإيمان، والهجرة في سبيل الله، ونصرة الدين، واتباع طريق السلف الصالح. ● استثناء الله ﷻ لعلم العيب، فلا يعلم أحد ما في القلوب إلا الله. ● الرجاء لأهل المعاصي من المؤمنين بنوبة الله عليهم ومغفرته لهم إن تابوا وأصلحوا عملهم.
- وجوب الزكاة وبيان فضلها وأثرها في تنمية المال وتطهير النفوس من البخل وغيره من الآفات.



﴿١٠٠﴾ ومن المنافقين أيضًا أولئك الذين ابتغوا مسجدًا لغير طاعة الله، بل للإضرار بالمسلمين، وإظهار الكفر بتقوية أهل النفاق، وللتفريق بين المؤمنين، وللإعداد والانتظار لمن حارب الله ورسوله من قبل بناء المسجد، وليحلفن هؤلاء المنافقون لكم: ما قصدنا إلا الرفق بالمسلمين، والله يشهد إنهم لكاذبون في دعواهم هذه.

﴿١٠١﴾ مسجد هذه صفته لا تستجب -أيها النبي- لدعوة المنافقين لك للصلاة فيه، فإن مسجد قباء الذي أسس أول ما أسس على التقوى أولى بأن تصلي فيه من هذا المسجد الذي أسس على الكفر، في مسجد قباء رجال يحبون أن يتطهروا من الأحداث والأخبار بالماء، ومن المعاصي بالتوبة والاستغفار، والله يحب المتطهرين من الأحداث والأخبار والذنوب.

﴿١٠٢﴾ أيستوي من أسس بنيانه على تقوى من الله بامتثال أوامره، واجتنب نواهيه، ورضوان الله بالتوسع في أعمال البر مع من بنى مسجدًا للإضرار بالمسلمين وتقوية الكفر، والتفريق بين المؤمنين؟ لا يستويان أبدًا، فالأول بنيانه قوي متماسك لا يخشى عليه السقوط، وهذا مثله كمثل من بنى بنيانًا على شفير حفرة فتهدم وسقط، فانهار به بنيانه في قعر جهنم، والله لا يوفق القوم الظالمين بالكفر والنفاق وغير ذلك.

﴿١٠٣﴾ لا يزال مسجدهم الذي بنوه ضرارًا شكا ونفاقًا ثابتًا في قلوبهم حتى تقطع قلوبهم بالموت أو القتل بالسيف، والله عليم بأعمال عباده،

وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِزْهَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا الْمَسْجِدُ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَقَمْنَ أَكْثَرَ بُيِّنَةٍ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرًا مِّنْ أَكْثَرَ بُيِّنَةٍ وَعَلَىٰ شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَأَنْهَارُ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾ \* إِنْ اللَّهُ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْبَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِنِعْمَةِ اللَّهِ الَّتِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾

٢٠٤

حكيم فيما يحكم به من جراء على الخير أو الشر.

ولما بين الله فصائح المنافقين المتخلفين عن الجهاد ذكر جزاء المحاهدين في سبيله فقال:

﴿١١٠﴾ إن الله سبحانه اشترى من المؤمنين أنفسهم - مع أنهم ملوكه - تقصلاً منه - ثمن عال هو الجنة، حيث يقاتلون الكفار لتكون كلمة الله هي العليا، فيقتلون الكفار، ويقتلهم الكفار، وعد الله بذلك وعدًا صادقًا في التوراة: كتاب موسى، والإنجيل: كتاب عيسى عليه السلام، والقرآن: كتاب محمد ﷺ، ولا أحد أوفى بعهد من الله سبحانه: فاصرحوا وسروا أيها المؤمنون ببيعكم الذي بايعتم به الله، فقد ربحتم فيه ربحًا عظيمًا، وذلك البيع هو الفلاح العظيم.

• من فوائد الآيات:

- محبة الله ثابتة للمتطهرين من الأنحاس البدنية والروحية. • لا يستوي من عمل عملاً قصد به وجه الله، فهذا العمل هو الذي سيبقى ويسعد به صاحبه، مع من قصد بعمله نصرة الكفر ومحاربة المسلمين. وهذا العمل هو الذي سيمنى ويشقى به صاحبه.
- مشروعية الجهاد والحض عليه كانت في الأديان التي قبل الإسلام أيضًا. • كل حالة يحصل بها التفريق بين المؤمنين فإنها من المعاصي التي يتعين تركها وإزالتها، كما أن كل حالة يحصل بها جمع المؤمنين واتئلافهم يتعين اتباعها والأمر بها والحث عليها.

﴿١١٦﴾ هؤلاء الحاصلون على هذا الجزاء هم الراجعون مما كرهه الله وسخطه إلى ما يحبه ويرضاه، الذين ذلّوا خشية لله وتواضعاً فجدّوا في طاعته، العائدون لربهم على كل حال، الصائتمون، المصلون، الآمرون بما أمر الله به أو أمر به رسوله، الناهون عما نهى الله عنه ورسوله، الحافظون لأوامر الله بالاتباع، ولتواحيه بالاجتناب. وأخبر أيها الرسول المؤمنين المتصفين بهذه الصفات بما يسرهم في الدنيا والآخرة.

﴿١١٧﴾ لا ينبغي للنبي ولا ينبغي للمؤمنين أن يطلبوا المغفرة من الله للمشرّكين، ولو كانوا أقرباءهم. من بعد ما اتضح لهم أنهم من أصحاب النار، لموتهم على الشرك.

﴿١١٨﴾ وما كان طلب إبراهيم المغفرة لأبيه إلا بسبب وعده إياه ليطلبها له: رجاء أن يسلم، فلما اتضح لإبراهيم أن أساه عدو لله لعدم نفع النصح فيه، أو لعلمه بوحى أنه يموت كافراً تبرأ منه، وكان استغفاره له احتهاذاً منه، لا مخالفة لحكم أوحى الله إليه به، إن إبراهيم عليه السلام كثير التضرع إلى الله، كثير الصفح والتجاوز عن قومه الظالمين.

﴿١١٩﴾ وما كان الله ليحكم على قوم بالضلّال بعد أن وفقهم للهداية حتى يبين لهم المحرمات التي يجب اجتنابها، فإن ارتكبوا ما حرم عليهم بعد بيان تحريمه حكم عليهم بالضلّال، إن الله بكل شيء عليم، لا يخفى عليه شيء، وقد علمكم ما لم تكونوا تعلمون.

التَّائِبُونَ الْعَبِيدُونَ الْحَمِيدُونَ الْمُتَّخِذُونَ  
الزَّكَاةَ السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ  
وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ  
وَنَشِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٦﴾ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا  
أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَى قُرْبَى  
مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٧﴾  
كَانَ اسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا  
إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ  
لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٨﴾ وَمَا كَانَتْ لِلَّهِ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ  
هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ  
عَلِيمٌ ﴿١١٩﴾ إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي  
وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾  
لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ  
اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ  
فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢١﴾

﴿١٢٠﴾ إن الله له ملك السماوات وملك الأرض، لا شريك له فيهما، لا يخفى عنه فيهما خافية، يُحْيِي من شاء إحياءه، ويميت من شاء إماتته، وما لكم أيها الناس غير الله من ولي يتولى أموركم، وما لكم من نصير يدفع عنكم سوء، ويتصرّكم على عدوكم.

﴿١٢١﴾ لقد تاب الله على النبي محمد ﷺ، إذ أذن للمنافقين في التخلف عن غزوة تبوك. ولقد تاب على المهاجرين، وعلى الأنصار الذين لم يتحلفوا عنه، بل اتبعوه في غزوة تبوك مع شدة الحر وقلة ذات اليد وقوة الأعداء، بعدما كادت تميل قلوب طائفة منهم همّوا بترك الغزو، لما هم فيه من الشدة العظيمة، ثم وفقهم الله للثبات والخروج إلى الغزو، وتاب عليهم، إنه سبحانه رؤوف بهم رحيم، ومن رحمته توفيقهم للتوبة وقبولها منهم.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- بطلان الاحتجاج على جواز الاستغفار للمشرّكين بفعل إبراهيم عليه السلام.
- أن الذنوب والمعاصي هي سبب المصائب والخذلان وعدم التوفيق.
- أن الله هو مالك الملك، وهو ولينا، ولا ولي ولا نصير لنا من دونه.
- بيان فضل أصحاب النبي ﷺ على سائر الناس.

وهم: كعب بن مالك، ومرة بن الربيع، وهلال بن أمية؛ الذين خلّفوا عن التوبة وأخّر قبول توبتهم بمدّ تخلّفهم عن الخروج مع رسول الله ﷺ إلى تبوك، فأمر النبي ﷺ الناس بهجرانهم، وأصابهم حزن وغم على ذلك حتى ضاقت عليهم الأرض على سعتها، وضاقت صدورهم بما حصل لهم من الوحشة، وعلموا أنّ لا ملجأ لهم بلجؤون إليه إلا إلى الله وحده، فرحمهم بتوفيقهم للتوبة، ثم قبل توبتهم، إنه هو التواب على عباد، الرحيم بهم.

١٨١ يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله وعملوا بشرعه، اتقوا الله بامتثال أوامره، واجتنبوا نواهيه، وكونوا مع الصادقين في إيمانهم وأقوالهم وأعمالهم، فلا منجاة لكم إلا في الصدق.

١٨٢ ليس لأهل المدينة ولا لمن حولهم من سكان البادية أن يتخلّفوا عن رسول الله ﷺ إذا خرج إلى الجهاد بنفسه، وليس لهم أن يشكّوا بأنفسهم، ويصوتوها عن نفسه ﷺ، بل الواجب عليهم أن يبذلوا أنفسهم دون نفسه. ذلك لأنهم لا ينالهم عطش، ولا تعب، ولا مجاعة في سبيل الله، ولا ينزلون مكاناً يثير وجودهم به غيظ الكفار، ولا يصيبون من عدو قتلاً أو أسراً أو غنيمة أو هزيمة - إلا كتب الله لهم بذلك ثواب عمل صالح يقبله منهم، إن الله لا يضيع أجر المحسنين، بل يوفيههم إياه كاملاً، ويزيدهم عليه.

١٨٣ ولا يبذلون مالا قليلاً كان أو كثيراً، ولا يتجاوزون وادياً إلا كتب لهم

وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ١٨١ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ١٨٢ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ١٨٣ وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ١٨٤ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ١٨٥

ما عملوه من بذل ومن سفر ليقاتهم الله، فيعطيهما في الآخرة أجر أحسن ما كانوا يعملون. وما ينبغي للمؤمنين أن يخرجوا للقتال جميعاً حتى لا يُسْتَأْذَنُوا إذا ظهر عليهم عدوهم. فهلا خرج للجهاد فريق منهم، وبقي فريق ليرافقوا رسول الله ﷺ، ويتفقهوا في الدين بما يسمعون منه ﷺ من القرآن وأحكام الشرع، وينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم بما تعلموه: رجاء أن يحذروا من عذاب الله وعقابه، فيمتثلوا أوامره، ويجتنبوا نواهيه. وكان هذا في السرايا التي كان يبعثها رسول الله ﷺ إلى النواحي، ويختار لها طائفة من أصحابه.

١٨٥ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- وجوب تقوى الله والصدق وأنهما سبب للنجاة من الهلاك.
- عظم فضل التفقه في سبيل الله.
- وجوب التفقه في الدين مثله مثل الجهاد، وأنه لا قيام للدين إلا بهما معاً.



﴿١٣٣﴾ أمر الله تعالى المؤمنين بقتال من يجاورهم من الكفار؛ لما يسيئون من خطر على المؤمنين بسبب هربهم، وأمرهم كذلك أن يظهروا قوة وشدة من أجل إرهابهم ودفع شرهم. والله تعالى مع المؤمنين المتقين بعبودته وتأييده.

﴿١٣٤﴾ وإذا أنزل الله سورة على رسوله ﷺ فمن المنافقين من يسأل مستهزئاً ساحراً: أيكم زادته هذه السورة النازلة إيماناً بما جاء به محمد؟ فأما الذين آمنوا بالله وصدقوا رسوله فقد زادهم نزول السورة إيماناً إلى إيمانهم السابق، وهم مسرورون بما نزل من الوحي؛ لما فيه من منافعهم الدنيوية والأخروية.

﴿١٣٥﴾ وأما المنافقون فإن نزول القرآن بما فيه من أحكام وقصاص يزيدهم مرضاً وخبثاً بسبب تكذيبهم بما ينزل، فيزداد مرض قلوبهم بزيادة نزول القرآن؛ لأنهم كلما نزل شيء شكوا بما فيه وماتوا على الكفر.

﴿١٣٦﴾ أولاً ينظر المنافقون معتبرين بابتلاء الله لهم بكشف حالهم وفضح نفاقهم كل سنة مرة أو مرتين؛ ثم مع علمهم بأن الله تعالى هو فاعل ذلك بهم لا يتوبون إليه من كفرهم، ولا يقلعون عن نفاقهم، ولا هم يتذكرون ما حل بهم وأنه من الله!

﴿١٣٧﴾ وإذا أنزل الله سورة على رسوله ﷺ فيها ذكر أحوال المنافقين نظر بعض المنافقين إلى بعض قائلين: هل يراكم أحد؟ فإن لم يره أحد انصرفوا عن المجلس، ألا صرف الله قلوبهم عن الهداية والخير، وخذلهم بأنهم قوم لا يفهمون.

﴿١٣٨﴾ لقد جاءكم يا معشر العرب رسول من جنسكم، فهو عربي مثلكم، شاق عليه ما يسق عليكم، شديدة رعبته في هدايتكم والعناية بكم، وهو بالمؤمنين خاصة كثير العطف والرحمة.

﴿١٣٩﴾ فإن أعرضوا عنك، ولم يؤمنوا بما جئت به، فقل لهم: أيها الرسول، يكفني الله الذي لا معبود بحق سواه، عليه وحده اعتمدت، وهو سبحانه رب العرش العظيم.

● من قَوَائِدِ الآيَاتِ:

● وجوب ابتداء القتال بالأقرب من الكفار إذا اتسعت رقعة الإسلام، ودعت إليه حاجة.

● بيان حال المنافقين حين نزول القرآن عليهم وهي الترقب والاضطراب.

● بيان رحمة النبي ﷺ بالمؤمنين وحرصه عليهم.

● هي الآيات دليل على أن الإيمان يريد وينقص، وأنه ينبغي للمؤمن أن يتقيد إيمانه ويتعاهده فيحدده وينميهِ؛ ليكون دائماً في صعود.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ  
وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ  
﴿١٣٣﴾ وَإِذَا مَا أَنزَلْتُ سُورَةً فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ  
هَذِهِ ءِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ ءِيمَانًا وَهُمْ  
يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٣٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ  
رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١٣٥﴾ أَوَلَا  
يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ  
ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ ﴿١٣٦﴾ وَإِذَا مَا  
أَنزَلْتُ سُورَةً نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرِيكُمْ  
مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ  
لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣٧﴾ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ  
عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ  
رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٣٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ  
إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٣٩﴾

سُورَةُ التَّوْبَةِ

﴿٢٠٧﴾ وهو بالمؤمنين خاصة كثير العطف والرحمة.

﴿٢٠٨﴾ فإن أعرضوا عنك، ولم يؤمنوا بما جئت به، فقل لهم: أيها الرسول، يكفني الله الذي لا معبود بحق سواه، عليه وحده اعتمدت، وهو سبحانه رب العرش العظيم.

● من قَوَائِدِ الآيَاتِ:

● وجوب ابتداء القتال بالأقرب من الكفار إذا اتسعت رقعة الإسلام، ودعت إليه حاجة.

● بيان حال المنافقين حين نزول القرآن عليهم وهي الترقب والاضطراب.

● بيان رحمة النبي ﷺ بالمؤمنين وحرصه عليهم.

● هي الآيات دليل على أن الإيمان يريد وينقص، وأنه ينبغي للمؤمن أن يتقيد إيمانه ويتعاهده فيحدده وينميهِ؛ ليكون دائماً في صعود.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ١ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا  
أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ  
ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ  
إِنَّ هَذَا السَّحَرُ مِثْنٌ ٢ إِنْ رَبُّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ  
مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا أَمِنْ بَعْدَ إِذْنِهِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ  
أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٣ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ  
يَبْدُوهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَلِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا  
الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ  
وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ٤ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ  
ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ  
وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ  
لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ٥ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ  
اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ ٦

٢٠٨

• مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ:  
تقرير النبوة بالأدلة، ودعوة المكذبين  
للايمان مع تهديدهم بالعذاب.

• التفسير:  
الرحمة سيق الكلام على  
نظائرها في بداية سورة البقرة. هذه  
الآيات المتولة في هذه السورة آيات  
القرآن المحكم المتقن المشتمل على  
الحكمة والأحكام.

١ أكان باعثاً للناس على التعجب أن  
أنزلنا الوحي على رجل من جنسهم:  
امرين إياه أن يحذرهم من عذاب  
الله! وأخبر أيها الرسول الذين  
آمنوا بالله بما يسرهم: أن لهم  
منزلة عالية جزاء على ما قدموه من  
عمل صالح عند ربهم سبحانه، قال  
الكافرون: إن هذا الرجل الذي جاء  
بهذه الآيات لساحر ظاهر السحر.

٢ إن ربكم أيها المتعجبون هو  
الله الذي خلق السموات على عظمها،  
والأرض على اتساعها في ستة أيام، ثم  
علا وارفع على العرش، فكيف تعجبون  
من إرساله رجلاً من جنسكم؟ وهو  
وحده الذي يقضي ويفدر في ملكه  
الواسع، وما لأحد أن يشفع لديه في  
شيء إلا بعد إذنه ورضاه عن الشافع،  
ذلكم المتصف بهذه الصفات هو الله  
ربكم، فأخلصوا له العبادة وحده، أفلا  
تتعظون بكل هذه البراهين والحجج  
على وحدانيته؟ فمن كان له أدنى  
اعتاظ علم ذلك، وآمن به.

٣ إليه وحده رجوعكم يوم  
القيامة: ليحازيكم على أعمالكم، وعد

الله الناس بذلك وعداً صادقاً لا يخلفه. إنه على ذلك قادر، يبدأ إيجاد المخلوق على غير مثال سابق، ثم يعيده بعد موته؛ ليحزي  
سبحانه الذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحات بالعدل فلا ينقص من حسناتهم، ولا يزيد في سيئاتهم، والذين كفروا بالله  
ويرسله لهم شراب من ماء متناهي الحرارة، يقطع أمعاءهم، ولهم عذاب موجه سبب كفرهم بالله ويرسله.

٤ هو الذي جعل الشمس تشع الضوء وتبشره، وجعل القمر نوراً يستنار به، وقدر سيره بعدد منازل الثماني والعشرين، والمنزلة  
هي المسافة التي يقطعها كل يوم وليلة. لتعلموا أيها الناس - بالشمس عدد الأيام، وبالقمر عدد الشهور والسنين، ما خلق الله  
السموات والأرض وما فيها إلا بالحق؛ ليظهر قدرته وعظمته للناس، يبين الله هذه الأدلة الواضحة والبراهين الجلية على وحدانيته  
لقوم يعلمون الاستدلال بها على ذلك.

٥ إن في تعاقب الليل والنهار على العباد، وما يصحب ذلك من ظلمة وصياء، وقصر أحدهما وطوله، والمخلوقات التي في  
السموات والأرض لعلامات دالة على قدرة الله لقوم يتقون الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

• إثبات نبوة النبي ﷺ وأن إرساله أمر معقول لا عجب فيه. • خلق السموات والأرض ومن فيهما، وتدير الأمر، وتقدير الأزمان  
واختلاف الليل والنهار كلها آيات عظيمة دالة على ألوهية الله سبحانه. • الشفاعة يوم القيامة لا تكون إلا لمن أدن له الله، ورضي  
قوله وفعله. • تقدير الله ﷻ لحركة الشمس وللمنازل القمر يساعد على ضبط التاريخ والأيام والسنين.

إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَ نَارٍ وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا  
بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَٰئِكَ مَا لَهُمْ  
النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا  
الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهِمُ  
النَّهَارُ فِي جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعَوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ  
اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ  
لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ  
اسْتَعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ  
لَا يَرْجُونَ لِقَاءَ نَارٍ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ  
الضُّرُّ دَعَا إِلَىٰ جَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا  
عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرِّ مَسَّهُ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ  
لِلْمُتَسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ  
مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا  
لِيُؤْمِنُوا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ  
خَلْقًا فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

﴿٧﴾ إن الكافرين الذين لا يتوقعون لقاء الله فيخافوه أو يطمعوا فيه، وارتضوا الحياة الدنيا الفانية بدلاً من الحياة الآخورية الباقية، وسكنت أنفسهم إليها فرحة بها، والذين هم عن آيات الله ودلائله معرضون عنها لاهون.

﴿٨﴾ أولئك المتصمون بهذه الصفات مستقرهم الذي يأوون إليه هو النار؛ بسبب ما اكتسبوه من الكفر والتكذيب بيوم القيامة.

﴿٩﴾ إن الذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحات يرزقهم الله الهداية إلى العمل الصالح الموصول إلى رضاه؛ بسبب إيمانهم، ثم يدخلهم الله يوم القيامة في جنات النعيم الدائم، تجري من تحتهم الأنهار.

﴿١٠﴾ دعائهم في الجنة هو تسبيح الله وتقديسه، وتحية الله لهم وتحية الملائكة وتحية بعضهم لبعض؛ سلام، وخاتمة دعائهم الثناء على الله رب المحلوقات كلها.

﴿١١﴾ ولو يُعَجِّلُ الله سبحانه استجابة دعاء الناس على أنفسهم وأولادهم وأموالهم بالنشر عند الغضب، مثل ما يستجيب لهم في دعائهم بالخير لهلكوا، ولكن الله يمهلهم، فيترك الذين لا ينتظرون لقاء - لأنهم لا يخافون عقاباً ولا يرتحون ثواباً يتركهم مبردين حائرين مرتاسين في يوم الحساب.

﴿١٢﴾ وإذا أصاب الإنسان المسرف على نفسه مرض أو سوء حال، دعانا متذللًا متضرعًا مضطجعًا على جنبه أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا؛ رجاء أن يُزَال ما به من ضر، فلما استجبنا دعاءه، وأزلنا ما به من ضر مصى على ما كان عليه كأنه لم يدعنا لكشف ضر أصابه، كما زُيِّن لهذا المعرض الأسمرار في ضلاله دُيِّنَ للمتجاوزين للحدود بكفرهم ما كانوا يعملونه من الكفر والمعاصي، فلا يتركوه.

﴿١٣﴾ ولقد أهلكنا الأمم من قبلكم - أيها المشركون - لتكذيبهم برسُل الله وارتكابهم المعاصي، وقد جاءتهم رسلهم بالبينات، ولم يستمعوا لهم، ولم يوفقههم له، كما جازينا تلك الأمم الظالمة نجزي أمثالهم في كل زمان ومكان.

﴿١٤﴾ ثم ضيّرناكم أيها الناس - خلقاً لتلك الأمم المكذبة التي أهلكناها؛ لننظر كيف تعملون، هل تعملون خيراً فتثابوا عليه، أو تعملون شراً فتعاقبوا عليه؟

من هو يونس؟

- لطف الله بعباده في عدم إجابة دعائهم على أنفسهم وأولادهم بالنشر.
- بيان حال الإنسان بالدعاء في الضراء والإعراض عند الرجاء والتعدير من الاتصاف بذلك.
- هلاك الأمم السابقة كان سببه ارتكابهم المعاصي والظلم.



﴿١٥﴾ وإذا تقرأ عليهم الآيات القرآنية الواضحة الدالة على توحيد الله، قال منكرو البعث الذين لا يرجون ثواباً، ولا يخافون عقاباً: جئ - يا محمد - بقرآن غير هذا القرآن المشتمل على سب عبادة الأصنام أو غيره بتسخ بعضه أو كله بما يوافق أهواءنا، قل لهم أيها الرسول : لا يصح أن أغیره أنا، ولا أستطيع - بالأولى - الإتيان بغيره، بل الله وحده هو الذي يبدل منه ما يشاء، فليست أتعج إلا ما يوحيه الله إلي، إني أخاف إن عصيت الله بإجابتكم إلى ما طلبتم عذاب يوم عظيم، وهو يوم القيامة.

﴿١٦﴾ قل - أيها الرسول - : لو شاء الله ألا أقرأ القرآن عليكم ما قرأته عليكم، وما لفتكم إياه، ولو شاء الله ما أغفلكم بالقرآن على لساني، فقد مكث بينكم زمناً طويلاً - هو أربعون سنة - لا أقرأ ولا أكتب، ولا أطلب هذا الشأن ولا أبحث عنه، أفلا تدركون بقولكم أن ما جئكم به هو من عند الله، ولا شأن لي فيه؟

﴿١٧﴾ فلا أحد أظلم ممن اختلق على الله كدناً، فكيف لي أن أبدل القرآن اقتراء عليه، إن الشأن أن المتجاوزين لحدود الله بالاقتراء عليه لا يفورون بمطلوبهم.

﴿١٨﴾ ويعبد المشركون من دون الله آلهة مزعومة، لا تنفع ولا تضر، والمعبود بالحق ينفع ويضر متى شاء، ويقولون عن معبوداتهم: هؤلاء وسطاء يشفعون لنا عند الله فلا يعذبنا بذنوبنا، قل لهم أيها الرسول : أتخبرون الله العليم أن له شريكاً، وهو لا يعلم له شريكاً في السماوات ولا في الأرض،

وَإِذَا تَنَزَّلَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَنْتَ بَشَرٌ مِّثْلُ بَشَرِهِمْ أَوْ بَدَّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَدَّبِلَهُ وَمَنْ تِلْقَايَ نَفْسِي إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَفُضِّي بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾

٢١٠

تَقْدُسُ وَتَنْزُهُ عَمَّا يَقُولُهُ الْمُشْرِكُونَ مِنَ الْبَاطِلِ وَالْكَذِبِ.

﴿١٥﴾ وما كان الناس إلا أمة واحدة مؤمنة موحدة فاختلَفوا، فمنهم من بقى مؤمناً، ومنهم من كفر، ولولا ما مضى من قضاء الله أنه لا يحكم بينهم فيما اختلفوا فيه في الدنيا، وإنما يحكم بينهم فيه يوم القيامة، لولا ذلك لحكم بينهم في الدنيا فيما يختلفون فيه، فيتبين المهتدي من الضال.

﴿١٦﴾ ويقول المشركون: هَلَّا أُنزل على محمد آية من ربه دالة على صدقه؟ فقل لهم أيها الرسول : نزول الآيات غيب يختص الله بعلمه، فانظروا ما اقترحتهم من الآيات الحسية، إني معكم من المنتظرين لها.

﴿١٧﴾ مِنَ قَوْلِ الْآيَاتِ،

• عظم الافتراء على الله والكذب عليه وتحريف كلامه كما فعل اليهود بالتوراة.

• النفع والضرر بيد الله وحده دون ما سواه.

• بطلان قول المشركين بأن آلهتهم تشفع لهم عند الله.

• اتباع الهوى والاختلاف على الدين هو سبب الفرقة.

وَإِذَا أَدْقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَّسَتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَّكْرٌ  
 فِيءَ آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ  
 ٢١ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ  
 وَجَرَينَ بِهِمْ بَرِيحَ طَيْبَةٍ وَفَرَحُوا بِهَا جَاءَتْهَا ريحٌ عاصِفٌ  
 وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ  
 دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ  
 مِنَ الشَّاكِرِينَ ٢٢ فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْعُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ  
 الْحَقِّ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَّعَ الْحَيَاةَ  
 الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ٢٣  
 إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنزِلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ  
 بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا  
 أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَيَّنَّتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ  
 عَلَيْهَا آتَاهَا أَمْرًا لَّيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْزَرَ  
 بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ٢٤ وَاللَّهُ يَدْعُوا  
 إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ٢٥

٢١ وإذا أذقنا المشركين نعمة من مطر وخصب بعد جندب ويؤس أصابهم، إذا لهم استهزاء وتكذيب بآياتنا، قل أيها الرسول لهؤلاء المشركين الله أعجل مكرًا، وأسرع استدراجًا لكم وعقوبة، إن الحفظة من الملائكة يكتبون ما تدنسون من مكر، لا يفوتهم منه شيء، فكيف يفوت خالفهم؟ وسيجازيكم الله على مكركم.

٢٢ الله هو الذي يسيركم أيها الناس - في البر على أقدامكم وعلى دوابكم، وهو الذي يسيركم في البحر في السفن، حتى إذا كنتم في السفن في البحر، وجرت بهم بريح طيبة، فرح الركاب بتلك الريح الطيبة، فيبينما هم في فرحهم جاءتهم ريح قوية الهبوب، وجاءهم موج البحر من كل جهة، وغلب على ظنهم أنهم هالكون؛ دعوا الله وحده، ولم يشركوا معه غيره قائلين: لئن أنقذتنا من هذه المحنة المهلكة لنكونن من الشاكرين لك على ما أنعمت به علينا.

٢٣ فلما استحباب دعاءهم. وأنقذهم من تلك المحنة، إذا هم يفسدون في الأرض بارتكاب الكفر والمعاصي والاثام. أفبقوا - أيها الناس - إما عاقبة تنبئكم السيئة على أنفسكم. فالله لا يصره بغيكم، تتمتعون به في الحياة الدنيا وهي فانية، ثم إلينا رجوعكم يوم القيامة، فنخبركم بما كنتم تعملون من المعاصي، ونجازيكم عليها.

٢٤ إنما مثل الحياة الدنيا التي تتمتعون فيها في سرعة انقضاءها كمثل مطر اختلط به نبات الأرض مما

يأكل الناس من الحبوب والثمار، ومما تأكل الأنعام من الحشيش وغيره، حتى إذا أخذت الأرض لونها الزاهي، وتجمعت بما تنبت من أنواع النبات، ووطن أهلها أنهم قادرون على حصاد ما أنبتت وقطافه، جاءها قضاؤها بإهلاكها، فصرناها محصورة كأن لم تكن عامرة بالأشجار والنباتات في عهد قريب، كما بينا لكم حال الدنيا وسرعة انقضائها بين الأدلة والبراهين لمن يتفكرون ويعتبرون. ٢٥ والله يدعو جميع الناس إلى حننه التي هي دار السلام. يسلم فيها الناس من المصائب والهموم، ويسلمون من الموت، والله يوفق من شاء من عبادته إلى دين الإسلام الموصل إلى دار السلام هذه.

من قوالب الآيات،

- الله أسرع مكرًا بمن مكر بعباده المؤمنين.
- بغي الإنسان عائد على نفسه ولا يضر إلا نفسه.
- بيان حقيقة الدنيا في سرعة انقضائها وزوالها، وما فيها من النعيم فهو فان.
- الجنة هي مستقر المؤمن؛ لما فيها من النعيم والسلامة من المصائب والهموم.

لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٦٦﴾ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ يَمْثِلُهَا وَيَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۚ كَانَمَا أَغَشِيَتْ وَجُوهَهُمْ قُطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٦٧﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاءُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِلَّا نَارٌ تَعْبُدُونَ ﴿٦٨﴾ فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ۖ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْغَيْبَاتِ ﴿٦٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلَأُونَ كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْقَرُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْنَ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٧١﴾ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ۚ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٧٢﴾ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧٣﴾

٢١٢

﴿٦٦﴾ للذين أحسنوا بالقيام بما أوجبه الله عليهم من الطاعات، وترك ما حرم عليهم من المعاصي، المثوبة الحسنی، وهي الجنة، ولا زيادة عليها، وهي النظر إلى وجه الله الكريم، ولا يعشى وجوههم غبار، ولا يفشاها هوان ولا خزي، أولئك المتصفون بالإحسان أصحاب الجنة هم فيها ماكثون.

﴿٦٧﴾ والذين عملوا السيئات من الكفر والمعاصي لهم جزاء السيئة التي عملوها بمثلها من عقاب الله في الآخرة، وتقشى وجوههم ذلة وهوان، ليس لهم مانع يمنعهم من عذاب الله إذا أنزله بهم، كأنما ألبست وجوههم سواداً من الليل المظلم من كثرة ما يفشاها من دحان النار وسوادها، أولئك المتصفون بتلك الصفات أصحاب النار هم فيها ماكثون أبداً.

﴿٦٨﴾ وادكر أيها الرسول يوم القيامة حين تحشر جميع الخلائق، ثم نقول للذين أشركوا بالله في الدنيا، الزموا أيها المشركون مكانكم أنتم ومعبوداتكم التي كنتم تعبدونها من دونه، فصرقنا بين المعبودين والعابدين، وتبرأ المعبدون من العابدين قائلين لم تكونوا تعبدونا في الدنيا.

﴿٦٩﴾ هنا تبرأ منهم الهتهم التي عبدوها من دون الله قائلة، فالله شاهد وكفريه أألم برض بعبادتك لنا، ولم بأمركم بها، وأنا لم نشعر بعبادتك.

﴿٧٠﴾ في ذلك الموقف العظيم تحتبر كل نفس ما أمضت من عمل في حياتها الدنيا، وأرجع المشركون إلى ربهم الحق الذي هو الله الذي يتولى حسابهم، وذهب عنهم ما افتروه من شماعه أصنامهم.

﴿٧١﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين بالله: من يرزقكم من جهة السماء بإزال المطر عليكم؟ ومن يرزقكم من الأرض بما ينبت فيها من نبات، وبما تحويه من معادن؟ ومن يخرج الحي من الميت كالإنسان من النطفة، والطير من البيضة، ومن يخرج الميت من الحي كالنطفة من الحيوان، والبيضة من الطير؟ ومن يدير أمر السماوات والأرض وما فيهن من مخلوقات؟ فسيجيبون بأن فاعل ذلك كله هو الله، فقل لهم أفلا تعلمون ذلك، وتتقون الله بامتثال أوامره واجتنب نواهيه؟

﴿٧٢﴾ فذلكم أيها الناس الذي يفعل ذلك كله هو الله الحق خالقكم، ومدير أمركم، فماداً بعد معرفة الحق غير البعد عنه والصباغ؟ فأين تذهب عقولكم عن هذا الحق الجلي؟

﴿٧٣﴾ كما ثبتت الربوبية الحق لله وجبت - أيها الرسول - كلمة ربك القدرية على الذين خرجوا عن الحق عناداً أنهم لا يؤمنون.

• من قود الأيات،

• أعظم نعيم يرغب به المؤمن هو النظر إلى وجه الله تعالى.

• بيان قدرة الله، وأنه على كل شيء قدير.

• التوحيد في الربوبية والإشراك في الإلهية باطل، فلا بد من توحيدهما معاً.

• إذا قضى الله بعدم إيمان قوم بسبب معاصيهم فإنهم لا يؤمنون.



المشركين: هل من بين شركائكم الذين تعبدونهم من دون الله من يُشْئِ الخلق على غير مثال سابق، ثم يبعثه بعد موته؟ قل لهم: الله يُشْئِ الخلق على غير مثال سابق، ثم يبعثه بعد موته، فكيف تصرفون - أيها المشركون - عن الحق إلى الباطل؟

٢٢ قل لهم - أيها الرسول -: هل من بين شركائكم الذين تعبدونهم من دون الله من يرشد إلى الحق؟ قل لهم: الله وحده يرشد إلى الحق، فهل من يرشد الناس إلى الحق، ويدعوهم إليه أولى بأن يتبع أو معبوداتكم التي لا تهدي بنفسها إلا أن يهديها غيرها؟ فما لكم كيف تحكمون بالباطل حين تزعمون أنهم شركاء لله؟ تعالى الله عن قولكم علواً كبيراً.

٢٣ وما يتبع معظم المشركين إلا ما لا علم لهم به، فما يتبعون إلا وهماً وشكاً، إن الشك لا يقوم مقام العلم، ولا يعني عنه، إن الله عليم بما يفعلونه، لا يحفى عليه شيء من أفعالهم، وسيجازيهم عليها.

٢٤ وما يصح لهذا القرآن أن يُخلق، وينسب إلى غير الله لعجز الناس ضرورة عن الإتيان بمثله، ولكنه مصدق لما نزل من الكتب قبله، ومبين لما أجمل فيها من الأحكام، فهو لا شك فيه أنه منزل من رب المحلوقات.

٢٥ بل أيقول هؤلاء المشركون إن محمداً ﷺ اختلق هذا القرآن من نفسه، ونسبه إلى الله، قل أيها الرسول - رداً عليهم: إن كنت قد أتيت به من عندي وأنا بشر مثلكم فأتوا أنتم بسورة من مثله، وادعوا من استطعتم دعاءً لمظاهرتكم إن كنتم صادقين فيما تدعونه من أن القرآن مخلوق مكذوب، ولن تستطيعوا ذلك، وعدم قدرتهم - وأنتم أصحاب اللسان وأرباب الفصاحة - دال على أن القرآن منزل من عند الله.

٢٦ فلم يحييوا، بل سارعوا بتكذيب القرآن قبل أن يتفهموه ويتدبروه، وقيل أن يحصل ما أندروا به من العذاب، وقد اقترب إتيان ذلك، مثل هذا التكذيب كذبت الأمم السابقة، فنزل بها ما نزل من العذاب، فتأمل أيها الرسول كيف كانت نهاية الأمم المكذبة، فقد أهلكهم الله.

٢٧ ومن المشركين من سيؤمن بالقرآن قبل موته. ومنهم من لا يؤمن به عناداً ومكابرة حتى يموت، وربك أيها الرسول أعلم بالمُصْرِفِينَ على كفرهم، وسيحاربههم على كفرهم. ٢٨ فإن كذبك أيها الرسول قومك فقل لهم: لي ثواب عملي وأنا أتحمّل تبعه عملي، ولكم ثواب عملكم وعليكم عقابه، أنتم بريئون من عقاب ما أعمل، وأنا بريء من عقاب ما تعملون. ٢٩ ومن المشركين من يستمع إليك أيها الرسول إذا قرأت القرآن استماعاً غير مقبول وإذعان، فأنت تقدر على إسماع من سلب السمع؟ فكذلك لن تقدر على هداية هؤلاء الذين صموا عن سماع الحق فلا يعقلونه.

● من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

● الهادي إلى الحق هداية التوفيق هو الله وحده دون ما سواه. ● الحث على تطلب الأدلة والبراهين والهدايات للوصول للعلم والحق وترك الوهم والظن. ● ليس في مقدور أحد أن يأتي ولو بأية مثل القرآن الكريم إلى يوم القيامة. ● سفة المشركين وتكديهم بما لم يفهموه ويتدبروه.

قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدُوَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ، قُلْ اللَّهُ يَبْدُوَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ، وَفَإَنِّي تُوفِّكُونَ ٢٤ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلْ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ٢٥ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ٢٦ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٢٧ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ٢٨ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعَلَمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ، كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عِقَابُ الظَّالِمِينَ ٢٩ وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ، وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ٣٠ وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلٌ وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيءُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ٣١ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ٣٢

﴿٤٣﴾ ومن المشركين من ينظر إليك أيها الرسول ببصره الظاهر لا ببصيرته، أفأنت تستطيع تبصير الذين سلبت أنصارهم؟ إنك لا تستطيع ذلك، وكذلك لا تستطيع هداية فاقد البصيرة.

﴿٤٤﴾ إن الله تنزه عن ظلم عباده، فهو لا يظلمهم مثقال ذرة، ولكنهم هم الذين يظلمون أنفسهم بإيرادها موارد الهلاك؛ بسبب التعصب للباطل والمكابرة والعناد.

﴿٤٥﴾ ويوم يحشر الله الناس يوم القيامة لحسابهم كأن لم يمكثوا في حياتهم الدنيا وفي برزخهم إلا ساعة من نهار لا أزيد، يعرف بعضهم بعضاً فيها، ثم تقطع معرفتهم لشدة ما شاهدوا من أهوال القيامة، قد حسر الذين يكذبون بقاء ربهم يوم القيامة، وما كانوا مؤمنين في الدنيا بيوم البعث حتى يسلموا من الخسران.

﴿٤٦﴾ وأما ربك أيها الرسول بعضاً مما وعدناهم به من العذاب قبل موتك، أو تنويفك قبل ذلك، ففي كلتا الحالتين إلينا رجوعهم يوم القيامة، ثم الله مطلع على ما كانوا يعملون، لا يخفى عليه منه شيء، وسيجازيهم على أعمالهم.

﴿٤٧﴾ ولكل أمة من الأمم السابقة رسول أرسل إليهم، فإذا بلغهم ما أمر بتبليغه، وكذبوه حكم بينهم وبينه بالعدل، فتجاه الله بفصله، وأهلكهم بعده، وهم لا يظلمون من جزاء أعمالهم شيئاً.

﴿٤٨﴾ ويقول هؤلاء الكفار معاندين ومخذبين متى زمن ما وعدتمونا به من العذاب إن كنتم صادقين فيما تدعون؟

وَمِنْهُمْ مَّن يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْى وَلَوْ كَانُوا لَا يَبْصُرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبِسُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِذَا مَنَّ رَبُّكَ بِعُضِّ آلِكَ أَوْ تَوَقَّيْتَهُ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَعْجِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن آتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيِّنَاتٍ أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَتُمِرُّ إِذَا مَاقَعَاءُ آمَنْتُمْ بِهِ ؕ أَلَنْتُمْ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ ؕ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ \* وَيَسْتَعْجِلُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ وَلِحَقُّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾

٢١٤

﴿٤٩﴾ قل لهم أيها الرسول : لا أملك لنفسي ضراً أو دفعه عنها، ولا نفعاً أنفعها به، فكيف تنفع غيبي أو ضرره؟ إلا ما شاء الله من ذلك، فكيف لي أن أعلم غيبه؟ لكل أمة من الأمم توعدا الله بهلاك زمنٍ محدد لها، فإذا جاء زمن هلاكها لم تتأخر عنه وقتاً ما ولم تتقدم.

﴿٥٠﴾ قل أيها الرسول لهؤلاء المستعجلين للعذاب: أخبروني إن جاءكم عذاب الله في أي وقت من ليل أو نهار، ما الذي تستعجلونه من هذا العذاب؟

﴿٥١﴾ أبعد أن يقع عليكم العذاب الذي وعدتموه تؤمنون حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل؟ أنؤمنون الآن، وقد كنتم تستعجلون العذاب من قبل على وجه التكذيب به؟

﴿٥٢﴾ ثم بعد إدخالهم في العذاب وطلبهم الخروج منه يقال لهم: ذوقوا العذاب الدائم في الآخرة، فهل تتأبون إلا ما كنتم تعملون من الكفر والمعاصي؟ ويستعجرك أيها الرسول المشركون: أهدا العذاب الذي وعدنا به حق؟ قل لهم: نعم، إنه والله لحق، ولستم بمُعْجِزِينَ منه.

• من فو يد الآيات:

• الإنسان هو الذي يورد نفسه موارد الهلاك، فإلله مُنْزَهُ عن الظلم. • مهمة الرسول هي التبليغ للمرسل إليهم، والله يتولى حسابهم وعقابهم بحكمته، فقد يجعله في حياة الرسول أو يؤخره بعد وفاته. • النفع والضرر بيد الله ﷻ، فلا أحد من الخلق يملك لنفسه أو لغيره ضراً ولا نفعاً. • لا ينفع الإيمان صاحبه عند معاينة الموت.

وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرُوا  
 النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ  
 لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَا إِنَّ اللَّهَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْأَإِنَّ  
 وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ  
 وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ تَكْوِينُ مَوْعِدَةٍ  
 مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ  
 ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا  
 يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ  
 فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ إِنَّ اللَّهَ أَذِنَ لَكُمْ أَمَّا عَلَى  
 اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظُنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ  
 يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ  
 لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ  
 وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ  
 فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي  
 السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦١﴾

﴿٥٤﴾ ولو أن لكل مشرك بالله جميع ما في الأرض من أموال نفيسة لجعله مقابل هكائه من عذاب الله لو أتبع له أن يفتردي به، وأخفى المشركون التدمر على كفرهم لما شاهدوا المذاب يوم القيامة، وقضى الله بينهم بالعدل، وهم لا يظلمون، وإما يحزون على أعمالهم.

﴿٥٥﴾ ألا إن الله وحده ملك ما في السماوات وملك ما في الأرض، ألا إن وعد الله بعقاب الكافرين واقع لا مرية فيه، ولكن أكثرهم لا يعلمون ذلك فيشكون.

﴿٥٦﴾ هو سبحانه يبعث الموتى، ويميت الأحياء، وإليه وحده ترجعون يوم القيامة، فيجاريكم على أعمالكم.

﴿٥٧﴾ يا أيها الناس، قد جاءكم القرآن فيه تذكير وترغيب وترهيب، وهو شفاء لما في القلوب من مرض الشك والارتباك، وإرشاد لطريق الحق، وفيه رحمة للمؤمنين، فهم المنتفعون به.

﴿٥٨﴾ قل أيها الرسول - للناس، ما جئكم به من القرآن هو فضل من الله عليكم، ورحمة منه بكم، فبفضل الله عليكم ورحمته بكم بإزالة هذا القرآن فافرحوا لا بسواهما، فما جاءهم به محمد ﷺ من ربه حير مما يجمعونه من حطام الدنيا الزائل.

﴿٥٩﴾ قل أيها الرسول لهؤلاء المشركين: أخبروني عما من الله به عليكم من إزاله الرق، فعملتم فيه بأهوائكم، فحزمتكم بعضه، وأحللتم بعضه، قل لهم: هل الله أباح لكم تحليل ما أحللتم، وتحريم ما حرمتم، أم أنكم تخلقون عليه الكذب؟

﴿٦٠﴾ وأي شيء يظنه محتلفو الكذب عليه وأفعأ بهم يوم القيامة؟ أظنون أن يغفر لهم؟ هيئات، إن الله لذو إفضال على الناس بآمالهم وعدم معاجلتهم بالعقوبة، ولكن أكثرهم جاحدون نعم الله عليهم فلا يشكرونها.

﴿٦١﴾ وما تكون أيها الرسول في أمر من الأمور، وما تقرأ من قرآن، وما تعملون أيها المؤمنون من عمل إلا كنا نراكم عالمين بكم ونسمعكم حين تشرعون في العمل مندفعين فيه، وما يعيب عن علم ربك ودره في السماء أو في الأرض، ولا أصغر من وزنهما ولا أكبر، إلا وهو مسجل في كتاب واضح لا يفاد صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها.

من فوائد الآيات،

- عظم ما ينتظر المشركين بالله من عذاب، حتى إنهم يتمنون دفعه بكل ما في الأرض، ولن يقبل منهم.
- القرآن شفاء للمؤمنين من أمراض الشهوات وأمراض الشبهات بما فيه من الهدايات والدلائل العقلية والنقلية.
- ينبغي للمؤمن أن يفرح بنعمة الإسلام والإيمان دون غيرهما من حطام الدنيا.
- دقة مراقبة الله لعباده وأعمالهم وخواطرهم ونياتهم.



﴿٦٢﴾ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم فيما يستقبلونه من أهوال القيامة، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من حظ الدنيا.

﴿٦٣﴾ هؤلاء الأولياء هم الذين كانوا يتصفون بالإيمان بالله وبرسوله ﷺ، وكانوا يتقون الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه.

﴿٦٤﴾ لهم البشارة من ربهم في الدنيا بما يسرهم برؤيا صالحة أو ثناء الناس عليهم، ولهم البشارة من الملائكة عند قبض أرواحهم، وبعد الموت، وفي الحشر، لا تغيير لما وعدهم الله به، ذلك الجزاء هو النجاح العظيم؛ لما فيه من نيل المطلوب، والنجاة من المرهوب.

﴿٦٥﴾ ولا تحزن - أيها الرسول - لما يقوله هؤلاء من الطعن والقدح في دينك، إن القهر والقبلة كلها لله، فلا يعجزه شيء، هو السميع لأقوالهم، العليم بأفعالهم، وسيحاربهم عليها. ﴿٦٦﴾ ألا إن لله وحده ملك من في السماوات وملك من في الأرض، وأي شيء يتبعه المشركون الذين يعبدون من دون الله شركاء؟ لا يتبعون في الحقيقة إلا الشك، وما هم إلا يكذبون في نسبتهم الشركاء إلى الله، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

﴿٦٧﴾ هو وحده الذي جعل لكم أيها الناس الليل لتسكنوا فيه عن الحركة والتعب، وجعل النهار مضيئاً لتسموا فيه بما يرجع إليكم بنفع في معاشكم، إن في ذلك لدلائل واضحة لقوم يسمعون سماع اعتبار وقبول.

﴿٦٨﴾ قال فريق من المشركين: اتخذ الله الملائكة نساءً، تقدس الله عن قولهم، فهو سبحانه الغني عن جميع

الآيات أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴿٦٢﴾ الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴿٦٣﴾ لهم البشارة في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم ﴿٦٤﴾ ولا يحزنك قولهم إن العزة لله جميعاً هو السميع العليم ﴿٦٥﴾ ألا إن الله من في السموات ومن في الأرض وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخوضون ﴿٦٦﴾ هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون ﴿٦٧﴾ قالوا اتخذ الله ولداً سبحانه هو الغني له وما في السموات وما في الأرض إن عندكم من سلطان بهذا أتقولون على الله ما لا تعلمون ﴿٦٨﴾ قل إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون ﴿٦٩﴾ متع في الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون ﴿٧٠﴾

٢١٦

مخلوقاته، له ملك ما في السماوات وملك ما في الأرض، ليس عندكم قولاً عظيماً إذ تسببون إليه الولد لا تعلمون حقيقته دون برهان؟

﴿٦٩﴾ قل لهم أيها الرسول: إن الذين يختلقون على الله الكذب بنسبة الولد إليه لا يظفرون بما يطلبونه، ولا ينحون مما يرهبونه فلا يغتروا بما يمتنعون به من ملات الدنيا ونعيمها، فهو متاع قليل رائل، ثم إلينا رجوعهم يوم القيامة، ثم نذيقهم العذاب القوي بسبب كفرهم بالله وتكذيبهم لرسوله.

﴿٧٠﴾ من نوابي الآيات،

● ولاية الله تكون لمن آمن به، وامتثل أوامره، واجتنب نواهيه، واتبع رسوله ﷺ، وأولياء الله هم الامنون يوم القيامة، ولهم البشري في الدنيا إما بالرؤيا الصالحة أو عند الموت.

● العزة لله جميعاً وحده؛ فهو مالك الملك، وما تجب من دون الله لا حقيقة له.

● البحث على التفكير في خلق الله؛ لأن ذلك يقود إلى الإيمان به وتوحيده.

● حرمة الكذب على الله ﷻ، وأن صاحبه لن يفلح، ومن أعظم الكذب نسبة الولد له سبحانه.

﴿٧٦﴾ واقصص - أيها الرسول على هؤلاء المشركين المكدين خبر نوح حين قال لقومه - يا قوم، إن كان غطم عليكم مقامي بين أظهركم، وشق عليكم تذكيري بآيات الله ووعظي، وعزمت على قتلي، فعلى الله وحده اعتمدت في إحياء ما تكيدون، فأحكموا أمركم، واعزموا على إهلاكه، وادعوا آلتهكم لتستعينوا بها، ثم لا يكن كيدكم سراً مبهماً، ثم بعد تدبيركم لقتلي امضوا إلي ما تُضمرون، ولا تؤحروني لحظة.

﴿٧٧﴾ فإن كنتم قد أعرضتم عن دعوتي فقد علمتم أنني ما طلبت منكم جزاء على تبليغكم رسالة ربي، ليس ثوابي إلا على الله. أمنتكم بي، أم كفرتم، وأمرني الله أن أكون من المتقادين له بالطاعة والعمل الصالح.

﴿٧٨﴾ فكدته قومه، ولم يصدقوا به، فتجنباؤه هو ومن كان معه في السبينة من المؤمنين، وصبرناهم حلماً لمن كان قبلهم، وأهلكنا الذين كذبوا بما جاء به من الآيات والحجج بالطوفان، فتأمل أيها الرسول كيف كانت نهاية أمر القوم الذين أنذرتهم نوح عليه السلام، فلم يؤمنوا.

﴿٧٩﴾ ثم بعد مدة من الزمن بعثنا من بعد نوح رسلاً إلى أقوامهم، فجاء الرسل أمهمم بالآيات والبراهين، فما كانت لهم إرادة أن يؤمنوا بسبب إصرارهم السابق على تكذيب الرسل. فختم الله على قلوبهم، مثل هذا الختم الذي ختمنا به على قلوب أتباع الرسل الماضين يحتم به على قلوب الكافرين المتجاوزين لحدود الله بالكفر في كل زمان ومكان.

﴿٨٠﴾ ثم بعد مدة من الزمن بعثنا من بعد هؤلاء الرسل موسى وأخاه هارون إلى فرعون ملك مصر والكبراء من قومه، بعثناهما بالآيات الدالة على صدقهما، فتكبروا عن الإيمان بما جاء به، وكانوا قوماً مجرمين؛ لكفرهم بالله وتكذيبهم لرسله.

﴿٨١﴾ فلما جاء فرعون والكبراء من قومه الذين جاء به موسى وهارون عليه السلام قالوا عن آياته الدالة على صدق ما جاء به موسى: إنه لسحر واضح، وليس حقاً.

﴿٨٢﴾ قال موسى مستكراً عليهم أتقولون للحق حين جاءكم: هو سحر؟ كلا، ما هو سحر، وإني لأعلم أن الساحر لا يفلح أبداً، فكيف لي بتعاطيه؟

﴿٨٣﴾ أجاب قوم فرعون موسى عليه السلام قائلين: أحسبنا بهذا السحر نتصرفنا عما وجدنا عليه آباءنا من الدين، ويكون لك أنت ولأخيك الملك؟ وما نحن لكما - يا موسى وهارون - بمقربين بأنكما رسولان أرسلتما إلينا.

﴿٨٤﴾ من قوائد الآيات،

● سلاح المؤمن في مواجهة أعدائه هو التوكل على الله.

● الإصرار على الكفر والتكذيب بالرسل يوجب الختم على القلوب فلا تؤمن أبداً.

● حال أعداء الرسل واحد، فهم دائماً يصفون الهدى بالسحر أو الكذب.

● إن الساحر لا يفلح أبداً.

﴿٧٥﴾ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَتَقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي بآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ ﴿٧٦﴾ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٧﴾ فَكَذَّبُوهُ فَتَبَايَعْتُمْ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفَلَاحِ وَجَعَلْنَاهُمْ خُلَافَ وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ ﴿٧٨﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ﴿٧٩﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٨١﴾ قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرُ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ﴿٨٢﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتَنَّا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨٣﴾

بعد هؤلاء الرسل موسى وأخاه هارون إلى فرعون ملك مصر والكبراء من قومه، بعثناهما بالآيات الدالة على صدقهما، فتكبروا عن الإيمان بما جاء به، وكانوا قوماً مجرمين؛ لكفرهم بالله وتكذيبهم لرسله.

﴿٨١﴾ فلما جاء فرعون والكبراء من قومه الذين جاء به موسى وهارون عليه السلام قالوا عن آياته الدالة على صدق ما جاء به موسى: إنه لسحر واضح، وليس حقاً.

﴿٨٢﴾ قال موسى مستكراً عليهم أتقولون للحق حين جاءكم: هو سحر؟ كلا، ما هو سحر، وإني لأعلم أن الساحر لا يفلح أبداً، فكيف لي بتعاطيه؟

﴿٨٣﴾ أجاب قوم فرعون موسى عليه السلام قائلين: أحسبنا بهذا السحر نتصرفنا عما وجدنا عليه آباءنا من الدين، ويكون لك أنت ولأخيك الملك؟ وما نحن لكما - يا موسى وهارون - بمقربين بأنكما رسولان أرسلتما إلينا.

﴿٧٦﴾ وقال فرعون لقومه: جيئوني بكل ساحر خبير بالسحر متقن له. ﴿٧٧﴾ فلما جاؤا فرعون بالسحرة قال لهم موسى ﴿٧٨﴾ وانظروا بانتصاره عليهم: اطرحوا - أيها السحرة - ما أنتم طارحوه.

﴿٧٩﴾ فلما طرحوا ما عندهم من السحر قال لهم موسى ﴿٨٠﴾ الذي أظهرتموه هو السحر، إن الله سيصير ما صنعتكم باطلا لا أثر له. إنكم سحركم مفسدون في الأرض، والله لا يصلح عمل من كان مفسداً.

﴿٨١﴾ ويثبت الله الحق، ويمكن له بكلماته القدرية، وبما في كلماته الشرعية من الحجج والبراهين، ولو كره ذلك الكافرون المجرمون من آل فرعون.

﴿٨٢﴾ ضمّم القوم على الإعراض، فما صدّق بموسى ﴿٨٣﴾ مع ما جاء به من الآيات الظاهرة، والحجج الواضحة

إلا شباب من قومه بني إسرائيل، مع خوف من فرعون وكبراء قومه أن يصرفهم عن إيمانهم بما يدقونهم من العذاب إن كشف أمرهم، وإن فرعون لم تكبر متسلط على مصر وأهلها، وإنه لمن المتجاوزين للحد في الكفر والتعذيب والتعذيب لبني إسرائيل.

﴿٨٤﴾ وقال موسى ﴿٨٥﴾ لقومه: يا قوم، إن كنتم امنتم بالله إيماناً حقاً، فعلى الله وحده اعتمدوا إن كنتم مسلمين، فالتوكل على الله يدفع عنكم سوء، ويحلب لكم الخير.

﴿٨٦﴾ فأجابوا موسى ﴿٨٧﴾، فقالوا على الله وحده توكلنا، ربنا لا تسلط علينا الظالمين، فيفتنونا عن ديننا بالتعذيب والقتل والإغراء.

وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَأْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٦﴾ فَتَمَاجَاةَ السَّحَرَةُ قَالَتْ لَهُمْ مُوسَى الْقَوْمَا أَأَنْتُمْ مُلْكُوتٌ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا الْقَوَا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٨﴾ وَيُخَيِّقُ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ فَمَاءَ أَمْنٍ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٨٠﴾ وَقَالَ مُوسَى يَقُومُ إِن كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَسْأَلِينَ ﴿٨١﴾ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٢﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِّنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا الْقَوْمَ كَمَا يُبْصِرُونَ وَأَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوهُنَّ عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٨٥﴾

﴿٨٦﴾ وخلصنا برحمتك ربنا من أيدي قوم فرعون الكافرين، فقد استعبدونا واذنونا بالتعذيب والقتل.

﴿٨٧﴾ وأوحينا إلى موسى وأخيه هارون ﴿٨٨﴾ أن احتارا واتحدا القومكما بمصر بيوتاً لعبادة الله وحده، وصيروا بيوتكم متجهة إلى حهة القبلة (بيت المقدس)، وانتوا بالصلاة كاملة، وأخبر يا موسى المؤمنين بما يسرهم من نصر الله وتأيدهم، وإهلاك عدوهم، واستخلافهم في الأرض.

﴿٨٩﴾ وقال موسى ﴿٩٠﴾ ربنا، إنك أعطيت فرعون والأشراف من قومه من زخرف الدنيا وبهارحها زينة، وأعطيتهم أموالاً في هذه الحياة الدنيا، فلم يشكروك على ما أعطيتهم، بل استعانوا بها على الإضلال عن سبيلك، ربنا اطمح أموالهم وامحضها، واحمل قلوبهم قاسية، فلا يؤمنوا إلا حين يشاهدون العذاب الموجه حين لا ينفعهم إيمانهم.

• من قوِّد الآيات،

- الثقة بالله وينصره والتوكل عليه ينبغي أن تكون من صفات المؤمن القوي.
- بيان أهمية الدعاء، وأنه من صفات المتوكلين.
- تأكيد أهمية الصلاة ووجوب إقامتها في كل الرسالات السماوية وفي كل الأحوال.
- مشروعية الدعاء على الظالم.



﴿٨٨﴾ قَالَ اللَّهُ: هَذَا أَجَبْتُ دَعَاءَكُمْ

يَا مُوسَى وَهَارُونَ عَلَى فِرْعَوْنَ وَأَشْرَافِ قَوْمِهِ، فَاقْبِئَا عَلَى دِينِكُمَا، وَلَا تَحْزَنْمَا عَنْهُ إِلَى اتِّبَاعِ سَبِيلِ الْجَهَالِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ طَرِيقَ الْحَقِّ.

﴿٨٩﴾ وَيَسِّرْ لِي بَنِي إِسْرَائِيلَ عُبُورَ الْبَحْرِ بَعْدَ قُلْفِهِ حَتَّى جَاوِزُوهُ سَالِمِينَ فَلَحَقَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ ظُلْمًا وَاعْدَاءً، حَتَّى إِذَا انْطَبَقَ عَلَيْهِ الْبَحْرُ، وَنَالَهُ الْفَرْقُ، وَيُسَّ مِنَ النِّجَاحَةِ، قَالَ أَمَنْتُ بِهِ أَنَّهُ لَا مَعْبُودَ بِحَقِّ إِلَّا الَّذِي أَمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ، وَأَنَا مِنَ الْمُنْقَادِينَ لِلَّهِ بِالطَّاعَةِ.

ولما كانت معاناة الموت مانعة من قبول التوبة، قال الله تعالى:

﴿٩٠﴾ أَتُؤْمِنُ الْآنَ بَعْدَ الْيَأْسِ مِنَ الْحَيَاةِ؟ وَقَدْ عَصَيْتَ اللَّهَ - يَا فِرْعَوْنُ قَبْلَ تَزُولِ الْعَذَابِ بِالْكَفْرِ بِهِ، وَالصَّدِّ عَنْ سَبِيلِهِ، وَكُنْتَ مِنَ الْمَفْسِدِينَ سَبَبَ ضَلَالِكَ فِي نَفْسِكَ وَإِصْلَالِكَ لغيرك.

﴿٩١﴾ فَالْيَوْمَ نَخْرُجُكَ يَا فِرْعَوْنُ مِنَ الْبَحْرِ، وَنَجْعَلُكَ عَلَى مَرْتَعٍ مِنَ الْأَرْضِ، لِيَعْتَبِرَكَ مَنْ يَأْتِي بَعْدَكَ، وَإِنْ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ حُجْعِنَا وَدَلَالِ قُدْرَتِنَا لِنُفْلِحُوا، لَا يَتَفَكَّرُونَ فِيهَا.

﴿٩٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا بِنِي إِسْرَائِيلَ مُنْرَلًا مَحْمُودًا وَمَكَانًا مَرْضِيًّا فِي سِلَاحِ الشَّامِ الْمُبَارَكَةِ، وَوَرَقَتَاهُمَا مِنَ الْحِلَالِ الطَّيِّبِ، فَمَا اخْتَلَفُوا فِي أَمْرِ دِينِهِمْ حَتَّى جَاءَهُمُ الْقُرْآنُ مُصَدِّقًا لِمَا هَرَوْهُ فِي التَّوْرَةِ مِنْ نِعْمَتِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَلَمَّا أَنْكَرُوا ذَلِكَ سَلَّيْتُ أَوْطَانَهُمْ، إِنْ رِيكَ أَيْهَا الرُّسُولُ بِحُكْمِ بَيْنِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، فَيُجَازِي الْمَحِقُّ وَالْمُبْطِلُ مِنْهُمْ بِمَا يَسْتَحِقُّهُ كُلُّ مَنْهُمَا.

﴿٩٣﴾ فَإِنْ كُنْتَ أَيْهَا الرُّسُولُ فِي

قَالَ قَدْ أَجِيبْتُ دَعْوَتَكُمْ فَأَسْتَقِيمُوا وَلَا تَتَّبِعَانَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ وَجَوِّزْنَا بِنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ، بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ أَمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ، بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَاَلَكُنَّ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلَ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ ءَايَتِنَا لَغَافِلُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بِنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِءَايَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾

ارتباب وحيرة من حقيقة ما أنزلنا إليك من القرآن فاسأل من آمن من اليهود الذين يقرؤون التوراة، والنصارى الذين يقرؤون الإنجيل، فسيجبرونك بأن الذي أنزل عليك حق؛ لما يجدون من نفعه في كتابيهما، لقد جاءك الحق الذي لا مزية فيه من ربك، فلا تكون من الشاككين.

﴿٩٨﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِحُجَجِ اللَّهِ وَبِرَاهِينِهِ فَتَكُونُ بِدَلِكِ مِنَ الْحَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِإِرَادَتِهَا مَوَارِدَ الْهَلَاكِ سَبَبَ كُفْرِهِمْ، وَكُلُّ هَذَا التَّحْدِيرُ لِبَيَانِ خَطُورَةِ الشُّكِّ وَالتَّكْذِيبِ، وَإِلَّا فَإِنَّ النَّبِيَّ مَعْصُومٌ عَنْ أَنْ يَصْدَرَ مِنْهُ شَيْءٌ مِنْ هَذَا.

﴿٩٩﴾ إِنْ الَّذِينَ ثَبَتَ عَلَيْهِمْ قَضَاءُ اللَّهِ بِأَنَّهُمْ يَمُوتُونَ عَلَى الْكُفْرِ لِإِصْرَارِهِمْ عَلَيْهِ لَا يُؤْمِنُونَ أَبَدًا.

﴿١٠٠﴾ وَلَوْ أَتَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ شَرْعِيَّةٍ أَوْ كُونِيَّةٍ حَتَّى يَشَاهِدُوا الْعَذَابَ الْمَوْجِعَ، فَيُؤْمِنُوا حِينَ لَا يَنْفَعُهُمُ الْإِيمَانُ.

﴿١٠١﴾ مَرْفُوعِي الْآيَاتِ.

● وجوب الثبات على الدين، وعدم اتباع سبيل المجرمين.

● لا تقبل توبة من حشرت روحه، أو عاين العذاب.

● أن اليهود والنصارى كانوا يعلمون صفات النبي ﷺ، لكن الكبر والعناد هو ما منعهم من الإيمان.

﴿٩٨﴾ لَمْ يَحْدَثْ أَنْ أَمِنْتَ قَرِيْبَةً مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي أَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُسُلَنَا إِيْمَانًا مُقْتَدًا بِهِ قَبْلَ مَعَايِنَةِ الْعَذَابِ، فَيَنْفَعَهَا إِيْمَانُهَا لِمَجِيئِهِ قَبْلَ مَعَايِنَتِهِ، إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ حِينَ آمَنُوا إِيْمَانًا صَادِقًا رَفَعْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الدَّلِّ وَالْهَوَاسِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَمَتَعْنَاهُمْ إِلَى وَقْتِ انْقِضَاءِ أَجَالِهِمْ.

﴿٩٩﴾ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ أَهْبَا الرَّسُولَ إِيْمَانِ جَمِيعٍ مِنَ فِي الْأَرْضِ لِأَمْنُوا، لَكِنَّهُ لَمْ يَشَأْ ذَلِكَ لِحِكْمَةٍ، فَهُوَ يَضِلُّ مَنْ يَشَاءُ بَعْدَهُ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ بِفَضْلِهِ، فَلَيْسَ بِاسْتِطَاعَتِكَ إِكْرَاهَ النَّاسِ عَلَى أَنْ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ، فَتَوْفِيقُهُمْ لِلإِيْمَانِ بِيَدِ اللَّهِ وَحْدَهُ.

﴿١٠٠﴾ وَمَا يَنْفِي لِنَفْسٍ أَنْ تُوْثِقَ مِنْ تَلَقُّاءِ نَفْسِهَا إِلَّا أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ، فَلَا يَقَعُ إِيْمَانٌ إِلَّا بِمَشِيئَتِهِ، فَلَا تَذْهَبُ نَفْسُكَ حَسْرَاتٍ عَلَيْهِمْ، وَيَجْعَلُ اللَّهُ الْعَذَابَ وَالْخِزْيَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَدْرِكُونَ عَنْهُ حُجَّتَهُ وَأَوَامِرَهُ وَنَوَاهِيَهُ.

﴿١٠١﴾ قُلْ أَيُّهَا الرُّسُولُ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يَسْأَلُونَكَ الْآيَاتِ: تَأْمَلُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنَ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى وَحْدَانِيَةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ، وَمَا يَنْفَعُ إِبْزَالَ الْآيَاتِ وَالْحُجَجِ وَالرُّسُلِ فِي قَوْمٍ لَيْسَ لَهُمْ اسْتِعْدَادٌ أَنْ يُؤْمِنُوا لِإِسْرَارِهِمْ عَلَى الْكُفْرِ.

﴿١٠٢﴾ فَهَلْ يَنْتَظِرُ هَؤُلَاءِ الْمَكْذِبُونَ إِلَّا مِثْلَ لَوْقَاتِهَا الَّتِي أَوْقَعَهَا اللَّهُ عَلَى الْأُمَمِ الْمَكْذِبَةِ السَّابِقَةِ؟ قُلْ - أَيُّهَا الرُّسُولُ لَهُمْ: انْتَظِرُوا عَذَابَ اللَّهِ، إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظَرِينَ لَوَعْدِ رَبِّي.

﴿١٠٣﴾ ثُمَّ نُنْزِلُ بِهِمُ الْعِقَابَ، وَنُنْجِي رُسُلَنَا، وَنُنْجِي الدِّينَ آمَنُوا مَعَهُمْ، فَلَا بِصِيْبِهِمْ مَا أَصَابَ قَوْمَهُمْ، كَمَا أَنْجَيْنَا أَوَّلَئِكَ الرُّسُلَ وَالْمُؤْمِنِينَ مَعَهُمْ نُنْجِي

فَلَوْلَا كَانَتْ قَرِيْبَةً ءَامِنَتْ فَتَنْفَعَهَا إِيْمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴿٩٨﴾ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُوْثِقَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ قُلْ أَنْظِرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظَرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنْجِي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نَجِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّكُمُ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مَنَّ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٦﴾

رسول الله والمؤمنين معه إنجاءً حقًا ناسًا علينا.

﴿١٠٤﴾ قُلْ أَيُّهَا الرُّسُولُ يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي الَّذِي أَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ وَهُوَ دِينُ التَّوْحِيدِ، فَأَنَا عَلَى يَقِينٍ مِنْ فَسَادِ دِينِكُمْ فَلَا أَتَّبِعُهُ، فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَلَكِنِّي أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَمِيتُكُمْ. وَأُمِرُنِي أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُحْلَصِينَ لَهُ الدِّينِ.

﴿١٠٥﴾ وَأُمِرُنِي كَذَلِكَ أَنْ اسْتَقِيمَ عَلَى الدِّينِ الْحَقِّ، وَأُثْبِتَ عَلَيْهِ مَا دَلَّ عَنْ كُلِّ الْأَدْيَانِ إِلَيْهِ، وَنَهَانِي أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بِهِ.

﴿١٠٦﴾ وَلَا تَدْعُ - أَيُّهَا الرُّسُولُ - مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنَ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ وَغَيْرِهَا مَا لَا يَمْلِكُ نَفْعًا فَيَنْفَعُكَ، وَلَا صَرًّا فَيَضُرُّكَ، فَإِنْ عَبَدْتُهَا فَإِنَّكَ إِذَنْ مِنَ الظَّالِمِينَ الْمُعْتَدِينَ عَلَى حَقِّ اللَّهِ وَحَقِّ أَنْفُسِهِمْ.

• مِنْ قَوْلِ الْكَاتِبِ،

- الإِيْمَانُ هُوَ السَّبَبُ فِي رَفْعَةِ صَاحِبِهِ إِلَى الدَّرَجَاتِ الْعُلَى وَالتَّمَتُّعِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.
- لَيْسَ فِي مَقْدُورٍ أَحَدٍ حِمْلٍ أَحَدٍ عَلَى الإِيْمَانِ؛ لِأَنَّ هَذَا عَائِدٌ لِمَشِيئَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ.
- لَا تَنْفَعُ الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ مَنْ أَصْرَ عَلَى الْكُفْرِ وَدَاوَمَ عَلَيْهِ.
- وَجُوبُ الاسْتِقَامَةِ عَلَى الدِّينِ الْحَقِّ، وَالبَعْدُ كُلِّ الْبَعْدِ عَنِ الشُّرْكِ وَالْأَدْيَانِ الْبَاطِلَةِ.

وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٧﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿١٨﴾ وَاتَّبِعْ مَا وَحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصِرْ حَتَّىٰ يَخُصَّكَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿١٩﴾

نِسَاء

سُورَةُ هُودٍ

رَبِيعَا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّكِبِ أَحْكَمَتِ آيَتُهُ وَتُرْفِصَلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾  
الَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَإِنْ أَسْتَغْفِرُوا  
رَبَّكُمْ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ يُعْتِقْكُمْ مَّتَعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ  
كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ  
كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ أَلَا إِنَّهُمْ  
يَسْتَوْنَ صُدُورُهُمْ لَيْسَتْ خُفُوفًا إِنَّهُ لَا يَسْتَفْشُونَ ثِيَابَهُمْ  
يَعْلَمُ مَا يَلْسُرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٥﴾

٢٢١

﴿١﴾ وإن يصيبك الله - أيها الرسول - ببلاء، وطلبت صرفه عنك فلا صارف له إلا هو سبحانه، وإن يردك برءاء فلا أحد يمنع فضله، يصيب بفضله من يشاء من عباده، فلا مكره له، وهو الغفور لمن تاب من عباده، الرحيم بهم.

﴿٢﴾ قل - أيها الرسول -: يا أيها الناس، قد جاءكم القرآن منزلاً من ربكم، فمن اهتدى وأمن به فتفع ذلك عائد إليه؛ لأن الله غني عن طاعة عباده، ومن ضل فإن أثر ضلاله عليه وحده، فالله لا تضره معصية عباده، وليست عليكم بحفيظ أحفظ أعمالكم، وأحاسبكم عليها.

﴿٣﴾ واتبع - أيها الرسول - ما يوحى إليك ربك واعمل به، واصبر على إيذاء من خالفك من قومك، وعلى تبليغ ما أمرت بتبليغه، واستمر على ذلك حتى يحكم الله فيهم بحكمه بنصرك عليهم في الدنيا، وبعداهم في الآخرة إن ماتوا على كفرهم.

سُورَةُ هُودٍ

— مكية —

• من مقاصد السورة:

تثبيت النبي والمؤمنين بقصص الأنبياء السابقين، وتشديد الوعيد للمكذبين.

• التفسير:

﴿الر﴾ تقدم الكلام على نظائرها في سورة البقرة. القرآن كتاب اتفقت آياته نطقاً ومعنى، فلا ترى فيها خللاً ولا نقصاً، ثم بُيِّنَتْ بذكر الحلال والحرام والأمر والنهي والوعد والوعيد والقصص وغير ذلك.

من عند حكيم في تديروه وتشريعه، خبير بأحوال عباده، وبما يصلحهم.

﴿١﴾ مضمون هذه الآيات المنرلة على محمد ﷺ: نهى العباد أن يعبدوا مع الله غيره، إنني أيها الناس مخوف لكم من عذاب الله إن كفرتم به وعصيتموه، ومبشر لكم بثوابه إن امنتم به، وعلمتم بشرعه.

﴿٢﴾ واطلبوا أيها الناس معصرة دنوبكم من ربكم، وارجعوا إليه بالندم على ما فرطتم في جنبه، يمتعكم في حياتكم الدنيا متاعاً حسناً إلى وقت انتضاء أحالكم المحددة، ويعط كل من له فضل في الطاعة والعمل جزاء فضله كاملاً غير منقوص، وإن تغرصوا عن الإيمان بما جئت به من ربي فإني أخاف عليكم عذاب يوم شديد الأهوال وهو يوم القيامة.

﴿٣﴾ إلى الله وحده رجوعكم - أيها الناس - يوم القيامة، وهو سبحانه على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء، فلا يعجزه إحياءكم وحسابكم بعد موتكم وبعثكم.

﴿٤﴾ ألا إن هؤلاء المشركين يحنون صدورهم ليكنتموا ما فيها من شك عن الله جهلاً منهم به، ألا حين يعطون رؤوسهم بثيابهم، يعلم الله ما يكتُمون وما يظهرون، إنه عليم بما تخفيه الصدور.

• من هويها الآيات:

• إن الخير والشر والنفع والضرر بيد الله دون ما سواه. • وجوب اتباع الكتاب والسنة والصبر على الأذى وانتظار الفرج من الله. • آيات القرآن محكمة لا يوجد فيها حل ولا باطل، وقد فصلت الأحكام فيها تفصيلاً تاماً. • وجوب المسارعة إلى التوبة والندم على الذنوب لنيل المطلوب والنجاة من المهراب.



وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ  
مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ٦ وَهُوَ  
الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ  
عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ  
قُلْتُمْ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا  
إِنْ هَذَا إِلَّا إِسْحَرٌ مُبِينٌ ٧ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى  
أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ ٨ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ  
مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ  
٩ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ  
لَيَكْفُورُ ١٠ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءٍ  
مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ  
١١ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ  
مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ١٢ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ  
وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا أَلَوْلَا أَنْزَلُ عَلَيْهِ كُنْزًا أَوْ جَاءَ  
مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ١٣

٢٢٢

٦ وما من مخلوق يدب على وجه الأرض مهما كان إلا تكفل الله برزقه تقضاً منه، ويعلم سبحانه موضع استقراره في الأرض، ويعلم موضع موته الذي يموت فيه، فكل من الدواب ورزقها ومواقع استقرارها ومواقع موتها، في كتاب واضح هو اللوح المحفوظ.

٧ وهو سبحانه الذي خلق السماوات والأرض على عظمهما، وخلق ما فيهما في ستة أيام، وكان عرشه قبل خلقهما على الماء؛ ليختبركم أيها الناس أيكم أحسن عملاً بما يرضي الله، وأيكم أسوأ عملاً بما يسخطه، فيجازي كلًا بما يستحقه، ولئن قلت أيها الرسول: إنكم أيها الناس مبعوثون بعد موتكم لتحاسبوا ليقولن الذين كفروا بالله وأنكروا البعث ما هذا القرآن الذي تتلوه إلا سحر واضح، فهو باطل واضح البطلان.

٨ ولئن أخرنا عن المشركين ما يستحقون من العذاب في الحياة الدنيا إلى مدة أيام معدودة ليقولن مستعجلين له مستهزئين: أي شيء يحبس عنا العذاب؟ ألا إن العذاب الذي يستحقونه له أمد عند الله، ويوم يأتيهم لن يجدوا صارقاً يصرفه عنهم، بل يقع عليهم، وأحاط بهم العذاب الذي كانوا يستعجلونه استهزاء وسخرية.

٩ ولئن أعطينا الإنسان منا نعمة كنعمة الصحة والفنى، ثم سلبنا منه تلك النعمة إنه لكثير اليأس من رحمة الله، عظيم الكفران بنعمه، ينساها إذا سلبها الله منه.

١٠ ولئن أذقناه سعة في الرزق وصحة بعد فقر ومرضى أصابه ليقولن:

ذهب السوء عني، وزال الضر، ولم يشكر الله على ذلك، إنه لكثير الفرح بطراً، وكثير التطاول على الناس والتباهي بما أنعم الله عليه، إلا الذين صبروا على المكاره والطاعات وعن المعاصي، وعملوا الأعمال الصالحات، فلهم حال آخر، حيث لا يصيبهم يأس، ولا كفر بنعم الله، ولا تطاول على الناس، أولئك المتصفون بهذه الصفات لهم مغفرة من ربهم لذنوبهم، ولهم جزاء كبير في الآخرة.

١١ فلعلك أيها الرسول - لئلا واجهته من كفرهم وعنادهم واقتراحهم الآيات - تارك تبليغ بعض ما أمرك الله بتبليغه مما يشق عليهم العمل به، وصائق صدرك بتبليغه لئلا يقولوا: هلاً أنزل عليه كنز يفيقه، أو جاء معه ملك يصدق، فلا تترك بعض ما يوحى إليك من أجل ذلك، فما أنت إلا نذير، تبلغ ما أمرك الله بتبليغه، وليس عليك الإتيان بما يقترحونه من الآيات، والله على كل شيء حفيظ.

١٢ من قوالب الآيات،

- سعة علم الله تعالى وتكفله بأرزاق مخلوقاته من إنسان وحيوان وغيرهما.
- بيان علة الخلق؛ وهي اختبار العباد بامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه.
- لا ينبغي الاعتزاز بأمهال الله تعالى لأهل معصيته، فإنه قد يأخذهم فجأة وهم لا يشعرون.
- بيان حال الإنسان في حالي السعة والشدة، ومدح موقف المؤمن المتمثل في الصبر والشكر.

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ  
وَأَدْعُوا مَنْ أَسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾  
فَالَّذِينَ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ  
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ  
الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا  
لَا يُخْسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا  
النَّارُ وَحِطَّ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾  
أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ  
كِتَابٌ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ  
بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَاَلْتَارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ  
الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ وَمَنْ  
أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى  
رَبِّهِمْ وَيَقُولُ أَلَّا شَهِدْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ  
أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ  
اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿١٩﴾

﴿١٣﴾ بل يقول المشركون: اختلق محمد القرآن، وليس وحياً من الله. قل -أيها الرسول- متحدياً بإيهم: فأتوا بعشر سور مثل هذا القرآن مختلفات لا تلتزمون فيها بصديق مثل القرآن الذي زعمتم أنه مُخْتَلَق، وادعوا من استطعتم دعاء: لتستمينوا به على ذلك، إن كنتم صادقين في دعوى أن القرآن مُخْتَلَق.

﴿١٤﴾ فإن لم يأتوا بما طلبتم منهم لعدم قدرتهم عليه فاعلموا -أيها المؤمنون- علم يقين أن القرآن إنما أنزله الله بعلمه على رسوله، وليس مُخْتَلَقاً، واعلموا أن لا معبود بحق إلا الله، فهل أنتم متقادون له بعد هذه الحجة القاطعة؟

﴿١٥﴾ من كان يريد بعمله الحياة الدنيا ومُنْعَهَا النّاقية ولا يريد به الآخرة، يعطهم ثواب أعمالهم في الدنيا: صحة، وأماناً، وسعة في الرزق، لا يتقصون من ثواب عملهم شيئاً.

﴿١٦﴾ أولئك المتصفون بهذا القصد الذميمة ليس لهم يوم القيامة ثواب إلا النار يدخلونها، وذهب عنهم ثواب أعمالهم، وأعمالهم باطلة: لأنها لم يسبقها إيمان ولا قصد صحيح، فلم يريدوا بها وجه الله والدار الآخرة.

﴿١٧﴾ لا يستوي النبي محمد ﷺ الذي معه برهان من ربه تعالى، وبيّنه شاهد من ربه، وهو جبريل. ويشهد له من قبل على نبوته التوراة التي أنزلت على موسى ﷺ قدوة الناس ورحمتهم، لا يستوي هو ومن آمن معه مع أولئك الكافرين المُتَخَبِّطِينَ في الضلال، أولئك يؤمنون بالقرآن، وبمحمد ﷺ الذي أنزل عليه، ومن يكفر به من أصحاب الملل فالنار موعده يوم القيامة، فلا تكن -أيها الرسول- في ارتياب من القرآن ومن موعدهم، فهو الحق الذي لا شك فيه، ولكن أكثر الناس لا يؤمنون مع تضايف الأدلة الواضحة والبراهين الجلية.

﴿١٨﴾ ولا أحد أظلم ممن احتق على الله كذباً بنسبة الشريك أو الولد إليه، أولئك الذين يخلطون الكذب على الله يُفرضون على ربهم يوم القيامة ليسألهم عن أعمالهم، ويقول الشهود عليهم من الملائكة والمرسلين: هؤلاء هم الذين كذبوا على الله بما نسبوه إليه من الشريك ومن الولد، ألا طرد الله من رحمته الظالمين لأنفسهم بالكذب على الله.

﴿١٩﴾ الذين يمنعون الناس عن سبيل الله المستقيم، ويطلبون لسبيله الأعوجاج عن الاستقامة حتى لا يسلكها أحد، وهم يكفرون بالبهمة بعد الموت ويحدثونه.

﴿٢٠﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ.

- تحدي الله تعالى للمشركين بالإتيان بعشر سور من مثل القرآن، وبيان عجزهم عن الإتيان بذلك.
- إذا أَعْطِيَ الكافر مبتغاه من الدنيا فليس له في الآخرة إلا النار.
- عظم ظلم من يفترى على الله الكذب وعظم عقابه يوم القيامة.

أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَعِفُ لَهُمْ الْعَذَابَ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿٤٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٤٦﴾ لَأَجْرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ ﴿٤٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٨﴾ \*مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَصْمَىٰ وَالْأَصْبَحِ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِتَىٰ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْيَمِّ ﴿٥١﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا تَرْنِكَ الْإِبْرَاهِيمَ مَثَلًا وَمَا تَرْنِكَ أَتَّبِعُ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ يَنْزِلُوا بَادَىٰ الرَّاى وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴿٥٢﴾ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّي وَءَاتَنِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ فَعَمِيتَ عَلَيْكُمْ أَنْزَلْتُكُمْ هَا وَنَارْتُمْ لَهَا كَرِهُونَ ﴿٥٣﴾

٢٢٤

﴿٤٥﴾ أولئك المتصفون بتلك الصفات لم يكونوا قادرين على الهرب في الأرض من عذاب الله إذا نزل بهم، وليس لهم حلفاء ونصراء من دون الله يدفعون عقاب الله عنهم، يزداد عليهم العذاب يوم القيامة بسبب صرْفهم أنفسهم وصرْفهم غيرهم عن سبيل الله، ما كانوا في الدنيا يستطيعون سماع الحق والهدى سماع قبول، وما كانوا يبصرون آيات الله في الكون إِبْصَارًا يُمِيدهم: لإِعْرَاضهم الشديد عن الحق.

﴿٤٦﴾ أولئك المتصفون بتلك الصفات هم الذين خسروا أنفسهم بإيرادها موارد الهلاك باتخاذ الشركاء مع الله، وذهب عنهم ما كانوا يخلتقونه من الشركاء والشفعاء.

﴿٤٧﴾ حقاً إنهم يوم القيامة هم الأخسرون صفقة، حيث استبدلوا الكمر بالإيمان، والدنيا بالآخرة، والعذاب بالرحمة.

﴿٤٨﴾ إن الذين آمنوا بالله ورسله، وعملوا الأعمال الصالحات، وخضعوا وخشعوا لله أولئك هم أصحاب الجنة، هم فيها ماكثون أبداً.

﴿٤٩﴾ مثل هريقي الكفار والمؤمنين مثل الأعمى الذي لا يبصر، والأصم الذي لا يسمع، وهذا مثل فريق الكفار الذين لا يسمعون الحق سماع قبول، ولا يبصرونه إِبْصَارًا ينفهمهم، ومثل السميع البصير، وهذا مثل فريق المؤمنين الذي يجمع بين السمع والإبصار، هل يستوي هذان الفريقان حالاً وصفة؟ لا يستويان، أفلا تعتبرون بعدم استوائهما؟

ولما ظهر ما ظهر من إِعْرَاض

المشركين عن الإيمان سلى الله نبيه ﷺ بأنه ليس هو أول من كُذِّب، وذلك بذكر قصص الأنبياء، فقال سبحانه:

﴿٥٠﴾ ولقد بعثنا نوحاً ﷺ رسولاً إلى قومه، فقال لهم: يا قوم، إني نذير لكم من عذاب الله، مبين لكم ما أرسلت به إليكم.

﴿٥١﴾ وأدعوكم إلى عبادة الله وحده، فلا تعبدوا إلا إياه، إني أخاف عليكم عذاب يوم مؤلم.

﴿٥٢﴾ فقال الأشراف والرؤساء الذين كفروا من قومه: لن نستجب لدعوتك: لأنه لا مزية لك علينا، فأنت بشر مثنا، ولأننا لا نراك أتبعك إلا أسأفنا فيما ظهر لنا من رأينا، ولأنه ليس لكم زيادة في الشرف والمال والجاه تؤهلكم لأن نتبعكم، بل نظنكم كاديين فيما تدعونه.

﴿٥٣﴾ قال لهم نوح: يا قوم، أخبروني إن كنت على برهان من ربي يشهد لصدقي، ويوجب عليكم تصديقي، وأعطاني رحمة من عنده وهي النبوة والرسالة، وأخبرت عليكم لجهلكم بها: أخبركم على الإيمان بها، وندخله في قلوبكم كرهاً؟ لا بقدر على ذلك، فالذي يوفق للإيمان هو الله.

﴿٥٤﴾ من قَوْلِهِ الْآيَاتِ،

● الكافر لا ينتفع بسمعه وبصره انتفاعاً يقود للإيمان، فهما كالمُتَنَفِّين عنه بخلاف المؤمن.

● سُنَّة الله في أتباع الرسل أنهم الفقراء والضعفاء لخلوهم من الكبر، وخصومهم الأشراف والرؤساء.

● تكبر الأشراف والرؤساء واحتقارهم لمن دونهم في غالب الأحيان.



وَيَقُولُ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَإِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا  
بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلَقَوْنَ إِلَيْهِمْ وَلَكِنِّي أَرْبُكُمْ قَوْمًا  
تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَقُولُ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا  
تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا  
أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي  
أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي  
إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا لَئِنْ نُوحُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا  
فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا  
يَأْتِيَكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنْفَعُكُمْ  
نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ  
يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرِيهِ  
قُلْ إِنْ أَفْتَرَيْتُهُ فَعَلَى إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَجْعَرُونَ  
﴿٣٥﴾ وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ  
فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَآكَأِنَا يُفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَأَصْنَعِ الْفُلَكَ بِأَعْيُنِنَا  
وَوَحَيْنَا وَلَا تَخْطُبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٣٧﴾

﴿٢٩﴾ **ويا قوم، لا أطلب منكم على** تبليغ الرسالة مالا، فما ثوابي إلا على الله، ولست بمتبع عن مجلسي المقراء من المؤمنين الذين طلبتم طردهم، إنهم ملاقو ربهم يوم القيامة، وهو مجازيهم على إيمانهم، ولكني أراكم قوما لا تفهمون حقيقة هذه الدعوة حين تطلبون طرد الضعفاء من المؤمنين.

﴿٣٠﴾ **ويا قوم، من يدفع عني عذاب** الله إن طردت هؤلاء المؤمنين ظلما بغير ذنب؟ أفلا تتذكرون، وتسمعون إلى ما هو أصح لكم وأنفع؟

﴿٣١﴾ **ولا أقول لكم - يا قومي :** عندي خزائن الله التي فيها رزقي، أففها عليكم إن آمنتم. **ولا أقول** لكم: إنني أعلم الغيب، **ولا أقول** لكم: إنني من الملائكة، بل أنا بشر مثلكم، **ولا أقول** عن الفقراء الذين تحتقرهم أعينكم وتستصغروهم، لن يعطيهم الله توفيقا ولا هداية، الله أعلم بنياتهم وأحوالهم، إنني ادعيت ذلك لمن الظالمين الذين يستحقون عذاب الله. ﴿٣٢﴾ **قالوا** تغشأ وتكبر يا نوح، قد حاصمتنا وباطرنا، فأكثررت محاصمتنا ومناظرنا، فأنا بما تعبدنا به من العذاب إن كنت من الصادقين فيما تدعيه.

﴿٣٣﴾ **قال لهم** نوح: أيا لا اتاكم بالعذاب، إنما يأتيكم به الله إن شاء، وما أنتم بقادريين على الإفلات من عذاب الله إن أراد بكم عذابا.

﴿٣٤﴾ **ولا ينفعكم** نصحي وتذكيري لكم، إن كان الله يريد أن يصلحكم عن الصراط المستقيم، ويخلكم عن الهداية بسبب عنادكم، هو ربكم، فهو الذي يملك أمركم، فيصلحكم إن شاء.

﴿٣٥﴾ **وسبب** كفر قوم نوح أنهم يزعمون أنه اختلق على الله هذا الدين الذي جاء به، قل لهم أيها الرسول: إن احتلقه، فعلي وحدي عقاب إثمي، ولا أتحمل من إثم تكذيبكم شيئا، فأنا بريء منه.

﴿٣٦﴾ **وأوحى** الله إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قبل، فلا تحزن يا نوح سبب ما كانوا يعملونه من التكذيب والاستهزاء خلال تلك المدة الطويلة.

﴿٣٧﴾ **وأصنع** السفينة برأى منا محمودا منا، وبوحينا بتعليمك كيف تصنعها، ولا تخاطبني طالبا إمهال الذين ظلموا أنفسهم بالكفر، إنهم مُعْرِضُونَ - لا محالة - بالطوفان؛ عقابا لهم على إصرارهم على الكفر.

من قوايا الآيات:

● عفة الداعية إلى الله وأنه يرجو منه الثواب وحده.

● حرمة طرد فقراء المؤمنين، ووجوب إكرامهم واحترامهم.

● استئثار الله تعالى وحده بعلم الغيب.

● مشروعية جدال الكفار ومناظرتهم.

وَيَصْنَعُ الْفُلَكَ وَكَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ  
 قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنِّي فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ  
 ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحْمِلُ عَلَيْهِ عَذَابٌ  
 مُثْقِلٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا  
 مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ  
 وَمَنْ أَمَنَ وَمَاءً أَمِنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ وَقَالَ ارْكَبُوا  
 فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِبَهَا وَمُرسَلُهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ  
 ﴿٤١﴾ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ  
 وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَبْنِىْ أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾  
 قَالَ سَتَأْوِى إِلَى جِبَلٍ يَْعَصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ  
 مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ  
 الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَسْمَأْ أَقْلَبِى  
 وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودَى وَقِيلَ  
 بُعْدَ اللَّقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي  
 مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴿٤٥﴾

٢٢٦

﴿٣٨﴾ فامتثل نوح أمر ربه، وطَمَقَ يصنع السفينة، وكلما مر عليه كبراء قومه وسادتهم استهزؤا به، لما يقوم به من صنع السفينة وليس في أرضه ماء ولا أنهار، فلما تكرر استهزاءهم به، قال: إن تستهزئوا - أيها الملأ - منا اليوم عندما نصنع السفينة، فإننا نستهزئ بكم لجهلكم بما يصير إليه أمركم من العرق.

﴿٣٩﴾ فسوف تعلمون من يأتيه عذاب في الدنيا يذله وبهينه، وينزل عليه يوم القيامة عقاب دائم لا ينقطع.

﴿٤٠﴾ وأنهى نوح ﷺ صنع السفينة التي أمره الله بصنعها، حتى إذا جاء أمرنا بإهلاكهم، وفار الماء من التنور الذي كانوا يخبزون فيه، إعلاماً بيده الطوفان، قلنا لنوح ﷺ: احمل في السفينة من كل صنف من الحيوان فوق الأرض زوجين: ذكرًا وأنثى، واحمل أهلك إلا من سبق الحكم بأنه مفروق، لكونه لم يؤمن، واحمل من آمن معك من قومك، وما آمن معه من قومه إلا عدد قليل على طول المدة التي مكث فيها يدعوهم إلى الإيمان بالله.

﴿٤١﴾ وقال نوح لمن آمن من أهله وقومه: اركبوا في السفينة، باسم الله يكون جري السفينة، وباسمه يكون رُسُوهَا، إن ربي غفور لذوب من تاب من عباده، رحيم بهم، ومن رحمته بالمؤمنين أن أنجاهم من الهلاك والسفينة تسير بمن فيها من الناس وغيرهم في موج عظيم مثل الجبال، وبعاطفة الأبوة نادى نوح ﷺ ابنه الكافر، وكان منفردًا عن أبيه وقومه في مكان: يا بني اركب معنا في السفينة؛ لتتجو من الغرق، ولا تكن مع

الكافرين، فيصيبك ما أصابهم من الهلاك بالغرق.

﴿٤٢﴾ قال ابن نوح لنوح: سألجأ إلى جبل مرتفع، ليمتنعي من وصول الماء إليّ، قال نوح لابنه: لا مانع اليوم من عذاب الله بالغرق بالطوفان إلا الله الرَّاحِمُ برحمته من يساء سبحانه، فإنه يمتعه من الفرق، وفرق الموج بين نوح وابنه الكافر، فكان ابته من المفرقين بالطوفان لكفره.

﴿٤٣﴾ وقال الله للأرض بعد نهاية الطوفان: يا أرض، اشربي ما عليك من ماء الطوفان، وقال للسماء: يا سماء أمسكي ولا ترسلي المطر، ونقص الماء حتى جفت الأرض، وأهلك الله الكافرين، ووقفت السفينة على حبل الجودي. وقيل: بُعْدًا وهلاكًا للقوم المتجاوزين لحدود الله بالكفر.

﴿٤٤﴾ ونادى نوح ﷺ ربه مستغيثًا به، فقال يا رب، إن انني من أهلي الذين وعدتني بإنجائهم، وإن وعدك هو الصدق الذي لا يخلف فيه، وأنت أعدل الحاكمين وأعلمهم.

﴿٤٥﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- بيان عادة المشركين في الاستهزاء والسخرية بالأنبياء وأتباعهم.
- بيان سُنَّةِ الله في الناس وهي أن أكثرهم لا يؤمنون.
- لا ملجأ من الله إلا إليه، ولا عاصم من أمره إلا هو سبحانه.

قَالَ يَنْحُوحُ إِنَّهُ وَلَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْتَأْنِ  
 مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ  
 ٤٦ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا  
 تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ٤٧ قِيلَ يَنْحُوحُ  
 أَهَيْطَ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ  
 وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ٤٨ تِلْكَ  
 مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ  
 وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَقِيبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ٤٩  
 وَإِلَى عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ  
 إِلَهِ غَيْرُهُ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ٥٠ يَقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ  
 أَجْرًا إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ٥١  
 وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ  
 عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا  
 مُجْرِمِينَ ٥٢ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ  
 بِتَارِكِي آلِ هَارُونَ عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ٥٣

٤٦ قال الله لنوح: يا نوح، إن ابنك الذي سألتني إنجاءه ليس من أهلِكَ الذين وعدتك بإنجائهم؛ لأنه كافر، إن سؤالك يا نوح عمل غير مناسب منك، ولا يصلح لمن هو في مقامك، فلا تسألني ما ليس لك به علم، إني أحذرك أن تكون من الجاهلين، فتسألني ما يخالف علمي وحكمتي.

٤٧ قال نوح: رب، اسي التحن واعتصم بك من أن أسألك ما لا علم لي به، وإن لم تمر لي ذنبي، وترحمني برحمتك، أكن من الخاسرين الذين خسروا حظوظهم في الآخرة.

٤٨ قال الله لنوح: يا نوح، انزل من السفينة على الأرض بسلامة وأمن، وبنعم من الله كثيرة عليك، وعلى ذرية من كانوا معك هي السفينة من المؤمنين يأتون من بعدك، وثقة أمة أخرى من ذريتهم كافرين ستمتعهم في هذه الحياة الدنيا، ونعطيهما ما يعيشون به، ثم ينالهم منا في الآخرة عذاب موجه.

٤٩ قصة نوح هذه من أخبار الغيب، ما كنت - أيها الرسول - تعلمها أنت، وما كان قومك يعلمونها من قبل هذا الوحي الذي أوحينا إليك، فاصبر على أذى قومك وتكذيبهم كما صبر نوح عليه السلام، إن التصبر والغلبة للذين يمثلون أوامر الله، ويجتنبون نواهيه.

٥٠ وأرسلنا إلى عاد أخاهم هودًا عليه السلام، قال لهم: يا قوم، اعبدوا الله وحده، ولا تشركوا معه أحدًا، ليس لكم معبود بحق غيره سبحانه، ولستم في دعواكم أن له شريكًا إلا كاذبين.

٥١ يا قوم، لا أطلب منكم ثوابًا على ما أبلغكم من ربي، وأدعوكم إليه، ليس ثوابي إلا على الله الذي خلقني، أفلا تعقلون ذلك، وتستجيبون لما أدعوكم إليه؟

٥٢ يا قوم، اطلبوا المعصية من الله، ثم توبوا إليه من ذنوبكم - وأكبرها الشرك - يبيحكم على ذلك بانزال المطر الكثير، ويزدكم عزًا إلى عركم بإكثار الذرية والأموال، ولا تعرضوا عما أدعوكم إليه، فتكونوا من المعرّمين بإعراضكم عن دعوتي، وكمركم بالله وتكذيبكم بما جئت به.

٥٣ قال قومه: يا هود، ما جئنا بحجة حلية تجعلنا نؤمن بك، ولسنا بتاركين عبادة الهتنا من أجل قولك الخالي من حجة، ولسنا بمؤمنين لك فيما تدعيه من أنك رسول.

من قولي الآيات.

- لا يملك الأنبياء الشفاعة لمن كفر بالله حتى لو كانوا أبناءهم.
- عفة الداعية وتنزهه عما في أيدي الناس أقرب للقبول منه.
- فضل الاستغفار والتوبة، وأنهما سبب إنزال المطر وزيادة الذرية والأموال.



﴿٥٤﴾ ما نقول إلا أنه أصابك بعض الهتنا بجنون لما كنت تهاننا عن عبادتهم، قال هود: إني أشهد الله، وأشهدوا أنتم أنني بريء من عبادة آلهم التي تعبدونها من دون الله، فامكروا بي أنتم والهنتم التي ترمعون أنها أصابني بجنون، ثم لا تمهلوني. ﴿٥٥﴾ إني توكلت على الله وحده، واعتمدت عليه في أمري، فهو ربي وربكم، ما من شيء يدب على وجه الأرض إلا وهو خاضع لله تحت ملكه وسلطانه، يصرفه كيف يشاء، إن ربي على الحق والعدل، فلن يسلككم علي؛ لأنني على الحق وأنتم على الباطل.

﴿٥٦﴾ فإن تعرضوا وتذبذبوا عما جئت به فما علي إلا إيلائكم، وقد أبلغكم كل ما أرسلني الله به، وأمرني بإبلاغه، وقد قامت عليكم الحجة، وسيهلككم ربي، ويأتي بقوم غيركم يخلفونكم، ولا تصرون لله ضرراً كبيراً ولا صغيراً بتكذيبكم وإعراضكم؛ لأنه غني عن عبادته، إن ربي على كل شيء رقيب، فهو الذي يحفظني من سوء الذي تكيدونني به.

﴿٥٧﴾ ولما جاء أمرنا بإهلاكهم سلمنا هوداً والذين آمنوا معه برحمة منا نالهم، وسلمناهم من عذاب شديد عذبنا به قومه الكافرين.

﴿٥٨﴾ وتلك عاد كفروا بإيات الله ربهم، وعصوا رسولهم هوداً، وأطاعوا أمر كل متكبر على الحق، طاع لا يقبله، ولا يذعن له.

﴿٥٩﴾ ولحقهم في هذه الحياة الدنيا الخزي والطرود من رحمة الله، وكذلك يوم القيامة هم مبعدون من رحمة

إِنْ نَقُولُ إِلَّا أَعْرَبْنَاكَ بَعْضَ الْهَتَنِاسِ سَوْءٌ قَالِ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُ أَنَّ بَرِيءٌ مِّمَّا تَشْرِكُونَ ﴿٥٥﴾ مِنْ دُونِهِ فَيَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظَرُونَ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ ﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَا هُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأَتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةَ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا إِنْ عَادَا كَفَرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا بَعْدَ الْعَادِ قَوْمُ هُودٍ ﴿٦٠﴾ \* وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَنْقُورُ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ وَأَسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ قَالُوا يَصْلِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ ﴿٦٢﴾

الله، وذلك سبب كفرهم بالله تعالى، ألا فأبعدهم الله من كل خير، وقربهم من كل شر.

﴿٦٠﴾ وأرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحاً، قال يا قوم، اعبدوا الله وحده، ما لكم من معبود يستحق العبادة غيره، هو خلقكم من تراب الأرض بخلق أبيكم آدم منه، وخلقكم عظاماً، فاطلبوا منه المعفرة ثم ارجعوا إليه بعمل الطاعات وترك المعاصي، إن ربي قريب ممن أخلص له العبادة، مجيب من دعاء.

﴿٦١﴾ قال له قومه: يا صالح، قد كنت فينا صاحب مكانة عالية قبل دعوتك هذه، فقد كنا نرجو أن تكون عاقلاً صاحب نصيح ومشورة، أتهاننا يا صالح عن عبادة ما كان آباؤنا يعبدونه؟ وإنا لفي شك مما تدعونا إليه من عبادة الله وحده، يجعلنا نهمك بالكذب على الله.

﴿٦٢﴾ من قوالهم الأقات،

- من وسائل المشركين في التفسير من الرسل الاتهام بخفة العقل والجنون.
- ضعف المشركين في كيدهم وعدائهم، فهم خاضعون لله مهضون تحت أمره وسلطانه.
- أدلة الربوبية من الخلق والإنشاء مقتضية لتوحيد الألوهية وترك ما سوى الله.

قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَعَاسَنِي  
 مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي  
 غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿١٦﴾ وَيَقَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ  
 فَذُرُّوهَا تَأْكُلْ فِي أََرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا يُسُوءَ فَيَأْخُذَكُمْ  
 عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ  
 ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكُمْ وَعَدُّ غَيْر مَكْذُوبٍ ﴿١٨﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا  
 نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِن  
 خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ وَأَخَذَ الَّذِينَ  
 ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيارِهِمْ جَثِمِينَ ﴿٢٠﴾  
 كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ؕ أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ ؕ أَلَا  
 بُعْدَ الثَّمُودِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَىٰ قَالُوا  
 سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ  
 أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً  
 قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٢٣﴾ وَامْرَأَتُهُ وَقَائِمَةٌ  
 فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٢٤﴾

﴿١٦﴾ قال صالح ردًا على قومه: يا قوم، أخبروني إن كنت على حجة واضحة من ربي، وأعطاني منه رحمة وهي النبوة، فمن يمنني من عقابه إن أنا عصيته بترك تبليغ ما أمرني بتبليغه إليكم؟ فما تزيدونني غير تضليل وبعد عن مرضاته.

﴿١٧﴾ ويا قوم، هذه ناقة الله لكم علامة على صدقي، فاتركوها ترعى في أرض الله، ولا تعرضوا لها بأي أذى فينالكم عذاب قريب من وقت غفركم لها.

﴿١٨﴾ فتعروها إيمانًا في التكذيب، فقال لهم صالح: استمتعوا بالحياة في أرضكم مدة ثلاثة أيام من غفركم إياها، ثم يأتيكم عذاب الله، فإتيان عذابه بعد ذلك وعد واقع لا محالة غير مكذوب، بل هو وعد صدق.

﴿١٩﴾ فلما جاء أمرنا بإهلاكهم سلمنا صالحًا والذين آمنوا معه برحمة منا، وسلمناهم من هوان ذلك اليوم ودثته. إن ربك أيها الرسول هو القوي العزيز الذي لا يغال به أحد، ولذلك أهلك الأمم المكذبة.

﴿٢٠﴾ وأخذ صوت شديد مهلك ثمود فماتوا من شدته، وأصبحوا ساقطين على وجوههم، قد لصقت وجوههم بالتراب.

﴿٢١﴾ كان لم يقيموا في بلادهم في نعمة ورغد عيش، ألا إن ثمود كفروا بالله ربه، لا زالوا مُبْعِدِينَ من رحمة الله.

﴿٢٢﴾ ولقد جاءت الملائكة في هيئة رجال إلى إبراهيم ﴿٢٢﴾ مبشرين إياه وزوجته بإسحاق ثم يعقوب، فقال الملائكة: سلامًا، فرد عليهم إبراهيم بقوله: سلام، وذهب مسرعًا، فجاءهم بعجل مشوي؛ ليأكلوا منه ظنًا منه أنهم رجال.

﴿٢٣﴾ فلما رأى إبراهيم أن أيديهم لا تصل إلى العجل، وأنهم لم يأكلوا منه استنكر ذلك منهم. وأحس في نفسه الخوف منهم، فلما رأت الملائكة خوفه منهم قالوا: لا تخف منا، نحن بعثنا الله إلى قوم لوط لنعذبهم.

﴿٢٤﴾ وامرأة إبراهيم «سارة» قائمة، فأخبرناها بما يسرها، وهو أنها تلد إسحاق، ويكون لإسحاق ولد هو يعقوب، فضحكت واستبشرت بما سمعت.

﴿٢٥﴾ من قِوْدِ الْآيَاتِ،

● عناد واستكبار المشركين حيث لم يؤمنوا بآية صالح ﴿١٦﴾ وهي من أعظم الآيات.

● استحباب تبشير المؤمن بما هو خير له.

● مشروعية السلام لمن دخل على غيره، ووجوب الرد.

● وجوب إكرام الضيف.

﴿٢٥﴾ فلما رأى إبراهيم أن أيديهم لا تصل إلى العجل، وأنهم لم يأكلوا منه استنكر ذلك منهم. وأحس في نفسه الخوف منهم، فلما رأت الملائكة خوفه منهم قالوا: لا تخف منا، نحن بعثنا الله إلى قوم لوط لنعذبهم.

﴿٢٦﴾ وامرأة إبراهيم «سارة» قائمة، فأخبرناها بما يسرها، وهو أنها تلد إسحاق، ويكون لإسحاق ولد هو يعقوب، فضحكت واستبشرت بما سمعت.

﴿٧١﴾ قالت سارة لما بشرتها الملائكة بتلك البشرى متعجبة: كيف ألد وأنا كبيرة آيسة من الولد، وهذا زوجي بلغ سن الشيخوخة؟ إن إنجاب ولد في هذه الحالة شيء عجيب، لم تجر العادة به.

﴿٧٢﴾ قالت الملائكة لسارة لما تعجبت من البشرى: أتعجبين من قضاء الله وقدره؟ فمثلك لا يخفى عليه أن الله قادر على مثل هذا، رحمة الله وبركاته عليكم يا أهل بيت إبراهيم إن الله حميد في صفاته وأفعاله، ذو مجد ورفعة.

﴿٧٣﴾ فلما ذهب عن إبراهيم الخوف الذي أصابه من ضيوفه الذين لم يأكلوا طعامه بعد علمه أنهم ملائكة، وجاءه الخير السار بأنه سيولد له إسحاق، ثم يعقوب، طفق يجادل رسلنا في شأن قوم لوط؛ لعلهم يؤخرون عنهم العذاب، ولعلهم ينحون لوطاً وأهله.

﴿٧٤﴾ إن إبراهيم حليم، يحب تأخير العقوبة، كثر التصرع إلى ربه، كثير الدعاء، تأث إليه.

﴿٧٥﴾ قال الملائكة: يا إبراهيم، أعرض عن هذا الجدل في قوم لوط، إنه قد جاء أمر ربك بإيقاع العذاب الذي قدره عليهم، وإن قوم لوط أتيتهم عذاب عظيم، لا يرد جدال ولا دعاء. ﴿٧٦﴾ ولما جاءت الملائكة لوطاً في هيئة رجال ساء مجيئهم، وضاق صدره بسبب الخوف عليهم من قومه الذين يأتون الرجال شهوة من دون النساء، وقال لوط: هذا يوم شديد؛ لظنه أن قومه سيفالبنوه على ضيوفه.

﴿٧٧﴾ وجاء قوم لوط لوطاً مسرعين فاصدين فعل الفاحشة بصيوفه، ومن قبل ذلك كان عادتهم إتيان الرجال شهوة من دون النساء، قال لوط مدافعاً قومه ومعدراً لنفسه أمام ضيوفه، هؤلاء بناتي من جملة نسائكم فتزوجوهن، فهن أظهر لكم من فعل الفاحشة، فخافوا من الله، ولا تحلبوا لي العار في ضيوفي، أليس منكم - يا قوم - رجل ذو عقل شديد ينهاكم عن هذا الفعل القبيح؟ ﴿٧٨﴾ قال له قومه لقد علمت يا لوط أنه ليس لنا حاجة في بناتك ولا ساء قومك، ولا شهوة، وإنك لتعلم ما نريد، فلا نريد إلا الرجال.

﴿٧٩﴾ قال لوط: ليت لي قوة أدفعكم بها، أو عشيرة تمنعني، فأحول بينكم وبين ضيوفي. ﴿٨٠﴾ قالت الملائكة للوط: يا لوط، إنا رسل الله، لن يصل إليك قومك سوء، فاحرج بأهلك من هذه القرية ليلاً في ساعة مظلمة، ولا ينظر أحدكم إلى ما وراءه، إلا امرأتك ستلتفت مخالفة؛ لأنه سينالها ما نال قومك من العذاب، إن موعد إهلاكهم الصبح، وهو موعد قريب.

﴿٨١﴾ من قومه الذين:

- بيان فضل ومنزلة خليل الله إبراهيم عليه السلام، وأهل بيته.
- مشروعية الجدل ممن يرجى له الإيمان قبل الرفق إلى الحاكم.
- بيان فظاعة وقبح عمل قوم لوط.

قَالَتْ يَوَئَلَيْكَ آلُودَ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا أَنْعَجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَتُهُ وَعَلَيْكُمْ أَهْلُ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبَشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَتَقَوْمٌ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوَىٰ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصْلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتُكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾



فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَىٰ هَا سَاقِلًا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا  
 حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنْضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ  
 وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ \* وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ  
 شُعَيْبًا قَالَ يَقَوْمُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّن إِلَهٍ غَيْرُهُ  
 وَلَا تَتَّقُوا الْمَكِّيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَبُكُمْ بِخَيْرٍ  
 وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَقَوْمُ  
 أَوفُوا الْمَكِّيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ  
 أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ  
 اللَّهَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ  
 بِخَفِيضٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا يَشْعِيبُ أَصَلَوْتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ  
 مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ  
 لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَقَوْمُ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ  
 عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ  
 أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَكُم عَنْهُ إِن أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ  
 مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾

﴿٨٢﴾ فلما جاء أمرنا جعلنا ساقلاً عليها  
 لوط صبرنا عالي فراهم ساقلاً  
 برعها وقلبيها بهم، وأمطرنا عليهم  
 حجارة من طين متصلب مصفوف  
 بعضها فوق بعض يتتابع.

﴿٨٣﴾ هذه الحجارة مُعلّمة عند الله  
 بعلامة خاصة، وليست هذه الحجارة  
 من الظالمين من قريش وغيرهم  
 ببعية، بل هي قريية متى قدر الله  
 إنزالها عليهم برلت.

﴿٨٤﴾ وأرسلنا إلى مدين أخاهم  
 شعيباً، قال، يا قوم، اعبدوا الله وحده،  
 ما لكم من معبود يستحق العبادة  
 غيره، ولا تقصوا الكيل والوزن إذا  
 كلتم للناس أو وزنتم لهم، إني أراكم  
 في سعة من الرزق ونعمة، فلا تغيروا  
 عليكم نعمة الله بالمعاصي، وإني  
 أخاف عليكم عذاب يوم محيط يدرك  
 كل أحد منكم، لا تجدون منه مهرباً ولا  
 ملجأ.

﴿٨٥﴾ وبيا قوم، أتموا المكيال والميزان  
 بالعدل إن كلتم أو وزنتم لغيركم، ولا  
 تقصوا الناس من حقوقهم شيئاً  
 بالتطفيف والنش والخداع، ولا تقصدوا  
 في الأرض بالقتل وغيره من المعاصي.

﴿٨٦﴾ بقية الله التي يبيقها لكم  
 من الحلال بعد إيفاء حقوق الناس  
 بالعدل، أكثر نفعاً وبركة من الزيادة  
 الحاصلة بالتطفيف والإفساد في  
 الأرض، إن كلتم مؤمنين حقاً فارضوا  
 بتلك البقية، ولست عليكم برقيب  
 أحصي أعمالكم، وأحاسبكم عليها،  
 إنما الرقيب على ذلك هو من يعلم  
 السر والنجوى.

﴿٨٧﴾ قال قوم شعيب لشعيب يا  
 شعيب، أصلاتك التي تصلها لله

تأمرك أن تترك عبادة ما كان آباؤنا يعبدونه من الأصنام، وتأمر أن تترك التصرف في أموالنا بما نشاء، ونتميها بما نشاء؟ إنك  
 لأنت الحليم الرشيد، فإنك أنت العاقل الحكيم كما عرفناك قبل هذه الدعوة، فما الذي أصابك؟

﴿٨٨﴾ قال شعيب لقومه يا قوم، أخبروني عن حالكم إن كنتم على برهان واضح من ربي، وبصيرة منه، ورزقي منه رزقاً حلالاً، ومنه  
 النبوة، وما أريد أن أنهاكم عن شيء وأحالفكم في فعله، لا أريد إلا إصلاحكم بدعوتكم إلى توحيد ربكم وطاعته قدر استطاعتي، وما  
 توفيقني إلى الحصول على ذلك إلا بالله سبحانه، عليه وحده توكلت في جميع أموري، وإليه أرجع.

● من فوائد الآيات:

- من سنن الله إهلاك الظالمين بأشد العقوبات وأفظعها.
- حرمة نقص الكيل والوزن وبخس الناس حقوقهم.
- وجوب الرضا بالحلال وإن قل.
- فضل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ووجوب العمل بما يأمر الله به، والابتغاء عما ينهى عنه.

﴿٨٨﴾ **وَيَا قَوْمِ لَا تَعْمَلُوا لَكُمْ عَدَاوِي** على التكذيب بما جئت به؛ خوف أن ينالكم من العذاب مثل ما نال قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح، وما قوم لوط منكم يبعيد، لا زماناً ولا مكاناً، وقد علمتم ما أصابهم، فاعتبروا.

﴿٨٩﴾ **وَاطْلُبُوا المغفرة من ربكم، ثم توبوا إليه من ذنوبكم، إن ربي رحيم** بالتائبين، شديد المحبة لمن تاب منهم.

﴿٩٠﴾ **قَالَ قوم شعيب لشعيب، يا شعيب، ما بهم كثير مما حثت به، وإنا لنراك فينا ذا ضعف لما أصاب عينيك من ضعف أو عمي، ولولا أن عشيرتك على ملتأ لقتلناك بالرمي بالحجارة، ولست علينا بعزير حتى نهاب قتلك، وإنما تركنا قتلك احتراماً لعشيرتك.**

﴿٩١﴾ **قَالَ شعيب لقومه، يا قوم، أعسرتي أكرم عندكم وأعز من الله ربكم؟** وتركتكم الله ورائكم مسوداً حين لم تؤمنوا بنبيه الذي بعثه إليكم، إن ربي بما تعملون محيط، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم، وسيجازيكم عليها في الدنيا بالإهلاك، وفي الآخرة بالعذاب.

﴿٩٢﴾ **وَيَا قَوْمِ، اعملوا ما تستطيعونه على طريقكم التي ارتضيتموها، إني عامل على طريقتي التي ارتضيها بما أستطيعه، سوف تعلمون من منا يأتيه عذاب يذله عقاباً له، ومن منا هو كاذب فيما يدعيه، فاسطروا ما يقضي به الله، إني معكم منتظر.**

﴿٩٣﴾ **ولما جاء أمرنا بإهلاك قوم شعيب أنقذنا شعيباً والذين آمنوا معه برحمة منا، وأصاب الذين ظلموا من قومه صوت شديد مهلك فماتوا،**

وَيَقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ **وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ** ﴿٩٠﴾ **قَالُوا يَشْعِيبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لنراك فينا ضعیفاً ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزير** ﴿٩١﴾ **قَالَ يَقَوْمِ ارْهَطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخِذْهُمُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيَّ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ** ﴿٩٢﴾ **وَيَقَوْمِ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ وَأَرْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ** ﴿٩٣﴾ **وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِئَرِهِمْ جَثَمِينَ** ﴿٩٤﴾ **كَانَ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدَ الْمَدِينِ كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ** ﴿٩٥﴾ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ** ﴿٩٦﴾ **إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ** ﴿٩٧﴾

وأصبحوا ساقطين على وجوههم، فد لصقت وجوههم بالراب.

﴿٩٥﴾ كان لم يقيموا فيها من قبل، ألا طردت مدين من رحمة الله بحلول نعمته عليهم، كما طردت منها ثمود بإثر آل سحطه عليهم.

﴿٩٦﴾ ولقد أرسلنا موسى بآياتنا الدالة على توحيد الله، وبحججنا الواضحة الدالة على صدق ما جاء به.

﴿٩٧﴾ أرسلناه إلى فرعون والأشرف من قومه، فاتبع هؤلاء الأشرف أمر فرعون لهم بالكفر بالله، وليس أمر فرعون بأمر ذي إصالة للحق حتى يتبع.

• من قوالب الآيات،

• ذم الجهلاء الذين لا يفقهون عن الأنبياء ما جاؤوا به من الآيات.

• ذم وتسفيه من اشتغل بأوامر الناس، وأعرض عن أوامر الله.

• بيان دور العشيبة في نصرة الدعوة والدعاة.

• طرد المشركين من رحمة الله تعالى.

يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ  
 الْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتِيَ عَافِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ بِئْسَ  
 الرِّقْدُ الْمَرْقُودُ ﴿٩٩﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ  
 مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْتَهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا  
 أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ  
 اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُهُمْ إِلَّا تَتَابَعٌ ﴿١٠١﴾  
 وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ  
 أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ  
 ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾  
 وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلُمُ نَفْسٌ  
 إِلَّا بِأَمْرِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَمِنْهُمْ  
 النَّارُ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ  
 وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾  
 \* وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فَمِنْهُمْ الْجَنَّةُ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ  
 السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرُ مَجْذُودٍ ﴿١٠٨﴾

﴿٩٨﴾ يتقدم فرعون قومه يوم القيامة إلى النار حتى يدخلهم فيها، وساء المورد الذي يوردهم إليه.

﴿٩٩﴾ وأتبعهم الله في الحياة الدنيا لعنة وطرذاً وإبعاداً من رحمته مع ما أصابهم من الهلاك بالفرق، وأتبعهم طرذاً وإبعاداً منها يوم القيامة، ساء ما حصل لهم من تردف اللعنين والعذاب في الدنيا والآخرة.

﴿١٠٠﴾ ذلك المذكور في هذه السورة من أخبار القرى تخبرك أيها الرسول به، من هذه القرى ما هو قائم المعامل، ومنها ما مُجيت معالمة، فلم يبق له أثر.

﴿١٠١﴾ وما ظلمناهم بما أصبناهم به من هلاك، ولكن ظلموا أنفسهم بإيرادها موارد الهلاك بكفرهم بالله، فما دفعت عنهم الهتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله ما نزل بهم من عذاب حين جاء أمر ربك أيها الرسول - بإهلاكهم، وما زادتهم آلهتهم هذه إلا خساراً وهلاكاً.

﴿١٠٢﴾ وكذلك الأخذ والاستئصال الذي أخذ الله به القرى المكذبة في كل زمان ومكان، إن أخذه للقرى الظالمة أخذ مؤلم قوي.

﴿١٠٣﴾ إن في أخذ الله الشديد لتلك القرى الظالمة لعبرة وعظة لمن خاف عذاب يوم القيامة، ذلك اليوم الذي يجمع الله له الناس لمحاسبتهم، وذلك يوم مشهود يشهده أهل المحشر.

﴿١٠٤﴾ ولا تؤخر ذلك اليوم المشهود إلا لأجل معلوم العدد.

﴿١٠٥﴾ يوم يأتي ذلك اليوم لا تتكلم أي نفس بحجة أو شفاعة إلا بعد إذنه، والناس فيه نوعان: شقي يدخل النار، وسعيد يدخل الجنة.

﴿١٠٦﴾ فأما الأشقياء لكفرهم وفساد أعمالهم فيدخلون في النار، ترتفع فيها أصواتهم وأماسهم من شدة ما يعانون من لهيبها، ماكتون فيها أبداً، لا يخرجون منها ما دامت السماوات والأرض، إلا من شاء الله إخراجهم من عصاة الموحدين، إن ربك أيها الرسول فعَّال لما يريد، فلا تستكبر له سبحانه.

﴿١٠٧﴾ وأما السعداء الذين سبقت لهم السعادة من الله لإيمانهم وصلاح أعمالهم، فهم في الجنة ماكتون فيها أبداً ما دامت السماوات والأرض، إلا من شاء الله إدخاله النار قبل الجنة من عصاة المؤمنين، إن نعيم الله لأهل الجنة غير مقطوع عنهم.

﴿١٠٨﴾ من فوائد الآيات:

- التحذير من اتباع رؤساء الشر والفساد، وبيان شؤم اتباعهم في الدارين.
- تنزه الله تعالى عن الظلم في إهلاك أهل الشرك والمعاصي.
- لا تنفع آلهة المشركين عابديها يوم القيامة، ولا تدفع عنهم العذاب.
- انقسام الناس يوم القيامة إلى: سعيد خالد في الجنان، وشقي خالد في النيران.



فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ  
 آبَاؤَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمَوْفُوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ  
 ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ  
 سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِمَّنْ هُيَبِ  
 ﴿١١﴾ وَإِنْ كَلَّا لَمَا يُؤْفِقُ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ  
 خَبِيرٌ ﴿١٢﴾ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا  
 إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٣﴾ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا  
 فْتَمَسَّكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ  
 لَا تُنصَرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ  
 اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرِي  
 لِلذَّاكِرِينَ ﴿١٥﴾ وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ  
 ﴿١٦﴾ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ  
 عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ  
 الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ وَمَا  
 كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١٨﴾

﴿١٠﴾ فلا تكن أيها الرسول في رتياب وشك من فساد ما يعبد هؤلاء المشركون، فليس لهم على صحته برهان عقلي ولا شرعي، وإنما الحامل لهم على عبادة غير الله تقليدهم لأنهم، وإنما يُشكِّون لهم نصيبهم من العذاب دون نقص.

﴿١١﴾ ولقد أعطينا موسى التوراة، فاختلف الناس فيها، فأمن بعضهم بها، وكفر بعض، ولولا قضاء من الله سبق أنه لا يُفْعَلُ العذاب، بل يؤخره إلى يوم القيامة لحكمة، لنزل بهم ما يستحقون من العذاب في الدنيا، وإن الكافرين من يهود ومشركين لفي شك من القرآن موقع في الارتياب.

﴿١٢﴾ وإن كل من ذكر من المختلمين لَيُتَمَرَّ لهم ربك - أيها الرسول - جزاء أعمالهم، فما كان خيرا كان جزاؤه خيرا، وما كان شرا كان جزاؤه شرا، إن الله بدقائق ما يعملونه عليهم، لا يخفى عليه من أعمالهم شيء.

﴿١٣﴾ دأوم على الالتزام بالطريق المستقيم - أيها الرسول - كما أمرك الله، فامتثل أوامره، واجتنب نواهيه، وليستقم من تاب معك من المؤمنين، ولا تتجاوزوا الحد بارتكاب المعاصي، إنه بما تعملون بصير، لا يخفى عليه من أعمالكم شيء، وسيعازيكم عليها. ﴿١٤﴾ ولا تميلوا إلى الكفار الظالمين بمداينة أو مودة، فتصيبكم النار بسبب ذلك الميل. وليس لكم من دون الله أولياء يتقنونكم منها، ثم لا تجدون من ينصركم.

﴿١٥﴾ وأقم - أيها الرسول - الصلاة على أحسن وجه في طرفي النهار وهما أول النهار وآخره، وأقمها في ساعات

من الليل، إن الأعمال الصالحات تمحو صفائر الذنوب، ذلك المذكور موعظة للمتعبين، وعبرة للمعتبرين.

﴿١٦﴾ وأصبر على فعل ما أمرت به من الاستقامة وغيرها، وعلى ترك ما نهيت عنه من الطغيان والركون إلى الظلمة، إن الله لا يبطل ثواب المحسنين، بل يتقبل منهم أحسن الذي عملوا، ويحريهم أحرهم بأحسن ما كانوا يعملون.

﴿١٧﴾ فهلا كان من الأمم المعدلة قبلكم بشية من أهل الصل والمصالح ينهون تلك الأمم عن الكفر. وعن الفساد في الأرض بالمعاصي، لم تكن منهم تلك البقية، إلا قليل منهم كانوا ينهون عن الفساد، فأنجيناهم حين أهلكنا قومهم الظالمين، واتبع الظالمون من أقوامهم ما هم فيه من النعيم، وكانوا ظالمين باتباعهم ذلك.

﴿١٨﴾ وما كان ربك - أيها الرسول - ليهلك قرية من القرى إذا كان أهلها مصلحين في الأرض، إنما يهلكها إن كان أهلها مفسدين بالكفر والظلم والمعاصي.

﴿١٩﴾ من فوائد الآيات:

- وجوب الاستقامة على دين الله تعالى.
- التحذير من الركون إلى الكفار الظالمين بمداينة أو مودة.
- بيان سعة الله تعالى في أن الحسنات تمحو السيئة.
- الحث على إيجاد جماعة من أولي الفضل يأمرهم بالمعروف وينهون عن الفساد والشر، وأنهم عصمة من عذاب الله.

وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ  
 إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ  
 لَا مَلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٨﴾ وَكَلَّا تَقْصُ  
 عَلَيْكَ مِن آبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُسِيتُ بِهِ فُؤَادَكَ ۖ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ  
 الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٩﴾ وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ  
 أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ ﴿١٢٠﴾ وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ  
 ﴿١٢١﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ  
 فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾

## سُورَةُ يُسُفَٰ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا  
 عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ  
 الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ  
 لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾ إِذْ قَالَ يُسُفُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ۖ فَانْزِلْ  
 أَحَدَ عَشَرَ كُوكَبًا ۖ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ رَأَيْتَهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾

## سُورَةُ يُسُفَٰ

— مَكِّيَّةٌ —

﴿١١٨﴾ ولو شاء ربك أن يجعل الناس أمة واحدة على الحق لفعل، لكنه لم يشأ ذلك، فلا يزالون مختلفين فيه سبب اتباع الهوى والبغى.

﴿١١٩﴾ إلا من رحمهم الله بالتوفيق للهداية، فإنهم لا يختلفون في توحيد سبحانه، ولذلك الاحتبار بالاختلاف خلقهم سبحانه، فمنهم شقي وسعيد، وتمت كلمة ربك أيها الرسول التي قصاها في الأول بملء هجهم من اتباع الشيطان من الجن والناس.

﴿١٢٠﴾ وكل حبر نقصه عليك أيها الرسول - من أخبار الرسل من قبلك نقصه لتثبت به قلبك على الحق وتقويه، وجاءك في هذه السورة الحق الذي لا شك فيه، وجاءك فيها موعظة للكافرين، وذكرى للمؤمنين الذين ينتفعون بالذكرى.

﴿١٢١﴾ وقال - أيها الرسول - للذين لا يؤمنون بالله، ولا يوحدونه: اعملوا على طريقكم في الإعراض عن الحق والصد عنه، إنا عاملون على طريقنا من الثبات عليه، والدعوة له، والصبر عليه.

﴿١٢٢﴾ وترقبوا ما ينزل بنا، إنا مترقبون ما ينزل بكم.

﴿١٢٣﴾ ولله وحده علم ما عاب في السماوات، وما عاب في الأرض. لا يخفى عليه شيء منه، وإليه وحده يرجع الأمر جميعه يوم القيامة، فاعبده أيها الرسول وحده، وتوكل عليه في كل أمورك، وليس ربك بفاقل عما تعملون، بل هو عليم به، وسبحا زى كلاً بما عمل.

• مِن مَّقَاصِدِ السُّورَةِ:

الاعتبار بلطف تدبير الله لأوليائه وتمكينهم، وحسن عاقبتهم.

• التَّشْبِيرُ:

﴿١﴾ سبقت الكلام عليها وعلى نظائرها في بداية سورة البقرة. هذه الآيات التي أنزلت في هذه السورة من آيات القرآن الواضح فيما اشتمل عليه. ﴿٢﴾ إنا أنزلنا القرآن بلغة العرب لعلمكم أيها العرب قهيمون معانيه. ﴿٣﴾ نحن نقص عليك أيها الرسول أحسن القصص لصديقها وسلامة أنظارها وبلاغتها، يأنزلنا عليك هذا القرآن، وإنك كنت من قبل إنزاله من الغافلين عن هذا القصص، لا علم لك به. ﴿٤﴾ نخبرك - أيها الرسول - حين قال يوسف لأبيه يعقوب: يا أبت، إني رأيت في المنام أحد عشر كوكبا، ورأيت الشمس والقمر، رأيت كل أولئك لي ساجدين، فكانت هذه الرؤيا عاجل بشرى ليوسف.

• مِن قَوَائِدِ آيَاتِ:

• بيان الحكمة من القصص القرآني، وهي تثبيت قلب النبي ﷺ وموعظة المؤمنين. • انفراد الله تعالى بعلم الغيب لا يشركه فيه أحد. • الحكمة من نزول القرآن عربياً أن يعقله العرب: ليلعبوا إلى غيرهم. • اشتمال القرآن على أحسن القصص.

٢٥ قال يعقوب لابنه يوسف: يا بني، لا تذكر رؤياك لإخوتك، فيضهموها، ويحسدوك، فيدبروا لك مكيدة حسداً منهم، إن الشيطان للإنسان عدو واضح العداوة.

٢٦ وكما رأيت تلك الرؤيا يختارك يا يوسف ربك، ويعلمك تعبیر الرؤى، ويكمل نعمته عليك بالنبوة كما أتم نعمته على أنوبك من قبل: إبراهيم وإسحاق، إن ربك عليم بخلقه، حكيم في تدبيره.

٢٧ لقد كان في خبر يوسف وخبر إخوته عبر وعظات للسائلين عن أخبارهم.

٢٨ حين قال إخوته فيما بينهم: ليوسف وأخوه الشقيق أحب إلى أبينا منا ونحن جماعة دوو عدد، فكيف فضلهم علينا؟ إنا لنراه في خطأ بين حين فضلهم علينا من غير سب يظهر لنا.

٢٩ اقتلوا يوسف، أو غيبوه في أرض بعيدة: يخلص لكم وجه أبيكم فيحكم حياً كاملاً، وتكونوا من بعد ما تقدمون عليه من قتله أو تعييبه قوماً صالحين، حين تتوبون من ذنبكم.

٣٠ قال أحد الإخوة لا تقتلوا يوسف، ولكن ارموه في فعر البئر يأخذه بعض المسافرين الذين يمرّون به، فهذا أخف ضرراً من قتله، إن كنتم عازمين على ما قلتم بشأنه.

٣١ ولما اتفقوا على إبعاده قالوا لايهم يعقوب: يا أبانا، ما لك لا تجعلنا أمناء على يوسف؟ وإنا لنعشيقون عليه نرعاه مما يضره، ونحن ناصحون له بحفظه ورعايته حتى يعود إليك سالماً، فما الذي يمنعك من إرساله

قَالَ يَجِبَنِي لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ٥ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ ۖ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٦ \* لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَاتٍ لِّلْمَسْأَلِينَ ٧ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ غُصْبَةٌ ۚ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ٨ أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ طَرْحُوهُ أَرْضَ حَوْءٍ لَّكُمْ وَجْهٌ أَيْسَرُ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ٩ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَالْقَوَّةُ فِي عَيْبَتِ الْحَبِّ ۖ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ ۖ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ١٠ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَصْحُونَ ١١ أَرْسَلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبَ وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ ١٢ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ ۖ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ١٣ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ۖ إِنَّا إِذَا الْخُسُوفُ ١٤

٢٥ اسمح لنا بأخذ معنا غداً يتمتع بالطعام ويمرح، وإنا له لحافظون من كل أذى يصيبه.

٢٦ قال يعقوب لأبنائه: إني ليحزني ذهابكم به، لأنني لا أصبر على فراقه، وأخاف عليه من أن يأكله الذئب وأنتم لاهون عنه بالرتع واللعب.

٢٧ قالوا لأبيهم: لئن أكل الذئب يوسف ونحن جماعة إنا في هذه الحال لا خير فيها، فتحن خاسرون إذ لم نمنعه من الذئب.

٢٨ من فوائده الآيات:

- ثبوت الرؤيا شرعاً، وجواز تعبيرها.
- مشروعية كتمان بعض الحقائق إن ترتب على إظهارها شيء من الأذى.
- بيان فضل ذرية آل إبراهيم واصطفائهم على الناس بالنبوة.
- الميل إلى أحد الأبناء بالحب يورث العداوة والحسد بين الإخوة.



١٥ فأرسله يعقوب معهم، فلما ذهبوا به بعيداً، وعزموا على رمه في قعر البئر، أوحينا إلى يوسف في هذه الحال: لتخبرنهم بصنيعهم هذا وهم لا يشعرون بك حال إخبارك لهم. ١٦ وجاء إخوة يوسف أباهم وقت العشاء يتباكرون ترويحاً لمرهم. ١٧ قالوا: يا أبانا، إنا ذهبنا نتساقب على الأرجل وتترامي بالنبال، وتركنا يوسف عند ثيابنا وأزوادنا ليحفظها، فأكله الذئب، ولست بمصدق لنا، وإن كنا في الواقع صادقين فيما أخبرناك به.

١٨ وأكدوا خبرهم بحيلة، فجاؤوا بقميص يوسف ملطخاً بدم غير دمه، موهمين أنه أكل الذئب له، فظن يعقوب بقرينة أن القميص لم يُمَرَّق - كذبهم، فقال لهم: ليس الأمر كما أخبرتم، بل ريت لكم أنفسكم أمراً سيئاً صنعتموه به، فأمرني صبر جميل لا جرع فيه، والله المطلوب منه العون على ما تذكرونه من أمر يوسف. ١٩ وجاءت قافلة مارة، فبعثوا من يستقي لهم الماء، فأرسل دؤوبه في البئر، فتعلق يوسف بالحبل، فلما أبصره مرسلها قال مسروراً: يا بشراي هذا غلام، وأخفاء واردهم وبعض أصحابه عن بقية القافلة زاعمين أنه بضاعة استبضعوها، والله عليم بما يفعلونه بيوسف من الابتذال والبيع، لا يخفى عليه من عملهم شيء.

٢٠ وباعه الوارد وأصحابه بمصر بثمن رهيد، فهو دراهم سهلة العد لقلتها، وكانوا من الزاهدين فيه لحرصهم على التخلص منه سريعاً، فقد علموا من حاله أنه ليس بملوك،

وخافوا على أنفسهم من أهله، وهذا من تمام رحمة الله به حتى لا يبقى معهم طويلاً.

٢١ وقال الرجل الذي اشتراه من مصر لأمراته أحسنني إليه وأكرميه في مقامه معنا؛ لعله ينفعنا في القيام ببعض ما نحتاج إليه، أو يصير له ولداً بالنبثي. وكما أنجبنا يوسف من القتل، وأحرجناه من البئر، وعطفنا عليه قلب العرير، مكنا له في مصر، ولتعلمه تأويل الرؤيا، والله غالب على أمره، فأمره نافذ، فلا مكره له سبحانه، ولكن غالب الناس وهم الكمار لا يعلمون ذلك.

٢٢ ولما بلغ يوسف سن اشتداد البس أعطيناه فهمًا وعلماً، ومثل هذا الجزاء الذي جريناه به بجزي المحسنين في عبادتهم لله.

● من فوائد الآيات،

● بيان خطورة الحسد الذي حرَّ إخوة يوسف إلى الكيد به والمؤامرة على قتله.

● مشروعية العمل بالقرينة في الأحكام.

● من تدبير الله ليوسف ﷺ ولطفه به أن هذف في قلب عرير مصر معاني الأبوة بعد أن حجب الشيطان عن إخوته معاني الأخوة.

١٣٠ وطلبت امرأة العزيز برهق وإعمال  
سيلة من يوسف عليه السلام فعل الفاحشة،  
وعلقت الأبواب إمعاناً في الخلوة،  
وقالت له هلمّ وتعال إليّ، فقال  
يوسف: أعصم بالله مما دعوتني  
إليه، إن سيدي أحسن إليّ في مقامتي  
عنده فلن أخونه، فإن حفته كنت  
ظالمًا، إنه لا يفوز الظالمون

وَلَقَدْ رَعِبْتَ نَفْسَهَا فِي فِعْلِ  
النَّفَاحِشَةِ، وَحَظَرَ عَلَى نَفْسِهِ هُوَ  
ذَلِكَ، لَوْلَا أَنَّهُ رَأَى مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَا  
يَكْفُهُ عَنْ ذَلِكَ وَبَعْدَهُ، وَقَدْ أَرَيْنَاهُ  
ذَلِكَ لِنُكْشِفَ عَنْهُ السُّوءَ، وَنُبَعِّدَهُ عَنِ  
الزُّنَى وَالْخِيَانَةِ، إِنْ يَوْسُفُ مِنْ عِبَادِنَا  
الْمُخْتَارِينَ لِلرَّسَالَةِ وَالنُّبُوَّةِ.

١٥) وتسابقا إلى الباب: يوسف  
 ليتجو بنفسه، وهي لتمنعه من  
 الخروج، فأمسكت بقميصه لتمنعه  
 من الخروج، فشَقَّته من خلفه، ووجد  
 زوجها عند الباب، قالت امرأة العزيز  
 للعزيز محتالة ليس عقاب من قصد  
 بزوجك يا عزيز فعل الفاحشة إلا  
 السجن، أو أن يُعَذَّبَ عذاباً موجعاً.  
 ١٦) قال يوسف عليه السلام: هي التي  
 طلبت مني الفاحشة، ولم أرْدها منها،  
 فانبعث شاهدٌ من أهلها فشهد بقوله:  
 إن كان قميص يوسف شقٌّ من أمامه  
 فذلك قرينة على صدقها؛ لأنها كانت  
 تمنعه من نفسها، فهو كاذب.

﴿٧٧﴾ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ شُقٌّ مِنْ خَلْفِهِ  
فَذَلِكَ قَرِينَةٌ عَلَى صِدْقِهِ؛ لَكُونَهَا كَأَنَّ  
تُرَاوِدَهُ وَهُوَ هَارِبٌ عَنْهَا، فَهِيَ كَاذِبَةٌ.

فلما شاهد العزيز أن قميص يوسف عليه السلام سُئِيَ من حلمه تحقق من صدق يوسف، وقال: إن هذا القذف الذي هذفت به من جملة مكرِكُنَّ

وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ ۖ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ  
وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ  
إِنَّهُ لَا يَفْلَحُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ۖ وَهَمَّ بِهَا  
لَوْلَا أَنَّ رَأَى ابْرَهْنَ رَبَّهُ ۖ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ  
وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٤﴾ وَأَسْتَبَقَا  
الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ ۖ مِنْ دُبُرٍ ۖ وَالْفَيَاسِيذُ هَالِكَا ۖ لَدَا الْبَابِ  
قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ  
أَلِيمٌ ﴿٤٥﴾ قَالَ هِيَ رَوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي ۖ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ  
أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ ۖ وَقَدْ مِنْ قُبْلِ فَصَدَقَتْ ۖ وَهُوَ مِنْ  
الْكَاذِبِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ ۖ وَقَدْ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ ۖ وَهُوَ  
مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّارَةً قَمِيصَهُ ۖ وَقَدْ مِنْ دُبُرٍ ۖ قَالَ إِنَّهُ  
مِنْ كَيْدِ كُنَّ ۖ إِنْ كَيْدَ كُنَّ عَظِيمٌ ﴿٤٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ  
هَذَا ۖ وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ  
﴿٤٩﴾ ۖ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَوِّدُ فَتَاهَا  
عَنْ نَفْسِهِ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٥٠﴾

محشر النساء    اِنَّ مَكْرُكُنَّ مَكْرٌ قَوِيٌّ.

❦ وقال ليوسف: يا يوسف، اصبرْ عن هذا الأمر صفحًا، ولا تذكره لأحد، واطلبي أنت المغفرة لإثمك، إلك كنت من الآثمين بسبب مرأوة يوسف عن نفعه.

وانتشر خبرها في المدينة، وقالت طائفة من النساء على سبيل الإنكار: زوجة العزيز تدعو عبدها إلى نفسها، قد وصل حبه شعاف قلبها (أي: غلافه)، أنا لنراها بسبب مراودتها له وحبها إياه - وهو عبدها - في ضلال واضح.

• من فوائد الآيات:

- قبح خيانة المحسن في أهله وماله، الأمر الذي ذكره يوسف من حيلة أسباب رفض الفاحشة.
- بيان عصمة الأنبياء وحفظ الله لهم من الوقوع في السوء والفحشاء.
- وجوب دفع الفاحشة والهرب والتخلص منها.
- مشروعية العمل بالقرائن في الأحكام.

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكِنًا  
وَأَتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ  
كَبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا  
إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاودْنَهُ  
عَنِ نَفْسِهِ فَوَاسْتَعَصَمَ وَلَئِنْ لَّمْ يَفْعَلْ مَا أُمِرُوهُ لَيَسْجَنَنَّ  
وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّغِيرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي  
إِلَيْهِ ۖ وَلَا أَتَصَرَّفُ فِي كَيْدِهِنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ  
﴿٣٣﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ وَفَصَّرَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ  
الْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا آيَاتٍ لِّيَسْجُنَنَّ  
وَحَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي  
أَرَانِي أُعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي  
خَبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِهِ ۖ وَإِنَّا نرَاكَ مِنَ  
الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِيهِ إِلَّا نَبَأُكُمَا  
بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ  
مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾

﴿ ٢٣٩ ﴾

﴿٣١﴾ فلما سمعت امرأة العزيز إنكارها من عليها واغتيابها عن إياها بعثت إليهن تدعوهن ليرين يوسف فيعذرنها، وهيأت لهن محلاً فيه فراش ووسائد، وأعطت كل واحدة من المدعوات سكيناً تقطع به الطعام. وقالت ليوسف ﷺ: اخرج عليهن، فلما نظرن إليه أعظمته، واندھشن لحسنه، وانبهرن بجماله، وجرحن أيديهن - من شدة الانبهار به - بالسكاكين المعدة لقطع الطعام، وقُلْنَ: تشره الله، ليس هذا الفلام بشرًا، فما هو فيه من الجمال لم يُعْهد في البشر، ليس إلا ملكاً كريماً من الملائكة الكرام.

﴿٣٢﴾ قالت امرأة العزيز للقسوة لما رأت ما أصابهن: هذا هو الفتى الذي عيرتُنِّي بسبب حبه، ولقد طلبته، واحتلت لإغوائه، فامتنع، ولئن لم يفعل ما أطلب منه مستقبلاً ليدخل السجن، وليكون من الأذلاء.

﴿٣٣﴾ قال يوسف ﷺ داعياً ربه: يا رب، السجن الذي هددتني به أحب إليّ مما يدعونني إليه من فعل الفاحشة. وإذا لم تكشف عني مكرهن أمل إليهن، وأكن من الجاهلين إن ملئت إليهن، وطاوعتهن فيما يردن مني.

﴿٣٤﴾ فأجاب الله دعوته، وكشف عنه مكر امرأة العزيز ومكر نسوة المدينة، إنه ﷻ السميع لدعاء يوسف، ولدعاء كل داع، العليم بحاله وحال غيره.

﴿٣٥﴾ ثم كان من رأي العزيز وقومه لما شاهدوا الأدلة على براءته أن يسجنوه حتى لا تنكشف القضية إلى مدة غير معلومة.

﴿٣٦﴾ فسجنوه، ودخل معه غلامان في السجن، قال أحد الغلامين ليوسف: إني رأيت في المنام أني أعصر العنب ليصير خمرًا، وقال الثاني: إني رأيت أني أحمل فوق رأسي خبرًا تأكل الطيور منه، أخبرنا - يا يوسف - بتفسير ما رأينا، إنا نراك من أهل الإحسان.

﴿٣٧﴾ قال يوسف ﷻ: لا يأتيكما طعام يجري عليكما من الملك أو غيره إلا بينت لكما حقيقته وكفصته قبل أن يأتيكما، ذلكما لتأويل الذي أعلمه هو مما علمنيه ربي، لا من الكهانة ولا من التنجيم. إني تركت دين قوم لا يؤمنون بالله، وهم بالآخرة كاهرون من قولي: ﴿لَا يَأْتِي﴾

• بيان جمال يوسف ﷻ الذي كان سبب افتتان النساء به.

• إتيار يوسف ﷻ السجن على معصية الله.

• من تدبير الله ليوسف ﷻ ولطفه به تعليمه تأويل الرؤى وجعلها سبباً لخروجه من بلاء السجن.

في السجن، قال أحد الغلامين ليوسف: إني رأيت في المنام أني أعصر العنب ليصير خمرًا، وقال الثاني: إني رأيت أني أحمل فوق رأسي خبرًا تأكل الطيور منه، أخبرنا - يا يوسف - بتفسير ما رأينا، إنا نراك من أهل الإحسان.

﴿٣٧﴾ قال يوسف ﷻ: لا يأتيكما طعام يجري عليكما من الملك أو غيره إلا بينت لكما حقيقته وكفصته قبل أن يأتيكما، ذلكما لتأويل الذي أعلمه هو مما علمنيه ربي، لا من الكهانة ولا من التنجيم. إني تركت دين قوم لا يؤمنون بالله، وهم بالآخرة كاهرون



﴿٢٨﴾ واتبعته ديرا ابائى إبراهيم وإسحاق ويعقوب، وهو دين التوحيد لله، ما يصح لنا أن نشرك بالله غيره، وهو المنفرد بالوحدانية، ذلك التوحيد والإيمان الذي أنا عليه وأبائى هو من فضل الله علينا أن وفقنا له، ومن فضله على الناس جميعا حين بعث إليهم الأنبياء به، ولكن أكثر الناس لا يشكرون الله على نعمه، بل يكفرونه.

﴿٢٩﴾ ثم خاطب يوسف الفلامين في السجن قائلا: أعبادا آلهة متعددة خير، أم عبادة الله الواحد الذي لا شريك له، القهار لغيره، الذي لا يقهر؟ ﴿٣٠﴾ ما تعبدون من دون الله إلا أسماء على غير مسميات، سميتوها أنتم وآباؤكم آلهة، ليس لها في الألوهية نصيب، لم ينزل الله بتسميتكم لها حجة تدل على صحتها، ليس الحكم في جميع المخلوقات إلا لله وحده، لا لهذه الأسماء التي سميتوها أنتم وآباؤكم، أمر الله سبحانه أن تؤخّده بالعبادة، ونهى أن تشركوا معه غيره، ذلك التوحيد هو الدين المستقيم الذي لا اعوجاج فيه، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ذلك، ولذلك يشركون بالله، فيعبدون بعض مخلوقاته.

﴿٣١﴾ يا رهيقي السجن، أما الذي رأى أنه يصير عتبا ليصير خمرا فإنه يخرج من السجن، ويرجع إلى عمله، فيسقي الملك، وأما الذي رأى أن فوق رأسه خبزا تاكل الطير منه فإنه يقتل ويصلب، فتاكل الطير من لحم رأسه، فرغ الأمر الذي طلبتما الفتيّا فيه وتم، فهو واقع لا محالة.

﴿٣٢﴾ وقال يوسف للذي ظن أنه ناج

منهما وهو ساقى الملك : اذكر قصتي وشأني عند الملك: لعله يحررني من السجن، فأسى الشيطان الساقى ذكر يوسف عند الملك، فمكث يوسف في السجن بعد ذلك عدة سنوات.

﴿٣٣﴾ وقال الملك: إني رأيت سبع بقرات سمان يأكلهن سبع سبيلات خضر، وسبع سبيلات يابسات، يا أيها السادة والأشراف، أخبروني بتأويل رؤياي هذه إن كنتم عالمين بتأويل الرؤيا.

من قواي لأيات:

- وجوب اتباع ملة إبراهيم، والبراءة من الشرك وأهله.
- في قوله: ﴿أَرَبَابٌ مُّشْرِقُونَ﴾ دليل على أن هؤلاء المصريين كانوا أصحاب ديانة سماوية لكنهم أهل إشراك
- كل الآلهة التي تعبد من دون الله ما هي إلا أسماء على غير مسميات، ليس لها في الألوهية نصيب.
- استغلال المناسبات للدعوة إلى الله، كما استغلها يوسف عليه السلام في السجن.

وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٨﴾ يَصْحَبِي السِّجْنُ أَرَبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٢٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ يَصْحَبِي السِّجْنُ أَمَّا أَحَدُكُمْ فَتَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٣١﴾ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعٌ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٣٣﴾

قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَامُهُ مَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾  
 وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنْتَكِرُ بِتَأْوِيلِهِ  
 فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ  
 سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ  
 وَأُخْرَى يُاسْتَرُ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ  
 تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا  
 قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ  
 مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ  
 عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصَرُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِنِي  
 بِهِ؟ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسَأَلَهُ مَا بَالُ  
 النَّسُوءِ الَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَذِبٍ عَلَيْهِنَّ ﴿٥٠﴾  
 قَالَ مَا خَطْبُكُمْ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ  
 لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ النَّحْصَ حَصَّ  
 الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَلِكَ  
 لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴿٥٢﴾

٢٤١

رسول الملك قال له ارجع إلى سيدك الملك فاسأله عن قصة النسوة اللاتي حرَّجن أيديهن، حتى تظهر براءته قبل الحروح من السعن، إن ربي بما صنعت بي من المزاودة عليم، لا يخفى عليه شيء من ذلك.  
 قال الملك مخاطباً النسوة: ما شاكن حين طلبتن يوسف بحيلة: ليعمل الفاحشة معكن؟ قالت النسوة جواباً للملك: حاش لله أن يكون يوسف متهمًا، والله ما علمنا عليه من سوء، فعند ذلك قالت زوجة العزيز مَقْرَّةً بما صنعت: الآن طهر لحق، أنا حاولت إغواءه، ولم يحاول إغوائه، وإنه لمن الصادقين فيما ادعاه من براءته مما رميته به.  
 قالت امرأة العزيز: ليعلم يوسف حين أقررت أنني أنا الذي راودته، وأنه صادق أنني لم أفتر عليه في غيابه، فقد تبين لي مما حصل أن الله لا يوفق من يكذب ويمكر.

مِنْ قَوْلِ الْأَنْبِيَاءِ:

- من كمال أدب يوسف أنه أشار لَعَدَّتْ النسوة ولم يشر إلى حَدَثِ امرأة العزيز.
- كمال علم يوسف ﷺ في حسن تعبیر الرؤى.
- مشروعية تبرئة النفس مما نسب إليها ظلمًا، وطلب تقضي الحقائق لإثبات الحق.
- فضيلة الصدق وقول الحق ولو كان على النفس.

﴿٤٤﴾ قالوا: رؤياك أحلام أحلام، وما كان كذلك فلا تأويل له، ولسنا عالمين بتأويل الأحلام المختلفة.  
 ﴿٤٥﴾ وقال الساقى الذي نجا من الغلامين السجينين، وتذكر يوسف وما هو عليه من علم تأويل الرؤيا بعد مدة: أنا أخبركم بتأويل ما رآه الملك بعد سؤال من له علم بتأويلها، فابعثني - أيها الملك - إلى يوسف ليؤول رؤياك.

﴿٤٦﴾ فلما وصل الفاجي إلى يوسف قال له: يا يوسف، أيها الصديق، أخبرنا عن تأويل من رأى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع بقرات هزيلات، ورأى سبع سنبلات خضر، ورأى سبع سنبلات يابسات: لعلني أرجع إلى الملك ومن عنده لعلمهم يعلمون تعبیر رؤيا الملك، ويعلمون فضلك ومكانتك.

﴿٤٧﴾ قال يوسف ﷺ معبراً هذه الرؤيا: تزرعون سبع سنين مباحة بعد، فما حصدتم في كل سنة من تلك السنين السبع فآثروا كوه في سنبله متغاً له من التمسوس، إلا قليلاً مما تحتاجون لأكله من الحبوب.

﴿٤٨﴾ ثم تحيي من بعد تلك السنين السبع المخصبة التي زرعت فيها سبع سنين محدبة يأكل الناس فيها كل ما حصد في السنين المخصبة إلا قليلاً مما تحفظونه مما يكون بذراً.

﴿٤٩﴾ ثم يجيء بعد تلك السنين المجدبة عام تنزل فيه الأمطار، وتبت الزروع، ويعصر فيه الناس ما يحتاج للعصر كالعنب والريثون والقصب.

﴿٥٠﴾ وقال الملك لأعوانه لما بلغه تعبیر يوسف لرؤياه: أخرجوه من السجن، وأثوبي به، فلما جاء يوسف

﴿٥٤﴾ وَمَا أَتَرَىٰ نَفْسِي إِلَّا النَّفْسَ لَأَمَّارَةً بِالْسُوءِ ۚ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتُونِي بِهِ ۖ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٦﴾ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۚ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْمُ ۚ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا أَمْرًا حَيْثُ يَشَاءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَلَا أَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٨﴾ وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ قَالَ أَتُؤْنُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَيْكُمُ الْآلَاءُ تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٦٠﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ ۖ فَلَا كَيْلَ لَّكُم عِنْدِي وَلَا تَقْرُبُونِ ﴿٦١﴾ قَالُوا سَرُودُ عَنْتِ آبَاةٍ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴿٦٢﴾ وَقَالَ لِفَتَيْنِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٣﴾ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَنًا نَّكَتِلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ ﴿٦٤﴾

٢٤٢

﴿٥٤﴾ وواصلت امرأة العزيز كلامها قائلة: وما أنزه نفسي عن إرادة السوء، وما أردت بذلك تزكية نفسي؛ لأن شأن النفس البشرية كثرة الأمر بالسوء لئيلها إلى ما تشتهيهِ وصعوبة كفها عنه، إلا ما رحمه الله من النفوس، فعصمها من الأمر بالسوء، إن ربي غفور لمن تاب من عياده، رحيم بهم. ﴿٥٥﴾ وقال الملك لأعوانه لما تبين براءة يوسف وعلمها؛ حيثوني به أحعله حالصاً لنفسي، ضاروّه به، فلما كلمه، وتبين له علمه وعقله قال له: إنك يا يوسف - قد صرّحت اليوم عندنا صاحب مكانة وجاه وموتماً.

﴿٥٦﴾ قال يوسف للملك: وأني على حفظ خزائن المال والأقوات في أرض مصر، فإني خازن أمين، ذو علم وبصيرة بما أتولاه.

﴿٥٧﴾ وكما منّنا على يوسف بالبراءة والحلاص من السجن منّنا عليه بالتمكين له في مصر، ينزل ويقم في أي مكان شاء، نعطى من رحمتنا في الدنيا من نشاء من عبادنا، ولا نضيع ثواب المحسنين، بل نوفيهم إياه كاملاً غير منقوص.

﴿٥٨﴾ وثواب الله الذي أمّته في الآخرة خير من ثواب الدنيا للذين آمنوا بالله وكانوا يتقونه بامتثال أوامره واجتنب نواهيه.

﴿٥٩﴾ وقدم إخوة يوسف إلى أرض مصر ببضاعة لهم، فدخلوا عليه، فعرف أنهم إخوته، ولم يعرفوا أنه أخوهم؛ لطول المدة وتغير هيئته؛ لأنه كان صبياً حين رموه في البئر.

﴿٦٠﴾ ولما أعطاهم ما طلبوه من الميزة والزا، قال بعد أن أخبروه أن

لهم أخاً من أيهم تركوه عند أبيه: حيثوني بأحيكم من أيكم أزدكم حمل بغير، ألا ترون أني أكمل الكيل ولا أبقصه، وأنا خير المضيقين.

﴿٦١﴾ فإن لم تعيوني به تبين كذبكم في دعوكم أن لكم أخاً من أيكم. فلن أكيل لكم طعاماً، ولا تقربوا بلدي.

﴿٦٢﴾ فأحابه إخوته قائلين، سنطلبه من أبيه، وبحتهد في ذلك، وإنا لفاعلون ما أمرتنا به دون تقصير.

﴿٦٣﴾ وقال يوسف لثمّاله ردوا بضاعة هؤلاء إليهم حتى يعرفوا عند عودتهم أننا لم نبتغها منهم، وهذا يعبرهم على الرجوع ثانية ومعهم أخوهم؛ ليثبتوا ليوسف صدقهم، ويقبل منهم بضاعتهم.

﴿٦٤﴾ فلما رجعوا إلى أبيهم، وقصوا عليه ما كان من إكرام يوسف لهم قالوا: يا أبانا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ إِن لَّمْ نَأْتِ بِأَخِينَا مَعَنَا فَاغْتَنَاهُ مَعَنَا، وإنا لنتعهد لك بحفظه حتى يرجع إليك سالماً.

من فوائد الآيات:

- من أعداء المؤمن: نفسه التي بين جنبيه؛ لذا وجب عليه مراقبتها وتقويم اعوجاجها.
- اشتراط العلم والأمانة فيمن يتولى منصباً يصلح به أمر العامة.
- بيان أن ما في الآخرة من فضل الله، إنما هو خير وأبقى وأفضل لأهل الإيمان.
- جوار طلب الرجل المنصب ومدحه لنفسه إن دعت الحاجة، وكان مريداً للخير والصلاح.



قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ءَامَنُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَأَلَّهٖ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا بَٰئِنَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزِدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَّسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنُؤْتِيَنَّكَ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُوا مِن مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِٓ ؕ إِلَّا أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَبْنَئِي لَأَتَدَخُلُوٓا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِن أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ ؕ إِنِ ٱلْحُكْمُ لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا مِن حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَٰجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْتَهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾

﴿٦٤﴾ قال لهم أبوهم: هل آمنكم عليه إلا كما آمنكم على أخيه الشقيق: يوسف من قبل؟ فقد آمنكم عليه، وتعهّدتم بحفظه، ولم تقوا بما تعهّدتم به، فلا ثقة عندي بتمهّدكم بحفظه، وإنما تقتي بالله، فهو خير الحافظين لمن أراد حفظه، وأرحم الراحمين بمن أراد رحمته.

﴿٦٥﴾ ولما فتحو أوعية طعامهم الذي جلبوه وجدوا ثمنه رد إليهم، فقالوا لأبيهم: أي شيء نطلب من هذا العزيز بعد هذا الإكرام؟ وهذا ثمن طعامنا رده العزيز تقضلاً منه علينا، ونجلب الطعام لأهلنا، ونحفظ أخانا مما تخافه عليه. ونزداد كيل بغير بسبب اصطحابه، فزيادة كيل بغير أمر سهل عند العزيز. ﴿٦٦﴾ قال لهم أبوهم: لن أبعثه معكم حتى تؤتوني عهد الله مؤكّداً أن تردوه إليّ إلا إن أحاط هلاك بكم جميعاً، ولم يبق منكم أحداً، ولم تقدروا على دفعه ولا الرجوع، فلما أعطوه عهد الله المؤكّد على ذلك، قال: الله شهيد على ما نقول، فتكفينا شهادته.

﴿٦٧﴾ وقال لهم أبوهم موسياً إياهم: لا تدخلوا مصر من باب واحد مجتمعين، لكن ادخلوا من أبواب متفرقة، فذلك أسلم من أن يمتكم أحد بضرر إن أراد به بكم، ولا أقول لكم ذلك لأدفع عنكم ضرراً أراد الله بكم، ولا لأجلب لكم نقماً لم يرد الله، فالقضاء ليس إلاً قضاء الله، والأمر ليس إلا أمره. عليه وحده توكلت في كل أموري، وعليه وحده فليتوكل المتوكلون في أمورهم.

﴿٦٨﴾ فارتحلوا ومعهم أخوه الشقيق، ولما دخلوا من أبواب متفرقة كما أمرهم أبوهم ما كان يدفع عنهم دخولهم من أبواب متفرقة كما ووصاهم بها، وهو يعلم أن لا قضاء إلا قضاء الله، فهو عالم بما علمناه من الإيمان بالقدر والأخذ بالأسباب، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ذلك.

﴿٦٩﴾ ولما دخل إخوة يوسف على يوسف، ومعهم أخوه الشقيق، ضم إليه أخاه الشقيق، وقال له سرّاً: إني أنا أخوك الشقيق: يوسف، فلا تحزن لما كان يصنعه إخوانك من الأعمال الطائشة؛ من إيذاء وحقد علينا، والقائهم إياي في البئر.

﴿٧٠﴾ من قَوَائِدِ ٱلْأَيَاتِ:

- الأمر بالاحتياط والحذر ممن أثير عنه غدر، وقد ورد في الحديث الصحيح: (( لا يلدغ المؤمن من جحرٍ واحدٍ مرتين ))، [أخرجه البخاري ومسلم].
- من وجوه الاحتياط التأكد بأخذ المواثيق المؤكدة باليمين، وجوار استحلاف المخوف منه على حفظ الودائع والأمانات.
- يجوز لطالب اليمين أن يستثني بعض الأمور التي يرى أنها ليست في مقدور من يحلف اليمين.
- من الأخذ بالأسباب الاحتياط من المهالك.

﴿٧٥﴾ فلما أمر يوسف خُدَّامه بتحميل إبل إخوته بالطعام جعل مكيال الملك الذي يكيل به الطعام للمُتَّارين في وعاء أخيه الشقيق دون علمهم توصلاً إلى إبقائه معه، فلما ارتحلوا عاندين إلى أهلهم نادى مناد في إثرهم. يا أصحاب الإبل المحملة بالميرة، إنكم لساارقون.

﴿٧٦﴾ قال إخوة يوسف، وأقبلوا على المنادي في إثرهم ومن معه من أصحابه: ماذا ضاع منكم حتى تتهمونا بالسرقة؟

﴿٧٧﴾ قال المنادي ومن معه من أصحابه لإخوة يوسف: ضاع منَّا صاع الملك الذي يكيل به، ولمن جاء بصاع الملك قبل التفتيش يُعْلَل، وهو حمل جمل، وأنا صامن له ذلك.

﴿٧٨﴾ قال لهم إخوة يوسف، والله لقد علمتم بزاويتنا وبإساءتنا، كما رأيتهم من أحوالنا، وأنا ما حننا أرض مصر لتفقد فيها، وما كنا في حياتنا سارقين.

﴿٧٩﴾ قال المنادي وأصحابه فما جزاء من سرقه عندهم إن كنتم كاديين في دعواكم البراءة من السرقة؟

﴿٨٠﴾ قال لهم إخوة يوسف: جزاء السارق عندنا أن من وُجِدَ المسروق في وعائه يسلم برقبته للمسروق منه يسترقه، مثل هذا الجزاء بالاسترقاق نحزي السارقين.

﴿٨١﴾ فأرحمهم إلى يوسف لتفتيش أوعيتهم، فبدأ بتفتيش أوعية إخوته غير الأشقاء قبل تفتيش وعاء أخيه الشقيق سترًا للحيلة، ثم فتش وعاء شقيقه، وأخرج صاع الملك منه، كما كدنا ليوسف بتدبير وضع الصاع في وعاء أخيه، كدنا له أمراً آخر أن يأخذ

إخوته بعقاب بلدهم باسترقاق السارق، هذا الأمر لا يتحقق لو عمل بعقاب الملك للسارق الذي هو الضرب والتفريق، إلا أن يشاء الله تدبيراً آخر فهو قادر عليه، نرفع مراتب من شاء من عبادنا كما رفعا مرتبة يوسف، وفوق كل صاحب علم من هو أعلم منه، وفوق علم الجميع علم الله الذي يعلم كل شيء.

﴿٨٢﴾ قال إخوة يوسف: إن يسرق فلا عجب، فقد سرق أخ له شقيق من قبل سرقة هو، يعنون يوسف ﷺ، فأحمى يوسف تأذيه بمؤنتهم هذه، ولم يظهرها لهم، قال لهم في نفسه: ما أنتم عليه من حسدٍ وصنيعٍ سوءٍ سبق منكم، هو الشر بعينه في هذا المقام، والله تعالى أعلم بهذا الافتراء الذي يصدر منكم.

﴿٨٣﴾ قال إخوة يوسف ليوسف: أيها العزيز، إن له والداً شيخاً طاعناً في السن يحبه كثيراً، فأمسك أحدنا بدلاً منه، إنا نراك من المحسنين في معاملتنا ومعاملة غيرنا، فأحسن إلينا بذلك.

من قوائد الآيات:

- جوار الحيلة التي يُتوصَّل بها لإحقاق الحق، بشرط عدم الإضرار بالغير.
- يعور لصاحب الصالة أو الحاجة الصائفة رصد جُعلٍ «مكافأة» مع تعيين قدره وصفته لمن عاونه على ردها.
- التغافل عن الأذى والإسراع به في النفس من محاسن الأخلاق.

فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴿٧٥﴾ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧٦﴾ قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٧٧﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴿٧٨﴾ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٧٩﴾ قَالُوا أَجْزَاؤُهُ مَن وَجَدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٨٠﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرِجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّنْ نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٨١﴾ قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَّانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٣﴾

قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَّعَيْنَا عِنْدَهُ وَإِنَّا إِذَا الظَّالِمُونَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا أَسْتَيْسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا  
 قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ  
 ﴿٨٠﴾ أَرْجِعُوا إِلَى آبَائِكُمْ فَقُولُوا إِنَّا نَايَاتُ ابْنِكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَفِظِينَ  
 ﴿٨١﴾ وَسَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ  
 ﴿٨٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ تَقْتُولُ تَذْكُرُ يُوْسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾

﴿٧٦﴾ قال يوسف ﴿٧٦﴾ عيادًا بالله أن نطلم بريئًا بجرم ظالم، فتمسك غير من وجدنا صاع الملك في وعائه، إنا إن فعلنا ذلك لظالمون، حيث عاقبنا بريئًا، وتركنا جانيئًا.

﴿٨٠﴾ فلما يسوا من إجابة يوسف لطلبهم انقدروا عن الناس للتشاور، قال أخوهم الكبير: أذكركم أن أياكم قد أخذ عليكم عهد الله مؤكدًا على أن تردوا إليه ابنه إلا أن يحاط بكم بما لا تقدرون على دفعه، ومن قبل ذلك قد فرطتم في يوسف، ولم تقوا بعهدكم لأبيكم فيه، فلن أترك أرض مصر حتى يسمح لي أبي بالرجوع إليه، أو يقضي الله لي بأخذ أخي، والله خير القاضين، فهو يقضي بالحق والعدل، ﴿٨١﴾ وقال الأخ الكبير: عودوا إلى أبيكم، فقولوا له: إن ابنك سرق، فاسترّفه عزيز مصر عقوبة له على سرقته، وما أخبرنا إلا بما علمناه من مشاهدتنا للصاع يخرج من وعائه، وما كان لنا علم بأنه يسرق، ولو علمنا ذلك ما عاهدناك على رده.

﴿٨٢﴾ ولتتحقق من صدقنا اسأل يا أبانا أهل مصر التي كنا فيها، واسأل أصحاب القافلة التي جئنا معها يخبروك بما أخبرناك به، وإنا لصادقون حقًا فيما أخبرناك به من سرقته.

﴿٨٣﴾ قال لهم أبوهم: ليس الأمر كما ذكرتم من كونه سرق، بل زينت لكم أنفسكم أن تمكروا به كما مكرتم بأخيه يوسف من قبل، فصبري صبر جميل، لا شكوى فيه إلا إلى الله، عسى الله أن يعيدهم إلي جميعًا: يوسف وشقيقه، وأخاهما الكبير، إنه سبحانه هو العليم بحالي، الحكيم في تدبيره لأمري.

﴿٨٤﴾ وابتعد معرضًا عنهم، وقال: يا شدة حزني على يوسف، وصار سواد عينيهِ بياضًا من كثرة ما بكى عليه، فهو مملوء، حزنًا وهماً، بكم حزنه عن الناس.

﴿٨٥﴾ قال إخوة يوسف لأبيهم: تالله لا نزال - يا أبانا - نذكر يوسف، وتنفع عليه حتى يشد بك المرض، أو تهلك فعلاً. قال لهم أبوهم: ما أشكو ما أصابني من الهم والحزن إلا إلى الله وحده، وأعلم من لطف الله وإحسانه وأجاسته للمصطر وحرائه للمصاب ما لا تعلمونه أنتم.

من قَوَائِدِ الْإِنَائَاتِ:

- لا يجوز أخذ بريء بجريرة غيره، فلا يؤخذ مكان المجرم شخص آخر.
- الصبر الجميل هو ما كانت فيه الشكوى لله تعالى وحده.
- على المؤمن أن يكون على تمام يقين بأن الله تعالى يفرج كربته.



﴿٨٧﴾ قَالَ لَهُمْ أَبُوهُمْ: يَا ابْنَانِي، اذْهَبُوا فَتَعْرِفُوا مِنْ أَخْبَارِ يَوْسُفَ وَأَخِيهِ، وَلَا تَقْنَطُوا مِنْ تَفْرِيجِ اللَّهِ وَتَفْرِيجِهِ وَتَنْفِيسِهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ؛ لِأَنَّهُمْ يَجْهَلُونَ عَظِيمَ قُدْرَةِ اللَّهِ وَحُفِيِّ إِفْصَالِهِ عَلَى عِبَادِهِ.

﴿٨٨﴾ فَامْتَلَأُوا أَمْرَ أَبْنَيْهِمْ، وَذَهَبُوا بَعْثًا عَنْ يَوْسُفَ وَأَخِيهِ، فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يَوْسُفَ قَالُوا لَهُ: أَصَابَتْكُمُ الشَّدَّةُ وَالْفَقْرُ، وَأَتَيْنَا بِبِضَاعَةٍ حَقِيرَةٍ زَهِيدَةٍ، فَكَيْلَ لَنَا كَيْلًا وَافِيًا كَمَا كُنْتَ تَكِيلُ لَنَا مِنْ قَبْلُ، وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا بِزِيَادَةٍ عَلَى ذَلِكَ أَوْ بِالْتِمَاضِي عَنْ بِضَاعَتِنَا الْحَقِيرَةِ، إِنْ اللَّهُ يُجَازِي الْمُتَصَدِّقِينَ بِأَحْسَنِ الْجَزَاءِ.

﴿٨٩﴾ فَلَمَّا سَمِعَ كَلَامَهُمْ رَقَّ لَهُمْ رَحْمَةً بِهِمْ، وَعَرَفَهُمْ بِنَفْسِهِ قَالَ لَهُمْ: قَدْ عَلِمْتُ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَشَقِيقِهِ حِينَ كُنْتُمْ جَاهِلِينَ عَاقِبَةَ مَا فَعَلْتُمْ بِهِمَا؟ ﴿٩٠﴾ فَتَنَاجَوْا، وَقَالُوا: إِنَّكَ أَنْتَ يَوْسُفُ؟ قَالَ لَهُمْ يَوْسُفُ: نَعَمْ أَنَا يَوْسُفُ، وَهَذَا الَّذِي تَرَوْنَ مَعِيَ أَخِي الشَّقِيقُ، قَدْ تَفَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْنَا بِالْخَلَاصِ مِمَّا كُنَّا فِيهِ، وَبَرَفَعَ الْبَقْدَرُ، إِنَّهُ مِنْ يَقِطِ اللَّهِ بِامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ، وَيَصْبِرُ عَلَى الْبَلَاءِ؛ فَإِنْ عَمِلَ مِنَ الْإِحْسَانِ، وَاللَّهُ لَا يَضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ، بَلْ يَحْفَظُهُ لَهُمْ.

﴿٩١﴾ قَالَ لَهُ إِخْوَتُهُ مُعْتَذِرِينَ عَمَّا صَنَعُوا بِهِ: تَاللَّهِ لَقَدْ فَضَّلَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا بِمَا أَعْطَاكَ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ، وَلَقَدْ كُنَّا فِيمَا صَنَعْنَا بِكَ مُسِيئِينَ ظَالِمِينَ. ﴿٩٢﴾ فَاقْبَلْ يَوْسُفَ اعْتِذَارَهُمْ، وَقَالَ: لَا لَوْمَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَقْتَضِي عِقَابُكُمْ وَلَا تَوْبِيخَ، أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَغْفِرَ لَكُمْ، وَهُوَ سَيَعَانَهُ أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

يَبْنِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يَوْسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْيَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَكْنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُرْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوا أَءِتَكَ لَأَنْتَ يَوْسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَاشَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَعْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾ أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيرِ ﴿٩٥﴾

﴿٩٦﴾ فَأَعْطَاهُمْ قَمِيصَهُ لِمَا أَعْلَمُوهُ بِمَا آلَ إِلَيْهِ بَصَرَ أَبِيهِ، وَقَالَ: اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا، فَاطْرَحُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يُفَنِّدْ لَهُ بَصَرَهُ، وَاحْضَرُوا إِلَيَّ أَهْلِيكُمْ كُلَّهُمْ.

﴿٩٧﴾ وَلَمَّا حَرَحَتِ الْمَافِلَةُ مِنْ مِصْرَ، وَفَارَقَتِ الْعَامِرُ مِنْهَا قَالَ يَعْقُوبُ ﴿٩٨﴾ لِأَبْنَائِهِ وَلِمَنْ عِنْدَهُ فِي أَرْضِهِ: إِنِّي لَأَشْمُ رَائِحَةَ يَوْسُفَ، لَوْلَا أَنْكُمْ تَجْهَلُونَنِي وَتَسْبِيحُونَنِي إِلَى الْحَرْفِ بِقَوْلِكُمْ هَذَا شَيْخُ خَرَفٍ، يَقُولُ مَا لَا يَعْلَمُ. ﴿٩٩﴾ قَالَ مَنْ عِنْدَهُ مِنْ وَلَدِهِ وَاللَّهُ إِنَّكَ لَا تَرَالِ هِيَ تَوَهَّمُكَ السَّابِقُ بِشَأْنِ مَنْزِلَةِ يَوْسُفَ عِنْدَكَ وَإِمَّا كَانِيَةً رُؤْيَاهُ ثَانِيَةً. مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- عظم معرفة يعقوب ﴿٩٨﴾ بالله حيث لم يتغير حسن ظنه رغم توالي المصائب ومرور السنين.
- من خلق المعتذر الصادق أن يطلب التوبة من الله. ويعترف على نفسه ويطلب الصفح ممن تضرر منه.
- بالتقوى والصبر تنال أعظم الدرجات في الدنيا وفي الآخرة.
- قبول اعتذار المسيء وترك الانتقام. خاصة عند النعمان منه، وترك تأنيبه على ما سلف منه.

فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ  
 أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ قَالُوا  
 يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿٦٧﴾ قَالَ سَوْفَ  
 أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ فَلَمَّا  
 دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ  
 إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٦٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا  
 لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَبَّاتٍ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا  
 رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم  
 مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ۚ إِنَّ  
 رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٧٠﴾ رَبِّ  
 قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ  
 فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ  
 تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٧١﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ  
 الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ  
 وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٣﴾

٢٤٧

﴿٦٦﴾ فلما جاء المُخْبِر بما يسر يعقوب  
 ألقى قميص يوسف على وجهه فصار  
 بصيرًا، عندئذ قال لأبنائه: ألم أقل  
 لكم إني أعلم من لطف الله وإحسانه  
 ما لا تعلمونه أنتم؟

﴿٦٧﴾ قال أبناؤه معتذرين لأبيهم يعقوب  
 عما فعلوه بيوسف وأخيه:  
 يا أبانا، اطلب من الله المغفرة  
 لذنوبنا السابقة، إنا كنا مذنبين  
 مسيئين فيما فعلناه بيوسف وشقيقه.

﴿٦٨﴾ قال لهم أبوهم: سوف أطلب لكم  
 المغفرة من ربي، إنه هو العفور  
 لذنوب التائبين من عباده، الرحيم  
 بهم.

﴿٦٩﴾ وخرج يعقوب وأهله من أرضهم  
 قاصدين يوسف في مصر، فلما  
 دخلوا عليه صمّ إليه أباه وأمه،  
 وقال لإخوته وأهلهم: ادخلوا مصر  
 بمشيئة الله آمنين لا يصيبكم فيها  
 أذى.

﴿٧٠﴾ وأجلس أنويه على سرير  
 الذي يجلس عليه، وحيّاه أبواه  
 وإخوته الأحد عشر بالسجود وكان  
 سجود تشريف لا عبادة، تحقيقاً لأمر  
 الله كما في الرؤيا، لذا قال يوسف  
 لأبيه: هذه التحية بالسجود لي  
 منكم هي تأويل رؤيائي التي رأيتهَا  
 من قبل وقصصتها عليك، قد ضيّرها  
 ربي حقاً بوقوعها، وقد أحسن إليّ ربي  
 حين أخرجني من السجن، وحين  
 جاء بكم من البادية من بعد أن  
 أفسد الشيطان بيتي وبين إخوتي،  
 إن ربي لطيف في تدبيره لما  
 يشاء، إنه هو العليم بأحوال  
 عباده، الحكيم في تدبيره.

﴿٧١﴾ ثم دعا يوسف ربه، فقال: يا  
 رب، قد أعطيتني ملك مصر، وعلمتني تعبیر الرؤى، يا خالق السماوات والأرض ومبدعها على غير مثال سابق، أنت متولي جميع  
 أموري في الحياة الدنيا، ومتولي جميعها في الآخرة، اقبضني عند انتهاء أجلي مسلماً، وألحقني بالأنبياء الصالحين من آبائي  
 وغيرهم في الفردوس الأعلى من الجنة.

﴿٧٢﴾ ذلك المذكور من قصة يوسف وإخوته نوحيه إليك - أيها الرسول - لم يكن لك علم به، إذ لم تكن حاضراً عند إخوة يوسف  
 حين عزموا على إلقائه في قعر البئر، ودبروا ما دبروا من الحيلة، ولكننا أوحينا إليك ذلك.

﴿٧٣﴾ وما أكثر الناس بمؤمنين ولو بذلت - أيها الرسول - كل جهد ليؤمنوا، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات،  
 من قوايِبِ الْآيَاتِ:

- بر الوالدين وتبجيلهما وتكريمهما واجب، ومن ذلك المسارعة بالبشارة لهما فيما يدخل السرور عليهما.
- التحذير من نزغ الشيطان، ومن الذي يسعى بالوقعة بين الأحياء؛ ليفرق بينهم.
- مهما ارتفع العبد في دينه أو دنياه فإن ذلك كله مرجعه إلى تفضل الله تعالى وإنعامه عليه.
- سؤال الله حسن الحاتمة والسلامة والفوز يوم القيامة والالتحاق برفقة الصالحين في الجنان.
- من فضل الله تعالى أنه يُطْلَعُ أنبياءه على بعض من أمور الغيب لغايات وحكم.

﴿١٠٠﴾ ولو عقلوا لأمنوا بك؛ لأنك لم تطلب منهم - أيها الرسول - على القرآن ولا على ما تدعوهم إليه ثواباً، فليس القرآن إلا تذكيراً لجميع الناس. ﴿١٠١﴾ وكثيرة هي الآيات الدالة على توحيد سبجانه مبنوثة في السماوات وفي الأرض، يسمون عليها وهم عن التأمل فيها والاعتبار بها معرضون، لا يلتفتون إليها.

﴿١٠٢﴾ وما يؤمن أكثر الناس بالله أنه الخالق الرازق المحيي المميت إلا وهم يعبدون معه غيره من الأصنام والأوثان، ويدعون أن له ولداً، سبجانه. ﴿١٠٣﴾ أفأمن هؤلاء المشركون أن تأتيهم عقوبة في الدنيا تغمرهم وظلّهم، لا يستطيعون دفعها، أو تأتيهم الساعة فجأة، وهم لا يحسون بإتيانها فيستعدوا لها، فذلك لم يؤمنوا! ﴿١٠٤﴾ قل - أيها الرسول - لمن تدعوه: هذه طريقي التي أدعو الناس إليها، على حجة واضحة أدعو إليها أنا، ويدعو إليها من اتبعني، واهتدي بهديي، واستن بسُنّتي، وسبحان الله عما نسب إليه مما لا يليق بجلاله، أو ينافي كماله، ولست من المشركين بالله، بل أنا من الموحدين له سبجانه.

﴿١٠٥﴾ وما بعثنا من قبلك - أيها الرسول - إلا رجالاً من البشر لا ملائكة، نوحى إليهم كما أوحينا إليك، من أهل المدن لا من أهل البوادي، فكذبهم أمهم فأهلكناهم، أقلم يسر هؤلاء المكذبون بك هي الأرض فيتأملوا كيف كانت نهاية المكذبين من قبلهم فيعتبروا بهم! وما في الدار الآخرة من النعيم خير للذين اتقوا الله في الدنيا، أفلا تعقلون أن ذلك خير

وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُوْثِرُ مِنْ أَكْثَرِهِمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَتَوْتَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مِنْ نَّشَأٍ وَلَا يَرْدُ بِأُسْنَاعِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾

فتتقوا الله بامتثال أوامره وأعظمها الإيمان وباجتناب نواهيه، وأكبرها الشرك بالله.

﴿١١٢﴾ هؤلاء الرسل الذين نرسلهم نهل أعداءهم، ولا نعالجهم العقوبة استدراجاً لهم، حتى إذا تأخر إهلاكهم، ويُس الرسل من هلاك الكفار أن رسلهم قد كذبهم فيما وعدوهم به من العقاب للمكذبين، وإنهاء المؤمنين: جاء نصرنا لرسنا، ونجى الرسل والمؤمنون من الهلاك الواقع على المكذبين، ولا يرد عذابنا عن القوم المجرمين عندما ننزل بهم.

﴿١١٣﴾ لقد كان في قصص الرسل وقصص أمهم، وفي قصة يوسف وإخوته موعظة يتعظ بها أصحاب العقول السليمة. ما كان القرآن المشتمل على ذلك كلاماً محتلاً مكدوناً على الله، ولكن كان تصديقاً للكتب السماوية المنزلة من عند الله، وتفصيلاً لكل ما يحتاج إلى تفصيله من الأحكام والشرائع، وإرشاداً لكل خير، ورحمة لقوم يؤمنون به، فهم الذين ينتفعون بما فيه.

﴿١١٤﴾ من تَوَابِدَ الْكَلِمَاتِ،

- أن الداعية لا يملك تصريف قلوب العباد وحملها على الطاعات، وأن أكثر الخلق ليسوا من أهل الهداية.
- ذم المعرضين عن آيات الله الكونية ودلائل توحيد المبنوثة في صمحات الكون.
- شملت هذه الآية ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي...﴾ ذكر بعض أركان الدعوة، ومنها: أ - وجود منهج: ﴿أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ...﴾ ب - ويقوم المنهج على العلم: ﴿عَلَى بَصِيرَةٍ...﴾ ج - وجود داعية: ﴿أَدْعُوا...﴾ د - وجود مدعوين: ﴿وَمَنِ اتَّبَعَنِي...﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمَرَّةَ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَحَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ۝ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رِيشَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُّتَجَوِّرٌ وَجَعَلْنَا مِنْهُ غُرُوبًا وَدَرَعًا وَخَيْلٌ صَنَوَانٌ وَغَيْرُ صَنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضِلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝ وَإِنْ تَعَجَّبَ فَتَعَجَّبْ قَوْلُهُمْ أَءَاكُنَّا ثَرَابًا ۚ أَلَمْ يَكُنْ خَلْقٌ جَدِيدٌ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝

١٠ من مقاصد السُّورَةِ:

الرد على منكري الوحي والنبوة ببيان مظاهر عظمة الله.

١١ التفسير:

١ (المر) تقدم الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة. هذه الآيات الرفيعة في هذه السورة. والقرآن الذي أنزله الله عليك أيها الرسول - هو الحق الذي لا مرية فيه، ولا شك أنه من عند الله، ولكن أكثر الناس لا يؤمنون به عفاذاً وتكبُّراً. ٢ (الله) هو الذي خلق السماوات مرفوعات دون دعائم تشاهدونها. ثم علا وارتفع على العرش علواً يليق به سبحانه من غير تكيف ولا تمثيل. وذلك الشمس والقمر لمنافع خلقه، كل من الشمس والقمر يحري لأمد محدد في علم الله، يصرف سبحانه الأمر في السماوات والأرض بما يشاء، يبين الآيات الدالة على قدرته رجاء أن توقنوا بقاء ربكم يوم القيامة، فتستعدوا له بالعمل الصالح.

٣ (هو) وهو سبحانه الذي بسط الأرض، وخلق فيها جبلاً ثوابت حتى لا تضطرب بالناس، وجعل فيها أنهاراً من ماء لتسقي الناس ودوابهم وزروعهم. ومن كل أنواع الثمرات جعل فيها صنفين كالذكر والأنثى في الحيوانات، بليس الليل والنهار، فيصير مظلماً بعدما كان منيراً، إن في ذلك المذكور أدلة وبراهين لقوم يتفكرون في صنع الله، ويتأملون فيه، فهم الذين ينتفمون بتلك الأدلة والبراهين. ٤ (وهي) وهي الأرض بقاع مقاربة،

وفيهما بساتين من أعناب، وفيها زرع، وتخلات محتمة في أصل واحد، وتخلات متفرقات بأصلها، تُسقى هذه البساتين وتلك الرروع بماء واحد، ونفضل بعضها على بعض في الطعم وغيره من الموائد على رغم تحاورها وسقيها بماء واحد، إن في ذلك المذكور أدلة وبراهين لقوم يعقلون؛ لأنهم هم الذين يعتبرون بذلك.

٥ (وإن تتعجب أيها الرسول - من شيء، فأحق ما تتعجب منه تكذيبهم بالبعث، وقولهم احتجاجاً لإنكاره إذا ما متنا وصربا تراباً وعظاماً بالية نخرة أثبتت وتُعَاد أحياء؟ أولئك المنكرون للبعث بعد الموت الذين كفروا بربهم فأنكروا قدرته على بعث الموتى، وأولئك توضع السلاسل من النار هي أعناقهم يوم القيامة، وأولئك هم أصحاب النار. وهم فيها ما كانوا أباداً، لا يلحقهم فناء، ولا ينقطع عنهم العذاب.

٦ من قوايد الآيات:

• إثبات قدرة الله ﷻ والتعجب من خلقه للسماوات على غير أعمدة تحملها، وهذا مع عظيم خلقها واتساعها. • إثبات قدرة الله وكمال ربوبيته ببرهان الخلق، إذ نبئت النبات الصخيم، ويخرجه من البذرة الصغيرة، ثم يسقيها من ماء واحد، ومع هذا تختلف أحجامها والألوان ثمراته وطعمها. • أن إخراج الله تعالى للأشجار الضخمة من البذور الصغيرة، بعد أن كانت معدومة، فيه رد على المشركين في إنكارهم للبعث؛ فإن إعادة جمع أجزاء الرفات المتفرقة والمتحللة في الأرض، ومنها من حديد، بعد أن كانت موجودة، هو بمنزلة أسهل من إخراج المعدم من البذرة.

﴿٦﴾ ويستعجلك - أيها الرسول - المشركون بالعقوبة، ويستبطئون نزولها بهم قبل استكمالهم النعم التي قدرها الله لهم، وقد مضت من قبلهم عقوبات أمثالهم من الأمم المكذبة، فلم لا يمتثلون بها؟ وإن ربك - أيها الرسول - لذنو تجاوز للناس مع ظلمهم، فلا يعاجلهم بالمقاب ليتوبوا إلى الله، وإنه لقوي العقاب للمُصْرِينَ على كفرهم إن لم يتوبوا.

﴿٧﴾ ويقول الذين كفروا بالله - تمادياً في الصدود والعناد : هلا أنزل على محمد آية من ربه مثل ما أنزل على موسى وعيسى. إنما أنت - أيها الرسول - منذر تخوف الناس من عذاب الله، وليس لك من الآيات إلا ما أعطاك الله، ولكل قوم نبي يرشدهم إلى طريق الحق، ويدلهم عليه.

﴿٨﴾ الله يعلم ما تحمل كل أنثى في بطنها، يعلم كل شيء عنه، ويعلم ما يحصل في الأرحام من نقص وزيادة وصحة واعتلال، وكل شيء عنده سبحانه مُقَدَّر بمقدار لا يزيد عليه ولا ينقص عنه.

﴿٩﴾ لأنه سبحانه عالم كل ما غاب عن حواس خلقه، وعالم كل ما تدركه حواسهم، العظيم في صفاته وأسمائه وأفعاله، المستعلى على كل مخلوق من مخلوقاته بذاته وصفاته.

﴿١٠﴾ يعلم السر وأخفى، يستوي في علمه من أخفى منكم أيها الناس القول، ومن أعلنه، ويستوي في علمه كذلك من هو مستتر بظلمة الليل عن أعين الناس، ومن هو ظاهر بأعماله في وضّح النهار.

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيصُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءَ أَفْلَاكٍ مَرَدَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴿١١﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ حَوَافًا وَطُمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴿١٣﴾

﴿١١﴾ له ملائكة يعصّب بعضهم بعضاً على الإنسان، فيأتي بعضهم بالليل، وبعضهم بالنهار، يحفظون الإنسان بأمر الله من حملة الأقدار التي كتب الله لهم منعها عنه، ويكتبون أقواله وأعماله، إن الله لا يغير ما بقوم إلى حال غيرها لا تسرهم حتى يغيروا ما بأنفسهم من حال الشكر، وإذا أراد الله سبحانه بقوم هلاكاً فلا راد لما أراد، وما لكم أيها الناس - من دون الله من متول يتولى أموركم، فتلجؤوا إليه لدفع ما أصابكم من بلاء.

﴿١٢﴾ هو الذي يريكم الناس البرق، ويجمع لكم به الخوف من الصواعق، والطمع في المطر، وهو الذي ينشئ السحاب الممطر بما، المطر، الغرير.

﴿١٣﴾ ويسبح الرعد رثه تسبيحاً مقروناً بحمده سبحانه، وتسبح الملائكة ربها خوفاً منه واجلالاً وتعظيماً له، ويرسل الصواعق المحرقة على من يشاء من مخلوقاته فيهلكه، والكفار يحاصمون في وحدانية الله، والله شديد الحول والقوة، فلا يريد شيئاً إلا فعله.

﴿١٤﴾ من قَوْلِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا

● عظيم مغفرة الله وحلمه عن خطايا بني آدم، فهم يستكبرون ويتخذون رسله وأنبياءه، ومع هذا يرزقهم ويعافهم ويحلم عنهم.

● سعة علم الله تعالى بما في ظلمة الرحم، فهو يعلم أمر النطفة الواقعة في الرحم، وضيورتها إلى تحليق ذكر أو أنثى، وصحته واعتلاله، ورزقه وأجله، وشقي أو سعيد، فعلمه بها عام شامل.

● عظيم عناية الله ببني آدم، وإثبات وجود الملائكة التي تحرسه وتصوره وغيرهم مثل الخفظة.

● أن الله تعالى يعير حال العبد إلى الأفضل متى ما رأى منه اتباعاً لأسباب الهداية، فهداية التوفيق منوطة باتباع هداية البيان.

لله وحده دعوة التوحيد لا يشاركه فيها أحد، والأصنام التي يدعوها المشركون من دونه لا تستجيب دعاء من يدعوها في أي مسألة، وما دعاؤهم لها إلا مثل عطشان يبسط يده إلى الماء ليصل إلى فيه فيشرب منه، وما الماء يوصل إلى فيه، وما دعاء الكافرين لأصنامهم إلا في ضياع ويعد عن الصواب؛ لأنها لا تملك لهم جلب نفع، ولا دفع ضرر (١٤) والله وحده يخضع بالسجود جميع من في السموات ومن في الأرض، بسنوي في ذلك المؤمن والكافر، غير أن المؤمن يخضع له ويسجد طوعاً، وأما الكافر فيخضع له كرهاً، وتعلي عليه فطرته أن يخضع له طوعاً، وله ينقاد ظل كل ما له ظل من المخلوقات أول النهار وآخره. (١٥) قل أيها الرسول: للكفار الذين يعبدون مع الله غيره: من خالق السموات والأرض ومدبر أمرهما؟ قل أيها الرسول: الله هو حالقهما ومدبر أمرهما، وأنتم تقررون بذلك، قل أيها الرسول لهم: أفأتخذتم لأنفسكم أولياء من دون الله عاجزين، لا يستطيعون جلب نفع لأنفسهم، ولا كشف ضرر عنها، فأنى لهم أن يستطيعوا ذلك لغيرهم؟ قل لهم - أيها الرسول -: هل يستوي الكافر الذي هو أعمى البصيرة، والمؤمن الذي هو البصير المهدي؟ أم هل يستوي الكفر الذي هو ظلمات، والإيمان الذي هو نور؟ أم جعلوا لله سبحانه شركاء معه في الخلق خلقوا مثل خلق الله، فاختلط عندهم خلق الله بخلق شركائهم؟ قل لهم أيها الرسول: الله وحده هو خالق كل شيء، لا شريك له في الخلق، وهو المنفرد بالألوهية، الذي يستحق أن يضر بالعبادة، الغالب على كل شيء.

لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ شَيْءٌ إِلَّا كَبْسِطٍ كَفَيْتَهُ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِلَغِيهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (١٤) وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْعُدْوِ وَالْأَصَالِ (١٥) قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ قُلْ أَفَاتُخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ فَعَاوِلُكُمْ أَهْلِ بَيْتٍ أَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَهْلٌ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا الْخَلْقَ فَقَسَبَهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلْ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهْدُ (١٦) أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ (١٧) لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحَسَنَ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ وَلَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٨)

ضرب الله مثلاً لتلاشي الباطل وبقاء الحق بماء مطر نازل من السماء حتى سالت به الأودية، كل حسب حجمه صغيراً وكبيراً، فحمل السيل العناء والرَّغْوَة مرتفعاً فوق الماء، وضرب مثلاً آخر لهما ببعض ما يوقد الناس عليه من المعادن النفيسة ابتغاء صهرها وصنع ما يترين الناس به، فإنه يعلوهم زيد منه، كما يعلو ذلك زيد منه، يمثل هذين المثلين يضرب الله مثل الحق والباطل، فالباطل مثل العناء والرَّغْوَة الطافي على الماء، ومثل ما ينفخه صهر المعدن من الصدا، والحق مثل الماء الصافي الذي يشرب منه، وينبت الثمار والكلا والعشب، ومثل ما بقي من المعدن بعد صهره فينتفع الناس به، كما ضرب الله هذين المثلين يضرب الله الأمثال للناس؛ ليتضح الحق من الباطل. (١٧) للمؤمنين الذين أجابوا ربهم لما دعاهم لتوحيده وطاعته المثوبة الحسنى وهى الجنة، والكفار الذين لم يجيبوا دعوته إلى توحيده وطاعته لو اتفق أن لهم ما في الأرض من أنواع المال، ولهم مثله مضافاً إليه، لبدلوا كل ذلك فداء لأنفسهم من العذاب، أولئك الذين لم يجيبوا دعوته يحاسبون على سيئاتهم كلها، ومسكنهم الذي يأوون إليه جهنم، وساء هراهم ومستقرهم الذي هو النار.

• من قَوَابِلِ آيَاتِ: بيان ضلال المشركين في دعوتهم واستغاثتهم بغير الله تعالى، وتشبيه حالهم بحال من يريد الشرب فيبسط يده للماء بلا تناول له، وليس بشارب مع هذه الحالة، لكونه لم يتخذ وسيلة صحيحة لذلك. • أن من وسائل الإيضاح في القرآن ضرب الأمثال وهي تقرب المعقول من المحسوس، وتعطي صورة ذهنية تعين على فهم المراد. • إثبات سجد جميع الكائنات لله تعالى طوعاً، أو كرهاً بما تمليه الفطرة من الخضوع له سبحانه.



﴿٤١﴾ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَن هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٤٢﴾ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴿٤٣﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٤٤﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا أَبْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٤٥﴾ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٤٦﴾ سَلَامٌ عَلَيْهِمْ بِمَا صَبَرُوا فَيَنفَعُ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٤٧﴾ وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٤٨﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرَحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَعٌ ﴿٤٩﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن أُنَابَ ﴿٥٠﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٥١﴾

﴿٤١﴾ لا يستوي الذي يعلم أن ما أنزله الله عليك - أيها الرسول - من ربك هو الحق الذي لا مرية فيه، وهو المؤمن المستجيب لله، ومن هو أعمى، وهو الكافر غير المستجيب لله، إنما يعتبر ويتعظ بذلك أصحاب العقول السليمة. ﴿٤٢﴾ الذين استجابوا لله هم الذين يوفون بما عاهدوا الله عليه أو عاهدوا عليه عباده، ولا ينكثون العهود الموثقة مع الله، أو مع غيره. ﴿٤٣﴾ وهم الذين يصلون كل ما أمر الله بوصله من الأرحام، ويخشون ربهم خشية تدفعهم إلى امتثال أوامره واجتناب نواهيه، ويحافظون أن يحاسبهم الله على كل ما اكتسبوه من الإثم، فمن نوقش الحساب هلك. ﴿٤٤﴾ وهم الذين صبروا على طاعة الله، وعلى ما قدره الله عليهم مما يسر أو يسوء، وصبروا عن معصيته طلباً لمرضاة الله، وأدوا الصلاة على أكمل وجه، وبذلوا مما أعطيناهم من الأموال الحقوق الواجبة، وبدلوا منها تطوعاً خفية للبعد عن الرياء، وجهراً ليتأشى بهم غيرهم، ويدفعون سوء من أساء إليهم بالإحسان إليه، أولئك المتصفون بهذه الصفات لهم العاقبة المحمودة يوم القيامة.

﴿٤٥﴾ هذه العاقبة المحمودة هي جنات يقيمون فيها مُنْعِمِينَ إقامة دائمة، ومن تمام نعيمهم فيها أن يدخلها معهم من استقام من آبائهم وأمهاتهم وأزواجهم وأولادهم إكمالاً لأنفسهم بقلائهم، والملائكة يدخلون عليهم مهنتين من جميع أبواب منازلهم في الجنة. ﴿٤٦﴾ وتحييهم الملائكة كلما دخلوا عليهم بقولهم:

سلام عليكم، أي سلمتم من الآفات بسبب صبركم على طاعة الله، وعلى مُرِّ أقداره، وصبركم عن معصيته، فنعم عاقبة الدار التي كانت عاقبتكم. ولما ذكر الله صفات المؤمنين نُسِّيَ بصفات الكفار المعرصين، فقال ﴿٤٧﴾ والذين ينكثون عهد الله من بعد توحيده، ويقطعون ما أمر الله بوصله من الأرحام، ويفسدون في الأرض بمعصية الله تعالى، أولئك البعداء الأشقياء لهم الطرد من رحمة الله، ولهم سوء العاقبة وهو النار. ﴿٤٨﴾ الله يوسع في الرزق لمن يشاء، ويضيق على من يشاء من عباده، وليس توسيع الرزق علامة على السعادة ولا على محبة الله، ولا ضيقه علامة على الشقاء، وفرح الكفار بالحياة الدنيا فرحوا واطمأنوا إليها، وليست الحياة الدنيا في جنب الآخرة إلا متاعاً قليلاً ذاهباً. ﴿٤٩﴾ ويقول الذين كفروا بالله وبآياته هلاً أنزل على محمد آية حشية من ربه تدل على صدقه، هنؤمن به، قل أيها الرسول لهؤلاء المقترحين: إن الله يضل من يشاء بعذله، ويهدي إليه من رجع إليه بالتوبة فضله، وليست الهداية بأيديهم حتى يربطوها بإبرال الآيات. ﴿٥٠﴾ هؤلاء الذين يهديهم الله هم الدين آمنوا، وتستأنس قلوبهم بذكر الله بتسبيحه وتحميده، وبتلاوة كتابه وسماعه، وبغير ذلك من أنواع الذكر، ألا بذكر الله وحده تستأنس القلوب، وخليق بها ذلك.

﴿٥١﴾ مَرَوْ بِالْآيَاتِ، • الترغيب في جملة من فضائل الأخلاق الموجبة للجنة، ومنها: حسن الصلة، وخشية الله تعالى، والوفاء بالعهود، والصبر والإنفاق، ومقاومة السيئة بالعسنة والتحذير من ضدها. • أن مقاليد الرزق بيد الله سبحانه وتعالى، وأن توسعة الله تعالى أو تضيقه في رزق عبده ما لا ينبغي أن يكون موجباً لفرح أو حزن، فهو ليس دليلاً على رضا الله أو سخطه على ذلك العبد. • أن الهداية ليست بالضرورة مربوطة بإنزال الآيات والمعجزات التي اقترح المشركون إظهارها. • من أثار القرآن على العبد المؤمن أنه يورثه طمأنينة في القلب.

﴿٢١﴾ وهؤلاء الذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحة التي تقربهم إلى الله، لهم عيش طيب في الآخرة، ولهم العاقبة الحسنة وهي الجنة.

﴿٢٢﴾ مثل هذا الإرسال الذي أرسلنا به الرسل السابقين إلى أممهم؛ أرسلناك أيها الرسول إلى أمتك؛ لتقرأ عليهم القرآن الذي أوحيناه إليك، فهو كاف في الدلالة على صدقك، لكن حال قومك أنهم يححدون هذه الآية؛ لأنهم يكفرون بالرحمن حيث يشركون معه غيره، قل لهم أيها الرسول: الرحمن الذي تشركون به غيره هو ربي الذي لا معبود بحق غيره، عليه توكلت في جميع أموري، وإليه تونتي.

﴿٢٣﴾ ولو كان من صفات كتاب من الكتب الإلهية أن ترل به الجبال عن أماكنها، أو تشقق به الأرض فتستحيل أنهاراً وعيوناً، أو يقرأ على الموتى فيصبروا أحياء - لكان هذا القرآن المنزل عليك أيها الرسول فهو واضح البرهان، عظيم التأثير لو أنهم كانوا اتقياء القلوب، لكنهم حاحدون. بل لله الأمر كله في إنزال المعجزات وغيرها، أفلم يعلم المؤمنون بالله أنه لو يشاء الله هداية الناس جميعاً دون إنزال آيات لهداهم جميعاً دونها؟ لكنه لم يشأ ذلك، ولا يرال الدين كضروا بالله تصيبهم بما عملوا من الكفر والمعاصي داهية شديدة تضرعهم، أو تنزل تلك الداهية قريباً من دارهم، حتى يأتي وعد الله بنزول العذاب المتصل، إن الله لا يترك إيجاز ما وعد به إذا جاء وقته المحدد له.

﴿٢٤﴾ ولست أول رسول كذب به قومه وسخروا منه، فقد استهزأت أمم من

الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَجَبَ ﴿٢١﴾  
كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَتْلُوَ  
عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي  
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا  
سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُتِبَ بِهِ الْمَوْتُ  
بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَأْنِيسَ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ  
اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ  
بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ  
اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ اسْتَهْزَى بِرُسُلِ مِّن  
قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ  
عِقَابِ ﴿٢٤﴾ أَفَمَن هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا  
لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ  
يُظَاهِرُ مَنِ الْقَوْلِ بَلْ زَيْنٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا أَمْ كَرِهُوا مَصَدُّو أَعْيُنِ  
السَّبِيلِ وَمَن يَضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴿٢٥﴾ لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ  
الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّن اللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢٦﴾

قبلك - أيها الرسول - برسلها وكذبوا بهم، فامهلت الذين كصروا برسلهم حتى طنوا أنى غير مهلكهم، ثم أخذتهم بعد الإهمال بصنوف العذاب، فكيف رأيت عقابي لهم؟ لقد كان عقاباً شديداً.

﴿٢٧﴾ أفمن هو قائم بحفظ أرزاق جميع الخلق رقيب على كل نفس بما كسبت من عمل، فيجازيها على أعمالها، أولى أن يُعبد، أم هذه الأصنام التي لا حق لها أن تعبد؟ وقد جعلها الكفار شركاء لله ظلماً وزوراً، قل لهم أيها الرسول: سمو لنا الشركاء الذين عبدتموهم مع الله إن كنتم صادقين في دعواكم. أم تعبرون الله بما لا يعلم في الأرض من الشركاء. أم تعبرونه بظاهر من القول لا حقيقة له؟ بل حشن الشيطان للذين كفروا تديرهم السيء، فكفروا بالله، وصرهم عن سبيل الرشاد والهداية، ومن يضل الله عن سبيل الرشاد فليس له من هاد يهديه.

﴿٢٨﴾ لهم عذاب في الحياة الدنيا بما ينالهم من القتل والأسر على أيدي المؤمنين. ولعذاب الآخرة الذي ينتظرهم أشد عليهم وأثقل من عذاب الدنيا، لما فيه من الشدة والدوام الذي لا ينقطع، وليس لهم مانع يحميهم من عذاب الله يوم القيامة.

﴿٢٩﴾ مِن قَوْلِهِ: لَا يَاتِ:

- أن الأصل في كل كتاب منزل أنه جاء للهداية، وليس لاستئزال الآيات، فذاك أمر لله تعالى يقدره متى شاء وكيف شاء.
- تسليية الله تعالى للنبي ﷺ، وإحاطته علماً أن ما يسلكه معه المشركون من طرق التكذيب، واجهه أنبياء سابقون.
- يصل الشيطان في إضلال بعض العباد إلى أن يزين لهم ما يعملونه من المعاصي والإفساد.

مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ  
أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظُلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى  
الْكَافِرِينَ النَّارُ ٢٥ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ  
بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ وَقُلْ إِنَّمَا  
أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَهٌ آدَعُوا إِلَيْهِ مَعَابٍ  
وَكَذَلِكَ أُنزِلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَنْ أُتْبِعَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ  
مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ٢٧ وَلَقَدْ  
أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ  
لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِعَايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ٢٨  
يَمَحُّوهُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ٢٩ وَإِنْ مَا  
نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ تَوَقَّيْنَاكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ  
وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ٣٠ أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا  
مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ  
الْحِسَابِ ٣١ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا  
يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفْرُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ ٣٢

٢٥٤

صفة الجنة التي وعدها الله بها  
المتقين له بامتثال أوامره واجتناب  
نواهيه أنها تجري من تحت قصورها  
وأشجارها الأنهار، ثمارها دائمة لا  
تقطع، عكس ثمار الدنيا، وظلها  
دائم لا يزول، ولا يتقلص، تلك هي  
عاقبة الذين اتقوا الله بامتثال أوامره  
واجتناب نواهيه، وعاقبة الكافرين  
النار يدخلونها ما كتبت فيها أبدًا،  
والذين أعطيناهم التوراة من  
اليهود، والذين أعطيناهم الإنجيل  
من النصارى، يفرحون بما أنزل  
عليك أيها الرسول - لموافقته  
لبعض ما أنزل عليهم، ومن طوائف  
اليهود والنصارى من ينكر بعض ما  
أنزل إليك مما لا يتفق مع أهوائهم، أو  
مما يصفهم بالتبديل والتحريف، قل  
لهم أيها الرسول: إنما أمرني الله  
أن أعبد وحده، ولا أشرك به غيره،  
إليه وحده أدعو ولا أدعو غيره، وإليه  
وحده مرجعي، وبهذا جاءت التوراة  
والإنجيل.

ومثل أنزلنا الكتب السابقة  
بالسنة أقوامها أنزلنا عليك أيها  
الرسول - القرآن قولاً فصلاً مبيناً  
للحق عربياً، ولئن اتبعت أيها  
الرسول - أهواء أهل الكتاب في  
مساومتهم لك بحذف ما لا يتفق مع  
أهوائهم بعدما جاءك من العلم الذي  
علمك الله إياه، فليس لك من الله ولي  
يتولى أمرك، وينصرك على أعدائك،  
وليس لك مانع يمنعك من عبادته.

ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك  
أيها الرسول من البشر، فليست  
بدنًا من الرسل، وجعلنا لهم أزواجاً،  
وجعلنا لهم أولاداً كسائر البشر، ولم

جعلهم ملائكة لا يتزوجون ولا ينجبون، وأنت من هؤلاء الرسل الذين هم بشر يتزوجون وينجبون، فلماذا يعجب المشركون من  
كونك كذلك؟ ولا يصح لرسول أن يأتي من عنده بآية إلا إن أذن الله بإتيانه بها، لكل أمر قصاه الله كتاب ذكر فيه ذلك، وأجل لا  
يتقدم ولا يتأخر، ٣١ يزيل الله ما يشاء إزالته من خير أو شر أو سعادة أو شقاء وغيرها، ويثبت ما يشاء منها، وعنده اللوح المحفوظ،  
فهو مرجع كل ذلك، وما يظهر من محو أو إثبات مطابق لما هو فيه، ٣٢ وإن أريناك - أيها النبي - بعض ما نعدهم به من العذاب قبل  
موتك فذلك إيناء، أو أمتناك قبل أن نريك إياه فليس عليك إلا تبليغ ما أمرناك بتبليغه، وليس عليك محازاتهم ولا محاسبتهم، فذلك  
علينا، ٣٣ أولم يشاهد هؤلاء الكفار أننا نأتي أرض الكفر لنقصها من أطرافها نشر الإسلام، وفتح المسلمين لها، والله يحكم ويقضي  
بما يشاء بين عباد، ولا أحد يتعقب حكمه بنقض أو تغيير أو تبديل، وهو سبحانه سريع الحساب، يحاسب الأولين والآخرين في  
يوم واحد، ٣٤ وقد مكرت الأمم السابقة بأبيائنا، وكادت لهم، وكذبوا بما جاؤوا به، فمادوا فقلوا بتدبيرهم لهم؟ لا شيء، لأن التدبير  
الصالح هو تدبير الله لا غيره، كما أنه سبحانه هو الذي يعلم جميع أعمال الخلق كلهم، لا يخفى عليه شيء منها، وعندئذ سيعلم هؤلاء  
المكذبون كم كانوا مخطئين في عدم الإيمان بالله، وكم كان المؤمنون مصيبين، فحازوا بذلك الجنة والعاقبة الحسنة.

• من فوائده الآيات،

• الترغيب في الجنة ببيان صفاتها، من حريان الأنهار وديمومة الرق والطل. • خطورة اتباع الهوى بعد ورود العلم وأنه من  
أسباب عذاب الله. • بيان أن الرسل بشر، لهم أزواج وذريات، وأن نبينا ﷺ ليس بدعاً بينهم، فقد كان مماثلاً لهم في ذلك.



وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا  
يَبْنِي وَيَنْسَخُ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ٤٦

سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّكَعَاتِ أَرْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ  
إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ١  
اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ  
لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ٢ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ  
الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ  
اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ٣ وَمَا  
أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ  
فِيضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ  
الْحَكِيمُ ٤ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ  
قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكَّرْهُمْ بِآيَاتِنَا  
اللَّهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ٥

٢٥٥

ويقول الذين كفروا: لست يا محمد - مرسلًا من الله، قل لهم أيها الرسول: كفى بالله شاهداً بيني وبينكم على أنني مرسل من ربي إليكم، ومن عنده علم من الكتب السماوية التي جاء فيها نعتي، ومن كان الله شاهداً بصدقه، فلا يضره تكذيب من كذب.

سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ

— مكية —

• مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ:

إثبات قيام الرسل بالبيان والبلاغ، وتهديد المعرضين عن اتباعهم بالعذاب.

• التفسير:

١- الر: تقدم الكلام على بظايرها في بداية سورة البقرة، هذا القرآن كتاب أنزلناه إليك أيها الرسول لتخرج الناس من الكفر والجهل والضلالة إلى الإيمان والعلم والهداية بإرادة الله تعالى ومعونته إلى دين الإسلام الذي هو طريق الله العرير الذي لا يقابله أحد، المحمود في كل شيء.

٢- الله الذي له وحده ملك ما في السماوات، وله وحده ملك ما في الأرض، فهو المستحق أن يعبد وحده، ولا يشرك به شيء من خلقه، وسينال الذين كفروا عذاباً قوياً.

٣- الذين كفروا يؤثرون الحياة الدنيا وما فيها من نعيم زائل على الآخرة وما فيها من نعيم دائم، ويصرفون الناس عن طريق الله، ويطلبون لطيفته التشويه والزيغ عن الحق والميل

عن الاستقامة حتى لا يسلكها أحد، وأولئك المتصفون بتلك الصفات في ضلال بعيد عن الحق والصواب.

٤- وما بعثنا من رسول إلا بعثناه مُنْهَدًا لعدة قومه؛ ليسهل عليهم فهم ما جاء به من عند الله، ولم نبعثه لإجبارهم على الإيمان بالله، فאלله يصل من يشاء بعدله، ويوفق من يشاء للهداية بفضل، وهو العزيز الذي لا يقابله أحد، الحكيم في خلقه وتدييره.

٥- ولقد بعثنا موسى وأيدناه بالآيات الدالة على صدقه، وأنه مرسل من ربه، وأمرناه أن يخرج قومه من الكفر والجهل إلى الإيمان والعلم، وأمرناه أن يذكرهم بأيام الله التي أعمم عليهم فيها، إن في تلك الأيام دلالات جليلة على توحيد الله وعظيم قدرته، وإنعامه على المؤمنين، وهذا ما ينتفع به الصابرون على طاعة الله المدامون على شكر نعمه والآله.

• مِنْ قَوْلِ الْآيَاتِ:

• أن المقصد من إنزال القرآن هو الهداية بإخراج الناس من ظلمات الباطل إلى نور الحق.

• إرسال الرسل يكون بلسان أقوامهم ولغتهم؛ لأنه أبلغ في الفهم عنهم، فيكون أدعى للقبول والامتثال.

• وظيفة الرسل تتلخص في إرشاد الناس وقيادتهم للخروج من الظلمات إلى النور.

حين امتثل موسى أمر ربه فقال لقومه من بني إسرائيل مُدْكِرًا إياهم بنعم الله عليهم: يا قوم، اذكروا نعمة الله عليكم حين أنقذكم من آل فرعون، وسَلَّمَكُم مِّنْ بَأْسِهِمْ، يَدَيُوكُم بَشْرَ الْعَذَابِ، حيث كانوا يذبحون أبناءكم الذكور حتى لا يولد فيكم من يستولي على ملك فرعون، وييقون نساءكم على قيد الحياة لإدلالهن وإهانتهم، وفي أفعالهم هذه اختبار لكم عظيم على الصبر، فكافأكم الله على صبركم على هذا البلاء بإنقاذكم من بأس آل فرعون.

وقال لهم موسى: اذكروا حين أعلمكم ربكم إعلامًا بليغًا: لئن شكرتم الله على ما أنعم به عليكم من تلك النعم المذكورة ليزيدنكم عليها من إنعامه وفضله، ولئن جحدتم نعمه عليكم ولم تشكروها، فإن عذابه لشديد لمن يجحد نعمه ولا يشكرها. وقال موسى لقومه: يا قوم، إن تكفروا أنتم ويكفر معكم جميع من في الأرض، فضرر كفركم يعمد عليكم؛ فإن الله غني بنفسه، مستوجب الحمد بذاته، لا يتفمه إيمان المؤمنين، ولا يضره كفر الكافرين.

ألم يجتكم - أيها الكفار - خبر إهلاك الأمم المكذبة من قبلكم: قوم نوح، وعاد قوم هود، وثمود قوم صالح، والأمم الذين جاؤوا من بعدهم، وهم كثير لا يحصي عددهم إلا الله؟ أنتهم رسلهم بالدلائل الواضحة، ووضعوا أيديهم في أفواههم عاضين على أصابعهم من الغيظ على الرسل، وقالوا لرسولهم: إنا كفرنا بما أرسلتم

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ٦ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ٧ وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌ حَمِيدٌ ٨ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَقْوَاهُمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ٩ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُم إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطٰنٍ مُّبِينٍ ١٠

به، وإنا لفي شك باعث على الريبة مما تدعوننا إليه.

قالت لهم رسلهم ردًا عليهم: أفي توحيد الله وإفراده بالعبادة شك، وهو خالق السماوات وحالق الأرض، وموجدهما على غير مثال سابق؟ يدعوكم إلى الإيمان به ليحعو عنكم من ذنوبكم السابقة، ويؤخركم إلى حين استيفانكم لآلحكم المحددة في حياتكم الدنيا، قالت لهم أقوامهم: لستم إلا بشرًا مثلنا، لا مزية لكم علينا، تريدون صرفنا عن عبادة ما كان يعبد آباؤنا، فأتونا بحجة واضحة تدل على صدقكم فيما تدعونه من أنكم رسل من الله إلينا.

من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- من وسائل الدعوة تذكير المدعويين بالله تعالى عليهم، خاصة إن كان ذلك مرتبطًا بنعمة كبيرة، مثل نصر على عدوه أو نجاة منه.
- من فضل الله تعالى أنه وعد عباده مقابلة شكرهم بمزيد الإنعام، وفي المقابل فإن وعيده شديد لمن يكفر به.
- كهر العباد لا يضر الله البتة، كما أن إيمانهم لا يصيف له شيئًا، فهو غني حميد بذاته.

قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ  
يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ  
بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ  
﴿١١﴾ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ  
عَلَىٰ مَا أَذِيتُنَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ  
﴿١٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّسُلُ إِلَهُنَا خَرَجْتُمْ مِّنْ أَرْضِنَا  
أَوْ لَعُودُتُمْ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ  
الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ  
ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَأَسْتَفْتَحُوا  
وَحَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّنْ وَرَآيِهِ جَهَنَّمُ وَسُقِيَ  
مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ  
الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِنْ وَرَآيِهِ  
عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ  
كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ  
مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٨﴾

﴿١١﴾ قالت لهم رسلهم رداً عليهم: لسنا إلا بشرًا مثلكم، فتحن لا تنكر مماثلتكم في ذلك، ولكن لا يلزم من تلك المماثلة المماثلة في كل شيء، فالله يتصل بالإنعام الخاص على من يشاء من عباده، فيصطفيهم رسلاً إلى الناس، وما يصح لنا أن نأتيكم بما طلبتم من حجة إلا بمشيئة الله، فليس الإتيان بها في مقدورنا، بل الله وحده هو القادر على ذلك، وعلى الله وحده يجب أن يعتمد المؤمنون في شؤونهم كلها.

﴿١٢﴾ وأي مانع وأي عذر يحول بيننا وبين التوكل عليه؟ وقد أرشدنا لأقوم الطرق وأوضحها، ولنصبرن على إيمانكم لنا بالكذب والسخرية، وعلى الله وحده يجب أن يعتمد المؤمنون في جميع أمورهم.

﴿١٣﴾ وقال الذين كفروا من أقوام الرسل لما عجزوا عن مُخَاجَةِ رسلهم: لنخرجنكم من قريتنا، أو لترجعن عن دينكم إلى ديننا، فأوحى الله إلى الرسل تثبيتاً لهم: لنهلكن الظالمين الذين كفروا بالله وبرسله.

﴿١٤﴾ ولنسكننكم - أيها الرسل ومن تبعكم - الأرض من بعد إهلاكهم، ذلك المذكور من إهلاك الكفار المكذبين، وإسكان رسلهم والمؤمنين الأرض من بعد إهلاكهم هو لمن استحضر عظمتي ومراقبتي له، وحاف إنذاري له بالعذاب.

﴿١٥﴾ وطلب الرسل من رثهم أن ينصروهم على أعدائهم، وحسر كل متكبر معاند للحق، لا يتبعه مع ظهوره له.

﴿١٦﴾ من أمام هذا المتكبر يوم القيامة جهنم، فهي له بالمرصاد، ويُسْقَى فيها من قبح أصحاب النار الذي يسيل منهم، فلا يزال يُعَذَّبُ بالعطش وغيره من صنوف العذاب.

﴿١٧﴾ يتكلف شربة مرة بعد مرة لشدة مرارته وحرارته وتنته، ولا يقدر على ابتلاعه، ويأتيه الموت من كل جهة من شدة ما يقاسيه من العذاب، وليس هو بميت فيستريح، بل يبقى حيًا يعانى العذاب. ومن إمامه عذاب آخر شديد ينتظره.

﴿١٨﴾ مثل ما يقدمه الكفار من أعمال البر كالصدقة والإحسان والرحمة بالضعيف، مثل رماد اشتدت به الرياح في يوم شديد هبوب الرياح، فحلمته بقوة، وفزقته في كل مكان حتى لم يبق له أثر، وهكذا أعمال الكفار عصف بها الكفر، فلم تنفع أصحابها يوم القيامة، ذلك العمل الذي لم يؤسس على الإيمان هو الضلال البعيد عن طريق الحق.

من قويد لأيات:

- أن الأنبياء والرسل بشر من بني آدم، غير أن الله تعالى فضلهم بحمل الرسالة واصطفاهم لها من بين بني آدم.
- على الداعية الذي يريد التغيير أن يتوقع أن هناك صعوبات جمة سوف تقابله، ومنها الطرد والتفني والإيذاء القولي والفعل.
- أن الدعاة والصالحين موعودون بالتصبر والاستخلاص في الأرض.
- بيان إبطال أعمال الكافرين الصالحة، وعدم اعتبارها بسبب كفرهم.



أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ يَئُوسَ  
يُذْهِبُكُمْ وَيَأْتِي بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١١﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ  
﴿١٢﴾ وَبَرَّرُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا  
إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ  
مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا  
أَجَزْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ ﴿١٣﴾ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا  
قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَعَدْتُكُمْ  
فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا  
أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تُلْهُمُونِي وَلَوْ مَوَّأْتُمْ أَنْفُسَكُمْ  
مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي إِنْ كَفَرْتُ  
بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ  
أَلِيمٌ ﴿١٤﴾ وَأَدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ  
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ  
فِيهَا سَلَامٌ ﴿١٥﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً  
كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿١٦﴾

﴿١١﴾ ألم تعلم أيها الإنسان أن الله خلق السماوات وخلق الأرض بالحق، فلم يخلقهما عبثاً، إن يشاء إدهابكم أيها الناس والإتيان بخلق آخر يعبدوه ويطيعوه بدلاً منكم لأذهبكم وجاء بخلق آخر يعبدوه ويطيعوه، فهو أمر سهل يسير عليه.

﴿١٢﴾ وليس إهلاككم والإتيان بخلق غيركم بمعجز له سبحانه، فهو على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء.

﴿١٣﴾ وخرج الخلائق من قبورهم إلى الله يوم الميعاد، فقال الأتباع الضعفاء للسادة الرؤساء: إنا كنا لكم - أيها السادة - أتباعاً، نأتمر بأمركم، ونفشي بتهيكم، فهل أنتم دافعون عنا من عذاب الله شيئاً؟ قال السادة الرؤساء: لو وُفِّقنا الله للهداية لأرشدناكم إليها، فتحبونا جميعاً من عذابه، ولكن صللنا فأصللناكم، يستوي علينا وعليكم أن يضف عن تحمل العذاب أو أن نصبر، ليس لنا مهرب من العذاب.

﴿١٤﴾ وقال إبليس حين دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار: إن الله وعدهم الوعد الحق، فأنجزكم ما وعدكم، ووعدتكم وعد الباطل فلم أف بما وعدتكم به، وما كان لي من قوة أفهركم بها في الدنيا على الكفر والضلال، لكن دعوتكم إلى الكفر، وزينت لكم المعاصي، فسارعت إلى اتباعي، فلا تلوموني على ما حصل لكم من الضلال، ولوموا أنفسكم، فهي أولى باللوم، ما أنا بمعينكم بدفع العذاب عنكم، وما أنتم بمغيثي بدفعه عني، إني كُفرت بجعلكم إياي شريكاً لله في العبادة، إن الظالمين

- بالشرك بالله في الدنيا والكفر به - لهم عذاب موجه ينتظرهم يوم القيامة.

ولما ذكر الله مصير الكفار يوم القيامة ترهيباً منه، ذكر مصير المؤمنين ترغيباً فيه، فقال ﴿١٣﴾ وبخلاف مصير الظالمين أدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري الأنهار من تحت قصورها وأشجارها، ماكين فيها أبداً بإذن ربهم وحوله، يُحَيِّي بعضهم بعضاً، وتحييهم الملائكة. ويحييهم ربهم سبحانه بالسلام.

﴿١٤﴾ ألم تعلم أيها الرسول كيف ضرب الله مثلاً لكلمة التوحيد التي هي: لا إله إلا الله. حين مثلاً شجرة طيبة هي النخلة، حدها ضارب في قرار الأرض تشرب الماء بعروقها الطيبة، وفرعها مرتفع إلى السماء يشرب من الندى، ويستشق الهواء الطيب من فوقه لأيات،

• بيان سوء عاقبة التاب والمتبوع إن اجتمعا على الباطل.

• بيان أن الشيطان أكبر عدو لبني آدم، وأنه كاذب محذول ضعيف، لا يملك لنفسه ولا لأتباعه شيئاً يوم القيامة.

• اعتراف إبليس أن وعد الله تعالى هو الحق، وأن وعد الشيطان إنما هو محض الكذب.

• تشبيه كلمة التوحيد بالشجرة الطيبة الثمر، العالية الأغصان، الثابتة الجذور.

تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ  
لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمِثْلُ كَلِمَةِ خَيْثَةٍ  
كَشَجَرَةٍ خَيْثَةٍ أَجْتُثَّتْ مِنْ قَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ  
قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ  
الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ  
مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا  
وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ  
الْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا اللَّهَ أَدَادًا لِيُضِلُّوهُ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ  
تَمَتَّعُوا فَإِن مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٣٠﴾ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ  
ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً  
مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا يَخْلَلُ ﴿٣١﴾ اللَّهُ الَّذِي  
خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ  
بِهِ مِنَ الشَّجَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ  
فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ  
الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾

﴿٢٥﴾ تعطي هذه الشجرة الطيبة ثمرها الطيب كل وقت بأمر ربها، ويضرب الله الأمثال للناس رجاء أن يتذكروا.

﴿٢٦﴾ ومثل كلمة الشوك الغبيضة مثل شجرة خبيثة، وهي شجرة الحنظل، اقتلعت من أصلها، ليس لها ثبات على الأرض، ولا ارتفاع إلى السماء، فتموت وتذروها الرياح، فكلمة الكفر مالهها الفناء، ولا يصعد لصاحبها إلى الله عمل طيب.

﴿٢٧﴾ يُثَبِّتُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ بكلمة التوحيد الثابتة إيماناً تاماً في الحياة الدنيا حتى يموتوا وهم على الإيمان. وفي البرزخ في قبورهم عند السؤال، ويثبتهم يوم القيامة، ويضلُّ الله الظالمين بالشرك بالله والكفر به عن الصواب والرشد، ويفعل الله ما يشاء من إضلال من أراد إضلاله بعده، ومن هداية من شاء هدايته بفضل، فلا مكره له سبحانه.

﴿٢٨﴾ لقد رأيت حال الذين كفروا بالله وبرسوله من قريش حين اعتاضوا عن إتمام الله عليهم بالأمن في الحرم، وبيعة محمد ﷺ فيهم، اعتاضوا عن ذلك: الكفر بنعمه حين كذبوا بما جاءهم به من ربه، وأنزلوا من اتبعهم في الكفر من أقوامهم دار الهلاك.

﴿٢٩﴾ ودار الهلاك هي جهنم يدخلونها، يقاسون حرَّها، وساء المستقر مستقرهم.

﴿٣٠﴾ وجعل المشركون لله أمثالا ونظراء ليضلوا من اتبعهم عن سبيل الله بعد أن ضلوا هم عنها، قل لهم أيها الرسول -: تمتعوا بما أنتم فيه من الشهوات، ونشر الشبهات في هذه

الحياة الدنيا، فإن مرجعكم يوم القيامة إلى النار، ليس لكم مرجع غيرها.

﴿٣١﴾ قل أيها الرسول للمؤمنين: أيها المؤمنون، أدوا الصلاة على أكمل وجه، وأنفقوا مما رزقكم الله النفقات الواجبة والمستحقة، خفية خوفاً من الرباء، وجهراً ليقندي بكم غيركم، من قبل أن يجيء يوم لا يبيع فيه ولا فداء فيفتدى من عذاب الله، ولا صدقه حتى يشمع الصديق لصديقه.

﴿٣٢﴾ الله الذي أنشأ السماوات وأنشأ الأرض على غير مثال سابق. وأنزل من السماء ماء المطر. فأخرج بذلك الماء العنزل من أصناف الثمار رزقاً لكم أيها الناس ودلِّل لكم السم تحري على الماء وفق تقديره، ودلِّل لكم الأنهار لتشربوا منها، وتسقوا أنعامكم وزروعكم.

﴿٣٣﴾ ودلِّل لكم الشمس والقمر يحريان باستمرار، ودلِّل لكم الليل والنهار يتعاقبان، الليل لنومكم وراحتكم، والنهار لنشاطكم وكذاكم.

● من فوائد الآيات:

- تشبيه كلمة الكفر بشجرة الحنظل الزاحفة، فهي لا ترتفع، ولا تنتج طيباً، ولا تدوم.
- الرابط بين الأمر بالصلاة والزكاة مع ذكر الآخرة هو الإشعار بأنهما مما تكون به النجاة يومئذ.
- تعداد بعض النعم العظيمة إشارة لعظم كفر بعض بني آدم وجحدهم بنعمه ﷻ.

وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَاسٍ التَّمُوهَ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٢٤﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٢٥﴾ رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلَلَنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٦﴾ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٢٧﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٨﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعٌ الدُّعَاءِ ﴿٢٩﴾ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴿٣٠﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٣١﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٣٢﴾

٢٦٠

﴿٢٤﴾ وأعطاكم من جميع ما طلبتموه، ومما لم تطلبوه، وإن تعدوا نعم الله لا تقدرها على حصرها؛ لكثرتها وتعددتها، فما ذكر لكم أمثلة منها، إن الإنسان لظلوم لنفسه، كثير الجحود لنعم الله ﷻ.

﴿٢٥﴾ واذكر أيها الرسول حين قال إبراهيم بعد أن أسكن ابنه إسماعيل وأمه هاجر بوادي مكة. يا رب، اجعل هذا البلد الذي أسكنت فيه أهلي وهو مكة - بلداً آمناً، لا يسفك فيه دم، ولا يظلم فيه أحد، وأبعدني وأبعد أولادي عن عبادة الأصنام.

﴿٢٦﴾ يا رب، إن الأصنام أضللن كثيراً من الناس، حيث ظنوا أنها تشفع لهم، ففتنوا بها، وعبدها من دون الله، فمن تبعتني من الناس في توحيد الله وطاعته فإنه من شيعتي وأتباعي، ومن عصاني فلم يتبعني في توحيد الله وطاعته فإنك - يا رب - غفور لذنوب من شئت أن تغفر لهم، رحيم بهم.

﴿٢٧﴾ ربنا إني أسكنت بعض ذريتي، وهم ابني إسماعيل وأبنائه بوادٍ (وهو مكة) لا زرع فيه ولا ماء بجوار بيتك المحرم، ربنا أسكنتهم بجواره ليقوموا الصلاة فيه، فصبر يا رب قلوب الناس نحن إليهم، وإلى هذا البلد، وارضقهم من الثمرات رجاء أن يشكروك على إنعامك عليهم.

﴿٢٨﴾ ربنا، إنك تعلم كل ما نسرّه، وكل ما نجهر به، ولا يخفى على الله شيء في الأرض ولا في السماء، بل يعلمه، فلا يخفى عليه احتياجنا وقرنا إليه.

﴿٢٩﴾ الشكر والثناء لله سبحانه الذي أجاب دعائي أن يهب لي من الصالحين، فأعطاني على كبر سني

إسماعيل من هاجر، وإسحاق من سارة، إن ربي سبحانه سميع دعاء من دعاه.

﴿٣٠﴾ يا رب، اجعلني مؤدياً للصلاة على أكمل وجه، واجعل ذريتي ممن يؤديها كذلك، يا ربنا، وأجب دعائي واجعله مقبولاً عندك.

﴿٣١﴾ ربنا، اغفر لي ذنوبي، واغفر ذنوب والدي (قالها قبل أن يعلم أن أباه عدو لله، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه)، واغفر للمؤمنين ذنوبهم يوم يقوم الناس لحسابهم أمام ربهم.

﴿٣٢﴾ ولا تظنن أيها الرسول أن الله إذ يؤخر عذاب الظالمين غافل عما يعملهم الظالمون من التكذيب والصد عن سبيل الله وغير ذلك، بل هو عالم بذلك، لا يخفى عليه منه شيء، إنما يؤخر عذابهم إلى يوم القيامة، ذلك اليوم الذي ترتفع فيه الأبصار خوفاً من هول ما تشاهده.

﴿٣٣﴾ من يؤيد الآيات،

• بيان فضيلة مكة التي دعا لها نبي الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

• أن الإنسان مهما ارتفع شأنه في مراتب الطاعة والعبودية ينبغي له أن يخاف على نفسه وذريته من جليل الشرك ودقيقه.

• دعا إبراهيم عليه الصلاة والسلام يدل على أن العبد مهما ارتفع شأنه يظل مقترباً إلى الله تعالى ومحتاجاً إليه.

• من أساليب التربية الدعاء للأنباء بالصالح وحسن المعتقد والتوفيق في إقامة شعائر الدين.



مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ  
وَأَفِيدَتْهُمْ مَهْوَاءٌ ۝٤٧ وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ  
فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا آخِرْنَا إِلَىٰ آجَلٍ قَرِيبٍ يُجِبْ  
دَعْوَتَكَ وَتَتَّبِعِ الرَّسُولَ ۝٤٨ أُولَٰئِكَ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ  
مَالَكُمْ مِنْ زَوَالٍ ۝٤٩ وَسَكَنْتُمْ فِي مَسْكَانٍ الَّذِينَ ظَلَمُوا  
أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ  
الْأَمْثَالَ ۝٥٠ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ  
وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ۝٥١ فَلَا  
تُحْسِبَنَّ اللَّهُ مُخْلِفًا وَعْدَهُ رُسُلُهُ ۝٥٢ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ  
ذُو انْتِقَامٍ ۝٥٣ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ  
وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ۝٥٤ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ  
مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ۝٥٥ سَرَابِلُهُمْ مِنْ قِطْرٍ ۝٥٦ وَتَغْشَى  
وُجُوهَهُمُ النَّارُ ۝٥٧ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ  
إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۝٥٨ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ  
وَلِيَعْلَمُوا أَنَّ مَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَلِيَذْكُرُوا وَلِأَلْبَسَ ۝٥٩

١٣ حين يقوم الناس من قبورهم مسرعين إلى الداعي، رافعي رؤوسهم ينظرون جزعاً إلى السماء، لا ترجع إليهم أبصارهم، بل تبقى شاخصة من هول ما يشاهدونه، وقلوبهم فارغة لا عقل لها، ولا فهم من فرع المشهد. ١٤ وخوف - أيها الرسول - أمتك من عذاب الله يوم القيامة، فيقول عند ذلك الذين ظلموا أنفسهم بالكفر بالله والشرك به: يا ربنا، آمهنا، وأخر عنا العذاب، وردنا إلى الدنيا مدة يسيرة تؤمن بك، وتبنيك الرسل الذين بعثتهم إلينا، فيجيبون توبيخاً لهم أنهم تكونوا حلتم في الحياة الدنيا أنكم لا انتقال لكم من الحياة الدنيا إلى الآخرة منكرين البعث بعد الموت؟ ١٥ ونزلتم في مساكن الأمم السابقة الظالمة من قبلكم لأنفسها بالكفر بالله، مثل قوم هود وقوم صالح، واتضح لكم ما أوقعناه بهم من الهلاك، وضربنا لكم الأمثال في كتاب الله لتتعلظوا، فما اتعظتم بها.

١٦ وقد دبر هؤلاء النازلون في مساكن الأمم الظالمة المكاييد لقتل النبي محمد ﷺ، والقضاء على دعوته، والله يعلم تدبيرهم لا يخفى عليه منه شيء، وتدبير هؤلاء ضعيف، فهو لا يزيل الجبال ولا غيرها لضعفه، خلافاً لمكر الله بهم. ١٧ فلا تظنن - أيها الرسول - أن الله الذي وعد رسله بالنصر وإظهار الدين مخلّف ما وعد به رسله، إن الله عزيز لا يلقه شيء، وسيعز أوليائه، ذو انتقام شديد من أعدائه وأعداء رسله. ١٨ هذا الانتقام من الكفار يحصل يوم تقوم القيامة، يوم تُبَدَّلُ هذه الأرض أرضاً أخرى بيضاء نقية، وتبدل السماوات سماوات غيرها، وظهر الناس من قبورهم بأبدانهم وأعمالهم للوقوف بين يدي الله المنفرد بملكه وعظمته، القهار الذي يقهر ولا يقهر، وتقلب ولا يتقلب.

١٩ وتُبصر أيها الرسول يوم تُبَدَّلُ الأرض غير الأرض، وتُبدَّلُ السماوات الكفار والمشركون قد سُدَّ بعضهم إلى بعض في القيود، فُرئت أيديهم وأرجلهم إلى رقابهم بالسلاسل، ثيابهم التي يلبسونها من القطران (وهي مادة شديدة الاشتعال)، وتعلو وجوههم الكالحة النار.

٢٠ ليشيب الله كل نفس ما عملت من خير أو شر، إن الله سريع الحساب للأعمال. ٢١ هذا القرآن المنزل على محمد ﷺ إعلام من الله إلى الناس، وليخوفوا بما فيه من الترهيب والوعيد الشديد، وليعلموا أن المعبود بحق هو الله وحده فيعبده ولا يشركوا به أحداً، وليتعتظ به يعتبر أصحاب العمولى السليمة لأنهم هم الذين ينتمعون بالعطاط والغير.

● من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- تصوير مشاهد يوم القيامة وجرع الخلق وخوفهم وضعفهم ورهبتهم، وتبديل الأرض والسماوات.
- وصف شدة العذاب والنذل الذي يلحق بأهل المعصية والكفر يوم القيامة.
- أن العبد في سعة من أمره في حياته في الدنيا، فعليه أن يجتهد في الطاعة، فإن الله تعالى لا يتيح له فرصة أخرى إذا بعثه يوم القيامة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ ۝  
الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ۝  
ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا  
وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْمَلُونَ ۝  
وَمَا أَهْلَكْنَا  
مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ ۝  
مَا تَسْبِقُ مِنْ أَمْرِهِ  
أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَعْجِرُونَ ۝  
وَقَالُوا أَيَّائِهِنَّ الَّذِي نَزَّلَ عَلَيْهِ  
الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۝  
لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكَةِ إِنْ كُنْتَ  
مِنَ الصَّادِقِينَ ۝  
مَا نَزَّلَ الْمَلَكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا  
إِذَا مُنْظَرِينَ ۝  
إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝  
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ ۝  
وَمَا يَأْتِيهِمْ  
مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۝  
كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ  
فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ۝  
لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ  
وَوَقَفْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرَجُونَ ۝  
لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ۝

٢٦٢

• من مقاصد السورة:  
توعد المستهزئين بالقرآن، والوعد  
بحفظه تأييداً للنبي وتبنيته.

• التفسير:  
• الآية ١: تقدم الكلام على نظائرها  
في بداية سورة البقرة، هذه الآيات  
رفيعة الشأن الدالة على أنها منزلة  
من عند الله هي آيات قرآن موضح  
للتوحيد والشرائع.

• الآية ٢: سيتمنى الكفار يوم القيامة لو  
كانوا مسلمين عندما يتضح لهم الأمر،  
ويكشف لهم بطلان ما كانوا عليه من  
الكفر في الدنيا.

• الآية ٣: أتروك - أيها الرسول - هؤلاء  
المكذبين يأكلوا كما تاكل الأنعام،  
ويتمتعوا بملذات الدنيا المنقطعة،  
ويشغلهم طول الأمل عن الإيمان  
والعمل الصالح، فسوف يعلمون ما هم  
فيه من الخسران إذا وردوا على الله  
يوم القيامة.

• الآية ٤: وما أنزلنا الهلاك على قرية من  
القرى الطالمة إلا كان لها أهل محدد  
في علم الله، لا تتقدم عنه ولا تتأخر.

• الآية ٥: لا يأتي أمة من الأمم هلاكها  
قبل أن يحين أجلها، ولا يتأخر  
عنها الهلاك إذا حان أجلها، فعلى  
الطالمين ألا يعتروا بإمهال الله لهم.  
• الآية ٦: وقال الكفار من أهل مكة  
للسرور: يا أيها الذي نزل عليه  
كما يدعي الذكر إنك تدعوا هذه

لمجنون تتصرف تصرف المجانين.  
• الآية ٧: هلا جئنا بالملائكة يشهدون  
لك، إن كنت من الصادقين بأنك نبي

مرسل، وأن العذاب نازل بنا.

• قال الله رداً على ما افترحوه من مجيء الملائكة لا تنزل الملائكة إلا وفق ما تقتضيه الحكمة حين يحين إهلاككم بالعذاب،  
وليسوا إذا جئنا بالملائكة ولم يؤمنوا بمهملين، بل سيعالون بالعقاب. • الآية ٨: إنا نحن الذين نزلنا هذا القرآن على قلب محمد  
تذكيراً للناس، وإنا للقرآن لحافظون من الريادة والنقصان والتبديل والتحريف. • الآية ٩: ولقد بعثنا من قبلك - رسلاً في  
جماعات الكفر السابقة فكذبوهم، فقلت بدعاً من الرسل في تكذيب أمتك لك. • الآية ١٠: وما يأتي جماعات الكفر السابقة رسول إلا كذبوه  
وسخروا منه. • الآية ١١: كما أدخلنا التكذيب في قلوب تلك الأمم بدخله كذلك في قلوب مشركي مكة ياعر اضهم وعنادهم. • الآية ١٢: لا يؤمنون  
بهذا القرآن المنزل على محمد. • الآية ١٣: وقد مضت سنة الله في إهلاك المكذبين بما جاءت به رسلكم، فليعتبر المكذبون بك. • الآية ١٤: وهؤلاء  
المكذبون معاندون حتى لو اتضح لهم الحق بالأدلة العلية، فلو فتحنا لهم باباً من السماء فظلوا يصعدون. • الآية ١٥: لما صدقوا، ولقالوا:  
إنما سدت أبصارنا عن الإبصار، بل ما نراه هو بتأثير السحر، فتحن مسحورون.

• من هوياً الآيات:

• القرآن الكريم جامع بين صفة الكمال في كل شيء، والوضوح والبيان. • يهتم الكفار عادة بالماديات، فتراهم مُتغيبين في  
الشهوات والأهواء، مغترين بالألغاز الزائفة، منشغلين بالدنيا عن الآخرة. • هلاك الأمم مُقَدَّر بتاريخ معين، ومقرر في أجل محدد،  
لا تأخير فيه ولا تقديم، وإن الله لا يفعل لمجلة أحد. • تكفل الله تعالى بحفظ القرآن الكريم من التيسير والتبديل، والزيادة  
والنقص، إلى يوم القيامة.

﴿١٦﴾ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَرَئِيهَا لِلنَّظِيرِ  
عظيمة يهتدي بها الناس في  
أسفارهم في ظلمات البر والبحر.  
وجعلناها لمن نظر إليها وأبصرها:  
ليستدلوا بها على قدرة الله سبحانه.  
﴿١٧﴾ وَحَفَظْنَا السَّمَاءَ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ  
مطرود عن رحمة الله.

﴿١٨﴾ إِلَّا مَنْ اسْتَمَعَ لِلْإِغْوَى الْأَعْلَى خَلْسَةً  
فيلحقه جرم مصيء، فيحرقه.  
﴿١٩﴾ وَالْأَرْضَ سَطْلَانَا لِيَسْتَقِرَّ النَّاسُ  
عليها، وجعلنا فيها حبالاً ثوابت حتى  
لا تميد بالناس، وأنبأنا فيها من أنواع  
النبات ما هو مقدر محدد بما تقتضيه  
الحكمة.

﴿٢٠﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا النَّاسَ  
والأرض ما يعيشكم من المأكول  
والمشارب ما دتمت في الحياة الدنيا،  
وجعلنا لعبركم ممن لا ترقونه من  
الناس والحيوان ما يعيشهم.

﴿٢١﴾ وَمَا مِنْ شَيْءٍ يَنْتَفِعَ بِهِ النَّاسُ  
والدواب إلا نحن قادرون على إيجاده  
ونعم الناس به، وما نوجد ما نوجده من  
ذلك إلا بمقدار محدد تقتضيه حكمتنا  
ومشيئتنا.

﴿٢٢﴾ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ تَلْفُحَ السَّحَابِ،  
فأنزلنا من السحاب المُنْفَج بها مطراً،  
هستقناكم من ماء المطر، ولستم أيها  
الناس - بحازنين لهذا الماء في الأرض  
ليكون عيوناً وآباراً، وإنما الله هو الذي  
يجزئها فيها.

﴿٢٣﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نَحْيِي الْمَوْتَى يَخْلُقُهُمْ  
من العدم وبيعتهم بعد الموت، ونميت  
الأحياء إذا استوفوا أجالهم، ونحن  
الباقون الذين نرث الأرض ومن عليها.

﴿٢٤﴾ وَلَقَدْ عَلَّمْنَا مِنْ تَقْدِمِ مَنْكُم  
ولادة وموتاً، وعلمنا من تأخر فيهما، لا  
يخفى علينا من ذلك شيء.

﴿٢٥﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ أَيُّهَا الرَّسُولُ هُوَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ليجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، إنه حكيم في  
تدبيره، عليم لا يخفى عليه شيء.

﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا آدَمَ مِنْ طِينٍ يَاسَسٍ أَوْ تَقَرُّ صَوْتُهُ، وَهَذَا الطِّينُ الَّذِي خُلِقَ مِنْهُ أَسْوَدُ مَتَعَبِيرِ الرِّيحِ لَطُولُ مَكْنَاهُ.  
وخلقنا آبا الجن من قبل خلق آدم من نار شديدة الحرارة.

﴿٢٧﴾ وَادِّكُرْ أَيُّهَا الرَّسُولُ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ وَالْإِبْلِيسَ وَكَانَ مَعَهُمْ  
متغير الريح.

﴿٢٨﴾ إِذَا دَعَلْتُ صُورَتَهُ، وَكَمَلْتُ خَلْقَهُ فَاسْجُدُوا لَهُ امْتِثَالاً لِأَمْرِي وَتَحِيَّةً لَهُ.  
﴿٢٩﴾ فَامْتَثِلِ الْمَلَائِكَةُ، فَسَجَدُوا كُلُّهُمْ لَهُ كَمَا أَمَرَهُمْ رَبُّهُمْ.

﴿٣٠﴾ لَكِنْ إِبْلِيسَ - الَّذِي كَانَ مَعَ الْمَلَائِكَةِ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ - اَمْتَعَ أَنْ يَسْجُدَ لِأَدَمَ مَعَ الْمَلَائِكَةِ.  
من هو يد الآيات.

● ينبغي للعبد التأمل والنظر في السماء ورئيتها والاستدلال بها على بارئها. ● جميع الأرزاق وأصناف الأقدار لا يملكها أحد إلا الله، فجزئنا أيده يعطي من يشاء، ويمنع من يشاء، بحسب حكمته ورحمته. ● الأرض مخلوقة مهيأة منبسطة تتناسب مع إمكان الحياة البشرية عليها. وهي مثبتة بالحبال الرواسي: لئلا تتحرك بأهلها، وفيها من النباتات المختلفة ذات المقادير المعلومة على وفق الحكمة والمصلحة. ● الأمر للملائكة بالسجود لأدم فيه تكريم للجنس البشري.

﴿١٦﴾ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَرَئِيهَا لِلنَّظِيرِ  
﴿١٧﴾ وَحَفَظْنَا السَّمَاءَ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ إِلَّا مَنْ اسْتَمَعَ  
فَاتَّبَعَهُ وَشَهَابٌ مُبِينٌ ﴿١٨﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا  
رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ  
فِيهَا مَعَاشٍ وَمَنْ لَسَّ لَهُ وَبِرَازِقَيْنِ ﴿٢٠﴾ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا  
عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا  
الرَّيْحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ  
لَهُ بِمُحْزِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴿٢٣﴾  
وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَخِيرِينَ  
﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ وَحَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا  
الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَالْجَانَ خَلَقْنَاهُ مِنْ  
قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا  
مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ  
مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ وَسَجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ  
أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣١﴾

﴿٣١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ أَيُّهَا الرَّسُولُ هُوَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ليجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، إنه حكيم في  
تدبيره، عليم لا يخفى عليه شيء.

﴿٣٢﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا آدَمَ مِنْ طِينٍ يَاسَسٍ أَوْ تَقَرُّ صَوْتُهُ، وَهَذَا الطِّينُ الَّذِي خُلِقَ مِنْهُ أَسْوَدُ مَتَعَبِيرِ الرِّيحِ لَطُولُ مَكْنَاهُ.  
وخلقنا آبا الجن من قبل خلق آدم من نار شديدة الحرارة.

﴿٣٣﴾ وَادِّكُرْ أَيُّهَا الرَّسُولُ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ وَالْإِبْلِيسَ وَكَانَ مَعَهُمْ  
متغير الريح.

﴿٣٤﴾ إِذَا دَعَلْتُ صُورَتَهُ، وَكَمَلْتُ خَلْقَهُ فَاسْجُدُوا لَهُ امْتِثَالاً لِأَمْرِي وَتَحِيَّةً لَهُ.  
﴿٣٥﴾ فَامْتَثِلِ الْمَلَائِكَةُ، فَسَجَدُوا كُلُّهُمْ لَهُ كَمَا أَمَرَهُمْ رَبُّهُمْ.

﴿٣٦﴾ لَكِنْ إِبْلِيسَ - الَّذِي كَانَ مَعَ الْمَلَائِكَةِ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ - اَمْتَعَ أَنْ يَسْجُدَ لِأَدَمَ مَعَ الْمَلَائِكَةِ.  
من هو يد الآيات.

● ينبغي للعبد التأمل والنظر في السماء ورئيتها والاستدلال بها على بارئها. ● جميع الأرزاق وأصناف الأقدار لا يملكها أحد إلا الله، فجزئنا أيده يعطي من يشاء، ويمنع من يشاء، بحسب حكمته ورحمته. ● الأرض مخلوقة مهيأة منبسطة تتناسب مع إمكان الحياة البشرية عليها. وهي مثبتة بالحبال الرواسي: لئلا تتحرك بأهلها، وفيها من النباتات المختلفة ذات المقادير المعلومة على وفق الحكمة والمصلحة. ● الأمر للملائكة بالسجود لأدم فيه تكريم للجنس البشري.



قَالَ يَبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ٢٢ قَالَ لَمَّا كُنْتُ  
لَا سَجْدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلَاسِلٍ مِنْ حَمَاقٍ مَسْنُونٍ ٢٣  
قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ٢٤ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ  
الدِّينِ ٢٥ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ ٢٦ قَالَ فَإِنَّكَ  
مِنَ الْمُنْظَرِينَ ٢٧ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ٢٨ قَالَ رَبِّ بِمَا  
أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ٢٩  
إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ٣٠ قَالَ هَذَا صِرْطٌ عَلَى  
مُسْتَقِيمٍ ٣١ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ  
اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ٣٢ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ٣٣  
لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ٣٤ إِنَّ  
الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ٣٥ أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ أَمِينٍ ٣٦  
وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ٣٧  
لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ٣٨  
\* نَبِّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ٣٩ وَأَنَّ عَذَابِي  
هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ٤٠ وَنَبِّهُمْ عَنْ صَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ٤١

٢٢ قال الله لإبليس بعد امتناعه من السجود لأدم: ما حملك ومنعك من أن تسجد مع الملائكة الذين سجدوا امتثالاً لأمرى؟  
٢٣ قال إبليس متكبراً: ما يصح لي أن أسجد لبشر خلقته من طين يابس كان طيناً أسود متعبراً.  
٢٤ قال الله لإبليس: اخرج من الجنة فإنك مطرود.  
٢٥ وإن عليك اللعنة والطرود من رحمتي إلى يوم القيامة.  
٢٦ قال إبليس: يا رب، أهملني ولا تمتني إلى يوم يبعث الخلق.  
٢٧ قال الله له: فإنك من الممهلين الذين أخرت أجلهم.  
٢٨ إلى الوقت الذي يموت فيه جميع الخلائق عند النفخة الأولى.  
٢٩ قال إبليس: يا رب، بسبب إضلالك لي لأخسئن لهم المعاصي في الأرض، ولأضلنهم كلهم عن الصراط المستقيم.  
٣٠ إلا من اصطفتهم من عبادك لعبادتك.  
٣١ قال الله: هذا طريق معتدل موصل إلي.  
٣٢ إن عبادي المخلصين ليس لك قدرة ولا تسلط على أعوانهم إلا من اتبعك من الصالحين.  
٣٣ وإن جهنم لموعدهم إبليس ومن اتبعه من الضالين كلهم.  
٣٤ لجهنم سبعة أبواب يدخلون منها، لكل باب من أبوابها من اتباع إبليس قدر معلوم منهم يدخل منه.  
٣٥ إن الذين اتقوا ربهم بامتثال أمره واجتناب نهيه في جنات وعيون. يقال لهم عند دخولها: ادخلوها بسلامة من الآفات، وأمن من

المخاوف

١٧ وأزلنا ما في صدورهم من حقد وعداوة، إحوة متحائنين يجلسون على أسرة ينظر بعضهم إلى بعض.  
١٨ لا يصيبهم فيها تعب، وليسوا بمُخْرَجِينَ منها، بل هم خالدون فيها.  
١٩ أعلم أيها الرسول: عبادي أنني أنا الغفور الرحيم به.  
٢٠ وأعلمهم أن عذابي هو العذاب الموعود، فليتوبوا إلي لينالوا مغفرتي، ويأمنوا من عذابي.  
٢١ وأعلمهم بخبر ضيوف إبراهيم عليه السلام من الملائكة الذين جاؤوه بالبشرى بالولد، وبإهلاك قوم لوط.  
٢٢ من قوايد الآيات،

- في الآيات دليل على تراور المتقين واجتماعهم وحسن أديهم فيما بينهم، في كون كل منهم مقابلاً للآخر لا مستدبراً له.
- ينبغي للعبد أن يكون قلبه دائماً بين الخوف والرجاء، والرغبة والرهبة.
- سجد الملائكة لأدم كلهم أجمعون سجدوا تحية وتكريماً إلا إبليس رفض وأبى.
- لا سلطان لإبليس على الذين هداهم الله واحتباهم واصطفاهم في أن يلقبهم في ذنب يمنهم عفو الله.

إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَظِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشِّرْهُمُونِي عَلَىٰ أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ تَبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا أَبَشِّرْكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَنْ يَقْنُطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا آءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمَنْجُوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا أَمْرًا نَّهَىٰ لِمَنِ الْغَيْرِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ آءَالَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنْكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوهَا حَيْثُ تَوْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٧٠﴾

﴿٥٢﴾ حين دخلوا عليه، فقالوا له: سلامًا، فأجابهم بأحسن من تحيتهم، وقدم لهم عجلًا مشويًا ليأكلوه، فقد ظن أنهم بشر، فلما لم يأكلوا منه، قال: إنا منكم خائفون.

﴿٥٣﴾ قال الرسل من الملائكة: لا تخف، إنا نخبرك بما يسرك، أنه سيكون لك ولد ذكر عليم.

﴿٥٤﴾ قال لهم إبراهيم: وقد تمخّبت من تبشيرهم إياه بولد. أبشّرتموني بولد مع ما أصابني من الكبر والشيخوخة. فعلى أي وجه تبشّرونني؟

﴿٥٥﴾ قال الرسل من الملائكة لإبراهيم: بشّرناك بالحق الذي لا مرية فيه، فلا تكن من اليائسين مما بشّرناك به.

﴿٥٦﴾ قال إبراهيم: وهل يبشّر من رحمة ربه إلا المنحرفون عن صراط الله المستقيم؟

﴿٥٧﴾ قال إبراهيم: فما شأنكم الذي جاء بكم أيها المرسلون من الله تعالى؟

﴿٥٨﴾ قال الرسل من الملائكة: إنا أرسلنا الله لإهلاك قوم عظيمي الفساد، عظيمي الشر، وهم قوم لوط.

﴿٥٩﴾ إلا أهل لوط وأتباعه من المؤمنين، فلا يشملهم الإهلاك، إنا مسلموهم جميعًا منه.

﴿٦٠﴾ إلا زوجته، فقد حكمنا أنها من الباقيين الذين يشملهم الهلاك.

﴿٦١﴾ فلما قدم الملائكة المرسلون إلى آل لوط في صور رجال.

﴿٦٢﴾ قال لهم لوط: قوم غير معروفين.

﴿٦٣﴾ قال الرسل من الملائكة للوط: لا تخف، بل جئناك - يا لوط - بما كان يشك فيه قومك من العذاب المهلك لهم.

﴿٦٤﴾ وجئناك بالحق الذي لا هزل فيه، وإنا لصادقون فيما أخبرناك به.

﴿٦٥﴾ فسّر بأهلك بعد مضي حانب من الليل، وسرّ حلمهم، ولا يلتفت أحد منكم إلى الوراء لينظر ما حل بهم، وامضوا إلى حيث أمركم الله أن تمضوا.

﴿٦٦﴾ وأعلمنا لوطًا عن طريق الوحي ذلك الأمر الذي قدرناه. وهو أن هؤلاء القوم سيستأصلون بإهلاك آخرهم إذا دخلوا هي الصبح.

﴿٦٧﴾ وجاء أهل سدّوم مستبشرين بضيوف لوط؛ طمعًا في فعل الفاحشة.

﴿٦٨﴾ قال لهم لوط: إن هؤلاء القوم ضيوفي، فلا تفضحوني بما تريدون بهم.

﴿٦٩﴾ وخافوا الله بترك هذه الفاحشة، ولا تذلولني بصنيعكم الشنيع.

﴿٧٠﴾ قال له قومه: ألم ننهك عن إضافة أحد من الناس من هؤلاء إلى كتاب؟

● تعليم أدب الضيف بالتحية والسلام حين القدوم على الآخرين.

● من أنعم الله عليه بالهداية والعلم العظيم لا سبيل له إلى القنوط من رحمة الله.

● نهى الله تعالى لوطًا وأتباعه عن الالتفات أثناء نزول العذاب بقوم لوط حتى لا تأخذهم الشفقة عليهم.

● تصميم قوم لوط على ارتكاب الفاحشة مع هؤلاء الضيوف دليل على طمس فطرتهم، وشدة فحشهم.

قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ  
يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمَا  
سَافِلَهُمَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ  
لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَلسَّبِيلِ مَقِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ  
لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ ﴿٧٨﴾  
فَاتَّقَمْنَا مِنْهُمُ وَإِنَّهُمَا إِلَٰهًا مَّرْمِيَيْنِ ﴿٧٩﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ  
الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيْنَهُمُ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾  
وَكَانُوا يُنَجِّتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ  
الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾  
وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ  
السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ  
الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي  
وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمْدَنِّ عَيْنُكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَاهُ أَزْوَاجًا  
مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفَضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلْ  
إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾

٢٦٦

﴿٧١﴾ قال لهم لوط: معذراً لنفسه  
أمام ضيوفه: هؤلاء بناتي من جملة  
نساءكم، فتزوجوهن إن كنتم قاصدين  
قصاء شهواتكم.

﴿٧٢﴾ وحياتك أيها الرسول إن قوم  
لوط لفي طغيان شهواتهم يترددون،  
﴿٧٣﴾ فأخذهم صوت شديد مهلك عند  
دخولهم في وقت شروق الشمس.  
﴿٧٤﴾ فقلنا قراهم بعمل عاليها سافلها،  
وأمطرنا عليهم حجارة من طين  
مُحَجَّر.

﴿٧٥﴾ إن في ذلك المذكور مما حل بقوم  
لوط من هلاك لعلامات للمتأملين.  
﴿٧٦﴾ وإن قرى قوم لوط لعلی طريق  
ثابت، يراها من يمر بها من  
المسافرين.

﴿٧٧﴾ إن في ذلك الذي حدث لدلالة  
للمؤمنين يعتبرون بها.  
﴿٧٨﴾ وقد كان قوم شعيب أصحاب  
القرية ذات الشجر الملتف ظالمين،  
لكفرهم بالله وتكذيبهم لرسوله شعيب.

﴿٧٩﴾ فانتقمنا منهم حيث أخذهم  
العذاب، وإن قرى قوم لوط ومواطن  
أصحاب شعيب لبطريقي واضح لمن  
مر به.

﴿٨٠﴾ ولقد كذبت ثمود، وهم أصحاب  
الحجر (مكان بين الحجار والشام)  
جميع الرسل حين كذبوا ببيهم صالحاً.

﴿٨١﴾ وأعطيناهم الحجج والدلائل  
على صدقه فيما جاء به من ربه، ومن  
ذلك الناقة، فلم يعتبروا بتلك الدلائل،  
ولم يبالوا بها.

﴿٨٢﴾ وكانوا يقطعون الجبال ليصنعوا  
بيوتاً لهم يسكنونها آمنين مما  
يخافون.

﴿٨٣﴾ فأخذتهم صاعقة العذاب بعد دخولهم وقت الصبح.

﴿٨٤﴾ فما دفع عنهم عذاب الله ما كانوا يكسبون من الأموال والمساكن.

﴿٨٥﴾ وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما باطلاً دون حكمة، ما خلقنا كل ذلك إلا بالحق، وإن الساعة لآتية لا محالة،  
فأعرض - أيها الرسول - عن المكذبين بك، واعف عنهم عقواً حسناً.

﴿٨٦﴾ إن ربك - أيها الرسول - هو الخلاق لكل شيء، العليم به.

﴿٨٧﴾ ولقد أعطيناك الفاتحة التي هي سبع آيات، وهي القرآن العظيم.

﴿٨٨﴾ لا تمدد بصرك إلى ما متعنا به أصنافاً من الكفار من منع زائلة، ولا تحزن على تكذيبهم، وتواضع للمؤمنين.

﴿٨٩﴾ وقل أيها الرسول: إني أنا النذير من العذاب، البين النذارة.

﴿٩٠﴾ نذكركم أن يصيبكم مثل ما أنزل الله على المرفس كذب الله أجزء فيؤمنون ببعض ويكفرون ببعض

من فوائده الآيات،

• أن الله تعالى إذا أراد أن يهلك قرية ازداد شرهم وطفانهم، فإذا انتهى أوقع بهم من العقوبات ما يستحقونه. • كراهة دخول  
مواطن العذاب، ومثلها دخول مقابر الكفار، فإن دخل الإنسان إلى تلك المواضع والمقابر فعليه الإسراع. • ينبغي للمؤمن ألا ينظر  
إلى رخارف الدنيا وزهرتها، وأن ينظر إلى ما عند الله من العطاء. • على المؤمن أن يكون بعيداً من المشركين، ولا يحزن إن لم  
يؤمنوا، قريباً من المؤمنين، متواضعاً لهم، محباً لهم ولو كانوا فقراء.



الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ قَوْلِكَ لَسْتَ لَهُمْ  
أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ  
عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾ الَّذِينَ  
يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ  
أَنَّكَ يَظُنُّكَ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ  
مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾

## سُورَةُ الْحَجِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَنَّىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ  
﴿١﴾ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ  
عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُوا ﴿٢﴾ خَلَقَ  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ  
الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿٤﴾ وَالْأَنْعَامَ  
خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ  
﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْجَوْنَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾

﴿٩١﴾ الَّذِينَ صَيَّرُوا الْقُرْآنَ أجزاء، فقالوا: هو سحر، أو كهانة، أو شعر.  
﴿٩٢﴾ قَوْلِكَ أَيُّهَا الرُّسُولُ لِنَسَائِلِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ جَمِيعِ الَّذِينَ صَيَّرُوهُ أَجْرَاءَ.  
﴿٩٣﴾ لِنَسَائِلِهِمْ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ مِنَ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي فِي الدُّنْيَا.  
﴿٩٤﴾ فَأَعْلَنَ أَيُّهَا الرُّسُولُ مَا أَمَرَكَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الدَّعْوَةِ إِلَيْهِ، وَلَا تَلْتَقِ إِلَى مَا يَقُولُهُ وَيُفْعَلُهُ الْمُشْرِكُونَ.  
﴿٩٥﴾ وَلَا تَخَفْ مِنْهُمْ، فَقَدْ كَفَيْنَاكَ كَيْدَ السَّاحِرِينَ مِنْ أُمَّةِ الْكُفْرِ مِنْ قَرِيشَ.  
﴿٩٦﴾ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ مَعَ اللَّهِ مَعْبُودًا غَيْرَهُ، فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ عَاقِبَةَ شُرَكَاهُمُ السَّيِّئَةِ.  
﴿٩٧﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ - أَيُّهَا الرُّسُولُ - يَظُنُّكَ صَدْرُكَ بِمَا يَصْدُرُ مِنْهُمْ مِنْ تَكْذِيبِهِمْ لَكَ وَسَخَرِيَّتِهِمْ مِنْكَ.  
﴿٩٨﴾ فَالْجَأُ إِلَى اللَّهِ بِتَنْزِيهِهِ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِهِ، وَالثَّنَاءُ عَلَيْهِ بِصِفَاتِ كَمَالِهِ، وَكُنْ مِنَ الْعَابِدِينَ لِلَّهِ، الْمُصْلِينَ لَهُ، فَفِي ذَلِكَ عِلَاجٌ لِيَضِيقَ صَدْرُكَ.  
﴿٩٩﴾ وَدَافِعٌ عَلَى عِبَادَةِ رَبِّكَ، وَاسْتِمْرَارٌ عَلَيْهَا مَا دُمْتَ حَيًّا حَتَّى يَأْتِيَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ.

## سُورَةُ الْحَجِّ

— مَكِّيَّة —

• مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ:

التذكير بالنعمة الدالة على المنعم ﷻ.

• التفسير:

﴿١﴾ اقترب ما قضى الله به من عذابكم أيها الكفار فلا تطلبوا تعجيله قبل أوانه، تنزه الله وتعالى عما يجعل له المشركون من الشركاء.

﴿٢﴾ ينزل الله الملائكة بالوحي من قصائده على من يشاء من رسله: أن حوِّسوا أيها الرسل الناس من الشرك بالله، فلا معبود بحق إلا أنا، فاتقوني أيها الناس بامتثال أوامري واجتباب نواهي.

﴿٣﴾ خلق الله السماوات وخلق الأرض على غير مثال سابق بالحق، فلم يخلقهما باطلاً، بل خلقهما ليُسْتَدلَّ بهما على عظمته، تنزهه عن إشراكهم به غيره.

﴿٤﴾ خلق الإنسان من نطفة مهينة، فلما خلق من بعد خلق، فإذا هو شديد الحدال بالباطل ليطمس به الحق، مبين في حداله به. والأنعام من الإبل والبقر والغنم خلقها لمصالحكم أيها الناس ومن هذه المصالح الدفء بأصوافها وأوبارها، ومصالح أخرى هي ألبانها وجلودها وظهورها، ومنها تأكلون.

﴿٥﴾ ولكم فيها زينة حين تدخلون في المساء، وحين تخرجونها للمرعى في الصباح.

• مِنْ قَوَائِدِ آيَاتِهِ:

• عناية الله ورعايته بصَوْنِ النَّبِيِّ ﷺ وحمايته من أذى المشركين. • التسبيح والتحميد والصلاة علاج الهموم والأحزان، وطريق الخروج من الأزمات والمآزق والكروب. • المسلم مطالب على سبيل الفرضية بالعبادة التي هي الصلاة على الدوام حتى يأتيه الموت، ما لم يغلب العُشْيَانُ أو فقد الذاكرة على عقله. • سَمَى اللَّهُ الْوَحْيَ رُوحًا، لِأَنَّهُ تَحْيَا بِهِ النُّفُوسُ. • مُلَكَّنَا اللَّهُ تَعَالَى الْأَنْعَامَ وَالِدَوَابَّ وَذَلَّلَهَا لَنَا، وَأَنَاحَ لَنَا تَسْجِيرَهَا وَالِانْتِفَاعَ بِهَا؛ رَحْمَةً مِنْهُ تَعَالَى بِنَا.

وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ  
 الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ٧ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ  
 وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ٨  
 وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ  
 أَجْمَعِينَ ٩ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ  
 مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ١٠ يُنْبِتُ لَكُمْ  
 بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ  
 الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ  
 ١١ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ  
 وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِي إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ  
 يَعْقِلُونَ ١٢ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا  
 أَلْوَنُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَكَّرُونَ ١٣  
 وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لَكُمْ شَآكِبًا مُخْتَلِفًا  
 وَّتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ  
 حَبْلًا مَلَبَسُونََهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَازِرَ  
 فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ١٤

٢٦٨

٧) وتحمل هذه الأنعام التي خلقناها لكم أمتعتكم الثقيلة في أسفاركم إلى بلد لم تكونوا واصلية إلا بمشقة عظيمة على أنفسكم، إن ربكم - أيها الناس - لرؤوف، رحيم بكم حيث سخر لكم هذه الأنعام.

٨) وخلق الله لكم الحيل والبغال والحمير لكي تركبوها. وتحملوا عليها أمتعتكم. وتكون خملاً لكم تتجملون به في الناس. ويخلق ما لا تعلمون مما أراد خلقه.

٩) وعلى الله بيان لطريق المستقيم الموصل إلى مرضاته وهو الإسلام، ومن الطرق ما هو من طرق الشيطان المائلة عن الحق، وكل طريق غير طريق الإسلام فهو مائل، ولو شاء الله أن يوفقكم جميعاً للإيمان لوفقكم له جميعاً.

١٠) هو سبحانه الذي أنزل لكم من السحاب ماء، لكم من ذلك الماء شراب تشربونه وتشربه أنعامكم، ومنه ما يحصل به نبات الشجر الذي فيه ترعون مواشكم.

١١) ينبت الله لكم بذلك الماء الرروع التي تأكلون منها، وينبت لكم به الزيتون والنخل والأعنان، وينبت لكم من جميع الثمرات، إن في ذلك الماء وما ينشأ عنه لدلالة على قدره الله لقوم يتفكرون في خلقه، فيستدلون به على عظمته سبحانه.

١٢) ودلل الله لكم الليل لتسكنوا فيه وتستريحوا، والنهار لتكسبوا فيه ما تعيشون به، وسخر لكم الشمس، وجعلها ضياء، والقمر وجعله نوراً، والتجوم مذللات لكم بأمره القدري، بها تهتدون في ظلمات البر والبحر، وتعلمون الأوقات وغير ذلك، إن في

تسخير ذلك كله لدلالات واضحة على قدرة الله لقوم يعملون عقولهم، فهم الذين يدركون الحكمة منها.

١٣) وسخر لكم ما خلق سبحانه في الأرض مما احتلقت ألوانه من المعادن والحيوان والنبات والزروع، إن في ذلك المذكور من الخلق والتسخير لدلالة جلية على قدرة الله سبحانه لقوم يعتبرون به، ويدركون أن الله قادر ومنعم.

١٤) وهو سبحانه الذي دلل لكم البحر، فمكنكم من ركوبه واستخراج ما فيه، لتأكلوا مما تصطادون من سمكه لحمًا غصًا لينًا، وتستخرجوا منه ربة تلبسونها وتلبسوها ساؤلكم مثل اللؤلؤ، وترى السمن تشق غياص البحر، وتركبون هذه السفن طلباً لفصل الله الحاصل من ربح التجارة، ورجاء أن تشكروا الله على ما أنعم به عليكم، وتزدوده بالعبادة.

● من فوائد الآيات:

- من عظمة الله أنه يخلق ما لا يعلمه جميع البشر في كل حين يريد سبحانه.
- خلق الله النجوم لزيينة السماء، والهداية في ظلمات البر والبحر، ومعرفة الأوقات وحساب الأرمئة.
- الثناء والشكر على الله الذي أنعم علينا بما يصلح حياتنا ويعيننا على أفضل معيشة.
- الله سبحانه أنعم علينا بتسخير البحر لتناول اللحوم (الأسماك)، واستخراج اللؤلؤ والمرجان، وللكوب، والتجارة، وغير ذلك من المصالح والمنافع.

وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا  
لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَّمَتْ وَيَالْتَجَمِ هُمْ يَهْتَدُونَ  
﴿١٦﴾ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ  
تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾  
وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ  
مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ  
غَيْرَ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَهُكُمْ إِلَهٌ  
وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ  
مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَاجِرَمَ أَنْ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا  
يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ  
مَّاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوا  
أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ  
بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلِيسَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ  
فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ  
مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾

٢٦٩

﴿١٥﴾ وألقى في الأرض رءوساً لا تُمِيدُ بها حتى لا تضطرب لكم وتميل، وأخرى فيها أنهاراً لتشربوا منها، وتسقوا أنعامكم وروعكم، وشق فيها طرقاً تسلكونها، فتصلون إلى مقاصدكم دون أن تصلوا.

﴿١٦﴾ وجعل لكم في الأرض معالم ظاهرة تهتدون بها في السير نهائياً، وجعل لكم النجوم في السماء رجاء أن تهتدوا بها ليلاً.

﴿١٧﴾ أفمن يخلق هذه الأشياء وغيرها كمن لا يخلق شيئاً؟ أفلا تتذكرون عظمة الله الذي يخلق كل شيء، وتصدوه بالعبادة، ولا تشركوا به ما لا يخلق شيئاً؟

﴿١٨﴾ وإن تحاولوا أنها الناس غداً نعم الله الكثيرة التي أنعم بها عليكم، وخضرها لا تستطيعوا ذلك لكثرتها وتنوعها، إن الله لغفور حيث لم يؤاخذكم بالفلة عن شكرها، رحيم حيث لم يقطعها عنكم بسبب المعاصي والتقصير في شكره.

﴿١٩﴾ والله يعلم ما تحفون أنها العباد من أعمالكم، ويعلم ما تظهرون منها، لا يخفى عليه شيء منها، وسيجازيكم عليها.

﴿٢٠﴾ والذين يعبدونهم المشركون من دون الله لا يخلقون شيئاً ولو كان قليلاً، ومن عبدوهم من دون الله هم الذين يصنعونهم، فكيف يعبدون من دون الله ما يصنونه بأيديهم من الأصنام؟

﴿٢١﴾ ومع كون عابديهم صنعهم بأيديهم فهم جمادات لا حياة فيها ولا علم، فهم لا يعلمون متى يبعثون مع عابديهم يوم القيامة، ليرموا معهم في نار جهنم.

﴿٢٢﴾ معبودكم بحق هو معبود واحد لا شريك له وهو الله، والذين لا يؤمنون بالبعث للجزء قلوبهم حادثة وحداثة الله لعدم خوفها، فهي لا تؤمن بحساب ولا عقاب، وهم متكبرون لا يقولون الحق، ولا يخضعون له.

﴿٢٣﴾ حساً إن الله يعلم ما يسره هؤلاء من الأعمال، ويعلم ما يظهرونه منها، لا يخفى عليه شيء، وسيجازيهم عليها، إنه سبحانه لا يحب المستكبرين عن عبادته والخضوع له، بل يمتقهم أشد المقت.

﴿٢٤﴾ وإذا قيل لهؤلاء الذين ينكرون وحدانية الخالق، ويكذبون بالبعث، ماذا أنزل الله على محمد ﷺ؟ قالوا لم ينزل عليه شيئاً، وإنما جاء من نفسه بقصص الأولين وأكاذيبهم.

﴿٢٥﴾ ليكون ما لهم أن يحملوا أثامهم دون نقص، ويحملوا من إثم الذين أصلوهم عن الإسلام جهلاً وتقليداً، فما أشد قبح ما يحملونه من أثامهم وأثام أتباعهم. ﴿٢٦﴾ لقد أتى الكفار من قبل هؤلاء بالمكاييد لرسولهم، فهدم الله أنبيئهم من أسسها، فسقطت عليهم سقوفهم من فوقهم، وجاءهم العذاب من حيث لا يتوقعون، فقد كانوا يتوقعون أن أنبيئهم تحميهم، فأفلكوا بها.

• من فوق الأيات،

• في الآيات من أصناف نعم الله على العباد شيء عظيم. مجمل ومفصل، يدعو الله به العباد إلى القيام بشكره وذكره ودعائه  
• طبيعة الإنسان الظلم والتحرُّز على المعاصي والتقصير في حقوق ربه، كخار لنعم الله، لا يشكرها ولا يعترف بها إلا من هداه الله.  
• مساواة المفضل للضال في جريمة الضلال؛ إذ لولا إضلاله إياه لاهتدى بنظره أو بسؤال الناصحين. • أخذ الله للمجرمين فجأة أشد نكايته؛ لما يصحبه من الرعب الشديد، بخلاف الشيء الوارد تدريجياً.



﴿٢٧﴾ ثم يوم القيامة يهينهم الله بالعذاب، ويذلهم به، ويقول لهم: أين شركائي الذين كنتم تشركونهم معي في العبادة، وكنتم تعادون أنبيائي والمؤمنين بسببهم؟ قال العلماء الربانيون: إن الهوان والعذاب يوم القيامة واقع على الكافرين. ﴿٢٨﴾ الذين يقبض ملك الموت وأعوانه من الملائكة أرواحهم وهم متلبسون بظلم أنفسهم بالكفر بالله، فانقادوا مستسلمين لما نزل بهم من الموت، وأنكروا ما كانوا عليه من الكفر والمعاصي، ظناً منهم أن الإنكار ينفعهم، فيقال لهم كذبتم، قد كنتم كافرين تعملون المعاصي، إن الله عليهم بما كنتم تعملون في الدنيا، لا يخفى عليه شيء منه، وسيحاربكم عليه.

﴿٢٩﴾ ويقال لهم: ادخلوا حسب أعمالكم أبواب جهنم ما كنتم فيها أنذ، فإساءة مقراً للمتكبرين عن الإيمان بالله وعبادته وحده.

﴿٣٠﴾ وقيل للذين اتقوا ربهم بامثال أوامره واجتنب نواهيه: ماذا أنزل ربكم على نبيكم محمد ﷺ؟ أجابوا: أنزل الله عليه خيراً عظيماً، للذين أحسنوا عبادة الله وأحسنوا التعامل مع خلقه في هذه الحياة الدنيا مثوبة حسنة، منها النصر وسعة الرزق، وما أعده الله لهم من الثواب في الآخرة خير مما عجله لهم في الدنيا، ولنعم دار المتقين لربهم بامثال أوامره واجتنب نواهيه دار الآخرة.

﴿٣١﴾ جنات إقامة واستقرار يدخلونها، تجري الأنهار من تحت قصورها وأشجارها، لهم في هذه الجنات ما تشتهى أنفسهم من المأكول والمشرب وغيرهما، يمثل هذا الحراء الذي يجزي به المتقين من أمة محمد ﷺ يجري المتقين من الأمم السابقة

ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ؟ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ تَوَقَّعَهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَيْسَ مَمْنُورٍ الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرٌ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ الَّذِينَ تَوَقَّعَهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ يَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾

- ﴿٢٧﴾ لذين يقبض ملك الموت وأعوانه من الملائكة أرواحهم في حال طهارة قلوبهم من الكفر، تحاطبهم الملائكة بقولهم: سلام عليكم، سلمتم من كل آفة، ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون في الدنيا من الاعتقاد الصحيح والعمل الصالح.
- ﴿٢٨﴾ هل ينتظر هؤلاء المشركون المكذبون إلا أن يأتيهم ملك الموت وأعوانه من الملائكة ليقبض أرواحهم وضرب وجوههم وادبارهم، أو يأتي أمر الله باستئصالهم بالعذاب في الدنيا؟ مثل هذا الفعل الذي يصعله المشركون في مكة فعلة المشركون من قبلهم فأهلكهم الله، وما ظلمهم حين أهلكهم، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بإيرادها موارد الهلاك بالكفر بالله.
- ﴿٢٩﴾ فنزلت عليهم عقوبات أعمالهم التي كانوا يعملونها، وأحاط بهم العذاب الذي كانوا يسخرون منه إذا ذكروا به.
- ﴿٣٠﴾ من قواي لايت:
- فضيلة أهل العلم، وأهل الناطقون بالحق في الدنيا ويوم يقوم الأشهاد، وأن لقولهم اعتباراً عند الله وعند خلقه.
- من أدب الملائكة مع الله أنهم أسندوا العلم إلى الله دون أن يقولوا: إنا نعلم ما كنتم تعملون، وإشعاراً بأنهم ما علموا ذلك إلا بتعليم من الله تعالى.
- من كرم الله وجوده أنه يعطى أهل الجنة كل ما تمنوه عليه، حتى إنه يُدكرهم أشياء من النعيم لم تخطر على قلوبهم.
- العمل هو السبب والأصل في دخول الجنة والنجاة من النار، وذلك يحصل برحمة الله ومُنَّة على المؤمنين لا بحولهم وقوتهم.

﴿٢٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا مَعَ اللَّهِ غَيْرُهُ فِي عِبَادَتِهِمْ: لَوْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ نَعْبُدَهُ وَحْدَهُ، وَلَا نَشْرِكَ بِهِ لَمَا عَيْدَنَا أَحَدًا غَيْرَهُ، لَا نَحْنُ وَلَا آيَاؤُنَا مِنْ قَبْلُنَا. وَلَوْ شَاءَ لَا نَحْرُمُ شَيْئًا مَا حَرَّمَاهُ. بمثل هذه الحجة الباطلة قال الكفار السابقون، فما على الرسل إلا التبليغ الواضح لما أمروا بتبليغه. وقد بلغوا. ولا حجة للكفار في الاعتذار بالقدور بعد أن جعل الله لهم مشيئة واختيارًا. وأرسل إليهم رسله.

﴿٢٧﴾ ولقد بعثنا في كل أمة سابقة رسولًا يأمر أمته بأن يعبدوا الله وحده، ويتركوا عبادة غيره من الأصنام والشياطين وغيرهم، فكان منهم من وفقه الله فأمن به. واتبع ما جاء به رسوله، وكان منهم من كفر بالله وعصى رسوله فلم يوفقه، فوجبت عليه الضلالة، فسيروا في الأرض لتروا بأعينكم كيف كان مصير المكذابين بعدما حل بهم من عذاب وهلاك.

﴿٢٨﴾ إن تجتهد أيها الرسول بما تستطيع من دعوتك لهؤلاء، وتحرص على هدايتهم، وتأخذ بأسباب ذلك؛ فإن الله لا يوفق للهداية من يصله، وليس لهم من دون الله من أحد ينصرهم يدفع العذاب عنهم.

﴿٢٩﴾ وخلف هؤلاء المكذبون بالبعث المبائنين في حلفهم جاهدين فيه مؤكدين له: لا يبعث الله من يموت؛ دون أن تكون لهم حجة على ذلك، بلى، سيبعث الله كل من يموت، وعدًا عليه حقًا، ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن الله يبعث الموتى، فينكرون البعث.

﴿٣٠﴾ يبعثهم الله جميعًا يوم القيامة ليوضح لهم حقيقة ما كانوا يختلفون

وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَيْدَنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فُتَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿٢٦﴾ إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٢٧﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعَدَّا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ لِيَبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ وَكُنْ فَيَكُونُ ﴿٣٠﴾ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَنْبُوْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَكْبَرَ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣١﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٢﴾

فيه من التوحيد والبعث والنبوّة. وليعلم الكفار أنهم كانوا كاديين في ادعائهم شركاء مع الله وفي إنكارهم للبعث.

﴿٣٣﴾ إنا إذا أردنا إحياء الموتى وبعثهم فلا مانع يمنعنا من ذلك، إنما نقول لشيء إذا أردناه. ﴿كُنْ﴾، فيكون لا محالة.

﴿٣٤﴾ والذين تركوا ديارهم وأهليهم وأموالهم مهاجرين من بلد الكفر إلى بلد الإسلام ابتغاء مرضاة الله من بعد ما عذبهم الكفار وضيقوا عليهم لئلا يتركهم في الدنيا دارًا يكونون فيها أعزّة، ولثواب الأجرة أعظم لأن منه الجنة. لو كان المتخلفون عن الهجرة يعلمون ثواب المهاجرين لما تخلّفوا عنها.

﴿٣٥﴾ هؤلاء المهاجرون هم سبيل الله هم الذين صبروا على أدى أقوامهم ومفارقة أهليهم وأوطانهم، وصبروا على طاعة الله، وهم على ربهم وحده يعتمدون في كل أمورهم، فأعطاهم الله هذا الجزاء العظيم.

• مِنْ قَوْلِهِ: لَا يَبْعَثُ

• العاقل من يعتبر ويتعظ بما حل بالصالحين المكذابين كيف آل أمرهم إلى الدمار والخراب والعذاب والهلاك.

• الحكمة من البعث والمعاد إظهار الله الحق فيما يختلف فيه الناس من أمر البعث وكل شيء.

• فضيلة الصبر والثّوكل: أما الصبر - فلما فيه من قهر النفس. وأما الثّوكل: فلأن فيه الثقة بالله تعالى والتعلق به.

• جزاء المهاجرين الذين تركوا ديارهم وأموالهم وصبروا على الأدنى وتوكلوا على ربهم. هو الموطن الأفضل، والمنزلة الحسنة، والعيشة الرّضية، والرّزق الطّيب الوفير، والنّصر على الأعداء، والسّيادة على البلاد والعباد.

﴿١٣﴾ وما أرسلنا من قبلك - أيها الرسول - إلا رجالاً من البشر نوحى إليهم، فلم ترسل رسلاً من الملائكة، وهذه سنتنا المبررة، وإن كنتم تكفرون ذلك فاسألوا أهل الكتب السابقة يخبروكم أن الرسل كانوا بشرًا، ولم يكونوا ملائكة، إن كنتم لا تعلمون أنهم بشر.

﴿١٤﴾ أرسلنا هؤلاء الرسل من البشر بالدلائل الواضحة، وبالكتب المنيرة، وأنزلنا إليك أيها الرسول القرآن لتوضح للناس ما يحتاج منه إلى توضيح، ولعلهم يفعلون أفكارهم، فيعطوا بما تضمنه.

﴿١٥﴾ أقامن الذين ذكروا المكاييد ليصدوا عن سبيل الله أن يخسف الله بهم الأرض كما خسفها بقارون، أو يجيئهم العذاب من حيث لا ينتظرون مجيئه.

﴿١٦﴾ أو يصيبهم العذاب في حال تلقيهم في أسفارهم وسعيهم لمكاسبهم، فليسوا بقائمين ولا ممتنعين.

﴿١٧﴾ أو آمنوا أن ينالهم عذاب الله حال خوفهم منه، فإله قادر على تعذيبهم في كل حال، إن ربكم لرؤوف رحيم لا يعاجل بالمعقوبة لعل عباده يتوبون إليه.

﴿١٨﴾ أولم ينظر هؤلاء المكذبون نظر تأمل إلى مخلوقاته، تميل ظلالها يمينًا وشمالًا تبعًا لحركة الشمس وسيرها نهارًا وللمر ليلاً، خاضعة لربها ساجدة له سجدًا حقيقيًا، وهي ذليلة.

﴿١٩﴾ ولله وحده يسجد جميع ما في السموات وجميع ما في الأرض من دابة، وله وحده يسجد الملائكة، وهم

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَسَئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٥﴾ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِبِهِمْ فَهُمْ لَا يُدْرِكُونَ ﴿١٧﴾ أَوْ يَكُونُوا عَلَى كُفْرِهِمْ فِي رَبِّكُمْ لَرَأَوْفٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾ أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَتَحُونَ ظِلَّهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴿١٩﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٠﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٢١﴾ \* وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ إِلَّا هِيَ تَشْفَعُ لِلَّهِ وَأَنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ وَمَا يَكُ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْعَرُونَ ﴿٢٤﴾ ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٢٥﴾

٢٧٢

لا يستكبرون عن عبادة الله وطاقته.

﴿٢٦﴾ وهم - مع ما هم عليه من العبادة والطاعة الدائمة - يخافون ربهم الذي هو فوقهم بذاته وقهره وسلطانه، ويمعلون ما يأمرهم به ربهم من الطاعة.

﴿٢٧﴾ وقال الله سبحانه لجميع عباده: لا تتخذوا معبودين اثنين، إنما هو معبود بحق واحد لا ثاني له ولا شريك، فإياي فحافوني، ولا تخافوا غيري. ﴿٢٨﴾ وله وحده ما في السموات وما في الأرض خلقًا وملكًا وتديرًا، وله وحده الطاعة والخضوع والإخلاص تائبًا، أغير الله تخافون؟ لا، بل خافوه وحده. ﴿٢٩﴾ وما بكم أيها الناس من نعمة دينية أو دنيوية فمن الله سبحانه لا من غيره، ثم إذا أصابكم بلاء أو مرض أو فقر فإليه وحده تنصرون بالدعاء: ليكشف عنكم ما أصابكم، فمن يمنح النعم ويكشف النقم هو الذي يجب أن يُشْجَدَ وحده. ﴿٣٠﴾ ثم إذا استجاب دعوتكم فصراف ما بكم من ضر إذا طأمة منكم بربهم يشركون، حيث يعبدون معه غيره، فأي لؤم هذا؟! من فوائده الآيات،

- على المحرم أن يستحي من ربه أن تكون نعم الله عليه نازلة في جميع اللحظات ومعاصيه صاعدة إلى ربه في كل الأوقات.
- ينبغى لأهل الكفر والتكذيب وأنواع المعاصي الخوف من الله تعالى أن يأخذهم بالعذاب على غرّه وهم لا يشعرون.
- جميع النعم من الله تعالى، سواء المادية كالرزق والسلامة والصحة، أو المعنوية كالآمان والجاه والمنصب ونحوها
- لا يجد الإنسان ملجأ لكشف الضر عنه في وقت الشدائد إلا الله تعالى فيضج بالدعاء إليه؛ لعل أنه لا يقدر أحد على إزالة الكرب سواء.



شَرَكُوهُمْ بِاللَّهِ جَعَلَهُمْ يَكْفُرُونَ  
نَعْمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، ومنها كشف الضر؛  
ولهذا قيل لهم: تمتعوا بما أنتم فيه  
من نعيم حتى يأتيكم عذاب الله الأجل  
والعاجل.

وَجَعَلَ الْمُشْرِكُونَ لِأَصْنَامِهِمُ  
الَّتِي لَا تَعْلَمُ شَيْئًا - لَأَنَّهُمْ حَمَادَاتُ،  
وَلَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ قِسْمًا مِنْ أَمْوَالِهِمْ  
الَّتِي رَزَقْنَاهُمْ، يَتَقَرَّبُونَ بِهَ إِلَيْهَا، وَاللَّهُ  
لَيَسْأَلُنَّ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ يَوْمَ  
الْقِيَامَةِ عَمَّا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ مِنْ أَنَّ  
هَذِهِ الْأَصْنَامُ إِلَهَةٌ، وَأَنَّ لَهَا قِسْمًا مِنْ  
أَمْوَالِكُمْ.

وَيَنْسِبُ الْمُشْرِكُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ،  
وَيَعْتَقِدُونَ أَنَّهَا الْمَلَائِكَةُ، فَيَنْسَبُونَ  
إِلَيْهِ الْبَنُوَّةَ، وَيَخْتَارُونَ لَهُ مَا لَا يَحِبُّونَهُ  
لأنفسهم، تَزْرَعُ مَسْبَحَانَهُ وَتَقْدَسُ عَمَّا  
يَجْعَلُونَهُ لَهُ مِنْهَا، وَيَجْعَلُونَ لَهُمْ مَا تَعْمَلُ  
إِلَيْهِ أَنْفُسُهُمْ مِنَ الْأَوْلَادِ الذَّكَوَرِ، فَأَيُّ  
جَرَمٍ أَكْثَرُ مِنْ هَذَا؟

وَأَدَا أَخْبَرَ أَحَدَ هَؤُلَاءِ  
الْمُشْرِكِينَ بِمِلَادِ أَنْتَى اسْوَدَّ وَجْهَهُ مِنْ  
شِدَّةِ كَرَامِيَّةٍ مَا أَخْبَرَ بِهِ، وَامْتَلَأَ قَلْبُهُ  
هَمًّا وَحُرْنًا، ثُمَّ هُوَ يَنْسِبُ إِلَى اللَّهِ مَا لَا  
يَرْضَاهُ لِنَفْسِهِ!

يَخْتَلِمِي وَيَتَغَيَّبُ عَنْ قَوْمِهِ مِنْ  
سُوءِ مَا أَخْبَرَ بِهِ مِنْ مِلَادِ أَنْتَى،  
تَحَدَّثَهُ نَفْسُهُ: أَيْمَسِكَ هَذِهِ الْبِنْتُ  
عَلَى دَلِّ الْإِكْسَارِ أَمْ يَنْدُهَا، فَيَحْيِيهَا  
فِي التَّرَابِ مَا أَقْبَحُ مَا يَحْكُمُ بِهِ  
الْمُشْرِكُونَ، حَيْثُ حَكَمُوا لِرَبِّهِمْ بِمَا  
يَكْرَهُونَ لِأَنْفُسِهِمْ.

لِلْكَافِرِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ  
صَمَّةُ السُّوءِ مِنَ الْحَاجَةِ لِلْوَلَدِ وَالْجَهْلِ  
وَالْكُفْرِ، وَلِلَّهِ الصِّفَاتُ الْحَمِيدَةُ الْعُلْيَا  
مِنَ الْجَلَالِ وَالْكَمَالِ وَالْفَنَى وَالْعَلَمِ،

وَهُوَ سَيِّعَانُهُ الْعَزِيزُ فِي مَلَكِهِ الَّذِي لَا يَفَالِيهِ أَحَدٌ، الْحَكِيمُ فِي خَلْقِهِ وَتَدْبِيرِهِ وَتَشْرِيعِهِ.

وَلَوْ يَعْاقِبُ اللَّهُ سَيِّعَانَهُ النَّاسَ بِسَبَبِ ظُلْمِهِمْ وَكَفَرِهِمْ بِهِ مَا تَرَكَ عَلَى الْأَرْضِ مِنْ إِنْسَانٍ وَلَا حَيْوَانٍ يَدْبُ عَلَى وَجْهَيْهَا، وَلَكِنَّهُ  
سَيِّعَانَهُ يُؤْخِرُهُمْ إِلَى أَمَدٍ مُعَدَّدٍ فِي عِلْمِهِ، فَإِذَا جَاءَ ذَلِكَ الْأَمَدُ الْمَعْدُدُ فِي عِلْمِهِ لَا يَتَأَخَّرُونَ عَنْهُ وَلَا يَتَقَدَّمُونَ، وَلَوْ وَقْتُا يَسِيرًا.

وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ سَيِّعَانَهُ مَا يَكْرَهُونَ سَبَبَهُ إِلَيْهِمْ مِنَ الْإِبَاطِ. وَتَنْطِقُ أَنْفُسُهُمْ بِالْكَذِبِ أَنَّ لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ الْمَنْزِلَةَ الْحَسَنَى إِنْ صَحَّ  
أَنَّهُمْ سَيِّعَتُونَ كَمَا يَقُولُونَ، حَقًّا إِنَّ لَهُمُ النَّارَ، وَابَهُمْ مَتْرُكُونَ فِيهَا، لَا يَجْرَحُونَ مِنْهَا أَبَدًا.

ثَالِثُهُ لَقَدْ بَعَثْنَا رَسُولًا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ أَيُّهَا الرُّسُلُ فَحَسَّنْ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ الْقَبِيحَةَ مِنَ الشَّرِكِ وَالْكَفْرِ وَالْمَعَاصِي،  
فَهُوَ بِصَرِّهِمُ الْمَزْعُومِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَلَيْسَتْ تَنْصُرُوهُ، وَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابٌ مُوجِبٌ.

وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ أَيُّهَا الرُّسُلُ - الْقُرْآنَ إِلَّا لَتَبِينَ لِحَمِيعِ النَّاسِ مَا اخْتَلَمُوا فِيهِ مِنَ التَّوْحِيدِ وَالْبَعْثِ وَأَحْكَامِ الشَّرْعِ، وَأَنْ يَكُونَ  
الْقُرْآنُ هِدَايَةً وَرَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ. وَبِمَا جَاءَ بِهِ الْقُرْآنُ، فَهَمُ الدِّينِ يَنْتَقِمُونَ بِالْحَقِّ.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- مِنْ جِهَالَاتِ الْمُشْرِكِينَ: نِسْبَةُ الْبَنَاتِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى. وَنِسْبَةُ الْبَنِينَ لِأَنْفُسِهِمْ، وَأَنْفُسُهُمْ مِنَ الْبَنَاتِ، وَتَغْيِيرُ وَجْهِهِمْ حُرْنًا وَغَمًّا  
بِالْبَنَاتِ، وَاسْتِخْفَافُ الْوَاحِدِ مِنْهُمْ وَتَغْيِيهِ عَنْ مُوَاجَهَةِ الْقَوْمِ مِنْ شِدَّةِ الْحُرْنِ وَسُوءِ الْخُزْيِ وَالْعَارِ وَالْحَيَاءِ الَّذِي يُلْحَقُهُ سَبَبُ الْبَنَاتِ
- مِنْ سُنَنِ اللَّهِ إِمْهَالُ الْكُمَارِ وَعَدَمُ مَعَالِظَتِهِمُ بِالْقَوْبَةِ لِیَتَرَكَ الْفُرْصَةَ لَهُمْ لِلْإِيمَانِ وَالتَّوْبَةِ. • مَهْمَةُ النَّبِيِّ ﷺ الْكِبَرَى هِيَ تَبْيَانُ  
مَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ، وَبَيَانُ مَا اخْتَلَفَ فِيهِ أَهْلُ الْمَلِكِ وَالْأَهْوَاءِ مِنَ الدِّينِ وَالْأَحْكَامِ، فَتَقْوَمُ الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ بَيَانَهُ.

وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنْ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ لِيُفَكِّرَ الَّذِينَ فِي السَّمَاءِ ﴿٦٦﴾ وَمِمَّا فِي بُطُونِهِمْ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنٌ خَالٍ سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴿٦٧﴾ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٩﴾ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلًّا لِيُخْرِجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٧٠﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لَكُمْ لَا يَعْلَمُ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧١﴾ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِعِزَّةِ اللَّهِ يَتَّخِذُونَ ﴿٧٢﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٣﴾

﴿٦٥﴾ واللّٰهُ أنزل من جهة السماء مطرًا، فأحيا به الأرض بإخراج النبات منها بعد أن كانت قاحلة جافة، إن في إنزال المطر من جهة السماء، وإخراج نبات الأرض به دلالة واضحة على قدرة الله لقوم يسمعون كلام الله ويتدبرونه.

﴿٦٦﴾ وإن لكم - أيها الناس - في الإبل والبقرة والغنم لعظة تتعظون بها، حيث نسقيكم من ضرعها لبنًا خارجًا من بين ما يحتويه البطن من فضلات وما في الجسم من دم، ومع هذا يخرج لبنًا خالصًا نقيًا لذيذاً طيب للشاربين.

﴿٦٧﴾ ولكم عظة فيما نرزقكم من ثمرات النخل ومن ثمرات الأعناب، فتتخذون منه سكرًا يذهب بالعقل، وهو غير حسن، وتتخذون منه رزقًا حسنًا تتنعون به مثل التمر والزبيب والنخل والدبس، إن في ذلك المذكور لدلالة على قدرة الله وإنعامه على عباده لقوم يعقلون، فهم الذين يعتبرون.

﴿٦٨﴾ وألهم ربك - أيها الرسول - النحل، وأرشدنا أن: اتخذي لك بيوتًا في الجبال، واتخذي بيوتًا في الشجر، وفيما يبينه الناس ويستفوه

﴿٦٩﴾ ثم كلي من كل ما تشتهيته من الثمرات، واسلكي الطرق التي أهلكك ربك سلوكها مذلة، يخرج من بطون تلك النحل عسل مختلف الألوان، فيه الأبيض والأصفر وغيرهما، فيه شفاء للناس، يعالجون به الأمراض، إن في إلهام النحل ذلك وفي العسل الذي يخرج من بطونها لدلالة على قدرة الله وتديره لشؤون خلقه لقوم يتفكرون،

فهم الذين يعتبرون. ﴿٧٠﴾ واللّٰهُ خلقكم على غير مثال سابق، ثم يميتكم عند انقضاء آجالكم، ومنكم من يمتد عمره إلى أسوأ مراحل العمر وهو الهرم، فلا يعلم مما كان يعلمه شيئًا، إن الله عليم لا يخفى عليه شيء من أعمال عباده، قدير لا يعجزه شيء. ﴿٧١﴾ واللّٰهُ فضل بعضكم على بعض فيما منحكم من الرزق، فجعل منكم الغني والفقير، والسيد والمسود، فليس الذين فضلهم الله في الرزق يرادى ما أعطاهم الله على عبيدهم حتى يكونوا شركاء بالسوية معهم في الملك، فكيف يرضون لله شركاء من عباده، ولا يرضون لأنفسهم أن يكون لهم شركاء من عبادهم يستون معهم؟ فأى ظلم هذا، وأى جحود لنعم الله أعظم من هذا؟

﴿٧٢﴾ واللّٰهُ جعل لكم - أيها الناس - من جنسكم أزواجًا تأنسوا بهن، وجعل لكم من أزواجكم أولادًا، وأولاد أولاد، ورزقكم من المأكولات - كاللحم والحبوب والفواكه - طيبها، أفيالباطل من الأصنام والأوثان يؤمنون، وبنعم الله الكثيرة التي لا يستطيعون حصرها يكفرون ولا يشكرون الله بأن يؤمنوا به وحده؟

• من فوائد الآيات:

• جعل تعالى لعباده من ثمرات النخيل والأعناب منافع للعباد، ومصالح من أنواع الرزق الحسن الذي يأكله العباد طريًا ونضيجًا وحاضرًا ومُدَحَّرًا وطعامًا وشرابًا. • في خلق النحلة الصغيرة وما يخرج من بطونها من عسل لديد مختلف الألوان بحسب اختلاف أرضها ومراعيها، دليل على كمال عناية الله تعالى، وتمام لطفه بعباده، وأنه الذي لا ينبغي أن يوحد غيره ويُدعى سواه. • من منن الله العظيمة على عباده أن جعل لهم أزواجًا ليسكنوا إليها، وجعل لهم من أزواجهم أولادًا تقر بهم أعينهم، ويخدمونهم ويقضون حوائجهم، ويتفهمون بهم من وجوه كثيرة.

وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضُرُّهُ أَمْثَالُ  
إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ \* ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا  
مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِثْرًا حَسَنًا  
فَهُوَ يَنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ  
بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ  
أَحَدُهُمَا أَتْبَعْنَاهُ سَبْعِينَ أَلْفًا مِنْ غُلَامٍ غَنِيًّا وَهُوَ  
يُؤْتِيهِمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَسْتَوِي عَلَيْهِمْ رِزْقُهُمْ وَإِلَى  
يَوْمِ يَنْفِقُ مِنْهُ يَنْفِقُ أَكْثَرًا مِنْ ذَلِكَ الْكَمَالِ ﴿٧٦﴾ وَضَرَبَ  
اللَّهُ مَثَلًا لِمَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا يَتَّخِذُ  
الْوَلِيُّ لِلَّهِ شَيْئًا وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا  
يَنْفِقُونَ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا لَا يَنْفِقُونَ لَهُ شَيْئًا  
وَالَّذِينَ آمَنُوا يَتَّخِذُونَ لِلَّهِ فِئَةً مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ  
يُسِرُّونَ بِهَا لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ  
الْآخِرِ يَصْعَدُ فِي أَعْيُنِهِمْ إِنَّهُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٧﴾

ويعبد هؤلاء المشركون من دون الله أصنامًا، لا يملكون أن يرزقوهم أي رزق من السماوات ولا من الأرض، ولا يتأتى منهم أن يملكوا ذلك؛ لكونهم جمادات لا حياة لها ولا علم.

﴿٧٤﴾ فلا تجعلوا أيها الناس - لله أشباهًا من هذه الأصنام التي لا تنفع ولا تضر، فليس لله شبهة حتى تشركوه معه في العبادة، إن الله يعلم ما له من صفات الجلال والكمال، وأنتم لا تعلمون ذلك، فتقعون في الشرك به، وادعاء مماثلته لأصنامكم.

﴿٧٥﴾ ضرب الله سبحانه مثالًا للرد على المشركين: عبدًا مملوكًا عاجزًا عن التصرف، ليس له ما ينفعه، وحرًا أعطيناه من لدنا ما لا حلالًا، يتصرف فيه بما يشاء، فهو يبذل منه في الخفاء والجهر ما يشاء، فلا يستوي هذان الرجلان، فكيف تستوون بين الله المالك المنصرف في ملكه بما يشاء، وبين أصنامكم العاجزة؟ إنا شاء الله المستحق للثناء، بل أكثر المشركين لا يعلمون انفراد الله بالآلوهية واستحقاق أن يُعبد وحده.

﴿٧٦﴾ ضرب الله سبحانه مثالًا آخر للرد عليهم هو مثل رجلين أحدهما أبكم لا يسمع ولا ينطق ولا يفهم؛ لصممه وبكمه، عاجز عن نفع نفسه وعن نفع غيره، وهو حمل ثيل على من يعوله، ويتولى أمره، أينما يبعثه لجهة لا يأت بحير، ولا يظمر بمطلوب، هل يستوي من هذه حاله مع من هو سليم السمع والنطق، نفعه مُتَقَدِّمٌ، فهو يأمر الناس بالعدل، وهو مستقيم في نفسه، فهو على طريق واضح لا يسر فيه ولا عوج؟ فكيف تستوون - أيها

المشركون - بين الله المتصف بصفات الجلال والكمال وبين أصنامكم التي لا تسمع ولا تنطق، ولا تجلب نفعًا، ولا تكشف ضرًا؟ والله وحده علم ما غاب في السماوات، وعلم ما غاب في الأرض، فهو المختص بعلم ذلك دون أحد من خلقه، وما شأن القيامة التي هي من العيوب المختصة به في سرعة مجيئها إذا أَرَادَ إلا مثل طباق حفص عين وهجعه، بل هو أقرب من ذلك، إن الله على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء، إذا أراد أمرًا قال له: ﴿كُنْ﴾، فيكون.

﴿٧٧﴾ والله أخرجكم أيها الناس من بطون أمهاتكم بعد انقضاء وقت الحمل أطفالا لا تدركون شيئًا، وجعل لكم السمع لتسمعوا به، والأبصار لتبصروا بها، والقلوب لتعقلوا بها؛ رجاء أن تشكروا على ما أنعم به عليكم منها.

﴿٧٨﴾ ألم ينظر المشركون إلى الطير مُدَلَّلَاتٍ مُهَيَّاتٍ للطيران في الهواء بما منحها الله من الأجنحة ورقية الهواء، وأنهما قبض أجنحتها وبسطها، ما يمسكون في الهواء عن السقوط إلا الله القادر، إن في ذلك التذليل والإمساك عن السقوط لدلالات لقوم يؤمنون بالله؛ لأنهم الذين ينفعون بالدلالات والمير.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ: • لله تعالى الحكمة البالغة في قسمة الأرزاق بين العباد، إذ جعل منهم الغني والفقير والمتوسط؛ ليتكامل الكون، ويتعايش الناس، ويخدم بعضهم بعضًا. • ذلّ المثالان في الآيات على صلالة المشركين وبطلان عبادة الأصنام؛ لأن شأن الإله المعبود أن يكون مالكًا قادرًا على التصرف في الأشياء، وعلى نفع غيره ممن يعبدونه. وعلى الأمر بالخير والعدل. • من نعمه تعالى ومن مظاهر قدرته خلق الناس من بطون أمهاتهم لا علم لهم بشيء، ثم تزويدهم بوسائل المعرفة والعلم، وهي السمع والأبصار والأفتدة، فيها يعلمون ويدركون.



﴿٨٠﴾ وَاللَّهُ سَبَّحَانَهُ جَمَلَ لَكُمْ مِنْ يَوْمِكُمْ أَنْ تَنْبُوهَا مِنَ الْحَجَرِ وَغَيْرِهِ اسْتِقْرَاضًا وَرَاحَةً وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالغَنَمِ خِيَامًا وَقِيَابًا فِي الْبَادِيَةِ مِثْلَ بُيُوتِ الْحَضَرِ، يُجِئُ عَلَيْكُمْ حَمْلُهَا فِي تَرْحَالِكُمْ مِنْ مَكَانٍ لآخر، وَيَسْهُلُ نَصْبُهَا وَقَدْ نَزَلْتُمْ، وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَصْوَافِ الْغَنَمِ، وَأَوْبَارِ الْإِبِلِ، وَأَشْعَارِ الْمَعْزِ أَثْنًا لِمِوْتِكُمْ وَأَكْسِيَةً وَأَغْطِيَةً تَتَمَتَّعُونَ بِهَا إِلَى زَمَنِ مُحَدَّدٍ.

﴿٨١﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَشْجَارِ وَالْأَنْبِيَةِ مَا تَسْتَظِلُّونَ بِهِ مِنَ الْحَرِّ، وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَسْرَافًا وَمَفَارَاتٍ وَكُهُوفًا تَسْتَقْتَرُونَ فِيهَا عَنِ الْبَرْدِ وَالْحَرِّ وَالْعَدُوِّ، وَجَعَلَ لَكُمْ قِمَاصًا وَثِيابًا مِنَ الْقُطْنِ وَغَيْرِهِ تَدْفَعُ عَنْكُمْ الْحَرَّ وَالْبَرْدَ، وَجَعَلَ لَكُمْ دُرُغًا تَقْبِكُمْ بِأَسْرِ بَعْضُكُمْ فِي الْحَرْبِ، فَلَا يَنْفُذُ السَّلَاحُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ، كَمَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْكُمْ مِنَ النِّعَمِ السَّابِقَةِ يَكْمُلُ نِعْمُهُ عَلَيْكُمْ رَجَاءً أَنْ تَقَادُوا لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا.

﴿٨٢﴾ فَإِنْ أَعْرَصُوا عَنِ الْإِيمَانِ وَالتَّصَدِيقِ مَا جِئْتُ بِهِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ أَيْهَا الرُّسُولُ إِلَّا تَبْلِيغُ مَا أَمَرْتُ بِتَبْلِيغِهِ تَبْلِيغًا وَاضِحًا، وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ حَمْلُهُمْ عَلَى الْهَدَايَةِ.

﴿٨٣﴾ يَعْرِفُ الْمُشْرِكُونَ نِعْمَ اللَّهِ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْهِمْ، وَمِنْهَا إِسْرَافُ النَّبِيِّ ﷺ إِلَيْهِمْ، ثُمَّ يَجْحَدُونَ نِعْمَهُ بَعْدَ شُكْرِهَا، وَبِالتَّكْذِيبِ بِرَسُولِهِ، وَأَكْثَرُهُمُ الْجَاهِدُونَ لِنِعْمَةِ سَبْحَانِهِ.

﴿٨٤﴾ وَاذْكُرْ أَيْهَا الرُّسُولُ - يَوْمَ يَبْعَثُ اللَّهُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولَهَا السَّادِي أَرْسَلَ إِلَيْهَا يَشْهَدُ عَلَى إِيْمَانِ الْمُؤْمِنِ

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ يَوْمِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنًا وَمتَعًا إِلَى حِينٍ ﴿٨١﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمُ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٨٣﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يَنْكُرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٤﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَارَأَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٨٦﴾ وَإِذَارَأَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَشْرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ قَالُوا إِلَهُكُمْ أَلْقُوا إِلَهُكُمْ أَلْقُوا إِلَهُكُمْ لَكُذِبُونَ ﴿٨٧﴾ وَالْقَوَا إِلَى اللَّهِ يَوْمَ يَمِيزُ الْاَسْلَمَ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٨٨﴾

منهم وكفر الكافر، ثم بعد ذلك لا يسمح للكفار بالاعتذار عما كانوا عليه من الكفر، ولا يرجعون إلى الدنيا ليعملوا ما يرضى عنه ربهم، فالآخرة دار حساب لا دار عمل.

﴿٨٩﴾ وَإِذَا عَايِنَ الظَّالِمُونَ الْمُشْرِكُونَ الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابَ، وَلَا هُمْ يُمَهَّلُونَ بِتَأْخِيرِهِ عَنْهُمْ، بَلْ يَدْخُلُونَهُ خَالِدِينَ فِيهِ مُحَلَّدِينَ.

﴿٩٠﴾ وَإِذَا عَايِنَ الْمُشْرِكُونَ فِي الْآخِرَةِ مَعْبُودَاتِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا: رَبَّنَا، هَؤُلَاءِ هُمْ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَعْبُدُهُمْ مِنْ دُونِكَ، قَالُوا ذَلِكَ لِيُحْمَلُوهُمْ أَوزَارَهُمْ، فَانْطَلِقُوا اللَّهُ مَعْبُودَاتِهِمْ، فَرَدَّوْا عَلَيْهِمْ: إِنَّكُمْ أَيْهَا الْمُشْرِكُونَ لَكَاذِبُونَ فِي عِبَادَتِكُمْ شَرِيكًا مَعَ اللَّهِ، فَلَيْسَ مَعَهُ شَرِيكٌ فَيُعِيدُ.

﴿٩١﴾ وَاسْتَسْلِمَ الْمُشْرِكُونَ، وَانْقَادُوا لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَذَهَبَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْتَلِقُونَهُ مِنْ ادِّعَاءِ أَنْ أَصْنَامَهُمْ تَشْفَعُ لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ.

• مِنْ فَوَائِدِ آيَاتِهِ:

- دلت الآيات على جواز الانتفاع بالأصواف والأوبار والأشعار على كل حال، ومنها استخدامها في البيوت والأثاث.
- كثرة النعم من الأسباب العجالية من العباد مزيد الشكر، والثناء بها على الله تعالى.
- الشهيد الذي يشهد على كل أمة هو أذكى الشهداء وأعدلهم. وهم الرسل الذين إذا شهدوا تمَّ الحكم على أقوامهم.
- في قوله تعالى: ﴿وَسَرَّيْنِ نَجِيَّكُمْ نَسُكَكُمْ﴾ دليل على اتخاذ العباد عِدَّةَ الْجِهَادِ: لِيَسْتَعِينُوا بِهَا عَلَى قِتَالِ الْأَعْدَاءِ.

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا  
فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي  
كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ  
شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ  
شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ إِنَّ اللَّهَ  
يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ  
الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ  
﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ  
بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ  
اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ  
غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا  
بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمْ اللَّهُ  
بِهِ ۖ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ  
﴿٩٢﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ  
يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتَسْلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

الذين كفروا بالله، وصرفوا  
غيرهم عن سبيل الله زدناهم عذابًا  
- بسبب فسادهم وإفسادهم بإضلالهم  
لغيرهم - على العذاب الذي استحقوه  
لكفرهم.

﴿٨٨﴾ واذكر - أيها الرسول - يوم نبعث  
في كل أمة رسولًا يشهد عليهم بما كانوا  
عليه من كفر أو إيمان، هذا الرسول  
من جنسهم، ويتكلم بلسانهم، وجئنا  
بك - أيها الرسول - شهيدًا على الأمم  
جميعًا، ونزلنا عليك القرآن لتبين  
كل ما يحتاج إلى تبين من الحلال  
والحرام والثواب والعقاب وغير ذلك،  
ونزلناه هداية للناس إلى الحق، ورحمة  
لمن آمن به وعمل بما فيه، وتبشيرًا  
للمؤمنين بالله بما ينتظرون من النعيم  
المقيم.

﴿٩٠﴾ إن الله يأمر عباده بالعدل بأن  
يؤدي العبد حقوق الله وحقوق العباد،  
وأن يفضل أحدًا على أحد في الحكم  
إلا بحق يوجب ذلك التفضيل، ويأمر  
بالإحسان بأن يفضل العبد بما لا  
يلزمه كالإنفاق تطوعًا والعفو عن  
الظالم، ويأمر بإعطاء الأقرباء ما  
يحتاجون إليه، وينهى عن كل ما فحش،  
قولًا كفحش القول، أو فعلًا كالزنى،  
وينهى عما ينكره الشرع، وهو كل  
المعاصي، وينهى عن الظلم والتكبر  
على الناس، يعظكم الله بما أمركم  
به، ونهاكم عنه في هذه الآية رجاء أن  
تعتبروا بما وعظكم به.

﴿٩١﴾ وأوفوا بكل عهد عاهدتم الله  
أو عاهدتم الناس عليه، ولا تنقضوا  
الأيمان بعد تقليظها بالحلف بالله، وقد  
جعلتم الله شهيدًا عليكم بالوفاء بما  
حلفتم عليه، إن الله يعلم ما تفعلون، لا  
يخفى عليه شيء منه، وسيجازيكم عليه.

﴿٩٢﴾ ولا تكونوا بنقض العهود سفهاء حفاف العقول. مثل امرأة حمقاء تعبت في غزل صوفها أو قطنها، وأحكمت غزلها، ثم نقصته  
وجعلته محلولًا كما كان قبل غزله، فتعبت في غزله ونقصته، ولم تحصل على مطلوب، تُصَبِّرُونَ أيمانكم خديعه يخذع بعضكم بعضًا  
بها؛ لتكون أمتكم أكثر وأقوى من أمة أعدائكم. إنما يحبركم الله بالوفاء بالعهود، هل تفون بها، أو تنقضونها؟ وليوضحن الله لكم  
يوم القيامة ما كنتم تختلفون فيه في الدنيا، فيبين المحق من المبطل، والصادق من الكاذب.

﴿٩٣﴾ ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة متقين على الحق. ولكنه سبحانه يضل من يشاء بخذلانه عن الحق وعن الوفاء بالعهود بعدله.  
ويوفق من يشاء بفضلته لذلك، ولتسألن يوم القيامة عما كنتم تعملون في الدنيا.

• من قوله: لَا يَافِيَا،

- للكفار الذين يصدون عن سبيل الله عذاب مضاعف بسبب إفسادهم في الدنيا بالكفر والمعصية.
- لا تحلو الأرض من أهل الصلاح والعلم، وهم أمة الهدى خلفاء الأنبياء، والعلماء حفظة شرائع الأنبياء.
- حذرت هذه الآيات دعائم المجتمع المسلم في الحياة الخاصة والعامة للفرد والجماعة والدولة.
- النهي عن الرشوة وأخذ الأموال على نقض العهد.

وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخْلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمُ بَعْدِ  
ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ  
عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٦﴾ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا  
عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ مَا عِنْدَكُمْ  
يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ  
بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ مَنْ ذَكَرَ أَوْ أُنْثِيَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوةً طَيِّبَةً  
وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ  
﴿١٠٠﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ  
يَتَوَكَّلُونَ ﴿١٠١﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ  
هُم بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٢﴾ وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ  
وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَنْزِلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ  
لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ  
لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٤﴾

﴿٩٦﴾ وَلَا تَحْصُرُوا أَيْمَانَكُمْ خَدِيعَةً  
يُخَدَّعُ بِمَعْصُكُم بَعْضُهَا، تَتَّبِعُونَ فِيهَا  
أَهْوَاءَكُمْ، فَتَقْتَضُونَهَا مَتَى شِئْتُمْ،  
وَتَقُونَ بِهَا مَتَى شِئْتُمْ، فَإِنَّكُمْ إِنْ فَعَلْتُمْ  
ذَلِكَ زُلْتُمْ أَقْدَامَكُمْ عَنِ الصِّرَاطِ  
الْمُسْتَقِيمِ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ ثَابِتَةً عَلَيْهِ،  
وَذُقْتُمْ الْعَذَابَ بِسَبَبِ ضَلَالِكُمْ عَنِ  
سَبِيلِ اللَّهِ، وَاضْلَالِكُمْ غَيْرَكُمْ عَنْهَا،  
وَلَكُمْ عَذَابٌ مُضَاعَفٌ. ﴿٩٧﴾ وَلَا تَسْتَبَدُّوا بِعَهْدِ اللَّهِ عَوْضًا  
قَلِيلًا عَلَى نَفْسِكُمْ لِلْعَهْدِ، وَتَرَكُوا الْوَفَاءَ  
بِهِ، إِنْ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ النِّصْرِ وَالْفَنَائِمِ  
فِي الدُّنْيَا، وَمَا عِنْدَهُ مِنَ النِّعَمِ الدَّائِمِ  
فِي الْآخِرَةِ خَيْرٌ لَكُمْ مِمَّا تَقَالُونَهُ مِنْ  
عَوْضٍ قَلِيلٍ عَلَى نَقْضِ الْعَهْدِ إِنْ كُنْتُمْ  
تَعْلَمُونَ ذَلِكَ. ﴿٩٨﴾ مَا عِنْدَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ . مِنْ  
الْمَالِ وَاللَّذَاتِ وَالنِّعَمِ يَنْقُضِي وَلَوْ  
كَانَ كَثِيرًا، وَمَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْجَزَاءِ  
بَاقٍ، هَكَيفَ تَوَثَّرُونَ فَانِيًا عَلَى بَاقٍ؟  
وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا عَلَى عَهْدِهِمْ  
وَلَمْ يَنْقُضُوا ثَوَابَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا  
كَانُوا يَعْمَلُونَ مِنَ الطَّاعَاتِ، فَتَجْزِيَهُمُ  
الْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، إِلَى سَبْعِ مِائَةٍ  
ضِعْفٍ، إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ. ﴿٩٩﴾ مِنْ عَمَلٍ صَالِحًا مُوَافِقًا  
لِلشَّرْعِ ذَكَرًا كَانَ أَوْ أُنْثَى، وَهُوَ مُؤْمِنٌ  
بِاللَّهِ، فَلَنُحْيِيَنَّهُ فِي الدُّنْيَا حَيَاةً  
طَيِّبَةً بِالرِّضَا بِقَضَاءِ اللَّهِ وَبِالْقَنَاعَةِ  
وَالتَّوْفِيقِ لِلطَّاعَاتِ، وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ ثَوَابَهُمْ  
فِي الْآخِرَةِ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ فِي  
الدُّنْيَا مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ. ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا  
أَرَدْتَ قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ - أَيُّهَا  
الْمُؤْمِنُ - فَاسْأَلِ اللَّهَ أَنْ يُعِيدَكَ مِنْ  
وَسْوَاسِ الشَّيْطَانِ الْمَطْرُودِ عَنْ رَحْمَةِ  
اللَّهِ.

- ﴿٩٦﴾ إِنْ الشَّيْطَانُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ، وَعَلَى رَبِّهِمْ وَحْدَهُ يِعْتَمِدُونَ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِمْ.
- ﴿٩٧﴾ إِنَّمَا تَسْلُطُهُ بِالْوَسْوَاسِ عَلَى الَّذِينَ يَتَحَدُّونَهُ وَلَيْثًا، وَيَطِيعُونَهُ فِي إِغْوَائِهِ، وَالَّذِينَ هُمْ بِسَبَبِ إِغْوَائِهِ مُشْرِكُونَ بِاللَّهِ يَعْبُدُونَ مَعَهُ غَيْرَهُ.
- ﴿٩٨﴾ وَإِذَا سَخَنَّا حُكْمَ آيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ بِآيَةٍ أُخْرَى . وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَنْسَخُ مِنَ الْقُرْآنِ لِحُكْمَةٍ، وَعَلِيمٌ بِمَا لَا يَنْسَخُ مِنْهُ . قَالُوا: إِنَّمَا أَنْتَ يَا مُحَمَّدٌ كَاذِبٌ تَحْتَلِقُ عَلَى اللَّهِ، بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ النِّسْخَ إِنَّمَا يَكُونُ لِحُكْمَةٍ إِلَهِيَةٍ بِالْعِلْمِ.
- ﴿٩٩﴾ قُلْ لَهُمْ أَيُّهَا الرَّسُولُ : نَزَلَ بِهَذَا الْقُرْآنِ جِبْرِيلٌ ؑ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ سَبِّحَانَهُ بِالْحَقِّ الَّذِي لَا خَطَأَ فِيهِ وَلَا تَبْدِيلَ وَلَا تَحْرِيفَ، لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ عَلَى إِيْمَانِهِمْ كُلَّمَا نَزَلَ مِنْهُ جَدِيدٌ، وَنُسخَ مِنْهُ بَعْضٌ، وَلِيَكُونَ هُدًى لَهُمْ إِلَى الْحَقِّ، وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ بِمَا يَحْصِلُونَ عَلَيْهِ مِنَ الثَّوَابِ الْكَرِيمِ.
- ﴿١٠٠﴾ مِنْ تَوْفِيقِ الْآيَاتِ.
- الْعَمَلُ الصَّالِحُ الْمَقْرُونُ بِالْإِيْمَانِ يَجْعَلُ الْحَيَاةَ طَيِّبَةً.
- الطَّرِيقُ إِلَى السَّلَامَةِ مِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ هُوَ الْإِلْتِمَازُ إِلَى اللَّهِ، وَالِاسْتِعَاذَةُ بِهِ مِنْ شَرِّهِ.
- عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَجْعَلُوا الْقُرْآنَ إِمَامَهُمْ، فَتَرَبَّوْا بِعُلُومِهِ، وَيَتَخَلَّفُوا بِأَخْلَاقِهِ، وَيَسْتَضِيئُوا بِنُورِهِ. فَبِذَلِكَ تَسْتَقِيمُ أُمُورُهُمُ الدِّينِيَّةُ وَالدُّنْيَوِيَّةُ.
- نَسْخُ الْأَحْكَامِ وَاقِعٌ فِي الْقُرْآنِ زَمَنَ الْوَحْيِ لِحُكْمَةٍ، وَهِيَ مَرَاعَاةُ الْمَصَالِحِ وَالْحَوَادِثِ، وَتَبْدِيلُ الْأَحْوَالِ الْبَشَرِيَّةِ.



وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ  
الَّذِي يُلْحَدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ  
﴿١١٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ  
وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ  
لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١١٥﴾  
مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ  
مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ  
صَدْرًا فَعَلَيْنَاهُمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ  
﴿١١٦﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى  
الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ  
﴿١١٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعَهُمْ  
وَأَبْصَرَهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١١٨﴾ لَاجِرَمَ  
أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ  
لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثَمَّ جَاهِدُوا  
وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢٠﴾

﴿١١٣﴾ ونحن نعلم أن المشركين يقولون: إن محمداً ﷺ إنما يُعلِّمه القرآن إنساناً، وهم كاذبون في دعواهم، فلفه من يزعمون أنه يعلمه أعجمية، وهذا القرآن نزل بلسان عربي واضح ذي بلاغة عالية، فكيف يزعمون أنه تلقاه من أعجمي؟  
﴿١١٤﴾ إن الدين لا يؤمنون بآيات الله أنها من عنده سبحانه لا يوقفهم الله للهداية ما داموا مُصْرِّين على ذلك. ولهم عذاب موجه بسبب ما هم فيه من الكفر بالله، والتكذيب بآياته.  
﴿١١٥﴾ ليس محمد ﷺ كاذباً فيما جاء به من ربه، إنما يختلق الكذب الذين لا يصدقون بآيات الله: لأنهم لا يخافون عذاباً، ولا يرجون ثواباً، وأولئك المتصصون بالكفر هم الكاذبون! لأن الكذب عادتهم التي اعتادوا عليها.  
﴿١١٦﴾ من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره على الكفر فنطق بكلمة الكفر بلسانه وقلبه مطمئن بالإيمان موقن بحقيقته، لكن من كان منفسح الصدر بالكفر فاختاره على الإيمان وتكلم به طائفاً فهو مرتد عن الإسلام فعليه غضب من الله ولهم عذاب عظيم  
﴿١١٧﴾ ذلك الارتداد عن الإسلام بسبب أنهم اثروا ما ينالونه من حطام الدنيا مكافأة لكفرهم على الآخرة، وأن الله لا يوفق القوم الكافرين إلى الإيمان، بل يخذلهم.  
﴿١١٨﴾ أولئك المتصصون بالردة بعد الإيمان الذين ختم الله على قلوبهم فلا يفهمون المواعظ، وعلى أسماعهم فلا يسمعونها سماعاً يُنتفع به، وعلى أبصارهم فلا يبصرون الآيات الدالة على الإيمان، وأولئك هم الغافلون عن أسباب السعادة والشقاء، وعما أعد الله لهم من العذاب.

﴿١١٩﴾ حقاً إنهم يوم القيامة هم الخاسرون الذين خسروا أنفسهم سبب كفرهم بعد إيمانهم الذي لو تمسكوا به لدخلوا الجنة.  
﴿١٢٠﴾ ثم إن ربك أيها الرسول لغفور رحيم بالمستضعفين من المؤمنين الذين هاجروا من مكة إلى المدينة بعدما عذبهم المشركون وامتحنوهم في دينهم حتى نطقوا بكلمة الكفر وقلوبهم مطمئنة بالإيمان، ثم جاهدوا في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى، وصبروا على مشاقه. إن ربك من بعد تلك الفتن التي فُتِنُوا بها، والتعذيب الذي عذبوا به حتى نطقوا بكلمة الكفر: لغفور لهم، رحيم بهم: لأنهم ما نطقوا بكلمة الكفر إلا مُكْرَهِينَ.

● من فوائد الآيات:

- الترحيص للمُكْرَه بالنطق بالكفر ظاهراً مع اطمئنان القلب بالإيمان.
- المرتدون استوحوا غضب الله وعذابه، لأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة، وحرّموا من هداية الله، وطبع الله على قلوبهم وسمّعهم وأنصارهم، وجعلوا من العافلين عما يراد بهم من العذاب الشديد يوم القيامة.
- كُتِبَ الله المغفرة والرحمة للذين آمنوا، وهاجروا من بعد ما فتنوا، وصبروا على الجهاد.

﴿١٠٨﴾ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ مُّجْدِلٌ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوْفَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٠٩﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٠﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١١١﴾ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِتَاَهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَيْزِرِ وَمَا أَهْلٌ لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَن أَضْطَرَّ غَيْرُ بَاعٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٣﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٤﴾ مَتَّعَ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَمَا ظَلَمْتَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٦﴾

٢٨٠

﴿١٠٨﴾ واذكر أيها الرسول يوم يأتي كل إنسان يُجَاح عن نفسه، لا يُجَاح عن غيرها لعظم الموقف، وتُوَفَّى كل نفس جِراء ما عملت من خير وشر، وهم لا يُظلمون بنقص حسنتهم، ولا بزيادة سيئاتهم.

﴿١٠٩﴾ وضرب الله مثلاً قريةً وهي مكة - كانت آمنة لا يخاف أهلها، مستقرة والناس من حولها يُتَخَطَّطون، يجيئها رزقها هسًا سهلًا من كل مكان، فكفر أهلها بما أنعم الله عليهم من النعم ولم يشكروهم، فجازاهم الله بالجوع والخوف الشديد الظاهر على أحوالهم فرعًا وهرًا، حتى صاروا كاللباس لهم بسبب ما كانوا يعملون من الكفر والتكذيب.

﴿١١٠﴾ ولقد جاء أهل مكة رسول منهم يعرفونه بالأمانة والصدق، وهو محمد ﷺ، فكذبوه فيما أنزله عليه ربه، فنزل بهم عذاب الله بالجوع والخوف، وهم ظالمون لأنفسهم بإيرادها موارد الهلاك حين أشركوا بالله، وكذبوا رسوله.

﴿١١١﴾ فكلوا أيها العباد مما رزقكم الله سبحانه ما كان حلالًا من جنس ما يُسْتَطَاب أكله، واشكروا نعمة الله التي أنعم بها عليكم بالإقرار بهذه النعم لله وصرفها في مرضاته، إن كنتم تعبدونه وحده ولا تشركون به.

﴿١١٢﴾ حَرَّمَ الله عليكم من المأكولات ما مات دون ذكاه مما يُذَكَّى، والدم المسفوح، والخنزير بجميع أجزائه، وما ذبحه ذابحه قربانًا لغير الله، وهذا التحريم إنما هو في حالة الاختيار، فمن أُلْجِئته الضرورة إلى أكل المذكورات، فأكل منها غير راغب

في المحرم لذاته، ولا متجاوز لحد الحاجة: فلا إثم عليه، فإن الله غفور، يغفر له ما أكل، رحيم به حين أباح له ذلك عند الضرورة. ﴿١١٣﴾ ولا تقولوا أيها المشركون لما تصفه ألسنتكم من الكذب على الله، هذا الشيء حلال، وهذا الشيء حرام، بقصد أن تحتلقوا على الله الكذب بتحريم ما لم يحرم، أو تحليل ما لم يحلل، إن الذين يحتلقون على الله الكذب لا يفوزون بمطلوب، ولا ينحون من مرهوب.

﴿١١٤﴾ لهم متاع قليل حقير باتباعهم أهواءهم في الدنيا، ولهم يوم القيامة عذاب موجه. ولما ذكر الله ما حرمه من المأكولات على هذه الأمة ذكر ما حرمه على اليهود فقال:

﴿١١٥﴾ وعلى اليهود خاصة حرمنا ما قصصناه عليك - كما في الآية (١٤٦) من سورة الأنعام - وما ظلمناهم بتحريم ذلك، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون حين ارتكبوا أسباب العقاب، فحزيناهم ببيعهم، فحزناهم ذلك عقوبة لهم.

﴿١١٦﴾ من قوايد الآيات،

• الحزاء من جنس العمل: فإن أهل القرية لما بطروا النعمة بدّلوا بنقيضها. وهو محققها وسلبها ووقعوا في شدة الجوع بعد الشبع، وفي الخوف والهلع بعد الأمن والأطمئنان، وفي قلة موارد العيش بعد الكفاية.

• وجوب الإيمان بالله وبالرسل، وعبادة الله وحده، وشكره على نعمه والألنه الكثيرة، وأن العذاب الإلهي لاحقٌ بكل من كفر بالله وعصاه، وجعد نعمة الله عليه.

• الله تعالى لم يحرم علينا إلا الحباثت تفضلاً منه، وصيانة عن كل مُسْتَفْذَر.

﴿١٢١﴾ ثم إن ربك - أيها الرسول - للذين عملوا السيئات جهلاً بما عقبتهم وإن كانوا متعمدين، ثم تابوا إلى الله بعد ما عملوا من سيئات، وأصلحوا أعمالهم التي فيها فساد، إن ربك من بعد التوبة لغفور لذنوبهم، رحيم بهم. ولما كان المشركون يزعمون أنهم على ملة إبراهيم رد الله عليهم دعواهم، فقال

﴿١٢٢﴾ إن إبراهيم كان حاملاً لحصال الخير، مديناً لطاعة ربه، مأثلاً عن الأديان كلها إلى دين الإسلام، ولم يكن من المشركين قط. ﴿١٢٣﴾ وكان شاكراً لنعم الله التي أنعم بها عليه، اختاره الله للنبوة، وهداه إلى دين الإسلام القيم.

﴿١٢٤﴾ وأعطيناه في الدنيا النبوة والثناء الحسن والولد الصالح، وإنه في الآخرة لمن الصالحين الذين أعد الله لهم الدرجات العلى من الجنة.

﴿١٢٥﴾ ثم أوحينا إليك - أيها الرسول - أن اتبع ملة إبراهيم في التوحيد والبراءة من المشركين والدعوة إلى الله والعمل بشريعته، مأثلاً عن جميع الأديان إلى دين الإسلام، وما كان من المشركين قط كما يزعم المشركون، بل كان موحداً لله.

﴿١٢٦﴾ إنما جعل تعظيم السبت فرضاً على اليهود الذين احتلفوا فيه، ليتفرغوا فيه من مشاغلهم للعبادة بعد أن ضلوا عن يوم الجمعة الذي أمروا بالتفرغ فيه، وإن ربك - أيها الرسول - ليحكم بين هؤلاء المختلفين يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون، فيجازي كل بما يستحق.

﴿١٢٧﴾ ادع - أيها الرسول - إلى دين الإسلام أتت ومن اتبعك من المؤمنين

بما تقتضيه حال المدعو وفهمه وانقياده، وبالنصح المشتمل على الترغيب والترهيب، وجادلهم بالطريقة التي هي أحسن قولاً وفكراً وتهديباً، فليس عليك هداية الناس، وإنما عليك إبلاغهم، إن ربك هو أعلم بمن ضل عن دين الإسلام، وهو أعلم بالمهتدين إليه، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات.

﴿١٢٨﴾ وإن أردتم معاقبة عدوكم فعاقبوه بمثل ما فعل بكم دون زيادة، ولئن صبرتم عن معاقبتكم له عند القدرة عليه فإن ذلك خير للصابرين منكم من الانتصاف بمعاقبتهم.

﴿١٢٩﴾ واصبر - أيها الرسول - على ما يصيبك من أذاهم، وما توفيقك للصبر إلا بتوفيق الله لك، ولا تحزن لإعراض الكفار عنك، ولا يضق صدرك بسبب ما يقومون به من مكر وكيد.

﴿١٣٠﴾ إن الله مع الذين اتقوه بترك المعاصي، والذين هم محسنون بأداء الطاعات، وامتنال ما أمروا به، فهو معهم بالنصر والتأييد.

﴿١٣١﴾ من هو بآيات،

- اقتضت رحمة الله أن يقبل توبة عباده الذين يعملون السوء من الكفر والمعاصي، ثم يتوبون ويصلحون أعمالهم، فيغفر الله لهم.
- يحسن بالمسلم أن يتخذ إبراهيم ﷺ قدوة له.
- على الدعاة إلى دين الله اتباع هذه الطرق الثلاث: الحكمة، والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن.
- المقاب يكون بالمثل دون زيادة، فالمظلوم منهي عن الزيادة في عقوبة الظالم.

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٢﴾ شَاكِرًا لِنِعْمَةِ أَجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢٣﴾ وَءَاتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٤﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٥﴾ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٦﴾ أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدْ لَهُمْ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٧﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴿١٢٨﴾ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٩﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٣٠﴾

بما تقتضيه حال المدعو وفهمه وانقياده، وبالنصح المشتمل على الترغيب والترهيب، وجادلهم بالطريقة التي هي أحسن قولاً وفكراً وتهديباً، فليس عليك هداية الناس، وإنما عليك إبلاغهم، إن ربك هو أعلم بمن ضل عن دين الإسلام، وهو أعلم بالمهتدين إليه، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات.

﴿١٢٨﴾ وإن أردتم معاقبة عدوكم فعاقبوه بمثل ما فعل بكم دون زيادة، ولئن صبرتم عن معاقبتكم له عند القدرة عليه فإن ذلك خير للصابرين منكم من الانتصاف بمعاقبتهم.

﴿١٢٩﴾ واصبر - أيها الرسول - على ما يصيبك من أذاهم، وما توفيقك للصبر إلا بتوفيق الله لك، ولا تحزن لإعراض الكفار عنك، ولا يضق صدرك بسبب ما يقومون به من مكر وكيد.

﴿١٣٠﴾ إن الله مع الذين اتقوه بترك المعاصي، والذين هم محسنون بأداء الطاعات، وامتنال ما أمروا به، فهو معهم بالنصر والتأييد.

﴿١٣١﴾ من هو بآيات،

- اقتضت رحمة الله أن يقبل توبة عباده الذين يعملون السوء من الكفر والمعاصي، ثم يتوبون ويصلحون أعمالهم، فيغفر الله لهم.
- يحسن بالمسلم أن يتخذ إبراهيم ﷺ قدوة له.
- على الدعاة إلى دين الله اتباع هذه الطرق الثلاث: الحكمة، والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن.
- المقاب يكون بالمثل دون زيادة، فالمظلوم منهي عن الزيادة في عقوبة الظالم.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى  
الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ وَمِنَ آيَاتِنَا أَنَّهُ  
هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ  
هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا ۝  
ذُرِّيَّةً مِّن حَمَلِنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ۝  
وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ  
مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوكُمْ كَبِيرًا ۝ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا  
بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ  
الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۝ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ  
عَلَيْهِمْ وَأَمَدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۝  
إِنَّ أَحْسَنَهُمْ أَحْسَنُكُمْ لَآ نَفْسَكُمْ وَإِن أَنَسْتُمْ فَلَهَا فَيَآذَا  
جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ  
كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ۝

٢٨٢

● من مقاصد السورة:  
تثبيت الله لرسوله ﷺ وتأيدته  
بآيات البينات، وإشارته بالنصر  
والنجات.

● التفسير:  
١ تنزه الله سبحانه وتعظم؛ لقدرته  
على ما لا يقدر عليه أحد سواه، فهو  
الذي سير عبده محمدًا ﷺ روحًا  
وجسدًا يقظة بجزء من الليل من  
المسجد الحرام إلى مسجد بيت  
المقدس الذي باركنا حوله بالثمار  
والزروع وبمنازل الأنبياء ﷺ؛ ليرى  
بعض آياتنا الدالة على قدرة الله  
سبحانه، إنه هو السميع فلا يخفى  
عليه مسموع، البصير فلا يخفى عليه  
مُبصر.

٢ وأعطينا موسى ﷺ التوراة  
وجعلناها هادية ومرشدة لبني  
إسرائيل، وقلنا لبني إسرائيل: لا  
تتخذوا من دوني وكيلًا تفوضون إليهم  
أموركم، بل توكلوا عليّ وحدي.

٣ أنتم من نسل من أنعمنا عليهم  
بالتجاة مع نوح ﷺ من الفرق في  
الطوفان، فتذكروا هذه النعمة،  
واشكروا الله تعالى بعبادته وحده  
وطاعته، واقتدوا في ذلك بنوح، فإنه  
كان كثير الشكر لله تعالى.

٤ وأحبرنا بني إسرائيل وأعلمناهم  
في التوراة أنه لا بد أن يقع منهم فساد  
في الأرض بفعل المعاصي والبطر  
مرتين، وليستغلن على الناس بالظلم  
والبغي متجاوزين الحد في الاستعلاء  
عليهم.

٥ فإذا حصل منهم الإفساد الأول سلطنا عليهم عبادًا لنا أصحاب قوة وبطش عظيم يقتلونهم ويشتدونهم، فجاءوا بين ديارهم  
يفسدون ما مروا عليه، وكان وعد الله بذلك واقعًا لا محالة.

٦ ثم أعدنا لكم - يا بني إسرائيل - الدولة والعبية على من سلطوا عليكم عندما تبتنم إلى الله. وأمددناكم بأموال بعد نهبها،  
وأولاد بعد سبيهم، وصيرناكم أكثر جمعًا من أعدادكم.

٧ إن أحسنتم - يا بني إسرائيل - أعمالكم. وجتنب بها على الوجه المطلوب، فجزاء ذلك عائد لكم. فإلله غني عن أعمالكم،  
وإن أسأتم أفعالكم فعاقة ذلك عليكم، فالله لا ينفعه إحسان أفعالكم، ولا تضره إساءتها، فإذا حصل الإفساد الثاني سلطنا عليكم  
أعداءكم ليحزركم، ويجعلوا المساء طاهرة على وجوهكم، لما يدينونكم من صنوف الهوان. وليدخلوا بيت المقدس ويحربوه كما  
دخلوه وخربوه المرة الأولى، وليدمروا ما غلبوا عليه من البلاد تدميرًا كاملاً.

● من فوائد الآيات:

● في قوله: ﴿الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ إشارة لدخوله في حكم الإسلام: لأن المسجد موطن عبادة المسلمين

● بيان فضيلة الشكر، والافتداء بالشاكرين من الأنبياء والمرسلين.

● من حكمة الله وسنته أن يبعث على المفسدين من يمنعهم من الفساد؛ لتحقيق حكمة الله في الإصلاح.

● التحذير لهذه الأمة من العمل بالمعاصي؛ لئلا يصيبهم ما أصاب بني إسرائيل، فسنة الله واحدة لا تتبدل ولا تتحول

عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُذْتُمْ عُنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ  
 حَصِيرًا ٨ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ  
 الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ٩  
 وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ١٠  
 وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ١١  
 وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحْوَنَاءَ آيَةِ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ  
 النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ  
 السَّاعَاتِ وَالحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ١٢ وَكُلَّ  
 إِنْسَانٍ أَلْمَنَّا طَبْعَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا  
 يَلْقَاهُ مَنشُورًا ١٣ أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا  
 ١٤ مَن اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ  
 عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ تَبْعَثَ  
 رَسُولًا ١٥ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا  
 فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ١٦ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ  
 مِن بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ١٧

عسى ربكم يا بني إسرائيل أن يرحمكم بعد هذا الانتقام الشديد إن تبتتم إليه، وأحسنتم أعمالكم. وإن رجعتكم إلى الإفساد مرة ثالثة أو أكثر رجعنا إلى الانتقام منكم، وضربنا جهنم للكافرين بالله فرأى ومهاذا لا يخلون عنه.

إن هذا القرآن المنزل على محمد ﷺ يدل على أحسن الشئ وهي سبيل الإسلام، ويخبر المؤمنين بالله الذين يعملون الأعمال الصالحات بما يسرهم، وهو أن لهم ثواباً عظيماً من الله.

ويحبر الذين لا يؤمنون بيوم القيامة بما يسوؤهم، وهو أننا أعدنا لهم يوم القيامة عذاباً موجعاً.

ويدعو الإنسان لجهله على نفسه وولده وماله عند الغضب بالشور، مثل دعائه لنفسه بالخير، فلو استجبنا دعاءه بالشور لهلك، وهلك ماله وولده، وكان الإنسان محبوباً على العجلة؛ ولذا فإنه قد يتعجل ما يصرفه.

وخلقنا الليل والنهار علامتين داليتين على وحدانية الله وقدرته؛ لما فيهما من الاختلاف في الطول والقصر والحرارة والبرودة، فجعلنا الليل مطلقاً للراحة والنوم، وجعلنا النهار مصيئاً لتبتهقوا رفق الله الذي قدره لكم بفضله، ولتعلموا بتعاقبهما عدد السنين، وما تحتاجون إليه من حساب أوقات الشهور والأيام والساعات، وكل شيء يبيننا لتمييز الأشياء، ويتضح الحق من المبتطل.

وكل إنسان جعلنا عمله الصادر عنه ملازماً له ملازمة القلادة للعنق.

لا ينفصل عنه حتى يحاسب عليه، ونخرج له يوم القيامة كتاباً فيه جميع ما عمل من خير وشر يجده أمامه مفتوحاً مبسوطاً.

ونقول له يومئذ: اقرأ أيها الإنسان كتابك. وتول حساب نفسك على أعمالك، كفى بنفسك يوم القيامة محاسباً لك.

من اهتدى إلى الإيمان فتواب هدايته له، ومن ضل فعقاب ضلاله عليه، ولا تتحمل نفس ذنب نفس أخرى، وما كنا معذبين قومًا حتى نقيم عليهم الحجة بإرسال الرسل إليهم.

وإذا أردنا إهلاك قرية لظلمها أمرنا من أنصرتهم النعمة بالطاعة فلم يمتثلوا، بل عصوا وخرجوا عن الطاعة، فحق عليهم القول بالعذاب المستأصل، فأهلكناهم هلاك استئصال.

وما أكثر الأمم المكذبة التي أهلكناها من بعد نوح مثل عاد وثمود وكفى بربك أيها الرسول بذنوب عباده خبيراً بصيراً، لا يخفى عليه منها شيء، وسيجازيهم عليها.

من توبد بالآيات،

● من اهتدى بهدي القرآن كان أكمل الناس وأقومهم وأهداهم في جميع أمورهم.

● التحذير من الدعوة على النفس والأولاد بالشر.

● اختلاف الليل والنهار بالزيادة والنقص وتعاقبهما، وضوء النهار وظلمة الليل، كل ذلك دليل على وحدانية الله ووجوده وكمال علمه وقدرته.

● تقرر الآيات مبدأ المسؤولية الشخصية، عدلاً من الله ورحمة بعباده.

﴿١٨﴾ من كان يقصد بأعمال البر الحياة الدنيا، ولا يؤمن بالآخرة، ولا يُلقى لها بالاً، عجلنا له فيها ما نشأه نحن، لا ما يشأه هو من نعيم لمن أردنا أن يفعل ذلك به، ثم جعلنا له جهنم يدخلها يوم القيامة يعاني حرها، مذمومًا على اختياره الدنيا وكفره بالآخرة، مطرودًا من رحمة الله.

﴿١٩﴾ ومن قصد ثواب الآخرة بأعمال البر، وسعى لها سعيها الغالي من الرياء والسمعة، وهو مؤمن بما أوجب الله الإيمان به، فأولئك المتصفون بتلك الصفات كان سعيهم مقبولاً عند الله، وسيحاربهم عليه.

﴿٢٠﴾ نريد كلاً من هذين الفريقين الفاجر والبز، من عطاء ربك - أيها الرسول - دون انقطاع، وما كان عطاء ربك في الدنيا ممنوعاً عن أحد، يراً كان أو عاجزاً.

﴿٢١﴾ تأمل - أيها الرسول - كيف فضلنا بعضهم على بعض في الدنيا في الرزق والمراتب، وللآخرة أعظم تفاوتاً في درجات النعيم من الحياة الدنيا، وأعظم تفصيلاً، فليحرص المؤمن عليها.

﴿٢٢﴾ لا تجعل - أيها العبد - مع الله معبوداً آخر تعبد، فتصير مذمومًا عند الله، وعند عباده الصالحين لا حامد لك، معذولاً منه لا ناصر لك، وأمر ربك أيها العبد وأوجب ألا تُعبد غيره، وأمر بالإحسان إلى الوالدين خاصة عند بلوغ الكبر، فإن بلغ أحد الوالدين الكبر أو بلغه كلاهما عندك، فلا تتسخر منهما بالتقوُّ بهما يدل على ذلك، ولا تزجرهما ولا تقلظ

مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾ كَلَّا تُمَدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَكْذُوبًا ﴿٢٢﴾ \* وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذِّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَادِقِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذِرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧﴾

٢٨٤

عليهما في القول، وقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا فيه لين ولطف.

﴿٢٨﴾ وتوصع لهما ذلاً ورحمة بهما، وقُلْ يَا رَبِّ ارْحَمْهُمَا رحمة لأجل تربيتهما إياي في صغري.

﴿٢٩﴾ ربكم أيها الناس أعلم بما في ضمائركم من الإخلاص له في العبادة وأعمال الخير، والبر بالوالدين، فإن كانت نباتكم في عبادتكم ومعاملتكم لوالديكم وغيرهما صالحة فإنه سبحانه كان للرخاعس إليه بالتوبة عفوراً، فمن تاب من تقصيره السابق في طاعته لربه أو لوالديه غفر الله له.

﴿٣٠﴾ وأعط أيها المؤمن القريب حقه من صلة رحمه، وأعط الفقير المحتاج، وأعط المتقطع في سفره، ولا تتفق مالك في معصية، أو على وجه الإسراف.

﴿٣١﴾ إن المنفقين أموالهم في المعاصي، والمسرفين في الإنفاق كانوا إخوان الشياطين، يطيعونهم فيما يأمرهم به من التبذير والإسراف، وكان الشيطان لربه كفوراً، فلا يعمل إلا بما فيه معصية، ولا يأمر إلا بما يسخط ربه.

• من قواید لایات،

• ينبغي للإنسان أن يفعل ما يقدر عليه من الخير وينوي فعل ما لم يقدر عليه؛ ليُثاب على ذلك. • أن النعم في الدنيا لا ينبغي أن يُستدَل بها على رضا الله تعالى؛ لأنها قد تحصل لغير المؤمن، وتكون عاقبه المصير إلى عذاب الله. • الإحسان إلى الوالدين فرض لازم واجب، وقد قرن الله شكرهما شكره لعظيم فضلهما. • يحرم الإسلام التبذير، والتبذير إنفاق المال في غير حقه.



﴿٢٨﴾ وإن امتنعت عن إعطاء هؤلاء؛ لعدم وجود ما تعطيتهم إياه منتظرًا ما يفتح الله به عليك من رزق، فقل لهم قولاً ليناً سهلاً، مثل أن تدعو لهم بسعة الرزق، أو تعدهم بالعطاء إن رزقك الله مالا.

﴿٢٩﴾ ولا تمسك يديك عن الإنفاق، ولا تسرف في الإنفاق، فتصير ملوماً يلوّمك الناس على بخلك إن أمسكت يدك عن الإنفاق، منقطعاً عن الإنفاق لإسرافك، فلم تجد ما تتفقه.

﴿٣٠﴾ إن ربك يوسع الرزق على من يشاء، ويضيقه على من يشاء لحكمة بالغة، إنه كان بعباده حبيراً بصيراً، لا يخفى عليه منهم شيء، فيصرف أمره فيهم بما يشاء.

﴿٣١﴾ ولا تقتلوا أولادكم خوفاً من الفقر مستقبلاً إذا أنفقتهم عليهم. نحن ننكف برزقهم، وننكف برزقكم أنتم إن قتلهم كان إثماً كبيراً؛ إذ لا ذنب لهم ولا سبب يستوجب قتلهم.

﴿٣٢﴾ واحذروا الزنى، وتجنّبوا ما يشجع عليه، إنه كان متناهياً في القبح، وساء طريقاً لما يؤديه من اختلاط الأنساب، ومن عذاب الله.

﴿٣٣﴾ ولا تقتلوا النفس التي عصم الله دمها بإيمان أو بأمان إلا أن استحقت القتل برّة، أو برئى بعد إحصان، أو بقصاص، ومن قُتل مظلوماً دون سبب يبيح قتله فقد جعلنا لمن يلي أمره من ورثته تسليماً على قاتله، فله أن يطالب بقتله قصاصاً، وله العفو دون مقابل. وله العفو وأخذ الدية، فلا يتجاوز الحد الذي أباحه الله له بالتبثيل بالقتل. أو بقتله بغير ما قُتل به، أو بقتل غير القتال، إنه كان مؤثماً مغاناً.

﴿٣٤﴾ ولا تتصرّوها في مال من مات والده من الأطفال إلا بما هو أصلح له من تربيته وحفظه حتى يبلغ كمال عقله ورشده، وأوفوا بما بينكم وبين الله، وبما بينكم وبين عباده من عهد دون نقض أو نقص، إن الله يسأل معطي العهد يوم القيامة هل وفى به فيثيبه أو لم يف به فيعاقبه.

﴿٣٥﴾ وأنموا الكيل إذا كلمت لغيركم ولا تخسروهم، وزدوا بالميراث العدل الذي لا ينقص شيئاً ولا يبخسه، ذلك الإيفاء للكيل والورث خير لكم في الدنيا والآخرة، وأحسن عاقبة من التطفيف بنقص المكاييل والموازين.

﴿٣٦﴾ ولا تسبح يا ابن آدم ما لا علم لك به، فتتبع الظنون والحدس، إن الإنسان مسؤول عما استخدم فيه سمعه وبصره وقوّاده من خير أو شر، فيتاب على الخير، ويعاقب على الشر. ﴿٣٧﴾ ولا تمش في الأرض تكبراً واحتيالاً، إلك إن تمش فيها متعائلاً لن تقطع الأرض بمشيّتك، ولن تصل قائمتك إلى ما وصلت إليه الحبال طولاً وارتفاعاً، فعلام التكبر إذن؟ ﴿٣٨﴾ كل ما سبق ذكره كان السيئ منه عند ربك أيها الإنسان ممنوعاً، لا يرضى الله عن مرتكبه، بل يبعثه.

• من فوائده الآيات:

• الأدب الرفيع هو رد ذوي القرمى بلطف، ووعدهم وعداً جميلاً بالصلة عند اليسر، والاعتذار إليهم بما هو مقبول. • الله أرحم بالأولاد من والديهم، فتهى الوالدين أن يقتلوا أولادهم خوفاً من الفقر والإملاق وتكفل برزق الجميع. • في الآيات دليل على أن الحق في القتل للولي، فلا يقتص إلا بأذنه، وإن غفا سقط القصاص. • من لطف الله ورحمته باليتيم أن أمر أوليائه بحفظه وحفظ ماله وإصلاحه وتربيته حتى يبلغ أشده.

وَأَمَّا تَعْرِضْنَ عَنْهُمْ أَبْتَغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوها فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنْ رَبُّكَ يَبْسُطَ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمَّا لَقِيْتُمْ تَزْوُفُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنْ قَتَلْتُمْ كَانَتْ خِطَاً كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانِيَةَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيٍّ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزَنُوا بِالْقِسْطِ أَسْمَاءَ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾

ذلك الذي وضعناه من الأوامر والنواهي والأحكام من الحكمة التي أوحاها إليك ربك، ولا تتحدأ أيها الإنسان مع الله معبوداً آخر، فتزني في جهنم يوم القيامة ملوماً ملوماً نطقاً نفسك ويلومك الناس، مطروداً عن كل خير.

يا من تدعون أن الملائكة بنات الله، أفأختصكم بركم أيها المشركون بالذكر من الأولاد، واتخذ لنفسه الملائكة بنات؟ تعالى الله عما تقولون، إنكم لتقولون على الله سبحانه قولاً بالغ القبح حيث تسبون له الولد، وتزعمون أن له البنات إمعاناً في الكفر به.

ولقد أوضحنا في هذا القرآن الأحكام والمواعظ والأمثال ليتعظ بها الناس، فيسلوكوا ما ينفعهم، ويتركوا ما يضرهم، والحال أن بعضهم ممن انتكست فطرته لم يزد بذلك إلا بعداً عن الحق وكرهية له.

قل أيها الرسول هؤلاء المشركين - لو كان مع الله تعالى معبودات كما يقولون افتراء وكذا إذن لطلبت تلك المعبودات المزعومة إلى الله ذي العرش طريقاً لتغالبه على ملكه وتنازعه فيه.

تنزه الله سبحانه وتقدس عما يصفه به المشركون، وتعالى عما يقولونه علواً كبيراً.

تسبح لله السماوات، وتسبح لله الأرض، ويسبح لله من في السماوات والأرض من المخلوقات، وما من شيء إلا ينزهه قارئاً تنزيهه إياه بالثناء، ولكن لا تفهمون كيفية تسبيحهم، فأنتم لا تفهمون إلا تسبيح من يسبح

ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ فَتُلَاقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ۝٢٩ أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ۝٣٠ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ۝٣١ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ ءِلَهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَبِثُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ۝٣٢ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝٣٣ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ۝٣٤ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بَالًا خَرِقَ حِجَابًا مَّسْتُورًا ۝٣٥ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذُكِّرْتُمْ بَكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوْ أَنَّ عَلَىٰ أَذُنِهِمْ نُفُورًا ۝٣٦ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ ءِذَا يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ءِذَا هُمْ جَمْعًا ۝٣٧ إِذَا يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ۝٣٨ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ۝٣٩ وَقَالُوا ءِذَا كُنَّا عِظَمًا وَرُفَّتْ أَعْنَآ لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ۝٤٠

بلسانكم، إنه تعالى كان حليماً لا يعاجل بالعقوبة، غفوراً لمن تاب إليه.

وإذا قرأت أيها الرسول القرآن فسمعوا ما فيه من الزواجر والمواعظ جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بيوم القيامة حجاباً ساتراً يمنعهم من فهم القرآن عقاباً لهم على إعراضهم. وصبرنا على قلوبهم أعطيه حتى لا يفهموا القرآن، وصبرنا في آذانهم ثقلاً حتى لا يسمعه سماع انتفاع، وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده، ولم تذكر الهتهم المزعومة رجحوا على أعقابهم متباعدين عن إخلاص التوحيد لله. نحن أعلم بطريقة استماع رؤسائهم للقرآن، فهم لا يريدون الاهتداء به، بل يريدون الاستخفاف واللغو عند قراءتك، ونحن أعلم بما يتناجون به من التكذيب والصد عنه، حين يقول هؤلاء الظالمون لأنفسهم بالكفر لا تتبعون أيها الناس إلا رجلاً مسحوراً اختلط عقله. تأمل - أيها الرسول - لتعجب مما وصموك به من صفات مذمومة مختلفة، فأنحرفوا عن الحق، وحادوا فلم يهتدوا إلى طريق الحق. وقال المشركون إنا كنا عظاماً، وإذا متنا وصرنا عظاماً، وليت أجسامنا، أنبعث بعداً جديداً إن هذا المستحيل.

• من قواطع الآيات:

- الزعم بأن الملائكة بنات الله افتراء كبير، وقول عظيم الإثم عند الله - عز وجل - أكثر الناس لا تزيدهم آيات الله إلا نفوراً؛ لبعصهم للحق ومحبتهم ما كانوا عليه من الباطل. • ما من مخلوق في السماوات والأرض إلا يسبح بحمد الله تعالى فينبغي لعبده ألا تسبقه المخلوقات بالتسبيح.
- من حلم الله على عباده أنه لا يعاجلهم بالعقوبة على غفلتهم وسوء صنيعهم، فرحمته سبقت غضبه.

﴿قُلْ لَّهُمْ أَيُّهَا الرُّسُولُ : كُونُوا - أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ - إِنْ اسْتَطَعْتُمْ حِجَارَةً فِي شِدَّتِهَا، أَوْ كُونُوا حَدِيدًا فِي قُوَّتِهِ، وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا ذَلِكَ.

﴿أَوْ كُونُوا خَلْقًا آخَرَ أَعْظَمَ مِنْهُمَا مِمَّا يَعْظُمُ فِي صُدُورِكُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ يَعِيدُكُمْ كَمَا بَدَأَكُمْ، وَمُحْيِيكُمْ كَمَا خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَسَيَقُولُ هَؤُلَاءِ الْمَعَانِدُونَ: مَنْ يَعِيدُنَا أَحْيَاءَ بَعْدَ مَوْتِنَا؟ قُلْ لَهُمْ: يَعِيدُكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَابِقٍ، فَسَيَحْرُكُونَ رُؤُوسَهُمْ سَاخِرِينَ مِنْ رَدِّكَ عَلَيْهِمْ، وَيَقُولُونَ مُسْتَعْبِدِينَ: مَنْتَى هَذِهِ الْإِعَادَةُ؟ قُلْ لَهُمْ: لَعَلَّهَا قَرِيبَةٌ، فَكُلُّ مَا هُوَ أَتَى قَرِيبٌ.

﴿يَعِيدُكُمْ اللَّهُ يَوْمَ يَنَادِيكُمْ إِلَى أَرْضِ الْمَحْشَرِ، فَتَسْتَجِيبُونَ مُنْقَادِينَ لِأَمْرِهِ، حَامِدِينَ إِيَّاهُ، وَتُظَنُّونَ أَنْكُمْ مَا مَكَثْتُمْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا زَمَنًا قَلِيلًا.

﴿وَقُلْ - أَيُّهَا الرُّسُولُ - لِعِبَادِي الْمُؤْمِنِينَ بَيِّ: يَقُولُوا الْكَلِمَةَ الطَّيِّبَةَ عِنْدَمَا يَحَاوِرُونَ، وَيَحْتَبِئُوا الْكَلِمَةَ السَّيِّئَةَ الْمُنْفَرَةَ: لِأَنَّ الشَّيْطَانَ يَسْتَغْلِقُهَا فَيَسْعَى بَيْنَهُمْ بِمَا يَفْسِدُ عَلَيْهِمْ حَيَاتِهِمُ الدُّنْيَوِيَّةَ وَالْآخِرِيَّةَ، إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا وَاضِحَ الْعَدَاوَةِ، فَعَلَيْهِ أَنْ يَحْذَرُ مِنْهُ.

﴿رَبِّكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ أَعْلَمُ بِكُمْ، فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْكُمْ شَيْءٌ، إِنْ يَشَأْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ رَحْمَةً بِأَنْ يُوَفِّقَكُمْ لِلْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَإِنْ يَشَأْ أَنْ يَعَذِّبَكُمْ عَذَابُكُمْ بِأَنْ يَحْذِلَكُمْ عَنِ الْإِيمَانِ وَيَمَيِّنَكُمْ عَلَى الْكُفْرِ، وَمَا بَعَثْنَاكَ أَيُّهَا الرُّسُولُ - عَلَيْهِمْ وَكِيلًا تَعْبِرُهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ، وَتَمْنَعُهُمْ مِنَ الْكُفْرِ، وَتَعْصِي عَلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ، إِمَّا أَنْتَ مَبْلَغُ عَنِ اللَّهِ مَا أَمَرَكَ بِتَبْلِيغِهِ.

﴿وَرَبُّكَ أَيُّهَا الرُّسُولُ أَعْلَمُ بِكُلِّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَأَعْلَمُ بِأَحْوَالِهِمْ وَبِمَا يَسْتَحْقِقُونَ، وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَى بَعْضٍ لِكَثْرَةِ الْآتِيَاءِ وَإِنْرَالِ الْكُتُبِ، وَأَعْطَيْنَا دَاوُدَ كِتَابًا هُوَ الرُّبُورُ.

﴿قُلْ أَيُّهَا الرُّسُولُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ: ادْعُوا أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ هِيَ دُونُ اللَّهِ، إِنْ نَزَلَ بِكُمْ صَرٌّ، فَهَمُّ لَا يَمْلِكُونَ دَفْعَ الضَّرِّ عَنْكُمْ، وَلَا يَمْلِكُونَ نَقْلَهُ إِلَى غَيْرِكُمْ لِعِزِّهِمْ، وَمَنْ كَانَ عَاجِزًا لَا يَكُونُ إِلَهًا.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَهُمْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَنَحْوِهِمْ هُمْ أَنْتَهُمْ يَطْلُبُونَ مَا يَقْرَبُهُمْ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَيَتَنَافَسُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ إِلَيْهِ بِالطَّاعَةِ، وَيَرْجُونَ أَنْ يَرْحَمَهُمْ، وَيَخَافُونَ أَنْ يَعَذِّبَهُمْ، إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ أَيُّهَا الرُّسُولُ - مِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يَحْذَرُ.

﴿وَمَا مِنْ قَرْيَةٍ أَوْ مَدِينَةٍ مِنَ الْقُرَى الْكَافِرَةِ أَهْلِهَا إِلَّا نَحْنُ نَمُرُّ لَوْنِهَا بِالْعَذَابِ وَالْهَلَاكِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بِسَبَبِ كُفْرِهَا، أَوْ مَبْتَلَوْنَهَا بِعِقَابٍ قَوِيٍّ بِالْقَتْلِ أَوْ غَيْرِهِ بِسَبَبِ كُفْرِهَا، كَانَ ذَلِكَ الْإِهْلَاكِ وَالْعَذَابِ قَضَاءَ إِلَهِيًّا مَكْتُوبًا فِي الْوَلُوحِ الْمَحْمُودِ.

﴿مِنْ هَوَائِدِ الْآيَاتِ:

● القول الحسن داع لكل خلق جميل وعمل صالح، فإنَّ من ملك لسانه ملك جميع أموره.

● فاضل الله بين الأنبياء بعضهم على بعض عن علم منه وحكمة.

● الله لا يريد بعباده إلا ما هو الخير، ولا يأمرهم إلا بما فيه مصلحتهم.

● علامة محبة الله أن يجتهد العبد في كل عمل يقربه إلى الله، وينافس في قربهِ بإخلاص الأعمال كلها لله والنصح فيها.

﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِنَّ لَيْسَتْكُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا ﴿٥٣﴾ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾



وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ  
وَأَتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ  
إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا  
الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ  
فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾  
وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ  
قَالَ أَسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ هَذَا الَّذِي  
كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ  
ذُرِّيَّتَهُ ۚ وَالْأَقِيلَا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ  
جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَأَسْتَفْزِرُّ مَنِ اسْتَطَاعَتْ  
مِنْهُمْ بَصُوتِكَ وَأَجْلِبَ عَلَيْهِم بِخَمِيكَ وَرَجِيكَ وَشَارِكُهُمْ  
فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ وَمَا يَعْدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا  
غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى  
بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ رَبِّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ الْفُلْكَ فِي  
الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ۚ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾

٢٨٨

﴿٥٩﴾ وما تركنا إزال العلامات الحسية الدالة على صدق الرسول التي طلبها المشركون كإحياء الموتى ونحوه، إلا لأننا أنزلناها على الأمم الأولى فكذبوا بها، فقد أعطينا ثمود آية عظيمة واضحة، هي الناقة، فكفروا بها فعاجلناهم بالعذاب، وما نبعث بالآيات على أيدي الرسل إلا تحويها لأمرهم: لعلمهم يسلمون.

﴿٦٠﴾ وادكر أيها الرسول إذ قلنا لك: إن ربك أحاط بالناس قدرة، فهم في قبضه، والله مانعك منهم، فبلغ ما أمرت بتبليغه، وما جعلنا ما أريناك عياناً ليلة الإسراء إلا امتحاناً للناس، هل يصدقون به، أو يكذبون به؟ وما جعلنا شجرة الزقوم المذكورة في القرآن أنها تنبت في أصل الجحيم إلا ابتلاء لهم، فإذا لم يؤمنوا بها تبين الاليتين فلن يؤمنوا بغيرهما، ونخوفهم بانزال الآيات فما يزدادون بالتخويف يابز لها إلا زيادة في الكفر وتماديًا في الضلال.

﴿٦١﴾ وادكر أيها الرسول إذ قلنا للملائكة: اسجدوا لآدم سجود تحية لا سجود عبادة، فامتثلوا وسجدوا كلهم له، لكن إبليس أبى تكبراً أن يسجد له قائلاً: أسجد لمن خلقته من الطين، وأنا خلقتني من النار؟ فأنا أشرف منه.

﴿٦٢﴾ قال إبليس لربه: أرايت هذا المخلوق الذي كرّمته علي بأمرك لي بالسجود له؟ لنن أبقيتني حياً إلى آخر الحياة الدنيا لأستميل أولاده وأغوينهم عن صراطك المستقيم إلا قليلاً ممن عصمت منهم، وهم عبادك المخلصون.

﴿٦٣﴾ قال له ربه: اذهب أنت ومن أطاعك منهم، فإن جهنم هي جزاؤكم وجزاؤهم جزاء كاملاً موفراً على أعمالكم. ﴿٦٤﴾ و سَخِّفَ من استطعت أن تستحقه منهم بصوتك الداعي إلى المعصية، وصح عليهم بقرسانك ومسانك الداعين لطاعتك، وشاركهم في أموالهم بتربيتهم كل تصرف يحالف الشرع، وشاركهم في أولادهم بادعائهم كدياً، وتحصيلهم بالزنى، وتعبيدهم لغير الله عند التسمية، وزيت لهم الوعود الكاذبة والأمانى الباطلة، وما يعدهم الشيطان إلا الوعود الكاذبة التي تعددهم. ﴿٦٥﴾ إن عبادي المؤمنين العاملين بطاعتي ليس لك يا إبليس عليهم تسلط: لأن الله يدفع عنهم شرك، وكفى بالله وكيلاً لمن اعتمد عليه في أموره.

﴿٦٦﴾ ربكم أيها الناس - هو الذي يُسَيِّر لكم السفن في البحر رحاء أن تطلبوا رزقه بأرباح التجارة وغيرها، إنه كان بكم رحيماً حيث يسر لكم هذه الوسائل.

﴿٦٧﴾ من قوائد الآيات،

• من رحمة الله بالناس عدم إنزاله الآيات التي يطلبها المكذبون حتى لا يعاجلهم بالعقاب إذا كذبوا بها.

• ابتلى الله العباد بالشیطان الداعي لهم إلى معصية الله بأفواله وأفعاله.

• من صور مشاركة الشيطان للإنسان في الأموال والأولاد. ترك التسمية عند الطعام والشراب والجماع، وعدم تأديب الأولاد.

وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهَهُ فَلَمَّا  
 نَجَّكُمُ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴿٧٧﴾ أَفَأَمِنْتُمْ  
 أَنْ يُخَسِّفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ  
 لَا تَجِدُوا الْكَوْكَبَ إِلَّا عَنَادًا ﴿٧٨﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً  
 أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيَغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ  
 ثُمَّ لَا تَجِدُوا الْكَوْكَبَ عَلَيْهِ تَابِعًا ﴿٧٩﴾ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي  
 آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ  
 وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٨٠﴾ يَوْمَ نَدْعُوا  
 كُلَّ أَنَاثٍ بِإِمَامِهَا فَمَنْ أُوِّيَ كِتَابُهُ يَمِينُهُ فَأُولَٰئِكَ  
 يَقْرَأُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٨١﴾ وَمَنْ كَانَ  
 فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٨٢﴾ وَإِنْ  
 كَادُوا لَيَفْتِنُونَا عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ  
 عَلَيْنَا غَيْرَةً وَإِذَا لَا تَخْذُوكَ خَلِيلًا ﴿٨٣﴾ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ  
 لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنَا إِلَيْهِمْ شَيْعًا قَلِيلًا ﴿٨٤﴾ إِذَا لَا ذِقْنَاكَ ضِعْفَ  
 الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٨٥﴾

بلاء ومكرهه في البحر حتى خشيتهم الهلاك عاب عن خاطرهم ما كنتم تعبدون من دون الله، ولم تذكروا إلا الله فاستغثتم به، فلما أغاثكم وسلمكم مما تخافونه، وصرتهم في البر أعرضتم عن توحيدِه ودعائه وحده، ورجعتم إلى أصنامكم، وكان الإنسان جعورًا لنعم الله.

﴿٧٧﴾ أفأمنتم أيها المشركون حين نجاكم إلى البر أن يجعله الله ينهار بكم؟ أو أمنتم أن ينزل عليكم حجارة من السماء تمطركم مثل ما فعل بقوم لوط، ثم لا تجدوا حافظًا يحفظكم، ولا ناصرًا يمنعكم من الهلاك.

﴿٧٨﴾ أم أمنتم أن يعيدكم الله إلى البحر مرة أخرى، ثم يبعث عليكم ريحًا شديدة، فيغرقكم بسبب كفركم بنعمة الله لما أنجاكم أولًا، ثم لا تجدوا لكم مطالبًا يطالبنا بما فعلنا بكم انتصارًا لكم.

﴿٧٩﴾ ولقد كرّمنا ذرية آدم بالعقل وإسجاد الملائكة لأبيهم وغير ذلك. وسخرنا لهم ما يحملهم في البر من الدواب والماكب، وما يحملهم في البحر من السفن، ورزقناهم من طيبات المأكول والمشروب والمناجح وغيرها، وفضلناهم على كثير من مخلوقاتنا تفضيلًا عظيمًا، فعليهم أن يشكروا نعم الله عليهم.

﴿٨٠﴾ واذكر أيها الرسول يوم تنادي كل مجموعة بإمامها الذي كانت تقتدي به في الدنيا، فمن أعطيت كتاب عمله يمينه فأولئك يقرؤون كتبهم مسرورين، ولا ينقصون من أجورهم شيئًا، وإن بلغ في صفه قدر الخيط الذي في شق النواة.

﴿٨١﴾ ومن كان في هذه الحياة الدنيا أعمى القلب عن قبول الحق والإذعان له، فهو يوم القيامة أشد عمى، فلا يهتدي لطريق العنة، وأضل طريقًا عن الهداية، والجزاء من جنس العمل.

﴿٨٢﴾ ولقد أوشك المشركون أن يصرفوك أيها الرسول - عما أوحينا إليك من القرآن: لتخلق علينا غيره مما يوافق أهواءهم، ولو فعلت ما أرادوا من ذلك لاصطفوك حبيبًا.

﴿٨٣﴾ ولولا أن منّا عليك بالتثبيت على الحق لقد أوشكت أن تصل إليهم بعض الميل، فتوافقهم فيما اقترحوه عليك: لقوة خداعهم وشدة احتيالهم مع فرط حرصك على إيمانهم، لكن عصمتك من الميل إليهم.

﴿٨٤﴾ ولو ملت إليهم فيما يقترحون عليك لأصبناك بعباب مصاعف في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ثم لا تجد نصيرًا يناصرك علينا، ويدفع عنك العذاب.

﴿٨٥﴾ من قَوَائِدِ الْكِتَابِ:

● الإنسان كفور للنعم إلا من هدى الله.

● كل أمة تُدْعَى إلى دينها وكتابتها، هل عملت به أو لا؟ والله لا يعذب أحدًا إلا بعد قيام الحجة عليه ومخالفته لها.

● عداوة المجرمين والمكذبين للرسول وورثتهم ظاهرة سبب الحق الذي يحملونه، وليس لدوائهم.

● الله تعالى عصم النبي من أسباب الشر ومن البشر، فثبته وهداه الصراط المستقيم، ونورته مثل ذلك على حسب اتباعهم له.

(٧٦) ولقد أوشك الكفار أن يزعجوك بعداوتهم إياك ليخرجوك من مكة، لكن منعهم الله من إخراجك حتى هاجرت بأمر ربك، ولو أخرجوك لم يبقوا بعد إخراجك إلا زمنا يسيرا. (٧٧) ذلك الحكم بعدم بقائهم بعدك إلا زمنا يسيرا سُنَّة الله المطردة في الرسل من قبلك، وهي أن أي رسول أخرجه قومه من بينهم أُرِلَ الله بهم العذاب، ولن تحد أيها الرسول لُسُنُتًا تعييرا، بل ستجدها ثابته مطردة.

(٧٨) أقم الصلاة بالإتيان بها على أتم وجه في أوقاتها من روال الشمس عن كبد السماء، ويشمل ذلك صلاة الظهر والعصر، إلى ظلمة الليل، وتشمل المغرب والعشاء، وأقم صلاة الفجر وأطل القراءة فيها، فصلاة الفجر تحضرها ملائكة الليل وملائكة النهار.

(٧٩) ومن الليل فقم أيها الرسول وصل بعضا منه لتكون صلاتك زيادة لك في رفع درجاتك، متحررا أن يبعثك ربك يوم القيامة شافعا للناس مما هم فيه من أهوال يوم القيامة، ويكون لك مقام السمعة العظمى الذي يحمد به الأولون والآخرون.

(٨٠) وقل أيها الرسول .. رب، اجعل مداخلني ومخارجي كلها في طاعتك وعلى مرضاتك، واجعل لي من عندك حجة ظاهرة تنصرتي بها على عدوي

(٨١) وقل أيها الرسول لهؤلاء المشركين: جاء الإسلام، وتحقق ما وعد الله به من نصره، وذهب الشرك والكفر، إن الباطل ذاهب مُتَلَاشي لا

وإن كادوا لَيَسْتَفِرُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا (٧٦) سُنَّةٌ مِنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا (٧٧) أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى عَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا (٧٨) وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا (٧٩) وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا (٨٠) وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا (٨١) وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا (٨٢) وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَسَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا (٨٣) قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا (٨٤) وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (٨٥) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَئِن دَهَبَ بِالدِّينِ أَخَذْنَاهُ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا (٨٦)

يثبت أمام الحق.

(٨٠) وننزل من القرآن ما هو شفاء للقلوب من الجهل والكفر والشك، وما هو رحمة للمؤمنين العاملين به، ولا يزيد هذا القرآن الكفار إلا هلاكاً، لأن سماعه يعيظهم. ويزيدهم تكديبا وإعراضا عنه.

(٨١) وإذا أنعمنا على الإنسان نعمة مثل الصحة والغنى أعرض عن شكر الله وطاعته، وتباعد تكبرا، وإذا أصابه مرض أو فقر ونحوهما كان شديد القنوط واليأس من رحمة الله.

(٨٢) قل أيها الرسول: كل إنسان يعمل على طريقته التي تشابه حاله في الهداية والضلال، فربكم أعلم بمن هو أهدى طريقا إلى الحق. (٨٣) ويسألك - أيها الرسول - الكفار من أهل الكتاب عن حقيقة الروح. فقل لهم: لا يعلم حقيقة الروح إلا الله، وما أُعطيتم أنتم وجميع الخلق من العلم إلا قليلا في جنب علم الله سبحانه. (٨٤) والله لو سألنا الذهاب بالذي أُرِلَ لنا إليك - أيها الرسول - من الوحي بمعونه من الصدور والكتب لذهبنا به، ثم لا تجد من ينصرك ويتولى ردة.

من فوائد الآيات،

● هي الآيات دليل على شدة اعتقاد العبد إلى تثبيت الله إياه، وأنه ينبغي له ألا يزال مُتَمَلِّقا لربه أن يثبتته على الإيمان. ● عند ظهور الحق يَضْمَحَلُّ الباطل، ولا يعلو الباطل إلا في الأزمنة والأمكنة التي يكسل فيها أهل الحق. ● الشفاء الذي تضمنه القرآن عام لشفاء القلوب من الشبه، والجهالة، والاراء الفاسدة، والانحراف السيئ والمقاصد السيئة. ● في الآيات دليل على أن المسؤول إذا سئل عن أمر ليس في مصلحة السائل فالأولى أن يعرض عن جوابه، ويدله على ما يحتاج إليه، ويرشده إلى ما ينفعه.



٨٧) لكن لم نذهب به رحمة من ربك، وتركناه محفوظاً، إن فضل ربك كان عليك عظيماً حيث جعلك رسولاً، وختم بك الأنبياء، وأنزل عليك القرآن. ولما كان المشركون يتذرعون بأن هذا القرآن من جنس ما يقوله البشر، واقترحوا تبديله تحدثاهم الله بالإتيان بمثله، فقال:

٨٨) قل - أيها الرسول لنن اجتماع الإنس والجن كلهم على أن يأتوا بمثل هذا القرآن المنزل عليك في بلاغته، وحسن نظمها، وحرالته، لن يأتوا به أبداً ولو كان بعضهم لبعض ضامناً ونصيراً.

٨٩) ولقد يتأ للناس في هذا القرآن، ووعنا فيه من كل ما يُعتبر به من المواعظ والعبير والأوامر والنواهي والقصص رجاء أن يؤمنوا، فأبى معظم الناس إلا جحوداً وإنكاراً لهذا القرآن.

ولما عجزوا بدؤوا يقدمون مقترحات للتعجيز، فاقترحوا ما يلي:

٩٠) وقال المشركون لن نؤمن بك حتى تخرج لنا من أرض مكة عيناً جارية لا تنضب.

٩١) أو يكون لك سستان من نخيل وعنب، فتجري فيه الأنهار بفرارة

٩٢) أو تسقط علينا السماء كما ذكرت - قطفاً من العذاب، أو تحيي بالله والملائكة عياناً حتى يشهدوا لك بصحة ما تدعيه.

٩٣) أو يكون لك بيت مَرْحَرَف بالذهب وغيره، أو تصعد في السماء، ولن نؤمن بأنك مرسل إن صعدت إليها إلا إذا نزلت بكتاب من عند الله مسطور نقرأ فيه أنك رسول الله، قل لهم أيها

الْأَرْحَمَ مَنْ رَبِّكَ إِنْ فَضَّلَهُ، كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ٨٧) قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَأَيَأْتُونَ بِمِثْلِهِ، وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ٨٨) وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ٨٩) وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ٩٠) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ٩١) أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ٩٢) أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُفَيْكَ حَتَّى تُنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا تُفَرِّقُوهُ، قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ٩٣) وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمْ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ٩٤) قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ٩٥) قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ٩٦)

الرسول : سبحان ربى! هل كنت إلا بشراً رسولاً كسائر الرسل، لا أملك الإتيان بشيء، فكيف لى أن أحيى بما اقترحتهموه؟

٩٤) وما منع الكفار من الإيمان بالله وبرسوله، والعمل بما جاء به الرسول إلا إنكارهم أن يكون الرسول من جنس البشر، حيث قالوا استنكأوا: أبعث الله إلينا رسولاً من البشر؟

٩٥) قل أيها الرسول رداً عليهم. لو كان على الأرض ملائكة يسكنونها ويسيرون مطمئنين كما هو حالكم لبعثنا إليهم رسولاً ملكاً من جنسهم: لأنه الذي يستطيع أن يفهمهم ما أرسل به، فليس من الحكمة أن نرسل إليهم رسولاً من جنس البشر، وكذلك حالكم أنتم.

٩٦) قل أيها الرسول كفى بالله شاهداً بيني وبينكم أنى رسول إليكم، وأنى بلغنكم ما أرسلت به إليكم، إنه كان بأحوال عباده محيطاً، لا يخفى عليه منها شيء، بصيراً بكل خفايا نفوسهم.

• من فوائد الآيات،

- بين الله للناس في القرآن من كل ما يُعتبر به من المواعظ والعبير والأوامر والنواهي والقصص: رجاء أن يؤمنوا.
- القرآن كلام الله وآية النبي الخالدة، ولن يقدر أحد على المجيء بمثله.
- من رحمة الله بعباده أن أرسل إليهم بشراً منهم، فإنهم لا يطيقون التلقي من الملائكة.
- من شهادة الله لرسوله ما أيده به من الآيات، ونصّره على من عاداه وناوأه.

وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أُولِيَاءَ  
 مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمِيًّا وَبُكْمًا  
 وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾  
 ذَلِكَ جَزَاءُ هُمَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا  
 وَرُفَّتًا آءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ \* أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ  
 الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ  
 وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾  
 قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ  
 الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ  
 آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسَعَلَ نَبِيُّ إِسْرَءِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ  
 إِنِّي لَا أَظُنُّكَ يَمُوسَى مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ  
 هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَآئِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ  
 يَفِرْعَوْنُ مُشَبُّورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَنْ يَنْتَفِرَ بِهِمْ مِنَ الْأَرْضِ  
 فَأَعْرِفَتْهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِيِّ إِسْرَءِيلَ  
 أَسْكِنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾

٢٩٢

﴿٩٧﴾ ومن يوفقه الله للهداية فهو المهتدي حقًا، ومن يخذله عنها ويضلّه فلن تجد أيها الرسول لهم أولياء يهدونهم إلى الحق، ويدفعون عنهم الضرر، ويحلبون لهم النفع، ونحشُرهم يوم القيامة يُستحبون على وحوهم لا يبصرون ولا ينطقون ولا يسمعون، ميرلهم الذي يأوون إليه جهنم، كلما سكن لهيها رذناهم اشتعالًا.

﴿٩٨﴾ ذلك العذاب الذي يلقونه هو جزاؤهم بسبب كفرهم بآياتنا المنرلة على رسولنا، ويقولهم استبعادًا للبعث إذا متنا وصرنا عظامًا مائية، وأجزاء مُفَتَّاة أبعث بعد ذلك خلقًا جديدًا؟

ولما ذكرنا ما يتشبهون به لإنكار البعث رد الله عليهم بقوله:

﴿٩٩﴾ أولم يعلم هؤلاء المنكرون للبعث أن الله الذي خلق السموات وخلق الأرض على عظمها قادر على أن يخلق مثلهم، فمن قدر على خلق ما هو عظيم قادر على خلق ما دونه، وقد حمل الله لهم في الدنيا وقتًا محدداً تنتهي فيه حياتهم، وحمل لهم أحلا لبعثهم لا شك فيه، ومع طهور أدلة البعث أبى المشركون إلا جحودًا بالبعث مع وضوح أدلته.

﴿١٠٠﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: لو كنتم تملكون خزائن رحمة ربي التي لا تنمد ولا تنقضي، إذن لامتنعتم من إتفاقها خوفًا من نقادها حتى لا تصبحوا فقراء، ومن طبع الإنسان أنه يخيل إلا إن كان مؤمنًا، فهو يتفق رجاء ثواب الله.

ولما لقي النبي ﷺ من المشركين

ما لقي من التكذيب جاءت تسليته بقصة موسى مع فرعون وقومه، فقال:

﴿١٠١﴾ ولقد أعطينا موسى تسع دلائل واضحة تشهد له، وهي العصا واليد والسنون ونقص الثمرات والظوفان والجراد والقمل والصفاد والدم، فاسأل أيها الرسول اليهود حين جاء موسى أسلافهم بتلك الآيات، فقال له فرعون إني لأظنك يا موسى رجلًا مسحورًا؛ لما تأتي به من الفرائب.

﴿١٠٢﴾ قال موسى ردًا عليه: لقد أيقنت يا فرعون أنه ما أنزل هذه الآيات إلا الله رب السموات والأرض، أنزلهن دلائل على قدرته، وعلى صدق رسوله، ولكنك جعدت، وإني لأعلم أنك يا فرعون هالك حاسر.

﴿١٠٣﴾ فأراد فرعون أن يعاقب موسى ﷺ وقومه بإخراجهم من مصر، فأهلكناه ومن كان معه من جنوده جميعًا بالفرق.

﴿١٠٤﴾ وقُلْنَا من بعد إهلاك فرعون وحذوه لبني إسرائيل: اسكنوا أرض الشام، فإذا كان يوم القيامة آتينا بكم جميعًا إلى المحشر للحساب.

• من فويده الآيات:

- الله تعالى هو المنفرد بالهداية والإضلال، فمن يهده فهو المهتدي على الحقيقة، ومن يضلّه ويخذله فلا هادي له. • مأوى الكفار ومستقرهم ومقامهم جهنم، كلما سكنت بارها زادها الله بارًا لتذهب. • وجوب الاعتصام بالله عند تهديد الطغاة والمُستبدين.
- الطغاة والمُستبدون يلحظون إلى استخدام السلطة والقوة عندما يواجهون أهل الحق؛ لأنهم لا يستطيعون مواهبتهم بالحجة والبيان.

﴿١٥﴾ وبالحق أنزلنا هذا القرآن على محمد ﷺ ، وبالحق نزل عليه دون تبديل ولا تحريف، وما أرسلناك -أيها الرسول- إلا مبشراً وأهل التقوى بالجنة، ومخوفاً أهل الكفر والعصيان من النار. ﴿١٦﴾ وأنزلناه قرآناً فصحاً، ويثابه رجاء أن تقرأه على الناس على مهل وتزكّل في التلاوة، لأنه أدعى للفهم والتدبر، ونزلناه منجّماً مفرقاً حسب العوالم والأحوال. ﴿١٧﴾ قل -أيها الرسول- آمنوا به، فلا يزيدكم إيمانكم شيئاً، أو لا تؤمنوا به، فلا ينقصه كركم شيئاً، إن الذين قرؤوا الكتب السماوية السابقة، وعرفوا الوحي والنبوة إذا يقرأ عليهم القرآن يخزّون على وجوههم ساجدين لله شكرًا. ﴿١٨﴾ ويقولون في سجودهم: تنزه ربنا عن خلف الوعد، فما وعد به من بعثة محمد ﷺ كائن، إن وعد ربنا بذلك وبغيره لواقع لا محالة.

﴿١٩﴾ ويقفون على وجوههم ساجدين لله ليكون من خشيته، ويزيدهم سماع القرآن وتدبر معانيه خضوعاً لله وخشية له. ﴿٢٠﴾ قل -أيها الرسول- لمن أنكر عليك الدعاء بقولك: (يا الله، يا رحمن): الله والرحمن اسمان له سبحانه فادعوه بأي منهما أو بغيرهما من أسمائه، فله سبحانه الأسماء الحسنى، وهذان منها، فادعوه بهما أو بغيرهما من أسمائه الحسنى، ولا تجهر بالقراءة في صلاتك فيسمعك المشركون، ولا تسرّ بها فلا يسمعها المؤمنون، واطلب طريقاً وسطاً بين الأمرين. ﴿٢١﴾ وقل -أيها الرسول-: الحمد لله المستحق لأنواع المحامد الذي تنزه عن الولد، وتنزه عن الشريك، فلا شريك له في ملكه، ولا يصيبه دل وهوان. فلا يحتاج لمن ينصره ويعزّزه، وعظمه تعظيماً كثيراً، فلا تنسب له ولداً ولا شريكاً في الملك ولا مناصراً معيماً.

● من مقاصد الشورى:

بيان منهج التعامل مع المتن.

● التفسير:

وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٥﴾  
وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴿١٦﴾  
قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْآذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْآذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٩﴾ قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُتُمْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿٢٠﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذَّلِّ وَكَبِيرُهُ تَكْبِيرًا ﴿٢١﴾

سجدة

### سُورَةُ الْكَافِرَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴿١﴾ قِيمًا لِّنُذِرَ بِأَسَاسٍ شَدِيدًا مِّنْ لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾

٢٩٣

الذي تنزه عن الولد، وتنزه عن الشريك، فلا شريك له في ملكه، ولا يصيبه دل وهوان. فلا يحتاج لمن ينصره ويعزّزه، وعظمه تعظيماً كثيراً، فلا تنسب له ولداً ولا شريكاً في الملك ولا مناصراً معيماً.

### سُورَةُ الْكَافِرَاتِ

— مكية —

الثناء بصمات الكمال والجلال، وبالنعيم الطاهرة والباطنة لله وحده الذي أنزل على عبده ورسوله محمد ﷺ القرآن. ولم يجعل لهذا القرآن أعوجاً ولا مبدلاً عن الحق. ﴿١﴾ بل جعله مستقيماً لا تناقض فيه ولا اختلاف، ليخوف الكافرين من عذاب قوي من عبد الله ينتظرهم، ويعبر المؤمنين الذين يعملون الأعمال الصالحات بما يسرهم أن لهم ثواباً حسناً لا يدانيه ثواب. ﴿٢﴾ خالدين في هذا الثواب أبداً، فلا ينقطع عنهم. ﴿٣﴾ ويخوف اليهود والنصارى وبعض المشركين الذين قالوا: اتخذ الله ولداً. ﴿٤﴾ من فريب الأيات، • أنزل الله القرآن منضمّاً الحق والعدل والشرعية والحكم الأمثل. • جواز البكاء في الصلاة من خوف الله تعالى. • الدعاء أو القراءة في الصلاة يكون بطريقة متوسطة بين الجهر والإسرار. • القرآن الكريم قد اشتمل على كل عمل صالح موصل لما تستبشر به النفوس وتفرح به الأرواح.



ليس لهؤلاء المفترين من علم أو دليل على ما يدعونه من نسبة الولد إلى الله، وليس لأبائهم الذين قلدوهم في ذلك علم، عظمت في القبح تلك الكلمة التي تخرج من أفواههم دون تفعل، ما يقولون إلا قولاً كذباً، لا أساس له ولا مستند.

٦ قلعلك أيها الرسول مهلك نفسك حزناً وأسفاً إن لم يؤمنوا بهذا القرآن، فلا تفعل، فليس عليك هدايتهم، وإنما عليك البلاغ.

٧ إنا جعلنا ما فوق وجه الأرض من المخلوقات جمالاً لها لتختبرهم أيهم أحسن عملاً بما يرضى الله، وأيهم أسوأ عملاً، لتجزي كلأ بما يستحقه.

٨ وأنا لمصيرون ما على وجه الأرض من المخلوقات تراثاً خالياً من النبات، وذلك بعد انقضاء حياة ما عليها من المخلوقات، فليعتبروا بذلك.

٩ لا تظن - أيها الرسول - أن قصة أصحاب الكهف، ولوحهم الذي كتبت فيه أسماؤهم من آياتنا العجيبة، بل غيرها أعجب مثل خلق السماوات والأرض.

١٠ اذكر أيها الرسول - حين انتحأ الشبان المؤمنون فراواً بدينهم، فقالوا في دعائهم لربهم: ربنا، أعطنا من عندك رحمة بأن تقفر ذنوبنا، وتنجينا من أعدائنا، واجعل لنا من أمر الهجرة عن الكفار، والإيمان، اهتداءً إلى طريق الحق وسداً.

١١ ثم بعد سيرهم ولجوئهم إلى الكهف ضربنا على أذانهم حجائباً عن سماع الأصوات، وألقينا عليهم النوم أعواماً كثيرة.

مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ٥ فَلَعَلَّكَ بَلِغٌ تَقْسَكَ عَلَى آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ٦ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ٧ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ٨ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ٩ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ١٠ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ١١ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِئُوا أَمَدًا ١٢ لَمَّا نَقَضْ عَلَيْكَ نَبَاهُهُمْ بِالْحَقِّ إِنْهُمْ فَتِيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ١٣ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذْ شَطَطًا ١٤ هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ١٥

١٢ ثم بعد نومهم الطويل أيقظناهم لنعلم علم ظهور أي الطائفتين المتنازعتين في أمر مكثهم في الكهف أعلم بمقدار ذلك الامد.

١٣ نحن نطملك أيها الرسول على خبرهم بالصدق الذي لا مرية معه، إهم شيان آمنوا بربهم، وعملوا بطاعته، وردناهم هداية وتبييناً على الحق.

١٤ وقوينا قلوبهم بالإيمان والثبات عليه، والصبر على هجر الأوطان فيه. حين قاموا معلنين بين يدي الملك الكافر إيمانهم بالله وحده، فقالوا له: ربنا الذي آمنا به وعبدناه هو رب السماوات ورب الأرض، لن نعبد ما سواه من الآلهة المزعومة كذباً، لقد قلنا إن عبدنا غيره قولاً جائزاً بعيداً عن الحق.

١٥ ثم التفت بعضهم إلى بعض قائلين هؤلاء قومنا اتخذوا من دُونِ اللَّهِ معبودات يعبدونها، وهم لا يملكون على عبادتهم برهاناً واضحاً، فلا أحد أظلم ممن اختلق على الله كذباً بنسبة الشريك إليه.

١٦ من قوياً لآيات،

• الداعي إلى الله عليه التبليغ والسعي بغاية ما يمكنه، مع التوكل على الله في ذلك، فإن اهتدوا فيها ونعمت، وإلا فلا يحزن ولا بأسف. • في العلم بمقدار لبث أصحاب الكهف، ضبط للحساب، ومعرفة لكمال قدرة الله تعالى وحكمته ورحمته. • هي الآيات دليل صريح على الفرار بالدين وهجرة الأهل والبنين والقرباء والأصدقاء والأوطان والأموال خوف الفتنة. • ضرورة الاهتمام بتربية الشباب؛ لأنهم أركى قلوباً، وأتقى أفئدة، وأكثر حماسة، وعليهم تقوم نهضة الأمم.

وَإِذْ أَعْرَضْنَا عَنْهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْرَأْنَا إِلَى الْكَهْفِ  
 يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا  
 ﴿١٦﴾ \* وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزْوُرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ  
 الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ  
 مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مِنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ  
 يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْسِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ آتِظًا  
 وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقِلَبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ  
 بَنِيسَطٍ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ  
 فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعبًا ﴿١٨﴾ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ  
 لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا  
 يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا  
 أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى  
 طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ  
 بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ  
 أَوْ يُعْدِلُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا ﴿٢٠﴾

﴿١٦﴾ وحين تخيتم عن قومكم، وتركتم ما يعبدون من دون الله، فلم تعبدوا إلا الله وحده، فالحجوا إلى الكهف فراراً بدينكم ببسط لكم ربكم سبحانه من رحمته ما يحفظكم به من أعدائكم ويحكمكم، ويسر لكم من أمركم ما تنفعون به مما يعوضكم عن العيش بين ظهراني قومكم.

﴿١٧﴾ فامتثلوا ما أمروا به، وأتوا الله النوم عليهم، وحفظهم من عدوهم. وتري أيها المشاهد لهم الشمس إذا طلعت من مشرقها تميل عن كهفهم جهة يمين الداخل فيه، وإذا غابت عند غروبها تعدل عنه جهة شماله فلا تصيبه، فهم في ظل دائم لا يؤذيهم حر الشمس، وهم في مُسَحٍّ من الكهف ينالهم من الهواء ما يحتاجون إليه، ذلك الحاصل لهم من إيوانهم إلى الكهف، والقاء النوم عليهم، وانحراف الشمس عنهم، واتساع مكانهم وإنجائهم من قومهم: من عجائب صنع الله الدالة على قدرته، من يوفقه الله لطريق الهداية فهو المهتدي حقاً، ومن يخذله عنها ويضله فلن تجد له ناصراً يوفقه للهداية، ويرشده إليها؛ لأن الهداية بيد الله، وليست بيده هو.

﴿١٨﴾ وتظنهم - أيها الناظر إليهم - مستيقظين لانفتاح أعينهم، والواقع أنهم نيام، وتقلبهم في نومهم تارة يميناً، وتارة شمالاً حتى لا تأكل الأرض أجسامهم، وكلهم المرافق لهم ماذ ذراعيه بمدخل الكهف، لو اطلعت عليهم وشاهدتهم لأدبرت عنهم هارباً خوفاً منهم، ولا مملأت نفسك رعباً منهم.

﴿١٩﴾ وكما فعلنا بهم مما ذكرنا من عجائب قدرتنا أيقظناهم بعد مدة طويلة ليسأل بعضهم بعضاً عن المدة التي مكثوا نائمين، فأجاب بعضهم: مكثنا نائمين يوماً أو بعض يوم، وأجاب بعض منهم ممن لم تظهر له مدة مكثهم نائمين: ربكم أعلم بمدة مكثكم نائمين، فمضوا إليه علم ذلك وانشفوا بما يعينكم. فأرسلوا أحدهم بنقودكم المصه هذه إلى مدينتنا المعهودة، فليظنر أي أهلها أطيب طعاماً وأطيب مكسباً، فليأتكم بقوت منه، وليتأثر في دحوله وخروجه ومعاملته. وليكن ليلاً، ولا يدع أحداً يعلم بمكانكم. لما يترتب على ذلك من ضرر عظيم.

﴿٢٠﴾ إن قومكم إن يطلعو عليكم ويعلموا بمكانكم يقتلوكم بالرجم بالحجارة، أو يرجعوكم إلى ملتهم المنحرفة التي كنتم عليها قبل أن يمن الله عليكم بالهداية إلى دين الحق، وإن رجعت إليهم فلن تقوزوا أبداً، لا في الحياة الدنيا ولا في الآخرة، بل ستخسرون فيهما الحسرة العظيمة بسبب ترككم دين الحق الذي هداكم الله إليه، ورجوعكم إلى تلك الملة المنحرفة.

من قوايب الآيات:

- من حكمة الله وقدرته أن قلبهم على جنوبهم يميناً وشمالاً بقدر ما لا تفسد الأرض أجسامهم، وهذا تعليم من الله لعباده.
- جواز اتخاذ الكلاب للحاجة والصيد والحراسة.
- انتفاع الإنسان بصحبة الأخيار ومخالطة الصالحين حتى لو كان أقل منهم منزلة، فقد حفظ ذكر الكلب لأنه صاحب أهل المضل.
- دلت الآيات على مشروعية الوكالة، وعلى حسن السياسة والتلطف في التعامل مع الناس.

الدالة على قدرتنا من إنعامهم ستين كثيرة، وإيقاظهم بعدها، أطلعنا عليهم أهل مدينتهم ليعلم أهل مدينتهم أن وعد الله بنصر المؤمنين وبإلغاث حق، وأن القيامة آتية لا شك فيها، فلما انكشف أمر أصحاب الكهف وماتوا اختلف المُظلمون عليهم: ماذا يفعلون بشأنهم؟ قال فريق منهم: ابنوا على باب كهفهم نبياتاً يحجبهم ويحميهم، ربه أعلم بحالهم، فعالهم يقتضي أن لهم خصوصية عنده، وقال أصحاب النفوذ ممن ليس لهم علم ولا دعوة صحيحة: لتتخذن على مكانهم هذا مسجداً للعبادة تكريماً لهم وتذكيراً بمكانهم.

سيقول بعض الخاضعين في قصتهم عن عددهم: هم ثلاثة رابعهم كليهم، ويقول بعضهم: هم خمسة سادسهم كليهم، وكلتا الطائفتين إنما قالت ما قانتها تباً لطنها من غير دليل، ويقول بعضهم: هم سبعة وثامنهم كليهم، قل أيها الرسول: - ربي أعلم بعددهم، ما يعلم عددهم إلا قليل ممن علمهم الله عددهم، فلا تحادل في عددهم ولا في غيره من أحوالهم أهل الكتاب ولا غيرهم إلا جداً طاهراً لا عمق فيه، بأن تقتصر على ما نزل عليك من الوحي بشأنهم، ولا تسأل أحداً منهم عن تفاصيل شأنهم، فإنهم لا يعلمون ذلك.

ولا تقولن - أيها النبي - لشيء تريد فعله غداً: إني فاعل هذا الشيء غداً: لأنك لا تدري هل تفعله، أو يُحال بينك وبينه؟ وهو توجيه لكل مسلم.

إلا أن تعلق فعله على مشيئة الله

بأن تقول: سأفعله إن شاء الله غداً، واذكر ربك تقولك: إن شاء الله إن سبيت أن تقولها وقل: أرجو أن يرشدني ربي لأقرب من هذا الأمر هداية وتوفيقاً.

ومكث أصحاب الكهف في كهفهم ثلاث مئة وتسع سنين.

قل أيها الرسول: الله أعلم بما مكتوا في كهفهم، وقد أخبرنا بمدّة مكثهم فيه، فلا قول لأحد بعد قوله سبحانه، له سبحانه وحده ما غاب في السموات وما غاب في الأرض خلفاً وعلماً، ما أبصره سبحانه فهو يبصر كل شيء، وما أسمعته فهو يسمع كل شيء، ليس لهم من دونه ولي يتولى أمرهم، ولا يشرك في حكمه أحداً، فهو المنفرد وحده بالحكم.

ولما بين أن الحكم له وحده أمر رسوله بنبلاوة ما أوحى إليه من حكم ربه واتباعه، فقال:

واقرأ - أيها الرسول - واعمل بما أوحى الله به إليك من القران، فلا مبدل لكلماته، لأنها صدق كلها وعدل كلها، ولي تجد من دونه سبحانه ملجأً تلجأ إليه، ولا معاذاً تعوذ به سواه.

من فوائد الآيات:

- اتخاذ المساجد على القبور، والصلاة فيها، والبناء عليها: غير جائز في شرعنا.
- في القصة إقامة الحجة على فطرة الله على الحشر وبعث الأحساد من القبور والحساب.
- دلت الآيات على أن المراء والجدال المحمود هو الحدال بالتي هي أحسن.
- السُّنة والأدب الشرعيان يقتضيان تعليق الأمور المستقبلية بمشيئة الله تعالى.

وَكَذَلِكَ أَخْذَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرُهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُيُوتًا رَئَيْنَاهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ۖ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ۖ وَلَا تَقُولنَّ لَإِشَاءِي ۖ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۚ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنِّي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ۖ وَلَيْثُوَ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ۖ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَيْثُوَالَهُ وَغِيبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصَرُ بِهِ ۖ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ ۖ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ۖ وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ۖ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ۖ



الزم نفسك بصحبة الذين يدعون ربهم دعاء عبادة ودعاء مسألة أول النهار وآخره، محلصين له، لا تتحاور عينك عنهم، تريد مجالسة أهل الفنى والشرف، ولا تطع من صيرنا قلبه غافلاً عن ذكرنا بحتمنا عليه، فأمرك بتحية الفقراء عن مجلسك، وقدم اتباع ما تهواه نفسه على طاعة ربه، وكانت أعماله ضياعاً.

وقل أيها الرسول لهؤلاء اللاهين عن ذكر الله لقلة قلوبهم: ما جئتمكم به هو الحق، وهو من عند الله لا من عندي، ولست مجيب دعوتكم إياي أن أطرد المؤمنين، فمن شاء منكم الإيمان بهذا الحق فليؤمن به، وسيُسَرَّ بجرائه، ومن شاء منكم الكفر به فليكفر، وسيستاء بالعقاب الذي ينتظره، إنا أعدنا للظالمين أنفسهم باختيار الكفر نازلاً عظمة أحاط بهم سورها، فلا يستطيعون فراراً منها، وإن يطلبوا غوثاً يماه من شدة ما يلاقون من العطش يغاثوا بماء كالزيت الفكر شديد الحرارة. يشوي وجوههم من شدة حره، ساء شرباً هذا الشراب الذي يغاثون به، فهو لا يغنى عن عطش بل يزيد، ولا يطمئئ القلب الذي يلمح جلودهم، وساءت النار من لا ينزلوه، ومقاماً يقيمون فيه.

ولما ذكر الله ما أعد للظالمين من عذاب ذكر ما أعد للمؤمنين من ثواب كريم، فقال:

إن الذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحات قد أحسنوا عملهم فلهم ثواب عظيم، إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً، بل نوفيهم أجورهم كاملة غير منقوصة.

أولئك الموصوفون بالإيمان وفعل الأعمال الصالحات لهم جنات إقامة يقيمون فيها أبداً، تحري من تحت منازلهم أنهار الجنة العذبة، يزيئون فيها بأسورة من ذهب، ويلبسون ثياباً خضراً من رقيق الحرير، يغلبه، يتكئون على الأسرة المربعة بالستائر الجميلة، حسن الثواب ثوابهم، وحسنت الجنة منزلاً ومقاماً يقيمون فيه.

ولما بين سبحانه جزاء الظالمين وجزاء المؤمنين ضرب مثلاً لهما، فقال:

واضرب أيها الرسول مثلاً لرحلين: كافر ومؤمن، جعلنا للكافر منهما حديقتين من أعناب، وأحطنا الحديقتين بنخل، فأنثرت كل حديقة ثمارها من تمر وعنب وزرع، ولم تنقص منه شيئاً، بل أعطته وافياً كاملاً، وأجرينا بينهما نهراً لسقيهما.

ييسر.

وكان لصاحب الحديقتين أموال وثمار أخرى، فقال لصاحبه المؤمن وهو يخاطبه ليؤثر فيه مَقْتَرًا: أنا أكثر منك أموالاً، وأعز منك حائزاً، وأقوى عشيرة.

من قَوْلِ الْآيَاتِ:

- فضيلة صحبة الأحيار، ومعاهدة النفس على صحبتهم ومخالطتهم وإن كانوا فقراء، فإن في صحبتهم من الفوائد ما لا يحصى.
- كثرة الذكر مع حضور القلب سبب للبركة في الأعمال والأوقات.
- قاعدتا الثواب وأساس النجاة: الإيمان مع العمل الصالح، لأن الله رتب عليهما الثواب في الدنيا والآخرة.

وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُخَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعَمَ الثَّوَابِ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ \* وَأَصْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا لرحلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففنهما بنخل وجعلنا بينهما زرعًا ﴿٣٢﴾ كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئًا وفجرنا خللها نهرًا ﴿٣٣﴾ وكان له ثمرة فقال لصاحبه وهو يحاوره: إِنَّا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾

أولئك الموصوفون بالإيمان وفعل الأعمال الصالحات لهم جنات إقامة يقيمون فيها أبداً، تحري من تحت منازلهم أنهار الجنة العذبة، يزيئون فيها بأسورة من ذهب، ويلبسون ثياباً خضراً من رقيق الحرير، يغلبه، يتكئون على الأسرة المربعة بالستائر الجميلة، حسن الثواب ثوابهم، وحسنت الجنة منزلاً ومقاماً يقيمون فيه.

ولما بين سبحانه جزاء الظالمين وجزاء المؤمنين ضرب مثلاً لهما، فقال:

واضرب أيها الرسول مثلاً لرحلين: كافر ومؤمن، جعلنا للكافر منهما حديقتين من أعناب، وأحطنا الحديقتين بنخل، فأنثرت كل حديقة ثمارها من تمر وعنب وزرع، ولم تنقص منه شيئاً، بل أعطته وافياً كاملاً، وأجرينا بينهما نهراً لسقيهما.

ييسر.

وكان لصاحب الحديقتين أموال وثمار أخرى، فقال لصاحبه المؤمن وهو يخاطبه ليؤثر فيه مَقْتَرًا: أنا أكثر منك أموالاً، وأعز منك حائزاً، وأقوى عشيرة.

من قَوْلِ الْآيَاتِ:

- فضيلة صحبة الأحيار، ومعاهدة النفس على صحبتهم ومخالطتهم وإن كانوا فقراء، فإن في صحبتهم من الفوائد ما لا يحصى.
- كثرة الذكر مع حضور القلب سبب للبركة في الأعمال والأوقات.
- قاعدتا الثواب وأساس النجاة: الإيمان مع العمل الصالح، لأن الله رتب عليهما الثواب في الدنيا والآخرة.

﴿٣٥﴾ ودخل الكافر حديثه في صعبة المؤمن ليريه إياها وهو ظالم لنفسه بالكفر وبالغيب، قال الكافر: ما أظن أن تقني هذه الحديقة التي تشاهدها؛ لما اتخذت لها من أسباب البقاء.

﴿٣٦﴾ وما أظن أن القيامة حادثة، إنما هي حياة مستمرة، وعلى فرض وقوعها فإذا بعثت وأرجعت إلى ربي لأجدن بعد البعث ما أرجع إليه مما هو أفضل من حديثي هذه، فكوني غنياً في الدنيا يقتضي أن أكون غنياً بعد البعث.

﴿٣٧﴾ قال له صاحبه المؤمن وهو يراجعه الكلام، أكفرت بالذي خلقك من تراب، ثم خلقك أنت من التراب، ثم صبرك إنساناً ذكراً، وعدل أعصاك وحملك كاملاً، فالذي قدر على ذلك كله قادر على بعثك.

﴿٣٨﴾ لكن أنا لا أقول بقولك هذا، وإنما أقول: هو الله سبحانه ربي المتفضل بنعمه علينا، ولا أشرك به أحداً في العبادة.

﴿٣٩﴾ وهلاً حين دخلت حديثك قلت: ما شاء الله لا قوة لأحد إلا بالله، فهو الذي يفعل ما يشاء وهو القوي، فإن كنت ترابي أفقر منك وأقل أولاداً، فأنا أتوقع أن يعطيني الله حيزاً من حديثك، وأن يبعث على حديثك عدائاً من السماء، فتصبح حديثك أرضاً لا نبات فيها تزلق فيها الأقدام لمؤسستها.

﴿٤٠﴾ أو يذهب ماؤها عابراً في الأرض فلا تستطيع الوصول إليه بوسيلة، وإذا غار ماؤها فلا بقاء لها. وتخفق ما توقعه المؤمن، فأحاط الهلاك بشمار حديقة الكافر،

وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ تُظْفِقُهُ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَىٰ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَاوُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ وَطْلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيط بِشَمْرِهِ فَاصْبَحْ يَظْلِمُ كَفَيْهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَكِلْتَنِي لِمَ أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ الْوَلِيَّةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾

فأصبح الكافر يقلب كفيه من شدة الحسرة والتدم على ما بذل في عمارتها وإصلاحها من أموال، والحديقة ساقطة على دعائمها التي تُمدد عليها أغصان العنب، ويقول: يا ليتني آمنت بربي وحده، ولم أشرك معه أحداً في العبادة.

﴿٤٦﴾ ولم تكن لهذا الكافر جماعة يمنعونه مما حلَّ به من عقاب، وهو الذي كان يفخر بجماعته، وما كان هو ممتنعاً من إهلاك الله لحديقته.

﴿٤٧﴾ في ذلك المقام النصرة لله وحده، هو سبحانه خير ثواباً لأوليائه من المؤمنين، فهو يضاعف لهم الثواب، وخير عاقبة لهم. ﴿٤٨﴾ واضرب أيها الرسول للمؤمنين بالدنيا مثلاً، فعملها في روالها وسرعة انقضائها مثل ماء مطر أنزلناه من السماء، فنبت بهذا الماء نبات الأرض وانبثج، فأصبح هذا النبات منكسراً منتهكاً، تحمل الرياح أجزاءه إلى نواح أخرى، فتعود الأرض كما كانت، وكان الله على كل شيء مقتدراً، لا يعجزه شيء، فيعبي ما شاء، ويفني ما شاء.

﴿٤٩﴾ من قَوَائِدِ الدِّينِ

• على المؤمن ألا يستكين أمام عزة الغني الكافر، وعليه نصحه وإرشاده إلى الإيمان بالله، والإقرار بوحديانيته، وشكر نعمه وأفضاله عليه.

• ينبغي لكل من أعجبه شيء من ماله أو ولده أن يضيف النعمة إلى موليتها ومُسْتَدْبِهَا بأن يقول: «ما شاء الله لا قوة إلا بالله».

• إذا أراد الله بعيد خيراً عاجل له العقوبة في الدنيا.

• جواز الدعاء بتلف مال من كان ماله سبب طغيانه وكفوره وخسرانه.

﴿١٧﴾ المال والأولاد مما يُفَرِّقُ بِهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَلَا نَفْعَ لِلْمَالِ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا إِنْ اتَّقَىٰ فِيمَا يَرْضَى اللَّهُ، وَالْأَعْمَالُ وَالْأَقْوَالُ الْمَرْضِيَّةُ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ ثَوَابًا مِنْ كُلِّ مَا فِي الدُّنْيَا مِنْ رِبَا، وَهِيَ خَيْرٌ مَا يُؤْمَلُهُ الْإِنْسَانُ؛ لِأَنَّ زِينَةَ الدُّنْيَا فَانِيَةٌ وَثَوَابُ الْأَعْمَالِ وَالْأَقْوَالِ الْمَرْضِيَّةِ عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ.

﴿١٨﴾ وَادَّكَّرَ يَوْمَ تُرِيدُ الْجِبَالُ مِنْ مَوَاطِنِهَا، وَتَرَى الْأَرْضَ طَاهِرَةً لِنُزُولِ مَا عَلَيْهَا مِنْ جِبَالٍ وَشَجَرٍ وَنَبَاتٍ، وَجَمْعَتِ جَمِيعَ الْمَخْلُوقَاتِ، فَلَمْ يَسِرْ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا بِعِشَائِهِ.

﴿١٩﴾ وَعَرَّضَ النَّاسَ عَلَى رَبِّكَ صَفُوفًا فَيَحَاسِبُهُمْ، وَيَقَالُ لَهُمْ: لَقَدْ جِئْتُمُونَا هَٰذِهِ حِمَاةٌ عَرَاةٌ غُرُلًا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ، بَلْ زَعَمْتُمْ أَنْكُمْ لَنْ تَبْعَثُوا، وَأَنَّا لَنْ نَجْعَلَ لَكُمْ زَمَانًا وَمَكَانًا نَحَازِكُمْ فِيهِ عَلَى أَعْمَالِكُمْ.

﴿٢٠﴾ وَوُضِعَ كِتَابُ الْأَعْمَالِ، فَبُنِيَ أَجْزُؤُهُ كِتَابُهُ بِيَمِينِهِ، وَمِنْ أَجْدِ إِيَّاهُ شِمَالُهُ، وَتَرَى أَيُّهَا الْإِنْسَانُ الْكَافِرِينَ حَاسِبِينَ مِمَّا فِيهِ؛ لِأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ مَا قَدِمُوا فِيهِ مِنَ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي، وَيَقُولُونَ: يَا هَلَاكُنَا وَمَصِيبَتُنَا مَا لِهَٰذَا الْكِتَابِ لَا يَتْرَكَ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً مِنْ أَعْمَالِنَا إِلَّا حَفِظَهَا وَعَدَّهَا، وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا فِي حَيَاتِهِم الدُّنْيَا مِنَ الْمَعَاصِي مَكْتُوبًا مَتَّبِعًا، وَلَا يَطْلُمُ رَبُّكَ أَيُّهَا الرُّسُولُ أَحَدًا، فَلَا يَعْاقِبُ أَحَدًا مِنْ غَيْرِ دَنْبٍ، وَلَا يَنْقُصُ الْمَطْبِعُ مِنْ أَجْرِ طَاعَتِهِ شَيْئًا.

﴿٢١﴾ وَادَّكَّرَ أَيُّهَا الرُّسُولُ إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ سَجْدَةً تَحِيَّةً، فَسَجَدُوا كُلُّهُمْ لَهُ امْتِثَالًا لِأَمْرِ رَبِّهِمْ إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْغَنَى وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، فَأَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ عَنِ السَّجْدَةِ، فَخَرَجَ عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِ، فَتَخَذَلَهُ هُمُ الْإِنْسَانُ، فَكَيْفَ يَتَحَدَّثُونَ أَعْدَاءَكُمْ أَوْلِيَاءَكُمْ؟ بَلْ يَسْأَلُونَكُمْ عَنْ أَوْلِيَاءِكُمْ، مَا أَشْهَدُكُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ حِينَ خَلَقْتُهُمَا، بَلْ لَمْ يَكُنُوا مَوْجُودِينَ، وَمَا أَشْهَدُكُمْ بَعْضَهُمْ خَلْقَ بَعْضٍ، فَأَنَّا الْمُنْفَرِدُ بِالْخَلْقِ وَالتَّدْبِيرِ، وَمَا كُنْتَ تَتَّخِذُ الْمُضِلِّينَ مِنْ شَيْطَانِ الْإِنْسَانِ وَالْجِنِّ أَعْوَانًا، فَأَنَّا غَنِيٌّ عَنِ الْأَعْوَانِ.

﴿٢٢﴾ وَادَّكَّرَ لَهُمْ أَيُّهَا الرُّسُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذْ يَقُولُ اللَّهُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا بِهِ فِي الدُّنْيَا ادْعُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ شُرَكَاءُ لِي لَعَلَّهُمْ يَنْصُرُونَكُمْ، فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لِدَعَائِهِمْ وَلَمْ يَنْصُرُوهُمْ، وَجَعَلْنَا بَيْنَ الْعَابِدِينَ وَالْمَعْبُودِينَ مَهْلَكًا يَشْتَرِكُونَ فِيهِ، وَهُوَ نَارُ جَهَنَّمَ.

﴿٢٣﴾ وَعَابَيْنَا الْمَشْرُكِينَ النَّارَ، فَأَقْبَضُوا تَمَامَ الْيَقِينِ أَنَّهُمْ وَاقِعُونَ فِيهَا، وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَكَانًا يَنْصَرِفُونَ إِلَيْهِ.

﴿٢٤﴾ مِنْ هَوَايَا الْأَنْبِيَاءِ،

● عَلَى الْعَبْدِ الْإِكْتِسَادُ مِنَ الْبَاقِيَّاتِ الصَّالِحَاتِ، وَهِيَ كُلُّ عَمَلٍ صَالِحٍ مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ يَبْقَى لِلْآخِرَةِ.

● عَلَى الْعَبْدِ تَذَكُّرُ أَهْوَالِ الْقِيَامَةِ، وَالْعَمَلُ لِهَٰذَا الْيَوْمِ حَتَّى يَنْجُو مِنْ أَهْوَالِهِ، وَيَنْعَمَ بِجَنَّةِ اللَّهِ وَرِضْوَانِهِ.

● كَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَا بَادِمٌ وَالْحَسَنُ الْبَشَرِيُّ بِأَجْمَعِهِ بِأَمْرِ الْمَلَائِكَةِ أَنْ تَسْعُدَ لَهُ فِي بَدْءِ الْخَلْقَةِ سَجُودَ تَحِيَّةٍ وَتَكْرِيمٍ.

● فِي الْآيَاتِ الْحَثُّ عَلَى اتِّخَاذِ الشَّيْطَانِ عَدُوًّا.

الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَةُ الصَّالِحَةُ  
خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿١٧﴾ وَيَوْمَ تُسْجَرُ الْجِبَالُ وَتَرَى  
الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَعَرِضُوا  
عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ  
أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ﴿١٩﴾ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ  
مُسْفِفِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُوتِلَتُنَا مَالٌ هَٰذَا الْكِتَابِ  
لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا  
حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا  
لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ  
أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ  
يَسْأَلُ الظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿٢١﴾ \* مَا أَشْهَدُكُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مَتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا  
﴿٢٢﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ  
فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا ﴿٢٣﴾ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ  
النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٢٤﴾

الْمَلَائِكَةُ، فَأَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ عَنِ السَّجْدَةِ، فَخَرَجَ عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِ، فَتَخَذَلَهُ هُمُ الْإِنْسَانُ، فَكَيْفَ يَتَحَدَّثُونَ أَعْدَاءَكُمْ أَوْلِيَاءَكُمْ؟ بَلْ يَسْأَلُونَكُمْ عَنْ أَوْلِيَاءِكُمْ، مَا أَشْهَدُكُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ حِينَ خَلَقْتُهُمَا، بَلْ لَمْ يَكُنُوا مَوْجُودِينَ، وَمَا أَشْهَدُكُمْ بَعْضَهُمْ خَلْقَ بَعْضٍ، فَأَنَّا الْمُنْفَرِدُ بِالْخَلْقِ وَالتَّدْبِيرِ، وَمَا كُنْتَ تَتَّخِذُ الْمُضِلِّينَ مِنْ شَيْطَانِ الْإِنْسَانِ وَالْجِنِّ أَعْوَانًا، فَأَنَّا غَنِيٌّ عَنِ الْأَعْوَانِ.

﴿٢٢﴾ وَادَّكَّرَ لَهُمْ أَيُّهَا الرُّسُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذْ يَقُولُ اللَّهُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا بِهِ فِي الدُّنْيَا ادْعُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ شُرَكَاءُ لِي لَعَلَّهُمْ يَنْصُرُونَكُمْ، فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لِدَعَائِهِمْ وَلَمْ يَنْصُرُوهُمْ، وَجَعَلْنَا بَيْنَ الْعَابِدِينَ وَالْمَعْبُودِينَ مَهْلَكًا يَشْتَرِكُونَ فِيهِ، وَهُوَ نَارُ جَهَنَّمَ.

﴿٢٣﴾ وَعَابَيْنَا الْمَشْرُكِينَ النَّارَ، فَأَقْبَضُوا تَمَامَ الْيَقِينِ أَنَّهُمْ وَاقِعُونَ فِيهَا، وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَكَانًا يَنْصَرِفُونَ إِلَيْهِ.

﴿٢٤﴾ مِنْ هَوَايَا الْأَنْبِيَاءِ،

● عَلَى الْعَبْدِ الْإِكْتِسَادُ مِنَ الْبَاقِيَّاتِ الصَّالِحَاتِ، وَهِيَ كُلُّ عَمَلٍ صَالِحٍ مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ يَبْقَى لِلْآخِرَةِ.

● عَلَى الْعَبْدِ تَذَكُّرُ أَهْوَالِ الْقِيَامَةِ، وَالْعَمَلُ لِهَٰذَا الْيَوْمِ حَتَّى يَنْجُو مِنْ أَهْوَالِهِ، وَيَنْعَمَ بِجَنَّةِ اللَّهِ وَرِضْوَانِهِ.

● كَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَا بَادِمٌ وَالْحَسَنُ الْبَشَرِيُّ بِأَجْمَعِهِ بِأَمْرِ الْمَلَائِكَةِ أَنْ تَسْعُدَ لَهُ فِي بَدْءِ الْخَلْقَةِ سَجُودَ تَحِيَّةٍ وَتَكْرِيمٍ.

● فِي الْآيَاتِ الْحَثُّ عَلَى اتِّخَاذِ الشَّيْطَانِ عَدُوًّا.



﴿٥٦﴾ ولقد يتينا ونوعا في هذا القرآن المنزل على محمد ﷺ الكثير من أنواع الأمثال لينذكروا ويتعظوا، لكن الإنسان وخاصة الكافر أكثر شيء يظهر منه المجادلة بغير الحق. ﴿٥٧﴾ وما حال بين الكفار المعاندين وبين الإيمان بما جاء به محمد ﷺ من ربه، وما حال بينهم وبين طلب المغفرة من الله لدنوبهم نقص البيان، فقد ضربت لهم الأمثلة في القرآن، وجاءتهم الحجج الواضحة، وإنما منعهم طلبهم بتمت إيقاع عذاب الأمم السابقة عليهم، ومعاناة العذاب الذي وعدوا به.

﴿٥٨﴾ وما نبعث من نبي من رسلنا إلا مبشرين أهل الإيمان والطاعة، ومخوفين أهل الكفر والعصيان، وليس لهم تسلط على القلوب يحملها على الهداية، ويخاصم الدين كفروا بالله الرسل مع وضوح الدليل لهم، ليزيلوا بباطلهم الحق المنزل على محمد ﷺ، وصيروا القرآن وما حوفا به أضحوكة وسخرية.

﴿٥٩﴾ ولا أحد أشد ظلما ممن دُكر نيات ربه، فلم يقبأ بما فيها من وعيد بالعذاب، وأعرض عن الاتعاظ بها، ونسي ما قدم في حياته الدنيا من الكفر والمعاصي ولم يتب منها، إنا جعلنا على قلوب من هذا وصفهم غشاوة تمنعها من فهم القرآن، وفي أذانهم صمما عنه، فلا يسمعون سماع قبول، وإن تدعهم إلى الإيمان فتن يستجيبوا لما تدعوهم إليه أبدا ما دامت على قلوبهم غشاوة، وفي أذانهم صمم.

﴿٦٠﴾ ولئلا يشكوف النبي ﷺ إلى

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٦﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٧﴾ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَجُجِدِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَّا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آلِيَّيَ وَمَا أَنْذَرُوا هُزُورًا ﴿٥٨﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسَى مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٥٩﴾ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلًا ﴿٦٠﴾ وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ﴿٦١﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نِسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦٣﴾

٣٠٠

معاجلة المكذبين به بالعذاب، قال الله له: وربك أيها الرسول الغفور لدنوب عباده التائبين، ذو الرحمة التي وسعت كل شيء، ومن رحمته أنه يمهّل العصاة لعلهم يتوبون إليه، فلو أنه تعالى يعاقب هؤلاء المعرضين لعجل لهم العذاب في الحياة الدنيا، لكنه حلّيم رحيم، أخر عنهم العذاب ليتوبوا، بل لهم مكان وزمان محددان يحارون فيهما على كفرهم وإعراضهم إن لم يتوبوا، لن يجدوا من دونه ملجأ يلجؤون إليه.

﴿٦٤﴾ وتلك القرى الكافرة القريبة منكم مثل قري قوم هود وصالح وشعيب أهلكتهم حين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي، وجعلنا لإهلاكهم وقتا محددا. ﴿٦٥﴾ واذكر أيها الرسول حين قال موسى ﷺ لحاديه يوشع بن نون لا ارأى أسير حتى أصل ملتقى البحرين، أو أسير زمنا طويلا إلى أن ألقى العبد الصالح، فأتلم منه. ﴿٦٦﴾ فسارا، فلما وصلا ملتقى البحرين نسيا سمكتهما التي اتخذاهما زادا لهما، فأحيا الله السمكة، واتخذت طريقا في البحر مثل السرداب، لا يلتئم الماء معه.

من فوائد الآيات:

- عظمة القرآن وجلالته وعمومه: لأن فيه كل طريق موصل إلى العلوم النافعة، والسعادة الأبدية، وكل طريق يعصم من الشر.
- من حكمه الله ورحمته أن تقيضه المبطلين المجادلين الحق بالباطل من أعظم الأسباب إلى وضوح الحق، وتبين الباطل وفساده.
- في الآيات من التخويف لمن ترك الحق بعد علمه أن يحال بينه وبين الحق، ولا يتمكن منه بعد ذلك، ما هو أعظم مرهب وذاجر عن ذلك.
- فضيلة العلم والرحلة في طلبه، واغتنام لقاء الفضلاء والعلماء وإن بعدت أقطارهم.
- الحوت يطلق على السمكة الصغيرة والكبيرة ولم يرد في القرآن لفظ السمك، وإنما ورد الحوت والنون واللحم الطري.

فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ إِنَّا جَاءَآ نَا لِقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحَوْتَ وَمَا أَنْسَيْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَن أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَأَرْتَدَّا عَلَىٰ أَثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُ وَمُوسَىٰ هَلْ أَتَيْكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَ مِمَّا عَلَّمْتَ رُسُلَنَا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾

٣٠١

﴿٦٢﴾ فلما تعديا ذلك المكان، قال موسى ﷺ لخادمه: أتنا طعام الغدوة، لقد لقينا من سفرنا هذا تعبًا شديدًا. ﴿٦٣﴾ قال الغلام: أ رأيت ما حصل حين التجأنا إلى الصخرة؟ فإني نسيت أن أذكر لك أمر الحوت، وما أنساني أن أذكره لك إلا الشيطان، فقد خيبي الحوت، واتخذ له طريقًا في البحر يحمل على التعجب.

﴿٦٤﴾ قال موسى ﷺ لخادمه: ذلك ما كنا نريد، فهو علامة مكان العبد الصالح، فرجعا يتبعان آثار أقدامهما؛ ثلثا يضيعا عن الطريق حتى انتهيا إلى الصخرة، ومنها إلى مدخل الحوت.

﴿٦٥﴾ فلما وصلا مكان فقد الحوت وجدا عنده عبدًا من عبادنا الصالحين (وهو الخضر ﷺ)، أعطيناه رحمة من عندنا، وعلمناه من عندنا علمًا لا يطلع عليه الناس، وهو ما تضمنته هذه القصة.

﴿٦٦﴾ قال له موسى في تواضع وتلطّف: هل أتبعك على أن تعلمني مما علمك الله من العلم ما هو رشاد إلى الحق؟

﴿٦٧﴾ قال الخضر: إنك لن تطيق الصبر على ما تراه من علمي؛ لأنه لا يوافق ما لديك من علم.

﴿٦٨﴾ وكيف تصبر على ما ترى من الأفعال التي لا تعلم وجه الصواب فيها؛ لأنك تحكم فيها بمبلغ علمك؟

﴿٦٩﴾ قال موسى: ستجدني إن شاء الله صابرًا على ما أرى منك من أفعال، ملتزمًا بطاعتك، لا أعصي لك أمرًا أمرتني به.

﴿٧٠﴾ قال الخضر لموسى: إن اتبعتني، فلا تسألني عن شيء مما تشاهدني أقوم به حتى أكون أنا البادئ بتبيين وجهه.

﴿٧١﴾ فلما اتفقا على ذلك انطلقا إلى ساحل البحر حتى لقيا سفينة، فركبا فيها دون أجره تكرمًا للخضر، فخرق الخضر السفينة بقلع لوح من ألواحها، فقال له موسى: أخرقت السفينة التي حملنا أهلها فيها بغير أجره رجاء أن تُغرق أهلها؟ لقد أتيت أمرًا عظيمًا.

﴿٧٢﴾ قال الخضر لموسى: ألم أقُل: إنك لن تطيق معي صبرًا على ما ترى مني؟

﴿٧٣﴾ قال موسى ﷺ للخضر: لا تؤاخذني بسبب تركي لعهدك نسيانًا، ولا تضيق عليّ وتشدّد في صحبتك.

﴿٧٤﴾ فانطلقا بعد نزولهما من السفينة يمشيان على الساحل، فأبصرا غلامًا لم يبلغ الحلم يلعب مع غلمان، فقتله الخضر، فقال له موسى: أقتلت نفسًا طاهرة لم تبلغ الحلم دونها ذنب؟ لقد أتيت أمرًا مُنْكَرًا!

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- استحباب كون خادم الإنسان ذكيًا فطنًا كيّسًا ليتم له أمره الذي يريد.
- أن المعونة تنزل على العبد على حسب قيامه بالمأمور به، وأن الموافق لأمر الله يُعان ما لا يُعان غيره.
- التأدب مع المعلم، وخطاب المتعلم إياه أَلُفَّ خطاب.
- التيسار لا يقتضي المؤاخظة، ولا يدخل تحت التكليف، ولا يتعلق به حكم.
- تعلم العالم الفاضل للعلم الذي لم يَتَمَهَّر فيه ممن مهر فيه، وإن كان دونه في العلم بدرجات كثيرة.
- إضافة العلم وغيره من الفضائل لله تعالى، والإقرار بذلك، وشكر الله عليها.



\* قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ٧٥ قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَ هَذَا فَلَا تُصِجْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ٧٦ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلُهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ ٧٧ قَالَ لَوْ شِئْتُ لَتَخَذْتُ عَلَيْهِ أَجْرًا ٧٧ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ٧٨ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَ هُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ٧٩ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ٨٠ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِمَّا نَزَّوهُ وَاقْرَبَ رُحْمًا ٨١ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ٨٢ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ٨٣ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ٨٤

٣٠٢

حاجتهما إليه.

٨١ فأردنا أن يعوضهما الله ولدا خيرا منه دينيا وصلاحا وطهارة من الذنوب، وأقرب رحمة بوالديه منه.

٨٢ وأما الحائط الذي أصلعته وأنكرت علي إصلاحه فكان لصغيرين في المدينة التي جنناها قد مات أبوهما، وكان تحت الحائط مال مدفون لهما، وكان أبو هذين الصغيرين صالحا، فأراد ربك - يا موسى - أن يبلغا سن الرشد ويكبرا، ويخرجا مالهما المدفون من تحته: إذ لو سقط الحائط الآن لانكشف مالهما وتعرض للضياع، وكان هذا التدبير رحمة من ربك بهما، وما فعلته من اجتهادي؛ ذلك تفسير ما لم تستطع الصبر عليه.

ولما ذكر الله قصة الخضر ذكر قصة ذي القرنين؛ لما بينهما من ترابط؛ إذ إن كلا منهما سعى لحماية الضعفاء، فقال: ٨٣ ويسألك - أيها الرسول - المشركون واليهود ممّجنين عن خير صاحب القرنين، قل: سأتلو عليكم من خبره جزءا تعتبرون به وتتذكرون.

٨٤ من قوايد الآيات.

- وجوب التاني والتثبت وعدم المبادرة إلى الحكم على الشيء.
- أن الأمور تجري أحكامها على ظاهرها، وتُعلّق بها الأحكام الدنيوية في الأموال والدماء وغيرها.
- يُدفع الشر الكبير بارتكاب الشر الصغير، ويُراعى أكبر المصلحتين بتقويت أدناها.
- ينبغي للصاحب ألا يفارق صاحبه ويترك صحبته حتى يُقْتَبَر منه.
- استعمال الأدب مع الله تعالى في الأنفاذ بنسبة الغير إليه وعدم نسبة الشر إليه.
- أن العبد الصالح يحفظه الله في نفسه وفي ذريته.

٧٥ قال الخضر لموسى: إني كنت قلت لك: إنك - يا موسى - لن تستطيع الصبر على ما أقوم به من أمر.

٧٦ قال موسى: إن سألت عن شيء بعد هذه المرة ففارقني، فقد وصلت إلى الغاية التي تُقَدَّر فيها على ترك مصاحبتي؛ لكوني خالفت أمرك مرتين.

٧٧ فسارا حتى إذا جاء أهل قرية طلبا من أهلها طعاما، فامتنع أهل القرية من إطعامهما، وتأدية حق الضيافة إليهما، فوجدا في القرية حائطا مائلا قارب أن يسقط وينهدم، فسواه الخضر حتى استقام، فقال موسى للخضر: لو شئت اتخذا أجر علي إصلاحه لاتخذته؛ لحاجتنا إليه بعد امتناعهم من ضيافتنا.

٧٨ قال الخضر لموسى: هذا الاعتراض على عدم أخذي أجرا على إقامة الحائط هو محل الفراق بيني وبينك، سأخبرك بتفسير ما لم تستطع أن تصبر عليه مما شاهدتني قمت به.

٧٩ أما السفينة التي أنكرت علي خرقها؛ فكانت لضعفاء يعملون عليها في البحر لا يستطيعون الدفع عنها، فأردت أن تصير معيبة بما أحدثته فيها؛ حتى لا يستولي عليها ملك كان أمامهم يأخذ كل سفينة صالحة كرمها من أصحابها، ويترك كل سفينة معيبة.

٨٠ وأما الغلام الذي أنكرت علي قتله فكان أبواه مؤمنين، وكان هو في علم الله كافرا، فحفظنا إن بلغ أن يحملهما على الكفر بالله والطفين من فرط محبتهما له، أو من فرط



إِنَّا مَكِّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ۝٨٤ فَاتَّبَعَ سَبَبًا ۝٨٥ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَذَرُوكَ الْغَرَبِينَ ۝٨٦ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ۝٨٧ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا ثَكْرًا ۝٨٨ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ۝٨٩ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ۝٩٠ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُم مِّن دُونِهَا يَسْرًا ۝٩١ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ۝٩٢ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ۝٩٣ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ۝٩٤ قَالُوا يَذَرُ الْغَرَبِينَ إِن يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلْ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ۝٩٥ قَالَ مَا مَكِّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ۝٩٦ ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ ۝٩٧ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا ۝٩٨ حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قَطْرًا ۝٩٩ فَمَا اسْطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ وَنَقَبًا ۝١٠٠

﴿٨٩﴾ إِنْ مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ، وَاعْطَيْنَاهُ  
مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يَتعلق بِهِ مَطْلُوبُهُ طَرِيقًا  
يَتوصَّلُ بِهِ إِلَى مُرَادِهِ.

فَأَخَذَ بِمَا آعَطَيْنَاهُ مِنَ الْوَسَائِلِ  
وَالطَّرِيقِ لِلتَّوَصُّلِ إِلَى مَطْلُوبِهِ، فَاتَّجَهَ  
غَرْبًا.

سار في الأرض حتى إذا وصل  
إلى نهاية الأرض من جهة مغرب  
الشمس - في مرأى العين - رآها كأنها  
تقرب في عين حارة ذات طين أسود،  
ووجد عند مغرب الشمس قومًا كضًا،  
قلنا له على سبيل التحخير: يا صاحب  
القرنين، إما أن تعذب هؤلاء بالقتل أو  
بغيره، وإما أن تحسن إليهم.

قال صاحب القرنين: أما من  
اشرك بالله وأصرَّ على ذلك بعد  
دعوته له إلى عبادة الله فسُعاقبه  
بالمقتل في الدنيا، ثم يرجع إلى ربه يوم  
القيامة فيُعَذِّبه عذاباً فظيماً.

﴿٣٨﴾ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَعَمِلَ  
عَمَلًا صَالِحًا فَلَهُ الْجَنَّةُ؛ جَزَاءً مِنْ رَبِّهِ  
عَلَىٰ إِيْمَانِهِ وَعَمَلِهِ الصَّالِحِ، وَنَسْقُولُ لَهُ  
مِنْ أَمْرِنَا مَا فِيهِ رَفَقٌ وَلِينٌ.

ثم اتبع طريقًا غير طريقه  
الأولى متجهًا إلى جهة شروق الشمس.

﴿١٠﴾ وسار حتى إذا وصل إلى جهة  
مطلع الشمس - في مرأى العين - وجد  
الشمس تطلع على أقوام لم نجعل لهم  
من دون الشمس ما يقيهم من البيوت  
ومن ظلال الأشجار.

كذلك أمر صاحب القرنين،  
وقد أحاط علمنا بتفاصيل ما لديه من  
القوة والسلطان.

٩٢ ثم اتبع طريقًا غير الطريقين  
الأوليين معترضًا بين المشرق  
والمغرب.

٩٣ وسار حتى وصل ثغرة بين جبليْن فوق  
٩٤ قالوا: يا ذا القرنين، إن يأجوج ومأ  
وغيره، فهل نجعل لك مالاً على أن تجعل

٩٥ قال ذو القرنين: ما رزقته ربي من حاجراً.

أَخْضِرُوا قِطْعَ الْحَدِيدِ، فَأَحْضِرُوهَا  
الْقِطْعَ، حَتَّى إِذَا أَحْمَرَتْ قِطْعَ الْحَدِيدِ قِطْعَ

﴿٤٧﴾ فَمَا اسْتَطَاعَ يُاجُوجَ وَمَاجُوجَ أَنْ يَعْزِلُوا  
مِنْ قَوَائِدِ الْآثَاتِ:

● أن ذا القرنين أحد الملوك المؤمنين وعلمًا نافعًا.

- من واجب الملك أو الحاكم أن يقوم بـ
- أهل الصلاح والإخلاص يحرسون على

وسار حتى وصل ثغرة بين جبلين فوجد من قبلهما قومًا لا يكادون يفهمون كلام غيرهم. قالوا: يا ذا القرنين، إن يأجوج ومأجوج (يعنون أمتين عظيمتين من بني آدم) مفسدون في الأرض بما يقومون به من القتل وغيره، فهل نجعل لك مالاً على أن تجعل بيننا وبينهم حاجزاً؟

﴿٥٥﴾ قال ذو القرنين: ما رزقته ربي من الملك والسلطان خير لي مما تعطونني من مال، فأعينوني برجال وآلات أجعل بينكم وبينهم حاجزًا.

أَخْضَرُوا قَطْعَ الْحَدِيدِ، فَأَحْضَرُوهَا فطَفِقَ يَبْنِي بَهَا بَيْنَ الْعَجَلِينَ، حَتَّى إِذَا سَاوَاهُمَا بَيْنَاةً قَالَ لِلْعَمَالِ: أَشْعَلُوا النَّارَ عَلَى هَذِهِ الْقِطْعِ، حَتَّى إِذَا احْمَرَّتْ قِطْعَ الْحَدِيدِ قَالَ: أَحْضَرُوا نَعَاسًا أَصْبَتْهُ عَلَيْهِ.

فَمَا اسْتَطَاعَ بِأَجُوجَ وَمَاجُوجَ أَنْ يَعْلَوْا عَلَيْهِ لَارْتِقَاعِهِ، وَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَتَّقِبُوهُ مِنْ أَسْفَلِهِ لَصَلَابَتِهِ. مِنْ قَوَائِدِ الْأَقَابِ:

● أن ذا القرنين أحد الملوك المؤمنين الذين ملكوا الدنيا وسيطروا على أهلها، فقد آتاه الله ملكًا واسعًا، ومنحه حكمة وهيبه وعلمًا نافعا.

- من واجب الملك أو الحاكم أن يقوم بحماية الخلق في حفظ ديارهم، وإصلاح ثورهم من أموالهم.
- أهل الصلاح والإخلاص يحرصون على إنجاز الأعمال ابتغاء وجه الله.



قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دُكَّاءً وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ٩٨ ۖ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ٩٩ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ١٠٠ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غَطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ١٠١ الْخَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزْلًا ١٠٢ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ١٠٣ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ١٠٤ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا ١٠٥ ذَلِكَ جَزَاءُ وَهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ١٠٦ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزْلًا ١٠٧ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَتَبَغُونَ عَنْهَا حَوْلًا ١٠٨ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكُمِمْتُ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ١٠٩ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُ الْكَوْمِ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ١١٠

٣٠٤

ذلك الجزء المُعَدَّ لهم هو جهنم؛ لكفرهم بالله، واتخاذهم آياتي المنزلة ورسلي سخرية.

ولما ذكر الله جزاء الكافرين ذكر جزاء المؤمنين، فقال:

١٠١ إن الذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحات كانت لهم أعلى الجنان منزلاً لإكرامهم.

١٠٢ ماكنين فيها أبداً، لا يطلبون عنها تحولاً؛ لأنها لا يدانيها جزاء.

١٠٣ قل - أيها الرسول -: إن كلمات ربي كثيرة، فلو كان البحر حبراً لها تكتب به لانتهى ماء البحر قبل أن تنتهي كلماته سبحانه، ولو أتينا ببحور أخرى لنفدت أيضاً.

١٠٤ قل - أيها الرسول -: إنما أنا بشر مثلكم، يُوحى إلي أن معبودكم بحق معبود واحد لا شريك له، وهو الله، فمن كان يخاف لقاء ربه فليعمل عملاً موافقاً لشرعه، مخلصاً فيه لربه، ولا يشرك بعبادة ربه أحداً.

١٠٥ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

● إثبات البعث والحشر بجمع الجن والإنس في ساحات القيامة بالنفخة الثانية في الصور.

● أن أشد الناس خسارة يوم القيامة هم الذين ضل سعيهم في الدنيا، وهم يظنون أنهم يحسنون صنفاً في عبادة من سوي الله.

● لا يمكن حصر كلمات الله تعالى وعلمه وحكمته وأسرارها، ولو كانت البحار والمحيطات وأمثالها دون تحديد حبراً يكتب به.

٩٨ قال ذو القرنين: هذا السد رحمة من ربي يحول بين يأجوج ومأجوج وبين الإفساد في الأرض، ويمنعهم منه، فإذا جاء الوقت الذي حدده الله لخروجهم قبل قيام الساعة ضيَّره مستويّاً بالأرض، وكان وعد الله بتسويته بالأرض وبخروج يأجوج ومأجوج ثابثاً لا خُلف فيه.

٩٩ وتركنا بعض الخلق آخر الزمان يضطربون ويختلطون ببعض، ونُفِخَ في الصور فجمعنا الخلق كله للحساب والجزاء.

١٠٠ وأظهرنا جهنم للكافرين إظهاراً لا ليس معه ليُشاهدوها عياناً.

١٠١ أظهرناها للكافرين الذين كانوا في الدنيا عمياء عن ذكر الله؛ لما على أعينهم من حجاب مانع من ذلك، وكانوا لا يستطيعون سماع آيات الله سماع قبول.

١٠٢ أفضن الذين كفروا بالله أن يجعلوا عبادي من ملائكة ورسل وشياطين معبودين من دوني؟ إنا هيأنا جهنم للكافرين منزلاً لإقامتهم.

١٠٣ قل - أيها الرسول -: هل نخبركم - أيها الناس - بأعظم الناس خسراناً لعمله؟

١٠٤ الذين يرون يوم القيامة أن سعيهم الذي كانوا يسعون في الدنيا قد ضاع، وهم يظنون أنهم محسنون في سعيهم، وسينتفعون بأعمالهم، والواقع خلاف ذلك.

١٠٥ أولئك هم الذين كفروا بآيات ربهم الدالة على توحيدهم، وكفروا بلقائه، فبطلت أعمالهم لكفرهم بها، فلا يكون لهم يوم القيامة قدر عند الله.